جواهر الأدب

في

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف

أحمد الهاشمي

الطبعة الثلاثون

الجزء الأول

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلى ما سجَعَتْ بِهِ بلابلُ الأقلام ، وأغلَى ما انتظمتْ فيهِ عقودُ البلاغة والانسجام ، وأشهى ما ينعت بِهِ جَواهر الأدب ، حمدُ مولانا الذي شرّف لغة العرب ، وأرسل لنا نبيًّا عربيًّا منزّهًا عن جميع الرِّيَب ، سيدنا محمداً صلّى الله عليهِ وعلى آله ومَن صَحِب

(أمّا بعدُ) فهذا كتابٌ سمّيتهُ « جواهرَ الأدب ، في أدبيّات لغة العَرَب » أودَعتهُ ما وقَع عليهِ اختياري ، لا من نثري وأشعاري ، فليس لي في تأليفهِ منَ الافتخار ، أكثر من الاختيار ، واختيارُ المرء قطعةٌ من عقله ، تدلّ على تَخلّقهِ وفَضله ، وفضيلةُ هذا التأليف هي في جمع ما افترق ، ما تناسب واتّسق ، واختيارِ عيون ، وترتيب فُنون ، من أحاديث نبوية ، ومكاتبات أدبية وحِكَم بَاهرَة ، وأبياتٍ نَادرة ، وأمثال شَاردة ، وأخبارٍ واردة ، ووصايا نافعة ومواعظَ جامعة ، ومُناظرات مُستظرفة ، ومقامات مُستطرفة ، وأوصافٍ علمية وخُطبٍ اجتماعية ، والله سبحانهُ وتعالى هو الموفق للصّواب ، إليهِ المرجعُ والمآب

المؤلف

احمد الهاشمي

إليكم معشر الكتاب

أمّا بعدُ حفِظكم الله يا أهلَ صِناعة الكتابة وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم فانّ الله عزّ وجلّ جعلَ الناسَ بعدَ الانبياء والمُرسلين صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين . ومن بعدِ الملوكِ المكرَّمين أصنافًا وإن كانوا في الحقيقة سواء وصرَّفهم في صُنوف الصِناعات وضُروب المحاولات إلى أسْباب معَاشهم وأبواب أرزاقهم . فجعلكم معشرَ الكُتّاب في أشرف الجهات أهلَ الأدب والمُرُوءات والعلمِ والرّزانة . بكم تنتظِم للخلافة محاسِنُها وتستقيم أمورُها . وبنصائحكم يُصلح الله للخلق سلطانهم وتعمرُ بلدانُهم . لا يستغني الملكُ عنكم ولا يوجد كافٍ إلاّ منكم . فموقعكم من الملوك موقعُ أسماعهم الّتي بها يَسْمَعُون وأبصارِهم التي بها يبصِرون وألسِنتهم الّتي بها ينطِقون وأيديهم الّتي بها يَبْطُشُون .[1] فأمتعكم[2] الله بما خصّكم من فضل صِناعتكم ولا نَزَعَ عنكم ما أضفاه من النِّعمة عليكم . وليس أحد من أهل الصّناعات كلّها أحوجَ إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم

أيها الكُتّاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب مِن صفتكم فان الكاتبَ يحتاجُ مِن نفسهِ ويحتاج منهُ صاحبهُ الذي يثقُ بهِ في مهمّات أموره أن يكونَ حليماً في موضع الحِلم فهيماً في موضع الحُكم مِقداماً في موضع

(١) يدافعون (٢) أبقاكم

الإقدام مِحْجاماً في موضع الإحجام[١] مُؤثِرًا [٢] للعفاف والعدل والإنصاف كَتُوماً للأسرار. وفيّاً عند الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل يضعُ الامور مواضعها والطوارقَ في أماكنها. قد نظر في كلّ فنّ من فنون العلم فأحكمهُ وإن لم يُحكمْهُ أخذ منهُ بمقدار ما يكتفي بهِ. يعرف بغريزة عقله وحُسن أدبهِ وفضل تجربتهِ ما يردُ عليهِ قبل وُرُوده وعاقبةَ ما يصدُرعنهُ قبل صدُوره فيُعدُّ لكلّ أمرٍ عُدَّتهُ [٣] وعتاده.[٤] ويُهيّئ لكلّ وَجه هيئته وعادته. فتنافسوا يا معشرَ الكُتّاب في صُنُوف الآداب وتفقهوا في الدّين وآبدءوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ والفرائض ثُم العربيةِ فانها ثِقافُ [٥] ألسنتِكم، ثم أجيدُوا الخط فانهُ حِليةُ كتُبكم وآرووا الأشعارَ وآعرفوا غريبها ومعانيها وأيامَ العرب والعجم وأحاديثها وسيرَها فانّ ذلك مُعين لكم على ما تسمُو اليهِ هِمَمُكم ولا تُضيّعوا النّظر في الحساب فانّه قَوَام [٦] كُتّاب الخَراج، وآرغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنيّها [٧] ودَنيّها وسفساف [٨] الأمُور ومحاقرها فانها مذلّةٌ للرّقاب مفسدةٌ للكُتّاب ونزّهُوا صناعتكم عن الدّناءة وآرْبأوا [٩] بأنفسكم عن السّعاية والنّميمة وما فيهِ أهلُ الجهالات. وإيّاكم والكِبْرَ والسُّخفَ والعظَمَةَ فانها عداوَةٌ مُجتَلبَةٌ من غير إحْنَةٍ [١٠] وتحابّوا في الله عزّ وجلّ في صِناعتكم وتواصَوْا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنُّبل[١١] من سَلفكم وإن نبا [١٢] الزّمانُ برجل منكم فاعْطفوا عليهِ وواسُوه حتى يرجعَ اليهِ حاله ويثُوبَ [١٣] اليهِ أمرهُ. وإن أقعدَ أحداً منكم الكِبَرُ عن مَكسَبهِ ولقاء إخوانه

---

(١) التأخر (٢) مختاراً له (٣) ما أعددته لحوادث الدهر (٤) العدة (٥) تعديلها (٦) نظام (٧) رفيعها (٨) الرديء من كل شيء (٩) أعرضوا وفروا (١٠) اضمار حقد وسبق عداوة (١١) الذكاء والنجابة (١٢) قصر ونفر (١٣) يرجع

فزُورُوهُ وعظِّمُوهُ وشاوِرُوه واستظهِرُوا بفضل تجربته وقديم معرفته ، وليكن الرَّجلُ منكم على مَن اصطنعه واستظهرَ به ليوم حاجته اليه احوَطَ منهُ على ولده وأخيه فان عرَضتْ في الشُّغل محْمدةٌ فلا يصرفُها إلاّ إلى صاحبه . وإن عرَضت مذمَّةٌ فليحمْلها هو من دونه وليحذر السقطة والزلَّة والمللَ عند تغيُّر الحال فان العيبَ إليكم معشرَ الكُتَّاب أسرعُ منهُ إلى القرّاء [1] وهو لكم أفسدُ منهُ لها فقد علمتم أنَّ الرَّجلَ منكم إذا صحبهُ مَنْ يَبْذُلُ لهُ من نفسه ما يجبُ له عليه من حقّه فواجبٌ عليه أن يعتقدَ له من وفائه وشُكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سرّه وتدبير أمره ما هو جزاء لحقّه ويُصدّق ذلك فعلهُ له عندَ الحاجة اليه والاضطرار إلى ما لديه، فاستشعرُوا ذلك وفّقكم الله من أنفسكم في حالة الرَّخاء والشدّة والحرمان والمُواساة والإحسان والسرّاء والضرّاء فنعمت الشّيمةُ هذه مِمَّنْ وُسم بها من أهل هذه الصِّناعة الشَّريفة . واذا وَلِيَ الرَّجلُ منكم أو صُيّرَ اليه من أمر خلق الله أمرٌ فليُراقب الله عزَّ وجلَّ وليُؤثِر طاعته وليكُنْ على الضعيف رفيقًا وللمظلوم مُنصفًا فانَّ الخلقَ عِيالُ الله وأحبُّهم اليه أرفقُهُمْ بعياله . ثم ليكنْ بالعدل حاكمًا وللاشراف مُكرمًا وللفيء [2] مُوَفِّرًا وللبلاد عامرًا وللرَّعيّة مُتألفًا وعن أذاهم مُتخلّفًا وليكن في مجلسه مُتواضعًا حليمًا وفي سجلاّت خراجه واستقضاء حقوقه دقيقًا واذا صحبَ أحدكم رجلًا فليختبر خلائقهُ فاذا عرَفَ حسَنها وقبيحها أعانه على ما يُوافقهُ من الحسَن واحتالَ على صرْفه عمّا يهواه من القبيح بألطف حيلةٍ وأجمل وسيلة . وقد علمتم أنَّ سائس البهيمة اذا كان بصيرًا بسياستها التمسَ معرفةَ أخلاقها فان كانت رَمُوحًا لم

(١) الجلد لانه سريع العطب (٢) الغنيمة والخراج

بهجتها اذا ركبها وان كانت شَبُوباً اتقاها من بين يديها وان خافَ منها شروداً توقّاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا قمع هواها برفق في طرقها (١) فان استمرّت عطفها يسيراً فيسلس (٢) له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجرّبهم وداخلهم . والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تفقه جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيّرها اليه صاحبها الراكب عليها ، ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الرّويّة والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة (٣) والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله . ولا يجاوزنّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على أفعالكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السَّرف وسوء عاقبة الترف (٤) فانهما يعقبان الفقر ويذلّان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيّما الكتّاب وأرباب الآداب ، وللأمور أشباه بعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف (٥) أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أنّ للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه

(١) في مرة من المرات (٢) وفي نسخة يسلس اي ينقاد ويسهل (٣) القبح (٤) التنعم (٥) مبدأ

ورَويتهُ ، فليقصدْ الرَّجلُ منكم في مجلسه قصدَ الكافي من مَنطقه وليوجزْ في ابتدائهِ وجوابهِ وليأخذْ بمجامع حُججهِ فانّ ذلك مصلحةٌ لفعله ومدفعةٌ للشاغل من إكثاره وليضرعْ إلى الله في صِلة توفيقهِ وامداده بتسديده مخافة وقوعهِ في الغلط المُضرّ ببدنهِ وعقله وأدبهِ فإنهُ إنْ ظنّ منكم ظانٌّ أو قال قائلٌ إنّ الذي بَرز من جميل صنعتهِ وقُوّة حركته انّما هو بفضل حِيلتهِ وحُسن تدبيره فقد تعرَّض بحُسن ظنّه أو مَقالتهِ الى أن يكلَه الله عزّ وجلّ الى نفسهِ فيصيرُ منها الى غير كافٍ وذلك على مَنْ تأمّلهُ غيرُ خافٍ ، ولا يقُلْ أحدٌ منكم إنّه أبصرُ بالأمور وأحملُ لعبءِ التدْبير من مُرافقهِ في صناعتهِ ومُصاحبه في خِدْمته فانّ أعقلَ الرّجلين عند ذوي الألباب مَنْ رَمَى بالعُجب وَراء ظَهره وَرأى أنّ اصحابهُ أعقلُ منهُ وأجمل في طريقتهِ وعلى كلّ واحد من الفريقين أن يَعرف فضلَ نعم الله عليهِ جلّ ثناؤه من غير اغترارٍ برأيه ولا تَزكية لنفسه ولا يُكاثرُ على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره ، وحمدُ الله واجبٌ على الجميع وذلك بالتّواضُع لعَظَمته والتّذلّل لعزّته والتحدُّث بنعمته وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المَثلُ (مَنْ تَلزَمهُ النّصيحة يلزَمهُ العَمل) وهو (جَواهر) هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عزّ وجلّ . فلذلك جعلتهُ آخره وتممتهُ به : تَولاّنا الله وإياكم يا معشَر الكَتبة بما يَتولّى به مَنْ سبق علمه بإسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ :

عبد الحميد الكاتب المتوفي سنة ١٣٢ هـ

تمهيد في مبادئ علم الأدب

الأدب عبارةٌ عن معرفة ما يُحترَز به عن جميع أنواع الخطأ وهو قسمان طبعيٌّ وكسبيٌّ فالطبعيُّ ما فُطِرَ عليهِ الأنسانُ من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم — والكسبيُّ ما اكتسبهُ بالدَّرْس والحفظ والنَّظر وهو المقصودُ لنا في هذا الكتاب فحينئذ يعرَّفُ بانهُ علمٌ صناعيٌّ تُعرَف به أساليبُ الكلام البليغ في كلّ حال من أحواله : وهو المدعو بعلم الأدب

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثُور من حيثُ فصاحتهُ و بلاغتهُ

وغايته الأجادةُ في فنّي المنظُوم والمنثُور على أساليب العرب وتهذيبُ العقل وتذكية الجنَان، وفائدته أنهُ يعصمُ صاحبهَ من زَلَّةِ الجهل وأنهُ يُروّض الأخلاق ويُليّن الطبائعَ وأنهُ يعين على المُرُوءَة وينهض بالهِمَم إلى طلب المعالي والامور الشريفة

(وأركانه أربعة) الأول قُوَى العقل الغريزيّةُ وهي خَمسةٌ

الذَّكاء (١) والخيال (٢) والحافظة (٣) والحِسُّ (٤) والذّوق (٥)

---

(١) الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر وفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (٢) قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح في فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الانسان من صور المدركات كاللذة والالم وهو من شروط الكتابة اذ يعين الكاتب بما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسماً محكماً فيقتدر اذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب ألا ترى أن الكلام العذب اذا حل في القلب حدث فيه حركة وهزة (٥) قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمثابرة على الدرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقلب عما يفسد الاخلاق والآداب

الثاني معرفةُ الأُصول وهي مجموع قوانين الكتابة وفيها تبيان طرق حسن التآليف وضروب الانشاء وفنون الخطابة

وتنقسم هذه الاصول إلى قسمين عامّة وخاصّة (فالعامّة) كالتآليف الادبيّة من منظوم ومنثور في أغراضٍ شتّى (والخاصّة) كالتآليف المفردة بالرّسائل أو بالامثال

الثالث مطالعة تصانيف البلغاء بالتأنّي والتبصُّر فيها ليدّخرَ الكاتبُ كلَّ لفظٍ مؤنقٍ شريف وكلَّ معنى بديعٍ بحيثُ يتصرَّف بهما عند الضرورة

وشروطها ثلاثةٌ (الأوّل) ان يستقلَّ المطالع ببعض علماء اللّغة وائمّة الأدب فيقتصر على درسهم حتى ينسجَ على منوالهم (الثاني) أن يطيل النظر في هذه المطالعة ويردّدَ مراراً ما استحسنهُ من تصانيفهم كي يروّض الذهن في حلبة [1] سباقهم فيقفَ على غريب أُسلوبهم وعجيب تركيبهم (الثالث) أن ينتقيَ منها شيئاً مما استجادَه [2] من اللفظ الحرّ والتراكيب الصحيحة والمعاني البليغة لتكونَ ذُخراً لذاكراته ومهمازاً [3] لقريحته

الرابع الارتياضُ وهو التدرُّب بوجوه الإنشاء بأن تتوسّع في شرح بعض المعاني فتبيّنه بأوجهٍ شتّى وتُنمّقه بأشكال البديع وبأن تجتهد في وضع بعض مواضيعَ وجيزةٍ فتصوغ تارةً وصفَ مدينة أو مدحاً أو تهنئةً وأُخرى تسردُ مثلاً أو تسبك روايةً إلى غير ذلك وأن تحذوَ حذوَ المتقدّمين في أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم وبأنْ تحلَّ النظم فتأتيَ به نثراً أنيقاً [4] وتعقدَ النثر فتصوغه صوغاً رشيقاً [5]

---

(١) الميدان (٢) وجده جيداً (٣) حديدة تكون في مؤخر خف الرائض للمهر (٤) معجباً (٥) حسناً

﴿ مقدمة فى علم الانشاء ﴾

ألانشاء لغةً الشروع والايجادُ والوضع تقول أنشأ الغلامُ يمشي اذا شرَع في المَشْي وأنشأ آلله العالمَ أوجدهُمْ وأنشأ فلانٌ الحديثَ وضعه واصطلاحاً علم يعرَفُ به كيفيةُ استنباط المعاني وتأليفها مع التَّعبير عنها بلفظٍ لائقٍ بالمَقام وهو مُستمدٌ من جَميع العلُوم . وذلك لانَّ الكاتب لا يستثني صنفاً من الكتابة فيخوضُ في كل المباحث ويتعمد الانشاء في كلّ المعارف البشَرية

وينحصر المقصود منهُ في ثلاثة أبواب وخاتمة ومُلحق

الباب الاول في أصول الانشاء

وهي أربعةٌ مَوَادُّهُ وخَواصهُ وطبقاتهُ ومحَاسِنهُ

أمامَوادُّه فثَلاثٌ الأُولى ألالفاظُ الفَصيحةُ[١] الصَّريحةُ[٢] الثانية المعاني[٣]

---

(١) الالفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها
(٢) الألفاظ التي تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل الى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والأبدال (٣) بحيث يكون المعنى واضحاً أي سهل المأخذ خالياً من اللبس والاشكال كقول الاخطل

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ⁂ ذخراً يكون كصالح الأعمال

وان يكون المعنى سديداً أي أن يكون القول مطابقاً للواقع كقول لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ⁂ وكل نعيم لا محالة زائل

وأن يكون مطابقاً لمقتضي الحال كقول أبي العتاهية

إذا أنت لم تزرع وابصرت حاصداً ⁂ ندمت على التفريط في زمن البذر

وقال أبو الفتح البستي

تكلم وسدد ما استطعت فانما ⁂ كلامك حي والسكوت جماد

فان لم تجد قولا سديداً تقوله ⁂ فصمتك عن غير السداد سداد

والمراد بمقتضي الحال الامر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص أي مراعاة أحوال المتكلم

لثالثة إيرادُ المعنى الواحد بطرقٍ مختلفةٍ ومرجعها الى الفصاحة وعلمي المعاني والبيان

والمخاطب ومقام الكلام — والمعنى اما أن يكون مبتكراً أي مخترعاً كقول ابن النبيه

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وكقول آخر في وصف الشتاء

والنار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

أو دقيقاً وهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين في فخر الدين الرازي وكانت قد دخلت إلى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرته

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحي خاطف

من أنبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنك ملجأ للخائف

أو فطرياً وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا إعمال روية ودل على بعض السذاجة في قائله كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحراً فانشد

لا أركب البحر أخشى علي منه المعاطب

طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

وكقول الصياد

سبحان ربي يعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

أو ليناً وهو ماكان لطيف التعبير سلس الألفاظ دالاً على اشياء تطرب المسامع وتبهج القلب كقوله

إن السماء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر

أو نافذاً وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القلب كقول عنتره

وما دانيت شخص الموت إلا كما يدنو الشجاع من الجبان

أو جامعاً وهو ما افاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول سيدنا حسان رضي الله عنه

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وكقول المتنبي

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا

أو متيناً وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبي العتاهية

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب

والمعنى الموغل او الايغال هو ما فتن بسموه القلب وسبي العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة. كما قال قائل على لسان ربه

سألت عندي وانت في كنفي وكل ما قلت قد سمعناه

وأمّا خواصّه فهي محاسنه السبعة وهي أوّلاً الوُضوح (١) بأن يُختارَ المفرداتُ البيّنة الدّلالة على المقصود وان يُعدلَ عن كثرة العوامل (٢) في الجملة الواحدة وان يتحاشى عن الالتباس في استعمال الضمائر وان تسبك الجملُ سبكاً جليًّا بدون تعقيد والتباس وأن يُتحاشى عن كثرة الجُمل الاعتراضيـة

وثانياً الصَّراحةُ بأن يكون الانشاء سالمًا من ضَعف التأليف وغرابة التعبير بحيث يكون الـكلامُ حُرًّا مُهذَّبًا تناسبُ ألفاظُهُ للمعاني المقصودة كما قيلَ

تَزينُ معَانيــه ألفاظَهُ وألفاظُه زائنـاتُ المعَاني

ويكونُ الـكلام صريحًا بانتقاء الالفاظ الفصيحة والمُفردات الحُرّة الكريمة وكذا بأصابة المعـاني وتنقيح العبَارات مع جودة مقاطع الـكلام وحسْن صوغه وتأليفه . وكذا بمُراعاة الفصل والوَصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء الى كيفية ايقاع حروف العطف في مواقعها

وثالثًا الضبطُ وهو حذف فُضول الـكلام واسقاطُ مشتركات الالفاظ كقول قَيس بن الخَطيم المتوفّى سنة ٦١٢ م

أرى الموتَ لا يرْعى على ذي قرَابةٍ وانْ كانَ في الدّنيا عزيزاً بمقعد

لعَمرُكَ ما الأيام إلاّ معَارةٌ فما اسطعْتَ مِن معروفها فتزوّد

سلني بلا خشية ولا رهب ولا تخف إني انا الله

واعلم أنه ليس لهذه المعاني مصدر خاص وانما يحصل عليها الأديب من مطالعة كتب البلغاء وإعمال الفكرة الطويلة والتبصر في الموضوع الذي يقصد وصفه ليستخرج منه المعاني اللائقة به وإنما يلتجيء الأديب إلى هذه المعاني عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ومقام المخاطب ومواقع الكلام (١) كقوله

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب

ليس اليتيم الذي قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب

(٢) كقول بعضهم أقسم لا أعود أقوم أخطب فيكم

ورابعاً الطبعيَّةُ بأن يخلو الكلامُ من التكلُّف والتصنُّع كما قال في رثاء ابنهِ أبو العتاهيةَ المتوفَّى سنة ٢١١ هـ

بكيتُك يا بُنيَّ بدمعِ عيني فلم يُغنِ البكاء عليك شيّا
وكانت في حياتك لي عِظاتٌ وأنت اليوم أوعظُ منك حيّا

وذلك لأنَّ مَن تطبَّع بغير طبعه نزعَتْه العادة حتى تردّه الى طبعه كما أنَّ الماء اذا أسخنتهُ وتركْتَهُ عاد الى طبعه من البُرودة . وحينئذٍ الطبع أملك

وخامساً السُّهولة بأن يخلُص الكلام من التَّعسُّف في السبك وأن يختارَ ما لان منها كما قال في الاشواق بَهاء الدّين زهير المتوفَّى سنة ٦٥٦ هـ

شوْقي اليكَ شديدٌ كما علمْتَ وأزْيدْ
فكيفَ تنكِرُ حُبًّا بهِ. ضميرُك يشهدْ

وأن تُهذّبَ الجمل وأن يأتلفَ اللفظ معَ اللفظ مع مُراعاةِ النّظير كما قال الشَّاعر في الودَاع

في كنفِ الله ظاعنٌ ظعنَا أودَع قَلبي ودَاعه حزَنا
لا أبصرَتْ مُقلَتي محاسنَه إنْ كنتُ أبصرْتُ بعده حسَنا

قال بعض البُلَغاء أُحذّركم من التقعير والتعمُّق في القول وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعاني المُستخفّة المُستملحة فانَّ المعنى المليح اذا كُسِيَ لفظًا حسَنًا وأعاره البليغُ مخرجاً سهلاً كان في قلب السَّامع أحلى ولصدره أملأ قال البُستي

اذا انقادَ الكلامُ فقده عفوًا الى ما تشتهيه من المعاني
ولا تُكرِهْ بيانَكَ انْ تأبى فلا اكراهَ في دينِ البيَان

وسادساً الاتِّساق بأنْ تتناسبَ المعاني كقول المُتنبّي المتوفَّى سنة ٣٤٦ هـ

وما زلتُ حتّى قادَني الشَّوقُ نحوَه ... يُسايرُني في كلِّ رَكبٍ له ذِكرُ (١)
وأستكبرُ الأخبارَ قَبلَ لِقائهِ ... فلمّا التقينا صغَّرَ الخبرَ الخُبرُ

وسابعًا الجزالةُ وهي إبرازُ المعاني الشَّريفة في مَعارضَ من الألفاظ الأنيقةَ (٢) اللّطيفة كقول الصّابيء المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

لَكَ في المحافلِ منطقٌ يَشفي الجوَى (٣) ... ويَسوغُ في أُذنِ الأَديب سُلافُهُ (٤)
فكأنّ لفظَكَ لؤلؤٌ مُتنخَّلٌ (٥) ... وكأنّما آذانُنا أصدافُهُ

وأمّا عُيوبه فسبعة الهُجْنةُ بأنْ يكون اللفظَ سخيفًا والمعنى مُستقبحًا كقوله

وإذا أدنيْتَ منهُ بصلاً ... غَلبَ المسكُ على ريحِ البَصل

والوحشيّة كونُ الكلام غليظًا تمجُّه الأَسماعُ وتنفرُ منهُ الطّباع كقوله

وما أرضَى لُمقلتهِ بحُلمٍ ... اذا انتَبهتْ توَهَّمهُ ابتشاكا (٦)

والرّكاكة ضَعفُ التأليف وسخافةالعبارة كقول المُتنبّي المتوفّى سنة ٣٤٦ هـ

إنْ كان مِثلكَ كانَ أو هو كائنٌ ... فبرِئتُ حينئذٍ من الإِسلامِ

والسَّهوُ عبارة عن ضعف البصَرِ بمواقع الكلام كقول المُتنبي يُشبّهُ ممدوحهُ بالله تعالى (وهو كفرٌ)

تَتقاصرُ الأفهامُ عن إدراكهِ ... مِثلَ الّذي الأفلاكُ منهُ والدُّني (١)

والأسهاب الأطالة الزائدة المُملّة في شرح المادّة والعُدول الى الحشو كقوله

أعنى فتًى لم تذرَّ الشَّمسُ طالعةً ... يومًا من الدّهر الا ضَرَّ أو نفَعا

(١) خبر زلت يسايرني والركب جماعة الراكبين اي ما زلت اسمع ذكره في كل ركب صحبته حتى قادني الشوق الى زيارته والمتنبي يمدح عليا الانطاكي ومعنى البيت الثاني اني ما زلت استعظم ما يذكر لي من اخباره حتى لقيته فصغرت عندي تلك الأخبار بالنسبة اليه لأني وجدته اعظم مما وصفوا (٢) المعجبة (٣) الحرقة (٤) الخمرة (٥) مصطفى ومختار (٦) يقول — وان حدثه حلم في نومه عن شكري له فلا ارضى به لعله يتوهمه كذبًا . (٧) الدنيا

والجفاف الايجاز والاختصار المخلّ كقول الحارث بن حِلّزة المتوفّى سنة ٢٣٢هـ

والعَيْشُ خيرٌ في ظـلال النّوك[1] ممّن عاشَ كدّا[2]

وَوَحدةُ السِّياق الّزام أسلوب واحد من التّعبير وطريقة واحدة من التركيب بحيث تكون للأذهان كلالاً[3] وللقلوب ملالاً[4]

وللكلام عيوبٌ كثيرة منها اللحنُ ومُخالفة القياس الصَّرْفي وضَعف التّأليف والتّعقيدُ والتّكرار وتتابعُ الأضافات الى غير ذلك من الأشياء التي تكون ثقيلةً على اللّسان مُخالفةً للذّوق والعُرْف غَريبة على السَّمع[5]

وأمّا طبقاته فثلاثٌ (الأولى الطبقةُ السُّفلى) ومرجعُها الى الأنشاء السّاذَج وهو ما عَرَا عن رِقّة المعاني وَجَزَالَة الألفاظ والتأنق في التّعبير فهو بالكلام العَاديّ أشْبَهُ لسهُولة مَأخذِهِ وقُرْبِ مَوْرده ويُستعملُ في المحافل العُموميّة ليَقْرُبَ مَنالُ المعاني على جُمهور السّامعين وفي المقالات والتآليف العلميّة لينصَرفَ الذهْن الى أخذ المعنى وليس دونهُ حائلٌ من جهة العِبارة وفي المكاتَبات الأهليَّة والرّحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك (الثانية الطبقةُ العُليا) ومرجعها الى الأنشاء العالي وهو ما شُحِنَ بغُرَر الالفاظ وتَحلّى بأهداب المجاز ولطائف التخيّلات وبدائِع التّشابيه فيفتِنُ ببرَاعته العُقولَ ويسحَرُ الألبابَ ويَصلُحُ في

---

(١) الحمق (٢) تعبا (٣) سآمة (٤) سآمة (٥) حكي عن الصفي الحلي ان بعض الفضلاء بلغه انه اطلع على ديوانه وقال لا عيب فيه سوى انه خال من الالفاظ العربية فأجابه الصفي

انما الحزبون والدردبيس ... والطخا والنقاخ والعلطبيس

لغة تنفر المسامع منها ... حين تروى وتشمئز النفوس

وقبيح ان يسلك النافر الو ... حشي منها ويترك المأنوس

ان خير الالفاظ ما طرب السا ... مع منه وطاب فيه الجليس

ولذيذ الالفاظ مغناطيس :

التّرسلُ بين بُلغاء الكتّاب وفي المجالس الأدبيّة وديباجة بعض التّصانيف الى غير ذلك من المواضع التي مِن شأنها الزّجر وتحريك العواطف والحماسة

(الثالثةُ الطبقة الوُسطى) ومَرجعها الى الانشاء الأنيق [١] وهو ما توسّط بين الأنشاء العالي والسّاذج فيأخذ من الأوّل رونقَهُ ورشاقَته ومن الثاني جلاءه وسلاَمته ويَصلُحُ في مُراسَلات ذَوي المرَاتب وفي الرّوايات المُنمّقة والأوصاف المُسهَبة وفي خُطب المحافل وما أشبه ذلك [٢]

وأما محاسنُهُ فهي أساليب وطرائق معلومةٌ وُضِعت لتَزيين الكلام وتَنْميقه لغرض أن يتمكّن البليغُ من ذِهن السّامع بما يُورده من أساليب الكلام المُستحسنة فيحرّك أهواء النفس ويُثير كامنَ حركاتها ، ولغرض أن يكونَ قوله أشدّ اتصالا بالعقل وأقربَ للأدراك بتصرّفه في فُنون البلاغة

﴿كيفيّة الشُّروع في عَمل مواضيع الانشاء﴾

اذا عَنَّ [٣] لك أو اقتُرِحَ عليك انشاء موضوع فأنت مَنُوط [٤] اذاً بأمرين التّفكرِ أوّلاً والكتابةِ ثانياً فاذا أنعمْتَ الفِكْرَ مليّاً [٥] في أجزاء الموضوع بعد استيلاء الأحساس بها على قلبك وقلّبتَها على جميع الأوجُه المُمكنة فيها توَلّد في

---

(١) المعجب (٢) الذي اشتهر بالانشاء الساذج السيوطي والماوردي والغزالي وابو الفرج الاصبهاني وابن الاثير وابو الفداء والذي اشتهر بالانشاء الانيق الثعالبي وابن خلكان وابن خلدون والطبري والفخري وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والمسعودي والذي اشتهر بالانشاء العالي الحريري والهمذاني والمعري والاخطل وجرير وابو تمام والبحتري والمتنبي وابن خاقان والعتبي والفارضي واعلم ان طبقات الانشاء كثيراً ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء في القطعة الواحدة اشياء من الطبقات الثلاث لا يميزها الا المنتقد البصير
(٣) عرض (٤) ملزم (٥) ساعة طويلة

خَيالك لكلّ جزءٍ عِدّةَ صُوَرٍ [١] تتفاوتُ في تأديته كتفاوتِ صوَر المنظُوم في الُحسن والقُبح فبعضُها يستميلُ النّفوسَ بتأثيره في الحواسّ وبعضُها يُوجب نُفورَها وبعضُها بيْنَ بين ، واذا تشخّصت الصُّورُ في الخيال يتخيّر العقل منها ماله المكانةُ الرّفيعةُ في حُسن تأدية الغَرَض المُناسب للمقام فان كان المقامُ للتّحريض على القتال مثلاً انتخبْ الصُّورةَ المُهيّجةَ للأحساس المُشجّعةَ للنفس على اقتحام الأخطار وان كان المقامُ مقامَ فرح وسُرورٍ انتخِب ما يشرحُ الصُّدورَ وتقرُّ به العُيونُ وتروقُ به الأرواحُ ويذهبُ عنها الحزنَ والأتراحَ [٢]

وبعدَ تَشخُّص الصُّور وتخيُّر المُناسب منها تَعتنِ أيها المُنشئُ بحُسن تأليف وترتيب ما تخيَّرتَه بأنْ تجمَع الصُّور المُناسبةَ التي يرتبطُ بعضُها ببعض بدون تكلُّفٍ بحيث يكونُ المجموعُ مُنسجماً يَمضي وحدَه مع النّفس دُون عِلاجٍ وتَعبٍ في فَهم الغَرَض منهُ وحينئذ يُمكنك اظهارُ هذه الصورة المعقُولة في صُورةٍ محسوسة بواسطةِ القلم

---

(١) اما اذا تساوت في حسن تأدية الغرض اخذ احداهافقط ولا يحسن جمعها (٢) الأحزان «تنبيه» يراعى حال المخاطب ومنزلته فان ما يحسن عند الذكي لا يحسن عند الغبي ومايناسب ذا الجد لا يناسب الهزلي وما يصلح للرئيس لا يصلح للمرءوس فخاطب كلا على قدر ابهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت فكلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان اسهل ولو جاني الاسماع واشتد اتصالا بالقلوب وخف على الافواه ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مؤنق شريف ومعايراً بكلام عذب بدون تكليف ولا تعقيد فالمعنى الخفي اشبه بالروح الخفي واللفظ الظاهر اشبه بالجثمان الظاهر والا تضاءل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء في الاطمار الرثة

﴿ أركان الكتابة ﴾

إعلمْ أنَّ للكتابةِ أرْكاناً لا بُدَّ مِن إيداعِها في كلِّ كتابٍ بلاغيٍّ ذي شأنٍ . أولها أنْ يكون مَطلعُ الكِتابِ عليهِ جِدَّةٌ [١] ورشاقةٌ فانَّ الكاتبَ مَن أجاد المطلعَ والمقطعَ . أو يكون مبنيًّا على مقصدِ الكتابِ . الثاني أن يكون خروجُ الكاتبِ مِن معنًى الى معنًى برابطةٍ لتكونَ رقابُ المعاني آخذةً بعضُها ببعضٍ ولا تكونَ مقتضَبةً . الثالثُ أن تكونَ ألفاظُ الكتابِ غيرَ مُخلَوْلقةٍ بكَثرةِ الاستعمال . ولا أُريدُ بذلك أن تكونَ ألفاظاً غريبةً فإنَّ ذلك عيبٌ فاحشٌ بلْ أُريدُ ان تكونَ الألفاظُ المستعملةُ مسبوكةً سَبكاً غريباً يظُنّ السامعُ أنها غيرُ ما في أيدي الناسِ وهي مما في أيدي الناس . وهُناكَ مُعترَكُ الفصاحةِ التي تُظْهِرُ فيه الخواطرُ براعتَها والأقلامُ شجاعتَها . وهذا الموْضعُ بعيدُ المنالِ كثيرُ الإشكالِ يحتاجُ الى لُطفِ ذَوْقٍ وشهامةِ خاطرٍ وليس كلُّ خاطرٍ براقٍ الى هذه الدرجةِ (ذلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ من يشاء واللهُ ذو الفضلِ العظيم) ومع هذا فلا تظنَّ أيها الناظرُ في كتابي أنّي أردتُ بهذا القوْل إهمالَ جانبِ المعاني بحيثُ يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسنِ والملاحةِ ولا يكونُ تحتهُ من المعنى ما يماثله ويُساويهِ فانهُ اذا كان كذلك كان كصورةٍ حسنةٍ بديعةٍ في حسنها الا أنَّ صاحبَها بليدٌ أبلهُ . والمرادُ ان تكونَ هذه الألفاظُ المشارُ اليها جسماً لمعنًى شريفٍ . على أنَّ تحصيلَ المعاني الشريفةِ على الوجهِ الذي أشرتُ اليهِ أيسرُ من تحصيلِ الألفاظِ المشارِ اليها . ولقد رأيتُ كثيراً من

(١) صار جديداً مبتكراً وهو نقيض الخلق

الجُهّالِ الذينَ هم منَ السُّوقةِ أربابِ الحِرف والصنائع وما منهم الاَّ من يقع لهُ المعنى الشريفُ ويظهَرُ من خاطرهِ المعنى الدقيقُ ولكنَّهُ لا يُحسِنُ أنْ يزوّجَ بيْن لفظَتيْن . فالعبارةُ عن المعاني هي التي تُخلَبُ بها العقولُ. وعلى هذا فالناسَ كلُّهمْ مشتركونَ في استخراجِ المعاني فانهُ لا يمنعُ الجاهلُ الذي لا يعرِفُ علماً منَ العلوم أنْ يكونَ ذكيّاً بالفطرةِ . واستخراجُ المعاني انما هو بالذَّكاء لا بتعلُّم العلمِ

فاذا استكملتَ معرفةَ هذه الاركان وأتيتَ بهـا في كلّ كتابٍ بلاغيٍّ ذي شأنٍ فقدِ استحققتَ حينئذٍ فضيلةَ التقدُّمِ ووجبَ لك أن تسمّيَ نفسكَ كاتباً

(عن المثل السائر باختصار)

﴿ كيفية نظم الكلامِ ﴾

اذا أردتَ أن تَصنع كلاماً فأخطرْ معانيَه ببالكَ . وتنقَّ لهُ كرائمَ اللفظ واجعلْها على ذكرٍ منكَ ليقرُبَ عليكَ تناوُلُها ولاَ يتعبكَ تطلُّبها . واعمله ما دمتَ في شبابِ نشاطكَ فاذا غشيكَ الفتورُ وتخوَّنكَ الملالُ فأمسكْ . فان الكثيرَ مع الملال قليلٌ والنفيس مع الضجَرِ خسيسٌ . والخواطر كالينابيعِ يُسقَى منها شيءٌ بعدَ شيء فتجدُ حاجتكَ منَ الريِّ وتنالُ أربكَ منَ المنفعةِ فاذا أُكثرتَ عليها نضبَ ماؤُها وقلَّ عنكَ غَنَاؤُها . واعلمْ أنَّ ذلك أجدى عليك مما يُعطيكَ يومكَ الأطولُ بالكدِّ والمطالبةِ والمجاهدةِ والتكلُّف والمعاودة . وايَّاكَ والتوعُّرَ فانَّ التوعرَ يسلمكَ الى التعقيدِ والتعقيدُ هو الذي

يستهلك معانيك ويشين ألفاظك. ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً فإن من حق المعنى الشريف اللفظ الشريف. فإذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها صائرة الى مستقرها حالة في مركزها متصلة بسلكها بل وجدتها قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها فإنك إن لم تتعاط قريض الشعر المنظوم ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بذلك أحد. وإن تكلفته ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك بصيراً عابك من أنت أقل عيباً منه وزرى عليك من هو دونك

فإن لم تسمح لك الطبيعة بنظم الكلام في أول وهلة وتعصّى عليك بعد إجالة الفكرة فلا تعجل ودعه سحابة يومك ولا تضجر وأمهله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك فإنك لا تعدم الإجابة والمؤاتاة. فإن تمنع عليك بعد ذلك مع ترويح الخاطر وطول الإمهال فتحوّل من هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك وأخفها عليك فإنك لم تشتهها إلا وبينكما نسب. والشيء لا يحن إلا الى ما شاكله

وينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاماً ولكل حال مقاماً حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار الحالات

(عن كتاب الصناعتين باختصار)

﴿ الطريقُ الى تعلّم الكتابة ﴾

إنّ الطريقَ الى تعلُّم الكتابةِ على ثلاثِ شُعَبٍ : الأُولى أنْ يتصفّح الكاتبُ كتابةَ المتقدمينَ ويطّلعَ على أوضاعهمْ في استعمالِ الألفاظ والمعاني ثمَّ يحذوَ حذوَهم وهذه أدنى الطبقاتِ عندي . والثانيةُ أنْ يمزجَ كتابةَ المتقدمينَ بما يستجيدهُ لنفسهِ منْ زيادة حسنهِ امّا في تحسينِ الفاظ أو في تحسينِ معانٍ وهذه هي الطبقةُ الوسطى وهي أعلى منَ التي قبلها . والثالثةُ أنْ لا يتصفحَ كتابةَ المتقدمينَ ولا يطّلعَ على شيء منها بل يصرفَ همه الى حفظ القرآنِ الكريمِ وعدّةٍ منْ دواوين فحول الشُّعراء ممنْ غلبَ على شعْرِه الإجادةُ في المعاني والالفاظ . ثم يأخذَ في الاقتباس فيقومُ ويقعُ ويخطئ ويصيبُ ويضلُّ ويهتدي حتى يستقيمَ على طريقةٍ يفتتحُها لنفسهِ . وأخلق بتلك الطريق أنْ تكونَ مبتدَعةً غريبةً لا شركةَ لأحد منَ المتقدّمين فيها . وهذه الطريقُ هي طريقُ الاجتهاد وصاحبُها يعدُّ إماماً في فنِّ الكتابةِ الاّ انها مستوْعرةٌ جدًّا ولا يستطيعُها الاّ مَن رزقَهُ اللهُ لساناً هجّاماً وخاطراً رقّاماً. ولا أُريدُ بهذه الطريقِ أن يكونَ الكاتبُ مرْتبطاً في كتابتِهِ بمايستخرجه مِنَ القرآنِ الكريمِ والشِّعر بحيثُ إنَّهُ لا ينشئ كتاباً الاّ منْ ذلك بلْ اريدُ أنَّه اذا حفِظَ القرآنَ وأكثرَ منْ حفظِ الأشعارِ ثم نقّبَ عن ذلك تنقيبَ مُطّلع على معانيهِ مفتشٍ عن دفائنهِ وقلّبهُ ظهراً لبطنٍ عرفَ حينئذٍ منْ اينَ تؤْكل الكَتِفُ فيما ينشئُه منْ ذاتِ نفسهِ واستعانَ بالمحفوظِ على الغريزة الطبيعيةً

(المثل السائر باختصار)

﴿ كيفية تهذيبِ الكلامِ وأوقاتِ تأليفهِ ﴾

تهذيبُ الكلامِ عبارةٌ عنْ تردادِ النظرِ فيهِ بعدَ عملهِ نظماً كانَ أو نثراً وتغييرِ ما يجبُ تغييرُه وحذفِ ما ينبغي حذفهُ واصلاحِ ما يتعيَّنُ اصلاحهُ وتحريرِ ما يَدقُّ من معانيهِ واطراحِ ما يتجافَى عن مضاجعِ الرقّةِ من غليظِ ألفاظهِ لتُشرقَ شموسُ التهذيبِ في سماءِ بلاغتهِ وترشُفَ الأسماعُ على الطرَبِ رقيقَ سُلافتهِ . فانَّ الكلامَ اذا كان موصوفاً بالمهذّبِ منعوتاً بالمنقّحِ علتْ رتبتهُ وانْ كانت معانيهِ غيرَ مبتكَرةٍ . وكلُّ كلامٍ قيلَ فيهِ : لو كان موضعَ هذه الكلمةِ غيرُها ولو تقدّمَ هذا المتأخِّرُ وتأخرَ هذا المتقدّمُ . أو لو تُممَ هذا النقصُ بكذا او لو تكمَّلَ هذا الوصفُ بكذا . او لو حُذِفتْ هذه اللفظةُ او لو اتضحَ هذا المقْصدُ وسهُلَ هذا المطلبُ لكانَ الكلامُ أحسنَ والمعنى أبيَنَ . كان ذلك الكلامُ غيرَ منتظمٍ في نوعِ التهذيبِ

وكان زُهيْرُ ابنُ ابي سُلمى معروفاً بالتنقيحِ والتهذيبِ وله قصائدُ تعرَفُ بالحوْليّاتِ . قيلَ : إنهُ كانَ ينظِمُ القصيدةَ في أرْبعةِ اشهُرٍ ويهذّبُها وينقّحُها في اربعةِ اشهرٍ ويعرِضُها على علماءِ قبيلتِهِ اربعةَ اشهرٍ . ولهذا كانَ الإمامُ عمرُ بن الخطابِ مع جلالتهِ في العلمِ وتقدُّمهِ في النقدِ يقدّمهُ على سائرِ الفحولِ من طبقتهِ

وما احسنَ ما اشارَ ابو تمّامٍ الى التهذيبِ بقولهِ

خذْها ابنةَ الفكرِ المهذّبِ في الدُّجى والليلُ أسودُ رقعةِ الجلبابِ

فإنهُ خصَّ تهذيبَ الفكرِ بالدُّجى لكونِ الليلِ تهدأُ فيه الاصواتُ وتَسكنُ الحركاتُ فيكونُ الفكرُ فيه مُجتمِعاً ومرْآةُ التهذيبِ فيه صقيلةً لخلوِّ الخاطرِ وصفاءِ القريحةِ لا سيَّما وسطَ الليل

قال ابو عبادَةَ البُحْتُرِيُّ : كنتُ في حداثتي أروي الشِّعرَ وكنتُ أرجعُ فيهِ الى طبعٍ سليمٍ ولم اكُنْ وقفتُ لهُ على تسهيلِ مأْخذٍ ووجوهِ اقتضابٍ حتى قصدتُ أبا تمَّام وانقطعْتُ اليه واتكلْتُ في تعريفهِ عليه . فكانَ أوَّلَ ما قالَ لي : يا أبا عبادَةَ تخيَّرِ الأوقاتَ وانتَ قليلُ الهمومِ صفرٌ منَ الغمومِ واعلمْ انَّ العادةَ في الاوقاتِ اذا قصدَ الانسانُ تأليفَ شيءٍ او حفظَهُ انْ يختارَ وقتَ السحَرِ وذلك أنَّ النفسَ تكونُ قد أخذَتْ حظَّها من الراحة وقسطَها من النوْمِ وخفَّ عليها ثِقَلُ الغذاء . واحذَرِ المجهولَ منَ المعاني وايَّاكَ أن تشينَ شعرَكَ بالألفاظِ الوحشيةِ وناسِبْ بين الألفاظِ والمعاني في تأليف الكلامِ وكن كأنكَ خيَّاطٌ تقدِّرُ الثيابَ على مقاديرِ الأجسامِ . واذا عارَضَكَ الضجرُ فأَرِحْ نفسكَ ولا تعملْ الاَّ وانتَ فارغُ القلبِ ولا تنظمْ الا بشهوةٍ فانَّ الشهوَةَ نعمَ المعينُ على حسْنِ النظمِ . وجُملةُ الحالِ انْ تعتبرَ شِعْرَكَ بما سلف من اشعارِ الماضينَ فما استَحسنَ العلماءُ فاقصدْهُ وما استقبحوهُ فاجتنبْهُ

(عن خزانة الادب وزهر الآداب باختصار)

محاسن الانشاء ومعايبه

انَّ للنثرِ محاسنَ ومعايبَ يجب على المنشيءِ أن يفرِّق بينهما مُحترزاً مِن استعمالِ الالفاظِ الغريبةِ وما يخلُّ بفهمِ المرادِ ويوجبُ صعوبتهُ ولا بُدَّ من أنْ يجعلَ الالفاظَ تابعةً للمعاني دون العكسِ . لانَّ المعاني اذا تركبتْ على سَجيتها طلبتْ لانفسها ألفاظاً تليقُ بها فيحسنُ اللفظُ والمعنى جميعاً . وأما جعلُ الالفاظ متكلفةً والمعاني تابعةً لها فهو شأن من لهم شغفٌ بايرادِ شيءٍ منَ المحسنات اللفظية

فيصرفون العنايةَ اليها ويجعلون الكلامَ كأنهُ غير مسوقٍ لافادة المعنى . فلا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الانشاء ان يكتب ما يراد لا ما يريد كما قيل في الصاحب والصابئ: ان الصابئ يكتب ما يراد والصاحب يكتبُ ما يريدُ

(عن آداب المنشيء ببعض تصرف)

﴿ فصاحة الالفاظ ومطابقتها للمعاني ﴾

فصاحةُ الالفاظِ تكون بثلاثة اوجه : الاول مجانبةُ الغريب الوحشيِّ حتى لا يمجّه سمعٌ ولا ينفر منهُ طبعٌ . والثاني تنكُّبُ اللفظ المبتذلِ والعدول عن الكلام المسترذلِ حتى لا يستسقطهُ خاصيٌّ ولا ينبو عنهُفهمُ عاميٍّ كما قال الجاحظ في كتابِ البيانِ : أما انا فلم أرَ قوماً أمثلَ طريقةً في البلاغةِ منَ الكتّابِ وذلك أنهم قدِ التمسوا منَ الالفاظِ ما لم يكنْ متوعرًا وحشيًّا ولا ساقطًا عاميًّا . والثالثُ أن يكونَ بينَ الالفاظِ ومعانيها مُناسبةٌ ومُطابقةٌ . اما المطابقَة فهي أن تكونَ الالفاظُ كالقوالبِ لمعانيها فلا تَزيدُ عليها ولا تنقُصُ عنها . وأما المناسبةُ فهي أنْ يكونَ المعنى يليقُ ببعضِ الألفاظِ إما لعُرفٍ مستعملٍ أوِ لاتفاقٍ مستحسَنٍ حتى اذا ذكرْتَ تلك المعاني بغيرِ تلك الالفاظِ كانتْ نافرة عنها وان كانتْ أفصحَ وأوضحَ لاعتيادِ ما سواها

(ادب الدين والدنيا باختصار)

﴿ حقيقة الفصاحة ﴾

اعلم أنَّ هذا موضوعٌ متعذّرٌ على الوالجِ ومسلكٌ متوعّرٌ على الناهجِ . ولم تزلِ العلماء من قديمِ الوقت وحديثهِ يكثرونَ القولَ فيه والبحثَ عنهُ . ولم أجدْ منْ ذلك ما يعوّل عليه الاَّ القليلَ . وغايةُ ما يقالُ في هذا البابِ أنَّ الفصاحةَ هي الظهورُ والبيانُ في اصلِ الوضعِ اللغويّ يقالُ : أفصحَ الصبحُ اذا ظهرَ . ثم إنهمْ يقفونَ عند ذلك ولا يكشفونَ عن السرّ فيه . وبهذا القولِ لا تتبيّنُ حقيقةُ الفصاحةِ لأنهُ يُعترَضُ عليه بوُجوهٍ منَ الاعتراضاتِ . احدها أنهُ اذا لم يكنِ اللفظُ ظاهراً بيّنًا لم يكنْ فصيحاً ثم اذا ظهرَ وتبيّنَ صارَ فصيحاً الوجهُ الثاني أنهُ اذا كانَ اللفظُ الفصيحُ هو الظاهر البيّن فقد صارَ ذلك بالنّسبِ والاضافاتِ الى الأشخاص . فانَّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيد ولا يكونُ ظاهراً لعمْرٍو . فهو اذًا فصيحٌ عند هذا وغيرُ فصيحٍ عند هذا . وليسَ كذلك بلِ الفصيحُ هو فصيحٌ عند الجميعِ لا خلافَ فيه بحالٍ من الأحوالِ . لأنهُ اذا تحقَّقَ حدُّ الفصاحةِ وعُرفَ ما هي لم يبقَ في اللفظِ الذي يختصُّ بهِ خلافٌ . الوجهُ الثالثُ أنهُ اذا جيء بلفظٍ قبيحٍ ينبو عنهُ السَّمْعُ وهو مع ذلك ظاهرٌ بيّنٌ ينبغي انْ يكونَ فصيحاً . وليس كذلك لأنَّ الفصاحةَ وصف حُسْنٍ للفْظِ لا وصفُ قبحٍ

ولمَّا وقفتُ على اقوالِ الناسِ في هذا البابِ ملكتْني الحيْرَةُ فيها ولم يثبُتْ عندي منها ما أعوّلُ عليه . ولكثْرَةِ مُلابَسَتي هذا الفنَّ ومُعاركتي إيّاه انكشفَ ليَ السرُّ فيه وسأوضحهُ في كتابي هذا وأُحقِّقُ القولَ فيه فأقولُ : إن

الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البيّنُ . وأعني بالظاهرِ البيّنِ أن تكونَ الفاظهُ مفهومةً لا يُحتاجُ في فَهمِها الى آستخراجٍ من كتابٍ لغةٍ . وانما كانتْ بهذه الصفةِ لأنها تكونُ مألوفةَ الاستعمالِ بينَ اربابِ النظمِ والنثرِ دائرةً في كلامِهمْ . وانما كانتْ مألوفةَ الاستعمالِ دائرةً في الكلامِ دونَ غيرِها من الألفاظِ لمكانِ حسنِها . وذلك أنَّ اربابَ النظمِ والنثرِ غرْبَلوا اللغةَ باعتبارِ الفاظِها وسبرُوا وقسَّموا . فاختارُوا الحسنَ منَ الألفاظِ حتى أستعْملوهُ وعلموا القبيحَ منها فلمْ يستعملوهُ . فحسنُ الاستعمالِ سببُ أستعمالِها دونَ غيرِها . واستعمالُها دونَ غيرِها سببُ ظهورِها وبيانِها . فالفصيحُ اذًا منَ الألفاظ هو الحَسنُ

فانْ قيلَ منْ أيّ وجه علمَ اربابُ النَّظمِ والنثرِ الحسَنَ منَ الالفاظِ حتى آستعملوهُ وعَلموا القبيحَ منها حتى نَفَوْهُ ولم يستعملوهُ قلتُ في الجوابِ : انَّ هذا من الامورِ المحسوسةِ التي شاهدُها منْ نَفسِها . لأنَّ الألفاظَ داخلةٌ في حيّزِ الأصوات . فالذي يستلذُّهُ السَّمعُ منها ويميلُ اليه هو الحسَنُ . والذي يكرَهُهُ وينفِرُ عنهُ هو القبيحُ . الَا ترَى انَّ السمعَ يستلذ صوْتَ البلبلِ منَ الطيرِ وصوتَ الشُّحْرُورِ ويميلُ اليهما ويكرَه صوْتَ الغرابِ وينفرُ عنهُ . وكذلك يكرَهُ نهيقَ الحمارِ ولا يجدُ ذلك في صهيلِ الفرَسِ . . والألفاظُ جاريةٌ هذا المجرَى فإنهُ لا خلافَ في انَّ لفظةَ المُزْنَةَ والدِّيمَةَ حسنَةٌ يستلذُّها السَّمعُ . وانَّ لفظةَ البُعاقِ قبيحةٌ يكرَهُها السمعُ . وهذه اللفظاتُ الثلاثُ منْ صفة المطرِ وهي تدُلُّ على معنى واحد . ومع هذا فانكَ ترى لفظَي المُزْنةِ والدِّيمة ما جرَى مجرَاهما مألوفتي الاستعمال وترَى لفظَ البُعاقِ وما جرى مجْراه

متروكاً لا يُستعمَلُ . وإنِ استُعمِلَ فانما يَستَعمِلهُ جاهلٌ بحقيقةِ الفصاحةِ او مَن ذوْقُه غيرُ ذوْقٍ سليمٍ . ولا جرَمَ انهُ ذُمَّ وقُدحَ فيه ولم يُلتفَتْ اليهِ وانْ كانَ عربيًّا محضاً منَ الجاهليةِ الأَقدمينَ . فانَّ حقيقةَ الشيءِ اذا عُلمَتْ وجب الوقوفُ عندها ولم يُعرَّجْ على ما خرَجَ عنها

(عن ابن الاثير باختصار)

﴿ الإِنسجامُ ﴾

الانسجامُ لغةً جرَيانُ الماءِ وعندَ اهلِ البلاغةِ هو ان يأْتي الناظمُ او الناثر بكلامٍ خالٍ منَ التعقيدِ اللفظيِّ والمعنويِّ بسيطاً مفهوماً دقيقَ الالفاظِ جليلَ المعنى لا تكلُّفَ فيه ولا تعسُّفَ يتحدَّرُ كتحدُّرِ الماءِ المنسجِمِ فيكادُ لسهولةِ تركيبِهِ وعذوبةِ الفاظِهِ انْ يسيلَ رقَّةً . ولا يكونُ ذلك الاَّ في منْ هو مطبوعٌ على سلامةِ الذوْقِ وتوقدِ الفكرةِ وبراعةِ الانشاءِ وحسْنِ الأَساليبِ . وإنَّ فحولَ هذا الميْدانِ ما اتقلوا كاهلَ سهولتِهِ بنوْعٍ من انواعِ البديعِ اللهمَّ الا انْ يأْتيَ عفوًا من غيرِ قصد . وعلى هذا أجمعَ علماء البديعِ في حدِّ هذا النَّوعِ فانهم قرَّرُوا أنْ يكونَ بعيداً من التصنُّعِ خالياً منَ الأنواعِ البديعيَّةِ الاَّ انْ يأْتيَ في ضِمْنِ السُّهولة منْ غيرِ قصدٍ . فانْ كانَ الانسجامُ في النثرِ تكونُ اغلبُ فقَراتِهِ موزونةً من غيرِ قَصدٍ وانْ كانَ في النَّظْمِ فتكادُ الابياتُ ان تسيلَ رقةً وعذوبةً وربما دخلتْ في المُطْرِبِ المرْقصِ

(بديعة العميان وبديعة الحموي)

﴿ حَلُّ الشِّعْرِ ﴾

حلُّ الأبياتِ الشعْريَّةِ ينقسمُ الى ثلاثة أقسامٍ : الأوَّلُ منها وهو أدناها مَرْتبةً أنْ يأخذَ الناثرُ بيتاً منَ الشعرِ فينثُرَهُ بلفظهِ من غيرِ زيادةٍ وهذا عيبٌ فاحشٌ . ومثالهُ كمَنْ اخذَ عِقداً قد أتقنَ نظمهُ وأحسنَ تأليفهُ فأوهاهُ وبدَّدهُ وكانَ يقومُ عذرُهُ في ذلك انْ لوْ نقلهُ عن كونهِ عقداً الى صورةٍ أُخرى مثلهِ او احسنَ منهُ . وأيضاً فانهُ اذا نثرَ الشعرُ بلفظهِ كانَ صاحبهُ مشهورَ السرِقة فيقالُ هذا شعرُ فلانٍ بعينهِ لكون الفاظه باقيةً لم يتغيرْ منها شيءٌ . وقد سلكَ هذا المسلكَ بعضُ العراقيينَ فجاء مُستهجناً كقوله في بعض ابيات الحماسةِ

وألدَّ ذي حَنَقٍ عليَّ كأنما تَغلي عداوةُ صدْرِهِ في مِرْجَلِ
أزْجيتُه عني فأبصرَ قصدَهُ وكويتُه فوقَ النَّواظرِ منْ علِ

فقال في نثرِ هذينِ البيتينِ : فكمْ لقيَ ألدَّ ذا حنَقٍ كأنهُ ينظرُ الى الكواكبِ من علٍ وتَغلي عداوةُ صدرهِ في مرْجلٍ فكواهُ فوقَ ناظرَيْه وأكبَّهُ لفمه ويديْه . فلم يزدْ هذا الناثرُ على انْ أزالَ رونقَ الوزنِ وطلاوةَ النظمِ لا غيرُ .

ومن هذا القسمِ ضربٌ محمودٌ لا عيبَ فيه وهو أنْ يكونَ البيتُ من الشعرِ قد تضمَّنَ شيئاً لا يمكنُ تغييرُ لفظهِ فحينئذٍ يُعذَرُ ناثرُهُ اذا أتى بذلك اللفظِ . كذلك الأمثالُ السائرةُ فانَّه لا بدَّ من ذكرِها على ما جاءتْ في الشعرِ

واما القسمُ الثاني وهو وسطٌ بيْنَ الاوَّلِ والثالثِ في المرْتبةِ فهو أنْ ينثرَ المعنى المنظومَ ببعضِ ألفاظه ويعبّرَ عنِ البعضِ بألفاظٍ أُخرَ . هناكَ تَظهر

الصنعة في المماثلة والمشابهة ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة. فانه اذا أخذ لفظاً لشاعر مجيد قد نقحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة . ولا خفاء بما في ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن . والطريق المسلوك الى هذا القسم أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو احسن ما فيه ثم تماثله. وسأورد ههنا مثالاً واحداً ليكون قدوة للمتعلم فأقول : قد وردَ هذا البيت من شعر أبي تمام في وصف قصيدة له

حذاء تملأ كل أذن حكمة وبلاغة وتدر كل وريد

فقوله (تملأ كل أذن حكمة) من الكلام الحسن وهو احسن ما في البيت . فاذا اردت ان تنثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة . فعليك حينئذ ان تؤاخيه بمثله وهذا عسر جداً وهو عندي اصعب مثالاً من نثر الشعر بغير لفظه لأنه مسلك ضيق لما فيه من التعرض للمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة . وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه ناثره على حسب ما يراه ولا يكون مقيداً فيه بمثال يضطر الى مؤاخاته . وقد نثرت هذه الكلمات المشار اليها وأتيت بها في جملة كتاب فقلت : وكلامي قد عرف بين الناس واشتهر وفاق مسير الشمس والقمر . واذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة وأمن من سرقته اذ لو سرق لدلت عليه الوسامة . ومن خصائص صفاته ان يملأ كل أذن حكمة ويجعل فصاحة كل لسان عجمة . واذا جرت نفثاته في الأفهام قالت أهذه بنت فكرة أم بنت كرمة .

فانظرُ كيفَ فعلتُ في هذا الموضعِ فاني لمّا اخذتُ تلكَ الكلماتِ منَ البيتِ الشعريِّ التزمتُ بأنْ أُؤاخيَها بمـا هو مثلُها او احسنُ منها فجئتُ بهـذا الفصلِ كما تراهُ . وكذلكَ ينبغي انْ يفعلَ في ما هذا سبيلُه

واما القسمُ الثالثُ وهو اعلى منَ القسمَيْنِ الاوَّلَيْنِ فهو انْ يأخذَ المعنى فيصاغَ بألفاظٍ غيرَ الفاظهِ . وثَمَّ يتبيَّنُ حذقُ الصائغِ في صياغتِهِ ويعلَمُ مقدارُ تصرُّفهِ في صناعتهِ فإنِ استطاع الزِّيادةَ على المعنى فتلكَ الدَّرَجةُ العاليةُ والاَّ أحسنَ التصرُّفَ وأتقَنَ التأليفَ ليكونَ اوْلى بذلك المعنى منْ صاحبهِ الاوَّلِ

واعلم انَّ منْ ابياتِ الشعْرِ ما يتَّسعُ المجـالُ لناثرِهِ فيوردهُ بضروبٍ منَ العبارَاتِ وذلك عنـدي شبيهٌ بالمسائلِ السيَّالَةِ في الحســابِ التي يجاب عنها بعدَّةٍ منَ الأجوبةِ . ومنَ الأبياتِ ما يضيقُ فيه المجالُ حتى يكادَ الماهرُ في هذه الصناعةِ انْ لا يخرُجَ منْ ذلك اللفظِ وانما يكونُ هذا لعـدَمِ النظيرِ فأمَّا ما يتَّسعُ المجالُ في نثرهِ فكقولِ ابي الطيِّبِ المتنبي

لا تَعذُلِ المشـتاقَ في أشواقهِ حتى يكونَ حشـاكَ في أحشائهِ

وقد نثرْتُ هذا المعنى فمنْ ذلك قوْلي : لا تَعذُلِ المحبَّ في ما يهواهُ حتى تَطْويَ القلبَ على ما طوَاهُ . ومنْ ذلك وجهٌ آخرُ وهو اذا اختلفَتِ العينانِ في النَّظرِ فالعذْلُ ضربٌ منَ الهذَرِ . واماَّ ما يضيقُ فيهِ المجـالُ فيعسُر على النَّاثرِ تبديلُ الفاظهِ فكقولِ ابي تمَّامٍ

تردَّى ثيـابَ الموْتِ حمْرًا فما أتى لها الليلُ الاَّ وهيَ من سندسٍ خضرِ

قصـدَ ابو تمَّامٍ المؤاخاةَ في ذِكْرِ لوْني الثيابِ منَ الأحمرِ والأخضرِ وجاء ذلكَ واقعًا على المعنى الذي أرَادهُ من لونِ ثيابِ القتلى وثيـابِ الجنَّةِ .

وهذا البيتُ لا يمكنُ تبديل الفاظهِ وهوَ وامثالهُ مما يجبُ على النَّاثِرِ أنْ يُحسِنَ الصنعةَ في فكِّ نظامِهِ لأنهُ يتصدَّى لنثرِهِ بألفاظهِ . فان كانَ عندَه قوَّةُ تصرفٍ وبَسْطَة عبارةٍ فإنهُ يأتي بهِ حسنًا رائقًا . وقد قلتُ في نثرِهِ : لم تكسهُ المنايا نسْجَ شِفَارِها حتى كستْهُ الجنةُ نَسجَ شِعارِها فبُدِّلَ أحمَرُ ثوبهِ بأخضره وكأسُ حِمامِهِ بكأسِ كوثرِهِ

واذا انتهى بنا الكلامُ الى ههنا في التنبيهِ على نثرِ الشعرِ وكيفيَّةِ نثره وذكْرَ ما يسهلُ منهُ وما يعسُرُ فلنتبع ذلك بقولٍ كليٍّ في هذا البابِ فنقول : من أحبَّ ان يكون كاتباً او كان عندهُ طبع مجيبٌ فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك . ثم يأخذ فى نثر الشعر من محفوظاته . . وطريقهُ أن يَبتدئَ فيأخذَ قصيداً من القصائد فينثرَهُ بيتاً بيتاً على التوالى . ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثُرَ الشِّعر بألفاظه أو بأكثرها فانهُ لا يستطيع الا ذلك ، واذا مرِنَتْ نفسه وتدرَّبَ خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفعُ عن ذلك فيكسوهُ ضروباً من العبارات المختلفة .وحينئذ يحصُل لخاطره بمباشرة المعاني لقاحٍ فيستنتجُ منها معاني غير تلك المعاني

وسبيله أن يكثِرَ الادمانَ ليلاً ونهارًا ولا يزال على ذلك مدَّةً طويلة حتى يصيرَ لهُ ملكةً . فاذا كتب كتابا أو خطب خطبةً تدفقت المعانى فى أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولةً وكان عليها حِدَّة حتى تكاد ترقصُ رقصاً — وهذا شيء خبرتهُ بالتَّجربة ولا ينبئكَ مثلُ خبير

(عن المثل السائر باختصار)

﴿ التخلص والاقتضاب في مواضيع الانشاء ﴾

التخلُّصُ هوَ أن يأخذَ مؤلّف الكلام في معنًى من المعاني فبينما هو فيه اذ أخذ في معنًى آخر غيره وَجعل الاوّلَ سبباً اليه فيكونُ بعضهُ آخذاً برقاب بعضٍ من غير أن يقطَعَ كلامَهُ ويستأنف كلاماً آخرَ بل يكون جميع كلامهِ كأَنَّما افرِغَ إفراغًا وذلك مما يدلُّ على حِذق الشاعر وقوة تصرُّفه من اجل انَّ نطاقَ الكلام يَضيق عليه ويكون متبعاً لِلوَزْن والقافية فلا تؤاتيه الالفاظ على حَسَب ارادته. وأما الناثر فانهُ مطلق العنان يمضي حيث شاءَ فلذلك يشقُّ التخلُّص على الشَّاعر اكثرَ مما يشقّ على الناثر. ومما جاءَ من التخلُّصات الحَسَنة قول المتنبّي المتوفّى سنة ٣٥٤هـ

خليليَّ إني لا أرى غيرَ شاعرٍ فَلِمْ منهم الدَّعوى ومنّي القَصائد
فلا تعجبا إنّ السيوفَ كثيرةٌ ولكنّ سيفَ الدولة اليومَ واحد

وهذا هو الكلام الآخذ بعضهُ برقاب بعض الا ترَى الى الخروج الى مدح الممدوح في هذه الابيات كأنهُ أُفرِغَ في قالبٍ واحد، والاقتضاب أن يقطع الشاعر كلامهُ الذي هو فيه ويستأنفَ كلاماً آخر غيرَه من مديح او هِجاء او غير ذلك ولا يكون للثاني عِلاَقة بالاول كقول ابي نُوَاسٍ المتوفّى سنة ١٩٨هـ في قَصيدته النُونية التي لم يكمل حسنَها بالتخلُّص من الغزَل الى المديح بل اقتضبه اقتضابًا فبينما هو يصِف الخمرَ ويقول

فاسقني كأْساً على عَذلٍ كرِهَتْ مسموعَه أُذني
مِن كُمَيْتِ اللّون صافيةٍ خيرِ ما سَلسلتَ في بدني
ما استقرّت في فؤاد فتًى فدَرَى ما لوعة الحَزَن

(حتى قال)

تَضحكُ الدنيا الى ملكٍ　　قامَ بالآثار والسُّنن

سَنَّ للناس الندَى فندَوْا　　فكأنَّ البخلَ لم يكُنِ

واذا لم يحسُن التخلُّصُ بأن كان قبيحاً ممسوخاً فالاقتضابُ أولى منهُ فينبغي لسالك هذه الطريقة أن ينظر الى ما يَصوغهُ فان أتاهُ التخلُّص حسناً كما ينبغي والا فليدعهُ ولا يَستكرهْه حتى يكون مثل هذا

واعلم ان التخلُّص غيرُ ممكن في كل الأحوال وهو من مُستصعبات علم البيان فليتدبَّر الشاعر　　(انتهى من المثل السائر بتصرف)

كيفية افتتاح مواضيع الانشاء وختامها

الافتتاحُ ان تجعلَ مَطلَع الكلام من الشِّعر او الرسائل دالاًّ على المعنى المقصود من ذلكَ الكلام ان كانَ فتحاً ففتحاً وان كانَ هَناءً فهناءً او كانَ عزاءً فعزاءً وهكذا : وفائدتُه أن يُعرَفَ من مبدإِ الكلام ما المرَاد منهُ فاذا نظَمَ الشاعرُ قصيدةً فان كانتْ مديحاً صِرْفاً لا يختصُّ بحادثةٍ من الحوادث فهو مخيَّرٌ بين أن يفتتحها بغزَلٍ وبين أن يرتجلَ المديح ارتجالا من أولهـا كقول القائل :

إن حارَتِ الألبابُ كيف تقولُ　　في ذا المقامِ فعذْرها مقبولُ

سامحْ بفضلكَ مادِحيكَ فما لهَم　　أبداً الى ما تَستحقُّ سبيلُ

إن كان لا يُرضيك الاّ محسِنٌ　　فالمحسِنُونَ إذنْ لديكَ قليلُ

وأما اذا كان القَصيدُ في حادثة من الحوادثِ كفتحِ مقفلٍ أو هزيمة جيشٍ

أو غير ذلك فانهُ لا ينبغي أن يُبدَأ فيه بغزَل ، ومن أدب هذا النوع أن لايذكرَ الشاعرُ في افتتاح قصيدة المدح مايُتَطيّرُ منهُ او يُستقبح : لا سِيَّما اذا كان في التهاني فانه يكون أشدّ قبحاً : وانما يُستعملُ في الخطوبِ النازلة والنوائب الحادثة: ومتى كانَ الكلامُ في المدح مفتتحاً بشيء مِنْ ذلك تطيّر منهُ سامعهُ وانما خُصَّت الإبتداءاتُ بالاختيار لانها أوّل ما يَطرُقُ السمعَ من الكلام فاذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعدَه توفّرت الدّواعي على استعماله :

والختامُ أن يكونَ الكلامُ مؤذنا بتمامه بحيث يكونُ واقعاً على آخر المعنى فلا ينتظرُ السامعُ شيئاً بعدَه : فعلى الشاعر والناثر أن يتأنقا فيه غاية التأنق ويجوّدا فيه ما استطاعا لانه آخر ما ينتهي الى السمع ويتردَّدُ صداهُ في الأذُنِ ويعلَق بحواشي الذكر فهو كمَقْطَع الشراب يكونُ آخرَ ما يمرُّ بالفَم ويعرِضُ على الذوق فيَشْعرُ منهُ بما لا يَشعرُ من سِواهُ : ولذلك ينبغي أن يكونَ الختامُ مميّزًا عن سائر الكلام قبله بنُكتةٍ لطيفة او اُسلوبٍ رشيقٍ او معنىً بليغ: ويُختار له من اللفظ الرقيقُ الحاشيةِ الخفيفُ المحملِ على السمع السَّهلُ الورُود على الطبع ويتجافى به عن الإسهاب والتعقيد والثقل وغير ذلك ، وحكم الختام كما سبق أن يكون مؤذناً بتمام الكلام بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئاً بعده ، واذا لم يكن المعنى دالاً بنفسه على الختام حَسُنَ أن يُدَلَّ عليه بكلام آخرَ يُذكر على عقِب الفراغ من سياقةِ الاغراض السابقة ، وحكمهُ أن يكون منتزعاً مما سبقه فيُقفى به تقريراً لشيء من الاغراض أو اجمالاً لمُفَصلها مُوردَاً على وجه من وجوه البلاغة او الكلام الجامع او مُخرجاً مُخرَج المَثل او الحِكمةِ او ما شاكل ذلك مما تعلَّقهُ الخواطر وتُقيدهُ الاذهان كقول المتنبي المتوفّى سنة ٣٥٤ هـ .

وما أخصُّكَ في بُرْءٍ بتهنئةٍ اذا سَلمتَ فكلُّ الناس قد سَلموا

وكقول الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ في ختام احدى مقالاته (ان الطّيشَ في الكلام يُتَرجمُ عن خِفّةِ الأحلام وما دَخلَ الرِّفقُ شيئاً الاّ زانَه وما زانَ المتكلّم الا الرّزانة) وأما في غير ذلك فالاكثرُ فيه أن يُضمَّن غرضاً آخر من الدّعاء أو عَرْض النّفس على خدمةِ المكتوبِ اليه او توقّع الجوابِ منهُ او غير ذلك مما تحتَمِلهُ مقاماتُ الكلام وتقتضيه دواعي الحال : وا كثر ما يختمونها في النثر بعد الاغراض المذكورة بقولهم ان شاء الله : أو بمَنّ الله وفضله : وما أشبه ذلك وكثيراً ما يختِمُ النّاثرُ بقوله والسلام : او بلا حوْلَ ولا قوّةَ الا بالله : او بقوله والله المستعانُ : او بقوله والحمد لله أوّلاً وآخراً باطناً وظاهراً . او بقوله والله اعلم : او غير ذلك . وربما خُتم بمَثلٍ كختام الخوَارزميّ المتوفى سنة ٣٨٣ هـ رسالتَه بقوله : ولقد سلك الأميرُ مِنَ الكَرَمِ طريقاً يَستوحشُ فيها لقِلّة سالكها ويتيهُ في قفارها لدرُوسِ آثارِها وانهدامِ منازِلها أعانه الله على صُعوبة الطريق وقلّةِ الرَّفيق وألهَمَهُ صبراً يُهوّنُ عليه احتمالَ المغارِمِ ويُقرّبُ عليه مسافة المكارِمِ ،

فبالصّبر تنالُ العلاَ وعند الصباح يحْمَدُ القومُ السُّرى

ومن أمثلَته في الشّعر قولُ ابن الوَرْدي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

سلامٌ عليكم ما أحبَّ وِصالكُم وغايةُ مجهودِ المُقلِّ سلامٌ

﴿ تقسيم الانشاء الى فنّى النّظم والنّثر ﴾

اعلم أنّ لسانَ العرب وكلامَهم يدُور على فنّين . فنِّ الشعر المنظوم وهو الكلام المُقفّى الموزونُ بأوزانٍ مخصُوصةٍ . وفنِّ النثر وهو الكلام الغير الموزُون فأما الشعرُ فمنهُ المدحُ والهجاء والرّثاء . وأما النثر فمنهُ ما يُؤْتى به قِطعاً ويُلتزم في كل كلمتين منهُ قافيةٌ واحدةٌ ويسمى سَجعاً وهو ثلاثةُ أقسام القسمُ الاوّلُ أن يكونَ الفصلان مُتساويين لا يزيد أحدُهما على الآخر كقوله تعالى (فأمّا اليتيمَ فلا تقهرْ وأما السائلَ فلا تنهرْ) وهو أشرف السجْعَ منزلةً للاعتدال الذى فيه : القسم الثانى أن يكون الفصلُ الثانى أطولَ من الاوّلَ لا طولاً يخرجُ به عن الاعتدال خروجاً كثيراً فانهّ يَقبُح عند ذلك ويُستكرَه ويُعدُّ عيباً فمما جاء من ذلك قوله تعالى (بلْ كذّبوا بالسّاعةِ وأعتدْنا لِمَنْ كذّب بالسّاعةِ سَعيراً اذا رأتْهُمْ من مَكانٍ بَعيد سَمعوا لها تغيُّظاً وزَفيراً واذا أُلقوا منها مكاناً ضَيقّاً مقرَّنينَ دعوْا هُنالك ثُبوراً [١]) فالفصلُ الاوّلُ ثمان لفظات والثّانى والثالث تِسعٌ تسعٌ: ويُستثنى من هذا القسم ما كان من السجْع على ثلاث فِقرَ فانّ الفِقْرَتين الاوّليَين تحُسبان في عِدّةٍ واحدة ثم تأتي الثالثةُ فينبغي أن تكون طويلةً طُولاً يزيد عليهما وقد تكونُ الثلاثةُ مُتساويات كقوله (في سدْرٍ [٢] مَخضُود [٣] وطَلْحٍ [٤] مَنضود [٥] وظلٍّ ممدُود) القسمُ الثالثُ أن يكونَ الفصلُ الآخرُ أقصرَ من الاوّلِ وهو عَيبٌ فاحشٌ [٦] وأما النثر

(١) ويلا (٢) شجر معروف (٣) مقطوع شوكه (٤) الموز (٥) متراكم بعضه فوق بعض (٦) للسجع اربعة شروط اختيار المفردات الفصيحة واختيار التأليف الفصيح وكون اللفظ تابعا للمعنى لا عكسه وكون كل واحدة من الفقرتين أو الفقر دالة على معنى لئلا يصبح الكلام تطويلا معيبا

المرسلُ فهو ما يؤتى به قِطعاً من غير تقيُّد بقافية ولا غيرها وهو الذي يُطلَقُ فيه الكلام اطلاقاً ولا يُقَطَّعُ أجزاءً بلْ يرسلَ ارسالا من غير تقييد بقافية ولاغيرها
(انتهى من المثل السائر باختصار)

﴿ كيفية عمل الشعر ﴾

اعلم أنَّ لِعمل الشعرِ وإِحكامِ صناعتهِ شُروطاً أوّلها الحفْظُ [1] من جنسهِ (أى من جنس شعر العرَب) حتى تنشأ فى النّفس مَلَكَةٌ يُنْسَجُ على مِنوالها ويُتَخيَّرُ المحفوظُ من الحُرِّ النّقيِّ الكثيرِ الأساليبِ وهذا المحفوظُ المختار أقل ما يكفى فيه شعرُ شاعر من فحول الاسلام مثل ابن أبى رَبيعةَ وكُثير وذى الرمة وجرير وأبى نوَاس وأبى تمَّام والبُحترى والشّريف الرّضى وأبى فِراس وأكثره شعرُ (كتاب الاغانى) لأنهُ جمعَ شعرَ أهلِ الطبقة الاسلاميّة كلّه والمختار من شعر الجاهليّة

ثم لا بدّ لهُ من الخلْوَة واستجادَة المكان المنظوم فيه باشتماله على مثل المياهِ والازهار وكذا استجادةُ المسموع لاستِنارَة القريحة باستجماعِها وتنشيطها بملاذِّ السرور: ثم معَ هذا كلّه فشرْطُه أن يكون على جَمامٍ [2] ونشاط فذلك أجمعُ له وأنشطُ للقريحة أن تأتى بمثل ذلك المنوال الذى فى حفظهِ :قالوا وخيرُ

---

(١) ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء ولا يعطيه الرونق والحلاوة الاكثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم الملكة وترسخ وربما يقال ان من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة اذهي صادرة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها كانه منوال يأخذ فى النسج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة (٢) الراحة

الاوقات لذلك أوقاتُ البُكَرِ [١] عند الهبوب من النوْم وفراغ المَعدَة ونشاط الفكر : و ربما يكونُ من بَواعثه العشقُ والانتشاء :قالوا فان استصعبَ عليه بعد هذا كلّه فليتركهُ الى وقت آخرَ ولا يُكرِهْ نفسهُ عليه : وليكن بناء البيت على القافيةِ من أوّل صوغه ونسجهِ يضعُها ويبنى الكلامَ عليها الى آخره لانّهُ انْ غفلَ عن بناء البيتِ على القافية صَعُبَ عليه وضعُها في محلّها فربما تجيء نافرة قلقة واذا سمَحَ الخاطرُ بالبيتِ ولم يناسب الذى عنده فليتركهُ الى موضعه الاليق به فان كلّ بيتٍ مستقلٌّ بنفسه ولم تبقَ الاّ المُناسبةُ .فليتخيّرْ فيها كما يشاء وليُراجعْ شعرهُ بعدَ الخلاص منهُ بالتّنقيح [٢] والنقدِ ولا يَضِنّ [٣] به على التّركِ اذا لم يبلغُ الاجادة فانّ الانسان مفتون بشعرهِ اذ هو بناتُ فكره واختراعُ قَريحته ولا يَستعملُ فيه من الكلام الاّ الافصحَ من التّراكيب والخالصَ من الضّرُورات اللّسانيّةِ فليهجرْها فانها تنزلُ بالكلام عن طبقةِ البلاغة ، وقد حظّرَ أئمةُ اللسان على المولّد [٤] ارتكابَ الضّرُورَة اذ هو في سَعة منها بالعدُول عنها الى الطريقة المُثلى من الملكة ويجتنبُ ايضاً المُعقّد من التّراكيب جُهدَهُ بحيث تكونُ ألفاظهُ على طِبق مَعانيه ومَعانيه تسابقُ ألفاظَهُ الى الفهمْ ويجتنب أيضاً الحُوشيّ من الالفاظ والمقصّرَ وكذلك السّوقيّ المبتذلَ فانهُ ينزلُ بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً فيصيرُ مُبتذَلا ويقرُبُ من عدم الافادة وفى هذا القدْرِ كفايةٌ

(عن ابن خلدون باختصار)

(١) جمع بكرة الصباح وزن غرفة وغرف (٢) بالتهذيب (٣) بفتح الضاد وكسرها لا يبخل (٤) هو من وجد بعد اختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الاحنف ومن بعده

الباب الثاني في فنون الانشاء

فنونهُ سبعةٌ و هي المُكاتباتُ والمناظراتُ والامثالُ والاوصافُ والمقاماتُ والرِّواياتُ والتاريخُ

الفن الاول في المكاتبات والمراسلات

المكاتبةُ وتُعرَفُ أيضاً بالمراسلة هي مخاطبةُ الغائبِ بلسان القلم وفائدتها أوسع من أن تُحصَر من حيث انها تُرْجُمانُ الجنان ونائبُ الغائب في قضاء أوْطاره [١] ورِباطُ الوداد مع تباعد البلاد ، وطريقة المكاتبة هي طريقةُ المخاطبة البليغة مع مُراعاة أحوال الكاتب والمكتوب اليه والنِّسبة بينهما [٢] وخواصُّها خمسٌ السذاجةُ والجلاء والايجازُ والملاءمةُ والطّلاوَةُ [٣] فالسذاجةُ تجعلُ الكلامَ فِطريًّا سليماً من شوائب التكلُّفُ منزّهاً عن زُخرف [٤] القول بعيداً عن بهرَجة [٥] الكلام :والجلاء هوالعُدُولُ عن الكلام المغلَق والتّشابيه المُستبعدةِ والتّراكيبِ الملتبسةِ الى الكلام المُهذَّب الصّريح : والايجاز تنقيحُ الرسالةِ من حشو الكلام وتطويل الجُمل فيبرزُها وَافيةَ الدّلالةِ على المقصود مقتصرة على

(١) الحاجات (٢) قال ابراهيم بن محمد الشيباني : اذا احتجت الى مخاطبة اعيان الناس او اوساطهم او سوقتهم فخاطب كلا على قدر ابهته وجلالته وعلو مكانته وانتباهه وفطنته : ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك : فلا يكتب لمن اصيب في ماله او في عياله كما يكتب لمن فرغ باله ووفر ماله :قال آخر : ان بلاغة الرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام واوقاته ومراعاة احوال المخاطبين بالنسبة الى المتكلم واعلم ان لكل مقام مقالا (٣) بتثليث الطاء (٤) مزورة (٥) العدول عن الجادة المقصودة

المحسّنات القريبة المنال (١): والملاءمة تنزّلُ الالفاظ والمعانيَ على قدرِ الكاتب والمكتوب اليه فلا تُعطى خسيسَ الناسِ رفيعَ الكلام ولا رفيعَ الناس خسيس الكلام على انها تجعلُ الرسالةَ وتعابيرها مُستعذبةَ الاوضاع حسنَةَ الارتباط يأخذُ بعضُها بأزمّة بعضٍ . والطّلاوةُ تكسو الكلام رونقاً واشراقاً بجودة العبارة وسلامة المعاني وسلاسة الالفاظ (٢) وتجعلهُ بذلك أحسنَ موقعاً عندسامعه

﴿ أبواب الرسائل ﴾

تنقسمُ الرسائلُ باعتبار موضوعها الى ثلاثة أقسام الاولُ الرسائلُ الاهلية والثاني الرّسائلُ المُتداولة والثالث الرّسائلُ العلميّة

﴿ الكلام على الرسائل الاهليّة ﴾

الرّسائلُ الاهليّةُ وتُعرفُ برسائل الاشواق هي ما دارَت بينَ الاقارب والاصدقاء وأسفرَت (٣) عن مكنون (٤) الودَاد وسَرَائر الفؤاد ولا حرَجَ على الكاتب اذا بسَطَ فيها الكلامَ على أحوالهِ وأخفى السُّؤالَ في أحوال أصحابه ، وتَتَفرّدُ هذه الرّسائلُ بأن يُطلِقَ الكاتبُ فيها العِنانَ للاقلام ويتجافى عن الكلفةِ ويَعدلَ عن الانقباض : وقد قيل . الأنسُ يُذهِبُ المهابةَ والانقباضُ يُضيّع المودّة . هذا : ولا بدّ من مراعاة مقتضى الحال والاعتصام بركن الفِطنة اخذاً بقول أبي الاسوَد الدُّؤلي

(١) ولا يعد مناقضاً للايجاز ما يستدعيه المقام من البسط في الموضوع اما تعزيزاً للمعنى واما حذراً من الابهام او دلالة على عواطف القلب او رغبة في تفكيه الخواطر قال الاقدمون خير الكلام ما قل ودل ولم يمل (٢) سهولتها (٣) كشفت (٤) مستور

لا تُرسلنَّ رسالةً مشهورةً لا تستطيعُ اذا مضت ادراكها

والى هذا الباب ترجعُ مكاتباتُ الاشواق والتعارُف قبل اللقاء والهدايا والاستعطافِ والاعتذار وغير ذلك . ولنذكرْ شذرات من أقوال الكتاب[١]

الفصل الاول في الشوق

« كتب أبو منصور الثعالبي — المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

شوْقي اليك رهينُ قلبي وقرين صدْري والزعيم[٢] بتعليق فكري وتفريق صبْري سميرُ ذكري ونديمُ فكري زادي في سفري . وعتادي[٣] في حضري لا يستقلُّ به صدري ولا يقوى عليه صبري يكادُ يكون لزاماً ويعدُّ غراماً لا يرْحل مقيمهُ ولا يُصرف غريمهُ استخفَّ نفسي واستفزّها وحرّك جوانحي وهزّها شوقٌ أخذ بسَمع خاطري وبصَره وحال بين مَوْرد[٤] قلبه ومصدَره[٥] شوقٌ قد استنفذ جَلدي[٦] وملك خَلَدي[٧] شوق براني بَرْي الخلال[٨] ومحقني محقَ الهلال شوق تركني حرَضا[٩] وأوسعني مضَضا[١٠] أراني الصبرَ حسْرةً والوجد يمنة ويسرة شوق يزيد على الإيام[١١] توقداً وتأججاً وتضرّماً وتوهّجاً نار الشوق حشوُ ضلوعي وماء الصبابة ملء جفُوني أنا من لَواعج الشوق بين غمائم لا تمطر الا صواعقَ وسَمائم[١٢] قد قدحتْ في كبدي من الحرقة بهذه الفرقة ما يفوت

---

(١) قد أفردنا للرسائل الاهلية كتاباً خاصاً أسميناه (انشاء المكاتبات العصرية والمراسلات العربية) وطبعناه سنة ١٣٣٨ هـ فارجع اليه اذا شئت ولهذا نختصر في هذا الكتاب ابواب الرسائل ونذكر ما تمس اليه الحاجة فقط (٢) الرئيس (٣) ما أعددته لحوادث الدهر (٤) موضع الورود (٥) الرجوع (٦) القوة (٧) القلب (٨) الضعف (٩) مريضاً (١٠) وجعا (١١) بضم الهمزة وكسرها الدخان (١٢ الرياح الحارة

أيسرُه حدّ الشكايةِ ويجوز أضعفه كُنْهَ الكناية • شوقُ الرّوض الماحل (١) الى الغيث الهاطل

« وكتب فى تشبيه الشوق »

ما الأعرابية حنّتْ الى نجد وأنّتْ من وَجد بأشدّ منّى كلفاً (٢) وأتمّ منّي شغفًا . أنا في شِدّة الشوق اليك كالعَطشان كُشِفَ له عن ماء عَذْب ومُنع منهُ بمانع صَعْب شوق لو أُلقيَ على الكواكب بعضهُ لما سارت أو كلّفت الأفلاك ثقله لما دارتْ شوق لو فُرّق على القلوب الخالية لاشتغلتْ ولو قُسّم على الأكباد الباردة لاشتعلتْ أنا أشتاقك مع كل صباح طالع وضياء شارق ونجم طارق (٣)

« وكتب في أثر الفراق »

وَجدٌ يتكرّر على كرّ الجديدين (٤) ويستغرقُ ساعات الملوَين (٥) قد تحمّلت مع يسيرِ الفرقةِ عظيمَ الحرقة ومع قليل البُعد كثيرَ الوجد قد آنثنيتُ بجسم نَاحل وصيرتُ من صَبرى على مرَاحلْ فارقتنى فأرّقتنى (٦) وفرّقتَ جميع صَبرى واستصحبت فريقاً من قلبي فرقتَ به بين عيني والرُّقاد (٧) وجنبي والمهاد (٨) ما أُعوّلُ الا على العويل (٩) لو كان يُغنى ولا أستنصِرُ غيرَ الوَجد لو كان يجدِى (١٠) يَدى لا تُساعدُنى وخَطّى لا يشبهُ في الدّقّة الا بدَني لولا حصانةُ (١١) الاجلِ لخرجتْ رُوحى على عجَل فارقتَنى فتفرّقَ عنّى شملُ أُنْس منتظِم وتمكّن منى بَرَحُ شوق مضطَرِم فارقتنى ففرّقتَ بين الرُّوح والبدَن وتركتنى

(١) المجدب (٢) كلفاً مصدر كلف من باب فرح التغيير (٣) الآتي ليلا (٤) الليل النهار (٥) الليل والنهار أيضاً (٦) اسهرتنى (٧) النوم (٨) مكان النوم (٩) رفع الصوت بالبكاء (١٠) ينفع (١١) حفظ

والنزاعَ فى قَرن (١) قد صرتُ حليف وحشة وان كنتُ ثاوياً (٢) في وطنْ ، وقرينَ كُرْبة وان كنتُ بين جيرَةٍ وسكَن

عسى الدّهرُ يدنيناويُدنى ديارَكُمو ويَجمعُ ما بينى وبَينكُمو الشّملا
فأشكو تباريحَ الغرام اليكُمو وَحرَّ جوًى تَبلى عِظامى وما يَبلى

« وكتب البسطامى المتوفى سنة ٣٣٢ هـ »

قَلبي بنار الهوَى مُعذّبْ شوْقاً الى حضرة المهذّب
شوقاً الى ماجدٍ كريمٍ يَخطرُ لى ذكرُهُ فأطرَبْ

وبعدُ فالعبدُ يُنهى من لوَاقح(٣) شوْقهِ ولوَافح (٤) توْقه (٥) الى شُهود ذاتكم الجيلة ومشاهدة صفاتكم الجليلة لينشقَ عرْفكم (٦) الفائح وبخورُعرفكم (٧) الفائح مدّ الله سبحانهُ وتعالى ظِلّكم وأدرَّ وَبلكم (٨) وطَلّكم (٩)

أُحِبُّ الوَعدَ منك وان تمادى وأقنَعُ بالخيالِ اذا أَلَمّا
عسى الايام تَسمَحُ لى بوصلٍ وتأخذُ لى من الهجرَان سِلما

والجنابُ منذُ طوى عنّا آبوابَ مُلاقاته. وزَوى منّا أطايبَ أوقاته قبضَ العبدُ عِنان مَقاله وخفضَ لسانَ حاله

شكوتُ وما الشكوى بمثلي عادةٌ ولكن تفيضُ العينُ عند امتلائها

فجلسَ الفراقُ بعظيم حجابه. وأليم عذابه.على ذُرْوَةِ (١٠) عرشه.وافترسَ بقوّة بطشه .وصار للسرّ جارا . وأوقدللحرْب نارا جهارا

طوْعاً لقاضٍ أتى في حُكمهِ عَجبا أفتى بسفْكِ دَمى في الحلّ والحرَم

---

(١) قرن مصدر قرن من باب فرح التقى (٢) مقيما (٣) الرياح (٤) الرياح الحارة (٥) الشوق (٦) الريح الطيبة (٧) نبت يقال له الثمام طيب الرائحة (٨) المطر الكثير (٩) الندى (١٠) بضم الذال وكسرها أعلاه

وهذه حالتهُ المُفصحُ عنها مقالتهُ

إنَّ الامورَ اذا التوَتْ وتعقَّدتْ جاء القضاء من الكريم فحلّها
فلعلّ يُسْرًا بعدَ عُسْرٍ علّها ولعلّ منْ عقدَ العقودَ يُحلّها

فلعلّ غرُوسَ التمّني قد أثمرَتْ . وليالي الحظّ قد أقمرتْ

سألتُ أحبتي ما كان ذَنبي أجابوني وأحشائي تَذوبُ
اذا كان المُحبُّ قليلَ حظّ فما حسناتهُ الاّ ذُنوبُ

فرَعى اللهُ اياماً لاحتْ (١) فيها أقمارُ (٢) غرُوزها . وفاحتْ فيها أطرازُ طروزها . من بهاء سمائها . على منار ضيائها . من ذات جلالها . وصفات دلالها . في جنات عواطفها . وحنَّاتِ تعاطفها

فان كنتُ لا أطرُقُ (٣) رَحْبَ (٤) فِنائكم (٥) فقد أطرُقُ بابَ ثنائكم
لئن غيّبتني عن ذُراك حوادثٌ فليس ثنائي عن فِنائك بغائبِ

« وكتب عبدُ الرحمن محمد بن طاهر المتوفى سنة ٤٣١ هـ »

كتبت أعزّك الله عن ضمير اندمَجَ (٦) على سرّ اعتقادك دُرّه . وتبلّجَ (٧) في أُفُقِ ودادك بدْره . وسالَ على صفحات ثنائك مِسكهُ . وصار في راحتي سنائك (٨) ملكهُ . ولما ظفرْت بفلان حمّلته من تحيّتي زهراً جنياً . يوافيك عَرْفهُ ذكياً . ويواليك أُنسهُ نجياً (٩) . ويقضي من حقّكَ فرضاً مأتياً (١٠) . على أنّ شخصَ جلالك لي ماثلٌ (١١) وبين ضلوعي نازلٌ . لا يملّه خاطر . ولا يمسه عرَضٌ دائر (١٢) ان شاء الله عزّ وجلّ

(١) ظهرت (٢) مراده ما تخرجه الاغصان من النوار (٣) آتي ليلا (٤) المتسع (٥) بكسر الفاء متسع البيت (٦) خفي واستتر (٧) أضاء (٨) رفعتك (٩) مناجيا (١٠) آتيا (١١) متمثل (١٢) هالك

« وكتب أبو الفضل بن العَميد المتوفّى سنة ٣٦٠ هـ »

قد قَرُبَ أيّدكَ الله مَحلُّكَ على تراخيه وتصاقَبَ مُستقرُّكَ على تنائيه لأن الشّوقَ يُمثّلك . والذّكرَ يُخيّلك . فنحنُ في الظاهر على افتراق . وفي الباطن على تلاق . وفي النسبة متباينونَ. وفي المعنى متَواصلون: ولَئن تفارقتِ الاشباحُ لقد تعانقتِ الارواحُ

« وكتب بديع الزّمان الهمذَانى المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ »

يعزُّ عليّ أطال الله بقاء مولاى . أن ينُوبَ في خدمته قلمي عن قَدمى ويسعدَ برؤيته رَسولى دون وصولى . وَيردَ مَشْرَعَةَ الأُنس به كتابى قبل ركابى : ولكن ما الحيلةُ والعوائق جمّة

(وعليّ أن أسعى وليس عليّ ادراكُ النجاحَ)

وقد حضرْتُ دارَه وقبّلتُ جدَارَه وما بى حُبُّ الحيطان ولكن شغفاً بالقُطّان . ولا عِشقُ الجدران ولكن شوقاً الى السكان

أمرُّ على الدّيارِ ديار سلمى أُقبّلُ ذا الجِدَارَ وذا الجدَارَا
وما حبُّ الدّيارِ شَغفْنَ قلبى ولكنْ حبُّ منْ سكنَ الديارَا

وحين عدت العوَادى عنهُ أمليتُ ضميرَ الشوق على لسانِ القلمِ معتذراً الى مولاىَ على الحقيقة عن تقصيرٍ وقع وفتورٍ في الخدمة عَرَض ولكنّى أقولُ

ان يكن تَرْكى لقصدِكَ ذنباً فكفى أن لا أراكَ عقاباً

« وكتب أبو محمد عبد الله البَطلْيوْسيّ المتوفّى سنة ٥٢١ هـ »

يا سيدى الأعلى وعمادى الأسنى وحسنةَ الدّهر الحسنى الذي جلّ قدره وسار مسيرَ الشّمس ذكرُه ومَنْ أطال الله بقاءه لفضل يُعلى منارَه وعِلْمٍ يحيى

آثاره : نحن أعزّك الله نتدانى اخلاصاً وان تناءينا أشخاصاً ويجمعنا الادب وان فرّقنا النّسب فالاشكالُ أقاربُ والآدابُ مناسب وليس يضرّ تنائى الاشباح اذا تقاربت الارواح

نسيبيَ فى رأيى وعلمى ومذهبى وان باعدتْنا فى الأُصول المناسب

« وكتب بديع الزّمان الهمذانى المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ »

أرانى أذكرُ « مولاى » اذا طلعت الشّمس أو هبّتِ الريح أو نجمَ النّجم أو لمع البرقُ أو عرض الغيثُ أو ذُكرَ اللّيثُ أو ضحك الرّوضُ وأنّى[1] للشّمس مُحيّاه[2] وللرّيح ريّاهُ[3] وللنّجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه[4] وسناه[5] وللغيث نِداه[6] ونَداه[7] وفى كلّ صالحة ذِكراه وفى كلّ حادثة أراه فمتى أنساه واشدّةَ شوقاه : عسى الله أن يجمعنى واياه

« وكتب الشيخ ابراهيم اليازجى المتوفّى سنة ١٩٠٦ م »

ما زلتُ أُدافعُ النّفسَ عمّا تتقاضانى من شكوى أشواقها وفى الشكوى شفاء واستنزال أثرٍ من لدُنك تتعلّل به مسافة البيْن[8] الى أن يمنّ الله باللقاء ومن دون اجابتها مشادِهُ[9] قد شغلت الذّرْع[10] وشواغِلُ قد أفرغَ منْ دونها الوُسْعِ الى أن غلبَ جَيش الوَجد على معاقل الصّبر وزاحم مناكب العذْواء حتى ضرَب أطنابه[11] بين الحجاب[12] والصّدر فاتخذتُ هذه الرُّقعة أُزْجيها[13] اليك وفيها من وِقر[14] الشّوق ما ينوءُ[15] برسولها ومن رقّةِ الصّبابة مايكاد

(١) أى من أين (٢) وجهه (٣) ريحة طيبة (٤) الرفعة (٥) بالقصر الضوء (٦) بضم النون وكسرها اشهر الصوت (٧) العطاء (٨) البعد (٩) مشاغل (١٠) بسط اليد (١١) الحبل يشد به سرادق البيت (١٢) لحمة رقيقة بين الجنبين (١٣) ارفعها (١٤) بكسر الواو الحمل ثقيل (١٥) يثقل به

يطيرُ بها : أو يخلفها فيُصافحُ الاعتابَ قبل وصولها: راجيا لها أن تُتَلَقّى بما عُهِدَ فى سيدى من الطلاقة والبِشْر وأن لا يَضِنّ (١) عليها بما عوّدنى من تمهيد العذْر ويَصِلُنى من بعدها بأنبائه (٢) الطّيبة عائدة عنه بما يكون للناظر قرّة وللخاطر مسرّة : ان شاء الله تعالى بمنّه وكرمه

« وكتب أيضاً »

وَافانى كتابُك العزيزُ فأهلاً بأكرم رسول جاء ببينات الاخلاص والوفاء مصدّقاً لما بين يديه من ذِمَةَ الوداد والإخاء . يتلو علىَّ من حديث الشّوْق ما شهدَ بصحّتهِ سُقمى. وهتَفَ مؤذِّنُه فى كلّ مِفصل من جسمى ويذكرنى من عهدك ما طالما أذكرَنيه البرْقُ اذا لمعَ والبدرُ اذا طلعَ والقُمْرِىُّ (٣) اذا سجعَ .

وانما عَدانى عنك ما أنا فيه من مُجاذبة الشّواغل ومُساوَرة (٤) البلابل (٥)

وفى القلب ما فى القلب من شجَن الهوَى تبدّلت الحالاتُ وهو مقيمُ

وأنا على مابى من غلّ البنان (٦) وشغْل الجَنان (٧) ما زالت أنباؤُك (٨) عندى لا يخطِئنى بريدُها ولا ينقطع عنّى وُرُودها أُهنّئ النفس منها بما تتمنّى لك من سلامة لا يَرِثّ (٩) لها شِعار واقبالٌ لا يعترضهُ باذن الله ادبار

وقُصارَى المأمول فى كرمك أن تُعاملَنى بما سبقَ لك من جميل الصِلّة الى أن يمُن الله بالاجتماع ويغنى بالعيان عن السّماع وما ذلك على الله بعزيز

« وكتب أبو العباس الغسّانى المتوفى سنة ٤٩٨ هـ »

سِرْ الى مجلسٍ يكادُ يسيرُ شوقاً اليك . ويطيرُ بأجنحةٍ مِن جوَاه حتى

(١) أى لايبخل (٢) اخباره (٣) طير من جنس الحمام يقال للانثى قرية وللذكر ساق احر (٤) المواثبة (٥) الاحزان (٦) الاصابع (٧) القلب (٨) اخبارك (٩) لا يبلى

يحلّ بين يديك فلله درّ (١) كماله ان طلعت بدراً بأعلاه . وجماله ان ظهرت غرّة بمحيّاه . فهو أفق قدحوى نجوماً تتشوّق الى طلوع بدرها وقطر قد اشتمل على أنهار تتشوّق الى بحرها لتستمدّ منها ان منّت بالحضور والا فيا خيبة السرور

« وكتب الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ ﻫ »

مجلسنا يا سيدى مفتقر اليك معوّل فى شوقه عليك ولقد تورّدت خدود بنفسجه وفتقت فأرة (٢) نارنجه (٣) وانطلقت ألسن الاوتار وقامت خطباء الاطيار وهبّت رياح الاقداح ونفقت (٤) سوق الانس والافراح وقد أبت راحته أن تصفو الا ان تتناولها يمناك واقسم غناؤه لا طيب حتى تعيه أذناك . ووجنات أترجه قد احمرّت خجلاً لابطائك . وعيون نرجسه قد حدقت (٥) تأميلاً للقائك ونحن لغيبتك كعقد ذهبت واسطته (٦) وشباب قد أخذت جدّته (٧) وإذا غابت شمس السماء عنّا فلا أن تدنو شمس الارض منّا . فان رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد ونحصل بك في جنة الخلد: فكن الينا أسرع من السهم في ممرّه والماء الى مقرّه لئلا يخبث من يومى ماطاب ويعود من يومى ما طار

« وكتب أبو بكر الخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ ﻫ »

كتابى وأنا بما يبلغنى من صالح أخبار « السيد » مغتبط مسرور وبما يعرفه الزمان وأهله من اعتضادى (٨) به مصون موفور والله على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور ، التطفل وان كان محظوراً فى غير مواطنه فانه مباح في أماكنه

(١) كلمة تعجب (٢) جلدة المسك (٣) ثمر معرب باربك (٤) راجت (٥) تاقت (٦) الجوهرة التى فى وسطه وهى اجوده (٧) الطريقة (٨) استعانتى

وهو وان كان في بعض الأحوال يجمعُ عاراً وَوِزراً فانهُ فى بعضها يجمعُ فخراً وذخراً ورُبَّ فعلٍ يُصابُ بهِ وقتهُ فيكونُ سنّة وهو فى غير وقته بدْعة وقد تطفّلت على « السيد » بهذه الاحرُف أخطبُ بها مودّته اليهِ وأُعرضُ فيها مودّتى عليهِ وأسألهُ أن يرسم لى في لسانى وقلبى رَسْماً ويختم عليهما ختماً فقد جعلتُهما باسمه وقصرتُهما على حُكمهِ وسأضعُهما تحت ختْمه وبرئتُ اليه منهما وصِرْتُ وكيله فيهما فهُما على غيرهِ حِمًى [1] لا يُقرَب، وبُحيرةٌ [2] لا تحلَبُ ولا تُركب ، ولمّا نظرتُ الى آثار السيد على الاحرار ونُشرتْ طِرَاز محاسنه من أيدى القاصدين والزُّوّار ورأيتُ نفسى غُفلاً [3] من سِمَة [4] مودّته وعُطْلاً [5] من جمال عِشْرَتهِ حَمَيْتُها من أن يحمى عليها وِرْدٌ موْرود ويُحسَرَ [6] عنها ظلٌّ على الجميع ممدود :وعجبتُ من

سَحَابٌ خطاني جُوْدُه [7] وهو صيّبٌ [8] ... وبحرٌ عداني سيلهُ وهو مُفْعَمٌ [9]
وبَدْرٌ أضاء الأرض شرْقاً ومغرباً ... وموْضعُ رجلي منهُ أسوَدُ مُظلم

« وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفي سنة ١٣٣٥ هـ »

مولايَ : أمّا الشّوْقُ إلى رؤيتك فشديدٌ وسَلْ فؤادك عن صديق حَميم [10] و ودّ صَميم [11] وخُلّةٍ لا يزيدُها تعاقبُ الملَوَين [12] وتألق [13] النيّرَين [14] إلاّ وُثوقاً في العرَى وإحكاماً في البناء ونماءً في الغِرَاس وتشييداً في الدّعائم [15] ولا يَظُنن سيدى أن عدمَ ازدياري [16] ساحته الشريفة واجتلائي

(١) محظور (٢) الشاة التي اذا نتجت عشرة ابطن شقوا اذنها فكانت حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها (٣) من لا علامة عليه (٤) العلامة (٥) من لاحلي عليها (٦) يكشف (٧) المطر الشديد (٨) ذو المطر (٩) الممتلىء (١٠) القريب الذي يهتم لامره (١١) الخالص (١٢) الليل والنهار (١٣) اللمعان (١٤) الشمس والقمر (١٥) الاركان (١٦) زيارتي

طلعتهُ المُنيفة لتقاعُس[1] أو تقصير فانّ لي في ذلك معذرة اقتضت التأخيرَ والسيد أطال الله بقاءه أجدَرُ[2] مَنْ قَبِلَ معذِرةَ صديقه وأغضى عن رَيْثٍ[3] استدعته الضَّرُورة ... وبعدُ فرجائي مِنْ مقامكم السّامي أن لا تكونَ معذرتي هذه عائقًا لكم عن زيارتي: فلكُمْ مِنَنًا طوَّقتُمونيها ولكُمْ فيها فضلُ البُدَاءَة وعليَّ دوامُ الشُّكران والسّلام

« وكتب المرحوم محمد بك دياب المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ »

كتابي اليكَ : وقد طَال بيَ الانتظَار وشَوْقي يجلُّ عن الكَيف والانحصار فشخصكُ دائمُ المُثول[4] أمام إنساني[5] وعن سِوَاك من الأخلاّء ألهاني وأنسَاني فلله أيامٌ قضَيناها وليال من الدّهر اختلسنَاها[6] كان السّرور فيهَا ضاربًا خيامهُ والأنس نَاشراً أعلاَمه طُويَ بِساطها وكأنَّ الأمرَ ما كان غيرَ أنها زَرَعت بفؤادي شجرة الأشجان[7] لكن عودها حليفُ أوْبتك[8] وتجدّدها رَهين إشارتك فمتى يقرُبُ المَزار وتَنجلي سُحب الأكدار فاضربْ لعَوْدك أجَلا فالعود لا شكّ أحمد وا كتبْ بقرْبك وَصْلا فالوصلُ أضمن للعهد: وعهدي من خُلُقك الوَفاء وحُسْنُ الولاء فلا تجعل صَفْقة[9] شوقي اليك خُسراً بل هَبْني بعد العسر يسرا

« وكتب وفا افندي محمد المتوفي سنة ١٣١٩ هـ »

أمّا بعدَ سلاَمي عليك فهذا كتابي اليك يُنبئُك[10] عنّي وعن شَوقي وعن وُدّي[11] ولا أزيدك عِلْما أني ما كتبتُه من دَواة ولا أجريتُ عليه

---

(١) التأخير (٢) احق (٣) البطء (٤) القيام منتصباً (٥) انسان عيني وهو ما يرى في السواد (٦) انتهزنا فرصتها (٧) الأحزان (٨) رجوعك (٩) أصلها لعقد البيع (١٠) يخبرك (١١) بالثابت فائه

قلمًا ولكنها دُموعٌ وشَوقٌ سالتْ على القرطاس وجرَتْ على حركات الخواطر والأنفاس وهَبَّتْ عليه حَرارةُ كبدي بالأشواق ووَجدي بالفِرَاق : فبينما هي عَقيقةٌ حمراء إذْ صارتْ فحمَةً سوداء : ألا وإن كتَابي هو قلبي ولساني أما تراه على رِقته ولُطف عبارته وصدْق طويّته بين يديك مقبلا عليك يَنْشره الشوقُ ويَطويه لا يُخفي أمراً ولا يَكتمُ عنك سرًّا وتلك صفاتُ لساني وقلبي معك : فما الذي أبتغيه بَعدُ وقد بعثتُ اليك بالأصغرَين [1] وما أنا إلا بهذين نعمْ أرجو بقَاكَ ممتعًا بنعماك لأكونَ على الدّوام محلَّ نظرك والسلام

« وكتب مؤلف هذا الكتاب »

كتَابي لديك يَصفُ شوقي اليك ولا يَخفى عليك فمذْ فارَقتني فرّقت بين أُنسي ونفسي بل بين روحي وجسمي ولا تعجَب اذا كُنتَ أغدو وأروح فالطير يمشي من الألم وهو مذبوح واني أشكو اليك من ألم الوَحشة غراماً لا يشعُر بهِ الا مَن ذَاق حُلوُ أنسك وَعرَفَ مقدار نفسك وشاهدَ جمال لُطفك ورأى كمالَ أدبك وظَرْفك ولقد أودَعَ اللهُ في شخصك نوراً لعيني وفي حديثك سرُوراً لفؤادي وفي صفاتك ترويحًا لروحي وفي كَرم خلقِك تفريحًا لنفسي

اذا وَصف الناسُ أشواقَهم فشوْقي لوجهك لا يُوصفُ

فعندي لك من المحبّة والشّوق والتلهُّف والتّوْق ما لا يصفهُ الواصفون ولا يُعبّر عن حقيقتهِ العارفون

الشّوق فوق الذي أشكو اليكَ وهل تَخفى عليك صبَاباتي وأشواقي

(١) القلب واللسان

فيا شوقي الى لُقياك ووَالهفي على جمَال محيّاك قيَّدْتَ أملي عن سواك وبهرْت ناظري بنظرة سنَاك وكسرتَ جيش قَرَاري وتركتَني لا أُفرّق بين ليلي ونهاري

فؤادي والهوى سِلْمٌ وحربُ وسُلْواني أقَام على الحِيادِه
وشوقي كاملٌ ما فيهِ نقصٌ فلستُ عليهِ أطمَعُ في الزّياده

فليت شعْري ماذا أصنعُ في شوقٍ أنا مدفوعٌ اليهِ من صادق حُبّي بعوامل صادَفتْ منّي قلباً خالياً فتمكّنَتْ بالتّعارُف ولم تدَع للسُّلْوان سبيلا

عرفتُ هواهُ قبل أن أعْرِفَ الهوى فصادَفَ قلباً خاليًا فتمكّنا

إني وربّي انّ شوقي اليك شوقُ الظمآن الى برد الشّراب وحنيني لك حنين الشيخ الى زمن الشّباب فما الأبلُ وقد حنّتْ الى أعطانِها والغربَاء وقد أنّت الى أوْطانها بأعظم منّي حنيناً ولا أكثر أنينا

ولكنّ التّفرُّقَ طالَ حتى توقّدَ في الضُّلوع له حريقُ

فكلّما تخطرُ ببالي في أيّ وقتٍ من الاوْقات يُمثّلُ لي التّذكر منك محاسن ولطائفَ تجذبني ميلاً اليك وتُطربني شغفاً بك واغتباطاً بإخائك فلا عجَبَ أن كان شوقي لرؤيتك عظيماً لأنه كما قيل (من كَرَم الرّجل حنينهُ الى أوطانه وشوقهِ الى اخوانه)

يا خلاصَ الأسيرِ يا صحّة المُد نفِ يا زَوْرَةً على غيرِ وعدِ
يا نجاةَ الغريق يا فرْحةَ الأوْ بةِ يا قفلةً أتتْ بعد بُعدِ
أرْضَ عنّي فدتْكَ نفسيَ انّي لك عبدٌ أذلُّ من كلّ عبدِ

ناشدْتُك الله أن ترفُقَ بحالي وتُعيدَ وصالي وارْعَ الودّ القديم وأبدلْ شقاء محبّك بالنعيم واغمد سيف خُذلانك المسلولا وأوْفِ بالعهد انّ العهد كان مسئولا

الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء

« كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

نحنُ في الظّاهرِ على افتراق وفي الباطن على تلاق نحن نتناجى بالضمائر ونتخاطبُ بالسّرائر اذا حصَلَ القرْبُ بالإخلاص لم يضرّ البُعدُ بالاشخاص أنا أُناجيك بخواطر قلبي وان كان قد غاب شخصُك عنّي ان أخطأتكَ يدي بالمكاتبة ناجاكَ سرّي بالمواصلة رُبّ غائبٍ بشخصه حاضرٌ بخلوصِ نفسهِ ان تراخى اللقاء فانّنا نتلاقى على البعاد ونتلافى[١] نظر العين بالفؤاد

« وكتب أيضاً »

أنا أشتاقك كما تُشتاق الجنان وإن لم تتقدّم لها العينان أنا وان كنت ممّن لا يُسعدُ بلقائك فقد اشتمَل عليّ الانسُ ببقائك والشّوق الى محاسنك التي سارت أخبارها ولاحت آثارُها لا زالت الايام تكشفُ لي من فضلك والاخبار تعرض عليّ من عقلك ما يَشوّقني اليك وان لم أرَكَ ويزيدني رغبة في ودّك وقد سمعتُ خبرك

« وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ »

كما أنّ شَغَفَ[٢] الجَنَان[٣] بالحسن والاحسان تكون داعيةُ المُشاهدة وتسريح الانظار في مُحيّا الكمال ومُجتلى الجمال فترى العينُ من تلك الغرّة ما يملؤها قرّة فكذلك السماعُ يَستدعي هذا الشّغَفَ فيتأثرُ الفؤاد بما يُشنّفُ[٤] الأذُن مما تهديه اليهِ طرائفُ[٥] الاخبار حتى كأنّ حاستي السّمع والبصر

(١) تتدارك (٢) دخول الحب في غلاف القلب (٣) القلب (٤) يزين (٥) المستملحة

في ذلك صِنْوَان [١] بل أخَوَان في هيكل هذا الجُثمان [٢] وقد يعلمُ السيدُ أطال اللهُ بقاءه وأدام ارتقاءه أن ذلك الأمرَ (أي الشغفَ بالسماع) ليس بالحديث العهدِ ولا القريبِ الجُدَّة [٣] بل هو أمرٌ عُرِفَ قديماً أن يَهديَ السّماع الى سُوَيداء القلب لاعجَ [٤] الحبّ سَعَّرَه [٥] من الانباء [٦] عَرْفٌ [٧] شميمٌ [٨] فتهيمُ [٩] بمجرّد استنشاق ذلك الشّميم [١٠] حتى يقول الشاعرُ العربي (والأذنُ تَعشقُ قبلَ العينِ أحياناً) أجل [١١] والقُدْوة في هذا المعني والأُسُّ [١٢] لذلك النبي قوله صلى الله عليه وسلم (إِنِّي لأَشم نفسَ [١٣] الرّحمن من قِبَلِ اليَمن) لَمَا أملَتْه العناية الرّبانيّة والمَلَك الرّوحاني على قلبهِ الشّريف من نبأ [١٤] القرَني [١٥] أُوَيس [١٦] ولم يكن رآه بعدُ

ألاوان محاسن السيد الأجلّ لمّا سارت بها الركبان وأثنى عليها كلّ لسان ما بين أخلاقٍ أبهى من الرّوض النّضير [١٧] وأعراق أشهى من عُذَيب النّمير [١٨] قد احتلّتْ من فؤادي لاأقول منزلا رَحيبا ولا واديًا خصيبًا بل منزلة شمّاء [١٩] ودارة [٢٠] علياء وأوْجاً [٢١] بطوالعها السعيدة يُسعَد ويلوح بهما من ذكراه كلّ حين فرْقد [٢٢] فلم أنشَب [٢٣] أن قدّمت كتابي هذا لمولاي بين يدي اللّقاء علّه أن يسمحَ به الزّمانُ وتُسفِر [٢٤] عنه اللّيالي والأيام ليُتاح [٢٥] لي ريّ

(١) هما فرعا النخلة (٢) بالثاء وبالسين الجسم (٣) الحظوة (٤) المتردد (٥) اوقده (٦) الاخبار (٧) الريح الطيبة (٨) مشموم (٩) تذهب (١٠) المرتفع (١١) حرف جواب مثل نعم (١٢) الاصل (١٣) كناية عن الوحي (١٤) الخبر (١٥) نسبة الى قرن قبيلة (١٦) هو سيد التابعين أويس بن عامر قتل في وقعة صفين مع علي كرم الله وجهه وخبره قوله صلى الله عليه وسلم يأتيكم أويس بن عامر مع اعداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم وله والدة هو بها بار ولوأقسم على الله لابره (١٧) الحسن (١٨) الماء الزاكي (١٩) مرتفعة (٢٠) دارا (٢١) علوا (٢٢) النجم (٢٣) لم ازل (٢٤) تكشف (٢٥) يعطي

الفؤاد بما أرويه من حديث زَيد الخيل الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وقال له ما وُصفَ لي أحدٌ فرأيته الاّ وجدته دون ما وُصف لي سِواك وان فيك خصلتين يحبّهما الله (الحلم والأناة) مقتدياً بالامام محمود جار الله في تقديم هذا الحديث الشريف على ما أنشده اياه الشريفُ ابنُ الشجري أوّل ما لقيَه وكانا قد تحابّا بالسّماع

كانت مُساءلةُ الرُّكبان تخبرُنا عن جابر بن رباحٍ أطيبَ الخبرِ
حتى اجتمعنا فلا والله ما سمِعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

« وكتب حفني بك ناصف المتوفي سنة ١٣٣٧ هـ »

يعلم الله ما عندي من الشّوق إلى لقاء السيّد وإن لم يرَه البَصَر والشوقُ الى شهوده وإن لم يكتحِل بإثمِد (١) محاسنهِ النّظر والشَّغفُ بسماع الحديث منه كما سمعتُه عنه فقد سبقَتْ ذكرى محاسنه إلى السّمع ووصل خبرُ لطائفه الى النفس* وما المرء إلا ذكرُه ومآثرُهُ * وحسدَت العينُ عليه الأذُنَ ووَدّت لو أنها السابقةُ الى اجتِلاء رقائقه وشهود حقائقه

* فللعين عشقٌ مثلُ ما يَعشَقُ السّمعُ * لا جرَمَ أن ما تعارَفَ من الأرواح ائتلَف وما تَناكر منها كما قيل اختلَف . ونحنُ وإن بَعُدَتْ بيننا الشُّقّةُ (٢) ولم يَسبِق لنا باللّقاء عهدٌ فلُحمَةُ (٣) الأدب تجمعُنا ووَحدَةُ الوجهة تضمّنا ولُحمَة الأدب أقوَى من لُحمَة النّسب وجامعةُ الوجهة فوق اجتماع الوُجوه وقد رأيتُ أن أزدَلف (٤) اليك بالمكاتبة وأترسّلَ إلى شرَف التعرّف بالمُراسلة حتى اذا لم يبقَ في الصبر على الافتراق مسكَةٌ (٥) ولبّى الجسم

(١) كحل بالمثبات (٢) بالضم والكسر الناحيه (٣) قرابته (٤) أتقرب (٥) قوة ولا عقل

دعوة الرُّوح فاندفعَ الى طلب الاجتماع أكون قد مهّدْت له سَبيلا ووطّأْت (١) له طريقًا فلا تبهُرني (٢) فرحةُ اللُّقيا ولا يغرّني (٣) طرَب الظّفَر «فمن فرَح النّفس مايقتل ومن نَشْوة (٤) الرّاح (٥) ما يُزْهق الأرواح» فان رَأى السّيد أن يكاتب عبده ويعتِقهُ من رقّ الفرقة عجّلَ بجواب هذا الكتاب لِيَعلم العبدُ أن نميقتَهُ صادفَتْ (٦) قبولا وأن وَسيلتَهُ اتخذَتْ الى سيّده سبيلا قرّب اللهُ زمن اللّقا وقصّرَ أمد النّوَى (٧) حتى أنشُد في الخِتام

تطابَقَ الخُبْرُ في عَلْياك والخَبَرُ وصدّقَ السمعَ في أوصافِكَ البَصَرُ

« وكتب احمد افندي سمير المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ »

يعلم سيدي أن المودّة لا تُباع ولا تُشرَى وانما هي نتيجةُ الاجتماع والتّعارُف وقد خُلق الانسان مُضطرًّا اليهما لان انتظامَ العُمران عليهما موقوفٌ ولهذا شهد العيان بأن المنفرد بأعماله المستبدّ بآرائه عُرضة للخطأ مَظنّةٌ لعدَم الثّقة : بخلاف ما اذا كان الاشتراكُ في الفكر قاعدة للعمل فلا بُدّ أن الصوابَ يتَمحّضُ منهُ لضعف التّفرد وقوّة الاجتماع اذ لا جَرَمَ أن المرءَ كما قيل « قليلٌ بنفسه كثيرٌ بأخوانه » وقد سمعتُ عن السيّد وقرأت من آثاره المأثورة ما حبّبه اليّ وشاقني للتعرّف به لنَشترِكَ في منفعة تبادلِ الأفكار فاني لا أكتفي بمجرّد السّماع ولا أقول « إنّ الاذُن تعشقُ قبلَ العين » فانما هي جارحةٌ صغيرَةٌ ولكن كلّي ميّال اليه مُحِبٌّ لاستجلاء مِرْآه عالمٌ اني اذ دخلتُ الى مودّته من باب التّلاقي لا أجد دهري

يُقرّب مني كلّ شخصٍ كرهتهُ ويُبعِدُ عنّي مَنْ اليه اميل

(١) بالتخفيف والتشديد هيأت (٢) لاتغلبني (٣) لايعلوني (٤) بفتح النون وكسرها السكر (٥) الخمر (٦) وجدت (٧) البعد

فان لم يتيسّر أن يراني أو أراه فليُسعِدني ببضعة أسطرٍ تضمنُ لي رضاه عن هذه المعرفة التَّرَسُّلِيّة لنتراءى بأعين الطُّرُوس (١) قبل أعين الرُّءوس ونتجاذبَ أحاديث المراسَلة إن عزَّت المقابلة وقد وقفتُ عليه خالصَ وُدّي واخترتُهُ من بين رجال العصر سعيا لكسب المعالي بمعرفته فكلُّ امرئ بما كسبَ رهين (٢) وليس للانسان الا ما سعى.

عن المرءِ لاتسألْ وسلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمُقارنِ يقتدي

« وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفي سنة ١٣٢٩ هـ »

لم أكن فيما أكتبه لك إلاّ سارياً في ليل التعارف على ضياء خِلاَلك (٣) التي أملاها عليَّ لسان المدح الذي شرّق وغرَّب وطبّقَ الأرضَ صيتُه وإني وإن لم أكن أُسعِدتُ من قبلُ باجتلاء طلعتك الزاهرة واجتناء مُفاكهتك الغضّة (٤) فقد دلّني على الليث زئيره (٥) وعلى البحر خريره (٦) وعلى العقل أثرُهُ وعلى السيف إثرُهُ (٧) ولئن لم تجمعْنا لُحمة (٨) النّسب فقد جمعتنا حِرْفَةُ الأدب أو لم يضمّنا قبلُ مَصيفٌ ومرْتبَع فالطّيورُ على أشكالها تقع وشِبْهُ الشيء منجذبٌ اليه وأخو الفضائلِ هو المعوّلُ عليه : وهذه الرُّقعةُ وإن وَصفَتْ لك بعضَ ما أنا مَطويٌّ عليه من التّهافُت على رُؤيتك والمَيل الى صداقتك فقلّما تنوبُ عن المُشافَهة أو تقضي حاجات في النفس طالما تردّدَ صداها : وفي ظني أن سيّدي يَوَدُّ ما أوَدُّه وعمّاقليل يُسفر صُبحُ اللقاء ونتجاذبَ أهدابَ المعرفةِ :وأرى من سيدي فوقَ ما توَسّمتُهُ وسمعتهُ ويرى مني ما يرْضيه والسلام

(١) الصحائف (٢) مرهون (٣) مصادقتك واخائك (٤) اللينة (٥) صوته (٦) صوته (٧) جوهره (٨) القرابة

« وكتب الشيخ طه محمود المتوفي سنة ١٣٢٥ هـ »

أيها السيد العزيز الجناب الغزير الآداب

قد علمتَ ولا أزيدك علماً زادك الله ولا نقصك أن الانسان كما اشتق اسمُهُ من الأُنس كذلك جبل عليه مسمّاهُ وأن المجتمعَ الإنساني عِقدٌ يتحلى به صدرُ الزّمان نظامهُ التآلف وواسِطَتهُ [١] التّعارُف : فهذان الأمران هما قُطب المدار في هذه الدار لهذا العالَم من لدُن آدم وليس إلا بهما يحسُن الحال وينعَم البال وتَدُرُّ ضروعُ المنافع وتتفَجَّرُ عيونُ الفوائد ومن ثمَّ كان أوفرُ الناس حظًّا من مَغنَم الإنسانيّة مَنْ يألف ويؤلف ولا خيرَ فيمن لا ولا وناهيك بخُلُق امتنّ اللهُ به على عباده إذ قال عزَّ من قائل « وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارَفوا »

ذلك «أيها السيد» هو الذي بعثني أن أكتبَ اليك أستفتحُ باب مَوَدَّتك بمفتاح الترسُّل وأستَصبِحُ في سبيل صُحبتِك بمصباح التوسُّل لا أبالي بما يُنسَبُ إليّ ويُنتَقمُ عليّ ممن عسى أن يقول مالك ولهذا الفضول وكيف تتطفل على مأدُبة أدبية لم تُدْعَ اليها وهل هذا منك إلا أشبه بالتَّبرُّج [٢] لغير خاطب : أيها المنتقدُ هوّن عليك ما تجد فلو علمتَ أن ظلّ الآداب شامل ودعوَة الموَدّة الجَفَلى [٣] لا يذادُ [٤] عنها واغل [٥] لأسرعتَ معي الى الوُغول [٦] ولم ترَ في التودُّد الى أهل الفضل من فُضول وأيُّ عيبٍ على النكرة في التحلّي بحلية المعرفة ومُصاحبة الاعلام أمَا سمِعتَ قولَ القائل

(١) الجوهرة التي في وسط العقد وهي أجوده (٢) اظهارالمرأة زينتها للرجال (٣) العامة الجماعة (٤) لايطرد (٥) المتطفل (٦) التطفل

بصُحبتِكَ الكرامَ تُعَدُّ منهم وتأمنُ من مُلِمّات الزّمان

وكيف أضعُ نفسي بحيث يقول الأول

دَعِ المكارمَ لا ترْحَلْ لِبغْيَتِها (١) واقعد فانك أنت الطاعمُ الكاسي

وشتّان ما بين الرّجلَيْن رجلٍ يهوَى المكارمَ وبنيها ويبتغي المناقبَ وذَويها ويقِفُ نفسهُ على مسئلةٍ يَعلمُها وفضيلةٍ يتحلّى بها

وآخرَ يَبذلُ وجههُ المصون في ملء الحقائب (٢) والبُطون

هذا: وقدرجوْتُ أنأكونَ الرّجلَ الأوّل بصُحبتك « أيها السيد » فكم رَوى لنا من أحاديث فضائلك الصّحاح وتَلى علينا من آيات شمائلك الحِسان ما (٣) أشخَصَ اليك القلوبَ قبل قوالبها وأوْفَد عليك الأرواح قبل أشباحها وأعجلَني أن أكتبَ اليك بهذا الرّقيم ألتمسُ بالتعرُّف الى جنابك الكريم ما التمسَ الكليمُ من صحبة ذي الوجه النّضر (٤) أبي العباس الخضر وإني وإن كنت والحمد لله ممن آمنوا بالغيب وليس عندي في صدق هذه الآيات مِرْية (٥) ولا ريب: بَيد (٦) أن للصُّحبة فضلاً لا يُنكر وللمؤاخاة مزيةلا يَتمارَى (٧) فيها أثنان

فاذا ورد على السيد كتابي هذا وانشرَحَ صدرُه « شرَحَ الله صدرَه » الى إجابة سُؤلي وارتاحتْ نفسه الى اصطناعي كتب إلى عبدهِ بما يكون آية جليّة على ارتياحهِ لتحقيق هذه الأمنيّة

حتى أقولَ لوَجهِ آماليابتَهِجْ لأوَلِّينّك قِبلةً ترضاها

(١) بكسر الباء الطلب وبضمها الحاجة (٢) الركايب (٣) مافاعل روى (٤) الحسن (٥) شك (٦) غير (٧) لا يختلف

« وكتب الاستاذ محمود بك أبو النصر »

إنسانُ العين وعينُ الانسان

المودَّة « وصل اللهُ بأجفان الأشواق أهدابَها وفتحَ لنا أبوابَها » أمرٌ عزيز المُرتقى على مَن يَصطفي صديقه ويَرعى حقوقَهُ وإنّي اصطفيتُك على الناس برسالتي هذه وعهدي بكرم سَجَاياك أن تُصافحَها براحة القبول وتتَّخذَها فاتحةَ وُدٍّ طارت به اليك رياحُ فضلك بعد ما مَثَّلَتْ آياته لك في القلوب معنًى ظهرَتْ في مرآة الأعيُن صُورتُه

فان أبَيْتَ ودادي غيرَ مكترثٍ فعنكَ ما دُمتُ حيًّا لا أرى بدَلا

وحاشاك عن مثل ذلك الإباء ونحن وان لم تَحظَ أشباحنا باللقاء فأرواحنا من قبلُ جنود وأعيننا شهود فان أنتَ منَحتني ولاءً خالصاً وإخاءً صادقاً (والا فهَبني امرأً هالكا) ولا إخالُك ترضاه وان كنتُ المتطفّلَ على مائدة مودّتك فلي نفسُ أديبٍ لا ترى العزَّ إلا في الترامي على ذُرا الكمال لازلتَ على مَرْقى الجلال والسلام

« وكتب الفاضل السيد محمد البيلاوي »

سيدي انّ مكارمَ الأخلاق ومعاليَ الهِمَم ممّا تَسترقُ القلوبَ وتسترقُ العقول وتمتلكُ الأرواحَ وانْ لم تَتلاقَ الأشباحُ فاني مذْ سَرَى اليَّ النسيمُ بأخلاقكم الغرّاء وابتسمَ لي ثغرُ هذا العَصر عن آثارِكم الزهراء وتواترتِ الأخبار بحبكم للفضل وأهلِهِ وارتياحكم للعلم وذويه وأنا مشغوف الفؤاد بالتعرُّف بسيادتكم مشغولُ البال بالتوسل الى رِياض مودّتكم ولعلمي أنّ للصَّداقة حقوقاً والمُصاحبة شرُوطاً رُبما صَعُبت على مَن حاوَلها وعزّت على من

أراد الوفاءَ بها كنتُ أرى الوحدة أولى والانفرادَ بي أسلَمَ ولكن ما زالتْ تَنْمِي (١) اليّ أحاسن شمائلكم المشرّفة وتتوارَدُ على مسامعي محاسنُ سيرِكم المطهّرَة فينمو الوَجدُ ويزداد الشوق « والأذن تَعشَقُ قبلَ العين أحيانا » وما كنتُ أجدُ سبيلاً للتعرُّف ولا سبباً للتودُّد ولا تجسرُ نفسي على المراسلة ابتداءً الى أن رأيتُ سيّدي قد اهتمَّ للأدب فأعلى مَنارَه ونظر للإنشاء فرفعَ مقدارَه ونَصَر دولتَه وأحيا صَولته وأعادَ شبابه وفتحَ لأدباء هذا العصر بابَه فعلمتُ أنّ الدّهر قد ساعدني والفُرْصةَ قد أمكنتني مِنْ مُصافحة ما أمّلتُ ومُصافاة ما أرَدتُ مِن اجتناء ثمار مودّة سيدي والتعرُّف بهِ والتمسّك بأهداب فَضائله والتزوّد من آدابه فانّ الأدَبَ أحسنُ ما يُستَصْبَحُ بأنواره (٢) وأشرَف ما يتَسابَق لاقتِطَاف أثماره (٣) ويحمَدُ التطفّل على موائده ويُمدحُ التنافس في التِقاطِ فَرائد فوَائده فجعلت طلب الانتظام في سلك أرباب الأقلام وَسيلةً لوُرُود عَذْب ودّاده ونَميرِ (٤) التعرُّف به فانْ رأى سَيّدي أن يُعدّ نفسَ حرٍّ في عدَاد معارفه ويقابلَ رسالَتهُ بما اشتهرَ من لَطائفِه حتى يتمتّع بالرّؤية الأبصار كما تمتّعت المسامع بطِيب الأخبار كنتُ مُديمَ الشكر لأفضالِه مُستمرّ الثّناء على كماله

« وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ ه »

أما بعدُ فهذه أوّلُ رسالةٍ أكتُبُها الى مَنْ لم تكن لي به جامعةٌ جِسْمِيّة ولم تضمّني وإيّاه حفلَةُ تعارُف شَخصية وهي وان كانت في عرْف غيري تعدُّ هُجوماً أو تُحسُّ فضولا الا أني أعتقدُ أنّها أُوفِدَتْ على كريمٍ يُكرِمَ

(١) تزيد (٢) اضوائه (٣) ازهاره (٤) الزاكي

وفادتها ويتقبَّل به ما يهديه اليه من زعيم تحيَّة وجليل اجلال ويجتلي من خلالها الرادة ودّ ورجاءَ ولاء وبغية فضل ورغبة في إخاء فيحلّها منهُ محلّ القبول ويدرأ [1] عنها وَصمةَ [2] الفضول: إنّ لسيدي آثاراً شاهدناها فاستفدناها ومآثر سمعناها فروَيناها أو تناقلناها ولا مِريَةَ [3] في أنّ ما غاب عنّا منها أكثرُ مما وعينَا وأوفى مما سمعنا ونحنُ والله يعلمُ طلاّب كمال ومنتجعوا [4] افضال ورُوّاد [5] ما خصبَ من فيحاء العلوم وقد توسَّمنا [6] في السيد أطَال الله بقاه طِلْبَتَنا وَوجدنا لديه ضالّتنا فحثثنا الى رحابه مطيّة المكاتبة ولنا أملٌ كبيرٌ في نوال المأمول لعلّهُ يجنَحُ [7] الى مُقابلة المِثل بالمِثل فيكتب لأخيهِ بعضَ كُلَيْمات يعرف منها أنه قَبِلَ الإخاء ومال الى مُقتضى طبعه من الوفاء ولا أظنُّ ذلك الاّ وقد كان في أقرب ما يكون من الزمان فانّ الارواحَ ما تعارف منها ائتلف كما برهنه الاصحاب في معاشراتهم خلَفًا عن سلَف

وكتب مؤلف هذا الكتاب »

لقد سمِعنا بأوْصافٍ لكم كُمِلَتْ فَسرَّنا ما سَمِعناهُ وأحيانا
من قبل رُؤيتكم نِلنا محبّتكم والأُذْن تعشَقُ قبلَ العين أحيانا

سيدي ومولاي

لقد بلغني عنك في وفائك وفضلك ما يدعوني لخطب ودّك ويُرغّبني في إخائك ويُحبّبني في التوسُّل الى معرفة جنابك وان لم تجمعنا جامعة شخصيّة ولم تضمّنا حفلة تعارف ذاتية الا أنّ أحاديثَ فضائلك الصّحاح أوفدت عليك الأرواح قبل الأشباح والولاء والأخلاص قبل الأجسام والأشخاص ولا

(١) يدفع (٢) العار (٣) بضم الميم وكسرها الشك (٤) طالبو معروف (٥) طالبون له (٦) تفرسنا (٧) بتثليث النون يميل

غرَابةَ في ذلك فانّ من سُنّة اللهِ في خلقهِ ان يُؤلّف بين الأرواح وأمثالها وانْ للهِ ملائكةً يسوقون الأشكال الى اشكالها وشبهُ الشيْ منجذبٌ اليهِ وأخو الفضائل هو المعوّل عليه

انّ القلوبَ لأجنادٌ مجنّدةٌ للهِ في الارض بالأهواء تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مُؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مُختلفُ

فلذا اصطفيتك لنفسي واخترتكَ لمودّتي وأُنسي نَتناجى بالضمائر ونتخاطب بالسّرائر وان بَعُدنا في الظّاهر فربّ غائبٍ بنفسهِ حاضرٌ بخلوص نفسه

فانْ أبيْتَ ودادي غيرَ مُكترثٍ فعنك ما دُمت حيّاً لا أرى بَدلاً

وحاشاكَ عن مثل هذا الأباء والهجرِ والجفاء

لكلّ امرئٍ شكلٌ من النّاس مثله وكلّ امرئٍ يهوَى الى مَن يُشاكلهُ

ناشدتك الله أن تقبلَ منّي الاخاء وتضمّن لي الوفاء وأنا أرضى بك من الدنيا نصيباً وأختارك من العالمين حبيباً

﴿ الفصل الثالث في رسائل الهدايا ﴾

« كتب سعيد بن حميد المتوفى سنة ١٠٥ هـ يوم النيروز الى بعض أهل السلطان »

أيّها السيد الشّريف عِشتَ أطولَ الأعمار بزياد من العمر مَوصُولةٍ بفرائضِها من الشّكر لا ينقضي حقُّ نعمةٍ حتى يُجدّدَ لك أخرى ولا يَمرّ بك يوم الاّ كانَ مُقصّراً عما بعدَهُ موفياً عمّا قبله: انّي تصفّحتُ أحوال الأتباع الذين يَجبُ عليهم الهدايا الى السّادة والتمست التأسّي بهم في الاهداء وان قصّرَتْ بي الحالُ عن الواجب فوجدتُ أنّي

انْ أهديتُ نفسي فهي مِلْكٌ لك لا حَظَّ فيها لغيرك . ورَمَيتُ بطَرْفي إلى كرائم مالي فوجدتُها منك فان كُنتُ أهديتُ منها شيئاً فانّي لمُهْدٍ مالَكَ اليك . و نزَعتُ الى مَوَدَّتي فوجدتُها خالصةً لك قديمةً غيرَ مستحدَثَة فرأيت إنْ جعلتُها هدّيتي انّي لم أجدّد لهذا اليوم الجديد برًّا ولا لُطفاً ولم أميّز منزلةً من شكري بمنزلةٍ من نعمتك الا كان الشّكر مُقصّراً عن الحقّ والنّعمة زائدةٌ على ما تبلُغه الطّاقة فجعلتُ الاعترافَ بالتّقصير عن حقّك هديةً اليك والاِقرارَ بالتّقصير عمّا يَجبُ لك برًّا أتوسّل به اليك وقُلتُ في ذلك

ان أهد مالاً فهو واهبُهُ ... وهو الحقيقُ عليه بالشكْرِ
أو أهد شكري فهو مُرتَهَنٌ ... بجميل فعلك آخرَ الدّهرِ
والشّمس تستغني اذا طلعتْ ... أنْ تستضيْ بسُنَّة[1] الدّهر

(وكتب حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ ه)

الهدية في نظر الأصفياء جليلةٌ وان كانت في نفسها قليلةٌ ومكانتُها خطيرةٌ وان كانت يَسيرةً وسنةٌ حسنةٌ اجتمعت على فَضلها الألسنَة

مضَت الدّهورُ وأمرُها مُستحسَنٌ ... وتعاقبتْ بمديحها الأيام

اللّهمّ الاّ انْ لبستْ جِلبَابَ[2] الرّياء وَوَلَجتْ[3] أبواب الأرتشاء ولا مِرَاءَ[4] إنَّ الأودّاء من ذلك بُراءُ

لا يبتَغون سِوى الوَفاء وما لهم ... غيرُ البقاء على الصفاء مَرَام

وما زَالت الهديّةُ شِعارَ الأصدقاء وعنُوان تذكار الوَلاء وكم جدّدتْ بين الأصحاب عهودَ التّحابّ

---

(١) الوجه (٢) القميص (٣) دخلت (٤) جدال

وتعهّدت وِدًّا فعادَ شتيتهُ ولشمله بعد البَدَاد (١) نظامُ

قد وصلتني يد العصا لحبذا الاهداء وأهلاً بتلك اليدِ البيضاء وليست هذه أوّل أياديك عليَّ ولا أكبرُ عارفةٍ جاءت من ناديك اليَّ وقد أمِنْت بها النُّوب(٢) واعتضدْت (٣) بها على تفريق شَمل الكُرَب

فاذا طغا (٤) بحر الهموم ضربتهُ بعصايَ فاجتازت (٥) به الأقدام

تنفلقُ بها من الأيام صُخُور فتنبجسُ(٦) منها عيونُ السُّرور وتلقَف ما يصنعُ الأعداء فتذهبُ بسحر البَغضاء واذا اشتدَّ هجير (٧) الوحشة نشرتْ ظِلاَل أُنسها أو عصى فرعوْن الدَّهر راعتهُ (٨) ببأسها (٩)

فكأنَّما أوصى الكليم(١٠)لنا بها حتى يرى آياته الأقوامُ

وقد فكّرْتُ ماذا أُقابلُ به طُرْفتكَ (١١) وأتلقى به تُحفتكَ الى أنْ هداني الله أنّ يدَ المُنعم انما تُقابَلُ بالافواه ليُعزَّزَ القَبولُ بالقُبَل ويؤدى الرَّسمُ باللَّثم فأرسلت اليك فم سِجارة وجعلته لهذا المعنى اشارة وقلت

مولاىَ كم فاضتْ يمينُكَ بالنَّدى(١٢) حتى غدوْتُ غريقَ بحر الأنعُمِ

والشكرُ أوْجبَ أن أقبّلَ راحهَا فَكنَيتُ عن هذا بإهداء الفَمِ

وقد علمت أن المنظرَ البهيج يتمُّ بالتّدبيج (١٣) فاخترْتُ أن يكون مبدؤه كالليل اذا عسْعَسَ (١٤) و مُنتهاه كالصبح اذا تنفّسَ (١٥) إيذانًا (١٦) بزوال الشُّرُور بالسُّرُور ورَمزاً الى الخرُوج من الظُّلمات الى النّور

(١) التفريق (٢) جمع نوبة المصيبة (٣) استعنت (٤) علا (٥) سلكت (٦) تنفجر (٧) حرها (٨) أزعجته (٩) بشدتها (١٠) سيدنا موسى عليه السلام (١١) احسانك (١٢) العطاء (١٣) التزين (١٤) أقبل بظلامه (١٥) اضاء (١٦) اعلاما

(وكتب الاستاذ محمود بك أبو النصر)

يا أيها المولى الذى عمّت أياديه الجميله
إقبل هديّة من يرى في حقك الدنيا قليله

غرّة وجه السعود وقرّة عين الوجود الأمير الجليل

يا جليل الفضائل اليك توجه الآمال ويا جميل الشمائل بساحتك تحط الرحال تلك هي الساحة الفيحاء [1] والشيمة [2] الحسناء والهمة العلياء واليد البيضاء والأعمال التى تضرب بها الأمثال كم من نعم أسديتها [3] ومكارم أوليتها وعلوم أحييتها فأنت المصدر والمورد والمقصد والموعد : اليك أقدم تلك الهدية المرضية وأرفع ذلك الكتاب المستطاب مشفعاً فى قبوله كرم سجاياك وعظم مزاياك وانى وان كنت أعلم أن مقامك العلى يجل عن أن يرفع اليه مثله فقد عرفناك متواضعاً فى علاك قريباً مع اعتلاك

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً فشأناك انخفاض وارتفاع
كذاك الشمس يبعد أن تسامى [4] ويدنو الضوء منها والشعاع

وحاشاك أن أهدى للقمر نوراً أو للشمس ضياء أو أبعث ببنية القطر [5] الى ذلك البحر ولكننى أحببت أن يحظى بلثم بنانك [6] وينال من كرمك وإحسانك وقد عهدناك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم [7] وترتاح لاسداء الجميل كما يرتاح للكرم النزيل وللشفاء العليل وما هو إلا من نور فكرك مقتبس [8] فعساه يحظى بالقبول فأبلغ غاية المامول والسلام

(١) الواسعة (٢) الخلق (٣) اعطيتها (٤) تفاخر (٥) المطر (٦) الاصابع (٧) السيف القاطع (٨) مأخوذ

(وكتب الأستاذ عبد الله بك الأنصارى)

المولى أدامَ الله وُجودَه مُمَتَّعًا بهدايا الأيام وتُحف الاعوام طالما أوْفدَ (١) من الرِّفد (٢) إلىّ ووجّه من الخيرات ما أفعمَ (٣) يدىّ حتى أصبحتُ ولهُ الفضل والمِنّة أجرُّ ذُيولَ النّعماء (٤) على غَبْرَاء (٥) البأساء (٦) وأجتَلى (٧) معارفَ السّراء بعَوارفه البيضاء التى لا يوازيها ثناءٌ وحمدٌ ولا يُوازنُها عَطاءٌ ورفد ولا يُطاولها سماءٌ وبحر ولا يُغالبها بؤسٌ وفقر وإن لى من آلاء (٨) السيّد حفظه الله وأدام علاه ما أينَعَ وأزهر وأورَقَ وأثمر حدائقَ قامتْ لشكره عيدانُها وسجدَت لفضله أغصانُها وترنّمت طرَبًا وتمايلَتْ عجبًا بنفحاتٍ هى عَرْفهُ (٩) وبركاتٍ هى عرفُهُ ولى أملٌ فى جنابه وأنا سليل (١٠) نعمتِه وعهدِى بأخلاقه وأنا ابنُ مودّته أن يُمنّ بقبول ما أُهديه وهو من مال نفسِه وثمرة غرْسه (باكورة تُفاحٍ) يرفعُها إجلالٌ واعظام وتصحبُها تحيّةٌ وسلام

(وكتب الشيخ احمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ ھ)

الهديّة عمرَك الله بالمعروف تَبسطُ يد المودّة وتدرُّبها أخلاف (١١) القُرب وتغرسُ بين المُتحابّين من الإئتلاف بقدر ما تَقطع بينهما من شجر الخلاف وما أنا فيما أهديه اليك الا كمستبْضِع (١٢) تمرًا الى أرض خيبرَ (١٣) أو كالواهب الماءَ للبحر والضوءَ للبدر والمُلكِ لسليمان (١٤) والمال لقارون (١٥)

(١) ارسل (٢) العطاء والصلة (٣) ملأهما (٤) بالفتح النعمة (٥) الارض (٦) الداهية (٧) انظر اليها مجلوة (٨) نعمة (٩) بالفتح الريح الطيبة (١٠) الولد (١١) جمع خلف بالكسر الضرع (١٢) جاعله بضاعة (١٣) موضع بالحجاز (١٤) ابن داود النبي عليهما الصلاة والسلام (١٥) من قوم موسى عليه السلام اعطاه الله من الكنوز ما لم يعطه لغيره

والحلم لأحنف [١] والذكاء لإياس [٢] والتفسير لابن عبّاس [٣] وما ذاك الا كتابٌ كما تراه ضرَبَ فى الإحكام بسهمٍ ووعى من الأحكام ما خلتْ منه مُفعَمات [٤] الأسفار [٥] ومُوجَزَاتُ الرّسائل (فهو كما قيل) كلُّ الصيدِ فى جوْفِ الفَرا [٦]

تزين معانيهِ ألفاظُهُ وألفاظُهُ زائنات المَعانى

على أنى وان تطفّلتُ عليك وسقتُ لك هذا الكتاب مزْدلفًا [٧] الى جنابك الرّحْب ومقامِك الأسنى فقد أصبتُ كبدَ الصّواب ووضعته حيث يعرفهُ أهلوه ويتقبّلهُ من باذِله عالموه علماً بأنك عِمادُ العلوم وأساس الفضائل لاتُغَادرُ [٨] شارِدة الا وَعيتَها ولا نادِرةً الا روَيتها والا

لو كان يُهدى عَلَى قدرى وقدركمو لكنت أُهدى لك الدُّنيا وما فيها

(وكتب مؤلف هذا الكتاب الى استاذه الحكيم الشيخ محمد عبده)

سيّدى ومولاى أطال الله بقَاكَ ورفَعَ فى الدّارين علاكَ الْهَدِيّة مفتاح بابِ المودّة وعُنوان تذْكارِ المحبّة يتسابقُ اليها كرام السّجايا [٩] ويتسارَع الى إحياء شعائرها عُشّاق المزايا حرْصاً على حِفظ عهود الوِداد والتآلُف واذهاباً لوحْشة التّقاطُع والتّحالف

هدايا النّاس بعضهمْ لبعضٍ تُوَلِّد فى قلوبهم الوصالا

---

(١) هو ابو بحر صخر بن قيس تابعي كبير يضرب به المثل في الحلم توفي سنة ٦٧هـ (٢) هو ابو واثلة بن معاوية بن مرة المزني يضرب به المثل في الذكاء توفي سنة ١٢٢هـ (٣) هو ابو العباس عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي يلقب ترجمان القرآن توفي سنة ٩٨هـ (٤) مملوآت (٥) الكتب (٦) حمار الوحش ومعناه كل ماعداه دونه قاله النبي عليه الصلاة والسلام تطميناً لرجل خرج يصطاد مع اصحابه فلم يصب غير الحمار الوحشي (٧) متقرباً (٨) لا تترك (٩) الاخلاق

وتزرع فى القلوب هوًى وودًا وتكسوك المهابة والجلالا

ولقد وجدتك اماماً حكيما وفيلسوفاً عليما تقدر الأعمال حق قدرها وتضع الاشياء في مواضعها سباقاً الى نشر العلوم والمعارف فى المشارق والمغارب

يبقى الثناء وتنفد الأموال ولكل دهرٍ دولة ورجال

ما نال محمدة الرجال وشكرهم الا الصبور عليهم المفضال

فلذا أهديك كتابى «جواهر الأدب فى بلاغة لغة العرب» جمع فأوعى من الآداب والحكم ما خلت منه مفعمات الأسفار [1] فهو بلا شك ولا مرا كل الصيد فى جوف الفرا

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعانى

على أنى وان تطفلت عليك ووضعت كتابى هذا بين يديك فقد ولجت الأمور من الأبواب وأصبت كبد الصواب حيث يعرف الفضل من الناس ذووه ويتقبله بقبولٍ حسن عالموه

شكرًا وحمدًا ان قبلت هديتى وجعلت لى فضلاً على أقرانى

فتنازلك بقبوله يكون الاقبال عليه جليلاً ويعجز لساني عن أن أشكرك شكرًا جزيلاً والسلام

(١) الكتب الكبيرة

﴿ الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف والاعتذار ﴾

(كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

الكريم اذا قدرَ غفرَ واذا أوثق أطلق واذا أسرَ أعتقَ قد هربت منك اليك واستعنتُ بعفوك عليك فأذقني حلاوة رضاك عنّي كما أذقتني مرارة انتقامك منّي: الحر كريم الظفر إذا نال أقال [1] واللئيم اذا نال استطال [2] قد هابك من استتر ولم يُذنب من اعتذر تكلُّفُ الاعتذار بلا زلّة [3] كتكلُّف الدواء بلا علة مولاى يوجبُ الصفح عند الزلّة [4] كما يلتزم البذل عند الخلّة [5] مولاى يُوليني صفيحة صفحه ويؤتيني العفوَ من عفوه زلّاتُ وقد يزلُّ العالمُ الذى لا أساويه وعثرتُ وقد يعثر الجوادُ الذى لا أجاريه لا تُضيّقن عنّي سعة خُلُقك ولا تكدّرن عليّ صفوَ ودّك مالى ذنبٌ يضيق عنهُ عفوُك ولا جُرمٌ يتجافى تجاوزك وصفحك: والسلام

(وكتب عبد الله بن معاوية المتوفى سنة ١٥٨ هـ الى ابى مسلم)

من الأسير فى يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه (اما بعد) فقد أتاك الله حفظ الوصيّة ومنحك نصيحة الرّعيّة والهمك عدل القضية فانك مستودع الودائع ومولى الصنائع فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك فالودائع عاريّة والصنائع مرعيّة وما النّعم عليك وعلينا فيك بمنزورٍ نداها ولا بمبلوغ مداها فنبّه للتفكير قلبك واتّق الله ربّك وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحبُّ أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرّأفة والأمن من المخافة فقد أنعم الله عليك بأن فوّض أمرنا اليك

(١) ترك (٢) تملك وتحمك (٣) بالفتح السقطة (٤) بالفتح الغلطة (٥) بفتح الخاء الحاجة والفقر

فاعرفْ لنا لين شكر المودّة واغتفار مسِّ الشدّة والرّضا بما رَضيتَ والقناعة بما هوَيت فانّ علينا من سمْكِ الحديد وثقله أذًى شديداً مع معالجة الأغلال وقلّة رحمة العمّال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة وايرادهم علينا الغموم وتوجيههم الينا الهموم زيارتهم الحراسة وبشارتهم الاياسة فاليك بعد الله نرْفع كرْبة الشكوى ونشكو شدّة البلوى فمتى تُملْ الينا طرفاً وتُولنا منك عطفاً تجدْ عندنا نصحاً صريحاً وودًّا صحيحاً لا يضيّع مثلك مثله ولا ينفي مثلك أهله فارع حرمة من أدْركْت بحرمته واعرف حجّة من فلجت بحجّته فانّ الناس من حوضك رواء ونحنُ منه ظِماء يمشون فى الأبراد ونحنُ نحجلُ فى الاقياد بعد الخير والسّعة والخفْض والدّعة والله المستعان وعليه التكلان

(وكتب بدر الدين محمد بن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٧٩٩ هـ)

رِفقاً بمَنْ ملكَ الوَجدُ قِيادَه وعطفاً على منْ أذابَ الشّوقُ فؤاده مُتيّمٌ [١] أقلقَه فرطُ صُدودك ومُغرَمٌ أغراه بحبّك قولُ حسودكَ وَسقيمٌ لاشفاء له دون مَزارك ومقيمٌ على عَهدكَ ولو طالت مُدّة نفارك الى مَ هذا التّنائى [٢] والنُّفور وعلامَ ياذا القدِّ العادل تجُور لقد تَضاعفَ الأسفُ والأسى وتَطاولَ التّعلّل بعلّ وعسى

كَهبْنى تخطّيتُ الى زَلّة ولم أكن أذنبتُ فيما مضى
أليسَ لى من بعدها حرمةٌ توجَبُ لى منك جميلَ الرّضا

ولست ألوذ الاّ بباب نعمك ولا أعتمد فى محْوِ الاساءة الاّ على حلْمك وكرمك وما جلَّ [٣] ذنبٌ يضافُ الى صَفْحِك ولا عظُم جرمٌ [٤] يُسند الى عفوك ومثلُك من يقيل العَثَرات ويتجاوز عن الهفوات

---

(١) مستعبد ذليل (٢) التباعد (٣) ماعظم (٤) ذنب

وكنت أظنّ أن جبال رضوَى[1] تزول وان وَدّك لا يزول
ولكنّ القلوب لها انقلابٌ وحالاتُ ابن آدم تستحيل

طالما آنستَني بقربك ودنَوْتَ منّي مفارقًا ظباء سِرْبك وأنجزْت وُعودى وأطلعتَ نجوم سُعودى

وكنتُ اذا ما جئتُ أُدنيت مجلسي ووجهُكَ من ماء البَشاشةِ يقطُرُ
فمن لىَ بالعين التي كنتَ مرّةً اليَّ بها في سالف الدّهر تنظُر

قيّدتَ أملى عن سواك وبهرتَ ناظرى بنظرة سناك[2] وكسرتَ جيش قرَارى وتركتني لا أُفرّقُ بين ليلى ونهارى أحُومُ حولَ الدّيار وأعومُ في بحر الافكار وأتمسك بعطف عِطْفك وأتعلق بأذيال مكارمك ولُطفك أَمَا علمتَ ان الكريمَ إذا قدرَ غفرَ واذا صدَرَتْ منْ عبده زَلّة أسبلَ عليها رداء العفو وسترَ وانّ شفيعَ المُذنب اقراره ورفض خطيئته عند مولاه استغفاره

ومَنْ كان ذا عُذرٍ لديك وحُجّةٍ فعذرىَ اقرارى بأن ليس لى عذرُ

لهفى على عيش بسلاَف[3] حديثك سَلَف وأوقاتٍ حلَتْ ثم خلَتْ وأورثت التّلف وآهًا لأيام بطيب أُنسك مضت وبرُوقِ ليالٍ لولا قُربك ما أومضت[4]

كنتُ أعرفُ في الهوى مقدارَها رَحلَتْ و بالأسف المبرّح عوّضَت
كيف السّبيلُ الى إعادة مثلها وهىَ التى بالبُعدِ قَلبى أمرَضَت

فجُدْ بالتّدانى واسمحْ بنيل الأمانى وألِنْ قلبَك القَاسى وعُدْ عن التّنائى والتّناسى وارعَ الوُدَّ القديم وابدلْ شقاء مُحبّك بالنّعيم ولا تَعْدِل عن منهاج

(١) جبل بالمدينة (٢) ضوئك (٣) الخمر (٤) مالمعت

المَعدَلة وسلّم فقد أخذتْ حقّها المسئلة واغمد سيفَ حيفٍ (١) صبّرته مسلولا
وأوفِ بالعهد انّ العهدَ كان مسئولا

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ ﻫ)

ليسَ عندى أعزّك الله سببٌ ولا أقدرُ على شفيعٍ الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرّحمة والتأميل الذى لا يكون الاّ منْ نتاج حسْن الظنّ واثبات الفَضل بحال المأمُول وأرجو أنْ أكونَ من الشاكرين فتكون خيرَ مُعتب (٢) وأكونَ أفضل شاكر ولعلّ اللهَ يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الانعام وهذا الانعامَ سبباً للانقطاع اليكم والكونِ تحت أجنحتكم (٣) فيكونَ لا أعظم بركةً ولا أنمى بقيّة من ذنبٍ أصبحتُ فيه وبمثلك جُعلت فِداك عاد الذّنبُ وسيلةً والسّيئةُ حسنةً ومثلك مَن انقلب به الشرُّ خيراً والغُرم (٤) غُنما (٥) من عاقب لقد أخذ حظّه وانما الأجرُ فى الآخرة وطيبُ الذّكر فى الدنيا على قدر الاحتمال وتجرُّع المرائر: وارجو أنْ لا أضيعَ وأهلِكَ فيما بيْنَ كرمك وعقلك وما أكثرَ من يعفو عمّنْ صغُرَ ذنبهُ وعظُم حقّه وانّما الفضلُ والثناء العفوُ عن عظيم الجرم ضعيف الحُرْمة وان كان العفوُ العظيمُ مُستطرفا (٦) من غيركم فهو تِلادٌ (٧) فيكم حتى ربّما دعا ذلك كثيرًا من الناس الى مُخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تنْكُلُون (٨) ولا على سالف احسانكم تندَمُون ولامثلكم الاّ كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمرُّ بملاٍ من بنى اسرائيل الاّ أسمعوه شرًّا وأسمعهم خيرًا فقال له شِمعُون الصّفا — ما رأيتُ كاليوم كلّما أسمعوك شرًّا أسمعتهم

(١) الجور (٢) مسر بعد اساءة (٣) حمايتكم (٤) ما يلزم اداؤه (٥) الغنيمة
(٦) مستحدثا (٧) المال القديم (٣) تجبنون

خيرًا فقال كلّ امرئ يُنفِقُ مما عنده وليس عندكم الاّ الخير ولا في أوعيتكم الاّ الرّحمة * وكلّ اناء بالذى فيه ينضحُ .

(وكتب ابن مكرّم الى بعض الرؤساء)

نَبَتْ (١) بى غرّةُ الحداثة فردّتنى اليك التجربة وقادتنى الضرورةُ ثقةً بإسراعك الىّ وأنْ ابطأتُ عنك وقبولك لعذرى وان تقصّرتُ عن واجبك وانْ كانت ذنوبى سدّت علىّ مسالك الصّفح عنّى فراجع فىّ مجدك وسُؤدَدك (٢) وانى لا أعرفُ موقفاً أذلّ من موقفى لولا انّ المخاطبة فيه لك ولا خطّةً أدنأ من خطّتى لولا أنها فى طلب رضاك والسلام

(وكتب أبو بكر الخوارزمىّ المتوفى سنة ٣٨٠ هـ)

لو بغير الماء حلقى شَرِقٌ كنتُ كالغصّانِ بالماء اعتصارى

كيف يقدِر أبقى الله السيّد على الدّوام مَنْ لا يهتدى الى أوْجه الدّاء وكيف يُدارِى أعداءه من لا يَعرِف الاصدقاء من الأعداء وكيف يعالج علّة القَرْحة العمياء أم كيف يَسرى بلا دليل فى الظّلماء أم كيف يخرُجُ الهارب من بين الأرض والسّماء : الكريمُ اذ قدَرَ غفر واذا أوْثق أطلق واذا أسرَ أعتقَ واقد هربتُ من السيّد اليه وتسلّحت (٣) بعفوه عليه وألقيتُ رِبْقةَ (٤) حياتى ومماتى بيديه فليذِقْنى حلاوةَ رضاهُ عنّى كما أذاقَنى مرارةَ انتقامه منّي ولْتَلُح (٥) على حالى غُرّة عفوه كما لاحتْ عليها مواسمُ (٦) غضبه وسطوه وليعلم أن الحرّ كريمُ الظّفر اذا نال أقال وان اللئيم لئيمُ الظّفر اذا نال استطال وليغتنم التّجاوُز عن عثرات الأحرار وليَنتهِز (٧) فُرص الاقتدار وليحمد

(١) ابعدتني (٢) السيادة (٣) استعنت (٤) العروة التي يربط بها والمراد بها الزمام (٥) تظهر (٦) العلامات (٧) يغتنم

الله الذي أقامه مقام مَنْ يُرتجى ويُخشى وركَّبَ نِصابه في رتبةٍ شابَ الزمانُ ومجدها فتيّ وأخلقَ العالَمُ وذِكرُها طريّ وليعتقدْ انه قد تهابه مَنْ استتر ولم يُذنب اليهِ من اعتذَر وان مَنْ رُدّ عليه عُذره فقد أُخرِج الى الشجاعة بعد الجبن واخرِجَ ذَنبهُ الى صحن اليقين من سُترة الظنّ وفّق الله السيّد لما يحفظ عليه قلوبَ أوليائه وعصمه ممّا يزيدُ به في عدد جماجم أعدائه

(وكتب بعضهم الى رئيسه)

وجدتُ استصغارك لعظيم ذنبي أعظمَ بقدر تجاوُزك عنّي ولعَمري ما جلَّ ذنبٌ يُقاسُ الى فضلك ولاعظُمَ جُرْمٌ يضافُ الى صفحك ويُعوَّل فيه على كرم عفوك وان كان قد وسعه حلمك فأصبحَ جليلهُ عندك محتقراً وعظيمهُ لديك مستصغراً انّه عنـدي لفي أقبح صُور الذنوب وأعلى رُتب العُيوب غير أنه لوْلا بوادر[1] السُّفهاء لم تُعرَفْ فضائل الحلماء ولوْلا ظُهور نقص بعض الأتباع لم يَبِن جمال الرؤساء ولوْلا المامُ الملمّين بالذّنب لبطل تطوُّلُ المتطوّلين بالصفح وانّي لأرجو أن يمنحك الله السّلامة بطلبك لها ويُقيلك العثراتِ باقالتك أهلَها وما علمت انّي وقفتُ منك على نعمة أتدبّرُها الاّ وجدتها تشتمل على فائدةٍ فضل تتبعها عائدةُ عقل

(وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م)

بِمَ يعتذرُ اليك من لا يَرى لنفسه عذراً وكيف يَستتر مِنْ عَتبك من لا يستطيعُ لذنبه ستراً بل كفاني من العَتْب تعنيفُ نفسي على ما ألقيت عليها من تبعةِ تقصيري وما حُلتُ به مِن التّفريط بينها وبين معاذيري والله يعلم ما كانَ

(١) جمع بادرة الحدة عند الغضب

تقصيري شيئاً أرَدْتُه ولا كان تفريطي أمراً قَصدْتُه ولكنّها الأيّام ان صاحبتها لم تَصْحَبْ وانْ عاتبتها لم تُعْتِبْ فلقد عبرَتْ بي هذه البُرهةُ كلّها وأنا بين شواغلَ لا يَشغَلُها عنّي شاغل وبلابلَ [١] قد اختلط حابلها بالنّابل فنازعتها هذه النُّهزة [٢] اليسيرة أُجدِّدُ فيها التذكرةَ الى أنْ يَمُنَّ اللهُ بصلة الحبل واجتماع الشّمل وأستنزِلُ أحرُفاً من خطّك يكتحِلُ بها النّاظر ويأنس اليها الخاطِر متوقّعاً بعد ذلك أن أبقى بين يدي مودّتك مذكوراً والاّ يكون عجزي لديك شيئاً منظوراً وانْ تجريَ بي على عادة حلمِك الى أن يَجمعَ اللهُ الشّتيتين ويُغني العين [٣] عن الأثر بالعين [٤] ان شاء الله تعالى والسلام

(وكتب أيضاً)

وافاني كتابُك العزيز والنفسُ نازعة [٥] الى ما يزيلُ نِفارَها والقَريحةُ [٦] تائقةٌ [٧] الى ما يشحذُ [٨] غِرارها [٩] فكان روضة باسمة [١٠] الكمائم [١١] فائحة النّسائم قدْ ردّت على النفس انبساطَها وأحيَت البادِرةَ فاستأنفت نَشاطها فأنا منهُ ما بين وشيٍ [١٢] يخجلُ طراز العبقَريّة [١٣] وزُخرُفٍ [١٤] دُونَه نَضرةُ [١٥] السّابريّة [١٦] تناجيني منه رشاقةُ [١٧] الفاظ تفضحُ قُدودَ [١٨] الحِسان وغضاضَةُ [١٩] أنفاسٍ يغارُ منها وَرْدُ الجِنان ورِقّةُ خطابٍ يشِفُّ [٢٠]

(١) هموم والحابل قيل ناصب الحباله للصيد وقيل سدى الثوب — والنابل قيل صاحب النبال وقيل لحمة الثوب ولفظ المثل اختلط الحابل بالنابل وهو مثل يضرب في ارتباك الامر (٢) بضم النون الفرصة (٣) الباصرة (٤) الذات (٥) مشتاقة (٦) الملكة التي يقتدر بها على استنباط العلم بحدة الطبع (٧) مشتاقة (٨) يحده وأصله لحد السكين (٩) بكسر الغين والمراد ان الملكة مشتاقة الى ما يجعلها قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب (١٣) تبلغ الغاية في الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن (١٦) ثياب رقيقة جيدة وأصلها الدروع السابرية نسبة الى سابور كورة بفارس بينها وبين شيراز ستة عشر فرسخاً (١٧) لطافة (١٨) جمع قد القامة (١٩) الحسن (٢٠) يحكي

عن ودٍّ صفيٍّ ولطف خفيٍّ [١] وكرم وفيٍّ وعتبٍ أعذب من الماء القَراحِ [٢] وأرقّ من نَسماتِ الصّبا في الصّباح حتى لقد حبّبَ الىَّ تقصيري وشفع عند نفسي في قبول معاذيري على انّ ما عندي من الوَلاء لا يَعتريه معاذَ الله وَهن [٣] ولا يُخلقهُ [٤] تمادِي زمن أو ترامِي وطَن ولكنّ صُروفَ الأحداث [٥] قد قصّرت الجُهد [٦] وصرفت جواد العزيمة عن القصد والله يعلم أنّي لو نَزلتُ على حكم نَوازل الدّهر ولم أدافع طلائعها بما بقي من ساقةِ [٧] الصّبر لما كان في هِمّتي إلاكسرُ اليرَاع [٨] وهجرُ المحابرِ والرِّقاع [٩] وحسبي من العذر ما أعرفُه مِن حلمِك المألوف وما ألفتهُ منْ كَرَمِك المعروف

والله أسأل أن يُبقيك لي من الدّهر نصيباً ويمتّعني بلقائك قريباً بمنّه وكرمهِ

« وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ »

أما بعدُ فنِعم البَديل من الزلّة الاعتذار وبئس العِوَضُ من التّوبة الإصرارُ فانّا لا عِوضَ من إخائك ولا خلَف من حُسن رأيك وقد انتقمتَ منّي في زلّتي بجفائك فأطلق أسيرَ تشوّقي الى لِقائك فأنّني بمعرفتي بمبلَغِ حِلمك وغاية عفوكَ ضَمنتُ لنفسي العفوَ من زلّتها عندكَ وقد مسّني من الألم ما لم يشفهِ غير مواصلتك

« وكتبت زبيدة زوجة الرّشيد المتوفاة سنة ٢١٦ هـ الى المأمون »

كلّ ذنبٍ يا أميرَ المؤمنين وان عظُم صغيرٌ في جنب عفوكَ وكلّ اساءة وان

(١) ظاهر فهو من الاضداد (٢) بفتح القاف الخالص (٣) ضعف (٤) لايبليه (٥) كلاهما مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضمها الطاقة (٧) آخره (٨) الاقلام (٩) الرقاع بكسر الراء مفرده رقعة بضمها القطعة من الورق التي تكتب

جلّت يسيرة لدَى حلمك وذلك الذى عوّدَكَه الله أطال مدّتك وتمّم نعمتك وأدام بك الخير ودفع عنك الشّر والضير

وبعد فهذه رُقعةُ الوَلهى التى ترجُوك فى الحياة لنوائبِ الدّهر وَفى الممات لجميل الذّكر فان رأيتَ أن ترحمَ ضَعْفى واستكانتى وقلّة حِيلتى وأن تصلَ رَحمِى وتحتسبَ فيما جعلك الله له طالباً وفيه راغباً : فافعل — وتذكّر مَن لو كان حياً لكان شفيعى اليك

« وكتب اليها المأمون جواب المواساة الآتى »

وصلت رُقعتُك يا أمّاهُ أحاطك الله وتولاّك بالرّعاية [1] ووقفت عليها وساءنى (شهد الله [2]) جميع ما أوضحتِ فيها لكنّ الأقدار نافذة [3] والأحكام جارية والأمور متصرّفة والمخلوقون فى قبضتها لا يقدرون على دفاعها [4] والدُّنيا كلّها الى شتات [5] وكلّ حيّ الى مَمات والغدر والبغى حتف الانسان [6] والمكر راجع الى صاحبه

وقد أمرت بردّ جميع ما أخذ لك ولم تفقدى ممّن مضى الى رحمة الله الا وجهه ... وأنا بعد ذلك لك على أكثر ممّا تختارين [7] والسلام

« وكتب بعضهم »

انّى وان جَنيتُ على نفسى وخرجتُ عن حدّ الأدب فيما يجب على العبد لسيّده فانى عبدُ نعمتك وصنيع احسانك وذنبى وان عظُم وضاق باب التّوبة عن قبول المعذرة فالعفو عنه بعض حسناتِك التى فُطِرت عليها والاغضاء عنّى

(١) يعنى حفظك الله وصانك برعايته (٢) جملة معترضة يقصد بها تأكيد مايقول (٣) يعني ماقدره الله لابد ان يكون (٤) يعني ان المخلوقات مستسلمة لاحكام الله واقداره (٥) مآلها التفرق (٦) يعني ان البغي فيه هلاك الباغي (٧) يعني أقوم لك بجميع ماتحبين وزيادة

سرٌّ من أسرارك التى تميلُ اليها فاجعل العفوَ عنّى قُرْبةً الى مولى الموالى واترك العبدَ عتيقَ مكارمِ الأخلاق والا فضَعْ سيفَ نقمتك فى نَحرعبد نعمتك وأنت حِلٌّ من دمٍ أراقه أهله أو آل أمرُه الى وارثٍ لايَسعُهُ الا النّزول عن المُطالبة به : ألا وهو مقامُ جلالتكم السّامى

وحاشاك أن تُعدمَ الصّادقَ فى خدمتك بهفوة لم يقصِدها وذنبٍ أقلَعَ عنه وعلى كلٍّ فالعبدُ بين يديك وأمرُه منك واليك فقد ألقى اليك مقاليد الأجل فافعل ما تشاء واتّق الله عزّ وجلّ

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بَحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

أعاذَك اللهُ من سُوءِ الغضَب (١) وعصمَك من سَرَف (٢) الهوى وصَرَف (٣) ما أعارَك من القُوَّة الى حُبّ الأنصاف (٤) ورَجّحَ فى قلبك إيثار (٥) الأناة : فقد خِفتُ أيدك اللهُ أن أكونَ عندك من المنسوبين الى نَزَقِ (٦) السُّفهاء ومُجانبة سبُل الحكماء

وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت المتوفى سنة ٥٤ هـ

وانّ امرأً أمسى وأصبحَ سالماً من النّاس الا ما جَنَى لَسَعيدُ

وقال الآخرُ

وَمَنْ دعا الناس الى ذمّهِ ذمّوه بالحقّ وبالباطل

فان كنت اجترأت (٧) عليكَ أصلحَكَ اللهُ » فلم أجترئْ الاّ لأنّ دوامَ تغافُلك عنّي شبيهُ بالأهمال الذي يورثُ الاغفالَ والعفوُ المتتابعُ يؤْمن من

(١) حفظك (٢) مجاوزة الحد (٣) وجه (٤) جعله راجحاً (٥) اختيار (٦) طيش
(٧) أقدمت وهجمت

المكافأة ولذلك قال عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة لعثمان رحمه الله « عُمرُ كان خيراً لي منك أرهبَني فاتّقاني وأعطاني فأغناني » فان كنتَ لا تَهَبُ عِقابي « أيدكَ اللهُ » لخِدْمة فَهَبْهُ لأياديك عندي فان النّعمة تَشفع في النّقمة والاّ تفعلْ ذلك لذلك فعُدْ الى حُسن العادة والاّ فافعلْ ذلك لحُسْن الأحدوثة والا فأت ما أنتَ أهلُه من العفو دون ما أنا أهلهُ من استحقاق العقُوبة فسبحان مَنْ جعلكَ تعفو عن المتعمّد وتَتجافى عن عقاب المُصرّ حتى اذا صِرْتَ الى مَن هفوَته ذِكْرٌ وذَنْبه نسيانٌ ومن لا يعرف الشّكر الاّ لك والانعام الاّ منك هجَمتَ عليه بالعقوبة — واعلم أيدك الله أن شين غضَبك علىّ كَزَيْن صفحِك عنّي وأنّ موتَ ذِكرى مع انقطاع سبَبي منك كحياة ذكرك مع اتّصال سَبَبي بك واعلم أن لك فِطْنةَ عليم وغَفْلة كريم والسلام

﴿ الكلام على الرسائل المتداولة ﴾

هذه الرّسائل تتفرّع الى ثلاثة أقسام باعتبار الغَرض المقصود: فامّا أن تقصد بها أمور الكاتب: وامّا أمور المكتوب اليه وامّا غرضاً ثالثاً

فالأوّل يشتمل على الرّسائل التجارية والطلب والشكر والاعتذار والثاني على رسائل النّصح والملامة والاخبار والتّهنئة والتعزية والأجوبة والثالث على رسائل الوصاة والشفاعات

الفصل الثانى [1] فى رسائل الطلب

(كتب الى عُبيد الله بن سليمان أبو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ)

أنا أعزك الله وعيالى زَرْعٌ من زرعك ان أسقيته رَاعَ [2] وزكا وان جفوته ذَبُلَ وذَوَى [3] وقد مسّنى منك جفاء بعد بر واغفال بعد تعاهد حتى تكلم عدوٌ وشمت حاسدٌ ولعبت بى ظنون رجال كنت بهم لاعباً ولهم مخرساً:

لا تُهنِّى بعدَ أن أكرمتنى وشديدٌ عادةٌ منتزعه

(وكتب الوزير الخطير عبد الخالق باشا ثروت)

إليك يامَنْ قد استأسر النفوس بكرمه واسترق الأحرار بجميل صُنْعه وأولى النعم والخيرات وأسدى المعروف والمبرات أرفع كتاباً تبعثه الى ناديك العالى عواملُ الحاجة وتزجيه [4] الى ساحتك دواعى الشدة آملُ أن يكون تذكرةً بأمرى والذكرى تنفع المؤمنين وتذكرةً بحالى والله لا يضيع أجرَ المحسنين: فقد كان سيدى رفع الله قدره وأعلى مرتبته وعدنى ومثله من يتمسك من الوفاء بالعروة [5] الوثقى ويقطع حبلَ الإخلاف بسيف الوفاء ويطرز خلعة الوعد بوشى العطاء أن يُرسل لى من خيراته ويوليني من آلائه وحسناته ويضاعف لى من مننه ويزيدنى من عطائه ما أشدُّ به أزرى [6] على الزمان وأطاولُ به نوائب الحدثان [7] فقد بارزنى الدهر بسيوفه ورمانى بسهامه وأناخ [8] علىَّ بكلاكله [9] وقد طال الأمدُ [10] على حاجتى عند سيدي أطالَ

(١) والفصل الاول في الرسائل التجارية التي أغفلناها في كتابنا هذا لان لها مؤلفات خاصة بها فارجع اليها اذا شئت (٢) نما وزاد (٣) ذبل (٤) تدفعه (٥) من الحبل الوثيق المحكم (٦) ظهرى (٧) بفتح الحاء والدال أو بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر (٨) مال (٩) مصائبه (١٠) الغاية

الله بقاءه حتى طار غراب شبابها وصاح بجانب ليلها لخفت أن تكون هبت عليها ريح النسيان وعصفت (١) بها عاصفة (٢) الحدثان (٣) فكتبت إلى سيدى ومولاى تلك الرقعة أستعجل بها برّه وأستدرّ بها ضرع عطائه علماً بأن التعجيل يكبّر العطيّة وإن كانت صغيرة ويكثرها وان كانت يسيرة فعسى أن يكون قد لاح نجم النجاح وهبّ نسيم الفلاح فيرسل سيدى الىّ سحاب كرمه ويمطرنى من غياث فضله فتترف (٤) غصون آمالى بعد ذبولها بعد عبوسها وأملى فى ذلك فسيح فانّ سيدى من أكرم ومثله جدير (٥) بحفظ العهد وانجاز الوعد: فان رأى ساجة عنى ويردّ ما سلبه الدهر منّى بقطرة من بحر ، بعض آلائه (٧) ويجبر ما كسره الفقر من جناحى ويردّ تفنأ (٨) تتولاّنى عقدت لسانى على مدحه ووقفت نفسى على شكره فيحرز من الله أجراً جزيلا ومنى شكراً جميلا ـ ان شاء الله بمنّه وكرمه

« وكتب الفاضل أحمد بك رأفت »

ألسيد الكامل أدام الله علاءه وأطال بقاءه وجعله موئل (٩) الكرم ومسدى النعم قد غمرنى بنعمائه وطوقنى بآلائه حتى قصرت حمدى عليه وأمسكت لسانى عن الشكر الا اليه وكان من منّه علىّ وأياديه البيضاء لدىّ أن وعدنى أنه يقلدنى فى أول العام وظيفة عالية ومرتبة سامية فاخضلّ (١٠) روض الأمل بعد ذبوله وبزغ (١١) كوكبه بعد أفوله (١٢) واتسع نطاقه (١٣)

(١) اشتدت (٢) الريح (٣) حوادث الدهر (٤) تتلألأ (٥) حقيق (٦) نعمة
(٧) نعمه (٨) تستمر (٩) ملجأ (١٠) صار نديا (١١) طلع (١٢) غيبته (١٣) ثوبه

واستبشرَ القلبُ بنيلِ أُمنيته والحصولِ علَى طِلبته واشتدَّ أزرى (١) عَلى مُقارعة كتائب (٢) الزمان وقوِىَ جنانى عَلَى صدِّ جيوش الحِدْثان وما زالتْ بى الأيام حتى خانَ أوّلُ العام وما تحققَ الوعدُ أو أُوفى العهدُ : ومثلُ السيد مَنْ اذا وَعدَ وَفى أو تعهّد أوْفى

أفى دين ذى المعروف يجملُ أننى تَنُوء بىَ البُؤسى ويُثقلُنى العُسرُ
وأنتَ الذى أعطى المكارمَ حقها ولم يحكِ جدواكَ السَّحابُ ولا البَحرُ
فعجِّلْ لخيرُ البرِّ يحْمَدُ عاجلاً وأوْفِ فوَعدُ الحرِّ دِين به الحُرُّ

هذا ولكنّنى رجعتُ وحكّمتُ العقلَ فعذَرتُ السيد وحملتُ ذلك على أنه انما لم يُعجّلْ بانجاز وَعده وايفاء عهده الاّ لتقليد عبده وظيفةً أسمى ومرتبةً أعلى علّهُ يستدرك ما فات ويحْسِنُ الى عبده فيما هو آت

« وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد »

عهدى بالسيد الجليل أدامهُ الله مصدراً للمكارم تُشْتَقُّ منهُ صِفاتُها ومظهراً للفضائل تتجلّى فيه آياتُها سبّاقاً الى غايات المجد درّاً كما لمطالب الحمد أرْيَحيّاً (٣) لا يَصبو (٤) الاّ الى اسداء (٥) المِنَن جَواداً لا يطمع طرفه فى بثّ عوارفه الى ثَمن ما أمّه (٦) أسيرُ فاقة (٧) الاّ وألفَى (٨) لديه كهفاً منيعاً وجاهاً رفيعاً وما قصَدَه ذُو حاجةٍ الاّ وصدَرَ (٩) عن موْرد (١٠) فضله شادياً (١١) بثنائه مُعْلِناً بولائه وانَّ لى الى السيد حاجةً ان لم يُسْعِف بقضائها فياحسرةَ نفسى وطولَ شقائها وليت هذه بأوّلِ مرّةٍ أستمحتُ (١٢) فيها عالى مُرُوءته واستمطَرْتُ

(١) ظهري (٢) الجيوش (٣) يرتاح للعطاء (٤) لايميل (٥) احسان (٦) قصده (٧) فقر (٨) وجد (٩) رجع (١٠) مكان الورود (١١) مترنماً (١٢) سألته العطاء

صيِّبَ [١] همَّته فانهُ طالما طوّقنى قلائدَ نِعَمه وأرسل عليَّ مِدْرار [٢] كرمه فليجْرِ فى هذه أيضاً على عادته ويُقابلنى بما عوَّدنى من كرَامته: ومعاذَ الله أن أسأله ما ليس فى وُسعه أو أن أستقضيَه شيئاً يحرصُ على منعه: ولكنّنى

أُريد بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها   على قضاء حقُوقٍ للعُلَى قِبَلِى

والذى يكفلُ لى تلك البَسطة أن يُقلّدنى سيدى وظيفةً مناسبةً لحالتى حتى تكون لى دِرْعاً أتّقي بها مَهانة الفَقر وسيفاً أكفُّ به عَوادى الدَّهر ومالى والاقسام عليه في إنالتى هذه البُغية بنفيس وقتٍ قضيتهُ فى خدمة العلم واقتناء أبكاره وطويل عَناءٍ تحمّلته فى مزاولة [٣] الادب واكتشاف أسرَاره ونفسٍ ارتاضَت [٤] بالفَضل وآثرتْ [٥] غُصَّة الفَقر على مِنَّة البَذْل وله من سنيَّات [٦] الفضائل [٧] وعليّات الفَواضل [٨] وجليَّات المآثر وجليلات المفاخر ما لو أُقسِم به عليه فى إنالة أعزّ المطالب لألزمه كرمُ سجَاياه برَّ ذلك القَسَم واجابة دَواعي الهِممَ: وانك لفاعل ان شاء الله تعالى

« وكتب فقيد الادب حسن افندى توفيق المتوفى بلندن سنة ١٣٢٢ هـ »

كتابي الى ربّ النَّعماء واليدِ البَيضاء وقد أصبحت كما قال الحريرى خاوِىَ [٩] الوِفاض [١٠] بادىَ [١١] الانفاض [١٢] لا أملكُ بُلغة [١٣] ولا أجد فى جرابى مُضغة [١٤] قد التَوى عليَّ أمرى وثَقُلَ من حاجتى ظهرى مدّ الاحتياج اليَّ أطنابَه [١٥] وَسربلَنى [١٦] الافتقارُ إهابَه [١٧] والدُّنيا مكدِّرة بأحداثها [١٨]

---

(١) السحاب (٢) مايدر بالمطر (٣) معاناته (٤) تمرنت (٥) اختارت (٦) عاليات (٧) جمع فضيلة الدرجة العالية (٨) فاضلة النعمة الجليلة (٩) خالي (١٠) بكسر الواو جراب الزاد (١١) ظاهر (١٢) فناء الزاد والمال (١٣) بضم الباء المؤنة القليلة (١٤) انتهى كلام الحريري (١٥) حبال الخيمه (١٦) البسنيه قميصاً (١٧) جلده (١٨) مصائبها

وقُصورُها مُنغّصةٌ بأجداثها (١) نعيمها يَضفُو (٢) ولكن لا يَصفو وأنت كما أعلم مُفرّجُ كُرْبتي ومُنقذي من شدّتي ، بطُرفة (٣) من طُرف رِفدك (٤) ولَمْحةٌ من لمحات برّك (٥) فان استدرَرْتُ (٦) حَلوبة (٧) مالك فقد لاذ غيري بجاهك ما يَمّمْتُ (٨) غيرَك وكيف يَقصد النهر من جاوز البحرَ ويحتاجُ الى النّجم من يَسْرى في ضوء البدر فأستهزُ عِطف (٩) جُودك وأستمطرُ سحاب كرمك كيف وأنت قِبلةُ المعروف :وملاذُ الملهوف اليك تُشدُّ الرِّحال وبك تُناط الآمال أولياؤكَ منك في ظِلّ ممدود وهناء وسُعود أفأنت الشّمس عمّت بالاشراق أو الغيث والى الاندفاق — لكن

مَنْ قاسَ جَدْواك يوماً بالسُّحب أخطأ مدْحَك
فالسُّحبُ تُعطي وتَبكي وأنت تُعطي وتضحك

نَسَبُ الكرم بك عَريقٌ وروض المجد أنيقٌ أصلٌ راسخٌ وفرْعٌ شامخ تهتزّ للمكارم اهتزازَ الحُسام وتَثبُتُ أمامَ الشّدائد بثغرٍ بسّامَ

تَراه اذا ما جئتَهُ مُتَهَلّلاً كأنّك تعطيه الذى أنتَ سائلهُ

حكّمتَ الآمالَ في أموالك واستَعبدتَ الأحرار بفعالك ينابيع الجود من أناملك تَتفجّر وربيع السّماح بك ضاحكٌ لا يَضجَر فلا زلتَ مولاىَ ممتّعاً بشرف سجاياك وشِيَمك مُستمدًّا الشكر من غِرَاس نعمك ولا زالَت الأنام تنتفع بتلك الشِّيَم وتجني ثِمارَ ذلك الكرم ودُمتَ للمكارِم بدر تِمّ لا يناله خسوف وشمسَ فضلٍ لا يَلحقُها كسوف : أطال الله لك البقاء كتطوّل يديك بالعطاء آمين

---

(١) قبورها (٢) يكثر (٣) بنعمة (٤) عطائك (٥) احسانك (٦) استحلبت (٧) ماتحلب (٨) ماقصدت (٩) جانب

الفصل الثالث فى رسائل الشكر

« كتب أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

الشكر تُرْجمان النّية ولسانُ الطّوِيّة وشاهدُ الاخلاص وعُنوان الاختصاص عندى من انعامه وخاصّ برّه وعامّه ما يستغرق منه الشكر ويستنفدُ قُوّة النّشر شكر الأسير لمن أطلَقهُ والمملوك لمن أعتقهُ شكر كأنفاس الأحباب فى الأسحار أو أنفاس الرّياض غِبّ الأمطار

من بن وهب المتوفى سنة ٤٧٢ هـ »

رفعتهُ اليها أو نَزْوَة أقدرتَهُ عليها فانّ شكرى لك على مُهجةٍ أحييتَها وحشاشةٍ أبقيتَها ورَمَق أمسكتَ به وقُمتَ بين التّلف وبينه فلكلّ نِعمة من نِعَم الدّنيا حدٌّ تنتهى اليه ومدًى تقفُ عنده وغايةٌ من الشكر لا يَسْمو اليها الطرْف خلاَ هذه النّعمةَ التى فاقت الوَصف وأطالت الشكر وتَجاوَزَت قدْره (وأنتَ من وراء كلّ غاية رَددتَ عنّا كيد العدُوّ وأرغمْتَ أنف الحسود) فنحن نَلجأ منك الى ظلّ ظَليل وكنَف [1] كريم فكيف يَشكرُ الشّاكر وأين يبلغُ جُهْد المجتهد

(وكتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)

فأمّا الشكرُ الذي أعارَنى رِداءهُ وقلّدَنى طَوْقه وسناءه [2] فهيهات أن ينتسب الاّ الى عاداتِ فضله وافضاله أو يَسيرَ الاّ تحتَ رَايات عُرْفه [3] ونَوَاله [4] وهو ثوبٌ لا يَحلَي الاّ بذكرِه طرازُه واسمٌ له حقيقته ولواة

(١) جانب (٢) رفعته (٣) معروفه (٤) عطائه

مجازه ولو أنه حين ملك رقي بأياديه وأعجز وسعي عن حقوق مكارمه ومساعيه خلى لي مذهب[١] الشكر وميدانه ولم يجاذبني زمامه وعنانه لتعلقت في بلوغ بعض الواجب بعروة طمع ونهضت فيه ولو على وهن وظلع[٢] ولكنه يأبى الا أن يستولى على أمد الفضائل ويتسنم[٣] ذرا[٤] الغوارب[٥] منها والكواهل[٦] فلا يدع في المجد غاية إلا سبق اليها فارطاً[٧] وتخلف سواه عنها حسيراً[٨] ساقطاً لتكون المعالى بأسرها مجموعة فى ملكه منظومة فى سلكه خالصة له من دعوى القسم وشركه[٩]

(وكتب أستاذى الحكيم الشيخ محمد عبده[١٠] الى حافظ بك ابراهيم)

لو كان بى أن أشكرك لظن بالغت فى تحسينه أو أحمدك لرأى لك فينا أبدعت فى تزيينه لكان لقلمى مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك ويجرى فى الشكر الي الغاية كما يطلبه فضلك لكنك لم تقف برفدك[١١] عندنا بل عممت به من حولنا وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا زففت الى أهل اللغة العربية عذراء من بنات الحكمة الغربية سحرت قومها وملكت فيهم يومها ولا تزال تنبه منهم خامداً وتهز فيهم جامداً بل لا تنفك تحيى من قلوبهم ما أماتته القسوة وتقوم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة[١٢] حكمة أفاضها الله

---

(١) الطريق (٢) كلاهما الضعف (٣) يعلو (٤) اعالي (٥) جمع غارب ما بين الظهر والعنق (٦) جمع كاهل ما بين الكتفين (٧) سابقاً (٨) كليلا (٩) مشاركته (١٠) هو الاستاذ الامام المرحوم مفتي الديار المصرية سابقاً ولد سنة ١٢٥٨ وتوفي سنة ١٣٢٣ وكتب هذا المكتوب شكراً لمترجم كتاب البؤساء وقد نظم قصيدة اثناء مرضه منها

ولست أبالى أن يقال محمد ابل أو اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد اردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

(١١) المعروف (١٢) بالكسر والضم القدوة

على رَجل منهم. فهدى الى التقاطها رَجلا منّا فجرّدها من ثوبها الغريب وكساها حُلّةً من نَسْج الأديب وجلاها للنّاظر وحلاّها للطّالب بعد ما أصْلَحَ من خَلْقها وزان منْ مَعارفها حتى ظهرت مُحبّبة الى القلوب رشيقة (١) الى مؤانسة البصائر تهَشّ (٢) للفهم وتبَش (٣) للطف المذوق وتُسابق الفكرَ الى موطن العلم فلا يكادُ يلحظُها الوهم الا وهي من النّفس في مكان الالهام

حاوَلَ قومٌ من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعجم مَبلغك فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطّريق ووصل منهم فريق الى ما يحبُّ من مقصده ولكنّه لم يعْن بأن يُعيد الى اللغة العربيـة ما فقـدت من أساليبها ويردّ اليها ماسلبَهُ المعتدون عليها من متانة التّأليف وحُسْن الصّياغة وأرتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه — أمّا أنت فقـد وفّيْت من ذلك مالا غاية لمريدٍ بمده ولا مَطمَع لطالب أنْ يَبْلغ حدّه . ولو كنتُ ممن يقول بالتّناسخ لَذهبْتُ الى أن روح « ابن المُقفّع » كانتْ من طيّبات الأرواح . فظهرتْ لك اليوم في صورَة أبدَع ومعنى أنفع ولعلك قد سنَنْت بطريقتك في التّعريب سنّة يعمل عليها من يحاوله بعـد ظهور كتابك ويحملها الزّمان الى أبناء ما يُستقبَلُ منه فتكون قد أحسنت الى الأبناء كما أجملتَ في الصّنع مع الآباء وحكَمت للّغة العربيـة أن لا يدخلها بعـدُ مِن العُجْمة ما هو في الأسماء أسماءِ الأماكن والأشخاص لا أسماء المعاني والأجناس: ومثلي مَن يَعرف قَدْر الأحسان اذا عَمّ ويُعلي مكان المعروف اذا شمِلَ ويتمثّل في رأْيه بقوله

ولو أني حُبيتُ الخلدَ فرْداً لمَا أحببتُ بالخُلْدِ انفرادا

(١) لطيفة (٢) بفتح التاء تصل اليه بسهولة (٥) بفتح الباء من البشاشة

فلا هَطَلَت عليَّ ولا بأرضي سَحائبُ ليسَ تنتظِم البلاَدَا

فما أعجزَ قلمي عن الشكر لك وما أحقك بأن ترضى من الوَفاء باللقاء

« وكتب أيضاً فى الشكر مع توثيق المودة الى بعض أصحابه »

لكَ فى قلوبنا من المودّة ما يزكيه سناؤك وفى مناطقنا من الحمد ما يُوجبه كما لُكَ وفى صُدورنَا من الإجلال ما يرفعهُ بَهاؤك وما بيننَا من المودّة لا تحدُّه مُده ولا تخلُق له جِدَّه نعيذهُ من حَاجة للتّجديد واستدعاء للمزيد فلا المواصَلة تُربيه ولا المجاهلة تُوهيه: نَعَمْ ان ما يحفظ لك فى الأنفس هو تجلّى فضائك ومثالُ علائك ونبلك وذلك الخالدُ بخلودِ الأرواح البَاقى فى تفانى الأشباح

وبَعدُ فقدتلقيتُ منك كتاباًيبوحُ بسرّ المحبّة وينشرُ طىّ الصداقة فيه تبيان وُجدانك ممّا وَجدْنا وتأثركَ على مافقدنا فكان نبأعما نعلمُ وقضاءبما نحكمُ ولكن شكرْنا لك فضلَ المرَاسله وأريحيّة المجاملةوالله يتولّى ايفاءك مثوبةً تكافئُ وفاءك

« وكتب أيضاً فى الشكر لآخر »

لوكان فى الثّناءِ وملازمةِ الدّعاءِ وحفظِ الجميل والقيامِ بالخدمة جُهدَ المستَطيع مايَفى بشُكرِ مَنْ يفتتح باب المحبّة ويَبدأ بصنَائع المعرُوف لكنت والحمد لله من أقدر النّاس عليه ولكنْ أنّى يكونُ في ذلكَ وفاء والمحبة سِرُّ نظام الأكوان والأحسانُ قِوَام عَالَمَ الأمكان والقائمُ على كُنْهِ جميعِهِ قَيُّومُ السّموات والأرض والمفتتحُونَ لأبواب العرف على هذه النسبة الجليلة منه فليس لى الا أن ألجأ الى الله فى مكافأة فضيلتكم على ما كان منكم أيام الأقامة بينكم ثم أسلّى نفسى عن عجزى بما أتخيَّلُ أن كرمكم سيروي :

سيكفى الكريم إخاء الكريم ويقنع بالودّ منه نوالا

وبعدَ هذا أَرجو عفوكم عن التّقصير فى المبادرة الى المكاتبة لأنّى شغُلت بما شغلنى عن نفسى ولكن زالت العوارض والحمد لله: وفاتنى لهذا العذر تهنئتكم بالعيد: وانما للمؤمن فى كل يوم بربّه عيد فتهنّئكم برضاء الله عنكم وتقبّلهِ صالح الاعمال منكم: وسلامى على مجلسكم ومن ينتمي اليكم

الفصل الرابع فى رسائل النصح والمشورة

(كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

اسمَعْ نصيحةَ ناصحٍ　　جمَعَ النَّصيحةَ والمِقَه [١]

اياكَ واحذَرْ انْ تكو　　نَ مِنْ الثِّقَاتِ عَلَى ثِقَة

صدَقَ الشاعرِ وأجاد وللثّقات خيانة فى بعض الأوقات: هذه العَيْنُ تُريك السَّرابَ [٢] شَراباً وهذه الاذُنُ تُسْمِعُكَ الخطأ صوَاباً فلست بمعذور ان وَثِقت بمحذور وهذه حالةُ الواثق بعَينه السامعِ بأُذُنه وأرَى فلاناً يكثِر غشْيانك [٣] وهو الدنيءِ دُخلتُه [٤] الرَّديءِ جُملتُه السّيِّئ وُصلتُه الخَبيثُ كامتُه وَقد قاسَمتَه فى زرّكَ [٥] وجعلتَه موضعَ سرّكَ فأرنى موضعَ غلطك فيه حتى أُرِيك موضعَ تَلافيه [٦] أفظاهرُهُ غرّكَ أم باطنُه سَرّكَ

يامولاى يُوردُك [٧] ثم لا يُصدِرُك [٨] ويُوقِعُك ثم لا يَعذُرُك فاجتنبه ولا تقرَبه وإن حضر بابَك فاكنُسْ جنابَك [٩] وان مسّ ثوبك فاغسل ثيابك

---

(١) المحبة (٢) ماتراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وهو مثل في المخادع والكاذب (٣) اتيانك (٤) بتثليث الدال نيته (٥) قوام القلب (٦) تداركه (٧) يوصلك الى مكان ورود الماء (٨) لايرجعك (٩) الفناء والناحية

وان أصيق بجلدك فاسلخ إهابك ثم افتتح الصلاة بأمنه واذا استدت بالله من الشيطان فأعنه (١)

« وكتب الاسكندر المقدونى الى استاذه الحكيم أرسطو »

(يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم)

عليك أيها الحكيم منا السلام أما بعد فإن الأفلاك الدائرة والعلل السماوية وان كانت أسعدتنا بالأمور التى أصبح الناس لنا بها دائنين فانا مضطرون الى حكمتك غير جاحدين افضالك والاجتباء (٢) لرأيك لما بلونا من أجداء (٣) ذلك علينا وذقنا من جنى (٤) منفعته حتى صار ذلك وبنجوعه (٥) فينا وترسخه فى أذهاننا كالغذاء (٦) لنا فما ننفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحار وقد كان مما سبق الينا من النصر وبلغنا من النكاية فى العدو ما يعجز القول عن وصفه والشكر على الانعام به وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض سورية والجزيرة الى أرض بابل وفارس فلما نزلنا بأهلها لم يكن الا ريثما (٧) تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هدية وطلبا للحظوة عندنا فأمرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلة ارعوائه ووفائه ثم أمرنا بجمع من كان هنالك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوى الشرف منهم ، فرأينا رجالا عظيمة أجسامهم وأحلامهم (٨) حاضرة ألبابهم وأذهانهم رائعة (٩) مناظرهم ومناطقهم دليلا على أن وراء ذلك مالم يكن معه سبيل إلى غلبتهم لولا أن القضاء أدالنا (١٠) منهم وأظهرنا (٣) عليهم ولم نر بعيداً من الرأى

(١) اقصده (٢) الاختيار (٣) اعطاء (٤) مايجنى ويؤخذ من التمر (٥) بتأثيره (٦) بكسر الغين ما يتغذى به (٧) مقدار ما (٨) جمع حلم بكسر الحاء العقل وبضمها المنام (٩) زائدة (١٠) جعل لنا الكرة عليهم

فى أمرهم أنْ نَستأصِلَ (١) شأفتَهم (٢) ونجتثَّ (٣) أصلَهم ونُلحِقَهم بمن مضى من أسلافهم لِتَسكُنَ القلوبُ بذلك الى الأمن من جرائرهم (٤) وبوائقهم (٥) فرأينا أنلا نعجل ببادرة (٦) الرأى فى قتلهم دون الاستظهار بمشورتك فيهم؟؟

فارفع الينا رأيكَ فى ما استشرناك فيه بعد صِحَّته عندك وتقليبك إيّاه بجَلِيّ نظرك

والسلام على أهل السلام فليكنْ علينا وعليك

« وكتب أرسطو المتوفى قبل الميلاد سنة ٣٢٢ إلى الاسكندر المقدونى »

إنّ لكلّ تُربة ولا محالةَ قسماً من كل فضيلةٍ وإنّ لفارس قسمها من النَّجدة والقوّة وإنك إنْ تقتل أشرافهم تُخلِّف الوُضعاء منهم على أعقابهم وتورثْ سَفِلَتهمْ (٧) منازلَ عِليَتهم وتُغلِّب أدنياءهم على مراتب ذوى أخطارهم ولم تبتلِ الملوكُ قط ببلاءٍ هو أعظمُ عليهم من غلبةِ السفلة وذُلّ الوجوه واحذر الحذر كلّه أنْ تمكّن تلك الطّبقة من الغلبةِ فانّهم إن نجم منهم ناجمٌ على جُندك وأهلِ بلادك دهمهمْ مالا رَوِيّة فيه ولا منفعةَ معه فانصرفْ عن هذا الرأى إلى غيرِه واعمِدْ إلى مَنْ قِبَلَك من العُظَماء والأحرار فوزّع بينهم مملكتَهم وألزِمْ اسم الملك كلّ مَنْ ولّيتَه منهم ناحيةً وأعقد التّاجَ على رأسه وإن صغُر مُلكه فان المتَسمّي بالملك لازمٌ لاسمه والمعقودَ له التّاجُ لا يخضعُ لغيره ولا يلبث ذلك أن يُوقعَ بين كلّ ملك منهم وصاحبه تدابُراً وتغالباً على المُلك وتفاخُراً بالمال والجُند حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك وتعود بذلك

(١) نقطع (٢) عداوتهم (٣) تقتلع (٤) كناية عن شرورهم (٥) الدواهي (٦) مايظهر عند الغضب (٧) بفتح السين وكسر الفاء السقاط من الناس وبعض العرب يخفف فينقل كسرة الفاء الى السين

حربهم لك حزباً بينهم ثمَّ لا يزدادون بذلك بصيرةً إلاَّ أحدثوا هنالك استقامةً لك فإن دنوتَ منهم كانوا لك وإن تأيتَ عنهم تعززوا بك حتى يثب كلٌّ منهم على جاره باسمك وفى ذلك شاغلٌ لهم عنك وأمانٌ لأحداثهم بعدك (وإن كان لا أمانَ للدهر) وقد أديتُ للملك ما رأيتهُ حظًّا وعليّ حقًّا: والملكُ أبعدُ رويَّةً وأعلى عيناً فى ما استعان بى عليه

والسلام الذى لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غايةَ ولا فناء فليكنْ على الملك

(ومن رسالة للامام على المتوفى سنة ٤٠ هـ)

دع الإسرافَ مُقتصداً واذكرْ فى اليوم غدًا وامسكْ منَ المَال بقدْر ضرُورتك وقدِّم الفَضْل [١] ليوْم حاجتك أترجو أن يُعطيَك الله أجرَ المتواضِعين وأنت عنـدهُ من المتكبّرين أو تطمعُ وأنت متمرِّغ فى نعيم تمنعه الضعيفَ والأرْملة أن يُوجبَ [٢] لك ثواب المتصـدّقين

وانما المرء مَجزىٌّ بما أسلف [٣] وقادمٌ على ما قدّم : والسلام

« وكتب أيضاً كرم الله وجهه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما »

أما بعدُ فانَّ المرء قد يَسُرُّه دَرَكُ ما لم يكن ليفُوته ويسُوءهُ فوْتُ ما لم يكن ليُدْركه فليكنْ سرُورك بما نِلْتَ من آخرتك وليكن أسَفكَ على ما فاتَ منها وما نِلت من دُنياك فلا تُكثرْ فيه فرحاً وما فاتك منها فلا تأسَفْ عليه جزعاً وليكن همُّك فيما بعد الموت

---

(١) مافضل عندك من مال وأعمال فقدمه (٢) ان ومدخولها مجرور بحرف جر محذوف متعلق يتطمع (٣) قدمه في سالف أيامه

(وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ)

لا حولَ ولا قوّة الاّ بالله اشتَبهَ المراقِبُ باللاهِ [١] واستبدِلَ الحُلوُ بالمُرّ وقدّمَ الرقيقُ على الحُرّ وبيعَ الدُّرُّ بالخزَف والخزُّ بالخشْف [٢] وأظهرَ كلُّ لئيم كِبْره إنّ في ذلك لَعِبرَه: سمعًا سمعًا فالوُشاة إن سَمِعوا لا يعقلوا ويحبّون أن يحمَدُوا بما لم يفعلُوا فكيف تشترُون منهم القار [٣] في صفة العَنبر وقد بدَت [٤] البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدُورُهم أكبر وكيف تسمعُ الأحباب لمن نَهَى منهم وزَجرَ ولقد جاءهم من الأنباء [٥] ما فيه مُزْدَجَر [٦] عَجِبْتُ لهم وقد دخلُوا دارنَا وهم عنها معرضون فلما أحسُّوا بأْسنَا اذا هم منها يَرْكُضون فقابلوهم بنبَال الطرْد في الأعناق حتى اذا أثخَنْتُمُوهم [٧] فشدُّوا الوثاق [٨] أيدخلون بما لاينفع في بيوت أذنَ اللهُ أن تُرفَع سيعلمون مقام الهُبوط والعرُوج [٩] يَوْمَ يسمعون الصيحةَ بالحقّ ذلك يَوْمُ الخرُوج ويقولون إذا لم يَجدُوا ملاذاً ياوَيلنا قد كنّا في غفْلةٍ من هذا فانهم عزمُوا على الإقامة مُدّه ولو أرادُوا الخرُوج لأعدُّوا لهم عُدّه [١٠] وأنت ياعزيزَ العليا ووحيد الدُّنيا قد بيّنتُ لك فعلهم فبِما [١١] رَحمة من اللهِ لنتَ لهم ولكنهم طَمِعوا في نعيم طَوْلك [١٢] ولو كنت فظًّا [١٣] غليظَ القلب [١٤] لانفَضّوا [١٥] من حوْلك أتراهم يعقلُون كلامك أم يَفهَمون: لَعمرُك [١٦] إنهم لفي سَكْرَتِهم يعمهون [١٧] لهم قلوبٌ لا يَدرُون بها للحسَد قرارا لو اطّلعت

(١) باللاهي (الذي يكون ملهياً) (٢) بفتح الخاء أو بضمها الرديء من الصوف (٣) الزفت (٤) ظهرت (٥) الاخبار (٦) النهي بشدة (٧) اكثرتم القتل فيهم (٨) مايربط به (٩) الطلوع (١٠) ماأعده الانسان لحوادث الدهر من المال والسلاح (١١) فبرحمة وما للتوكيد وبالدلالة على ان لينه ماكان الا برحمة من الله (١٢) احسانك (١٣ سيء الخلق (١٤) قاسيه (١٥) لتفرقوا (٢٦) لحياتك واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف تقديره قسمي (١٧) يتحيرون

عليهم لو ولّيتَ منهم فراراً وانى قد شيّدْتُ[1] لك بقلبي حصناً[2] صعبا[3] فما اسطاعوا أن يَظهروه[4] وما استطاعوا له نقْبا[5] نسيت بالعاذل[6] جميلَ الصَّوْت[7] وأنكره ما أنسانيهِ إلا الشيطانُ أن أذكره[8] رميت أيها العاذلُ بسيف الغَدْر فى نحرك أجئتَنا لتُخرجنا من أرضنا بسحرك فانلم ترجع عن السّحر وفعله فلنأتينّك بسحرٍ مثله كيف يسعى العاذلُ بين النَّديم والفهِ وقد خلتِ النّذُرُ من بين يديه ومن خلفهِ فياسادتى دعُونى من المعْجبِ والمُطرب ليس البرَّ أن تولُّوا وجوهكم قبلَ المشرق والمغرب واجعلوا سيف ثباتكم للعذال مسْلولا وأوفوا بالعهد انّ العهدَ كان مسئولا فانهم ان قالوا كذَب النّديم أو بَطر سيعلمون غداً من الكذّاب الأشِر[9] وها قد صار أمرُ الحزبين عندك جليًّا أىُّ الفريقين خير مقاما وأحسنُ نديّا[10] أتظنُّ عهدَ العاذل عند غضبك لا يُنكث[11] مثلهُ كمثَل الكلب إن تحملْ عليه يلهثْ على أنه لكم عدوٌّ كبير ففرّوا الى الله انّى لكم منه نَذير فانه جمع لقتالك الأولاد والأحفاد[12] وآخرين مقرّنين[13] فى الأصفاد[14] تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم الى يوم يلقونه: وظنّى أن وصل اليك كتابي انهم يُطرَدُون ويُرْدَعون وحرامٌ على قرْية أهلكناها أنهم لا يرجعون أيُعجبك إذا مشى هذا اللّاه ثانىَ عطفه[15] ليُضلَّ عن سبيل[16] الله وإنك وإن فرحتَ بعلم ما يجهلون قد نعلمُ

(١) زينت (٢) موضعاً حصيناً (٣) لايقدر احد ان يدخله والمراد المبالغة في تحصين المحبة (٤) لايقدرون أن يعلوا ظهره لارتفاعه ونعومته (٥) خرقا لصلابته وسمكه (٦) اللائم (٧) الذكر الجميل ولايستعمل الصوت بهذا المعنى الا في الجميل (٨) انساني ذكره (٩) المتكبر (١٠) مجلس القوم (١١) لاينقض (١٢) أولاد الابناء (١٣) مشدودين (١٤) القيود (١٥) لاوى عنقه تكبرا (١٦) عن دين الله

إنهُ ليُحزِنُكَ الذي يقولون: فان قلتَ إن اجتماعي بهم لأجل الصَّدقة أو شيءٍ من هذا القبيل إنما الصَّدقات للفقراء والمساكين والعاملين [١] عليها والمؤلَّفة قلوبُهم [٢] وفي الرِّقاب [٣] والغارمين [٤] وفي سبيل الله [٥] وابن السَّبيل [٦] على أنهُ لا تحلُّ الصَّدقة لذَميم [٧] همَّازٍ [٨] مشَّاءٍ بنميم [٩] وطباعُهم كما تعلمُ مُنكَرَةٌ مستقذَرة كأنهم حُمُرٌ [١٠] مستنفِرَة [١١] فرَّت من قسوَرَة [١٢] وقد قال (وفائي) خاطبْ عزيزك هذه المرَّة وإن لم يَعملْ فيك فكرًا وما يُدْرِيك لعلَّهُ يزَّكَّى [١٣] أو يذَّكَّرُ فتنفعه الذِّكري فقال (لساني) إن الودَّ هو الرَّسول المأمون فأرسله معي رِدْءًا [١٤] يصدِّقني إني أخافُ أن يكذِّبون فقلتُ سيرُوا مع المحبَّة ذات الفتُوَّة [١٥] ولا تكونوا كالتي نقَضتْ غزْلها من بعدِ قوَّة وقولوا له عند الغاية قد جئناك بآية ولا تهابوا الجيشَ وان كبر سيُهزَمُ الجمعُ ويولُّون الدُّبر [١٦] ولا تظنُّوا من ظاهر الأمر حلولَ البلوى إذ أنتم بالعُدْوة [١٧] الدُّنيا [١٨] وهم بالعُدْوَة القُصْوَى [١٩] بل قاتلوهم قتال المستشهِدين وليَجدُوا فيكم غِلظَةً واعلموا أن الله مع المتَّقين واذا اشتبكَ القتالُ فليَدْبُ كلٌّ منكم على موْلاه [٢٠] وإن جَنَحوا [٢١] للسَّلم [٢٢] فاجنحْ لها وتوكلْ على الله ... فسيرُوا ودَعُوا الأولاد والجُنة [٢٣] وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنَّة

(١) السعاة الذين يقبضون الصدقات بامر الحاكم (٢) أشراف من العرب كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفهم للاسلام (٣) المكاتبون من العبيد (٤) من تحملوا الدين (٥) الفقراء في الجهاد (٦) المسافر المنقطع عن ماله (٧) القبيح والمراد قبيح الفعال ذميم الخصال (٨) عياب يعيب الناس (٩) ساع بالنميمة والفساد (١٠) جمع حمار (١١) نافرة (١٢) الاسد (١٣) يتطهر من الذنوب (١٤) معينا (١٥) الكرم (١٦) الظهر (١٧) بضم العين وكسرها جانب الوادي (١٨) القربى (١٩) البعدى (٢٠) صاحبه (٢١) مالوا (٢٢) الصلح (٢٣) المراد بها هنا النساء واصلها ما تغطي بها المرأة وجهها

ولا تسألوا عن المِيرَة [١] من أصله وإن خِفتم عَيلةً [٢] فسوف يُغنيكم الله مِن فضله فان الله قد أثاركم [٣] لقتال العذَّال العائبين ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم [٤] فينقلبوا خائبين واحملوا عليهم فانهم متى طعنوا في جنوبهم رضوا أن يكونوا مع الخوالف [٥] وطبع [٦] الله على قلوبهم ولا تُدبروا إذا رأيتموهم قُدامكم [٧] إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وإن أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها فإما منًّا [٨] بعدُ وإما فداء حتى تضع الحربُ [٩] أوزارها [١٠] فان أطعتم رُفعتم وأصلح الله بالكم وان تتولّوا يستبدلْ قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم وسأتلو في خُطبتكم عند قدومكم سالمين فقُطع دابرُ [١١] القوم الذين ظلموا والحمدُ لله ربِّ العالمين

« وكتب أستاذي الامام الحكيم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ »

عرَض لي ما منعني منْ قرَاءة الجرائد نحوَ أسبوعٍ وكنتُ أسمعُ فيه بحادثة (ميت غَمر) من بعض الأفواه أظنها من الحوادث المُعتاد وقوعها حتى تمكّنتُ من مُراجعة الجرائد ليلةَ الخميس الماضي فاذًا لهبُ ذلك الحريق يأكل قلبي أكلهُ لجسوم أولئك المساكين سكان (ميت غمر) ويصهرُ [١٢] من فؤادي ما يصهرُه من لحومهم حتى أرقتُ [١٣] تلك الليلةَ ولم تُغمِّض عيناي الا قليلاً وكيفَ ينامُ مَن يبيت يتقلَّبُ في نعم الله وَلهُ هذا العددُ الجمُّ من إخوةٍ وأخواتٍ يتقلَّبون في شدَّة البأساء [١٤] فأردت أن أبادرَ بما أستطيع من المعونة

(١) جلب الطعام (٢) فقرا (٣) نشركم (٤) يهزمهم وينلهم (٥) النساء (٦) كناية عن إعماء بصائرهم (٧) سابقيكم (٨) تمنون عليهم باطلاقهم من غير شيء (٩) أهل الحرب (١٠) أثقالها من سلاح وغيره (١١) اهلكوا عن آخرهم (١٢) يذيب (١٣) سهرت (١٤) الضرر والفقر

وما أستطيعهُ قليلٌ لا يغني من الحاجة ولا يكشفُ البلاء ثم رأيتُ أن أدعوَ جمعاً من أعيان العاصمة ليشاركوني في أفضل أعمال البرّ في أقرب وقت وكان ذلك يومَ السبت فحضر منهم سابقون وتأخر آخرون وكتبَ بعضهم يعتذرون فشكرَ اللهُ سعيَ من حضرَ وجزى خيرًا مَن اعتذر وغفرَ لمنْ تأخر .. على أنهُ ليسَ الحادثُ بذي الخطب اليسير فالمُصابون خمسةُ آلاف وبِضعُ[1] مئين منهمُ الأطفالُ الذين فقدوا عائليهم[2] والتجارُ والصنّاعُ الذين هلكتْ آلاتهم ورؤوسُ أموالهم ويتعذّر عليهم أن يتدئوا الحياة مرّة أُخرى إلا بمعونةٍ من اخوانهم وإلا أصبحوا متلصّصين أو سائلين والذين فقدوا بيوتهم ولا يجدون ما يأوُون اليهِ ولا مال لهُم يُقيمون ما يؤويهم من مثل بيوتهم المتخرّبة لهذا رأيتُ ورأى كلٌّ من تفكّرَ في الأمر أن يُجمَعَ مبلغٌ وافرٌ يتمكّنُ به من تخفيف المُصاب عن جميع أولئك المنكوبين

« وكتب أيضاً في الغرض المذكور »

قد بلغكم ولا ريبَ من أخبار الجرائد ما عليه أهلُ (ميت غمر) بعد الحريق الذي أصابَ مدينتهم فهم بلا قوتٍ ولا ساترٍ ولا مأوى فليتصوّر أحدُكُم أنَّ الأمرَ نزَلَ بساحته أفما كان يتمنّى أن يكونَ جميعُ الناس في معونته فليُطالِبْ الآن كلٌّ مِنّا نفسَهُ بما كان يُطالبُ به الناسَ لوْ نزل به مانزَل بهم وليحقق مما لهُ ما يدفعُ اللهُ به عنهُ مكروهَ الدّهر ... فأرجو من همتكم أن تدفعوا شيئاً منْ مالكم في مساعدة إخوانكم وأن تبذلُوا مافي وُسعكم لحثّ مَنْ عندكم على مشاركتكم في هذا العمل: والسلام

(١) بكسر الباء أو بفتحها مابين الثلاث الى التسع (٢) من ينفقون عليهم

الفصل الخامس في رسائل الملامة والعتاب

« كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ »

لَئِنْ ساءَني أنْ نلتني بمَسَاءَةٍ   لقدْ سَرَّني أنّي خَطَرْتُ بِبالِكِ (١)

أَلأميرُ أطالَ اللهُ بقاءَهُ في حالَيْ برّه وجفائه متفضّل وفي يومَيْ إدنائه وإبعاده متطوّل وَهنيئاً له من رِحانا ما يَحُلُّه (٢) ومن عُرانا ما يحلّه (٣) ومن أعراضنا ما يستَحلّه: بلغني أنه أدام اللهُ عِزّه اسْتزادَ (٤) صنيعه (٥) فكنت أظنني مجنياً (٦) عليه مُساءً اليه فاذا أنا في قرارة الذّنْب وَمثارَة (٧) العتْب ولَيْت شعْري (٨) أيُّ محظورٍ (٩) في العشْرَة حضرْته أوْ مفروضٍ من الخدمة رَفضتُهُ (١٠) أو واجبٍ في الزّيارة أهملْتهُ وهل كنت الأضيفا أهداهُ منزعٌ (١١) شاسِع (١٢) وأدّاه أملٌ واسع وحداه (١٣) فضلٌ وان قلَّ وهداه رَأيٌ وان ضَلّ ثم لم يُلْقِ الاّ في آل ميكال رَحله (١٤) ولم يصِلْ الاّ بهم حبله ولم ينظمْ الاّ فيهم شِعره ولم يقفْ الاّ عليهم شكره: ثم ما بعدَتْ صُحْبةٌ الاّ دنتْ مهانة ولا زادتْ حرْمةٌ الاّ نقصتْ صيانة ولا تضاعفتْ منّةٌ الا تراجعتْ منزلة ولم تزَل الصّفة بنَا حتى صار وابلُ (١٥) الأعظام قَطْرَة وعاد قميص القيام صدْرَه (١٦) ودخلتُ مجلسه وحوْله من الأعداء كتيبةٌ (١٧) فصار ذلك التّقريبُ ازْوراراً (١٨) وذلك

---

(١) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر المشهور بابن الدمينة من قصيدة والخطاب لمؤنث (٢) ينزل فيه (٣) يفكه (٤) زاد (٥) معروفه واحسانه (٦) المؤاخذة بجنايته (٧) مكان الثوران (٨) ليتني اشعر واخبر بالحقيقة والواقع (٩) ممنوع (١٠) أبطلته (١١) مصدر ميمي بمعنى البعد (١٢) البعيد (١٣) ساقه ودفعه (١٤) ما يأخذه المسافر من الاثاث وحوائج السفر (١٥) المراد به الكثير من الانعام وأصله المطر الكثير (١٦) ثوب يلبس فيغطي الصدر (١٧) جماعة (١٨) انحرافاً

السّلاَم اختصاراً والاهتزاز إيماء والعبارةُ إشارة وحين عاتبته آملُ إعتابه [١] وكاتبته أنتظرُ جوابه وسألته أرجو ايجابه أجاب بالسكوت فما ازددْتُ له الاَّ وَلاء وعليه ثناء ولا جَرَمَ [٢] انيّ اليومَ أبيضُ وَجه العهد واضحُ حجّة الودّ طويلُ لسان القول رَفيعُ حكمِ العُذر وقد حمّلتُ فلاناً من الرّسالة ما تجافى القلمُ عنه والأميرُ الرّئيس أطال الله بقاءه يَنْعَمُ بالأصغاء لما يُوردُه مُوَفّقاً ان شاء الله عزّ وجلّ

« وكتب أيضاً الى القاسم الكرجي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ »

أنا أطال الله بقاء سيدى ومولاى وان لم ألقَ تطاوُل الاخوان الاّ بالتّطوُّل وتحاملَ الأحرار الا بالتّحمُّل أُحاسبُ مولاى أيّده الله على أخلاقه ضَناً [٣] بما عَقَدْتُ يدى عليه من الظنّ به والتّقدير فى مذهبه : ولولا ذلك لقلت فى الأرض مجالٌ ان ضاقت ظلاَلك [٤] وفى الناس واصلٌ ان رثّتْ [٥] حبالُك وأُأخذُه بأفعاله : فان أعارنى أُذنًا واعية ونفساً مُراعية وقلبًا متّعظًا ورُجوعاً عن ذهابه ونزُوعًا [٦] عن هـذا الباب الذى يقرَعُه [٧] ونُزولاً عن الصّعود الذى يفرعه [٨] فرَشتُ لمودّته خوَان [٩] صـدرى وعقَدتُ عليـه جوامع خصرى ومجامع عمْرى [١٠] وان رَكِب من التّعالى غير مركبه [١١] وذهب من التّغالى فى غير مذهبه [١٢] أقطعته خُطّة [١٣] أخلاقه ووليّتُه جانب إعراضه

(١) ازالة عتبه وملامته (٢) كلمة كانت فى الاصل بمنزلة لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا (٣) بكسر الضاد وفتحها حرصاً (٤) اما الظل (٥) بليت وذابت (٦) انتهاء وتركا (٧) يدقه بيده ليفتح له (٨) يصعده ويعلوه (٩) بضم الخاء أو بكسرها مايؤكل عليه الطعام ومراده تمكين مودته من صدره (١٠) مراده التمسك بمودته مدة حياته (١١) من العصران تكبر (١٢) طريقه (١٣) الطريقة مراده انه يتركه وان أخذ فى غير طريق طباعه

ولا أذودُ [١] الطّيرَ عن شجرٍ قد بلوتُ المرَّ من ثمره

فأني وإن كنت في مُقتبل السّنّ والعُمر قد حلبتُ شطرى الدّهر [٢] وركبتُ ظهرى البرِّ والبحر [٣] ولقيتُ وفدَى [٤] الخير والشرّ وصافحتُ يدَى النفع والضّرّ وضربتُ إبطى العسر واليُسر وبلوتُ طعمَى الحلو والمرّ ورَضعتُ ضَرعَى العرْف والنُّكر [٥] فما تكاد الأيام ترينى من أفعالها غريباً وتُسْمعُنى من أحوالها عجيباً ولقيتُ الأفراد وطرحتُ الآحاد [٦] فما رأيت أحداً الاّ ملأت حافَتَيّ [٧] سمعه وبصره وشغلتُ حيّزَيْ [٨] فكره ونظره وأثقلتُ كِفّتَه في الحزن وكفّته في الوَزْن وودّ لو بادرَ القِرن [٩] صحيفتي [١٠] أو لقيَ صُفيحتي [١١] فمالى صغرْتُ هذا الصغر في عينه وما الذى أزرَى [١٢] بى عنده حتى احتجب وقد قصدتُه ولزمَ أرضه وقد حضرتُه

أنا أحاشيه [١٣] أن يجهل قدرَ الفضل أو يجحدَ فضلَ العلم أو يمتطىَ [١٤] ظهرَ التّيهِ [١٥] على أهليه وأسأله أن يختصّنى من بينهم بفضلِ إعظام إن زلّتْ بى مرّةً قدمٌ في قصده وكأنى به وقد غضب لهذه المخاطبة المُجْحِفة [١٦] والرُّتبة المُتحيّفة [١٧] وهو في جنب جفائه يسير فان أقلع [١٨] عن عادته ونزع عن شيمته [١٩] في الجفاء فأطال اللهُ بقاء الأستاذ الفاضل وأدام عزّه وتأييدَهُ

---

(١) لاأطرد (٢) مراده مر به من خيره وشره وجرب نفعه وضره (٣) مراده انه جرب الامور في البر البحر (٤) الوفد الجماعة التي ترد على الامير أوغيره ومراده انه عرف الخير والشر (٥) المعروف والنكر ضده (٦) هذا والذي قبله كله بمعنى انه جرب الايام واختبرها من أول نشأته (٧) جانبي (٨) ناحيتي (٩) المقارن الكفء عند ملاقاة الابطال (١٠) كتابي (١١) وجهي معناه تمني لقائي (١٢) حط من قدري وشأني (١٣) انزهه (١٤) يركب (١٥) الكبر والعجب (١٦) من الاجحاف وهو الذهاب بالشيء (١٧) من التحيف وهو الظلم والجور (١٨) رجع (١٩) خلقه

« وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ »

واللهِ يا قُلَيب لولا أنّ كبدى في هوَاكَ مقرُوحةٌ [١] ورُوحى مجرُوحة لساجَلتُك [٢] هذه القَطيعةَ ومادَدْتُك حبلَ المُصارَمة [٣] وأرجو ان الله تعالى يديل [٤] صبرى من جفَائك فيرُدكِ إلى مودّتى وأنفُ القِلى [٥] راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتّى كدْنا نتناكرُ عند الالتقاء والسلام

« وكتب أبو بكر الخوارزمى المتوفى سنة ٧٤٠ هـ »

كتابى وقد خرجتُ من البلاء خرُوجَ السّيف من الجلاَء [٦] وبُرُوز البدر من الظّلماء وقد فارَقَتْني المِحْنةُ [٧] وهى مفُارقٌ لايُشْتاقُ اليه وودّعتنى وهى مُوَدّعٌ لايُبكى عليه وَالحمدُ لله تعالى على محنَةٍ يُجلّيها ونعمةٍ يُنيلها ويُوليها كنتُ أتوَقعُ أمس كتابَ مولاَى بالتّسْلية واليومَ بالتّهنية فلم يكاتبنى فى أيام البُرَحاء [٨] بأنها غمّته ولا فى أيام الرّخاء بأنها سرّته وقد اعتذرت عنه إلى نفسى وجادلتُ عنه قلبى فقلتُ أما إخلالُهُ بالأولى فلأنّه شَغَلهُ الاهتمامُ بها عن الكلام فيها وأما تغافلهُ عن الأخرى فلأنّه أحَبَّ أن يُوَفّر عليّ مرتبةَ السّابق إلى الابتداء ويقتصِرَ بنفسه على محل الاقتداء لتكون نِعَمُ الله سبحانه عليّ مَوْفُورةً من كلّ جهة ومحفوفَةً بى من كلّ رُتبة فان كنتُ أحسنتُ الاعتذارَ عن سيّدي فليَعْرِفْ لى حقّ الاحسان وَلْيكتُبْ إليّ بالاستحسان وإن كنتُ أسأتُ فليُخبرنى بعذرِه فانه أعرف منّى بسرّه وليَرْضَ منّى بأنّى حاربتُ عنهُ

(١) مجروحة (٢) معناه لقابلتك (٣) المقاطعة (٤) الغلبة والنصر (٥) صاحب البغض
(٦) صقله بازالة ما عليه حتى يرى له لمعان (٧) البلية (٨) شدة الاذى

قَلْبِي واعتذرتُ عن ذنبه حتى كأنه ذنبي وقاتُ يانفسُ اعذُرِى أخاكِ وخُذى منه ما أعطاكِ فمع اليوم والعَوْدُ أحمد

« وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠ هـ »

أمّا بعدُ فقد عاقنى الشّك فى أمرك عن عزيمة الرّأى فيك وذلك أنك ابتدأتنى بلُطف عن غير خِبرة ثم أعقبتَه جفَاء من غير ذَنْب فأطمَعَنى أوّلُك فى إخائك وأيأسنى آخرك من وَفائك فسُبحان من لو شاء لكشف بايضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشّك فيك فاجتمعنا على ائتلاف وافترقْنا على اختلاف والسلام :

« وكتب صديقى الأوفى زعيم الوطنيّة الشيخ عبد العزيز جاويش »

سيدى — مالى أرَاك كمن نسىَ الخليط [١] وتجرّد فى الصُّحْبة عن المحيط والمَخيط فاذا ما صادفتُك [٢] صدَفتَ [٣] أو أنصفتَك مانصفت [٤] أتظن أنى قَعيدَةُ بيتك [٥] أو رَهين كيْتك وذَيْتك [٦] فوحقك اذا آنسْتُ [٧] من يدى مللاً أو من قدَمى كَلَلاً [٨] لنَجزْتها [٩] البتات [١٠] وكلّتْ بنَقصها الذّات ولو أنى آنستُ من الزّاد فترَة [١١] أو من الشّراب عشْرَة لَطُعمت الطّوَى [١٢] واستقيتُ الجوَى [١٣] فكيف أُداعبُ [١٤] وتُصاعب وأُحالف وتُخالفُ وأُواصلُ وتُفاصلُ وأُجالبُ وتُجانبُ لبئْستْ مطيّتك التى اقتدَعْتَ [١٥] وشِرْعتك [١٦] التى شرَعْتَ [١٧] فوالله لولاَ أنّ الحبّ حادثٌ لا يتّقى بالتُّروس ومعنىً لا يدِبُّ إلاّ فى النفوس وسهامٌ لا تُرْمى الا من قَسِيّ

(١) الصاحب (٢) وجدتك (٣) أعرضت (٤) كلاهما بمعنى ساعدتك وأعنتك (٥) المرأة التي في البيت (٦) كلاهما بمعنى كذاوكذا والمراد أني لست رهين قولك أفعل كذا وكذا (٧) علمت (٨) اعياء وضعفاء (٩) قضيتها (١٠) القطع المستأصل (١١) ضعفاء وقلة (١٢) الجوع (١٣) الحرقة (١٤) أمازح (١٥) دفعت (١٦) مكان الماء (١٧) دخلت

الحواجب ونحوٌ أوّله المعيةُ وآخره الجوازم لمّاافترستِ الظّباء الصّيد الأسود[1] ولا ملكتِ الأحرار العبيد ولولا أنّى كرَعتُ[2] من صابه[3] والتحفتُ ببرْدة أوْصابه[4] لتعوّذْتُ منك بسُورَة الفَلق — ونبَذْتك[5] نبْذ الرّداء الخلَق[6] ولهان عليّ أن أدعك أو أُسمِعك

تمرُّون الدّيارَ ولن تعوجو[7] كلامكمُو عليّ إذاً حرامُ

غير أن لى نفساً شبّت على الحبّ فلم أفْطِمها وتقادعتْ[8] على ناره فلم أعْصمْها حتى بلَغ السيلُ الزُّبى[9] وتَبدّدَت[10] النّفسُ أيدى سَباً[11] الا حُشاشَةً غفَلَ عنها الوَجدُ وبقيّة رَمقٍ ألفيتُها[12] من بَعد وكلما رأيتُ منك الشّطَط[13] واعتِساف[14] الخطط[15] عمَدْت الى أن أثنى[16] من رسنَها[17] وأذُودَ[18] عن عطَنها[19] وشخَصت الى المكافحة والمكافأة وأن لا أكيلك إلاّ مثلاً ولا أسقيك الاّ وَشَلاً[20] ولا أزيدك الاّ فشَلاً

ولست أجزيك الجزاء الذى على وفاء الصُّنْع لا يخسه
وليس يبكى صاحباً مَن اذا أُهين لا يبكى على نفسه

على أني بالرّغم أُصبحُ فى نهارٍ أحلك[21] من ليل وأُمسي فى ليل أشقّ على النّفس من ويل

---

(١) دفنت (٢) بكسر الراء وفتحها شربت بفمي (٣) ماءه المر وأصله عصارة شجر مر (٤) أمراضه (٥) رميتك (٦) القديم البالي (٧) لن تقيموا (٨) تسابقت (٩) مثل يضرب لما جاوز الحد (١٠) ذهبت وهو مثل يقال تبددوا أيدي سبا وأيادي سبا معناه ذهبوا متفرقين (١١) هم الذين ذهبت جناتهم وغرق مكانهم وقد ذكرهم الله في القرآن قال لقد كان لسبأ الى آخر الآيات (١٢) وجدتها (١٣) تجاوز الحد (١٤) الميل عن الطريق المألوف (١٥) لامور (١٦) أرد (١٧) زمامها (١٨) أمنع (١٩) مكانها (٢٠) الماء القليل في هذا الموضع والماء الكثير في غيره (٢١) أشد سواد

وليل كموج البحر أرخى سدوله (١) علىّ بأنواع الهموم ليبتلى (٢)

فان تخلصت من لقائك فإلى الشقاء واذا لجأت من عسفك فإلى العناء واذا استجرت بفراقك فقد استجرت بالنار من الرمضاء (٣) وكأنك لم تدر أن دولة الحسن سريعة التقويض (٤) وأنه لا بد من هبوط القمر الى الحضيض ولسوف تبلى بعارض (٥) بيد (٦) أنه غير ممطر وبساعة مقبلك فيها مدبر وستصبح عما قريب قد عفت (٧) رسومك (٨) ولم تجد فى سوق الصحبة من يسومك والعاقل من لا يختال بنفسه ولا يبنى على غير أسه (٩) فانك ما نضت (١٠) لؤلؤة مبسمك ولا نضرت (١١) صورة معصمك (١٢) ولا شئت خلقت كما تشاء ولا اتخذت عند الله عهداً وهذا الوفاء ولكن مثلك من أفرغه الله فى القالب الذى اختار وجعله مرتع النفوس ومسرح الأبصار وانى أيها العزيز قد تقدمت اليك

ولى أمل قطعت به الليالى أرانى قد فنيت به ودامَا

فلا تحرمنى من سائغ العفو وسابغه ولا تجعلنى كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه

فأشد ما لقيت من ألم الجوى (١٣) قرب الحبيب وما اليه وصول

كالعيس (١٤) فى البيداء يقتلها الظما (١٥) والماء فوق ظهورها محمول

فاعمل فى يومك لغدك واستجز غيرك يبسط يدك ولا تأخذنى بجرم الجانى

---

(١) استار (٢) ليختبرني (٣) الارض الحارة (٤) التفرق (٥) السحاب الذى يعترض فى الافق (٦) غير أنه (٧) درست وذهبت (٨) آثارك (٩) أساسه (١٠) ما ظهرت (١١) لا حسنت (١٢) موضع السوار من اليد (١٣) الحزن (١٤) الابل البيض يخالط بيضها شقرة ظالمة خفية (١٥) العطش

المُتلبّس ولا تبتَغ منّى صَحيفة المُتلمّس [١] بيدَ أنى أنشـدُك الذى يَلى العاشق بالمعشوق وكلفه فى الحبّ بيض الأنوق [٢] وسهّد [٣] طرفه بنواعِس العُيون وَخوّل [٤] للحُسن إذا أراد شيئًا أن يقولَ له كُنْ فيكون كما قرَن الهوى بالنّوى [٥] والقلبَ بالجوي [٦] وَقضَى على المحبّ ونشر العشق فلم يحتجب ما الذى أغرَى بك الى الاعتِساف وعدم الانصاف ألينُ الأعطاف أم فُتورُ [٧] الأجفان أم تكسُّر الكلام أم هَيفُ القَوام ؟؟

لقد شددتَ أزْرك [٨] والله بضِعاف واستسمنْتَ تلك العِجاف وهل حدّا [٩] الى قطيعتى بك أنّى خشِن الملمَس رَثُّ الملبَس ولم أُمنَح [١٠] كما مُنحتَ نَضْرَة [١١] ولم ألبس مُوَقَّع البياض وَالحُمرَة فاعلم أنك إنْ نظرتنى بعين الرّضا ورَحمتَ فؤاداً يتقلّب منك على جَمْر الغَضا [١٢] فستجدُنى صديقك الذى لا يُبطره الوَفاء ولا يَثنيه الجفاء أملك لك من لسان وأطوَعُ لأمرك من بنان : أكتبُ فأين لعبد الحميد الكاتب قلَمى وَأشعرُ فأين الشّعراء إلاّ تحت عَلمى وأبذُل فأين حاتمُ [١٣] من كرمى وأحلمُ فأين أحنَفُ [١٤] من حِلمى

وحسبُك فخرًا أن يجودَ بنفسه على رَغْبٍ منْ ليس يأملُ فى الشكر

ومن يحتَمل فى الحُب ما فوقَ كاهِلى [١٥] فحسبُك حلمًا أن يُقيمَ على الهَجرِ

فان أصخْتَ [١٦] الى الدّاعية [١٧] ووعيت كلمات لا تَسمَع فيها لاغية [١٨]

---

(١) الطالب مرة بعد اخرى (٢) الأنوق العقاب ولفظ المثل (هـ اعز من بيض الانوق) مثل يضرب للمحال او لما لا سبيل اليه (٣) أسهره (٤) ملكه (٥) البعد (٦) الحرقة (٧) ذبولها (٨) ظهرك (٩) ساق الي (١٠) اعطي (١١) حسناً (١٢) شجر خشبة فيه صلابة (١٣) ابو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي وبه يضرب المثل في الكرم من شعراء الجاهلية (١٤) تقدم تاريخه (١٥) ما بين الكتفين (١٦) استمعت (١٧) مراده الواشي العاذل (١٨) اللغو من الكلام

فاليك الجزاء وعليّ الوفاء والا فالفرار الى الموت أمرٌ يسير والقبرُ للعشاق قليلٌ من كثير

« وكتب المرحوم حفني بك ناصف الي سماحة السيّد توفيق البكرى »

كتابي الى السيّد السّند ولا أُجشّمهُ(١) الجوابَ عنه فذلك ما لا أنتظرُه منه وانما أسأله أن ينشَط الي قراءته ويتنزّل الى مطالعته وله الرّأيُ بعد ذلك أن يحاسِبَ نفسه أو يزكّيها ويحكم عليها أوْ لها

فقد تنفعُ الذكرى اذا كان هجرُهمو دَلالا فأما إنْ ملالاً فلا نفعا

زرْتُ السيّد ويعلم الله أنّ شوقي الى لقائه كحرصي على بقائه وكلفي بشهوده كشغفي بوجوده فقد بَعُدَ والله عهدُ هذا التّلاق وطال أمدَ الفراق وتصرّم الزّمان وأنا من رؤيته في حِرمان فسألتُ عنه فقيل لي إنه خرج لتشييع(٢) زائر وهو عمّا قليل حاضر فانتظرتُ رُجوعه وترقّبت طُلوعه ولم أزل أعُدُّ اللحظات وأستطيلُ الأوقات حتى بَزغتْ الأنوار وارتجّ صحنُ الدّار وظهر الاستبشارُ على وجوه الزوّار وجاء السيّد في مَركبه وجَلالة مَحتِده(٣) ومنصبه فقمنا لاستقباله وهينمنا(٤) بكماله فمرّ يتعرّف وُجوه القوم حتى حازاني وكبُر على عينه أن يراني فغادرني(٥) ومن على يَساري وأخذ في السّلام على جاري وجرّ السلام الكلام وتكرّر القعود والقيام وأنا في هذه الحال اوهمُ جارِي أنّي في داري وأُظهِرُ للنّاس أن شِدّة الأُلفة تُسقط الكُلفة ومَرّ السيّد بعد ذلك من أمامي ثلاث مرّات ومن الغريب أنه لم يستَدرك مافات

تمرّون الديارَ ولن تَعوجوا كلامُكمُو عليّ إذَنْ حرَامُ

(١) لا اكلفه (٢) لتوديع (٣) اصله من جهة النسب (٤) تكلمنا بصوت خفي (٥) تركني

وكنتُ أظنّ أن مكانتي عندَ السيد لاتُنكَر وأن عَهدى لديه لا يُخفَر [١] فاذا أنا استُ فى العِير [٢] ولا فى النَّفير [٣] وغيرى عند السيّد كثيرٌ وذهاب صاحبٍ أو أكثرَ عليه يسيرٌ

ومن مَدّت العَلْيا اليه يمينَها فأكبر إنسانٍ لديه صغيرُ

ولا أدّعى أنّى أُوازى السيد صانه الله فى علوّ حسبه أو أُدانيه فى علمه وأدبه أو أُقاربه فى مناصبه ورُتَبه أو أُكاثره في فضّته وذَهبه وانما أقول ينبغى للسيد أن يميّز بين من يزوره لِسَماع الأغانى والأذكار وشهود الأوانى على مائدة الإفطار وبين من يزُورُه للسَّلام وتأييد جامعة الإسلام وأن يُفرِّق بين مَن يتردَّد عليه استخلاصاً للخلاص ومَنْ يتردّد إجابةً لدَعوة الإخلاص وأن لا يشتبه عليه طلّاب الفوائد بطُلّاب العوائد وقُنّاص [٤] الشّوارِد [٥] بنُقَباء الموائد ورُوّاد الطُّرَف [٦] بأرْباب الحِرَف

فما كلُّ مَنْ لُقّيتَ صاحبُ حاجةٍ ولا كلُّ مَنَ قابلتَ سائلُك العُرْفا [٧]

فان حَسُنَ عند السيّد أن يُغْضِى عن بعض الأجناس فلا يحسُنُ أن يُغضى عن جميع الناس والا فلِماذَا يَطوف على بعض الضُّيوف ويُحيّيهم بصُنوف من المعروف ويتخطّى [٨] الرّقاب «لصرّوف» [٩] ويخترق لأجله الصُّفوف فان زعم السيّد أنه أعلمُ بتصريف الأقلام فليس بأقدَم هجرَةً فى الاسلام وإن رأى أنه أقدرُ منى عَلَى إطرائه [١٠] فليس بمُمكنٍ أن يتّخذه من أوليائه

(١) لاينقض (٢) الجماعة (٣) الجماعة أيضاً (٤) جمع قناص بفتح القاف الصائد (٥) المتفرقات والمراد طالبوا متفرقات العلوم (٦) جمع طرفه وهي ماترى مليحة والمراد أهل المراتب العالية (٧) للمعروف (٨) يتجاوز (٩) هو الدكتور يعقوب صروف احد اصحاب مجلة المقتطف وجريدة المقطم الغراوتين (١٠) الثناء عليه

ولا أرُومُ بحمد الله منزلةً غيرى أحقُّ بها منّي اذا رَاما

وانما أصونُ نفسى عن المهانة والضِّعة ولا أُعرّضها للضّيق وفى الدُّنيا سَعَة

وأُكرمُ نفسى انّنى إن أهنتها وحقّك لم تكرم على أحد بَعدى

فلا يُصعِّرْ [1] السيد من خدّه فقد رضيتُ بما ألزمنى من بُعده ولا يَغْضُضْ [2] من عينه فهذا فراقٌ بينى و بينه وليتّخِذْنى صاحباً من بَعيد ولا يكلّمنى إلى يوْم الوَعيد

كِلانا غنىٌّ عن أخيه حياتَهُ ونحن إذا مِتْنَا أشدُّ تغانيا

ومنّي على السيد السلام على الدّوام ومُباركٌ اذا لَبس جديداً وكلُّ عام وهو بخيرٍ إذا استقْبَلَ عيداً ومَرْحى [3] اذا أصاب وشيَّعته [4] السَّلامة إذا غاب وقدوماً مباركاً اذا آب [5] وبالرِّفاه والبنين [6] اذا أعرَس [7] وبالطّالع المسعود اذا أنجب [8] ورحمه اللهُ اذا عطَس ونومُ العافية اذا نعَس وصحَّ نومه إذا استيقظ وهنيئاً إذا شرب وما شاء الله كان إذا رَكِب ونَعِمَ صباحه إذا انفجَرَ الفجرُ وسَعِدَ مَسَاؤه إذا أذن العصر وبَخٍ بَخٍ [9] إذا نثر ولا فُضَّ [10] فُوهُ اذا شَعُرَ [11] وأجاد وأفاد إذا خَطبَ وأطرَبَ وأغرَبَ إذا كتب وإذا حج البيتَ فحجاً مبرُوراً وإذا شيّعَ جنازَتى فسَعياً مشكوراً :والسلام

(١) لايميل خده كبراً وخيلاء (٢) لايغمض (٣) كلمة تقال عند الاصابة في الرمي مدحاً للمصيب (٤) ودعته (٥) رجع (٦) كلمة تقال لمن تزوج معناها بالالتئام وجمع الشمائل (٧) تزوج (٨) ولد له (٩) كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء أو عند الفخر والمدح وكررها للمبالغة (١٠) لا كسرت أسنانه (١١) قال الشعر

الفصل السادس فى رسائل الشكوى

« كتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ »

إنما أشكو اليك زَمانًا سَلَب بِضعف ما وَهب وفَجع بأكثر مما متّع وأوحش فوق ما آنس وعنّف فى نزْع ما ألْبسَ فانه لم يُذِقنا حلَاوة الاجتماع حتى جرّعنا مَرَارة الفرَاق ولم يمتّعنا بأُنس الالتقاء حتى غادرَنا [١] رَهْنَ التلهُّف والاشتياق والحمد لله تعالى على كل حالٍ يسُوء ويُسرّ ويحلو ويمُرّ ولا أيأسُ من رُوح [٢] الله فى إباحة صُنعٍ [٣] يجمل رَبْعه [٤] مُناخى [٥] ويقصر مدّة البعاد والتراخى فألاحظ الزّمان بعين رَاض ويقبل الىّ حظى بعد إعراض وأستأنف [٦] بعزّته عيشاً عَذب الموارد [٧] والمناهل [٨] مأمون الآفات والغوائل [٩]

(وكتب عبد الحميد بن يحيى المقتول سنة ١٣٢ الى أهله وهو منهزم مع مروان [١٠])

أما بعدُ فان الله تعالى جعلَ الدّنيا محفوفةً بالكُرْه والسُّرُور فمن ساعدَه الحظ فيها سكَنَ اليها ومَنْ عَضتْه [١١] بنابِها ذَمّها ساخطًا عليها وشكاها مُستزيداً لها وقد كانت أذاقتنا أفاوِيقَ [١٢] آستحْليناها ثم جمحَتْ [١٣] بنا نافرةً ورَمحتْنا [١٤] مُوَلّيةً فملحَ عذْبها وخَشنَ لينها فأبعدَتْنا من الأوطان

(١) تركتنا (٢) من رحمة الله (٣) المعروف (٤) دار (٥) مكان النوم ومراده انه لا ييأس من معروف يحظى به مدة حياته (٦) أجدد (٧) أمكنه اتيان الماء (٨) المواضع التي فيها الماء والمراد انه يجدد عيشاً هنيئاً لاحزن معه (٩) الدواهي (١٠) ابن محمد مروان بن الحكم بن أبي العاص الاموي آخر ملوك بني أمية المعروف بالجعدي قتل سنة ١٣٢ (١١) كناية عن تسلطها عليه بنوائبها ومصائبها (١٢) البانها والمراد نعيمها وخيراتها (١٣) أسرعت غالبة اياتا (١٤) طعنتنا برمحها والمراد مصائبها

وفرّقتنا عن الإخوان فالدار نازحة [١] والطيرُ بارحَة [٢] وقد كتبت والأيامُ تزيدُنا منكم بعداً واليكم وَجداً فان تتِمّ البليّةُ الى أقصى مُدّتها يكن آخرُ العهدِ بكم وبنا وانْ يَلحقنا ظُفرٌ جارحٌ من أظفارِ من يليكم نرْجع اليكم بذُلّ الإسار [٣] والذُّلُّ شرُّ جار نسأل الله الذى يُعزّ من يشاء ويذلُّ من يشاء أن يهب لنا ولكم أُلفَةً جامعة فى دارٍ آمنَةٍ تجمعُ سلامةَ الأبدان والأديان فانه ربّ العالمين وأرحمُ الراحمين

«وكتب استاذى الحكيم الشيخ محمد عبده وهو مسجون بسبب الحوادث العرابية»

تقلّدَتنى اللّيالى وهى مُدْبِرَةٌ كأنّنى صارمٌ فى كفّ مُنهَزِمِ

عزيزى ﴿هذه حالتى﴾ اشتدّ ظلامُ الفتن حتى تجسّم بل تحجّر فأخذت صخوره من مركز [٤] الأرض الى المحيط [٥] الأعلى واعترضت ما بين المشرِق والمغرب وامتدّتْ الى القُطبَيْن [٦] فاستحجرتْ فى طبقاتها طباعُ النّاس اذ تغلّبتْ طبيعتها على الموادّ الحيوانية أو الانسانية فأصبحت قلوب الثّقلين [٧] كالحجارة أو أشدّ قسوة فتبارك الله أقدرُ الخالقين انتثرتْ نجوم الهُدى وتدَهوَرَت [٨] الشّموس والأقمار وتغيّبت الثّوابت النيّرَة وفرّ كل مُضيءٍ مُنهزِماً من عالَم الظّلام ودارتْ الأفلاكُ دَورَةَ العكس ذاهبةً بنيّراتها الى عوالِمَ غيرِ عالَمنا هذا فولّى معه آلهَةُ الخير أجمعين وتمحّضتْ السُّلطةُ لآلهَة

(١) بعيدة (٢) البارح من الطير مايمر من اليمين الى الشمال والعرب تتشاءم به وذلك انه كان من عادتهم اذا ارادوا امراً عمدوا الى الطير فطاروها فان طارت شمالا يتشاءمون ويرجعون وتسمى بارحات وان طارت يميناً تفاءلوا باليمين ومضوا في امرهم وتسمى سانحات (٣) الاسر وهو القبض على الرجل واخذ اسيراً (٤) وسط دائرتها (٥) الدائرة المحيطة بالكرة الارضية (٦) الشمالى والجنوبي وهما طرفا محور الارض والمحور هو القطر الوهمي التي تدور عليه الارض من المغرب الى المشرق لثناء حركتها (٧) الانس والجن (٨) ادبرت

الشرّ فقلبُوا الطّباع و بدّلوا الخلقَ وغيّروا خلقَ الله وكانوا على ذلك قادرين

رأيتُ نفسي اليومَ في مَهْمَهٍ (١) لا يأتي البصرُ على أطرافه في ليلة داجية (٢) غُطِي فيها وجهُ السّماء بغمامِ سوءٍ فتكاثفَ (٣) رُكاماً رُكاماً (٤) لا أرى إنساناً ولا أسمعُ ناطقاً ولا أتوهّم مُجيباً أسمعُ ذِئاباً تَعوي وسِباعاً تزأر (٥) وكلاباً تنبح (٦) كلّها يطلُب فَريسةً واحدة هي ذاتُ الكاتب والتفّ على رجلي تِنّينان (٧) عظيمان وقد خويَتْ (٨) بطون الكلّ وتحكّم فيها سلطان الجوع ومن كانت هذه حالهُ فهو لاريبَ من الهالكين

تقطّع الأملُ وانفصَمت (٩) عُرْوةُ الرّجاء وانحلّت الثّقة بالأولياء وضلّ الاعتقاد بالأصفياء وبطلَ القولُ باجابة الدّعاء وانفَطر (١٠) من صَدْمةِ الباطل كَبِدُ السّماء وحقّتِ على أهل الأرض لعنةُ اللهِ والملائكة والأنبياء وجميع العالمين

سقَطت الهمم وخربت الذّمم وغاض (١١) ماء الوَفاء وطُمستْ معالم الحقّ وحُرّفت الشّرائع وبُدّلت القوانين ولم يَبق إلاّ هوًى يتحكم وشهواتٌ تُقضَى وغيظٌ يَحْتدِمُ (١٢) وخشُونة تُنفّذ « تلك سُنّة القدرِ » والله لا يَهدى كيدالخائنين

ذَهب ذوُو السُّلطة في بُحور الحوَادث الماضية يَغُوصون لطلب أصدافٍ من الشُّبَهِ ومقذُوفاتٍ من التهم وسواقطَ من اللّمَم (١٣) ليُموّهُوها (١٤) بمياه السفْسَطةِ ويُغشُّوها بأغشيةٍ من معادن القُوّة ليُبرزوها في معرض السّطوة ويَغشُّوا بها أعين النّاظرين لا يطلُبونَ ذلك لِغامضٍ يُبيّنونه أو لمستور

(١) مفازة بعيدة (٢) مظلمة (٣) كثر وتراكم (٤) السحاب المتراكم (٥) بفتح عينه او بكسرها تصوت (٦) يفتح عينه أو بكسرها تصوت (٧) تثنية تنين الحية العظيمة (٨) خلت (٩) انقطعت (١٠) انشق (١١) ذهب (١٢) يتحرك ويشتد (١٣) المتقارب من الذنوب والمم ايضاً طرف من الجنون (١٤) من التمويه وهو التلبيس

يكشفونه أو لِحقّ خفيّ فيُظهرونه أو خَرْقٍ بدا فيرقّعونه أو نظامٍ فاسد فيُصلحونه كلاّ : بل ليثبتوا أنهم فى حبس من حبَسوا غيرُ مُخطئين ، وقد وجدوا لذلك أعواناً مِن حلفاء الدّناءة وأعداء المروءة وفاسدى الأخلاق وخبثاء الأعراق (١) رَضوا لأنفسهم قول الزُّور وافتراء البهتان واختلاقَ الإفك (٢) وقد تقدّموا الى مجلس التحقيق بتقاريرَ محشوّةٍ من الأباطيل ليكونوا بها علينا من الشاهدين ، كلُّ ذلك لم تأخذنى فيه دهشةٌ ولم تحلّ قلبى وَحْشةٌ بلْ أنا على أتمّ أوصافى التي تعلمُها غيرُ مُبالٍ بما يصدُرُ به الحكم أو يُبْرِمُهُ القَضاء ، عالمًا بأنّ كل ما يسوقه القَدَر وما ساقَهُ من البلاء فهو نتيجةُ ظلْمٍ لا شُبْهَةَ للحقّ فيه ، لأنّ الله تعالى يعلم كما أنت تعلم أننى برىءٌ من كل ما رمونى به ، ولو اطّلعتَ عليه لولّيتَ منه رُعبا وكنتَ من الضاحكين

نَعم خنقنى الغم وأحمى فؤادى الهمّ وفارقنى النَّوم ليلةً كاملةً عند ما رأيتُ اسمك الكريم واسمَ بقيةِ الأبناء والأخوان المساكين تُنسب اليهم أعمال لم تكن وأقوال لم تَصدُر عنهم لقصد زجّهم في المسجونين

لكن اطمأنّ قلبى وسكن جأشى (٣) عند ما رأيتُ تواريخ التقارير متقادمة ومع ذلك لم يصِلكم شررُ الشّرّ فرجوتُ أنّ الحكومة لم تُرِدْ أن تفتح بابًا لا يَذرُ (٤) الأحياء ولا الميّتين

قدّم فلانٌ وفلان تقريرَين جعلا فيهما تبِعاتِ الحوادث الماضية على عُنقى ولم يتركا شيئًا من التّخريف إلاّ قالاه وذكرا أسماءكم فى أمور أنتم جميعاً أبعدُ الناس عنها ، لكن لا حَرج عليهما فإنى أراهما من المجانين ، ولم أتعجّبْ من

(١) الاخلاق (٢) الكذب (٣) اضطراب القلب عند الفزع (٤) لايدع ولايترك

هذين الشخصين اذ يعملان مثل هـذا الذنب القبيح ويرتكبان هذا الجرم (١) الشنيع ولكن أخذنى العجب « كلّ العجب غاية العجب بالغ ما شئت فى عجبى » إذ أخبرنى المدافع عنّي بتقرير قدّمه فلان الذى أرسلت اليه السلام وأبلغته سروري عند ما سمعت باستخدامه ، وأنا فى هذا الحبس رهين

الى هذا الوقت لم يصلني التقرير ولكن سيصل الىّ إنما فيما بلغنى أنه شهادة بأقبح شيء لا يشهد به إلاّ عدوّ مبين — هـذا اللئيم الذى كنت أظن أنه يألم لألمى ويأخذه الأسف لحالى ويبذل وسعه إن أمكنه فى المدافعة عنّي فكم قدّمت له نفعاً ورفعت له ذكرا وجعلت له منزلة فى قلوب الحاكمين : كم سمعنى أقاوم هجاء الجرائد وأوسع محرّريها لوماً وتقريعاً وأهزأ بتلك الحركات الجنونيّة وكان هو علىّ فى بعض أفكارى هذه من اللائمين — كان ينسب فلاناً لسوء القصد اتّباعاً لرأى فلان وأعارضه أشدّ المعارضة ، ثم لم أنقض له عهداً ولم أبخس له وُدّا وحقيقة كنت مسروراً لوجوده موظّفاً فما باله أصبح من النّاكثين — آه ما أطيب هـذا القلب الذى يملى هـذه الأحرف ، ما أشدّ حفظه للولاء ، ما أغيره على حقوق الأولياء ، ما أثبته على الوفاء ، ما أرقّه على الضعفاء ، ما أشدّ اهتمامه بشؤون الأصدقاء ، ما أعظم أسفه لمصائب من بينهم وبينه أدنى مودّة ، وان كانوا فيها غير صادقين ، ما أبعد هذا القلب من الايذاء ولو للأعداء ، ما أشدّه رعاية للودّ ، ما أشدّه محافظة على العهد ما أعظم حذره من كلّ ما توبّخ عليه الذمم الطّاهرة ، ما أقواه على العمل الحقّ ، والقول الحقّ ، لا يطلب عليه جزاء ، وكم اهتمّ بمصالح قوم وكانوا عنها

---

(١) الذنب

غافلين،هذا القلبُ الذى يُؤلمونه بأكاذيبهم هو الذى سرَّ قلوبهم بالترقية وملأها فرحاً بالتقدُّم ولطف خواطرهم بحُسْن المعاملة وشرح صدورهم بلطيف المجاملة ودافع عنهم أزماناً « خصوصاً هذا اللئيم » أفنَشْرَحُ الصُّدُورَ وهم يُحرجُون ونشفى القلوب وهم يُؤلمون ونُفْرِحُها وهم يحزنون ؟؟؟ تالله قد أضلُّوا وما كانوا مهتدين، هذا القلبُ ذابَ مُعظمُه من الأسف على ما يلمّ بالهيئة العموميّة من مصائب هذه التقلّبات وما ينشأ عنها من فساد الطّباع الذى يجعل العموم فى قَلَق مُسْتَديم — وما بَقى من هذا القلب فهو فى خوفٍ على من يعرفهم على عهد مودّته، فان تسلّلوا جميعاً بمثل هذه الأعمال أصبحوا من مودّته خالين واتخذوه وقايةً لهم من المَضرّة وجعلوهُ تُرْساً يعرّضونَهُ لتلقى سِهام النّوائب التى يتوهّمون تفويقَها اليهم كما اتخذوهُ قبلَ ذلك سَهْماً يُصيبون به أغراضهم فينالون منها حظوظهم فقد أراحوا تلك البقية من الفكر فيهم « والله يتولّى حسابهم وهو أسرَعُ الحاسبين » — آه ما أظُنُّ أن تلك البقية تستريحُ من شاغل الفكر فى شؤُون الأحبّة وان جاروا فى تصرّفهم

إن طبيعة هذا القلب لَطبيعةُ ناعم الخزّ اذا اتصل بذى الودّ وان كان خشناً فصعبٌ أن ينفصل ولو مزّقته خشونته، وان هذا القلبَ فى علاقةٍ مع الأوِدّاء كالضّياء مع الحرَارة أيّما حادث يحْدث وأيّما كيماوىّ يُدَقّق لا يجد للتحليل بينهما سبيلا، وأظُنُّك فى العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين

« وكتب حافظ بك ابراهيم الى الاستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده »

كتابى الى سيّدى وأنا من وعده بين الجنّة والسّلْسبيل [1] ومن رِتيهى [2]

---

(١) عين في الجنة (٢) محى

بهِ فوق النَّثْرَة (١) والإكليل (٢) وقد تعجَّلْتُ السُّرور وتسَلَّقْتُ الحُبور (٣) وقطعتُ ما بيني وبين النوائب

وبشَّرْتُ أهلي بالذي قد سمعتُه ... فما منجَى (٤) الاَّ ليالٍ قلائل

وقلت لهم للشيخ فينا مشيئةٌ ... فليس لنا من دهرنا ماننازلُ (٥)

وجمعتُ فيه بين ثقة الزُّبيديّ (٦) بالصَّمْصامة (٧) والحارثِ بالنَّعامة (٨) فلم أقل ما قال الهُذَلي (٩) لصاحبه حين نَسي وعْدَهُ (١٠) وحجب رِفْدَهُ (١١) « يادارَ عاتكةَ التي أتغزَّل » بل أناديه نداء الأخيذَةِ (١٢) في عمُّوريّة (١٣) شجاع الدّولة العبّاسية وأمدُّ صوتي بذكر احسانه مدَّ المؤذّن صَوْته في آذانه وأعتمدُ عليه في البُعد والقُرْب اعتمادَ المَلاَّح (١٤) على نجْمة القُطب (١٥)

وقال أُصَيْحابي وقدهالني النّوى (١٦) ... وهالَهمُ أمري متى أنتَ قافل (١٧)

فقُلْتُ إذا شاء الأمامُ فأوْبتي (١٨) ... قَريبٌ وربعي (١٩) بالسَّعادة آهلُ

وهأنا متماسكٌ حتى تنحسر (٢٠) هذه الغَمْرة (٢١) وَينطَوي أجلُ تلك

(١) كوكبان متقاربان بينهما قدر شبر (٢) من منازل القمر اربعة انجم مصطفة (٣) الفرح ومعنى تسلق تسور أي اتي الفرح من غير بابه (٤) مطيتي (٥) نضارب لارالشيخ كفانا صدمات الدهر (٦) ابو ربيعة عمرو بن معديكرب ينتهي نسبه الى قحطان صحابي من شجعان الجاهلية والاسلام وزبيدي نسبة الى زبيد بضم الزاي قوم من اليمن (٧) اسم سيف عمرو (٨) ضم فراس الحارث ابن عباد شيخ من العرب (٩) نديم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي كان لايكلم الخليفة الا جوابا (١٠) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلي هده دار عاتكة التي يقول فيها الشاعر — يا دار عاتكة الخ فعجب الخليفة كيف بدأه بالكلام على غير عادة ثم نظر الملك في قصيدة الشاعر فوجد فيها (واراك تفعل ماتقول) فتذكر الخليفة الوعد (١١) عطاءه (١٢) الاسيرة يريد بها امرأة من بني هاشم اسرها الروم فنادت وامعتصماه تعني المعتصم من خلفاء بني العباس فوصل الخبر الى المعتصم فحاربهم وخلصها (١٣) بلدة من بلاد الروم (١٤) صاحب السفينة (١٥) كوكب في السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه ينظر اليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التي هو قاصدها (١٦) البعد (١٧) راجع (١٨) رجعتي (١٩) داري (٢٠) تنكشف (٢١) الشدة

الفترة [١] وينظرُ لى سيدى نظرةً ترفعنى من ذات [٢] الصدْع [٣] الى ذات [٤] الرَّجع [٥] وتردّنى الى وَكْرى [٦] الذى فيه درجْت [٧] ردّ الشّمس قَطْرَة المُزن [٨] الى أصلها وردّ الوَفىّ الأمانات الى أهلها

فانشاء فالقُرْبُ الذى قد رَجوته وإن شاء فالعزُّ الذي أنا آملُ
وإلاَّ فانى قافُ رؤْبةَ [٩] لم أزل بقيد النَّوَى حتى تغولَ الغَوَائلُ

فلقد حَلتُ السُّودان حلولَ الكليم [١٠] فى التّابوت [١١] والمُغاضِبِ [١٢] فى جَوف الحوت بين الضّيق وَالشّدة والوَحشةِ وَالوَحدَةِ : لا — بل حلول الوَزير [١٣] فى تنُّور العذاب والكافرَ فى موْقف الحساب بين نارَيْن نار القيْظ [١٤] ونار الغيظ

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمرهُ يذيب دِماغ الضبّ والعقل ذاهل
فصيرت كأنى بينَ رَوْضٍ ومنهَلٍ تدبُّ الصَّبا فيه وتَشدُو البَلابل

واليوم أكتب اليه وقد قَعَدت هِمَّة النَّجْمين وقصرتْ يد الجَديدَيْن [١٥] عن إزالة ما فى نفس ذَلك الجبّار العنيد فلقد نَمَا ضِبُّ [١٦] ضِغْنه [١٧] علىّ وبدرَتْ [١٨] بوادِر [١٩] السُّوءِ منه الىَّ فأصبحت كاسرّ العدوّ وساء الحميم [٢٠] وآلامِى كأنها جلود أهل الجحيم كلما نضجَ منها أديمٌ تجدَّد أديم [٢١] وأمسيت

---

(١) يريد المدة التي بينهما (٢) الارض (٣) الشق (٤) السماء (٥) صوت الرعد (٦) يريد وطنه وأصله عش الطائر (٧) مشيت (٨) المطر (٩) رجل من العرب كان اكثر روى اراجيزه على القاف الساكنة (١٠) سيدنا موسى عليه السلام (١١) الذي وضعته أمه فيه والقته في البحر (١٢) سيدنا يونس بن متى عليه السلام (١٣) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنوره الذي اصطنعه لتعذيب من يأمر بتعذيبه (١٤) شدة الحر (١٥) الليل والنهار (١٦) بكسر الضاد الغيظ (١٧) حقده (١٨) اسرعت (١٩) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢٠) القريب الذي يهتم لامره (٢١) الجلد

وملك آمالى الى الزّوال أسرع من أثر الشّهاب فى السّماء ودولة صبرى الى الاضمحلال أحث (١) من حَباب (٢) الماء فنظرت فى وجوه تلك العباد وانى لفارس العين والفؤاد فلم تقف فِراستى على غير بابك

وانى أهديك سلاماً لو امتزج بالسّحاب واختلط منه باللُّعاب لأصبحت تَهادَى (٣) بقَطره الاكاسرة (٤) وأمست تدّخر منه الرّهبان فى الأديرَة ولأغنَى ذَات الحِجاب عن الغالية (٥) والمَلاب (٦) ولا بِدعَ اذا جادَ السيّد بالرّدِ فقد يُرى وجه المليك فى المرآة وخيَال القَمر فى الاضاءة وإن حال حائل دون أمنية هذا السائل فهو لا يذمّ يومك ولا ييأسُ مِن غدك فأنت خير ما تكون حين لاتظنّ نفسٌ بنفس خيراً : والسلام

﴿ الفصل السابع فى رسائل العيادة ﴾

« كتب ابن الرّومى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ الى بعضهم »

أذِنَ اللهُ فى شِفائك وتلقّى داءك بدوائك ومسَحَ بيد العافيـة عليك ووجه وَفدَ السلامة اليك وجعلَ علّتك ماحيةً لذنوبك مضاعفةً لثوابك

« وكتب أبو بكر الخوارزمىّ المتوفى سنة ٣٨٣ هـ »

وصل كتابك يا سيّدى فسرّنى نظَرِى اليه ثم غمّنى اطلاعى عليه لما تضمّنه مِن ذكر علّتك جعل الله أوّلها كفّارةً وآخرها عافيةً ولا أعدمك على الاولى أجراً وعلى الأخرى شكراً : وبودّى لو قرب علىّ متناوَل عيادتك فاحتملت عنك

---

(١) اسرع (٢) مايرى على وجه الماء من الفقاقيع (٣) تحمله هدية (٤) الملوك (٥) الطيب (٦) الزعفران

بالتعهّد والمساعدة بعضَ أعباء[١] عِلّتك فلقد خصّنى من هذه العلّة قِسمٌ كقِسْمك وَمرض قلبي فيك لمَرَض جِسْمك .. وأظن أنى لو لقيتك عليلاً لانصرفت عنك وأنا أعَلُّ منك فانى بحمد الله تعالى جَلْدٌ[٢] على أوْجاع أعضائى غير جَلْدٍ علي أوجاع أصدقائى شفاك الله وعافاك

﴿ الفصل الثامن فى رسائل التهانى ﴾

« كتب فى التهنئة بالأولاد أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

أهلاً وسهلاً بعقيلة[٣] النساء وأمّ الأبناء وجَالبةِ الأصهار والأولاد الأطهار

ولو كانَ النّساء كمِثل هذِى   لفُضّلتِ النّساء على الرّجالِ
فما التأنيث لاسم الشمس عَيْبٌ   ولا التذْكيرُ فَخرٌ للهلالِ

والله يُعرّفُك البركة فى مَطلَعها والسّعادةَ بموْقِعها فالدُّنيا مُؤنثة والنّاس يخدمُونَها والذّكورُ يعبدونها والأرض مؤنثة ومنها خلِقت البَرِيّة وفيها كَثرت الذّريّة والسّماء مؤنّثة وقد زينت بالكواكب وحُلّيت بالنّجوم الثّواقب[٤] والنّفس مؤنّثة وهى قِوام الابدان وملاك الحيَوان والحياة مؤنّثة ولولاها لم تَتصرّف الأجسام ولا تحرّك الأنام والجنّة مؤنّثة وبها وُعدَ المتقون وفيها تنعّم المرْسلون فهنيئاً هنيئا ما أُوليتَ وأوْزَعَكَ[٥] الله شكر ما أُعطيت وأطال بقاءك ما عُرِف النّسْل وما بقىَ الأبَد

« وكتب بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ الى الدّاوردى يهنيه بمولود »

حقاً لقدْ أنجز الاقبال وَعْدَه ووافقَ الطّالعُ سعده وَانّ الشأنَ لفيما بعده

---

(١) جمع عبء الثقل (٢) شديد (٣) كريمتهن (٤) المضيئات (٥) اقدرك

وحبذَا الأَصلُ وفَرعُهُ وبُورِكَ الغيثُ وصَوبه (١) وأينعَ الرَّوضُ ونَورُه (٢) وحبذَا سماءٌ أطلعت فَرقَداً وغابةٌ (٣) أبرزتْ أسداً وظَهرٌ وافقَ سنداً وذِكرٌ يَبقى أبداً ومجد يُسْمَى ولداً وشرفٌ لُحمةٌ وسُدَى (٤)

أنجبَ (٥) كلٌّ مِنْ والديه به إذْ نجلاه فنِعْمَ ما نجلا

فأنفياه (٦) شهابَ ذَكاءٍ وبدْرَ علاءٍ

وَوَجدَاهُ ابنْ جلاَ (٧) أبيَضَ (٨) يُدَّعى الجفَلَى (٩)

لمثلِه أولىَ فلا اذَا النَّدى (١٠) احتفلا

« وكتب في التهنئة بالقدوم أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

أُهنِّئُ سيدى ونفسي تَطيب بما يَسّر الله من قدومه سالمًا وأشكرُ الله على ذلك شكراً دائماً جعل الله قدومَكَ مقروناً بالخيرَة التامَّة العامة والكفاية الشاملة الكاملة غيبةُ المكارم مقرونةٌ بغَيبَتكَ وأَوْبة النِّعَم موصُولةٌ بأوْبتك : فوَصل الله قدومَكَ من الكرامة بأضعاف ما قرَن به مَسِيرَكَ من السلامة وهنَّأك بإيابك وبلَّغك غاية محابِّك ما زلتُ بالنيّة معكَ مسافراً وباتّصال الذّكر والفكر ملاقياً إلى أن جمع شمْلَ سُرُورى بأوْبتك وسكَنَ نافرُ قلبى بعوْدتك

(وكتب أيضاً في التهنئة برمضان)

ساق اللهُ اليك سعادةَ إهلاله وعرَّفك برَكة كماله لقَّاكَ اللهُ فيه ما ترجوه ورقَّاكَ إلى ماتُحِبُّ فى ما تتْلُوه جعلَ الله ما يطول من هذا الصوم مقروناً بأفضل

(١) مطره وهو هنا كناية عن الولد (٢) زهرة الشجرة وهو كناية عن الولد أيضاً (٣) موضع الاسد الذي يألفه والمراد أصوله (٤) كلاهما من لحمة الثوب وسداه وهو كناية عن العرف وظاهراً وباطناً (٥) ولداه كريماً (٦) وجداه (٧) واضح الامر (٨) نقي العرض شريفاً (٩) دعاهم بجماعتهم وعامتهم (١٠) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع « أي لمثله نسوغ التهاني أولى فلا يحسن ان تضاع لغيره »

بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

القَبُول مؤْذناً بدَرْك البُغية ونُجْح المأمول ولا أخلاك من بِرّ مرفوع ودعاء مسموع قابل اللهُ بالقبول صيامَك وبعظيم المثوبة تهجدك وقيامك أعاد الله إلى مولاى أمثاله وتقبّلَ فيه أعماله وأصلحَ في الدّين والدُّنيا أحوالَه وبلّغه منها آمالَه سعدَ اللهُ مولاى بهذا الشهرِ ووفّاه فيه أجزل المثُوبة والأجر

« وكتب أبو الفرج الببغاء المتوفى سنة ٣٩٨ هـ تهنئة »

سيّدى : أيّده الله — أرفعُ قدراً . وأنبهُ ذِكراً وأعظمُ نُبلاً وأشهرُ فضلا من أن تهنئَه بولاية وإن جلَّ خطرها وعظُم قدرُها . لأنّ الواجبَ تهنئةُ الأعمال بفَائِض عَدْله والرَّعيّةِ بمحمُود فعلِه والأقاليمِ بآثار رِيَاستِه والوِلايات بِسِماَت سياسته فعرّفه الله يُمْنَ ما تولاّهُ ورَعاه في سائر مَا استرعاهُ ولا أخلاه من التّوفيق فيما يُعانيه والتَّسديد فيما يُبرِمُه ويُمضيه

(وكتب رشيد الدين الوَطواط المتوفى سنة ٥٧٣ هـ تهنئة بالقدوم من سفر)

بلغني إياب [١] سيدى زانه الله بصنوف [٢] المعالى وصانه من صروف [٣] الليالى من سَفرته الميمونة [٤] التى أسفرت [٥] عن نيل المراد وتسهيل البُغية [٦] الى دار أقامته ومستقرّ كرامته لم يؤثّر فيه نَصَب السَّير وعناؤه [٧] وكلال السّفر ووعثاؤه [٨] فبلغ سرورى بذلك مبلغاً يضَاهى [٩] ما كنت بصدده [١٠] من الجزَع [١١] لغيبته فحمدت الله تعالى على ما يسَّرَ له من الرُّجوع الى مغانيه [١٢] والطلوع على بلدة جرَّ فيها ذُيُول أمانيه [١٣] فسألته عظُمتْ هيْبتُه أن يجعل ما أنعم

(١) عودة (٢) انواع (٣) نوائب ( ) المباركة (٥) كشت واظهرت (٦) المراد (٧) تعبه (٨) الكلال الاعياء والوعثاء المشقة (٩) يشابه (١٠) في معاناته (١١) عدم الصبر (١٢) المغاني جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله (١٣) نال مقاصده

به عليه من قرب الدّار ودنوّ المزار (١) موصولا بطول العمر والبقاء مقرونًا بدوام العزّ والعلاء (٢) انّهُ سميع الدعاء

(وكتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ)

أى جهابذة (٣) الكنانة (٤) نبّالَ الحنانة (٥) مياه الأجّانة (٦) أبناء تلك اللُّغى صناديدَ هذه الوَغى اليكم يُساقُ الحديثُ فى القديم والحديث عن هذا النبأ العظيم والمجد الصّميم مالى أرَى فى لغتنا الشريفة « ويعلمُ أُولوا النهى آيةٌ هى من اللغات أحقُّ بهذا النّبْز (٧) أَن يُصرَفَ اليها عند الاطلاق » هُبوبًا غِبَّ خمول وترَّةً (٨) بعد نُحول ونُوراً عقيب أُفول وَنوْراً أثرَ ذُبول وصَبًا وَراء قَبول وعدلاً ولا حَيف (٣) وقوّة ولا ضعف وما يشاء المُطرِى (٩) فى هذا القبيل من العَطف

آمنتُ بالقدر المقدور والبَعث والنشُور كذلك يُحيى الله الموتى

أليس رجلٌ واحدٌ أسفرَتْ (١٠) عنه عناية التّوفيق فألقتْ اليه المقاليد (١١)

بَلى (١٢) ولكنه الواحد الذى يقول فى مثله صاحب بنى ميكال

والناس ألفٌ منهمُ كواحدٍ وواحدٌ كالألف ان أمرٌ عنا (١٣)

إى (١٤) وربِّ تلك البَنِيَّة (١٥) بارئ (١٦) نَسَم البَرِيّة إنه لرُجلُ البلاد رجلُ الحزم والسّداد ألم ترَ جَنَانه (١٧) وحنَانه وبنانه (١٨) وبيانه عوامل رَفعٍ

(١) قرب المكان الذي يزار فيه (٢) العلو من علي في المكان يعلى علاء (٣) الحذاق ذوو النقد (٤) مايوضع فيها السهام والمراد انهم نقادون للمسائل (٥) بضم الجم الترس التي يتقي بها (٦ الاجانة بالكسر اناء تغسل فيه الثياب وما حول الغراس شبه الاحواض جمع اجاجين (٧) اللقب الرفيع (٨) امتلاء الجسم بالسمن (٩) الظلم والجور (١) المادح (١١) ظهرت (١٢) المفاتيح (١٣) كلمة جواب تثبت المنفي (١٤) اهم الناس واتقهم (١٥) جواب مثل نعم (١٦) بفتح الباء وزن غنية الكعبة (٧) خالق (١٨) قلبه

لهذه اللغة لغةِ الفرقان [١] لغة الأوطان لا بل أمضى من العوامل حتى ظلّت آدابُها فرائض وقد كانت وما بالعهدِ من قِدم نوافلَ ومن حُليها أجيادُ [٢] اللهجاتِ عواطلُ اللهمّ إلاّ بقيةً تمد قد مُنيتْ [٣] صُحُفُها الأود [٤] ففقدت الجلد والجَلَد [٥] وبعدَ أن رَاجَ سُوق الرّطانة [٦] ونضبَ [٧] ماء الإبانة وخبتْ [٨] أنوارُ البلاغة وزوتْ [٩] أنوارُ [١٠] النّباغة وكَسَدَ البيانُ وقُوِّض [١١] منه البُنيان وأصبحت العربيةُ لقًى [١٢] مُلقاه وبضاعةً مزجاه [١٣] فأتهذا البَراع [١٤] لا أقلّ من نفثات في صوغ كُلَيْمات تقدرُ هذه النعمة قَدْرَها وتمنحُها [١٥] شُكرَها

ويحك [١٦] هُبَّ [١٧] من سِنَتِك [١٨] في حِلْيَةِ مِقتِك [١٩] وأنضِ [٢٠] حُسامَك [٢١] وأشحذ كَهامَك [٢٢] وأنثلْ [٢٣] كِنانتَك [٢٤] وأعمل بنانتك [٢٥] وصغْ إن أستطعتَ تهانيَ غرّا بل عقوداً دُرّا بل أنجماً زُهْراً مِشتاراً [٢٦] من خلايا ذلك الأرْى [٢٧] الشهيّ [٢٨] النّدي الذكيّ ما جَرَستْ [٢٩] نَحْلُه الشّيحَ [٣٠] والخُزامَى [٣١] وأطايبَ الثّمار وأزاهِيَ الأزهار تُهديهنّ أولئك المصاقعُ [٣٢] شكرانًا لتلك النّعم تجميعًا لشوّارِدها وتقييداً لأوابدِها [٣٣] كما شبهها

---

(١) انامل اصابعه (٢) القرآن الشريف (٣) الاعناق (٤) اختبرت (٥) الاود الكد والتعب ومراده اعتنى الناس بهالا عن بذل جهد (٦) القوة (٧) كل لسان يخالف العربية (٨) غار وذهب (٩) خفيت (١٠) ذبلت (١١) جمع نور بالفتح الزهر (١٢) نقض (١٣) بالقصر مطروحة (١٤) قليلة (١٥) القلم (١٦) نعطيها (١٧) كلمة رحمة (١٨) استيقظ (١٨) نومك (١٩) محبتك (٢٠) سله من غمده (٢١) السيف القاطع (٢٢) شحذة حده والكهام بفتح الكاف السيف الكليل (٢٣) استخرج مافيها من النبال (٢٤) الجراب الذي توضع فيها النبل والسهام (٢٥) اصبعك (٢٦) كثير الشراء (٢٧) العسل (٢٨) ما يشتهي (٢٩) أكلت واصله جرس الشيء جرسا لحسه بلسانه (٣٠) نبت طيب الرائحة (٣١) بضم الخاء نبت زهره أطيب الازهار (٣٢) جمع مصقع البليغ (٣٣) لغرائبها

رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المَصدوق و إشفاقاً عليها من الجِماح[١] بعد ذلك الارْتياح

فاليكم بَنى هذه اللغة كتابى هذا تَهنئةً بتلك النَّهْضَة العَربية فى إبَّانٍ كم تعلمون وجهُهُ مُكفَهِرٌّ[٢] وبدنُه مُقشعرٌّ وثناءً على العناية التوفيقية والعزمة الرِّياضيّة

على أنَّ لهذا المولى الوزير سوى ذلك أياديَ[٣] مبْرُورَة ومساعي مشكورة أكْسَبتِ الوَطنَ وأهليه نَهضات وأقالَته كثيراً من العَثَرات لكنَّنى آثرْتُ[٤] تلكُم النهضة العربيّة بتَهْنئتكم بها — أى بَنى جِلْدَتى[٥] وإخوانَ حرْفتى لكونها فيما إخال لا بل فيما أتيقَّنُ و يتيَقَّنُ أولو الحِجا[٦] أعظمَ النّهضات وأيْمَنَ[٧] ما اجتازَه[٨] الوطن من العَقَبات ولو كان فى نِطاقِ الامكان زيادة البيان فى هذا الشّان لأَسهبْتُ[٩] وأوْسعْتُ وأطرَيتُ[١٠] وأطنبْتُ ولو لم يكن فى تلك النّهضة إلاّ أن حياة الأُمة حياة لُغتِها لحَسْبُ لكفاك وشفاك وأغناك وكان ذلك قصاراك[١١] وحَماداك[١٢]

« وكتب الأستاذ محمود بك أبو النصر »

انسان عين الفضائل عزيزى فلان المحترم

نُورٌ على نور وشفاءٌ لما فى الصُّدُور شِفاؤكَ أيها العزيز من ذلك الرَّمد : قد أنجزَ الإقبالُ ما وَعد وابتَهَجت النُّفوس وتزَيَّنتِ الطُّروس واهتزّت الأَقلام وأعلنتْ بالسلاّم

---

(١) الذهاب بسرعة (٢) متعبس (٣) نعماً من ذلك الوزير الخطير مصطفى باشا رياض المتوفى سنة ١٣٣١ هـ (٤) اخترت (٥) بني عشيرتي (٦) العقل (٧) اكثر بركة (٨) سلكه (٩) لاكثرت الكلام (١٠) مدحت (١١) معناه مبلغ جهدك وغايتك (١٢) غاية ما تحمد اليه

ولاح فجرُ التّهاني بالبشائر اذ حَيّتْ فأحيتْ رُبوعَ الفضلِ والأدب

وكيف لا وأنت واحدُ الكُتّاب وانسانُ عين الآداب رَمِدتْ فرَمِدَتْ وشُفيتَ فاهتزّتْ وَرَبتْ وقد كان طرفها كليلاً وفؤادُها عليلا واليومَ زال العَناء وحقّ الهناء ووافى الشّفاء فكان برْداً وسلاماً على القلوب وقميص يوسف فى أجفان يعقوب

فلك الهناء بصحةٍ ميمونةٍ أبداً على مرّ الدُّهور تدُوم

وإنّ الله ما قضى بما قد مضى الا ليُعَرّف سيدى مكانته من القلوب ومنزلتهُ من الفضل وهذه حُلل العافيةِ قد خُلعت عليك وثياب السّلامة سيقتْ اليك فوافى السرور وعمّ الحبور والله يبلّغك بالصّحّة والأعمال منتهى الآمال والسلام

« وكتب الوزير عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٧ ﻫ فى تهنئة العيد »

هذا يومٌ نَشَرَ البِشرُ فيه أعلامَه وأضاءت الدُّنيا وازدانت الآفاق ببَهجة هذا العيدالسّعيد وأخذَ الأحبّةُ يتهادَوْن رسائلَ البشائر فيما بينهم وكلُّ حزبٍ فرِحون بما لديهم بما أوْدَعَ فيهم من روابطِ المحبّةِ وعواملِ الاتحاد السّارية فى النفوس — أمّا أنا فعيدى وبهجةُ نفسى وسرُورُ فؤادى دوامُ إقبال الزّمان عليك بوجه النّصر وعَوْدُ أعياد السُّرُور على جنابك الرّفيع فمثلك تَشْرُقُ الدُّنيا بطلعتهِ وتفرَحُ الأعيادُ برُؤيته

وأرَى الحياةَ لذيذةً بحياته وأرَى الوُجودَ مُشرّفًا بوجودِه

لو أنّنى خُيّرْتُ من دهرِي المُنى لاخترْتُ طولَ بقائه وخلودِه

أعاد اللهُ عليك أيها الأخُ أمثالهُ وأمثال أمثالهِ فى صفاء وهناء

الفصل التاسع في رسائل التعازي

« كتب أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

خبرٌ عزَّ علىَّ مُستَمعهُ وأثَّرَ فى قلبى مَوْقِعُه خبرٌ تستاء (١) له المسامع وترتجّ منه الأضالع خبرٌ يَهدُّ الرّواسى (٢) ويَفلقُ الحجرَ القاسى كادت له القلوبُ تطير والعقولُ تَطيش والنفوسُ تَطيح (٣) خبرٌ يُشيب الوَليدَ ويُذيب الحديد قد كادَ من الحُزن أن تنقبضَ الألسنُ عن هـذا النّعى الفادح (٤) وتخرَس وتقصُرَ الأيدى عن التَّعزية بهذا الرُّزء (٥) الفادح وتَيْبسُ

(وكتب أيضاً فى الأمر بالصبر على المصيبة)

ماذا نَصنعُ والبلاءُ نازلٌ والموتُ حكمٌ شاملٌ وإن لم نعتَصم بحَبل الصّبر فقد اعترضنا على مالك الأمر عليك بعزيمة الصَّبر وصريمة الجَلَد فانها فى الدّين حتْم وفى الرّأى حزْم واعلم بأن الميّتَ لا تَردّه نار تُلْهِبُها من الهمّ على كبدك ولا يُرجعه انزعاج تسلّطه بالحُزن على جسدك فخيرٌ لك من ذلك أن تفعلَ ما يفعله الذاكرون وتقول (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)

(وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

اذا ما الدّهر جرَّ على أُناسٍ   مَصارِئبهُ أناخَ بآخرينا
فقل للشّامتين بنا أفيقوا   سيَلقى الشّامِتُون كما لَقِينا

أحسنُ مافى الدّهر عمومهُ بالنوائبِ وخصوصهُ بالرّغائب فهو يدعُو الجَفَلَى (٦) ذا ساء ويخصّ بالنّعمة إذا شاء فليفكر الشّامتُ : فان كان أفلَتَ (٧) فله أن

(١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك (٤) الذي يثقل الناس ويهمهم (٥) المصيبة (٦) يدعو الناس بعامتهم وجماعتهم (٧) اطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر

يشمت: ولينظر الانسانُ في الدّهر وصُرُوفهِ والموتِ وصُنُوفه من فاتحة أمرهِ الى خاتمةِ عمره هل يجدُ لنفسه أثرًا فى نفسه أم لتدبيره عوْنًا على تصريره أمْ لِعَمَله تقديما لأمله أم لِحِيَله تأخيرًا لأجله كلاّ بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكورًا خُلقَ مقهورًا فهو يَحْيا جبرًا ويَهلكَ صبرًا وليتأملِ المرء كيف كان قَبلاً فان كان العدمُ أصلاً والوجودُ فَضلًا فليعلم الموتَ عدْلاً . . . . . .

والموتُ أطال الله بقاء مولاى خَطْبٌ قد عَظُم حتى هان وأمرٌ قد خَشُنَ حتى لانَ ولعلّ هذا السهمَ قد صارَ آخر مافى كِنانتها(١) وأزْكى (٢) مافى خزانتها ونحنُ معاشرَ التّبَع نتعلّم الأدبَ من أقواله والجميلَ من أفعاله فلا نَحثُه على الجميل وهو الصّبر ولا نُرْغبهُ فى الجزيل وهو الأجر فليرَ فيهما رأيه

« وكتب أيضاً »

ياسيدى — ألمُصاب لَعمْر الله كبيرٌ وأنتَ بالجزَع جَديرٌ ولـكنك بالصبر أجدَر والعَزَاء عن الأعزة رُشْد كأنهُ الغيّ وقد مات المَيْتُ فليَحْيَ الحيّ

« وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م »

أشباحٌ ترُوح وتجى وآجالٌ تمسى وتَغتَدِى وأنفاسٌ تتقطّعُ من دونها حزنًا وأسفًا وَعبرَاتٍ تتفطّرُ وجداً ولهفا وما عَمَدَت الأقدار الى استنزاف مدْمع ولا أرادت الأيام إيلامَ مُوجَع إنما هى سُنّةُ الخَلق كونٌ يليه زوال وعقدٌ يَسبقُه انحلال وأن لـكلّ شيء أجلاً موقوتاً وان لـكلِّ أجل سبباً مقدُوراً وأنّ الانسانَ لفى كلّ ذلك شاهدٌ يسمعُ لاهياً ويُبصر ساهياً وليس فى يده أن يستردّ ماضياً ولا أن يرُدّ آتياً ولقد ودِدت أن أُعزّيك لولا ما يغالبنى

(١) الجراب الذي توضع فيه السهام (٢) اطهر وانفس لانه لايخزن الا ما كان نفيساً

على العزاء من كبدٍ حرّى ومُقلة شكرى وزفرة تترى ثم وددت أن أستبكيك لولا أنى بكيتُ حتى لم أدع فى البكاء من واد وأحييتُ ليالىّ بالنّوح حتى ما بالنّجم سهاد ثم لم يزدنى البكاء على سقم جسدى ولم يزدنى النّوح على صفر يدى الاّ من كبدى وإن الأقدارَ سِهامٌ اذا انطلقت لم ترَدّ وإن المتطلّع الى الفائت لطويلُ شقّة الـكمد وان الخطوبَ لحى هى وإنما تتفاوت عند الجلد

وإن الحصى عنـد الجزوع ثقيلةٌ   وضخم الصفا عند الصّبور خفيف

واللهُ المسئول فى إطالة بقائك قرّة للعيون وجبراً لخاطر المحزون بمنّه وكرمه

الفصل العاشر فى رسائل الأجوبة

« كتب الوزير عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ »

سيّدى سلّمك الله وحيّاك وأسعدنى برؤية مُحيّاك وزاد عزّك وعُلياك وحرسَ دِينك ودنياك وجمعنى على بساط المسرّة وإيّاك ولا حرمنى دوام لُقياك ولا برح الدّهر مُبتسم الثّغر بمحاسن معاليك مُباهياً أعصار الأوائل بأيامك ولياليك مُحلّياً أجياد المفاخر بزواهر لآليك — ورَد علىّ كتابك الـكريم مورد إعزاز وتكريم فبلّ بعض مافى الجوانح من الصّدى وأنعشنى ولا انتعاش الزّهر بمبا كرة النّدى وجلا علىّ من البلاغة روْضاً غضّاً وأدار لدىّ صفوًا من سُلاف المحبّة محضا وهزّنى هزّة النّشوان شوقاً وطربا واستفزّنى بمعجز آياته الحسان عُجباً وعجبا ونثر علىّ من محاسن لفظك الحرّ وكلماتك الغرّ ما يخجلُ الدّرارى ويفضح الدّرّ

كلامٌ كستهُ بهجةُ الحُسْن رَوْنقا   هو السّحر لا بل جلّ قدراً عن السّحر

« وكتب أيضاً وهو بالاستانة العليَّة في يوم برد كثير الأمطار »

كتبتُ اليك والأمطارُ ساجمة (١) بطَلِّها (٢) ووَبْلها (٣) وعَساكر البَرْد والبَرَد هاجِمةٌ بخيلها ورجْلها (٤) والسّماء مُتلفِّعةٌ بأذيال السّحاب وكأنّ الشّمس خافت من الطلّ فتوارت بالحجاب والجوُّ مِسكىّ الرّداء عنبرىّ الأرجاء كأنه وعليه ثوب الغيم مزْرُورٌ قد وَجِل (٥) من صَوْلة البرد فلبس فرْوة السَّمُّور والغمام على الأفقِ بكلاكلِه (٦) وهزّ من البرْق بيض مناصله (٧) ونَشَر فى الجوّ طرائق مطارِفه (٨) وجاد على الأرض بتَليدِه (٩) وطارِفه وثقلَ على كاهل الهَواء كالطير بلّ جناحه بالماء وقرُب حتى كاد يُمسك باليدين ويُعتصر بالراحتين أو كأنه مرآةٌ مذهّبةٌ تبدُو وتَخفَى أو جذْوةٌ (١٠) متلهّبة تُوقدُ وتُطفَى والرّعدُ يُهدّدُ بزَواجر زماجره السّحائب فيُبكيها والطير يتلُو سُطُور النّدَى فى طُرُوس الثرى (١١) فيُمليها ويُطربُ بأفنان (١٢) الألحان أفنان (١٣) البَان فيُمليها ويثنيها ويقرا على رؤوس الأغصان أورادَه الحسان فيقرِيها ويرقيها وقوسُ السّماء يرمى بسهام وَبْله (١٤) جنوبَ الشّقائق (١٥) فيُصميها (١٦) ويدميها والرّيح تمسح أخلافَ (١٧) الغمائم فتُمريها وتُرضعُ بدَرِّها بنات النّبات فى حُجُور أراضيها فترَبّيها وتربيها وترَصّعُ بدُرّها تيجان القضبان وتارة تجعله عقوداً فى تراقيها (١٨) أو دموعاً فى أماقيها وكأنّ الحرّ خافَ من بنادق البَرْد

(١) سائلة (٢) الندى (٣) المطر الكثير (٤) المشاة على ارجلهم (٥) خاف (٦) بجماعاته (٧) سيوفه (٨) [illegible] والمراد اذا كثر حتى غطى السماء (٩) [illegible] ضده والمراد كثرة مطره (١٠) بتثليث الجيم الجمرة (١١) الأرض (١٢) [illegible] (١٣) الاغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق النعمان نبت أحمر (١٦) [illegible] ومراده انه يرميها بالمطر حتى تزهو فتحمر (١٧) جمع خلف بالكسر الضرع [illegible] الناقة [illegible] اذا مسح ضرعها لتدر اللبن (١٨) أعناقها

ومدافع الرّعد ففرّ إلى مصر ونواحيها وأصبح نزيل مَنْ فيها لكرم أهلها وكأنّ غيرها تخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفاً أو غلط الناس فى حساب الفصول فظنّوا شتاها ضيفاً

(وكتب المرحوم حفنى بك ناصف الى الشيخ علي الليثى المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)

وصل يا مولاىَ الى هذا الطَّرَف ما خصّصت به العبدَ من الطُّرَف « قفصٌ » من عنَب كاللؤلؤ فى الصّدَف تتألق عناقيده كأنها من صناعة « النّجَف » ولعَمر الحقّ أنها تُحفة من أحلى التُّحف لا يعثرُ على مثلها إلاّ بطريق « الصدف » فقابلناه لثماً بالأفواه ورشفاً بالشّفاه واحتَفَينا [1] بقدُومه كلّ الاحتفاء ولم نُفرّط فى حبّه عند اللقاء بل حللْنا له الحُبى [2] وقلنا له أهلاً وسهلا ومرحباً وأوسعناه عضّاً ولثماً وتناولناه تجميشاً [3] وضمّاً وحفظنا فى صدورنا سرّه المكنون وطويناه فى غضُون [4] البُطون فطربتْ منْ تعاطيه الأرواح ولا غرْوَ فهو أصل الرّاح [5] وانتشَينا [6] ولم نحمل وِزراً وثَمِلْنا [7] ولم نَذُقْ طَعْماً مرّاً فهو كبيانٍ مُهديه سِحرٌ ولكنه حلال وأمِيٌّ إلاّ أنه كإِلٍ فان أكسبَت الشّمولُ شاربها قوّة فى الجنان ونفحتْ [8] ذائقها طلاقة في اللّسان فقد سرَتْ فى أجسامنا من حرارته شجاعةٌ « ليثيّة » ودبّتْ فى كلامنا من مذاقته فصاحةٌ « علويّة » وخَلُصَتْ الينا منه فوائدُ لا يحيط بها العلم ونجمتْ [9] عنه منافع ليس يصحُبُها إثمٌ — فان زعم الأوّلون أنّ في الخمر معنًى ليس في

(١) بالغنا في اكرامه واظهرنا الفرح والسرور (٢) الحبال (٣) المغازلة والملاعبة (٤) طبقات البطون (٥) الخمرة (٦) سكرنا (٧) سكرنا أيضاً (٨) أعطت (٩) ظهرت

العنَب فقد تغيّر الحال في هذه المدّة وانقلبَ وانكشف للمتأخرين حقيقةُ الأمر أنّ في العِنب معنًى ليس في الخمر

وكان الأحرَى بهذا العنب أن يُناط (١) بالنُّحور أو تُزَيَّن به الصُّدور فما هو إلا اللؤلؤ لكنّه سَلِمَ من سِجْن البحار وما هو إلاّ الدُّرّ لكن ليس فيه صُغَار (٢)

(ومَنْ كنتَ بحرًا له يا عليّ   لا يَلقطُ الدُّرَّ إلاّ كُبارا)

وما ضرّه أن ضمّهُ القَفَص حصّةً من الحصص فان كريم الطير يُودَعُ في الأقفاص والقلب ليس له من حنايا الضُّلوع خلاص فلا بِدعَ أن تستقلّ في حبّاته حبّاتُ القلوب ويُستَمْلَحَ في جنب حلاوته رُضابُ (٣) المحبوب وكأنّ الثّريا لما أخذَتْ شكلَهُ فغرَ (٤) الهلال فاهُ لعنقودها يُريد أكلهُ فهو يطاردها في السّماء ويأخذ عليها الطريق من الوَراء وهي تجري من الأمام مخافة الالتهام هذا لمجرّد تشابه في الشكل فكيف بالثريّا لو أشبهتهُ حلاوةً وريًّا (٥) فلله تلك العناقيدُ ما أشدّ تألقَها وأصفَى ماءها وأحسن رَوْنقها من كل عنقودٍ تخالُه عمود الصُّبح أحاطتْ به الدّراري أو غُصنَ البان تعلّقت به القماري

فسقَى الغيثُ أرضاً أنبتَتْه ولا ثَلّ (٦) الدّهر عرُوشاً حملَته وأرضاً عرّفتنا بأثمارها حلاوة الجنّة وأبرزتْ لنا لمحةً من محاسنها المستكنّة وأنسانا عِنَبُها ذكرَى دمشق (٧) وأزمير وأنبأنا غارِسُها أن مصر خيرُ مُستقَرّ ولا يُنبئك مثلُ خبير وعروساً كالعروس تَتيه (٨) في الحَلْي والملبُوس تحسُدها المجرّة (٩)

(١) يعلق (٢) بضم الصاد الصغير (٣) ريقه (٤) فتح (٥) منظراً حسناً (٦) لاهدم عاصمة الشام سميت باسم بانيها دمشاق بن كنعان (٨) تتبختر (٩) نجوم كثيرة لاتدرك جرد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء

في السّماء وتودّ لو تكون لها هذه البهجةُ والرُّواء [١] لا زال مولاى يهدى ويُهدى وصنائعه تُعيد فى ثنائه وتبدى

(وأجابه المرحوم الشيخ على الليثى المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)

وبعدُ فقد وصل كتاب القاضى الفاضل وأرج الأرجاء بلطيف فواضله وشريف الفضائل وما كنتُ أظُنُّ أن يحصلَ من زبيبة خماره حتى رأيت الفاضل سبكه فى قوالبَ شتّى وصاغه وأتى بما أدهش اللُّبَّ من أساليب البلاغه فتارةً عقْداً على النُّحُور وتارةً فى ميادين الطلب تُطاردُه البدُور وآونةً دُرًّا مكنّبرا ومرّةً خمراً مُعنبرًا وساعة دوالى « نجفه » وساعة غُصنًا تعلّق به الهَزَار [٢] وألفه

تكاثرَتِ الظّباء على خراشٍ فما يدْرى خراشٌ ما يصيدُ

عجباً لك أيها الفاضل : هذا مع اشتغال بالك وإقبالك على ماالديك من مراعاة عدلك واعتدالك فكيف لو تفرّغتَ لهذا الأمرِ ولإراحة النفس اعتصرتَ من العنقود قدحاً من خمر وامتطيْتَ [٣] طرَفَ اليرَاع منتهجاً مناهج الطِّرْس ودَبجتَ [٤] بياض صفحاته بمحاسن حلْى النِقس [٥] فلله أنت من بليغ بلغ ما يريد وقلدَ فرَائدَ آدابه كلّ جيد وأفاد السِّحْرَ منثوراً فى فواصله وأقام بعوامل أقلامه تثقيفَ عوامله وأوجب علينا الشهادة له بالسبق فأذعنا مسلمين والحقُّ أحقّ — هذا ولولا أنْ يقال فلان جفَا وما احتفل بكتاب أخيه ولا احتفَى [٦] وإن كان شيبي يُلزمُني ذلك كما أن شباب (البيك) يسلُك به

---

(١) بضم الراء حسن المنظر (٢) بفتح الهاء طائر يقال له العندليب (٣) علوت (٤) نقشت (٥) بكسر النون الحبر (٦) ولا سأل

أقوم المسالك لستَرْتُ عِيِّ وما أشرْت ورأيتُ طيّ خيرًا لى مما نشرت وجعلتُ كتاب سيّدى فى عنقى تميمةً [١] وروّحتُ النفس تيمنًا [٢] بمس آياته الكريمة وقلتُ كفانى ما أحاط بالعنق من قلائده حيثُ العبد لا يبلغ فى الفخامة كمال سيّده

وهبنى قلتُ هذا الصبحُ ليلٌ أيعمي العالمون عن الضياء

لازالت بُرُد الترسّل بيننا مستمرّةً ومدد التوصّل على جناح التقرب مُستقرّة ولا برح الجنابُ فى كلّ بداية يترقى كما يحبّ من غاية إلى غاية والسلام

الفصل الحادى عشر فى رسائل الوصايا والشفاعات

« من كلام له عليه الصلاة والسلام لعُمر بن الخطاب فى غزْوة الفُرس »

إن هذا الأمر لم يكن نَصرُه ولا خذلانُه بكثرةٍ ولا قلّة وهو دين الله الذى أظهرَه وجُندُه الذى أعدّه وأمدّه حتى بلغ ما بلغ وطَلَعَ حيثما طلع ونحن على موعود من الله والله مُنجزٌ وعدَه وناصرٌ جُندَه — ومكان القيّم بالأمر مكانُ النِّظام من الخَرَز يجمعُه ويضمّه فاذا انقطعَ النّظام تفرّق الخرز وذهبَ ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً

والعرَب اليومَ وإن كانوا قليلا فهمْ كثيرُون بالإسلام عزيزُون بالاجتماع فكن قُطباً واستَدر الرّحى بالعرَب وأصلِهِمْ دُونك نارَ الحرْب فانك إن شخصتَ من هذه الارض انتقَضتْ عليك العرَب من أطرافها وأقطارِها حتى يكون ما تدَعُ وراءك من العَوْرات أهمّ اليك مما بين يديك

(١) ماتكتب وتعلق في عنق الصباة للحرز (٢) تبركا

إن الأعاجم ان يَنظرُوا اليك غداً يقولوا هذا أصل العرب فاذا قطعتموه استرحتم فيكون ذلك أشدّ لكَلَبهم عليك وطمعهم فيك فأمّا ما ذكرت من مَسيرِ القوم إلى قتال المسلمين فان ألله سُبحانه هو أكرَه لمَسيرهم منك وهو أقدر على تغْيير ما يكرَه : وأما ما ذكرت من عَددهم فانا لم نكن نقاتِل فيما مضى بالكثرَة وانما كنّا نُقاتل بالنّصر والمَعُونة

﴿ ومن وصية له عليه الصلاة والسلام قالها بصِفّين ﴾

أمّا بعدُ فقد جعل الله لى عليكم حقّا بولاية أمرِكم ولكم عليّ من الحق مثل الذى لى عليكم فالحقّ أوسعُ الأشياء فى التّوَاصُف وأضيقها في التنَاصُف لا يجْرِى لأحد الا جَرَى عليه ولا يجْرى عليه الأ جَرى له ولو كان لأحد أن يجْرى له ولا يَجْرى عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دُون خلقه لقدْرته على عباده ولِعَدله فى كل ما جَرَت عليه صُرُوف قضائه ولكنّه جعل حقه على العباد أنْ يُطيعوه وجعل جزاءهم عليه مُضاعفَةَ الثّوَاب تفضلا منه وتوسّعا بما هو من المَزيد أهلهُ ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترَضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ فى وُجوهها ويُوجب بعضُها بعضاً وَلا يُستوْجب بعضها إلا ببعض وأعظَمُ ما افترَض سبحانه من تلك الحقُوق حقّ الوالى على الرّعيّة وحقّ الرّعيّة على الوالى فريضة فرضها سبحانه لكلّ على كلّ فجَعَلَها نظاما لأُلفَتهم وَعِزًّا لِدينهم فليست تصلُح الرّعية إلاّ بصلَاح الوُلاة وَلا تصلُح الوُلاة إلاّ باستقامة الرّعيّة فاذا أدّت الرّعيّة الى الوالى حَقه وأدّى الوالى اليها حَقها عزّ الحقّ بينهم وقامت مناهج الدّين واعتدَلتْ معالم العدْل وجَرت على أذلالِها السُّنَنُ فصلح بذلك الزمان وطُمع فى بقاء الدولة ويئسَتْ مَطامعُ الأعْداء وَاذا غلَبت

للرعية واليها وأجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الأبرار وتعز الاشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه فليس أحد وان اشتد على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة: ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته فقال عليه السلام إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ماسواه وان أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة الله على أحد الا ازداد حق الله عليه عظما وان من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء: وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لاخراجي نفسي الى الله واليكم من التقية في

حقوقٍ لم أفرُغْ مِن أدائها وفرائضَ لا بُدَّ من امضائها فلا تكلّمونى بما تكَلّمُ بهِ الجبابرة ولا تتحفّظوا منى بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطونى بالمصانعة ولا تَظُنُّوا بى استثقالاً فى حقٍّ قيل لى ولا التماس اعظام لنفسى فانه من استَثْقَل الحقَّ أن يقالَ له أو العدلَ أن يعرَض عليه كان العمل بهما أثقلَ عليه فلا تكفُّوا عن مقالةٍ بحقٍ أو مشورة بعَدْل فانّى لَسْتُ فى نفسى بفَوْقَ أنْ أُخطئ ولا آمنُ ذلك من فعلى الاّ أن يكفى الله من نفسى ما هو أملك به منى فانما أنا

ربٌّ غيره يملك منّا مالا نملك من أنفسنا

نحْنا عليه فأبْدَلَنا بعد الضلالة بالهُدَى وأعطانا

ليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه الى العدوّ

كم فليكنْ مُعسكَرُكم فى قبيل الأشراف وسفاح

كم رِدْءًا ودونكم مَرَدًّا ولتكنْ مقاتلتكم

كم رُقَباء فى صَياصى الجبال ومَناكب

م العدو من مكان مخافةٍ أو أمْن : واعلموا أن مُقدّمة القوم عيونهم وعيونَ المقدّمة طلائعهم وَايّاكم والتفرّق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم فارْتحلوا جميعاً واذا غَشيكم الليلُ فاجعلوا الرّماح كفّة ولا تَذوقوا النّوم إلا غِرَاراً أو مَضْمضة

﴿ ومنْ وصية له عليه السلام كان يكتبها لمنْ يستعمله عَلَى الصدقات ﴾

إنطَلق على تَقوَى الله وحده لا شريك له ولا تَرُوعَنَّ مسلما ولا تجتازَنَّ عليه كارهاً ولا تأخذَنَّ منه أكثر من حقّ الله فى ماله فاذا قدِمْتَ على الحيّ

فانْزِلْ بمائهم من غير أن تخالطَ أبياتهم ثم امضِ اليهم بالسكينة والوَقار حتى تقومَ بينهم فتُسَلّم عليهم ولا تَخْدِج بالتحية لهم ثم تقول — عبادَ الله أرسلني اليكم وليُّ الله وخليفتهُ لآخذَ منكم حقَّ الله فى أموالكم فهل لله فى أموالكم من حقٍّ فتؤدُّوه إلى وَليّه فان قال قائل لا فلا تُرَاجعهُ : وان أنعمَ لك مُنْعِم فَانطلِق معه من غير أن تُخيفَه وتُوعِدَه أو تَعْسِفه أو تُرْهقه فَخذْ ما أعطاك من ذهبٍ أو فضة فان كان له ماشية أو إبل فلا تدْخُلها الا بإذنه فانَّ أكثرَها له فاذا أتيْتَها فلا تَدْخُلْ عليها دُخول مُتَسَلطٍ عليهِ ولا عَنيف بهِ ولَا تُنَفِّرَنَّ بَهيمة ولا تُفْزِعَنَّها ولا تَسُوْءَنَّ صاحبها فيها واصْدَع المالَ صَدْعين ثم خيِّره فاذا اختار فلا تعرَّضَنَّ لما اختارَه ثُمَّ اصْدَع الباقى صَدعين ثم خَيِّره فاذا اختار فلا تَعَرَّضنَّ لما اختاره فلا تَزال بذلك حتى يَبقى ما فيه وَفاءٌ لحق الله فى ماله فاقبضْ حقَّ الله منه فان اُستقَالَكَ فأقلهُ ثم اَخلطْهما ثم اَصنع مثل الذي صنَعت أوَّلا حتى تأخذ حقَّ الله فى ماله ولا تأخذَنَّ عَوْداً ولا هَرِمةً ولا مَكسورةً ولا مَهْلوسة ولا ذاتَ عوارٍ ولا تأمَنَنَّ عليها إلا مَنْ تثق بدينهِ رافقاً بمال المسلمين حتى يوَصِّلهُ إلى وَليّهم فيَقسمه بينهم ولا تَوَكّل بها ألاَّ ناصحا شفيقاً وأميناً حفيظا غيرَ مُعنِّف ولا مُجْحِف ولا مُلْغِب ولا مُتْعب ثم اَحدُر الينا ما اَجتمع عندك نصيِّرْهُ حيثُ أمرَ الله فاذا أخذَها أمينُك فأوْعِزْ اليه ان لا يحُول بين ناقةٍ وبين فَصيلها ولا يمْصُر لَبنها فيضُرَّ ذلك بوَلَدِها ولا يَجْهَدَنَّها رُكوباً وليَعدِل بين صواحِبتها فى ذلك وبَينها : وليُرَفِّه على اللاَّغب وليستأْنِ بالنَّقِب والظَّالع وليُورِدْها ما تمُرُّ به من الغُدُر ولا يَعدل بها عن نَبْتِ الأرض إلى جَوَادِّ الطرُق وليُرَوِّحْها فى الساعات وليُمهلْها عند النِّطاف والأعشاب حتى تأتينا باذن الله

بَدْنا مُنْقِيَات غيرَ مُتْعَبات ولا مجهوذات لنَقْسِمَها على كتاب الله وسُنَّة نبيّه صلى الله عليه وآله فان ذلك أعظم لأجْرِك وأقرَب لرُشْدِك إن شاء الله

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذمّ الدُّنيا — أيها الذّامُّ للدُّنيا المُغترُّ بغرُورها المخدُوع بأباطيلها ثم تذُمّها أتغترُّ بالدُّنيا ثم تذُمّها أنت المُتجرّم عليها أمْ هي المُتجرّمة عليك متى آستهْوَتك أمْ متى غرّتك أبمصارع آبائك من البِلى أم بمضاجع أُمهاتِك تحت الثّرَى كم علّلْت بكفّيك وكم مرّضت بيدَيك تبغى لهم الشّفاء وتستوْصِف لهم الأطبّاء لم ينفع أحدَهم إشفاقُك ولم تُسْعَف بطَلِبتِك ولم تدْفَعْ عنهُ بقوّتك وقد مثّلتْ لك به الدُّنيا نفسَك وبمصرَعِهِ مصرعَك : ان الدُّنيا دارُ صدْق لمَنْ صدَقها ودارُ عافيةٍ لمَنْ فهم عنهـا ودارُ غِنىً لمَنْ تزوّد منها ودارُ موْعظةٍ لمن آتعظ بها مسْجِد أحبّاء الله ومُصلّى ملائكة الله ومهْبط وَحي الله ومَتجَرُ أولياء الله آكتسبوا فيهـا الرّحمة وربحوا فيها الجنّة فمَنْ ذا يذُمّها وقد آذَنتْ ببيْنها ونادتْ بفراقها ونعَتْ نفسها وأهلَها فمثّلتْ لهم ببلائهـا البلاء وشوّقتهم بسرُورها الى السّرُور راحتْ بعافية وآبتكرتْ بفجيعة ترْغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً فذمّها رِجالٌ غَدَاةَ النّدامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرَتْهم الدُّنيا فتذكّرُوا وحدّثتهم فصدّقوا ووعظتهم فاتّعظوا

« عهد الامام على المتوفى سنة ٤٠ هـ لمالك بن الحارث الأشتر النّخَعي »

(حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح أهلها وعمارة بلادها)

اعلم يَا مالكُ أنى قـد وجّهتُك الى بلاد قد جرَتْ عليها دُوَلٌ قبلك من عَدل وجَوْر وأنّ النّاس ينظُرُون من أُمورِك فى مثل ما كُنتَ تنظر فيه من أمورِ الوُلاَة قبلك ويقولون فيك كما كُنتَ تقول فيهم وانمـا يُستدَلّ على

الصالحين بما يجري اللهُ لهم على ألسنة عباده فليكن أحبُّ الذخائر اليك ذخيرة العَمل الصالح فاملِك هواك وشُحّ بنفسك عما لا يَحلّ لك فان الشُّح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت — وأشعرْ قلبك الرحمة للرّعية والمحبّة لهم واللطف بهم ولا تكوننّ عليهم سَبُعًا ضارياً تغتنم أكلهم فانهم صِنفان إمّا أخٌ لك في الدّين وامّا نظيرٌ لك في الخَلق يَفرُط منهم الزّلَل وتَعرض لهم العِلَل ويُؤتَى على أيديهم في العَمْد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تُحبُّ وترضى أن يُعطيك اللهُ من عفوه وصفحهِ فانك فوقَهم ووَالي الأمر عليك فوقك والله فوق مَنْ ولاّك وقد استكفاك أمرَهم وابتلاك بهم ولا تَنصبنّ نفسك لحرب الله فانه لا يَدَيْ لك بنقمته ولا غنىً بك عن عفوه ورحمته ولا تَندَمنّ على عفوٍ ولا تَبجَحَنّ بعقوبة ولا تُسرِعنّ الى بادرَة وجدتَ عنها مَندوحة ولا تقولنّ إني مؤمَّرٌ آمرُ فأُطاع فان ذلك إدغالٌ في القلب ومَنهكةٌ للدّين وتقرُّبٌ من الغِير واذا أحدَث لك ما أنت فيه من سلطانك ابَّهةً أو مخِيلةً فانظر الى عِظَم ملك الله فوقك وقُدرته منك على ما لا تقدِر عليه من نفسك فان ذلك يُطامنُ اليك من طِماحك ويَكُفّ عنك من غَرْبك ويَفيء اليك بما عَزَب عنك من عقلك وايّاك ومُساماة الله في عظمته والتّشبُّه به في جبرُوته فان الله يُذِلُّ كلّ جبّار ويُهين كلّ مُختال أنصفِ الله وأنصفِ النّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك ومَنْ لك فيه هوًى من رعيّتك فانك إن لم تَفعَلْ تَظلِم ومن ظلمَ عباد الله كان اللهُ خصمه دون عبَاده ومَنْ خاصمهُ اللهُ أدحض حُجّته وكان اللهُ حرْبًا حتى ينزِع ويتوب وليس شيءٌ أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله سميعٌ دعوةَ المظلومين وهو للظالمين بالمرْصاد

وليكنْ أحبُّ الامور اليك أوسطها فى الحقّ وأعمُّها فى العدل وأجمعها لرضاء الرّعيّة فان سخطَ العامة يُجحِفُ برضاء الخاصّة وان سخط الخاصّة يُغتفرُ مع رضاء العامّة وليس أحدٌ من الرّعيّة أثقلَ على الوالى مؤونةً فى الرّخاء وأقلّ معونةً فى البلاء وأكرَه للإنصاف وأسأل بالالحاف وأقلّ شكراً عند الأعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأخفّ صبراً عند مُلِمَّات الدّهر من أهل الخاصّة : وانما عِماد الدّين وجماع المسلمين والعُدّة للأعداء العامةُ من الامة فليكنْ صغوُك لهم وميلُك معهم : وليكنْ أبعَد رعيّتك منك وأشنأهم عندك أطلَبهم لمَعايب النّاس فان فى النّاس عيُوباً الوالى أحقُّ مَنْ ستَرَها فلا تكشفن عمّا غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظَهَرَ لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العوْرة ما استطعت يَستر الله منك ما تحبُّ ستْرَهُ من رعيّتك — أطلق عن النّاس عُقْدَة كلّ حقد واقطعْ عنك سببَ كلّ وِتْر وتَغابَ عن كلّ ما لا يصحُّ لك ولا تَعجَلَنَّ إلى تصديق ساع فان السّاعى غاشٌ وإن تشبّه بالنّاصحين — ولا تُدخلَنّ فى مشورتك بخيلا يَعدل بك عن الفضل ويَعِدُكَ الفقر ولا جبَاناً يُضعِفك عن الأمور ولا حَريصاً يُزيّن لك الشّرَه بالجوْر فانّ البُخل والجُبن والحِرص غرائزُ شتّى يجمعُها سوء الظّنّ بالله : إن شرَّ وُزرائك مَنْ كان قبلك للأشرار وَزيراً ومَنْ شرِكَهم فى الآثام فلا يكوننّ لك بِطانةً فانهم أعوان الأثمَة وإخوان الظّلَمة وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخَلَف ممن له مثلُ آرائهم ونَفاذهم وليس عليه مثل آصارِهم وأوْزارِهم ممن لا يُعاوِن ظالماً على ظُلمه ولا آثماً على إثمه أولئك أخفّ عليك مؤونةً وأحسن لك مَعُونةً وأحنَى عليك عَطفاً وأقلّ لغيرك إلفاً فاتخذ أولئك خاصّة لِخَلَوَاتك وحفَلاتك : ثم ليكنْ آثَرهم عندك أقوَلُهم لك بمُرّ الحق وأقلّهم مساعدةً

فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقيماً ذلك من هواك حيث وقع : والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الأطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة : ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان فى ذلك تزهيداً لأهل الاحسان فى الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه — واعلم أنه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك فى ذلك أمر يجمع لك حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً : وان أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء مما مضى من تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها — وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك — واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله

تعالى لهم من الخراج الذى يقوون به فى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مالا يبلغ رفق غيرهم: ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى الله لكل سعة: ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل فول من جنودك أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولإمامك وأطهرهم جيباً وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوى المروآت والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف — ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن فى نفسك شئ قويتهم به ولا تحقرن لطفاً تعاهدهم به وإن قل فانه داعية الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه — وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم فى معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهلهم حتى يكون همهم هماً واحداً فى جهاد

العدوّ فانّ عطفك عليهم يُعطف قلوبهم عليك : وإن أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودّة الرّعية وانه لا تظهر مودّتهم إلاّ بسلامة صدورهم ولا تصحّ نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلّة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدّتهم فافسح في آمالهم وواصلْ في حسن الثّناء عليهم وتعديل ما أبلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذّكر لحسن فعالهم تهزّ الشجاع وتحرّض النا كل ان شاء الله تعالى — ثم اعرف لكلّ امرىء منهم ما أبلى ولا تضيفنّ بلاء امرىء الى غيره ولا تقصّرنّ به دون غاية بلائه ولا يدعونّك شرفُ امرىءٍ إلى أن تعظّم من بلائه ما كان صغيراً ولاضعةُ امرىء أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً : واردُدْ إلى الله ورسوله مايُضلعك من الخطوب ويشتبه عليكَ من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول) فالرّد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه والرّدّ إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة — ثم اختر للحكم بين النـاس أفضل رعيّتك في نفسك ممّن لاتضيق به الأمور ولاتمحّكه الخصوم ولا يتمادى في الزّلة ولا يحصر عن الفيء إلى الحقّ اذا عرفه ولاتُشرف نفسهُ على طمع ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشّبهات وآخذهم بالحجج واقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور وصرمهم عند اتّضاح الحكم ممن لايزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل — ثم أكثِرْ تعاهُد قضائه وافسحْ له في البذل ما يزيح علّته وتقلّ معه حاجتهُ الى الناس وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيرُه من خاصتك لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظرْ في ذلك

نَظَرًا بليغًا فانّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار يُعْمل فيه بالهوى وَتُطْلب به الدُّنيا — ثمّ انْظُرْ في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً وَلا تُوَلّهم مُحَابَاةً وأثَرَةً فانهم جماعٌ من شُعَب الجوْر والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيُوتات الصالحة والقِدَم في الإسلام فانهم أكرمُ أخلاقًا وأصَحُّ أعْرَاضًا وأقلُّ في المطامع إشْرافًا وأبلغ في عواقب الأمور نظراً : ثم أسْبِغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوّة لهم على استِصلاح أنفسهم وغنًى لهم عن تناوُل ما تحت أيديهم وحجّةٌ عليهم ان خالَفُوا أمْرَكَ أو خانوا أمانتَكَ — ثم تَفَقّدْ أعمالهم وابْعث العيُون من أهل الصّدق والوَفاء عليهم فانّ تعاهُدَك في السرّ لأمورهم حَدْوةٌ لهم على استعمال الأمانه والرّفق بالرّعية وتَحَفّظ من الاعوان فان أحدٌ منهم بسط يدَهُ إلى خيانة اجتَمَعَتْ بها عليه عندك أخبار عيُونك اكتفيتَ بذلك شاهداً فبَسَطْت عليه العقُوبه في بدنه وأخذتَهُ بما أصاب من عمله ثم نَصبْته بمقام المذلّة وَوسمتَه بالخيانة وقَلّدته عارَ التُّهمة — وتَفقّدْ أمرَ الخراج بما يُصلح أهله فانّ في صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سِواهم ولا صلاح لمن سِواهم إلاّ بهم لأن الناس كلهم عيالٌ على الخراج وأهْله — وليكن نظرُك عمارة الأرض أبلغَ من نظَرك في استجلاب الخراجِ لأن ذلك لا يُدرَك الاّ بالعمارة وَمن طلبَ الخراج بغير عمارة أخرَب البلاد وأهلك العباد ولم يستَقم أمره إلاّ قليلا فإن شكَوْا ثقلاً أو عِلّةً أو انقطاع شرْب أو بالّةٍ أو احالة أرضٍ اغتمَرها غرَقٌ أو أجحَف بها عَطش خَفّفتَ عنهم بما ترْجُو أن يَصلُح بِهِ أمرُهم : ولا يثقُلنّ عليك شيء خفّفتَ بِهِ المؤونةَ عنهم فانه ذخر يعُودُون به عليك في عمارة بلادك وتزْيين ولايتك مع استِجلابك حسنَ ثنائهم وتبَجُّحك باستفاضة العدل فيهم

مُعتَمداً فضل قُوّتهم بما ذخَرْت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عوّدتهم من عدْلك عليهم فى رِفقك بهم فربّما حدَث من الأمور ما اذا عوّلَ فيه عليهم من بَعدُ احتملوه طيّبة أنفسهم به فانّ العُمران يحتمل ما حمّلته وانما يأتى خراب الارْض من اعْواز أهلها وانما يُعْوَز أهلها لاشراف أنفس الوُلاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلّة انتفاعهم بالعبرَ — ثم انظر فى حال كُتّابك فولّ على أمورِك خيرَهم واخصص رَسائِلك التى تُدْخل فيها مكائدَك وأسرارَك بأجمعهم لوُجوه صالِح الأخلاق ممّن لاتبطره الكرامة فيجترئ بها عليك فى خلافٍ لك بحضرة مَلاٍ ولا تُقصّر به الغَفلة عن ايراد مكاتبات عمّالك عليك واصدار جواباتها على الصّواب عنك فيما يأخذ لك ويُعطى منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عُقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الأمور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهلَ: ثم لا يكن اختيارُك اياهم عَلى فِراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرّفون لفِراسات الوُلاة بتَصنُّعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النّصيحه والامانةِ شئ ولكن اختبرْهم بما وَلُوا للصالحين قَبلك فاعْمد لأحسنهم فى العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فان ذلك دليلٌ على نَصيحتك لله ولمن وُليتَ أمرَه واجعل لرأس كلٍّ من أمورك رأساً منهم لا يَقهره كبيرُها ولا يتَستّتُ عليه صغيرُها ومهما كان فى كتّابك من عيب فتغابَيتَ عنه أُلزِمتَه ثم استوْص بالتُّجار وذوى الصّناعات وأوْص بهم خيراً المُقيم منهم والمُضطرب بماله والمترَفّقُ ببدنهِ فانهم موادّ المنافع وأسباب المرافق وجُلّابها من المَباعد والمطارح فى برّك وبحرِك وسهْلك وجبَلك وحيث لا يلتئم النّاس لمواضعِها ولا يجترئون عليها فانهم سِلْمٌ لا تُخافُ بائقته وصُلحٌ لا تُخشى

غائلته: وتفقّدْ أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقًا فاحشًا وشحًّا قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكما فى البياعات وذلك بابُ مضرّة للعامّة وعيبٌ على الوُلاة فامنع مِنَ الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منَعَ منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدلٍ وأسعارٍ لا تُجحِف بالفريقين من البائع والمُبتاع فمن قارف حكْرةً بعد نهيك إيّاه فنكّلْ به وعاقب فى غير إسرافٍ — ثم اللهَ اللهَ فى الطّبقة السُّفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسَى والزمنى فانّ فى هذه الطبقة قانِعاً ومُعترًّا واحفظ الله ما استحفَظك من حقّه فيهم واجعل لهم قسْما من بيت مالك و قسما فى كلّ بلد فانّ للأقصى منهم مثلَ الذى للأدنى لنّك عنهم بطرٌ فانك لا تعذَر بتضييعك التافهَ خص همّك عنهم ولا تصعّر خدَّك لهم وتفقّد ممن تقتحمه العيون وتحتقره الرجال ففرّغ لأولئك والتواضُع فليرفع اليك أمورَهم ثمّ اعمل فيهم بالأعذار يوم تلقاه فأن هؤلاء منْ بين الرّعيّة أحوَجُ إلى الانصافِ من غيرهم وكلٌّ فاعذرْ إلى الله فى تأديةِ حقه اليه وتعهد أهل اليتم وذوى الرّقة فى السنّ ممنْ لاحيلة لهُ ولا ينصِبُ للمسألة نفسه وذلك على الوُلاة ثقيل والحقّ كلّه ثقيل وقد يُخفّفه اللهُ على أقوام طلبوا العاقبةَ فصبّروا أنفسهمْ ووثقوا بصدْق موعود الله لهم — واجعل لذوى الحاجات منك قسْما تُفرّغُ لهم فيه شخصك وتجلس لهمْ مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعِد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلّمك متكلّمهم غيرَ مُتتعتع فانى

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى غير مَوْطنٍ (لن تقدّس أُمّة لا يُؤخذ للضّعيف فيها حقه من القوىّ غير مُتَتَعْتَع) ثم احتمل الخُرْق منهم والعِىّ وسنّح عنهم الضّيق والأنف يَبسط اللهُ عليك بذلك أكناف رحمته ويوجبْ لك ثواب طاعتِه وأعط ما أعطيتَ هنيئاً وامْنع فى إجمال وإعذار — ثم أُمورٌ من أمورك لا بُدّ لك من مباشرتها منها إجابةُ عمّالك بما يَعيَا عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس يوْمَ وُرودها عليك مما تَحرَج به صدُور أعوانك وامْض لكلّ يوم عمَلَهُ فان لكلّ يوْم مافيه : واجعلْ لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت وأجزَلَ تلك الأقسام وإن كانت كلّها لله اذا صلَحَتْ فيها النّية وسلِمت منها الرّعية — وليكن فى خاصّة ما تُخلِصُ لله به دينك إقامة فرائضه التى هى له خاصّة فأعطِ الله من بدَنك فى ليلك ونهارك ووَفِّ ماتقرّبتَ به الى الله سبحانه من ذلك كاملاً غيرَ مثلُوم ولا منقوص بالغاً من بدَنك ما بَلغ واذا قمتَ فى صلاتك للنّاس فلا تكونَنّ منفّراً ولا مضيّعاً فان في الناس من به العِلة وله الحاجة وقد سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حينْ وجّهنى اليمن كيف أُصلى بهم فقال (صلّ بهم كصلاة أضعفهم وكنْ بالمؤمنين رحيما) وأمّا بعدُ فلا تُطوّلنّ احتجابك عن رعيتك فان إحتجابَ الولاة عن الرعية شعْبة من الضّيق وقلّة علم بالأمور والاحتجاب منهم يَقطع عنهم علم ما احتجَبوا دونه فيصغرَ عندهم الكبير ويعظم الصغير ويَقبُح الحَسَن ويَحسُن القبيحُ ويُشاب الحقّ بالباطل وانما الوالى بشَرٌ لا يَعرف ما توَارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحقّ سِماتٌ تعرَفُ بها ضرُوب الصدق من الكذب وانما أنت أحد رَجُلين إما امرُؤٌ سخَتْ نفسك بالبذل

في الحقّ ففيم احتجابك من واجب حقّ تُعطيه أو فعل كريم تُسديه أو مبتَلى
بالمَنْع: فما أسرَع كفّ الناس عن مسألتك اذا أيِسُوا من بذلك مع أنّ أكثر
حاجات الناس اليك مما لا مَؤُونة فيه عليك من شَكاة مَظلَمة أو طلب
انصاف في مُعاملة — ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتَطاوُل وقلّة
انصاف في مُعاملة فاحسِم مادّة أولئك بقَطع أسباب تلكَ الأحوال ولا تُقطِعن
لأ... حاشيتك وخاصتك قطيعة ولا يَطمَعنّ منك في اعتقاد عقدة تضُرّ

لِ مشتَرَك يحملون مؤُونته على غيرهم
بَه عليك في الدّنيا والآخرة: وألزِم الحقّ من
، ذلك صابراً محتسِباً واقعاً ذلك من قَرابتك
ه بما يَثقُل عليك منه فان مغبّة ذلك محمودة
فأصحِرْ لهم بعُذرك واعدِلْ عنك ظُنونهم
ـ ريضة منك لنفسك ورفقاً برعيّتك وإعذاراً تبلُغ به
على الحقّ ولا تَدفَعنّ صلحاً دعاك اليه عدوّك ولله فيه
دَعةً لجُنودك وراحةً من همومك وأمناً لبلادك ولكنّ

الحذر كل الحذر من عدوّك بعد صلحه فان العدوّ رُبما قارَب لِيتغفّل فخذ
بالحزم واتّهِمْ في ذلك حُسْن الظنّ وإن عقَدْتَ بينك وبين عدوّك عُقدَةً أو
ألبستَهُ منك ذِمّةً فَحُطْ عهدَك بالوفاء وارْعَ ذِمّتك بالأمانة واجعل نفسك
جُنّة دون ما أعطيتَ فانه ليس من فرائض الله شيء الناسُ أشدّ عليه اجتماعا
مع تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم من تعظيم الوَفاء بالعهود وقد لزم ذلكَ
المُشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استَوبلوا من عواقب الغَدْر فلا تغدرَن

بذمّتك ولا تخيسَن بعهدك ولا تختلنّ عدوّك فانه لا يجترئ على الله إلاّ جاهل شقيّ وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون الى منعته ويستفيضون إلى جواره فلا إدْغالَ ولا مُدالسة ولا خِداع فيه ولا تَعقدْ عقداً تجوز فيه العلل ولا تعوّلنّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونّك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحقّ فان صبرَك على ضيقِ أمرٍ ترجو انفراجه وفضلَ عاقبته خيرٌ من غدْر تخاف تَبعته وأن تُحيط بك فيه من الله طلبةٌ فلا تستقيلُ فيها دُنياك ولا آخرتك — إياك والدّماء وسفكها بغير حلّها فانه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرَى بزَوال نعمةٍ وانقطاع مدّة من سفك الدّماء بغير حقّها واللهُ سبحانه يتولّى الحكم بين العباد فيما تَسافكوا من الدّماء يومَ القيامة فلا تقوّيَن سلطانك بسفك دمٍ حرامٍ فان ذلك مما يضعفه ويُوهنهُ بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمْد لأن فيه قَوَد البدن وإن ابتُليت بخطأ وأفرط عليك سوْطك أو سيفك أو يدُك بعقوبة فان فى الوكزة فما فوقها مقتلةً فلا تطمَحَنّ بك نخوةُ سلطانك عن أن تؤدّى الى أولياء المقتول حقهم وإيّاكَ والأعجاب بنفسك والثّقة بما يعجبك منها وحُبَّ الاطراء فان ذلك من أوثق فُرَص الشيطان فى نفسه ليَمْحَقَ ما يكون من احسان المحسنين ــ وإيّاك والمنّ على رعيتك باحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدَهم فتتْبع موعدَك بخلفك فان المنَّ يُبطل الأحسان والتَزيّد يذهب بنور الحقّ والخلف يوجبُ المقت عندَ الله والناس قال الله سبحانه وتعالى (كَبُرَ مقتاً عندَ الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وإيّاك والعَجلة بالأمور قبل أوانها أو التسقط

فيها عند امكانها أو اللجاجة فيها اذا تنكرت أو الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه — وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الامور وينتصف منك المظلوم: أملك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك أن تتذكر مامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ماعهدت اليك فى عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وانا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه من حسن الثناء في العباد وجميل الأثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا الى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين

(وكتب أبو بكر الصديق المتوفى ٧ جمادى الثانية سنة ١٣ هـ الى بعض قواده)

اذا سرت فلا تعنف أصحابك فى السير ولا تغضبهم وشاور ذوى الآراء منهم واستعمل العدل وباعد عنك الجور فانه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم (وإذا لقيتم الذين كفروا زحفاً [1] فلا تولوهم الأدبار [2]) ومن

(١) مجتمعين لكثرتهم يزحفون (٢) الانهزام

يُوَلِّهِم يومئذٍ دُبُرَه إلاّ متحرّفاً [1] لقتالٍ أو مُتحيّزاً [2] الى فئةٍ فقدباء بغضبٍ من الله — وإذا نُصرتم عليهم فلا تقتُلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا تَحرِقوا زرْعاً ولا تقطَعوا شجَراً ولا تَذْبحوا بهيمةً إلاّ ما يلزمكم للأكل ولا تَغدُروا اذا هادنتم [3] ولا تنقُضوا إذا صالحتم وستَمرُّون على أقوام فى الصّوامع رُهبان ترَهّبوا لله فدَعُوهم وما انفردوا اليه وارْتضَوْهُ لأنفسهم فلا تهدموا صوامعَهم ولا تقتُلوهم) — والسلام

(وكتب عمر بن الخطاب المقتول فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ الى بعض قوّاده)

أمّا بعدُ فانى أُوصيك ومَنْ معك من الأجناد بتقوى الله على كلّ حال فان تقوَى الله أفضلُ العُدّة على العدُوّ وأقوَى المكيدة فى الحرْب وأن تكون أنت ومن معك أشدّ احتراساً من المعاصى منكم من عدُوّكم فان ذُنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدُوّهم ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوّة لأن عددنا ليس كعددِهم ولا عُدّتنا كعُدّتهم فان استوَينا فى المعصيةِ كان لهم الفضلُ علينا فى القوّة (وإلاّ نُنصرْ عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوّتنا) واعلموا أن عليكم فى سيركم حفَظَةً من الله يعلمون ما تفعلُون فاستحْيُوا منهم واسألوا الله العوْن على أنفسكم كما تسألونهُ النّصرَ على عدُوّكم — وأقِمْ بمن معك فى كلّ جُمعةٍ يوماً وليلةً حتى تكون لهم راحةٌ يُحيُون فيهما أنفُسَهم ويرُمون أسلحتَهم وأمتعتهم ونَحّ منازلَهم عن قُرَى أهل الصّلح والذّمّة فلا يدخلها من أصحابك إلاّ مَنْ تثِقُ به — وليكن منك عند دُنوّك من أرض العدُوّ أن تكثر الطّلائع وتبثّ السّرايا بينك وبينهم ثم أذكِ أحراسَك على عسكرك وتيقّظ من البيَات جُهدَك والله وليّ أمرك ومَنْ معك وولىّ النّصر لكم على عدُوّكم

(١) متعطفاً (٢) منضما الى جماعة يستنجد بهم (٣) صالحتهم

(وكتب أبو الفضل بديع الزّمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ ﻫ الى ابن أخته)

أنتَ وَلَدِى ما دُمتَ والعِلمُ شأنُك والمدرسة مكانك والمِحبرَة حليفك والدَّفترُ أليفك فان قصَّرْتَ ولا إخالك فغيرى خالك — والسلام

(ومن وصية ابن سعيد المغربى المتوفى سنة ٦٩٧ ﻫ لابنه وقد أراد السفر)

أُودِعُكَ الرَّحمنَ فى غُرْبتك   مُرْتقباً رُحماهُ فى أوْبتك
فلا تُطِلْ حبلَ النَّوَى إنّنى   والله أشتاق الى طَلعتك
وَاختصر التَّوْدِيعَ أخذاً فما   لى ناظرٌ يَقوَى على فُرْقتك
واجعل وَصاتى نُصبَ عين ولا   تبرَح مَدَى الايام من فكرتك
خلاصة العُمْر التي حنَّكتْ   في ساعةٍ زُفّتْ الى فِطنتك
فللتَّجاريب أُمور إذا   طالَعتَها تَشحَذَ من غفلتك
فلا تَنَمْ عن وعيها ساعةً   فانّها عونٌ الى يقظتك
وكلّ ما كابدتَهُ فى النَّوَى   إيّاك أن يكسِرَ منْ هَمتك
فليس يُدرى أصلُ ذى غُرْبة   وإنما تُعرَفُ من شِيمتك
وَامشِ الهُوَيْنا مُظهِرًا عِفّةً   وابغِ رِضا الأعيُن عن هيئتك
وانطق بحيثُ العِيُّ مُستَقبحٌ   واصمُتْ بحيثُ الخير في سكتتك
ولِجْ على رِزْقك من بابه   واقصِدْ له ما عِشْتَ فى بكرَتك
ووَفّ كُلاًّ حقّه ولتكنْ   تكسِر عند الفخْر من حدّتك
وحيثما خيَّمْتَ فاقصِد الى   صُحبة من ترجُوه فى نصرتك
وللرَّزايا وَثْبةٌ مالها   الا الذى تذْخرُ من عُدَّتك
ولا تَقُلْ أسلَمُ لى وَحدتى   فقد تُقاسى الذل فى وَحدتك

ولتجعلَ العقلَ مِحكّاً وخذ كُلّاً بما يَظهر فى نقدَتك
واعتبر الناس بألفاظهم واصْحَبْ أخاً يَرغَب فى صحبتك
كم من صديقٍ مُظهرٍ نُصحَه وفكرُهُ وَقْفٌ على عثرتك
ايّاك أن تقربه انهُ عَوْنٌ مع الدّهر على كُرْبتك
وأنمُ نُموَّ النبت قد زارَه غيثُ النّدى واسمُ الى قُدرتك
ولا تُضيّعْ زَمناً مُمْكناً تذكارُه يُذكى لَظى حسرتك
والشرّ مَهما استطَعْتَ لا تأتِهِ فانهُ جَوْرٌ على مُهجتك

يا بُنيّ الذى لا ناصحَ له مثلي ولا مَنصُوح لى مثلهُ قد قدّمتُ لك فى هذا النّظم ما أن أخطَرته بخاطرك في كلّ أوانٍ رجوتُ لك حسن العاقبة ان شاء الله تعالى وانّ أخفَّ منه للحفظ وأعلق بالفكرِ وأحقّ بالتقدّم قولُ الأوّل

يزينُ الغريبَ اذا ما اغتربْ ثلاثٌ فمنهنّ حُسْن الأدب
وثانيـة حُسن أخلاقـهِ وثالثةٌ إجتنـابُ الرّيَب

واصغَ يا بنيَّ الى البيت الذى هو يتيمة الدّهر وسُلّم الكَرَم والصّبْر

ولو أنّ أوطانَ الدّيار نَبتْ بكُمْ لَسَكَنتمُ الأخلاق والآدابا

إذ حُسن الخُلق أكرَمُ نزيلٍ والأدبُ أرحبُ منزل ولتَكنْ كما قال بعضهم فى أديبٍ مُتغرّب وكان كلما طرأ على مَلك فكأنهُ معهُ وُلد واليه قصدَ غيرَ مستريب بدَهْره ولا مُنكرٍ شيأ من أمره واذا دَعاك قلبُك الى صُحبة من أخذ بمجامع هَواه فاجعل التّكلُّف لهُ سُلّماً وهُبّ فى رَوض أخلاقهِ هُبُوب النّسيم وحُلّ بطرفه حُلولَ الوسن وانزِل بقلبه نزولَ المسرّة حتى يَتمكنَ لك ودَادُه ويَخلص فيك اعتقادُه وطهّرْ من الوقوع فيه لسانَك وأغلِق سمعَك

ولا ترخَّص فى جانبه لحسودٍ لك منه يُريد إبعادَك عنهُ لمنفعة أو حسودٍ له يَغارُ لتَجمّله بصُحبتك ومع هـذا فلا تَغترّ بطُول صُحبته ولا تَتَمهّد بدوام رقدة فقد يُنَبّهُهُ الزمان ويتغيّر منه القلب واللسان وانما العاقل مَن جعل عقله معيارًا وكان كالمرآة يلقى كلّ وجهٍ بمثاله — وفى أمثال العامة من سَبقك بيوم فقد سَبقَك بعقل فاحتذ بأمثلة من جرّب واستمع الى ما خلَّد الماضُون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال فانها خُلاصة عُمْرهم وزُبْدة تجاربهم ولا تتكل على عقلك فانّ النظر فيما تَعب فيه النّاسُ طُول أعمارهم وابتاعُوه غاليـاً بتجاربهم يُرْبحُك وَيقَع عليك رَخيصاً — وان رأيت من له عقل ومُروءة وتَجْربة فاستَمِدْ منهُ ولا تُضيّع قوله ولا فعله فان فيما تلقاه تلقيحاً لعقلك وحثًّا لك واهتداء وليس كل ما تَسْمع من أقوال الشعراء يحسُن بك أن تتّبعه حتى تتدبّره فان كان موافقاً لعقلك مُصلحاً لحالك فراع ذلك عندك والاّ فانبذه نبذَ النَّوَاة فليس لكلّ أحد يُتبسّم ولا كل شخص يكلّم ولا الجود مما يُعمّ به ولا حُسن الظنّ وطيبُ النّفس مما يُعامَل به كلُّ أحد ولله درّ القائل

وما لىَ لا أوفى البريّة قِسطَها   على قَدْرِ ما يُعطِي وعقلى ميزانُ

وإياكَ أن تُعطِىَ من نفسك الاّ بقَدَرٍ فلا تُعامل الدُّون بمعاملة الكُفء ولا الكُفء بمعاملة الأعلى ولا تضيّع عُمْرك فيمن يُعاملك بالمطامع ويُثيبك على مَصلحةٍ حاضرة عاجلة بغائبة آجلة ولا تجفُ النّاسَ بالجملة ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحَق منه مَلل ولا ضجَر ولا جفاء فمتى فارَقْتَ أحداً فعلى حُسنى فى القوْل والفعل فإنك لا تدرى هل أنتَ راجعٌ اليه فلذلك قالَ الأول (ولمّا مَضى سَلمٌ بَكَيْتُ على سَلمٍ) وإياكَ والبيتَ السائر

وكنتَ اذا حللتَ بدارِ قومٍ رَحلتَ بخزيةٍ وتركتَ عارا

واحرص على ما جمعَ قول القائل ثلاثةٌ تبقى لك الودَّ فى صدر أخيك أن تبدأهُ بالسلام — وتوسّع له فى المجلس — وتدعوه بأحبّ الأسماء اليه واحذرْ كل ما بيّنه لك القائل — كل ما تغرسهُ تجنيه الا ابن آدم فاذا غرستَه يقلعك وقول الآخر ابن آدم ذئب مع الضعف أسدٌ مع القوّة — واياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تُطيل اختباره . ويحكى أن ابن المقفّع خطب من الخليل صُحبته فجاوبه أنّ الصُحبة رِقٌ ولا أضع رقّى فى يديك حتى أعرف كيف ملكتك واستملْ من عين من تُعاشره وتفقّد فى فلتات الألسن وصفحات الأوجه ولا يحملك الحياء على السكوت عما يضُرّك أن لا تبيّنه فانّ الكلام سلاح السِلم وبالأنين يُعرف ألَمُ الجُرح واجعل لكل أمرٍ أخذتَ فيه غايةً تجعلها نهاية لك

وخذْ من الدّهر ما أتاك به من قرّ عيناً بعيشه نفعه

اذ الأفكار تجلب الهموم وتضاعفُ الغموم وملازمة القطوب عنوان المصائب والخُطوب يستريب به الصاحب ويشمت العدوّ والمُجانب ولا تغرّ بالوساوس الاّ نفسك لانك تنتصر بها الدّهر عليك — ولله درّ القائل

اذا ما كنتَ للأحزان عوناً عليك مع الزمان فمنْ تلوم

مع أنه لا يردُّ عليك الغائبَ الحُزن ولا يرعوى بطول عتبك الزّمنْ

ولقد شاهدتُ بغرناطة شخصاً قد ألفته الهموم وعشقته الغموم ومن صغره الى كِبَرِه لا تراه أبداً خلياً من فِكرةٍ حتى لُقِّب « بصدر الهمّ » ومن أعجب ما رأيته منهُ انهُ يتنكّد فى الشدّة ولا يتأمّل بأن يكون بعدها فرَج ويتنكّد فى الرّخاء خوفاً من أن لا يدوم — ويُنشد

« توقَّعْ زوالا إذا قيلَ تمّْ » وينشد « وعند التّناهى يَقصُر المُتطاوِل »

وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب ومثل هذا عُمرُه محسور يمرّ ضَياعاً — ومتى رفعكَ الزّمانُ إلى قوم يذمُّون من العلم ما تُحسِنه حسَداً لك وقصداً لتصغير قدرك عندك وتزهيداً لك فيه فلا يحْملك ذلك على أن تزهد فى علمك وتركن إلى العلم الذى مدَحوه فتكونَ مثلَ الغُرَاب الذى أعجبهُ مشىُ الحَجلة فرَامَ أن يتعلّمهُ فصعُبَ عليه ثم أراد أن يَرجع إلى مشيه فنَسيه فبقَى مُخبَّل المشى كما قيل

إن الغُرَاب وكان يمشى مِشيَةً ... فيما مضى من سالف الأجيال

حَسَدَ القَطا وأرادَ يمشى مشيها ... فأصابه ضربٌ من العُقّال

فأضلّ مِشيتَهُ وأخطأ مشيها ... فلذاك كنّوْهُ أبا مِرقال

ولا يُفسد خاطرَكَ مَنْ جعل يذُمُّ الزمان وأهلَه ويقول ما بَقِى فى الدُّنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يُرتاح فيه فان الذين تراهم على هذه الصّفة أكثر ما يكونون ممن تَصحبه الحرْمان واستحقتْ طَلْعتُه للهوان وأبرموا على الناس بالسُّؤال فمقَتُوهم وعجزُوا عن طلَب الأمور من وُجوهها فاستراحوا الى الوُقوع فى الناس وأقاموا الأعذار لأنفسهم بقَطع أسبابهم ولا تَزِلْ هذين البيتين من فكْرك

لِنْ اذا ما نلتَ عزًّا ... فأخو العزّ يلين

فاذا نابَكَ دهرٌ ... فكما كنتَ تكون

والأمثالُ تُضرَب لذي اللّبّ الحكيم وذُوا البَصر يمشى على الصراط المستقيم والفطنُ يقْنع بالقليلِ ويستدِلُّ باليَسير واللهُ سبحانهُ خليفتى عليك لا رب سواه

﴿ وصية هرون الرشيد لمعلم ولده الامين ﴾

يا أحمرُ — إن أمير المؤمنين قد دَفع اليك مُهجةَ نفسه وثمرة قلبه فَصيّرْ يَدَكَ عليه مبسوطةً وطاعتَه لك واجبةً فكُنْ له بحيث وَضعَك أميرُ المؤمنين أقرئْهُ القرآن وعرّفه الاخبارَ ورَوِّه الاشعارَ وعلِّمهُ السُّنَنَ وبَصِّرْه بمواقع الكلام وبدئِه — وامنعهُ من الضَّحك إلاَّ في أوقاته وخُذْه بتعظيم بنى هاشم اذا دخلوا عليه ورَفعِ مجالِس القوَّاد اذا حضرُوا مجلسه ولا تمرنَّ بك ساعةٌ إلاّ وأنت مغتنمٌ فائدةً تفيده اياها من غير أن تُحزِنَه فتُميتَ ذهنَهُ ولا تُمعِنْ في مُسامحته فيستحلى الفراغَ ويألَفهُ وقوِّمهُ ما استطعت بالقُرْب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدّة والغلظة

﴿ ومن وصية ابن شداد لابنه ﴾

عليكَ بتقوَى الله العظيم وليكن أولَى الامور شكرَ الله وحُسْن النّية في السِّر والعَلانية فأن الشكورُ يزدادُ والتقوى خيرُ زادٍ وكُنْ كما قال الحُطَيْئة

ولستُ أرى السّعادةَ جمعَ مالٍ ولـكنّ التّقىّ هو السّعيدُ
وتقوَى اللهِ خير الزّاد ذخرا وعنـدَ الله للاتقى مَزيدُ

ثم قال

أىْ بنىّ لا تزهدنّ في معروف فانّ الدّهر ذو صُروف والايام ذاتُ نَوائبَ على الشاهد والغائب فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه وطالب أصبح مطلوباً مالديه : واعلم أن الزّمان ذو ألوانٍ ومَنْ يصحب الزّمان يرى الهَوانَ

ثم قال

أى بنىّ كن جواداً بالمال في موضع الحقّ . بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق

فإنّ أحمدَ جود المرء الانفاقُ فى وجه البرّ وأن أحمدَ بخل الحرّ الضنّ بمكتوم السر وكن كما قال قيسُ بن الخطيم

أجودُ بمكنون التّلاد [1] وإنّنى بسرّك عمّن سالنى لضنين [2]

اذا جاوزَ الاثنين سرٌّ فانه بنث [3] وتكثير الحديث قمين

وعنـدى له يوماً اذا ما ائتمنتنى مكانٌ بسوداء [4] الفؤاد مكين

ثم قال

أى بنىّ وإن غلبت يوماً على المال فلا تدع الحيلة على حال فإنّ الكريم يحتال والدنئ عيّال [5] وكن أحسنَ ما تكون فى الظاهر حالا أقلّ ما تكون فى الباطن مالا فان الكريم من كرُمت طبيعتهُ وظهرت عند الانفاد نعمته

ثم قال

أى بُنىّ وان سمعتَ كلمةً من حاسد فكن كأنك لستَ بالشّاهد فانك ان أمضيتها حيالها رجع العيبُ على مَنْ قالها وكان يقال الأريبُ [6] العاقل هو الفطن المتغافل

« وصية بعض نساء العرب الى ابنها وقد أراد السفر »

قال أبانُ بن تغلب وكان عابداً من عبّاد أهل البصرة . شهدتُ أعرابيةً وهى توصى ولداً لها يريد سفرًا وهى تقول له

أىْ بُنىّ إجلس أمنحك وصيّتى وبالله توفيقُك فان الوصيّة أجدَى [7] عليك من كثير عقلك . قال أبان فوقفت مستمعاً لكلامها مستحسنًا لوصيتها فاذا هى تقول . أى بُنىّ إيّاك والنميمةَ فانها تزرعُ الضّغينةَ وتُفرّقُ بين المحبّين

(١) المال القديم (٢) بخيل (٣) اظهار (٤) حبة القلب (٥) ثقيل على غيره (٦) الحازم (٧) أنفع

وإيّاكَ والتّعرضَ للعيوب فتُتّخذ غرضاً (١) وخَليقٌ ألاّ يثبتَ الغرض على كثرة السِّهام . وقلّما اعتوَرَت (٢) السِّهام غرضاً الا كَلَمَتْهُ (٣) حتى يَهِيَ (٤) ما اشتدّ من قُوَّته . وإيّاك والجُودَ بدينكَ والبُخلَ بمالك . واذا هززتَ فاهزز كريماً يَلِنْ لهزّتك ولا تهزز اللئيم فانه صخرةٌ لا ينفجر ماؤها ومثّلْ لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعملْ به وما استقبحتَ من غيرك فاجتنِبْهُ فان المرء لا يرى عيب نفسه ومن كانت مودّته بِشْرُهُ وخالف ذلك منهُ فعلهُ كان صديقه منهُ على مثل الرّيح فى تصرّفها — والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع الحِلم والسّخاء فقد أجاد الحلّة رِيطتها وسِربالها

الفصل الثاني عشر فى رسائل التنصل والتبرؤ

(كتب أبو الحسن على بن الرُّومى المتوفى سنة ٢٨٤ ه الى القاسم بن عبيد الله)

ترَفّع عن ظُلْمى إن كنتُ بريئاً وتفضّل بالعفو إن كنتُ مُسيئاً فوالله اني لأطلبُ عفو ذنبٍ لم أجنه والتمسُ الإقالة مما لا أعرِفه لتزدادَ تطوُّلا وأزداد تذلّلاً وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واشٍ يكيدُها وأحرسها بوفائك من باغ يحاولُ إفسادها وأسأل الله تعالى أن يجعل حظّى منك بقدر وُدّى لك ومحلّى من رجائك بحيث أستحقّ منك

---

(١) هدفا يرمي فيه (٢) تداولت (٣) جرحته (٤) يضعف

﴿ وكتب أبو الوليد بن زيدون المتوفى بأشبيلية سنة ٤٦٣ هـ ﴾

يامولاي[١] وسَيدي[٢] الذي ودادي له[٣] واعتمادي[٤] عليه واعتدادِي[٥] به وامتدادي[٦] منه ومن أبقاهُ اللهُ ماضيَ[٧] حدِّ العزْمِ[٨] واريَ[٩] زَنْد[١٠] الأمل[١١] ثابتَ[١٢] عَهْدِ[١٣] النِّعْمَةِ إنْ سَلَبتني[١٤] أعزَّك[١٥] اللهُ لباسَ[١٦] نَعمائك وعطَّلتني[١٧] من حُلَى[١٨] إيناسِك[١٩] وأظمأْتني[٢٠] الى بُرودِ[٢١] إسعافك[٢٢] ونفَضتَ[٢٣] بي كفَّ حِياطَتك[٢٤] وغضَضْتَ[٢٥] عني طرْفَ[٢٦] حمايتك بعدَ أن نظر الأعمى الى تأميلي[٢٧] لك وسمع الأصمُّ ثنائي[٢٨] عليك وأحسَّ الجمادُ باستحمادِي[٢٩] اليك

---

(١) المولى له معان كثيرة الاليق منها هنا السيد او المنعم ومنها العبد أيضاً قال أبو تمام

مولاك يا مولاي صاحب لوعة ... في يومه وصبابة في أمسه

دنف يجود بنفسه حتى لقد ... أمسي ضعيفاً أن يجود بنفسه

(٢) السيد من ساد على قومه ارتفع وهو اخص مما قبله وذكر لمزيد الاستعطاف (٣) محبتي (٤) اتكالي (٥) عدتي ليوم حاجتي (٦) مزيد خيرى (٧) قاطع (٨) قوة الارادة أي لا يعزم على امر الا امضاه (٩) الورى خروج النار من الزند وقت الاقتداح (١٠) مقدحة

(١١) الرجاء (١٢) متمكن ومتوثق (١٣) ميثاق اي اي ان نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبدا وان محبته مقصورة عليه وانه هو الملتجأ اليه وانه يطلب من الله أن يبقيه وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع وخيره غيث متتابع وانه لحسن افتتاح وبراعة استهلال (١٤) انتزعت مني (١٥) أعزك الله جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيده بالعزة والاشارة الى مايستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنبيهاً له على ذلك (١٦) مايواري الجسم أى جردتني من نعمك المحيطة بي (١٧) العطل في الاصل خلو جيد المرأة من القلائد (١٨) مايتحلى به (١٩) انسك — أى أحرمتني من لذيذ أنسك (٢٠) أعطشتني (٢١) بارد (٢٢) انجادك (٢٣) طرحت (٢٤) احاطتك أي طرحتني من كف حوزك لي (٢٥) خفضت (٢٦) نظر — أي حفضت طرف وقايتك عني فتركتني غرضاً لصائبات الحوادث (٢٧) التأميل أمر معنوي لايشاهد وانما ذلك مبالغة في شدة التلبس والاتصاف به (٢٨) مدحي — مبالغة في انتشار مدحه (٢٩) حمدي مبالغة في تأثير حمده بشير الى تعداد ماحل به من المصائب وأحدق به من كل جانب الا وهو تجريده من نعم الامير المحيطة به احاطة الثياب وحرمانه من الانس بذلك الجناب واعطاشه الى سريع اغاثته

فلا غَرْوَ(١) قد يَغَصُّ(٢) الماء شاربهُ ويقتلُ الدواءُ المُستَشفى به ويُؤتى الحذِرُ(٣) من مأمنه(٤) وتكونُ مَنِيَّةُ(٥) المتَمَنِّى فى أُمنِيَّته(٦) والحين(٧) قد يسبقُ جُهْدَ(٨) الحريص

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وتهون غَيرَ شماتةِ(٩) الحُسّادِ

وانى لا تَجلّد(١٠) وأرى للشامتين أنى لرَيبِ(١١) الدهر لا أتضعضعُ(١٢) فأقول هل أنا إلا يدٌ أدْماها(١٣) سِوَارُها(١٤) وجبينٌ عضّ به إكليله(١٥)

واخراجه من محيط دائرته وصرفه عنه نظرملاحظته خصوصاً بعد ان صير تأميله فيه جسماً مخترعاً ولذا رآه الأعمى وجبلا مدحه بما جذب اليه الآذان فدخلها بدون استئذان ولذا سمعه الأصم وبذل قصارى جهده في مدحه حتى كان مؤثراً في كل الكائنات ولذا ادركه الجماد: وفيه من المبالغة ما فى قول المتنبي

انا الذى نظر الأعمى الى أدبي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وأسمعت كلماتي من به صمم

وانما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك ادل على توجعه وتألمه وأسرع لتلبية ندائه وأمكن لجلب الصفاء وازالة الجفاء (١) فلا عجب الفاء واقعة في جواب انمن قوله ان سلبتني (٢) غصصت بالماء أغص غصاً اذا شرقت به وأغصصته انا (٣) المتيقظ (٤) محل امنه (٥) موت (٦) مايتمناه (٧) الهلاك (٨) طاقة (٩) الفرح في بلية الغير يقول ان انتزعت مني ما أعطيت واحللت بي من المصائب ما أحللت بعد غلوي في الثناء عليك والتجائي في كل الأمور اليك فليس ذلك بالأمر العجيب ولا بالنادر الغريب بل كثير النظائر والأمثال فالماء الذي به زوال الغصص قد يكون هو المغص وان الامنية قد تكون فيها المنية وأنه يشير في عبارته الى قول بعضهم

قد كنت عدتي التي أسطو بها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي

فرميت منك بغير ما أملته ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ والمرء يشرق بالزلال البارد

والى قول الآخر

تجري الأمور على وفق القضاء وفي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ طي الحوادث محبوب ومكروه

فربما سرني مابت أحذره ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وربما ساءني مابت أرجوه

والبيت الذي ذكره لابن أبي عيينة (١٠) أتكلف الصبر والقوة (١١) ريب الدهر نوائبه (١٢) أتزلزل هذا حل بيت لابي ذؤيب الهذلي وهو

وتجلدي للشامتين أريهم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أني لريب الدهر لا اتضعضع

(١٣) أسال دمها (١٤) نوع من الحلي يلبس في الساعد (١٥) تاجه

وَمَشْرَفِيٌّ (١) أَلْصَقَهُ بالأرض صاقِلُهُ (٢) وَسَمْهَرِيٌّ (٣) عَرَضَهُ على النّار مُثَقِّفُهُ (٤) وعبدٌ ذهَب به سيّده مذهب الذي يقول

فقسا ليزد جروا (٥) ومن يكُ حازماً فليقسُ أحيانا على من يرحمُ

هذا العتبُ (٦) محمودٌ عواقبُهُ وهذه النَّبْوَة (٧) غمرةٌ (٨) ثم تنجلي (٩) وهذه النكبةُ (١٠) سحابة صيفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ (١١) ولن يُرِيبَنِي (١٢) من سيّدي إن أبطأ سَيْبُهُ (١٣) أو تأخّر غير (١٤) ضَنِين غَنَاؤُه (١٥) فأبطأ الدّلاء فيضاً (١٦) أملؤها وأثقلُ السّحائب مَشْياً أحفلُها (١٧) وأنفعُ الحيا (١٨) ما صادف جدباً (١٩) وألذُّ الشَّراب ما أصابَ غَليلاً (٢٠) ومع اليومِ غدٌ ولكلِّ أجلٍ كتابٌ

(١) سيف (٢) جاليه (٣) رمح (٤) مقومه (٥) يمتنعوا يخاطب نفسه ويسليها ويضرب لها الامثال ويمنيها ويسهل عليها ماتعانيه ويحببها تماديه مع مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته حيث لم يستهجن فعله وعمله معه فقد نزل نفسه منزلة يد الحسناء التي أجرى دمها السوار والجبين الذي أثر فيه تاج الافتخار والسيف الذي وضعه على الترب صاقله لصقله لالهوانه والرمح الذي وضعه على النار مثقفه لتعديله لا لأحراقه والعبد الذي قسى سيده رحمة به واحساناً لا استخفافاً به وهواناً — والبيت لأبي تمام (٦) اللوم (٧) الجفوة (٨) شدة (٩) تنكشف (١٠) المصيبة (١١) تقلع — يقول أرجو أن يكون هذا اللوم خاتمة الجفاء فاتحة الألفة والصفاء وان هذه الجفوة شدة وتحول وسحابة لاتلبث ان تزول — يشير الى قول المتنبي

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الاجسام بالعلل

والى المثلين العربيين غمرات ثم تنجلين وسحابة صيف عن قليل تقشع والاول يضرب في حصول اليسر بعد العسر والثاني في سرعة التغير (١٢) يجعلني شاكا (١٣) عطاؤه (١٤) غير ضنين احتراس يريد به حمل سيده على العطف ودفع مايتوهم من ان التأخير للايقاع به (١٥) نفعه (١٦) الفيض صعود الماء على الضفة والمراد هنا مجرد الصعود أي أبطأ الدلاء صعوداً أكثرها امتلاء (١٧) أملؤها (١٨) المطر (١٩) الأرض التي لا نبات بها (٢٠) العطش بحرارة — لما ذكر ان هذا العتب محمود العاقبة وان ماحل به عن قريب يزول ورأى ان تأخير الرحمة به وعدم انقاذه من ورطته ربما يوهم الريبة في محمدة العاقبة دفع ذلك معتذراً عن سيده في هذا التأخير معللا بقوله فابطأ الدلاء فيضاً املؤها وأثقل السحائب مشياً أحفلها وغير ذلك مما يدل على أن في التأخير ماينعم البال ويقر الاعين ثم ختم بما عبارته هو أمثل في التسلية وأدعى للتصبر من حيث يقول : ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب

له الحمدُ على اهتبالِه [١] ولا عتبَ عليه في اغتِفاله [٢]

فان يكن الفعلُ الذى ساء واحِداً   فأفعالُه اللائى سَرَرْنَ أُلوفٌ

وأعود فأقول ما هذا الذّنبُ الذى لم يَسَعْهُ عفوُكَ والجهلُ الذى لم يأتِ من ورائِه حِلْمُكَ والتّطاوُل [٣] الذى لم يَستغرِقه تطَوُّلُكَ [٤] والتّحامُلُ [٥] الذى لم يَفِ بِهِ احتِمالُكَ [٦] ولا أخلو من أن أكونَ بريئًا فأينَ عدلكَ أو مُسيئًا فأين فضلُكَ

إلاّ يكن ذنبٌ فعدْلُكَ واسعٌ   أو كان لى ذنبٌ ففضلُكَ أوسع

فَهبْني مُسيئًا كالذى قُلتَ طالبًا   قصاصاً [٧] فأينَ الأخذ ياعز [٨] بالفضل

حنانَيكَ [٩] قد بلَغ السّيلُ الزُّبَى [١٠] ونالنى ما حَسْبى به وكَفَى وما أرانى الاّ لو أُمرتُ بالسُّجُود لآدمَ فأبيتُ [١١] واستكبرتُ

---

(١) اغتنامه (٢) تغافله وهو تركه على ذكر منه بعد ان اعتذر عن سيده بما اعتذر أخذ يمدحه على ايقاعه به وتغافله عنه عله أن يرأف به ويعطف عليه والبيت للمتنبي (٣) الكبر (٤) فضلك (٥) التكليف بما لا يطاق (٦) الاحتمال كالحمل الا أنه فى الامور العظيمة قال النابغة * فحملت برأ واحتملت فجار * (٧) عقاباً (٨) اسم امرأة — رجع بعد أن عود نفسه في مخاطبة الامير الصبر والانتظار التفت منه الى ما في ضميره من بقايا العتب فقال يستفهمه مريداً بذلك الزامه بالصفح عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول ما هذه الحركة التي زلزلت طودك وما هذه الجيفة التي عكرت بحرك ولم لا يشملني كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك أكبر شفيع للعاصي والمطيع — وذكر البيتين تأييداً لما قاله في نثره والاول للبحتري والثاني مأخوذ من قول الحماسي

هبيني ظلوماً نلته بمساءة   قصاصاً فأين الأخذ ياعز بالفضل

(٩) تثنيه حنان وهو الرحمة (١٠) جمع زبية وهي حفرة تحفر لصيد الأسد في مكان مرتفع لا يعلوه الماء فاذا وصل اليه السيل كان مجحفاً — يريد بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول له حنانيك أي رحمة بعد رحمة أطلبها منك فأن الذل والهوان قد وصلا الى النهاية . والصغار والاحتقار قدبلغا الغاية — وقوله بلغ السيل الزبى مثل عربي يضرب في بلوغ الشيء غايته (١١) امتنعت — ولقد احسن كل الاحسان وتلطف ما شاء في عطف قلب سيده وطلب العفو عما

وقال لي نوحٌ اركب معنا فقلت سآوي (١) إلى جبلٍ يعصمُني (٢) من الماء وأمرتُ ببناءِ صَرْحٍ (٣) لعلّي أطّلع إلى إلَه موسى وعكفتُ (٤) على العجْل واعتديت (٥) في السّبتِ وتعاطيت (٦) فعقَرْتُ (٧) وشربت من

اجترح من جريمته بأبلغ عبارة وأدق اشارة مبدعاً في وصف ما لاقاه من العقاب والنكال وأنه لو قسم على ذوي الذنوب من الاولين والآخرين لكان كافياً لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقا ملمحاً الى ذوي الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة فقال وما اراني الخ يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث امره الله بذلك فأبى واستكبر وكان من الكافرين وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (١) سألجأ (٢) يحفظني — يشير الى ذنب ابن نوح وهو مخالفته لابيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه « يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » فخالف أباه وقال سآوي الخ (٣) قصر — يشير الى ذنب فرعون وهو أنكاره الآله وادعاؤه أنه هو الاله الحقيقي وذلك حينما اتاه موسى عليه السلام بالايمان بالله فقال فرعون « ياأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحاً » الآية (٤) واظبت يشير الى ذنب بني اسرائيل وهو عبادة العجل وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقر وقال لبني اسرائيل ان الحلي الذي استعرتموه من المصريين وبقي معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فادفنوه حتى يأتي موسى ويرى رأيه فيه ففعلوا فأخذه وصاغه عجلاً ووضع فيه القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عليه السلام فصار العجل يمشي وكأنه يخور فقال لبني اسرائيل هذا الهكم واله موسى نسيه وذهب ليطلبه فافتتن به كثير منهم واتبعوه (٥) جاوزت يشير الى ذنب بني اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك انهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتي فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطي الماء ولا تأتي في غيره فتحيلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان في الحيضان فيأخذونها يوم الأحد ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق بهم العذاب (٦) تعاطى قام على أطراف أصابع رجليه ثم رفع يديه وضرب (٧) عقر البعير بالسيف فانعقر أي ضرب به قوائمه يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام وذلك ان امرأة يقال لها عنيزة لها مال وبنات حسان وأخرى يقال لها صدوق بنت المحيا صاحب أوثانهم كان زوجها أسلم وأنفق ماله على صالح واتباعه وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح فدعت صدوق مصدعاً لنفسها على قتل الناقة ودعت عنيزة قداراً على ذلك أيضاً فذهبا وتبعهما أشقياء ثمود وكمن كل منهما في أصل صخرة ولما مرت ضربها مصدع فأصاب ساقها فشد عليها قدار بسيفه فأبان عرقوبها ثم نحرها

النّهر الذى ابتلى (١) به جيوش طالوت وقُدْتُ الفيل لأبْرَهَةَ (٢) وعاهدتُ (٣) قُريشًا على ما فى الصّحيفة وتأوّلت (٤) فى بيْعة العَقَبة (٥) واستنفرتُ إلى العير (٦) ببَدْر وانخذلت (٧) بثُلث الناس يوم أُحُد (٨) وتخلّفت (٩) عن صَلاة العصر فى

(١) اختبر — يشير الى ذنب معظم جيوش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم له حينما اقترحوا عليه قلة الماء فقال لهم « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده » فخالفوا وشربوا الا قليلا منهم (٢) كان عامل اليمن من قبل النجاشي يشير الى ذنب ابرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة وسبب ذلك انه بنى كنيسة في صنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كناني ولوثها بالعذرة واتى أقوام من تجار قريش واضرموا ناراً بجانبها فهبت الريح فاحرقتها فغضب النجاشي لذلك وقام أبرهة واخذ الفيلة وفي مقدمتها فيل النجاشي المسمى محموداً ليهدم الكعبة ارضاء له ولما وصل اليها وجه الفيل نحوها فابى فوجهه الى اليمن فقام مهرولا وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل

(٣) أعطيتهم عهداً وميثاقاً — يشير الى ذنب قريش وهو اتحادهم على عدم نصر الدين وذلك انهم لما رأوا ان الدين أخذ في النمو وأن حمزة وعمر أسلما تعاقدوا على مهاجرة بني هاشم وبني عبد المطلب وعلى قطع العلائق بينهم تماماً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة تأكيداً لذلك (٤) حالفت (٥) طريق وعر في الجبل — يشير الى ذنب من نقض بيعة العقبة وبيعات العقبة ثلاث ولم يتأول فيها احد فذكره لها على سبيل الفرض أي هب أني خالفت الاجماع وتعديت الحد وفعلت مالم يفعله أحد (٦) العير بالكسر الابل التي تحمل الميرة — يشير الى ذنب ضمضم الغفاري وهو استنهاض قريش لابي سفيان وذلك ان ابا سفيان كان آتياً من الشام في عير فذهب عليه السلام لقتاله فشعر بذلك أبو سفيان فاستأجر ضمضما المذكور ليخبر قريشا فذهب وصرخ ببطن الوادي واقفاً على جمل قد جدعه وحول رحله وشق قميصه قائلا يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لاأرى ان تدركوها الغوث الغوث فتجهزوا جميعاً وذهبوا اليه وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بغزوة بدر الكبرى وفيها انتصر النبي عليه السلام انتصاراً باهراً (٧) خذله ترك عونه ونصرته (٨) أحد جبل بالمدينة يشير الى ذنب أبي بن سلول رأس المنافقين وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج الى أحد ومعه الف من أصحابه لقتال أعدائه كان من رأي ابي ان يمكث النبي في المدينة فابي عليه السلام قبول رأيه موافقا لمعظم الصحابة فرجع هو ومن معه من المنافقين وقال اطاعهم وعصاني (٩) تأخرت

بَنِي قُرَيظة (١) وجئتُ بالأَفـك (٢) على عائشةَ الصِّدّيقيَّة وأنِفْتُ (٣) عن إمارة أُسامة وزعمتُ أنّ خِلافة أبي بكر كانت فلتةً (٤) ورَوَّيْت رُمْحي من كَتيبةِ (٥) خالد ومزّقت (٦) الأَديمَ (٧) الذي باركتْ يدُ الله عليه وضحّيتُ بأشمط (٨)

(١) طائفة من اليهود — يشير الى حادثة بني قريظة وذلك انه عليه السلام بعد رجوعه من غزوة الخندق قال من كان سمعاً مطيعاً فليصل العصر في بني قريظة فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس والبعض الاخر رأى ان المقصود الاسراع فصلى في الطريق ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب ترافعا اليه عليه السلام فحكم باصابتهما واذاً تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب (٢) الكذب — يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معهما في مجاهرتهم بالسوء لزوجه عليه السلام — وذلك انه لما ذهب عليه السلام الى غزوة بني المصطلق كانت معه السيدة عائشة حيث كانت قرعتها — في العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففاتها الركب ولم ينظروا في هودجها فر صفوان وكان قد تأخر لامر ما فاركبها بعيره وقاده فاشاعوا هؤلاء ما اشاعو فبرأها الله تعالى بالآيات البينات (٣) استكبرت يشير الى بعض الصحابة من حيث استكبروا على اسامة وذلك ان النبي عليه الصلاة والسلام جهز جيشاً ليذهب به الى الشام وقال له سر الى مقتل ابيك فتكلم قوم وقالوا ايأمر هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب عليه السلام لذلك وخرج في مرضه عاصباً رأسه وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال مامعناه لئن طعنتم في اسامة فقد طعنتم في أبيه من قبل وانه لاهل لها فاستوصوا به خيراً (٤) أي من غير احكام ولا روية — يشير الى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم ان عليا هو الاحق بالخلافة ومن سواه غاصب ويقولون ماتقدم وفي حديث عمر (أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها) فقيل المراد بالفلتة الخلسة أي ان الامامة يوم السقيفة مالت الانفس الى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعها واختلسها ابو بكر اختلاساً ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقى (٥) جيش — يشير الى ذنب أبي شجرة السلمي وهو فتكه بجيش خالد في حرب الردة ويشير الى قوله في ذلك

ورويت رمحي من كتيبة خالد وانى لأرجو بعدها أن أعمرا

(٦) قطعت (٧) الجلد — يشير الى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه السلام وذلك أن أبالؤلؤة طلب منه ان يخفف عنه جعل سيده فقال له انه ليس بكثير وانك لصانع مجيد وأريد ان تصنع لي رحي فقال سأصنع لك رحي يسمع دويها أهل المشرق والمغرب وكمن له حتى طعنه في صلاة الصبح ومات بسبب ذلك ويشير الى ماقاله بعضهم في رثاء

جزى الله خيراً من امام وباركت يد الله في ذاك الاديم الممزق

(٨) مختلط شعر الرأس — يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه السلام وذلك أنه وفد

عنوان السّجود به و بذلتُ لِقطَام (١)

ثلاثة آلافٍ وعبدٌ وقَيْنَةٌ (٢) وضربُ عليٍّ بالحُسَامِ المُسَمَّمِ

وكتبت إلى عُمر بن سَعْد أن جَعْجِعْ (٣) بالحسين وتمثّلت عند ما بلغنى من وقعة الحرّة (٤)

ليت أشياخى ببدْرٍ شَهِدوا جزعَ الخزرج من وَقع الأسل

ورَجمت (٥) الكعبة وصلبت العائذ (٦) على الثّنية (٧) لكان فيما جرى

عليه كثير من الجهات يشكون عماله فارضاهم وأرسل محمد بن أبي بكر والياً على مصر فبينما هو ذاهب اذ رأى عبداً على هجين يستحثه فأحضره وفتشه فوجد معه كتاباً من الخليفة الى عامل مصر يقول فيه اذ أتاك محمد ومن معه فتحيل في قتلهم فرجع محمد وأعطى الجواب الخليفة فأقر بانه خط كاتبه وهذا ختمه وعبده وهجينه وانه لم يرسله فطلب منه أحد أمرين الاعتزال أو أعطاء كاتبه الحكم فابى فحصلت الفتنة وحاصروه الى أن قتل ويشير الى ماقاله بعض نعاته

ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

(١) اسم امرأة (٢) جارية — يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل علي كرم الله وجهه — وذلك ان هذه المرأة أعجبته لنضارتها فاراد ان يتزوجها فطلبت مافي البيت فقال لها لك ماطلبت وقال البيت وبعده

فلا مهر أغلى من علي وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

(٣) ضيق — يشير الى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين وذلك أنه أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب الى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فاخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما أبطأ جهز له شمراً وكتب عبيد الله له ماتقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت بقتله رضي الله عنه (٤) أرض بظاهر المدينة كانت بها الواقعة بين عقبة بن مسلم وأهل المدينة — يشير الى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك انه أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام فقتل وأسرف وأباح فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبعرى المذكور مظهراً للضمير المستتر وهو كراهة الأنصار والمهاجرين (٥) رميت بالحجارة (٦) الملتجي (٧) طريق العقبة — يشير الى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبد الله بن الزبير وذلك أنه لما حاربه التجأ عبد الله وأصحابه الى الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورجمها وبعد ماانتصر عليه صلبه منكساً وآلى أن لاينزله الا اذا شفعت امه فيه فبعد سنة مرت أمه وقالت أما آن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبر قولها شفاعة وأنزله

عليّ [١] ما يحتمل أن يكون نكالا [٢] ويُدْعى ولو على المجاز عِقابا

وحسبُك من حادث بامرئٍ ترى حاسديهِ له راحمينا

فكيف ولا ذنبَ إلا نميمةٌ [٣] أهداها كاشحٌ [٤] ونبأ [٥] جاء به فاسقٌ وهم الهمّازُون [٦] المشّاؤون [٧] بنميم والوَاشُونَ [٨] الذين لاَ يلبثون [٩] أن يَصْدَعُوا [١٠] العصا والغُوَاةُ [١١] الذين لا يترُكون أديمًا [١٢] صحيحًا والسُّعاة [١٣] الذين ذكرهم الأحنفُ بن قيس فقال ما ظنُّك بقوم الصِّدقُ محمودٌ الا منهم

حَلفت فلم أترك لنفسك رِيبةً [١٤] وليسَ وَراءَ الله للمرءِ مذهبُ

والله ما غَشَشْتُك بعدَ النصيحة ولا انحرفت [١٥] عنك بعدَ الصّاغية [١٦]

ومن قولها لابنها يوم مقتله يابني لاتقبلن منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة بالسوط في مذلة فقال لها انما اخاف المثلة قالت يابني ان الشاة لايضرها سلخها بعد ذبحها (١) حصل لى (٢) عذاباً — يريد أني لو أتيت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لي من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافيا لتمحيص هذه الذنوب وكيف لا وقد صرت في حالة يرثى لها العدو والحبيب والبعيد والقريب وذلك ادل على طلب الرحمة واحكم في الاستعطاف — والبيت الذى ذكره للعتبي (٣) نقل الكلام للافساد (٤) مضمر العداوة « أهداها كاشح » كناية عن حسن سبك هذه النميمة وأنه معتن بها كما يعتني بالهدية للأمير (٥) خبر (٦) المغتابون (٧) النمامون (٨) الذين يزينون الحديث للافساد (٩) لبث بالمكان أقام ، (١٠) يشقوا (١١) المضلون (١٢) جلداً (١٣) المفسدون — يريد بذلك أنه بني الاهانة والابعاد والصد والاعراض على أوهن الأسباب وأضعفها وهو سعي النمام وخبر الفاسق وتزيين الغواة والذين يشقون عصا الالفة ويمزقون أعراض الناس ويلمح في عبارته الى قوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية والى قول كثير عزة

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا اذا هي لم يصلب على البرى عودها

(١٤) شبهة — يريد حلفت فلم أترك شبهة في نفسك من براءتي وليس بعد الله من يصدق القسم به حتى أقسم به وأذهب اليه — والبيت للنابغة الذبياني من أعتذارياته للنعمان (١٥) ملت (١٦) الأصغاء

اليك ولا نصَبْتُ (١) لك بعد التّشيّع فيك ولا أزمعتُ (٢) يأساً منك مع ضمان تكفّلتْ به الثّقة عنك وعهدٍ أخذه حُسْن الظّنّ عليك ففيمَ عَبَثَ (٣) الجفاء بأذمتي (٤) وعاثَ (٥) العقوق (٦) في مَوَاتي (٧) وتمكّن الضّياع (٨) من وسائلي (٩) ولمَ ضاقَتْ مذاهبي (١٠) وأكْدَت (١١) مطالبي وعلامَ رَضيتُ من المركب (١٢) بالتّعليق (١٣) بل من الغَنيمةِ بالايَاب (١٤) وأنّى غابني المغلب (١٥) وفجر (١٦) على العاجز الضّعيف ولطَمتني (١٧) غير ذَات سوار

ومالك لم تمنع من قبل أن أُفترس وتدركني ولما أمزّق (١٨)

---

(١) الناصبي في العرف من كان عدواً لعلي وهو ضد الشيعي (٢) خفت — يقول أقسم بالله اني مقيم على النصح لك ثابت على الميل اليك ولم أتخذ مذهب الناصبية مذهباً ولم يستفزني اليأس منك وتلعب بي أيدي الأهواء فانثقتي بك وحسن ظني فيك قدضمنا لي أن أطرد اليأس بالرجاء في عفوك . وهذا الكلام من الاستقصاء البديعي بمكان فانه استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم يبق لقائل قول لو ولا ليت استجلاباً للرحمة وطلباً للعفو (٣) لعب وهزل (٤) حرماني (٥) أفسد (٦) ضد البر (٧) وسائلي (٨) الهلاك (٩) ماأتقرب به (١٠) طرقي (١١) ردت (١٢) الركوب (١٣) المراد تعليق الأمتعة (١٤) الرجوع (١٥) المغلوب مرارا (١٦) اجترأ (١٧) ضربتني على وجهي براحتها (١٨) أقطع — يستفهم عن سبب افساد الجفاء والعقوق لما قدمه من وسائل الرضا حتى ضاقت عليه المذاهب وامتنعت عليه المطالب وحتى رضي من عظيم الأمر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالماً واجترا عليه كل ضعيف . وغلبه من كان له غلاباً وظلمه من لم يكن له كفؤا وقد ضمن عبارته من الأمثال ماهو كالسحر الحلال « أولها » أرض من المركب بالتعليق يضرب في القناعة بادراك بعض الحاجة « وثانيها » رضيت من الغنيمة بالاياب يضرب في القناعة بالسلامة — وهو مأخوذ من قول امريء القيس

لقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله أيضاً

فانه لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن وخامسها « لو ذات سوار لطمتني » قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحرة — والثلاثة تضرب عند العجز والذلة — ويشير الى قول المثقب العبدي

أم كيف لا تضطرم (١) جوانح (٢) الأكفاء (٣) حسداً لى على الخصوص بك وتنقطع أنفاس (٤) النظراء (٥) منافسة (٦) لى على الكرامة فيك وقد زانني اسم خدمتك وزهانى (٧) وسم (٨) نعمتك وأبليت (٩) البلاء الجميل فى سماطك (١٠) وقمت المقام المحمود على بساطك

ألست الموالى (١١) فيك غر قصائد هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء يظل الروض منه منورا ضحى ويخال الوشى (١٢) فيه منمنما (١٣)

وهل لبس الصباح الا برداً (١٤) طرزته (١٥) بفضائلك وتقلدت (١٦) الجوزاء (١٧) إلا عقداً فصلته (١٨) بمآثرك واستملى (١٩) الربيع الا ثناء أملأته فى محاسنك وبث (٢٠) المسك إلا حديثاً أذعته (٢١) فى محامدك (ما يوم حليمة بسر) وان كنت لم أكسك سليباً (٢٢) ولا حليتك عطلاً ولا وسمتك غفلاً (٢٣) بل وجدت

فان كنت مأكولاً فكن خير آكل والا فادركني ولما امزق

وفى هذا الاستفهام تحضيض له على انجاده وسرعة انقاذه (١) تتقد (٢) أضلاع (٣) الامثال (٤) جمع نفس (٥) جمع نظير (٦) رغبة شديدة (٧) الزهو الكبر (٨) علامة (٩) جربت (١٠) السمط الصف من الناس (١١) المتابع (١٢) ضرب من الحرير ذو ألوان (١٣) نوب موشي بالوان فيها البياض ـ لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البليغ — وذلك من الاعتراف لسيده بانه قد أوقد النار في قلوب الحساد والنظراء بتعهده له بالأنعام وصلته بالصلات حتى أنطق لسانه فيه بالمدائح التي طلعت من الليل أنجما والثناء الذي ازهرت به الرياض ووشيت به حلل الفضل — والبيتان من قصيدة للبحتري يعاتب بها الفتح بن خاقان (١٤) رداء (١٥) علمته (١٦) لبست (١٧) برج (١٨) تفصيل العقد جعل خرزة بين كل لؤلؤتين (١٩) طلب الاملاء (٢٠) نشر (٢١) أشعته ـ والمعنى ان فضائلك التى نشرتها فى مدائحى ظهرت للعين ظهور الصباح حتى انه لم يضىء الا بسببها ـ وان عقد الجوزاء لم يحسن فى مرآى العين الا لكوني فصلته فى محامدك وكذلك الربيع لم تتضوع الأزهار بنشرها فيه الا لكونه استملى من الثناء المملوء بمحاسنك ثم أثبت ان ما تقدم حقائق ثابتة بقوله ما يوم حليمة بسر وهو مثل عربي يضرب فى فشو الأمر وانتشاره (٢٢) مسلوباً (٢٣) عادم العلامة

آجرًا (١) وجصًا (٢) فبنيت ومكان القول ذا سعة فقلت حاشا (٣) لك أن أعدّ من العاملة النّاصبة (٤) وأكون كالذّبالة (٥) المنصوبة تضئ للنّاس وهى تحترق (فلك المثل الأعلى (٦)) وهو بك وبى وفيك أولى ولعمرك (٧) ماجهلت أنّ (صريح الرأى (٨)) أن أتحوّل اذا بلغتنى الشّمس و (نبا بى المنزل (٩)) وأصفح (١٠) عن المطامع التى تقطع أعناق الرجال فلا (أستوطئ العجز (١١)) ولا أطمئنّ (١٢) إلى الغرور (١٣). ومن الأمثال المضروبة — خامرى (١٤) أم عامرى (١٥)

---

(١) الطين المحروق (٢) الجير — أراد دفع مايتوهم من أنه يتفضل عليه باذاعة المحاسن ونشر المدائح وانه اخترع له هذه السجايا والخلال حيث يقول له أني لم أمدحك الا بما هو فيك من خصائص الخصال وجيل الخلال وانما انا صغتها في القالب الذي يلفت الأنظار ويجلي صدأ الافكار (٣) تنزيهاً لك (٤) من النصب وهو التعب (٥) الفتيلة (٦) الصفة العليا — بعد أن عمل جهد المستطيع فى الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة فتزه عن أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعبوا في الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة في الأخرى — ويشير الى قوله تعالى « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية » الآية والى قول العباس بن الاحنف

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وبالغ في التلطف بقوله فلك المثل الأعلى والصفة العليا من التجاوز والصفح وأنت أولى من صفح عن زلة المسيء وانا أولى من أدخرت مودته بالصفح عنه وماأحسن قوله وهو بك الخ كانه يقول هو بك أولى وهو بي كذلك اذا كان فيك فكلا الحالين مخصوص بك وما الطف ما ينسب الى الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه في الامام احمد بن حنبل

قالوا يزورك احمد وتزوره قلت الفضائل لاتفارق منزله
ان زرته فلفضله أو زارني فيفضله فالفضل في الحالين له

(٧) حياتك (٨) سديده (٩) نبابي المنزل لم يوافقني (١٠) أعرض (١١) أستوطيء العجز اجده لينا سهلا (١٢) أميل (١٣) مايغتر به من متاع الدنيا (١٤) استترى (١٥) كنية الضبع يقسم بحياة سيده أنه ماجهل ان سديد الرأي وجوب التحول عن مقام الاهانة متى شعر بلحاقها به كما أنه لم يجهل ان الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع أعناق الرجال وأنه كان عليه

وإنى مع المعرفة ان الجلاءَ [١] سباءٌ [٢] والنُّقْلَةَ [٣] مُثْلَةٌ [٤]

ومن يَغترِبْ عن قومهلم يزلْ يَرى مصارعَ مَظلُومٍ مجرا ومسحبا
وتُدْفَن منه الصَّالحاتُ وان يُسِئْ يكنْ ماأساء النار فى رأس كَبْكبا [٥]

عارفٌ أن الأدب الوطن لا يُخشى فراقُه والخليط [٦] لا يتوقَّع زِياله [٧] والنَّسيب [٨] لا يَخفى والجمال لا يُجفَى [٩]

ثم ما قِران [١٠] السّعد بالكواكب بهى أَثراً ولا أَثنى خطراً [١١] من اقتران غِنَى النَّفس به وَانتظامها نسقاً [١٢] معه فانّ الحائزَ [١٣] لها الضَّارب بسَهْم فيهما « وقليلٌ ما هُم » [١٤] أينما توجّه وردَ منهلَ [١٥] برٍّ وحطَّ فى جنَاب [١٦]

ان يرحل ولا يستسهل العجز ولايميل الى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست احواله فكان الغرور نصيبه والامل قائده فاغتر كما اغترت الضبع بقول القائل — خامري أم عامر . يشير الى قول أبي تمام

وأن صريح الرأي والحزم بامرىء اذا بلغته الشمس أن يتحولا

والى المثل العربي « العجز وطيء » يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد عن طلب المكاسب وقوله خامرى الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلباتها ثم يميل اليها ويغتر بها (١) الخروج عن الوطن (٢) أسر (٣) الانتقال (٤) تنكيل (٥) جبل (٦) المخالط (٧) مفارقته (٨) ذوالنسب (٩) لايهجر — بعد ان بين لسيده أنه لا يجهل ان الصواب التحول أراد ان يبين له أنه يعرف أيضاً ان الانتقال فيه التمثل والنكال وأن الغربة كربة والنوى توى وان حسنات الغريب مهجورة وسيئاته منشورة فقال أني مع معرفتي بان خروجي من وطني أسر لي ودفن لمحاسني وانتقالي منه الى غيره مع عدم معرفة أهل هذه الجهات بما انا متحل به من العلوم والآداب والكمالات تنكيل بمحاسني وتضييع لبهجة كمالاتي فيجهل قدري وتهضم حقوقي وتدفن مني الصالحات وتشاع على قلتها السيئات غير أني لاأعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقي بل وطني الذى أعول عليه انما هو الادب وهو ملازم لي اينما حللت وارتحلت فلا أخشى فراقه وهو سميرى الملازم لى فلا أتوقع غيابه وان النسيب أينما حل فهو معروف والجمال أينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشى من الانتقال بأساً ولا من التحول ضيما — والبيتان للاعشي . والنقلة مثلة — مثل مولد (١٠) مصاحبة (١١) قدراً (١٢) النسق من الكلام وغيره ما جاء على نظام واحد (١٣) الجامع (١٤) قليل ماهم يريد بذلك التعريض لسيده بانه لا نظير له في أخلاقه وآدابه (١٥) عين (١٦) ناحية

قبول وضُوحك قَبل إنزال رَحْله وأعطى حكم الصبيّ على أهله

وقيلَ له أهلاً وسهلاً ومرحبا فهذا مَبيتٌ صالحٌ ومقيل

غير أن الوطنَ محبوبٌ والمَنشأ مألوفٌ واللّبيب يَحِنُّ الى وَطنه حنين النّجيب (١) إلى عَطَنه (٢) والكريمُ لا يجفو أرضاً بها قَوَابله (٣) ولا يَنسَى بلداً فيها مرَاضعهُ — قال الأول

أُحبّ بلادَ الله ما بين مَنعج (٤) اليَّ وسلمى أن يصوبَ سحابُها

بلاد بها حلّ الشّباب تمائمي (٥) وأوّل أرضٍ مسّ جِلْدى ترابُها

بعد أن بين ان الادب كبير النفع عظيم العائدة حتى جعله وطناً في الغربة وفرجة عند الكربة بين أنه يكون أكبر نفعاً وأعظم جدوى اذا صاحبه غنى النفس فان المتحلي بحلاها القابض على زمامهما اينما يمم فالسعد قرينه والناس أهله يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم لاول وهلة اومجرد نظرة ويعطونه حكم الصبى على أهله يفعل مايريد كالسيد بالعبيد ويقولون له لقيت اهلاً ونزلت مكاناً سهلا واسعاً رحباً فانس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فانت رب الدار . وقوله ماقران السعد الخ اخذه من قول البستي

واتم الاشياء نورا وحسناً بكر شكر زفت الى ضهرير

ما قران السعد بالحوت ابهى منظراً من قران بر وشكر

وقوله اعطى حكم الصبي الخ عبارة كانت تقولها العرب في مدح من نزلوا عنده واكرمهم واصل البيت المذكور — فقلت له اهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق

(١) النجيب من الأبل الفحل الكريم (٢) مبرك الأبل حول الماء (٣) جمع قابلة وهي ما تتلقى المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) جمع تميمة وهو مايعلق للطفل حفظاً له — بعد ان بين له ان سديد الرأي الانتقال وانه لايخاف عاقبة ذلك لادبه وغني نفسه اراد ان يبين له السبب الحامل على المكث فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف .

مامن غريب وان ابدى تجلده الا سيذكر عند الغربة الوطنا

ولا غرو فهو اول ارض وجد بها واول تربة تضمخ بها جسده واول بقعة نما فيها فكره وأول جهة قضي فيها الشباب مآربه مع اخوان واحباب وخلان واتراب — فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى اغصان شبابه تميد على تلك الأوطان وتمايل مع النسيم تمايل البان فيحن اليها حنين الغريب الى وطنه وانه ليس من كرم الأصل وشرف المحتد ان يهجر الانسان قوابله ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم اثناء

هذا إلي مُقَالاتي (١) بعقد جوارك ومُنافَستي (٢) بلحظة من قُرْبك واعتقادي أن الطمع في غيرك طَبَعٌ (٣) والغنى من سواك عناء والبَدل منك أعور والعوض لَفَاء (٤) وكلُّ الصيدِ في جَوْفِ الفرَا (٥)

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني ضنًّا بهِ نظري الى الأمراء

وَفي كلّ شجرٍ نار واستمجدُ (المَرْخ والعفار) (٦) فما هذه البراءةُ ممن يَتَولاّك (٧) والميلُ عمّن لا يَميلُ عنك — وهلاَّ (٨) كان هواك (٩) فيمن هواه فيك ورضاك فيمن رضاهُ لك

يا من يعزُّ علينا أن نُفارقهم وِجْدانُنا كلَّ شيء بعدكم عدمُ

الصغر فالواجب عليه ان يصلهن في ابان الكبر حتى يجنين ثمرات اتعابهن ويسررن بحسن معاملته لهن — والبيتان لبعض الاعراب (١) مجاوزتي الحد (٢) رغبتي فيك على وجه المباراة (٣) دنس (٤) خسيس (٥) حمار الوحش (٦) نوعان من الشجر سريعا الورى . واستمجد استفضل وقيل اقتدح على الهوينا — بعد ان بين محبة الوطن والفه المنشأ وسبب ذلك الطبيعي اراد ان يبين للاميران ذلك ليس هو السبب الوحيد الحامل لي على المكث بل انضم اليه ما هو اشد منه تأثيراً واعظم خطراً الا وهو شدة محبتي لجوارك وحظوتي بقربك وانت اكرم من حفظ للجوار حرمته واوضح محجته واعتقادي بان الطمأنينة الى غيرك غرور والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائي بسواك بدلا ولا بغيرك عوضاً وكيف استبدل السمين بالغث والتعب بالراحة ام كيف انظر الى غيرك من الامراء وغيرك فيك

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

نعم وان اشتركوا معك في اللقب الا انهم لم يشتركوا معك في كمال الادب وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار في ذلك من استمالة القلب مايدهش اللب وقد جمعت هذه العبارة من الامثال مايزري باللآل — فاولها « رب طمع يجر الى طبع » وثانيها « كل الصيد في جوف الفرا » وهو يضرب لمن يفضل نفسه على أقرانه وثالثها « البدل منك أعور » يضرب لكل مالا يرتضي به من الذاهب وأصله ان يزيد ابن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي وكان شحيحاً أعور قال الناس هذا بدل أعور — ورابعها « رضي من الوفاء باللفاء » يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير — وخامسها « وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » يضرب في تفضيل بعض المشتركين في صفة على بعض (٧) مضارع تولاه صار وليه (٨) كلمة تحضيض (٩) ميل

أعيذك ونفسي من أن أشيم (١) خُلَّبا (٢) وأستمطر جهاما (٣) وأكدم (٤) في غير مكدم وأشكو شكوى الجريح إلى الغربان والرخم (٥) فما أبسست (٦) لك الا لتدر ولا حركت لك الحوار (٧) الا لتحن ولا نبهتك الا لا نام ولا سريت اليك الا لأحمد السرى (٨) لديك

وإنك إن سنيت (٩) عقد أمرى تيسر ومتى أعذرت (١٠) في فك أمرى لم يتعذر وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه (١١) يعود به صدقة

وإذا امرؤ أهدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

النفس — بعد ان بين له انه لا يرضى بما سواه وأنه يفضل جواره على ماعداه وهو مع ذلك معرض عنه ولايميل اليه رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الادب من حيث يقول كيف تتبرأ مني وانا أواليك وتميل عني وتهجرني وانا لا أميل الا اليك وهلا هويت من يهواك ورضيت من يرضاك والبيت للمتنبي (١) شام البرق نظر الى سحابته أين تمطر (٢) البرق لاغيث معه (٣) السحاب لاماء فيه (٤) أعض (٥) طائر ضعيف (٦) الابساس الرفق (٧) ولد الناقة (٨) السير ليلا — يطلب منه ان يجعل لاعماله نتيجة يجني ثمرتها وان يكون سيده غارس دوحتها وان لايجعله كالمستميح الماء من الصخر والمستجير عند كربته بعمرو والمستمطر الجهام والناظر الى البرق الخلب بل يرسل عليه عطفه مدراراً وان يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عيناً أضرها سهاد الجفوة وان يحمد اليه سراه ويحسن عقباه ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها في قالب غريب المثال يشير فيها الى قول ابن معد يكرب

لاتهني بعد اكرامك لي فشديد عادة منتزعة
لا يكن برقك برقاً خلباً ان خير البرق ما الغيث معه

والى المثل العربي « كدمت في غير مكدم » يضرب لمن يطلب شيئاً من غير أهله والى قول المتنبي

ولاتشك الى خلق فتشمتهم شكوى الجريح الى العقبان والرخم

والى الامثال العربية « الأبساس قبل الأيناس » وهو يضرب في الرفق و « حرك لها حوارها تحن » وهو يضرب في استنهاض الهمة و « نبه لها عمراً ثم نم » يضرب فيمن يعتمد على غيره و « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو يضرب عند حمد العاقبة (٩) سهلت (١٠) بالغت في طلب العذر (١١) المنزلة — يقول لسيده أني ما كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الأهوال ولا

لَعلّي ألقي العصا بذُراك (١) وتستقرّ بي النّوى (٢) في ظلّك وأستأنِف (٣) التأدب بأدبك والاحتمالَ على مَذهبك فلا أُوجدُ للحاسد مَجالَ (٤) لحظِه (٥) ولا أدعُ للقادح (٦) مساغَ (٧) لفظِه

والله مُيَسِّرك من اطلابي (٨) بهذه الطّلبة (٩) واشكائي (١٠) من هذه الشَّكوى بصنيعة تُصيبُ منها مكان المصنع وتستودِعها أحفظ مُستودع حَسْبما أنت خَليقٌ (١١) له وأنا منك حَرِيٌّ (١٢) به وذلك بيدِه وهيّن عليه

بمانات الأحوال ولا يعد نجوم السماء ولا رمال الدهناء وانما هو امر يكبر في عين سائله ويصغر عند باذله وهو في يدك وقبضتك وأنت قادر عليه وان سهلت عسيره سهل وان التمست لي المعذرة انتفت الصعوبة وانت تعلم زادك الله علماً ان النعمة شجرة ثمرها المعروف وان المروءة مال ذكاتها الشفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين وأيد ذلك بالبيت بعده - وقوله ان سنيت مأخوذ من قول بشار

فبالله ثق ان عز ماتبتغي وقل   اذا الله سني عقد امر تيسرا

(١) كل مااستترت به (٢) ماينويه المسافر من قرب أو بعد (٣) ابتدىء (٤) جال طاف (٥) نظره (٦) الطاعن (٧) ساغ الشراب سهل مدخله في الحلق — يقول أرجو من سيدي ان يعفو عن ذنبي وتقصيري ويلبي ندائي هذا كي أسكن في ظلك وكنفك ولا اذهب الى غيرك وتكون غاية آمالي ومنتهى أسفاري وأتوب عما كنت مرتكبه ومتمسكا به مما لا يرضيك وأتخلق باخلاقك واتمسك بطريقتك واحذوحذوك واتبع مذهبك وبذلك لايجد عدوي في مدار لحظه ولا الطاعن مايسوغ من لفظه . وقوله لعلي الفي الخ حل بيت للمعز بن اوس وهو

والقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عيناً بالاياب المسافر

(٨) اسعافي (٩) ما اطلبه (١٠) ازالة ما أشكوه (١١) جدير (١٢) حقيق يقول لسيده والحمد لله الذي سهل لك مطلبي واسعاف وازالة ما اشكوه من الام السجن بمعروف تبذله لاهله وتحفظه عند امين لوقته حسبما يقتضيه كرم أخلاقك وجميل صفاتك وانا احق الناس به لمودتي لك واخلاصي في ولائك وما ذلك عليك بعزيز

ان الصنيعة لاتكون صنيعة   حتى تصيب بها مكان المصنع

﴿ مكاتبات متفرقة ﴾

(كتبت الدولة العلية العثمانيّة إلى إحدى الدُّوَل الأوربية)

أيها الوزير الأفخم — إن لفظة (تقسيم تركيا) إفكٌ لا يفوه بِهِ عاقل ولا يَتصوّره إنسان تكاد تَنفطر له السماء دَهشة وترتجُّ له الأرضُ وحشة بل تخرُّ دونه الجبال وتنفكّ عنده الآمال كأن أوربا تستطيعه ولكنها لم تفعله: وان تفعله ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً فقل (اللّهم مالك المُلك تُؤْتى المُلك من تشاء وتنزع المُلك مِمَّن تشاء وتُعز من تشاء وتذلُّ مَنْ تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) تقسيم تركيا كلمةٌ ليست أكبر من أوروبا فقط بل هي أكبر من منظومة هذا العالمَ الشّمسى الذى تراه أو تسمع به ان كنت لا تراه فلا يليقُ أن يفوه بِهِ الا فمُ القدرة الآلهية (القائم على كل نفس بما كسبت والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) تقسيم تركيا ربما يكون ولكن متى يكون ؟ يكون حينما يتحلى وَجهُ البسيطة بدمائنا الطاهرة الزكية يوم ترى الارض لابسة تلك الحُلّة الأرْجُوانيّة الثّمينة حيث تتمشّى الدّماء على فيروزج الفضاء محاطة كواكب الوجود بكتائب جنود العدم المطلق : لا أرض لمن تُقِلّ ولا سماء لِمَن تُظِلّ ولا قائم موجود ولا دائم مقصود — هنالك تتحدّثُ شياطين الخيال فى أندية المحال بحديث ذلك التقسيم المشئوم ولا من سميع ولا من مجيب فالوَيلُ ثم الويل يوم ذلك التّقسيم الموهوم والثُّبُور ثُم الثّبور اذا تنزلّت السماء بقضاء ذلك الهول المقسوم : ان فى ذلك لبلاغاً لقوم يتفكرون)

« وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ ﻫ فى شكر صديق له على مراسلته اياه »

وصل ما وصلتنى به [١] جعلنَى الله فِداك [٢] من كتابك بل نعمتك التامّة

---

(١) ورد الي كتابك الذي ربطتني به معك (٢) أي وضعني الله مكانك في كل مكروه حتى تخلص منه

ومِنّتك العامة (١) فقرّت عيني بوروده (٢) وشفيت نفسي بوُفوده (٣) ونشرته فحكى نسيم الرياض غِبّ المطر (٤) وتنفّسَ الأنوار في السّحر (٥) وتأمّلتُ مفتتحه وما اشتمل عليه من لطائف كلِمك وبدائع حكمك (٦) فوجدته قد تحمّل من فنون البرّ عنك (٧) وضروب الفضل منك (٨) جدًّا وهزلا (٩) ملأ عيني وغمر قلبي (١٠) وغلب فكري وبهر لبي (١١) فبقيت لا أدري أسموط درّ خصصتني بها (١٢) أم عقود جوهر منحتنيها (١٣) ولا أدري أجِدّك أبلغ وألطف أم هزلك أرفع وأظرف وأنا أوكّل بتتبّع ما انطوى عليه نفساً لا ترى الحظ الا ما اقتنته منهُ (١٤) ولا تعدّ الفضل الا فيما أخذتهُ عنهُ وأمتّع بتأمله عيناً لا تقرُّ إلا بمثله ممّا يصدُر عن يدك ويردُ من عندك وأعطيه نظراً لا يملّه وطَرفاً لا يطرِف دونه (١٥) وأجعله مثالاً أرتسمه وأحتذيه (١٦) وأمتع خلقي برونقه وأغذّي نفسي ببهجته وأمزج قريحتي برقّته وأشرح صدري بقراءته ولئن كنت عن تحصيل ماقالتهُ عاجزاً وفي تعديد ما ذكرتهُ متخلّفاً لقد عرفت انهُ ما سمعت بهِ من السِّحر الحلال

« وكتب السيد توفيق البكري في سَفرتهِ الى الاستانة العليّة »

كتابي الى السيّد الاجلّ وأنا أحمد الله اليهِ وأدعوهُ أن يُديم النّعمة والسلامة عليهِ: وبعدُ — فلما اعتزمتُ على الرِّحلة هذا العام الى قبّة السلام ودار خلافة

(١) أي الذي ورد الي هو خطابك الذي أعده بمنزلة نعمتك العمومية وجميلك الشامل (٢) فاطمأن قلبي بوصوله الي (٣) وطابت نفسي بمجيئه الي (٤) ونشرته أي فتحته فحكي نسيم الرياض غب المطر اي اشبه الريح الذى تهب من البساتين بعد ما نزل المطر عليها (٥) واشبه تفتح الازهار في اواخر الليل (٦) اي وتدبرت في ممدره وفي الكلمات اللطيفة التي اودعتها فيه والحكم البديعة التي نثرتها فيه (٧) اى شاهدت منه أنواعا من الاكرام أثبتها فيه (٨) واصنافاً من الافضال دونتها فيه (٩) من الامور الهامة الجدية والامور المفرحة المازحة (١٠) ملا عيني يعني صرفها عن النظر الى بغير احسانك — وغمر قلبي اي لم يدع له منصرفاً الى غير افضالك (١١) وغلب فكري اي استحوذ على عقلي وبهر لبي اى راع عقلي وسباه (١٢) اى عقود در قصرتها على (١٣) منحتنيها اي اعطيتنيها (١٤) اكتسبته (١٥) الطرف العين ويطرف يطبق جفناً على الآخر (١٦) ارسمه في فكري واقتدي به

الأسلام وفارقت مصر وساكِنَها وأرباضها (١) ومواطِنَها رَكِبتُ سفينة عَدَوْليّة (٢) الى الثغور الفرنجية فجرتْ في خِضَمٍّ (٣) عجَّاج مُلْتطم الأمواج له دَوِيٌّ من جَرجَرة (٤) الآذِيّ (٥) أخضر الجلد كأنه إفرِند (٦) تصطخب (٧) فيهِ النينان (٨) وتجرى في جوفهِ الدعاميص (٩) والحيتان اذا ما زجه الأصيل (١٠) بالعشيّ بخلته كُسِّرت (١١) عليهِ الحليّ أو مُزِج بالرحيق (١٢) القُطرُبُّلي (١٣) وإن لاحت بهِ نجومُ السماء خلتهُ صفائح من فضة بيضاء سُمِّرت بمسامير صغار من نُضار (١٤) وأخذت السفينة تشقُّ عُبابه (١٥) وتفلق حَبابه (١٦) بين ريح رُخاء (١٧) أو زعزع (١٨) هَوْجاء (١٩) فهي تارةً في طريق مُعبَّد (٢٠) وَرَميث (٢١) مُسَرَّد (٢٢) وطوراً فوق حزن (٢٣) وقَرْدَد (٢٤) أو على صرح (٢٥) مُمرَّد (٢٦) — وكان معنا في الفلك رهط من العرب والترك فكنا نتواردُ معهم في جوائب (٢٧) الأخبار وطُرَف (٢٨) الأحاديث والأسمار (٢٩) ما يُزري (٣٠) بالمنهل العذب واللؤلؤ الرطب الى أن يميلَ ميزان النهار وتَغرق ذُكاء (٣١) في البحار ويمسي الكونُ من السواد في لَبُوس (٣٢) حديد أو لباسِ حداد وتبزُغ نجومُ السماء في أكناف

(١) مساكنها (٢) نسبة الى قرية عدولي بالبحرين او نسبة الى صانعها والمقصود انها اضخم سفينة (٣) البحر (٤) الصوت (٥) الموج (٦) جوهر السيف (٧) تختلط اصواتها (٨) جمع نون الحوت (٩) جمع دعموص دودة لها رأسان ترى في الماء اذا قل (١٠) الوقت بعد العصر حتى تغرب الشمس (١١) ردت ووضعت (١٢) الخمر (١٣) بضم القاف وتسكين الطاء وضم الراء وتشديد الباء الخمر المنسوب الى قطربل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالخمر (١٤) الذهب (١٥) بضم العين الموج (١٦) بفتح الحاء مايعلو الماء (١٧) بضم الراء الريح اللينة (١٨) بفتح الزاءين الريح الشديدة (١٩) بفتح الهاء الريح القوية تقلع الاشجار والبيوت (٢٠) مذلل ومسهل (٢١) جمع ميثاء الارض السهلة (٢٢) منتظم لاصعوبة فيه (٢٣) الارض الصعبة (٢٤) الارض المرتفعة الغليظة (٢٥) القصر (٢٦) مرد البناء ملسه حتى صار ناعماً (٢٧) الاخبار الطارئة (٢٨) المحاسن (٢٩) الاحاديث واصله لاحاديث الليل (٣٠) يعيب ويحقر (٣١) بضم الذال ممنوعة من الصرف اسم للشمس (٣٢) بفتح اللام الدرع

الظلماء كأنها سكاك (١) دلاص (٢) أو فلقُ رصاص أو عيون جراد أو جمرٌ في خلال رَماد أو درٌّ في بحرٍ أو ثقوب في قبّة الدَّيجُور (٣) يلوحُ منها النُّور ويبدو الهلال كأنهُ خنجرٌ من ضياء يشقّ طيالس الظلماء أو قلادة أو دُملج (٤) غادةٍ (٥) أو سِنانُ (٦) لواء الضرَّاب أو الليل فيلٌ وهو ناب فنأخذ مجلساً نَسْمه (٧) الكافور وأرضهُ عنبر مذور (٨) رُقِمتْ فيه زَرابيُّ مبثوثات (٩) ومنابذ (١٠) وحُسبانات (١١) وأنماطٌ (١٢) مفروشة وبُسْط منقوشة

بُسْط أجادَ الرسمَ صانعُها ... وزها عليه النقشُ والشّكلُ

فيكاد يُقطَفُ من أزهارها ... ويكاد يسقطُ فوقها النّحلُ

وحولهُ شموع تزْهَر وأضواء تَبْهر (١٣) وقد دارتْ عليه سُقاةٌ (١٤) كجُمَّاع (١٥) الثّريا (١٦) بأقداح الحُميّا (١٧) وأكوابِ (١٨) الفانيذِ (١٩) المروّق وقواريرِ (٢٠) الجُلاّب (٢١) المصفّق (٢٢) ثم تجيءُ قَيْنَةٌ (٢٣) في يدها نايٌ كأنه صور اسرافيل يُحيي الرُّفات (٢٤) ويُنشِرُ (٢٥) الأموات حتى اذا بدَا الضّياء كابتسام الشّفة اللّمياء (٢٦) دخلنا المضْجَع لنهْجَع وهلُمَّ جرًّا (٢٧) في أيامنا الأخرى الى أن

(١) جمع سك المسمار ٢) بكسر الدال الذي يبرق ويلمع (٣ الظلام (٤) بكسر الدال وزن درهم او بضمها مع ضم اللام حلي للنساء يلبسنه في ايديهن (٥) المرأة الناعمة لينة الاعطاف (٦) حديدة الرمح (٧) نسيمه (٨) منثورا (٩) منشورات (١٠) جمع منبذة وزن مكنسة الوسادة التي يتكأ او ينام عليها (١١) جمع حسبانة الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها ايضاً (١٢) جمع نمط ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الالوان (١٣) تزهر وتبهر كلاهما بمعنى تضيء وبابهما منع (١٤) جمع ساق (١٥) بالضم ماجمع وانضم بعضه الى بعض ومراده الغلمان (١٦) سبعة كواكب منضمة بعضها الى بعض (١٧) الخمر والمراد الشراب (١٨) جمع كوب الكوز المستدير الرأس لاعروة له اولا خرطوم (١٩) نوع من الحلوي فارسي معرب بانيد (٢٠) جمع قارورة ما يوضع فيها الشراب من الزجاج (٢١) ماء الورد فارسي معرب (٢٢) المروق الصافي (٢٣) المغنية (٢٤) الحطام البالي والمراد الاموات (٢٥) يحييها (٢٦) فيها لمى وهو سواد الشفة (٢٧) معناه اتصال الامر واستدامته

وطئنا (١) أرضَ القوْم بعد ثلاثة أيام و بعض يوم فلما أضحت مرأى عين كبّرنا تكبير ابن الحسين

كثرتْ حولَ ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وراقنا ما رأينا من عُمران وحضارة ورُفهنية (٢) وشارة (٣) وزراعة وصناعة وتجارة وضخامة سلطان وعظم بنيان وجواد كالأودية بين الأطواد (٤) وكأنما الناس فى المدينة احتفلوا ليوم الزينة أوهُمْ لكثرة الحركة منهزموا معركة فهم غادون ورائحون زرافات (٥) ووُحداناً إناثاً وذكراناً وقد لبثنا (٦) فى تلك البلدان هُنيهةً من الزمان نتقلّب فى جنباتها وننتقل فى أنحائها وجهاتها الى أن قدمنا القسطنطينية إيوان الخلافة الاسلامية وعشّ الدعوة المحمدية فاذا النعيم والملك الكبير والجنة والحرير واذا بقعة أطيب الأرضين رُقعة وأمرعها (٧) نُجعة (٨) وقد اعتلت مناثرها فى الفضاء وحلّقت (٩) قصورها بالسماء فلبست أردية الغيوم وتقلدت عقود النجوم ولاحت مقاصيرها (١٠) البيضاء فى أكنافها (١١) الخضراء وجرى بينها خليج الماء فكأنها النجوم والمجرّة (١٢) والسماء واكتظّت (١٣) نواحيها بالآثار وحشدت (١٤) بالجوامع الكبار وناهيك « بأياصوفيّة » (١٥) وما أدراك ما « أياصوفية » هو بَنيّة (١٦) تعلوها شرافات (١٧) عليه وقبة ضخمة جوفاء (١٨) كأنها قبة السماء وأرض تلك البنية كالماوية (١٩) من مرمر (٢٠)

---

(١) دخلنا (٢) بضم الراء وفتح الفاء وسكون الهاء وكسر النون وتخفيف الياء الرفاهية وليان العيش والتنعم (٣) الحسن والجمال (٤) الجبال العظيمة (٥) جمع زرافة الجماعة من الناس (٦) اقمنا (٧) اكثرها كلأ وعشباً (٨) بضم النون مساقط الغيث (٩) ارتفعت (١٠) نواحيها (١١) جوانبها (١٢) نجوم كثيرة تنتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء (١٣) امتلأت (١٤) ملئت (١٥) جامع (١٦) البناء المرتفع (١٧) شرفات البناء مثلثات تبني متقاربة في أعلى القصر أو السور (١٨) ذات جوف (١٩) المرآة (٢٠) الرخام الصافي

ألاق(١) ذى بَصيصٍ(٢) برّاق وفيها دعائم كلُّ دعامة(٣) كالحقّ استقامة وبها محاريبُ وحنَايا(٤) وأقبية وزوايا ومِنبرٌ كأنه أريكةُ(٥) سلطان فى الخَوَرْنَق(٦) أو غمْدَان(٧) هـذا وقد نزَلتُ من كَنف أمير المؤمنين وخليفة ربّ العالمين فى دار السعادة ومَشرَع الفضل والمجادَة ومطلَع الجود وفلك السُّعود وَحظيرة(٨) النّعم وَمشعَرِ(٩) الهمَم وأقمتُ ضيفاً عند السيد السند الهِزَبْرِىّ(١٠) النَّضد(١١) تاج آل محمد السيد فلان فى عِصابة(١٢) مِن الصُّوَّابة(١٣) لا عَيبَ فيهم غير أنّهم يُنَسُّونَ الغريبَ وطَنه وحامّته وسكَنَه لهم أعراقٌ عربيّة وأخلاقٌ هاشميّة وحماسٌ وسماحٌ كالماء والرَّاح ـ ولم أكد أُلقى العَصا وتستقرّ بى النّوىَ حتى جاءنى سلامٌ من أمير المؤمنين خِلْتُه السّلام الذى ذكره الله فى قوله « أدخلوها بسلامٍ آمنين »

﴿ وكتبت السيدة وردة اليازجية الى السيدة عائشة تيمور المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ﴾

سيّدتى ومَولاتى — أُعرض أنّنى بينما أنا أَلْهجُ بذكر ألطافكم السَّنيّة وأَتَنَسَّمُ شذَا أنفاسكم العبْقَريّة وأَترقّبُ لقاء أثرٍ من لَدُنكم يتَعلل به الخاطر ويكتحل بإِثمدِ مِداده النّاظر

وصلتْنى مكاتبتكم فجَلَتْ عن العين أقذاءها وردّت الى النّفس صفَاءها فتناولتُها بالقلْب لا بالبنَان وتصفّحت مافى طيّها من سحر البَيان — فقمت

---

(١) كثيرا اللمعان (٢) البريق واللمعان (٣) بكسر الدال عماد البيت والجمع دعائم (٤) جمع حنية القوس ومراده ما كان منحنياً على هيئة القوس كالقنطرة (٥) السرير (٦) بفتح الخاء والواو وتسكين الراء قصر بالعراق كان للنعمان الاكبر ابن امرىء القيس (٧) بضم الغين اسم قصر باليمن (٨) المكان الذي يؤوى اليه (٩) مايستظل به (١٠) بكسر الهاء وفتح الزاي وسكون الباء الموحدة اسم من اسماء الاسد (١١) بفتح النون والضاد الشريف (١٢) بكسر العين الجماعة من الرجال (١٣) بضم الصاد وتشديد الواو وفتح الباء الموحدة لباب القوم وخيارهم

هذا الكتابُ الذى هامَ الفؤاد به ... ياليتنى قلمٌ فى كفِّ كاتبه

ولعمرى انه كتاب حوى بدائع المنثور والمنظوم وتحلى من درر الفصاحة فأخجلت لديه درارى النجوم وقد تطفلتُ على مقامكم العالى بهذا الجواب ناطقاً بتقصيرى وضمَّنتهُ من مدح سجاياكم الغرّاء وما يشفع لدى مكارمكم فى قبول معاذيرى لازلتم للفضل معدناً وذخراً وللأدب كنزاً وفخراً

(وكتبت السيدة عائشة تيمور إلى السيدة وردة اليازجيّة المتوفاة سنة ١٣١٣ هـ)

أستهلُّ براعةَ سلامٍ حمَل الشوقُ رسالته وتقلّدَ الشفقُ ما نشقَتْ ناشقةُ عَرْفِ الوداد كفالته ولو رَضيتُ المجال فى صدْق المقال لنطَقَ بخالص الوَفاء مدادُ حروفه وأقام بأداء التحيَّة العاطِرة قبلَ فضّ ختام مظروفه ولعمْرى قد توّجته أزهارُ الثناء بلآلئ غراءَ كلّلتهُ زواهر الوَفاء من خالص الوداد إلى حضرة من لا تزالُ تستروحُ الأسماعُ بنسيم أنبائها صَباح مساء — وتتشوّقُ الأرواح إلى استطلاع بدرِ إنسانها الكامِل أطرافاً وآناءً — ومما زادنى شوْقاً إلى شوْقٍ حتى لقد شبَّ فيه طِفل الشفق عن الطّوق اجتلائى حديقة « الورْد » القدْسيّة ونافجة الادَب المسكيّة فيالها من حَديقة رَمقتها أحداقُ الأذهان فاقتبست نَوراً ونُوراً وانتشقتْها مَسامُّ الآذان فثملت طرباً وسُروراً ومُنذُ سرَّحتُ فى أرجاء تلك اليانعة إنسانَ العيون وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك الدُّرّ المَصون لم أزل بين طرَب أتوشّح بوشاحه وأدَب أتعجّبُ من حسن اختتامه وافتتاحه وجعلتُ أغازلُ من نرْجس تلك الرّوضة عيوناً ملكت منّى الحوَاس وهصَرتْ من غصون ألفاتها كلّ ممشوقٍ أهيَفُ ميّاس وأتأدّبُ فى حضرة وَردها خوفاً من شوكة سلطانها وأن حاتى بجميل الالتفات ضاحكةٌ عن نفيس جمانة

• إذا بالياسمين الغضّ قد ألقى نفسه على الثرى ونادى بلسان الأفصاح هل لهذه النضرة نظيرة يا ترى فأشار المنثور بكفه الخضيب أن لا نظير لتلك الغادة ونطق الزنبق بلسان البيان لا تكتموا الشهادة فعند ذلك صفق الطير بأكف الأجنحة وبشر وجرى الماء لإذاعة نبأ السرور فعثر بذيل النسيم وتكسر وتمايلت أغصانها المورقة لسماع هذا الحديث وأخذت نسماتها العاطرة في السير الحثيث إذاعة لتلك البشائر في العشائر ونشرا لهذه الفضائل التي سارت مسير المثل السائر فقلت بلسان الصادق الأمين بعد تحقق هذا النبأ اليقين هكذا هكذا تكون الحديقة والا — وكذلك كذلك لتكتب الفضائل وتملى

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني غراماً فزدني من حديثك يا سعد

فتحمل عني أيها الصديق تحية الى ربة هاتيك الحديقة واشرح لديها حديث شغفي بفضلها الباهر على الحقيقة وأعتذر عن كتابي هذا فقد جاء يمشي على استحياء وكلما حركه الشوق يبطئه الحياء وكيف وقد حل في منيع الفضائل والمقام الذي لم يدع مقالاً لقائل فكأني إنما أهدي التمر الى هجر وأمنح البحر الخضم بالمطر أدام الله تعالى تلك الحضرة و زادها في كل حال بهجة ونضرة ما لاح جبين هلال و بلغ غاية الكمال

« وكتب السيد عبد الله النديم المتوفي سنة ١٣١٤ هـ »

أستاذي وقدوتي وملاذي وعمدتي — ربيت فأحسنت وغذيت فأسمنت مؤدباً ليناً ولينت فسودت وجدت فعودت مهذباً غيثاً وعلمت فأفهمت وأشرت فألهمت غرض سهمك وقد نلت ما أملت فيمن عليه عولت بحسن فهمك

غلامك الشهير بالنديم من صار في البيان كالنسيم

وكيف لا يكونُ لسانى قوسَ البديع وكلامى السّهم السّريع وأنتَ باريه وَرَاميه أم كيف لا يكون مقامى الحصنُ المَنيع وقَذَرى العزيز الرّفيعُ وأنت مُعليه وبانيه فوجهُ جمال العلم أنتَ غرَّته وانسانُ عينِ العلم أنتَ قرّته وحاليه وجاليه وجبينُ العقل أنت طرّته وكتابُ الفضل أنت صُورته وطاليه وتاليه

على بابك العالى من الفضل رايةٌ ... على رأس أرباب المعارفِ تخفقُ

فعلمك جنّاتٌ وحلمك جنّةٌ ... وكُلّك خيرَاتٌ وغيثُك مُغدقٌ

أرى غصنَ من يدعُو الى الفضل نفسه ... مِنَ الفضل عرياناً وغُصنك مُورقٌ

اذا رُمت إنشاء فعَنْ صِدْق فِكْرةٍ ... تهادى بأبكارٍ وغيرُك يسرقُ

« وكتب أيضاً فى التّوَدُّد »

بينما أنا راكبٌ لُجّةَ بحر الفكر مُجدٌّ فى طلب فريدةٍ بكر تارةً أغوصُ ومَرّةً أسبَحُ وآونةً أقفُ وطَوْرًا أصفحُ لا يقرُّ لى قرَار ولا يُمكننى الفرار ولا يقصر عن طَرْحِ شِباكى ذراعٌ ولا يُطوَى لسفينتى شرَاع كلّما أدركنى المَلل هاجت علىَّ رياحُ الأَمل حتى دخلتُ فى بحرٍ عَجّاجٍ مُتلاطم الأمواج فاقتحمت هذا المركَبَ الصّعب وتُهتُ بين الجزائر والشّعب فتعلّقتْ أفكارى بالسّوارى والجبال وبتُّ بليلة نجومُها كواحل لا يُرى فيها برّ ولا سواحل وقلتُ اشتدادُ الأمرِ يستدعى ضدّه ولا يأتى الفرَجُ إلا بعد الشدّة — وعينيك ما سلّ سيفها على مفرَق مَسَاها حتى سمعت باسم الله مُجرَاها ومُرْساها فكان من تمام حظّى وسعُودى ان تركتْ لُجّة اليمِّ واستوتْ على الجُودى وانصرف خوفى وارتباكى وبادرتُ بطرْحِ شِباكي فاذا هي قد مُلئتْ بأصداف الجوْهر وعلقت بها شجرَةَ العنبر فتفتّح الصّدف عن دُرٍّ يستخدمُ الأقمار وفاح العنبرُ بما أذهبَ شذَى الأزهار

وصيرت ما بينها كِسرى الزّمان له   شمسٌ تُنادمهُ في مجلس عطر
ونلت أقصى أمانٍ كنت آملها   الأُنس في خَلدي والنُّور في نظري

ولما جلوتُ الطّرْف بما فيها من الظّرْف ووقعت عندي الموْقع الحسن أردت أن أسوَمها بثمن فاذا هي دُرّة يتيمة لا يَقدِر لها أحدٌ على قيمة فاستهديتها من رَبّها لشغفي بحبّها وجعلتُ القلب لها كنزاً والفؤادَ لها حِرْزاً ألا وهي محبّة العزيز الحافظ أبدعُ مرقًى وأبلغُ لافظ

(وكتب ابراهيم بك المويلحي المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ يعزّي محمود باشا البارودي)

أنت يا فوق أن تعزّى عن الأحبا   ب فوق الذى يعزّيك عقلا
وبألفاظك أهتدى فاذا عزا   ك قال الذى له قُلت قبلا
وقتلت الزّمان علماً فما يغـ   رب قولاً ولا يُجدّد فعلا

نعَم إنّك يا «محمود» الخصال و «سامى» الفعَال لأنتَ الشهم المُجرّب لصُروف الحِدْثان والعالم الخبيرُ بأحوال الزّمان قد أعدَدْتَ لنوازل المقدُور نزُلاً من الصّبر المأجور وصرفت ضَيف الشُّجُون والهُموم الى قُرى الفضائل والعلوم وأخذت بسُنَّة السَّلف الصالح فى مقُابلة الخطوب الفوادح وأنت لاشك عندنا آخذٌ فيما دهمك اليوم من المُصاب العظيم بسيرة ذاك الفَيلسوف الحكيم ـ بين هو جالسٌ يوماً فى الدّرس بين تلاميذه اذ جاءه من أخبرَه بأنّ ابنه الوحيد مات وهو رَطب الشّباب غضّ العُمر فلم يتولّه الفزع ولم يظْهر عليه الاضطرابُ ولم يَبدُ على وجهه الكدَر ومازاد على أن استرجَع واستمرّ فى قراءة درسه كما كان فلمّا انتهى منه بادره أحدُ الحاضرين من أصحابه ممّن حيرْتهم الدّهشة فى أمره يسأله كيف لم يسلبْه الحُزْنُ ثوبَ الثّبات بُرهةً عند مُفاجأته بالخبر فقال له « لو فاجأتنى النّازلةُ على غِرّة منى

لجزعتُ وحزنت ولكنّي مازلتُ أُقدّرُ لابني مُنذُ يوم ولادته حُلولَ أجله في كلّ يوم من أيام حياته ولمثل هذا اليوم كنتُ أعدّه من زمانٍ طويلٍ وكان كلما مضى عام من أعوامه اعتبرتهُ خُلْسَةً اختلستُها من الدّهر حتى مضى على هذه العارية عشرُون عاماً فشُكرى للهِ اليومَ على أن أبقاها فى يدى طُولَ هذه المدّة يوم مقام الحُزْن عندَ غيرى لدى استردادها » وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم « اذا مات وَلدُ العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتُم ولدَ عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتُم ثمرَةَ قلبه فيقولون نعم فيقولُ الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنُوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسمُّوه بيت الحمد » وأنت يامحمود — صلواتُ الله عليك ورحمتهُ لقوله تعالى « ولنبلونّكم بشىء من الخوْف والجُوع ونقصٍ من الأموال والأنفُس والثّمرات وبشّر الصّابرين الذين اذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنّا للهِ وإنّا اليه راجعون أولئك عليهم صلواتٌ من ربّهم ورَحمة وأولئك هم المهتدُون » — أوّلُ من يَمتثل لحكم القضاء ويَسْترجعُ عند نزُول البلاء ويعملُ بأدب الدّين فى التجلّد والتّصبُّر ويأخذُ بسيرة الحكماء فى التدبُّر والتّبصر

ومن كان ذا نفس كنفسك حرّة ففيه لها مُغنٍ وفيها له مُسْل

الكلام على الرسالات العلمية

الرّسالاَت العلمية هى مقالاتٌ فى المطالب العِلمية أو المسائل الأدبية وانّما سمّيت بالرّسالات لأنّ أصحابها يرْسلونها الى مَن اقترحها عليهم ويسلك فيها صاحبها مناهج الاسترسال والمخاطبات البَليغة وقد أفردنا لها كتابنا « أسلوب الحكيم فى منهج الانشاء القويم » فارجع اليه ان شئت

﴿ الفن الثاني في المناظرات ﴾

للمُناظرة ثلاثةُ شروط (الأول) أن يُجمعَ بين خصمين متضادَّين أو متباينين في صفاتهما بحيث تظهر خواصُّهما بالمقابلة كالربيع والخريف والصيف والشتاء (والثاني) أن يأتي كلٌّ من الخصمين في نُصرته لنفسه وتفنيد مزاعم قِرْنه بأدلّة من شأنها أن ترفع قدره وتحطّ من مقام الخصم بحيث يميل بالسّامع عنه اليه (والثالث) أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً حسناً وتُرتّب على سياق مُحكم ليزيد بذلك نشاطُ السّامع وتنمى فيه الرّغبة في حلّ المشكل ولنذكر لك عليها شذرات من أقوال الكتّاب فنقول

﴿ مناظرة النُّعمان بن المُنذر وكسرى أنُوشِرْوان في شأن العرب ﴾

رَوى بن القُطامي عن الكلبي قال: قدم النُّعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الرُّوم والهند والصّين فذكروا من ملوكهم وبلادهم — فافتخر النّعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الأمم لا يستثني فارسَ ولا غيرها : فقال كسرى وأخذته عزّة المُلك يانعمان لقد فكّرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت في حالة من يقدم عليَّ من وفود الأمم — فوجدت للرُّوم حظًّا في اجتماع أُلفتها وعِظم سلْطانها وكثرة مدائنها ووَثيق بنيانها وانّ لها ديناً يُبيّن حلالها وحرامها ويردّ سَفيهها ويقيم جاهلها ـ ورأيت الهند نحواً من ذلك في حِكْمتها وطبّها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها وعجيب صناعتها وطِيب أشجارها ودقيق حِسابها وكثرة عَدَدها وكذلك الصّين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفُرُوسيّتها وهمّتها في آلة

الحرب وصناعة الحديد وان لها مُلكاً يجمعها — والتركُ والخزرُ على ما بهم من سوء الحال فى المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم — ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة : ومع أن مما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها محلتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحومُ الإبل التى يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها — وان قرى أحدهم ضيفاً عدها مكرمة وان أطعم أكلة عدها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم (ما خلا هذه التنوخية التى أسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجري لها ذلك الى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثاراً ولبوساً وقرى وحصوناً وأموراً تشبه بعض أمور الناس يعنى اليمن) ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس — قال النعمان أصلح الله الملك : حقٌ لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها الا أن عندى جواباً فى كل ما نطق به الملك فى غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمنني من غضبه نطقت به : قال كسرى — قل فأنت آمن : قال النعمان : أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذى هى به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحة عزها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأما الأمم التى ذكرت فأي أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها : قال كسرى بماذا :

قال النعمان بعزّها ومَنَعتها وحُسن وجُوهها وبأسها وسخائها وحِكْمة ألْسنتها وشدّة عقولها وأنَفتها ووَفائها

فأما عِزّها ومَنَعَتها فانها لم تَزَل مُجَاوِرَة لآبائك الذين دوّخوا البلاد وَوطّدُوا المُلْك وقادوا الجُنْد لم يطمَع فيهم طامع ولم ينَلْهُم نائل حُصُونُهم ظهور خيْلهم ومِهَادُهم الأرْض وسُقُوفُهم السماء وجُنَّتُهم السُّيوف وعُدّتهم الصّبْر — إذ غَيْرُها من الأُمم انّما عِزُّها الحِجَارة والطّين وجَزَائر البُحُور

وأما حُسْن وُجُوهها وألْوانها فقد يُعْرَف فَضْلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المُنْحَرِفة والصين المُنْحفَة والتُّرْك المشوَّهة والرُّوم المُقَشّرة

وأما أنسابُها وأحسابُها فليست أُمَّة من الأُمم الا وقد جهلت آباءها وأصُولَهَا وكثيراً من اوّلها حتى انّ أحدَهم لَيُسْئَل عمن وراء أبيه دُنْيا فلا يَنْسُبه ولا يَعْرِفه — وليس أحد من العرب الا يَسمّى آباءه أبًا فأبًا حَاطُوا بذلك أحْسَابَهم وحَفِظوا به أنْسَابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا يَنْتسب إلى غير نَسبه ولا يُدْعى إلى غير أبيه

وأما سخاؤها فانّ أدْنَاهُم رَجُلا الذى تكون عنده البَكْرَة والنّاب عليها بَلاَغُه فى حَمُوله وشِبَعه ورِيّه فيَطْرُقُه الطارِق الذى يكْتَفى بالفَلْذة ويَجْتزى بالشَّرْبة فَيَعْقرها له ويَرْضى أن يَخْرُج عن دُنْياه كلّها فيما يكسِبه حُسْن الأحدُوثة وطَيّبَ الذِكْر

وأما حكْمة ألسِنَتهم فان الله تعالى أعطاهم فى أشْعارهم ورَوْنَق كلاَمهم وحُسْنه ووَزنه وقَوَافيه مع معرفتهم بالأشْياء وضربهم للأمْثال وابلاغهم فى الصّفات ما ليس لشئ من ألسنة الأجناس — ثم خَيْلُهم أفْضل الخَيْل ونِساؤهم

أعفّ النّساء ولباسهم أفضل اللّباس ومعادنهم الذهب والفضّة وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التى لا يُبلغ على مثلها سفرٌ ولا يُقطع بمثلها بلدٌ قفرٌ

وأما دينها وشريعتها فانهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أنّ لهم أشهراً حُرُماً وبلداً محرّماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرّجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره وإدراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى

وأما وفاؤها فان أحدهم يلحظ اللّحظة ويومئ الإيماءة فهى ولثٌ (أى عهد) وعقدة لا يحلّها الا خروج نفسه وانّ أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمّته وانّ أحدهم ليبلغه أنّ رجلا استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله

وأما قولك أيها الملك يئدون أولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيرة من الأزواج

وأما قولك إنّ أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها الاّ احتقاراً له فعمدوا الى أجلّها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع انّها أكثر البهائم شحوما وأطيبها لحوما وأرقّها ألبانا وأقلّها غائلة وأحلاها مضغة وانه لا شئ من اللّحمان يعالج ما يعالج به لحمها الاّ استبان فضلها عليه

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الأمم اذا آنست من نفسها ضعفاً

وتخوّفت نهوض عدوّها اليها بالزحف وانه انما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يُعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم أمورهم وينقادون لهم بأزمتهم وأما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطث (أى الضرب الشديد بالرجل على الأرض) بالعسف

وأما اليمن التى وصفها الملك فانما أتى جدّ الملك اليها الذى أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق وأمر مجتمع فأتاه مسلوبا طريداً مستصرخا ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للاحرار من غلبة العبيد الأشرار

قال فعجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال انك لأهل لموضعك من الرياسه فى أهل اقليمك ثم كساه من كسوته وسرّحه الى موضعه من الحيرة

فلما قدم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم بعث الى أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة التميميين والى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين والى خالد بن جعفر وعلقمة ابن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين والى عمرو بن الشريد السلمى وعمرو ابن معدى يكرب الزبيدى والحارث بن ظالم المرّى — فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور أو يكون انما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض طماطمته فى تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله — فاقتص عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه : فقالوا

أيها الملك وفّقك اللهُ ما أحسن ما رَدَدْتَ وأبلغ ما حَجَجْتَه به فمُرْنا بأمْرِك وادْعُنا الى ما شئت

قال انما أنا رَجلٌ منكم وانما مَلَكتُ وعَزَزْت بمكانكم وما يُتخوّف من ناحيتكم وليس شىء أحبَّ الى مما سَدَّد الله به أمْركم وأصلح به شأنكم وأدام به عِزَّكم - والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيّها الرَّهْطُ وتنطلقوا الى كسرى - فاذا دخلتم نَطَق كلُّ رجل منكم بما حضره ليَعلم أن العرب على غير ما ظَنّ أو حدّثَتْه نفسُهُ ولا يَنطِق رجل منكم بما يُغضبه فانه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مُترف معْجب بنفسه ولا تَنخزلوا له انخزال الخاضع الذّليل وليكن أمرٌ بين ذلك تظهر به وَثاقةُ حُلُومِكم وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صَيفِى ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التى وَضعْتكم بها فانما دعانى الى التقْدمة اليكم عِلْمى بميل كلّ رجل منكم الى التقدُّم قبل صاحبه فلا يَكوننّ ذلك منكم فيَجِدَ فى آدابكم مَطعنًا فانه ملك مُترَف وقادِر مُسَلّط ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرائف حُلَل الملوك كل رجل منهم حُلّة وعَمّمه عِمامة وخَتّمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنَجيبة مَهْريّة وفرس نجيبة وكتب معهم كتابًا

أما بعد فان الملك ألقَى الىّ من أمر العرب ما قد علم وأجبْته بما قد فهم مما أحْبَبْتُ أن يكون منه على عِلْم ولا يَتلجلَج فى نَفسه أنّ أمّة مِن الأمم التى احتجزت دُونه بمملكتها وحَمَت ما يليها بفضل قوّتها تبلغُها من الامور التى يَتعَزّزُ بها ذَوُو الحَزْم والقُوّة والتّدْبير والمكيدة — وقد أوْفدت أيّها الملك رَهطًا من العرب لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فلْيَسْمع الملك وليُغْمِضْ

عن جفاء انْ ظهر من مَنْطِقِهم وليكرمْنى با كرامهم وتعجيل سراحهم وقد نَسَبْتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم فخرج القوم فى أهْبَتِهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا اليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسْمَع منهم ـ فلمّا أن كان بعد ذلك بأيام أمر مَرازِبتَه ووُجُوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسى عَن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التى وصفهم النعمان بها فى كتابه وأقام التَرجُمان ليؤدِّي اليه كَلامَهم ثم أذن لهم فى الكلام

فقام أكثم بن صَيفى فقال ان أفضل الأشياء أعاليها وأعلَى الرجال ملُوكها وأفضَل الملوك أعمُّها نَفعًا وخيرُ الأزمنة أخصَبُها وأفضل الخُطَباء أصْدَقها

الصّدق مَنْجاة والكذب مَهْوَاة والشَّرّ لجاجة والحَزم مَرْكب صعْب والعَجزْ مرْكب وطِئٌ آفَةُ الرّأى الهَوَى والعَجْزُ مفتاح الفقْر وخير الأمور الصَّبْر حُسْن الظّنّ ورْطة وسوء الظنّ عِصْمَة ، إصلاح فساد الرّعيّة خير من إصْلاَح فَسَاد الرّاعى مَنْ فسَدَتْ بِطَانَتُه كان كالغَاصّ بالماء

شَرُّ البلاد بلاد لا أمير بها شَرُّ المُلُوك من خَافه البَرِىء المَرْء يَعجز لا المَحَالة أفضل الأولاد البرَرة خير الأعْوَان منْ لم يُرَاء بالنّصيحة أحقّ الجُنُود بالنّصر من حَسُنَتْ سريرته يكْفيك من الزّاد ما بَلّغَك المحَلّ حسْبُك مِنْ شَرّ سَمَاعه الصَّمْتُ حِكَم وقَليلٌ فاعِله البَلاَغة الايجاز مَنْ شدّد نَفّرَ ومن تَرَاخى تألّف

فتعجب كسرى من أكثم ثم قال ويحك يا أكثم ما أحكمك وأوثق كَلاَمك لولا وَضْعُك كلامك فى غير موضعه قال أكثم الصّدْق يُنْبِئُ عنك لا الوعيد قال كسرى لو لم يكن للعرب غيرك لكفى قال أكثم رُبَّ قَوْل أنفذُ منْ صَوْل

ثم قام حاجب بن زرَارة التّميمى وقال وَرَى زَنْدُك وعَلَتْ يدُك وهِيبَ

سلطانك — ان العرب أمة قد غلظت أكبادها واستحصدت مرتها ومنعت درتها وهى لك وامقة ما تألفتها مسترسلة مالاينتها سامعة ما سامحتها وهى العلقم مرارة وهى الصاب غضاضة والعسل حلاوة والماء الزلال سلاسة نحن وفودها اليك وألسنتها لديك ذمتنا محفوظة وأحسابنا ممنوعة وعشائرنا فينا سامعة مطيعة إن نؤب لك حامدين خيرًا فلك بذلك عموم محمدتنا وإن نذم لم نخص بالذم دونها — قال كسري ياحاجب ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها — قال حاجب بل زئير الأسد بصولتها — قال كسرى وذلك

ثم قام الحارث البكرى فقال دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها وعلو سنائها — من طال رشاؤه كثر متحه ومن ذهب ماله قل منحه تناقل الأقاويل يعرف اللب وهذا مقام سيوجف بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ونحن جيرانك الأدنون واعوانك المعينون خيولنا جمة وجيوشنا فخمة إن استنجدتنا فغير ربض وان استطرقتنا فغير جهض وإن طلبتنا فغير غمض لا ننثنى لذعر ولا نتنكر لدهر رماحنا طوال وأعمارنا قصار قال كسرى أنفس عزيزة وأمة ضعيفة قال الحارث أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزة أو لصغير مرة قال كسرى لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك قال الحارث أيها الملك ان الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبه مغررًا بنفسه على الموت فهى منية استقبلها وجنان استدبرها — والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قدمًا وأحبسها وهى تصرف بها حتى إذا جاشت نارها وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها جعلت مقادها رمحى وبرقها سيفى ورعدها زئيرى ولم أقصر عن خوض خضخاضها حتى أنغمس فى غمرات لججها وأكون فلكا

لفرساني إلى مُجْبُوحة كبشها فأستمطرها دَما وأترك حُماتها جزر السباع وكل نَسْرٍ قَشْعَم ثم قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هو قالوا فعاله أنطق من لسانه قال كسرى ما رأيتُ كاليوم وفدًا أحشد ولا شهودًا أوفد

ثم قامَ عمرو بن الشَّريد السُّلَمى فقال أيها الملك نَعِم بالُك ودامَ فى السُّرور حالُك ان عاقبة الكلام متدبَّرة وأشكال الأمور مُعتبرة وفى كثيرٍ ثِقْلة وفى قليل بُلغة وفى الملوك سَورة العزّ وهذا مَنطق له ما بعده ـ شرُف فيه مَن شرُف وخمل فيه من خمَل لَمْ نأتِ لضَيْمك ولم نَفِد لسُخطك ولم نتعرَّض لرِفدِك ان فى أموالنا مُنتقَدا وعلى عزّنا مُعتَمدا إن أورينا نارا أثقبنا وإن أودَ دهرٌ بنا اعتدَلنا إلا أنّا مع هـذا لجِوارك حافظون ولمَن رامك كافحون حتى يُحْمَد الصَّدَر ويُستَطاب الخبَر قال كسرى ما يقوم قصدُ منطقك بإفراطك ولا مدحُك بذمّك قال عمرو كفَى بقليل قصدِى هاديا وبأيسَر إفراطى مُخْبِرا ولم يُلَمْ مَنْ غرَبت نفسُهُ عمَّا يَعلَم ورَضى من القَصد بما بلغ قال كسرى ما كلُّ ما يَعرِف المرء يَنطق به — اجلس

ثم قامَ خالد بن جعفر الكلابى فقال أحضرَ الله الملكَ إسعاداً وأرشده إرْشاداً إنّ لكُلّ مَنطق فُرصةً ولكلّ حاجة غُصّة وعِىُّ المَنْطق أشدّ من عِىّ السُّكوت وعِثَار القوْل أنكأ منْ عِثار الوعْث وما فرصة المَنطق عندنا إلا بما نَهْوى وغُصّةُ المنطقَ بما لا نَهْوى غيرُ مُستَساغة وترْكى ما أعلم مِنْ نفسي ويُعلَمُ مِنْ سَمعى أنّنى له مُطيق أحبُّ إلىّ من تكلفِى ما أتخوّف ويُتخوّف منى وقد أوْفدنا اليك ملكُنا النُّعمان وهو لك مِنْ خير الأعوان ونِعْم حامِلِ المَعْروف والاحسان أنفسُنا بالطاعة لك باخِعةَ ورقابنا بالنَّصيحة خاضِعة وأيدِينا لك بالوفاء

رهينة قال له كسرى نَطَقْتَ بعقل وسَمَوْتَ بفضل وعَلَوْتَ بنُبل

ثم قام علقمة بن عُلاثة العامري فقال نَهجتْ لك سُبل الرشاد وخضعت لك رقاب العباد إنَّ للأقاويل مناهج وللآراء موالج وللعويص مخارج وخير القول أصدَقه وأفضل الطَّلب أنجحهُ ـ إنَّا وإن كانت المحبَّة أحضرتنا والوفادة قرَّبتنا فليس من حَضَرك منَّا بأفضل ممَّن عزب عنك بل لو قِسْتَ كلَّ رجل منهم وعلمت منهم ما عَلِمنا لوجدت له في آبائه دنيا أنداداً وأكفاء كلّهم الى الفضل منسوب وبالشرف والسُّودَد موصوف وبالرَّأي الفاضل والأدب النافذ معروف يَحمى حِماه ويُروي ندماه ويذود أعداه لا تَخمدُ ناره ولا يَحترِز منه جارُهُ ـ أيّها الملك . من يَبلُ العرب يَعرف فضلهم فاصطنع العرب فانها الجبال الرَّواسي عزا والبحور الزَّواخر طميا والنجوم الزَّواهر شرفا والحصى عددا فانَّ تعرف لهم فضلهم يُعزّوك وان تستصرخهُم لا يخذُلوك ـ قال كسرى وخشي أن يأتي منهُ كلام يحمله على السخط عليه حسبُك أبلغت وأحسنت

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال أطابَ الله بك المراشد وجنَّبك المصائب ووقاك مكروه الشَّصائب ما أحقَّنا اذ أتيناك بأسماعك ما لا يُحنق صدرك ولا يَزرع لنا حِقداً في قلبك لم نَقدم أيُّها الملك لمساماة ولم ننتسب لمُعاداة ولكن لتعلم أنت ورعيّتك ومن حضرك من وُفود الأُمَم أنّا في المَنطِق غيرُ مُحْجمين وفي الناس غير مُقصّرين ان جُورِينا فغير مسبوقين وان سومينا فغير مَغلوبين قال كسرى غيرَ أنكم اذا عاهدتم غيرُ وافين وهو يُعرّض به في تركه الوفاء بضمانه السَّواد ـ قال قيس أيها الملك ما كُنتُ في ذلك إلاّ كوافٍ غُدِرَ به أو كخافرٍ اخفرَ بذمّته ـ قال كسرى ما يكون لضَعيف ضَمان ولا لذليل خفارة

قال قيس أيها الملك ما أنا فيما أُخفر من ذِمّتى أحقُّ بالزّامى العارَ مِنك فيما قُتِل من رَعيّتك وانتُهِك من حُرْمتك قال كسرى ذلك لأنّ من ائتمن الخانة واستنجد الأثمة نالَهُ من الخَطَأ ما نالَني وليس كلّ الناس سَواء — كيف رأيت حاجبَ ابن زُرارةَ لِمَ يُحْكِم قُواه فيُبْرِم ويَعْهَد فيُوفى ويَعِدُ فيَنْجز — قال وما أحقّه بذلك وما رأيتُه إلاّ لى قال كسرى القومُ بُزْلٌ فأفضلُها أشدّها

ثم قام عامر بن الطفَيل العامرى فقال كَثُر فنون المَنْطِق وليس القول أعمى من حِندِس الظَلْماء وانما الفَخْر فى الفِعال والعجز فى النَّجْدَةِ: والسُؤْدَد مُطاوَعةُ القُدْرة وما أعلَمَك بقَدْرنا وأبْصَرَك بفَضْلنا وبالحَرَا إنْ دالَتْ الايّام وثابَتْ الاحْلام أن تُحْدِث لنا أُمورا لها أعلام — قال كسرى وما تلك الاعلام قال مُجْتَمَع الاحياء من ربيعة ومُضَر على أمر يُذْكَر — قال كسرى وما الأمرُ الذى يُذْكَر قال عامر مالى علم بأكثر مما خبَّرنى به مُخبِّر قال كسرى مَتَى تكاهنْت يا ابن الطفَيل قال لستُ بكاهن ولكنّى بالرُمْح طاعِن قال كسرى فان أتاك آتٍ من جهة عَيْنك العَوْراء ما أنت صانع قال ما هَيْبَتِى فى قَفاى بدُون هيْبَتِى فى وجْهى وما أذهَب عيْنِى عَيْث ولكن مُطاوَعةُ العَبَث

ثم قام عمرو بن مَعْدِيكَرَب الزَّبيدى فقال انما المَرْء بأصْغَرَيْه قلبِه ولسانه فبلاغ المَنْطِق الصّواب وملاك النّجْدة الارْتياد وعَفْو الرَّأى خيرٌ من استِكْراه الفِكْرة وتَوْقيف الخِبْرة خيرٌ من اعتِساف الحَيْرة فاجتَبِذْ طاعَتنا بلَفْظك واكتَظِم بادرِارَتنا بحِلمك وألِنْ لنا كنَفَك يَسْلَس لك قِيادنا فإنّا أناس لم يُوَقَّسْ صَفاتنا قِراعُ مَنا قير مَن أراد لَنا قَضْماً ولكن مَنَعْنا حمانا من كُلّ مَن رامَ لنا هَضْما

ثم قام الحارث بن ظالم المُرى فقال انّ من آفة المَنْطِق الكَذِب ومن لؤم الأخلاق المَلَق ومِن خَطَل الرأى خِفّةُ المَلك المُسَلط فان أعلمناك أنّ مُواجهتنا لك عن ائتلاف وانقيادنا لك عن تَصاف ما أنتَ لِقَبول ذلك مِنّا بخَليق ولا للاعتماد عليه بحقيق ولكن الوَفاء بالعُهُود وإحكام ولث العقُود والأمرُ بَيْنَنا وَبيْنك مُعتدِل مالمْ يأت مِن قِبَلك مَيل أو زَلَل — قال كسرى من أنت قال الحارث بن ظالم قال انّ في أسماء آبائك لَدَليلا على قِلّة وفائك وأن تكون أوْلى بالغدر وأقرب من الوزر قال الحارث ان فى الحقّ مَغضَبة والسّر التغافل ولنْ يستوجب أحدٌ الحِلْم الا مع القدْرة فلتُشْبِه أفعالُك مجْلِسَك قال كسرى هذا فَتَي القوم — ثم قال كسرى قد فهِمْتُ ما نَطقتْ به خُطباؤكم وتفَنّن فيه متكلّموكم ولولا أنّى أعلمُ أنّ الأدَب لم يثقّف أودَكم ولم يُحكم أمركم وانّه ليس لكم ملك يجمَعكم فتنطقون عنده مَنطق الرَّعيّة الخاضعة الباخعة فنطقتمْ بما استوْلى على ألسِنتكم وغلب على طباعكم لمْ أجزْ لكم كثيراً مما تكلّمتم به وإنى لأكرهُ أن أجبّه وُفودى أو أحنق صدُورهم والذى أُحبّ من إصلاح مُدبّركم وتألُّف شواذّكم والإعذار إلى الله فيما بينى و بينكم وقد قبلتُ ما كان فى مَنطقكم من صَواب وصفَحْت عما كان فيه من خلل فانصرفوا إلى مَلككم فأحسنوا مُوازرته والتزموا طاعته وارْدَعوا سُفهاءكم وأقيموا أودَهم وأحسنوا أدَبهم فإن فى ذلك صَلاح العامّة

رُوى عن الكلبى أنه قال كان كسرى يحفل بالعرب ويستأنِسُ بمُشاهدتهم ويرغب فى سماع محادثاتهم ومُفاخراتهم ومُنافَراتهم ولم يدّخر وُسعاً إلا بذله للحصول على ذلك (ومما اتّفق له) أن النُّعمان بن المنذر كان بمجلسه يوماً فقال له هل فى العرب من قبيلة تشرُف على قبيلة . قال نعم . قال فبأى شئ قال من كانت

له ثلاثة آباء متوالية رؤساء واتصل ذلك بعزية رابعة فبيته أشرف بيت واليه تنسب القبيلة وبه تعلو على غيرها. قال أحضر من هذه صفتهم فطلبهم النعمان فلم يصبهم إلا فى آل حذيفة بن بدر وآل ذى الجدين وآل الاشعث بن قيس بن كندة فأحضرهم فى جملة من عشائرهم. فعقد لهم كسرى مجلساً عاماً حضره الحكام والعدول والأعيان. ثم قال ليتكلم كل منكم بمآثر قومه وليصدق

فانتصب حذيفة بن بدر قائماً وكان ألسن القوم فقال قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والفخر الاعظم. فقيل له لم ذاك يا أخا فزارة قال ألسنا الدعائم [1] التى لا ترام والعز الذى لا يضام. فقيل له صدقت

ثم قام شاعرهم فقال

فزارة بيت العز والعز فيهم ... فزارة بدر حسب بدر نضالها [2]
لها العزة القعساء [3] والحسب الذى ... بناه لبدر فى القديم رجالها
فهيهات قد أعيا القرون التى مضت ... مآثر بدر مجدها وفعالها
وهل أحد إن مد يوماً بكفه ... إلى الشمس فى مجرى النجوم ينالها
فان يصلحوا يصلح لذاك جميعنا ... وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس فقال لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ونقهر جمعها الأكبر وأنا غياث اللزبات [4] وبناة المكرمات. فقيل له لم يا أخا كندة. قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه [5] الأكرم. ثم قام شاعرهم فقال

إذا قست أبيات الرجال ببيتنا ... وجدت له فضلاً على من يفاخر

(١) الاركان (٢) محاماتها ودفاعها (٣) الرفعة صدها (٤) بتسكين الزاي الشدائد (٥) وسطة

فمن قال كلاّ أو أتانا بخطّة ... يُنافرُنا يوماً فنحن نُخاطِرُ
تعالَوْا فعدّوا يعلم الناس أيّنا ... له الفضل فيما أورَثتهُ الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس فقال قد علمت العربُ أنّا بُناةُ بيتها الذى لا يزول ومَغرِسُ عزّها الذى لا يحول. فقيل له ولِمَ يا أخا شيبان. قال لأنّا أدركهم للثار وأضرَبُهم لِلملك الجبّار وأقوَالُهم للحقّ وألدُّهم للخَصم

ثم قام شاعرهم فقال

لعمرىَ بِسطامٌ أحقُّ بفضلها ... وأوّلُ بيت العزّ عزُّ القبائل
فَسائلْ أبيتَ[1] اللّعْنَ عن عزّ قومها ... اذا جدَّ يوم الفخر كلُّ مناضِل[2]
فيخبرك الأقوامُ عنها فانها ... وقائع جدّ لا ملاعبُ هازِل
ألسنا أعزّ الناس قوماً وأُسرَةً ... وأضرَبهم للكبش يومَ التّخاذل
وقائع عزّ كلّها رَبعيّةٌ ... تذِلُّ لهم فيها رقابُ المحافل
اذا ذُكرَتْ لم ينكر الناس فضلَها ... وعاذَ بها من شَرّها كلُّ قائل
وإنّا ملوكُ الناس فى كلّ بلدة ... اذا نَزَلَت بالناس احدى النّوازل

ثمّ قامَ حاجب بن زُرارة التّميميّ فقالَ قدْ علمت العرب أنّا فرعُ دعامتها وقادَةُ زحفها. فقيل له لِمَ ذلك يا أخا بني تميم. قال لأنّا أكثرُ الناس عديداً وأنجبُهم طُرًّا وليدا وأعطاهم للجزيل وأحملُهم للثقيل

ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناء خِندِفَ أنّنا ... لنا العزُّ قِدْماً فى الخطوب الأوائل

---

(١) اللعن بغضته ومنعته والمعنى انك لاتفعل مايوجب لعنك بل تفعل ماتحمد وتمدح عليه
(٢) المجادل (٣) نسبة الى ربيعة قبيلة

تَسْكن إلى كَنَفه وتأنس بعفوه وتثق بحِلْمه فاذا وَقَعت الأقْضية اللّازمَة والحقوق الواجبة فليس عنده هَوادة ولا إغضاء ولا مداهَنة أثَرَة للحق وقياماً بالعدل وأخذاً بالحَزْم فدَعَا أهلَ خُراسان الاغترارُ بحلْمِه والثّقة بعفوه أن كسَرُوا الخَرَاج وطَرَدُوا العُمّال وسألوا ما ليس لهم من الحق ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار وخُصومة بأقرار وتَنَصلًا باعتلال ـ فلما انتهى ذلك إلى المهدى خرج الى مجلس خلائه وبَعَث إلى نَفَرٍ من لُحْمته ووُزرائه فأعلَمَهم الحال واستفهم للرّعية ثم أمر المَوالىَ بالابتداء وقال للعباس بن محمد «أى عَمّ» تعقّبْ قولَنا وكُن حَكَما بيننا وأرْسَل إلى ولَدَيْه موسَى وهارُون فأحضرَهما الأمر وشارَكَهما فى الرّأى وأمَرَ محمد ابن الليث بحفظ مُرَاجعتهم واثبات مَقالتهم فى كتاب

فقال سلاّم صاحب المظالم

أيُّها المهدى إن فى كل أمر غاية ولكل قوم صناعة استَفْرَغَتْ رأيهم واستغرَقَتْ أشغالهم واستَنفَدتْ أعمارَهم وذَهبُوا بها وذَهبتْ بهم وعُرِفوا بها وعُرِفتْ بهم ولهذه الأمور التى جَعَلتَنا فيها غاية وطَلَبْتَ مَعُونتنا عليها أقوام من أبناء الحَرْب وساسةِ الأمور وقادَة الجُنود وفُرسان الهَزاهز واخوان التّجارب وأبطال الوقائع الذين رشَّحَتْهم سِجالُها وفيّأتهم ظِلالُها وعَضّتهم شدائدُها وقرّمَتْهم نَوَاجِذُها فلو عَجَمْتَ ما قِبلَهم وكَشفْتَ ما عندهم لوَجدْتَ نَظائر تؤيّد أمرَك وتجارِبَ تُوَافِق نظرَك وأحاديث تقوّى قَلْبك فأمّا نحن معاشرَ عُمّالك وأصحاب دَوَاوينك فحَسَنٌ بنَا — وكثيرٌ منّا أن نقوم بثقل ما حمَّلْتنا من عَمَلك واستَوْدَعْتنا من أمانتك وشغَلتَنا من امْضاء عدلك وانفاذ حُكمكَ واظهار حَقّك

فأجابه المهدى انّ فى كلّ قومٍ حِكمَة ولكلّ زمان سِياسَةً وفى كُل حال

وأنّا كرامٌ أهلُ مجد وثروةٍ ... وعزٍّ قديم ليس بالمتضائل

فكم فيهم من سيّد وابن سيّد ... أغرّ نجيبٍ ذى فعال ونائل

فسائلْ أبيتَ اللعنَ عنّا فإنّنا ... دعائمُ هذا النّاس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم السّعدى فقال لقد علم هؤلاء أنّا أرفعهم فى المكرُمات وأثبتهم فى النّائبات . فقيل له لِمَ ذاك يا أخا بنى سعد . قال لأنّا أدركهم للثّار وأمنعهم للجار لا نتّكل اذا حملنا ولا نُرام اذا حللنا . ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت قيسٌ وخندفُ أنّنا ... وجُلُّ تميم والجموعُ التى ترَى

بأنّا لُيوثُ البأسِ فى كلّ مأزقٍ ... إذا جزّ بالبيض الجماجم والطلى

وأنا اذا داعٍ دعانا لِنَجدةٍ ... أجبنا سِراعًا فى الملأمَ من دعا

فهيهات قد أعيا الجميع فِعالُهم ... وفاتوا بيوم الفخر مَسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ ليس منهم إلاّ سيّد يصلح لموضعه وأعظَمَ صِلاتهم أجمعين وردّهم إلى أقوامهم معظّمين

﴿ مناظرات المهدى لأهل بيته ومشاورته لهم فى حرب خُراسان ﴾

هذا ما تَراجَع فيه المهدى ووزراؤه وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خُراسان أيّامَ تحاملت عليهم العُمّال وأعنَفَت فحمَلَتهم الدالّة وما تقدّم لهم من المَكانة على أن نَكَثوا بيعتَهم ونقَضوا مَوثِقَهم وطَردُوا العُمّال والتَوَوْا بما عليهم من الخَراج وحمَل المَهدِى ما يُحبُّ من مصلحتهم ويَكرَه من عَنَتهم على أن أقال عَثرتَهم واغتفَر زَلّتهم واحتَمل دالّتهم تطوُّلاً بالفضل واتّساعاً بالعفو وأخذاً بالحُجّة ورِفقًا بالسِّياسة ولذلك لم يزَل مُذ حمّلَه اللهُ أعباءَ الخلافة وقلّدَه أُمورَ الرَّعيّة رفيقًا بمدار سلطانه بصيراً بأهل زَمانه باسِطًا للمَعدَلة فى رعيّته

تدبيراً يبطل الآخرُ الأوّلَ ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا

قال نعم أيها المهدى أنتَ متبع الرأى وثيق العقدة قوىّ المُنّة بليغ الفطنة معصوم النية محضور الروية مؤيد البديهة موفق العزيمة معان بالظفر مهدىّ الى الخير ـ إن هممتَ ففى عزمك مواقع الظنّ وان اجتمعتْ صدع فعلك ملتبس الشك فاعزم يهدِ اللهُ الى الصواب قلبك وقلْ ينطقِ الله بالحقّ لسانك فان جنودك جمّة وخزائنك عامرة ونفسك سخية وأمرك نافذ .

فأجابه المهدى انّ المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأىٌ ولا يتغيل معهما حزم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم فانّنى من ورائكم وتوفيقُ الله من وراء ذلك

قال الربيع . أيها المهدى انّ تصاريف وجوه الرأى كثيرة وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ولكن خراسان أرضٌ بعيدة المسافة متراخية الشقة متفاوتة السبيل فاذا ارتأيتَ من محكم التدبير ومبرم التقدير ولباب الصواب رأيا قد أحكمه نظرك وقلّبه تدبيرك فليس وراءه مذهب طاعن ولا دونه معلقٌ لخصومة عائب ثم أجبتَ البُرُد به وانطوت الرسل عليه كان بالحرى أن لا يصل اليهم محكمه إلا وقد حدث منهم ما ينقضه فما أيسرَ أن ترجع اليك الرسل وتردّ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتحدث رأيا غيره وتبتدع تدبيراً سواه وقد انفرجت الحلق وتحللت العقد واسترخى الحقاب وامتدّ الزمان ثم لعلمك موقع الآخرة كمصدر الأولى ولكن الرأى لك أيها المهدى وفقك الله ان تصرف اجالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم والحيل فى أمرهم إلى الطلب لرجل ذى دين فاضل وعقل كامل وورع

واسع ليس موصوفًا بهوى فى سواك ولا متُهمًا فى أثَرة عليك ولا ظَنِينًا على دُخلة مكروهة ولا مَنسُوبًا الى بدعة محذُورة فيقدَح فى مُلكك ويُربض الأمور لغيرك ثم تُسند اليه أمورهم وتفوّض اليه حربَهم وتأمره فى عهدك ووصيتك إيَّاه بلزوم أمرك ما لَزِمه الحَزم وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى عند استحالة الأمور واشتداد الاحوال التى يَنقَضّ أمرُ الغائب عنها ويَثبُتُ رأيُ الشاهد لها فانه اذا فعل ذلك فواتَب أمرهم من قريب وسَقط عنه ما يأتى من بعيد تمّت الحيلة وقَوِيت المكيدة ونَفَذَ العَمل وأحِدّ النظر ان شاء الله

قال الفضل بن العباس

أيُّها المهدىّ ان وَلىّ الأمور وسائس الحروب رُبما نَحّى جنودَه وفرّق أمواله فى غير ما ضِيقِ أمرٍ حزَبه ولا ضَغْطةِ حالٍ اضطرّته فيقعد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديمًا منها فاقداً لها لا يثق بقوّة ولا يصول بعدّة ولا يفزَع إلى ثقَة فالرأى لك أيها المهدى وفقك الله أن تعفى خزائنك من الانفاق للأموال وجنودَك من مُكابدة الأسفار ومُقارعة الأخطار وتغرير القتال ولا تُسرع للقوم فى الاجابة الى ما يطلبون والعطاء لما يسألون فيفسُد عليك أدَبهم وتُجرّئ من رَعيتك غيرَهم ولكن أغزُهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعهم باللين وخاتلهم بالرّفق وأبرِق لهم بالقول وأرعِد نحوهم بالفعل وابعث البُعُوث وَجنّد الجنود وكتّب الكتائب واعقد الألوية وانصب الرايات وأظهر أنك مُوجّه اليهم الجيوش مع أحنق قُوادك عليهم وأسوئهم أثرًا فيهم ثم ادسُس الرُسل وأبُثّ الكُتب وضَع بعضهم على طَمَعٍ من وَعْدك وبعضًا على خوفٍ من وعيدك وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم واغرِس أشجار التنافُس بينهم حتى تملأ القلوب من

الوحشه وتنطوى الصدور على البغضة ويدخل كلاً من كل الحذر والهيبة فان مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمناصبة بالكتب والمكايدة بالرسل والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل فى القلوب القوى الموقع من النفوس المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبنى على اللين الذى يستميل القلوب ويسترق العقول والآراء ويستميل الأهواء ويستدعى المواتاة انفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة أحكم عملاً وألطف منظراً وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك الا بالقتال والاتلاف للأموال والتغرير والخطار — وليعلم المهدى انه إن وجه لقتالهم رجلاً لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدم على أسفار ضيقة وأموال متفرقة وقواد غششة ان ائتمنهم استنفدوا ماله وان استنصحهم كانوا عليه لا له

قال المهدى هذا رأى قد أسفر نوره وأبرق ضوءه وتمثل صوابه للعيون ومجد حقه فى القلوب ولكن فوق كل ذى علم عليم ثم نظر الى ابنه على فقال ما تقول

قال على: أيها المهدى ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك أحداً يقدح فى تغيير ملكك ويريض الامور لفساد دولتك ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحال أذل لأن الله مع حقه الذى لا يخذله وعند موعده الذى لا يخلفه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم والياً وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً طلبوا حقاً وسألوا انصافاً فان أجبت الى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال أو يحدث من عندهم فتق أطعت أمر الرب وأطفأت ثائرة الحرب ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك

وأسجاع خليقتك ومعدلة نظرك فأمنت أن تنسب الى ضعف وأن يكون ذلك فيما بقي دربة وان منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم الى ما سألوا اعتدلت بك وبهم الحال وساويتهم في ميدان الخطاب فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته مقرين بمملكته مذعنين بطاعته لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يبرؤنها من عبوديته فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم ثم يجازيهم السوء في حد المنازعة ومضمار المخاطرة — أيريد المهدى وفقه الله الأموال فلعمرى لا ينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منهما مما يطلب منهم وأضعاف ما يدعى قبلهم ولو نالها فحملت اليه أو وضعت بخرائطها بين يديه ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليه وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه فان قال المهدى هذا رأى مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا وتحامل ولاتنا فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الارجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم فيعلم المهدى انه لو أتى بهم مغلولين في الحديد مقرنين في الأصفاد ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ولاقالة عثرتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حزبه أو لمن بازائهم من عدوه لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكرا من نظره — لقد علمت العرب انه أعظم الخلفاء والملوك عفوا وأشدها وقعا وأصدقها صولة وأنه لا يتعاظمه عفو ولا يتكاءده صفح وان عظم الذنب وجل الخطب فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم برا بهم وتوسعا لهم فانهم اخوان دولته وأركان دعوته وأساس حقه الذين بعزتهم يصول

وبحُجَّتهم يقول وانما مثلُهم فيما دَخلوا فيه من مساخطه وتعرَّضوا له من معاصيه وانطَوَوْا فيه عن اجابته ومثلُه فى قلّة ما غيّر ذلك من رأيه فيهم أو نقل من حاله لهم أو تغيّر من نعمته بهم كمَثَل رجلين أخوين متناصرين متوازرين أصاب أحدهما خبلٌ عارضٌ ولهوٌ حادث فنهض الى أخيه بالاذى وتحامل عليه بالمكروه فلم يزدد أخوه إلاّ رقّةً له ولطفاً به واحتيالاً لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفاً عليه وبرًّا به ومرحمةً له

فقال المهدى أمّا علىّ فقد كوى سمت اللّبان وفضّ القلوب فى أهل خراسان ولكلّ نبأ مستقر فقال ما ترى يا أبا محمد يعنى موسى ابنه

فقال موسى

أيها المهدى لا تسكُنْ الى حلاوة ما يجرى من القول على ألسنتهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم الحالُ من القوم ينادى بمضمرة شرّ وخفية حقد قد جعلوا المعاذير عليها ستراً واتخذوا العلل من دونها حجاباً رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير والأمور بالتطويل فيكسروا حيل المهدى فيهم ويفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم وتتلاحق مادّتهم وتستفحل حربهم وتستمرّ الامور بهم والمهدىّ من قولهم فى حال غرّة ولباس أمنة قد فترَ لها وأنس بها وسكن اليها ولولا ما اجتمعت به قلوبهم وبردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الولاة وغبّ سكون الأمور فليشدد المهدى وفقه الله أزره لهم ويكتّب كتائبه نحوهم وليضع الامر على أشدّ ما يحضره فيهم وليوقن أنه لا يعطيهم خطّة يريد بها صلاحهم الا كانت دربة الى فسادهم وقوّة على معصيتهم وداعية الى عودتهم وسبباً لفساد من بحضرته

من الجنود ومن ببابه من الوفود الذين أقرّهم وتلك العادة وأجراهم على ذلك الأرب ولم يبرح فى فتق حادث وخلاف حاضر لا يصلح عليه دين ولا تستقيم به دنيا وان طلب تغييره بعد استحكام العادة واستمرار الدربة لم يصل الى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة والمؤونة الشديدة والرأى للمهدي وفقه الله أن لا يقيل عثرتهم ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش وتأخذهم السيوف ويستحرّ بهم القتل ويحدق بهم البلاء ويطبق عليهم الذلّ فان فعل المهدي ذلك كان مقطعة لكلّ عادة سوء فيهم وهزيمة لكل بادرة شرّ فيهم واحتمال المهدى فى مؤونة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة

قال المهدى قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل

فقال العباس بن محمد

أيها المهدى أما (الموالى) فأخذوا بفروع الرأى وسلكوا جنبات الصواب وتعدّوا أموراً قصّر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاربهم عليها ـ وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لا تنفق والجنود أن لا تفرّق وبأن لا يعطى القوم ما طلبوا ولا يبذل لهم ما سألوا وجاء بأمر بين ذلك استصغاراً لأمرهم واستهانة بحربهم وانما يهيج جسيمات الأمور صغارها وأما (علىّ) فأشار باللين وإفراط الرفق واذا جرّد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقه اللين بحتاً والخير محضاً لم يخلطهما بشدّة تعطف القلوب عن لينه ولا بشرّ يحبسهم الى خيره فقد ملّكهم الخلع لعذرهم ووسّع لهم الفرجة لثنى أعناقهم فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرّهم ولا شدّة قنزوة فى رؤوسهم يستدعون بها البلاء الى أنفسهم ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم وان لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لاجابته باللين المحض والخير الصّراح فذلك ماعليه

الظّن بهم والرأىُ فيهم وما قد يُشْبه أن يكون من مِثْلِهم لأنّ الله تعالى خَلَق الجنة وجَعل فيها من النعيم المقيم والمُلك الكبير ما لا يَخْطر على قلب بَشَر ولا تُدْرِكه الفِكَر ولا تَعلمه نَفْس ثم دعا الناسَ اليها ورغّبهُم فيها فلولا انه خَلَق ناراً جَعلها لهم رحمةً يسوقُهُم بها الى الجنة لمَا أجابوا ولا قَبِلوا وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشدةٍ لا لين فيها وأن يُرْمَوْا بشرٍّ لا خير معه واذا أضْمر الوالى لِمَنْ فارقَ طاعتَه وخالف جماعتَه الخوفَ مفْردا والشّرَّ مجرَّدا ليس معهما طمع ولا لين يَثْنيهم اشتدت الأمور بهم وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين إما أن تدْخلهم الحمِيّة من الشِدَّة والأنَفَة من الذِّلّة والامتعاضُ من القَهر فيدعوهم ذلك الى التّمادى فى الخلاف والاستبسال فى القتال والاستسلام للموت وإما أن يَنقادوا بالكُره ويُذْعِنوا بالقهر على بغْضةٍ لازمة وعداوة باقية تُورث النّفاق وتُعْقِب الشّقاق فاذا أمْكَنَتْهُم فُرْصة أو ثابَت لهم قُدرة أو قَوِيَت لهم حالٌ عاد أمْرهم الى أصْعب وأغْلظ وأشد مما كان

وقال فى قول الفضل

أيها المهدى أكفَى دليل وأوضح بُرهان وأبْين خبر بأن قد أجْمَع رأيه وحزْم نَظَره على الارشاد بِبعثة الجيوش اليهم وتوجيه البُعوث نحوَهم مع اعطائهم ما سألوا من الحق واجابتهم إلى ما سألوه من العدل

قال المهدى ذلك رأىٌ

قال هارون ما خُلطت الشدة أيها المهدى باللّين فصارت الشدة أمرَ فطامٍ لما تكْرَه وعاد اللين أهْدَى قائدٍ إلى ما تُحِبّ ولكن أرَى غير ذلك

قال المهدى لقد قلتَ قولا بديعاً وخالفتَ فيه أهل بيتك جميعاً والمرء مُؤتَمَن

بما قال وظنين بما ادّعى حتى يأتى ببيّنة عادلة وحجة ظاهرة فاخرج عما قلت

قال هارون

أيها المهدى انّ الحرب خدعة والأعاجم قومٌ مكَرة وربما اعتدلت الحال بهم واتّفقت الأهواء منهم فكان باطن ما يُسِرّون على ظاهر ما يُعْلِنون وربما افترقت الحالان وخالفَ القلبَ اللسانُ فانطوى القلبُ على محجوبة تُبْطَن واستتر بمدخولة لا تُعاين والطبيب الرفيق بِطِبّه البَصير بامره العالِم بمُقَدَّم يدِه وموضع ميسمِه لا يتعجّل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء فالرأى للمهدى وفقه الله أن يفرّ باطن أمرهم فَرّ المُسِنّة ويمخضَ ظاهرَ حالهم مخضَ السِقاء بمتابعة الكُتب ومُظاهرة الرُّسُل وموالاة العُيون حتى تُهتك حُجُب عيونهم وتكشف أغطيةُ أمورهم فان انفرجت الحال وأفضت الأمور به إلى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الأهواء عليه وانقادَ الرجال اليه وامتدّت الأعناق نحوه بدين يعتقدونه وأثم يستحلّونه عَصَبَهم بشدّة لا لينَ فيها ورماهم بعُقوبة لا عفوَ معها وان انفرجت العيون واهتُصِرت الستور ورُفِعت الحُجُب والحال فيهم مَريعة والأمور بهم معتدلة فى أرزاق يطلبونها وأعمال ينكرونها وظُلامات يدّعونها وحقوق يسألونها بماتة سابِقتهم ودالّة مناصَحتهم فالرأى للمهدى وفقه الله أن يتّسع لهم بما طَلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويَشْعَب من أمرهم ما صَدَعوا ويَرْتق من فتقهم ما قطعوا ويُولّى عليهم من أحبّوا ويداوى بذلك مرَض قلوبهم وفساد أمورهم فانما المهدى وأمته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعى المُجرّب الذى يحتال لمرابض غنمه وضَوالّ رعيته حتى يُبْرئ المريضة من داء عِلّتها ويَرُدّ الصحيحة الى أُنس جماعتها ـ ثم ان خراسان بخاصة الدّين لهم دالّة محمولة ومالّة

مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدى دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فَلَيْس من شأن المهدى الاضطِغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التَّوْغير بهم ولا المكافأة باساءتهم لانّ مبادَرة حسم الامور ضعيفةً قبل أن تَقْوَى ومُحَاولة قَطْع الأُصول ضئيلةً قبل أن تَغْلظ أحْزَمُ فى الرأى وأصحّ فى التّدبير من التأخير لها والتّهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافُها الى جُمْهورها

قال المهدى ما زال هارون يَقَع وَقْع الحيا حتى خرَج خرُوج القِدْح من الماء وأنسلّ انسلال السيف فيما ادّعى فدَعُوا ما سَبَق موسى فيه نه هو الرّأى وثنّى بعده هارون ولكن مَن لأعنّة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللّجاج وأفرطت بهم الدالة

قال صالح

لسنا نَبْلُغ أيُّها المهدى بدوام البَحْث وطول الفكْر أدْنَى فِرَاسة رَأيك و بَعضَ لَحَظات نَظَرك وليس يَنْفضّ عنكَ من بُيُوتات العرب ورجال العجم ذو دِين فاضل ورأى كامل وتدبير قوى تقَلّده حَرْبك وتستودعه جُنْدَك ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويَضْطَلع بالأعباء الثّقيلة وأنتَ بحمد الله مَيْمون النّقيبة مبارك العَزِيمة مَخْبور التّجارب محمود العواقب معصوم العَزْم فليس يَقَع اختيارُك ولا يقع بطَرْفك على أحد تولّيه أمرك وتُسْند اليه ثَغرك الاّ أراك الله ما تُحِبّ وجَمَع لك منه ما تريد

قال المهدى انّى لأرجُو ذلك لقديم عادة الله فيه وحُسْن مَعُونته عليه ولكن أُحِبّ المُوافقة على الرّأى والاعتِبار المُشاورة فى الأمر المُهم

قال محمد بن الليث

أهل خُرسان أيّها المهدي قَوْمٌ ذوُو عِزّة ومَنَعة وشياطين خدعة زُروع

الحَمِيّة فيهم نابتة وملابس الأنفة عليهم ظاهرة فالرّويّة عنهم عازبة والعَجلة عنهم حاضرة تسبق سيولهم مَطرَهم وسُيوفُهم عَذلَهم لأنّهم بين سِفلة لا يعدو مَبلَغ عقولهم مَنظرَ عيونهم وبين رُؤساء لا يُلجمون الاّ بشدّة ولا يفطمون إلاّ بالمرّ وان ولّى المهدى عليهم وضيعاً لم تنقَدْ له العُظاء وان ولّى أمرَهم شريفاً تحامل على الضُعفاء وان أخّر المهدى أمرَهم ودافع حربَهم حتى يُصيب لنفسه من حَشَمه ومَواليه أو بَنى عمّه أو بَنى أبيه ناصحاً يتفق عليه أمرُهم وثِقةً تجتمع له أملاؤهم بلا أنفَة تلزمُهم ولا حَمِيّة تدخُلهم ولا مُصيبة تُنفِّرهم تنفّست الأيّام بهم وتراخت الحال بأمرهم فدَخل بذلك من الفساد الكبير والضّياع العظيم مالا يَتلافاهُ صاحبُ هذه الصفة وان جدّ ولا يَستَصلِحهُ وان جهد إلا بَعدَ دَهر طويل وشر كبير وليس المهدى وفّقه اللهُ فارِطا عاداتهم ولا قارعاً صفَاتهم بمثْل أحد رَجُلين لا ثالث لهما ولا عدلَ فى ذلك بهما — أحدُهما لسان ناطق موصول بسمْعك ويدٌ مُمثّلة لِعَينك وصخرة لا تُزعزَع وبُهمَة لا تُثنى وبازلٌ لا يُفزِعه صوتُ الجُلجُل نقيّ العِرض نَزيه النفْس جَليل الخطَر قد اتّضعَتْ الدُّنيا عن قَدْره وسَما نحو الآخرة بهمّته فجعَل الغرَض الأقصى لِعَينه نُصبا والغرَض الأدنى لِقدَمه مَوْطِئاً فليس يَقبَل عَملاً ولا يَتعَدّى أملاً وهو رأس مَواليك وأنصَح بَنى أبيك رجل قد غذّى بلطيف كرامتك ونَبَتَ في ظلّ دَولتك ونَشأ على قوائم أدَبك فان قَلّدْتَه أمْرَهم وحَمّلْتَه ثِقلَهم وأسنَدْتَ اليه ثَغرَهم كان قُفلا فتحه أمرُك وباباً أغلَقَه نَهيُك فجعل العَدْل عليه وعليهم أميرًا والانصافَ بينَه وبينهم حاكماً وإذا حكَم المنْصفَة وسلك المَعْدَلة فأعطاهم ما لَهُم وأخذ منهم ما عليهم غرَس فى الذى لك بين صُدورهم وأسكن لك فى السُوَيْدَاء داخلَ قلوبهم طاعةً راسخةَ العُروق

باسقةَ الفُروع مُتماثِلة فى حواشى عوامّهم مُتمكّنة من قلوب خواصّهم فلا يبقى فيهم رَيبٌ إلاّ نفَوْه ولا يلزمهم حق إلاّ أدّوه وهذا أحدُهما والآخرُ عودٌ من غَيْضتك أو نَبْعةٌ من أُرومتك فَتِى السِّن كهْلُ الحِلْم راجح العقل محمود الصَّرامة مأمون الخلاف يجرّد فيهم سَيفَه ويبسط عليهم خيْرَه بقدر ما يستحقون وعلى حسب ما يَستوْجبون وهو فلان أيها المهدي — فسلّطه أعزك اللهُ عليهم ووَجّهْهُ بالجيوش اليهم ولا تمنعكَ ضرَاعة سِنّه وحداثة مولده فانّ الحِلْم والثِّقة مع الحَداثة خيْرٌ من الشكّ والجهْلِ مع الكُهولة وانما أحداثُكم أهلَ البيت فيما طبَعكم اللهُ عليه واختصّكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفَعال ومحاسن الأمور وصواب التدبير وصرَامة الأنفس كفراخ عِتاق الطير المُحكِمة لأخذ الصَّيد بلا تَدْريب والعارِفة لوُجوه النّفع بلا تأديب فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتُّؤدَة والرّفق ثابتٌ فى صُدُوركم مَزروع فى قُلوبكم مُستَحكم لكم متكامل عندكم بطبائعَ لازمة وغرائزَ ثابتة

قال معاوية بن عبد الله

فتاه أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذُكر وأهلُ خراسان فى حال عزّ على ما وُصف — ولكن أن ولّى المهدي عليهم رجلاً ليس بقديم الذِّكر فى الجنود ولا بنَبيه الصوت فى الحروب ولا بطويل التّجربة للأمور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة فى الأعداء دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان أحدُهما أن الاعداء يغتمزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترئون بها عليه فى النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لأمره والتكشّف لحاله والعلم بطباعه والأمر الآخر أن الجُنود التى يقود والجيوش التى يسوس اذا لم يختبروا منه البأس

والنّجدة ولم يعرفوه بالصّيت والهَيْبَة انكسرت شجاعتهم ومَاتت نَجدَتهم واستأخرت طاعتهم إلى حين اختيارهم ووقوع معرفتهم وربما وقع البَوار قبل الاختيار — وبباب المهدي وفقه الله رجل مَهيب نَبيه حَنيك صَيِّتٌ له نَسَب زاكٍ وصَوْت عالٍ قد قاد الجيوش وساد الحُروب وتألّف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمِقة ووثقوا به كل الثّقة فلو ولاّه المهدى أمْرَهم لكفاه الله شرَّهم قال المهدي جانَبْتَ قَصد الرَّمية وأبَيْتَ إلاّ عَصَبيّة اذ رَأيُ الحَدث من أهل بيتنا كرأي عَشرة حُلَمَاء من غيرنا ولكن أين تركتم وليّ العهد

قالوا: لم يَمنَعنا من ذكره الاّ كَونُه شَبيه جدّه ونَسيج وحدِه ومن الدّين وأهلِه بحيث يَقصُر القول عن أدنى فضله ولكن وَجدْنا الله عزّ وجل حَجَب عن خَلقه وسَتَرَ دُون عباده عِلم ما تختلف به الأيام ومعرفة ما تجرى عليها المقادير من حوادث الأمور ورَيْب المَنون المُختَرِمة لخَوالى القُرون ومَواضى المُلوك فكرِهنا شُسُوعَه عن محَلّة المُلك ودار السلطان ومَقرّ الإمامة والولاية وموضع المدائن والخزائن ومستَقَرّ الجُنود ومعدِن الجود ومَجمَع الأموال التى جعلها الله قُطبًا لدار المُلك ومِصيَدة لقلوب الناس ومَثابة لاخوان الطّمَع وثُوّار الفِتن ودواعى البِدَع وفُرسان الضّلال وأبناء الموت — وقلنا إنْ وجّه المهدي وليّ عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهديُّ أن يُعقبهم بغيره الاّ أن يَنهَدَ اليهم بنفسه وهذا خَطَر عظيم وهَوْل شديد إن تنفّست الأيام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتى يقع عوض لا يستغنى عنه أو يحدث أمر لا بد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولاً وأجل خطرًا له تبعًا وبه متصلاً

قال المهدي

الخطب أيسر مما تذهبون اليه وعلى غير ماتصفون الا مرّ عليه نحن أهل البيت نجري من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم ومحتوم من الأمر قد أنبأت به الكتب وتنبأت عليه الرسل وقد تناهي ذلك بأجمعه الينا وتكامل بحذافيره عندنا فبه نُدَبِّر وعلى الله نتوكل انه لابد لوليّ عهدي وولىّ عهد عقبى بعدي أن يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود أمّا الأوّل فانه يقدّم اليهم رسله ويُعمِل فيهم حيله ثم يخرج نشيطا اليهم حنقا عليهم يريد أن لا يدع أحداً من إخوان الفتن ودواعى البدع وفرسان الضلال الا توطّأه بحرّ القتل وألبسه قناعَ القهر وقلّده طوق الذلّ ولا أحداً من الذين عملوا فى قصّ جناح الفتنة واخماد نار البدعة ونُصرة ولاة الحقّ إلا أجرى عليهم ديم فضله وجداول نهله فاذا خرج مزمعًا به مجمعًا عليه لم يسرْ إلاّ قليلاً حتى تأتيه أن قد عملت حيله وكدحت كتبه ونفذت مكايده فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضى فيميل نظرًا لهم وبرًّا بهم وتعطّفا عليهم إلى عدوّ قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حُجّاجهم بيتَ الله الحرام وسلب تجّارهم رزقَ الله الحلال وأمّا الآخر فانه يوجّه اليهم ثم تعتقدله الحجة عليهم باعطاء ما يطلبون وبذل ما يسألون فاذا سمحت الفِرَق بقرَاباتها له وجنح أهل النّواحى بأعناقهم نحوه فأصغت اليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفود قصدَ الأول ناحية نجمتْ بطاعتها وألقت بأزمّتها فألبسها جناح نعمته وأنزلها ظلّ كرامته وخصّها بعظيم حبائه ثم عمّ الجماعة بالمعدلة وتعطّف عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم ناحيةٌ دانية ولا فرقة قاصية إلاّ دخلت عليها بركتهُ ووصلتْ اليها

منفعته فأغنى فقيرها وجبر كسيرها ورفع وضيعها وزاد رفيعها ما خلا ناحيتين ناحية يغلب عليها الشقاء وتستميلهم الأهواء فتستخف بدعوته وتبطئ عن إجابته وتتثاقل عن حقه فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه فيصطلى عليها موجوده ويبتغى لها علة لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحر بهم القتل ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التتبع حتى يخرب البلاد ويوتم الأولاد وناحية لا يبسط لهم أمانا ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة لأنهم أول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض فى شق العصا ولكنه يقتل أعلامهم ويأسر قوادهم ويطلب هرابهم فى لجج البحار وقلل الجبال وحميل الأودية وبطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يدع الديار خرابا والنساء أيامى — وهذا أمر لا نعرف له فى كتبنا وقتا ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا وأما « موسى ولى عهدي » فهذا أوان توجهه الى خراسان وحلوله بجرجان وما قضى الله له من الشخوص اليها والمقام فيها خير للمسلمين مغبة له باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر فى لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتدأب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس

قال محمد بن الليث

أيها المهدى ان ولى عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علما قد تثنت نحوه أعناقها ومدت سمته أبصارها وقد كان لقرب داره منك ومحل جواره لك عطل الحال غفل الأمر واسع العذر فأما اذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار الى تدبيره فان من شأن العامة أن تتفقد مخارج رأيه وتستنصت لمواقع آثاره

وتَسْأل عن حوادِث أحواله فى بِرّه وَمَرْحَمته وإقساطه ومَعْدَلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ثم يكون ماسَبَقَ اليهم أغلبُ الاشياء عليهم وأملَكَ الأُمور بهم وألزَمها لقلوبهم وأشـدَّها استمالةً لرأيهم وعطفًا لأهوائهم فلا يفتأ المهدى وفقه الله ناظراً له فيما يُقَوِّى عَمَد تملكته ويُسَدِّد أركان ولايته وتَستجمع رضاء امته بأمر هو أزْيَنُ لحاله وأظهر لجماله وأفضل مَغبَّةً لأمره وأجل موقعاً فى قلوب رعيته وأحمد حالا فى نفوس أهل ملّتِه ولا أدفعَ مع ذلك باستجماع الأهواء له وأبلَغ فى استعطاف القلوب عليه من مَرْحَمة تظهر من فعلِه ومَعْدَلة تنتشر عن أثَره ومَحبَّةٍ للخير وأهلِه وان يختار المهدى وفقه الله من خيار أهل كل مِصْر أقواماً تَسْكن العامة اليهم اذا ذُكِروا وتأنس الرعيةُ بهم اذا وُصفوا ثم تُسَهِّل لهم عِمارَة سُبُل الاحسان وفتح باب المعروف كما قد كان فُتح له وسُهِّل عليه

قال المهدى صدقت ونصحت ثم بعث فى ابنه موسى فقال

أى بُنَيّ انك قد أصبحتَ لسَمْت وجوه العامة نُصْبًا ولمَثْنَى أعطاف الرعية غايةً فحَسَنَتُك شاملة واساءتك نائية وأمرُك ظاهر فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمِلْ سُخْطَ الناس فيهما ولا تَطلُبْ رِضاهُم بخلافهما فان الله عزّ وجل كافيكَ من أسخَطه عليك ايثارُك رِضاه وليس بكافيك من يُسْخطه عليك ايثارُك رضا مَن سواه — ثم أعلم ان الله تعالى فى كل زمان فَترةً من رسله وبَقايا من صفْوة خَلْقه وخبايا لنُصرة حقّه يُجدّد حَبلَ الاسلام بدعواهم ويُشَيد أركانَ الدّين بنُصْرتهم ويَتّخذ لأولياء دينه أنصاراً وعلى أقامة عَدْله أعواناً يسُدُّون الخَلل ويُقيمون الميَل ويَدْفعون عن الأرض الفساد وان أهل خرسان أصبحوا أيْدى دولتنا وسُيوف دَعْوتنا الذين نَستَدْفع المكارِه بطاعتهم ونَستصرف نزُولَ العظائم بمناصَحتهم

ونُدَافع ريبَ الزمان بعزائمهم ونُزاحم رُكن الدهر ببصائرهم فهُمْ عِماد الأرض إذا أرْجفتْ أكنافُها وخوفُ الاعداء اذا برزت صفحتها وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات أخمَدَت نيرانَ الفتن وقَسَمتْ دواعى البِدَع وأذلّت رِقاب الجَبّارين ولم يَنفكّوا كذلك ما جَرَوا مع ريح دولتنا وأقاموا فى ظلّ دَعْوَتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التى أعز الله بها ذلَّتهم ورَفَع بها ضَعَتهم وجعلهم بها أربابًا فى أقطار الأرض وملوكا على رقاب العالمين بعد لباس الذُّلّ و قِناع الخوف وإطباق البلاَ ومُحالفة الأسَى وجَهْد البأس والضرّ فظاهِرْ عليهم لِباسَ كَرامتك وأنزِلهم فى حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حقّ طاعتهم ووسيلة دالّتهم وماتّة سابقتهم وحُرْمة مُناصحتهم بالاحسان اليهم والتّوسعة عليهم والاثابة لمحُسنهم والاقالة لمُسيئهم ـ أىْ بُنَىّ ثم عليك العامّة فاستدْع رِضاها بالعَدْل عليها واستجلِبْ مَوَدّتها بالانصاف لها وتَحسّن بذلك لرَبّك وتَوَثّق به فى عين رعيتك واجعلْ عُمّال العذر ووُلاةَ الحُجَج مُقدَّمة بين عمالِك ونَصَفَةً منك لرعيتك وذلك أن تأمر قاضىَ كُلّ بَلَد وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لأنفسهم رَجلاً تُوَلّيه أمرَ هُمْ وتَجْعَل العَدل حاكما بينَه وبَيْنَهم فانْ أحْسَنَ حُمِدتَ وان أساء عُذِرْتَ هؤلاء عُمّال العُذْر وَوُلاة الحُجَج فلا يَسقُطَنّ عليك ما فى ذلك اذا انتشَر فى الآفاق وسَبَقَ الى الاسماع من انعقاد ألسِنة المُرْجِفين وكَبْت قلوب الحاسدين وإطفاء نيران الحُرُوب وسلامة عواقب الأمور ولا يَنفكّنّ فى ظِلّ كرامتك نازلا و بِعُرَى حبالِك مُتعلّقا رَجلان أحدُهما كريمة من كرائم رِجالات العَرَب وأعلام بيُوتات الشّرَف له أدب فاضل وحلم راجح ودِين صحيح والآخرُ له دِين غيرُ مَغمُوز و مَوضع غير مَدخول بصيرةً

بتقليب الكلام وتصريف الرأى وأنحاء العرب ووضع الكتب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشيره فى حربك وتدخله فى أمرك فرجل أصبته كذلك فهو يأوى الى محلى ويرعى فى خضرة جنانى ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الأمصار أقواماً يكونون جيرانك وسمارك وأهل مشاورتك فيما تورد وأصحاب مناظرتك فيما تصدر فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك وهادياً ينطق بالخبر لسانك

﴿ وفود بكارة الهلالية على معاوية ﴾

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبى سفيان فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه وكانت أسنت وعشى بصرها وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت يا خالة فقالت بخير يا أمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر فقال عمرو بن العاص هى والله القائلة يا أمير المؤمنين

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا   سيفا حساماً فى التراب دفينا

قد كنت أذخره ليوم كريهة   فالآن أبرزه الزمان مصونا

قال مروان وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا   هيهات ذاك وان أراد بعيد

منتك نفسك في الخلاء ضلالة   أغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاص هى والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى   فوق المنابر من امية خاطبا

فالله أخر مُدتى فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
فى كل يوم لا يزال خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا فقالت يامعاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتى أنا والله قائلة ما قالوا وماخفى عليك منى أكثر فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك ـ اذكرى حاجتك : قالت أما الآن فلا

« مناظرة السيف والقلم لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ »

لمَّا كانَ السَّيفُ والقلمُ عُدَّتَى العمل والقولِ . وعمدَتَى الدُّوَلِ فإن عدِمَتهما دولةٌ فلا حول . ورُكنىْ إسنادِ المُلْك المعربين عن المخفوض والمرفوعِ ومُقدّمتىْ نتيجةَ الجَدَل الصادِرِ عَنهُما المحمولُ والموضوعُ فكرْتُ أيُّهما أعظمُ فخراً وأعلى قدْراً فجلستُ لهُما مجلِسَ الحكمِ والفتوى ومثَّلتهُما فى الفِكرِ حاضرَيْن لِلدَّعوى وسوَّيْتُ بين الخصْمين فى الإكرام واستنطقتُ لسانَ حالِهِما لِلكلامِ (فقال القلمُ) بِسم اللهِ مُجْراها ومُرْساها والنَّهار إذا جلاَّها والليل إذا يغشاها أمَّا بعدَ حمدِ الله بارِئ القلمِ ومُشرِّفه بالقَسَمِ وجعْله أولَ ما خَلَق وجمَّلَ الورَق بغصنه كما جمَّل الغصْنَ بالوَرَقِ والصلاةِ على القائلِ جفَّتِ الاقْلامُ فان القلمَ قصبُ السِّباقِ والكاتبُ بسبعَةِ أقلام منْ طبقاتِ الكُتَّاب فى السبْع الطِّباقِ جرَى بالقضاءِ والقدَر ونابَ عن اللِّسَان فيما نَهى وأمَر طالمَا أرْبَى على البِيض والسُّمْر فى ضرابِها وطعانِها وقاتَل فى البعدِ والصَّوارِمُ فى القرْب مِلء أجفانِها وماذا يُشْبِهُ القلمَ فى طاعةِ ناسِهِ ومشيِهِ لهمْ على أُمّ راسه (قال السَّيف) بسْم الله الخافضِ الرَّافعِ وأنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع أما بعد حمدِ الله الذى أنزلَ آيَةَ السيفِ فعظَّمَ بها حُرمة الجرْح وآمن

خيفةَ الحيْف والصلاة عَلَى الذى نَفَّذَ بالسَّيْف سُطُور الطُّرُوس، وخدمتْهُ الأقلام ماشيَةَ على الرُّؤوس وعلى آله وصحْبه الذينَ أُرْهِفَتْ سُيوفهم وبُنِيَتْ بها على كسْرِ الأعداءِ حرُوفهُمْ فانَّ السَّيْف عظيمُ الدَّوْلة شــديدُ الصَّوْلةِ محا أسطارَ البلاغةِ وأساغَ ممنوعَ الإِســاغةِ من اعتمدَ على غيره فى قهْرِ الأعداء تعِبَ وكيف لا وفى حدِّه الحدُّ بينَ الجدِّ واللعِبِ فانْ كانَ القلمُ شاهداً فالسَّيْفُ قاضِى وإن اقتربتْ مُجادلتهُ بأمرٍ مُسْتَقبل قطعَه السَّيْفُ بفِعْلٍ ماضى بِهِ ظَهرَ الدِّينُ وهو العُدَّة لقَمْعِ المُعْتدين حملْته دُونَ القلمِ يدُ نبيِّنا فشَرَفَ بذلك فى الأمَم شَرفا بيِّنًا الجنَّةُ تحْتَ ظِلاَله ولا سيَّما حين يَسلُّ فترَى وَدْقَ الدَّم يخرُج من خلاله زُيِّنتْ بزينة الــكواكب سَماء غمْده وصدَقَ القائلُ (السَّيف أصدَقُ إنباء من ضِدِّه) لا يَعْبثُ به الحاملُ ولا يتناولهُ كالقلم بأطراف الأنامل ماهوَ كالقلم المُشبَّه بقوْمٍ عُرُّوا عن لُبوسهم ثمَّ نُــكِسُوا كما قيلَ على رؤوسهم فكأن السَّيفَ خُلِقَ من ماء دافق أو كوكَبٍ راشق مُقدَّرًا فى السَّرْدِ فهو الجوْهرُ الفرْدُ لا يُشرَى كالقلمِ بثمنٍ بخس ولا يَبلَى كما يَبْلى القلم بسوادٍ وطَمسٍ كمْ اقامهِ المُنتَظِر من أثرٍ فى عينٍ أو عينٍ فى أثرٍ فهوَ فى جرابِ القوْم قوامُ الحرب ولهذا جاء مطبُوع الشــكْل داخِلَ الضرْب (قال القلمُ) أو من ينشأُ فى الحِلْيةِ وهو فى الخصام غيرُ مُبينٍ يُفاخرُ وهو القائمُ عن الشِّمال وأنا الجالس على اليمينِ أنا المخصوص بالرَّأي وأنتَ المخصوصُ بالصَّدَى أنا آلةُ الحياةِ وأنت آلةُ الرَّدى مالِنْتَ إلاّ بعدَ دُخول السَّعير وما حُدِدتَ إلاّ عن ذَنْبٍ كبيرٍ أنت تَنفعُ فى العمرِ ساعة وأنا أُفنى العُمرَ فى الطَّاعةِ أنت للرَّهَبِ وأنا للرَّغَب واذا كانَ بَصرُكَ حديداً فبَصَرى ماء ذهب أينَ تَقليدُكَ من اجتهادي. وأَينَ نَجاسةُ دمِك من تطهير

مدادي (قال السّيفُ): أمثلُكَ يُعيّرُ مثلي بالدّماء فطالما أمرتُ بعض فراخي وهي السّكّينُ. فأصبحت من النفّاثاتِ في عُقَدِكَ يا مسكينُ. فأخلت من الحياةِ جُثمانَك. وشقّت أنفك وقطعت لسانك. ويك إن كنت للديوان فحاسبٌ مهمومٌ. أو للإنشاء فخادمٌ لمخدوم. أو للبليغ فساحرٌ مذمومٌ. أو للفقيه فناقص في المعلوم. أو للشاعر فسائلٌ محرومٌ. أو للشاهد فخائفٌ مسمومٌ. أو للمُعلّم فللحيّ القيّوم. وأمّا أنا فلي الوجهُ الأزهرُ. والحليةُ والجوهرُ. والهيبةُ إذا أُشهرُ. والصّعودُ على المنبر. شكلي الحسنُ عليٌّ. ولمَ لا حملتُ الحطبَ بدلي. ثم إنّي مملوكٌ كمالِكٍ. فأنتَ كناسكٍ. أسلكُ الطّرائقَ وأقطعُ العلائقَ. (قال القلمُ): أمّا أنا فابنُ ماءِ السّماء. وأليفُ الغدير وحليفُ الهواء. وأمّا أنت فابنُ النّار والدُّخان. وباترُ الأعمارِ وخوّان الإخوان. تفصلُ ما لا يُفصلُ. وتقطعُ ما أمرَ اللهُ بهِ أن يُوصلَ. لاجرم شمّرَ السّيْنُ وصقلَ قفاهُ. سُقي ماءً حميماً فقطّع مِعاهُ. يا غرابَ البَيْنِ. ويا عُدّةَ الحَيْنِ. ويا مُعتلّ العَيْن. ويا ذا الوجهين. كم أفنيتَ وأعدمتَ.. وأرملتَ وأيتمتَ (قال السّيف): يا ابن الطّين. ألستُ ضامرًا وأنت بطين. كم جريتَ بعكسٍ. وتصرّفتَ في مكسٍ، وزوّرتَ وحرّفتَ، ونكّرتَ وعرّفتَ، وسطّرتَ هجوًا وشتماً، وخلّدتَ عارًا وذمّاً، أبشر بفرط روعتك، وشدّة خيفتك، إذا قستَ بياض صحيفتي بسوادِ صحيفتك، فإنْ خطابك فأنتَ قصيرُ المدّة، وأحسنُ جوابك فعندي حِدّةٌ، وأقلل من غلطتك وتجهك، واشتغل عن دمٍ في وجهي بمدّةٍ في وجهك، وإلاّ فأدنى ضربةٍ مني تروم أرومتك، فتستأصلُ أصلكَ وتجتثُّ جرثومتك، فسقياً لمن غابَ بك عن غابك، ورعياً لمن أهابَ

بأنْ نسلخ إهابك . (فلمّا رأى القلمُ) السَّيفَ قدِ احتدّ ، ألانَ لهُ من خطابهِ ما اشتدّ ، وقال : أمَّا الأدَبُ فيؤخذُ عنّي ، وأمَّا اللطفُ فيُكْتَسبُ منّي ، فإنْ لِنْتَ لِنْتُ ، وإنْ أحسنتَ أحسنتُ ، نحنُ أهلُ السّمع والطّاعةِ ، ولهذا تُجْمَعُ في الدَّواةِ الواحدةِ مِنَّا جماعَةٌ ، وأمّا أنتُمْ فأهلُ الحدّة والخلاف ، ولهذا لَمْ تجتمِعوا بين سيفين في غلاف . (قال السّيفُ) : أمَكْراً ودعوَى عِفّةٍ ، لأمرٍ ما جَدعَ قصيرٌ أنفهُ — لو كُنْتَ كما زَعمتَ ذا أدَب ، لَمَا قابلتَ رأسَ الكاتب بعُقدَة الذّنب ، أنا ذُو الصّيت والصّوْت ، وغرارَيَّ لسانا مَشْرَفيٍّ يرتجلُ غرائبَ الموت ، أنا من مارجٍ من نارٍ ، والقلمُ من صَلصالٍ كالفُخّار ، وإذا زَعم القلمُ أنّه مِثلي أمرتُ مَنْ يدُقّ رأسهُ بنعلي . (قال القلمُ) : صَهْ فصاحبُ السّيف بلا سعادةٍ كأعزلٍ . (قال السّيف) : مَهْ فقلمُ البليغ بغير حظٍّ مغزَل . (قال القلمُ) : أنا أزكى وأطهرُ . (قال السّيفُ) : أنا أبهى وأبهر فتَلا (ذُو القلمِ) لقلمه : إنّا أعطيناك الكوثَرَ . فتَلا (صاحب السّيف) لسيفه : فصلّ لربّك وانحرْ . فتَلا (ذُو القلمِ) لقلمه : إنّ شانئك هو الأبترْ . (قال) أمَا وكتابي المَسْطور ، وبَيتي المعمور ، والتّوراة والانجيل ، والقرْآن ذي التّبجيل ، إن لم تَكُفّ عنّي غربك ، وتُبْعد مِنّي قُرْبَك ، لأكتُبَنّك من الصُّمّ البُكم ، ولأسَطِّرنّ عليك بقلمي سجلّاً بهذا الحُكم . (قال السّيفُ) : أمَا ومتني المَتين ، وفتحي المبين ، ولسانيَّ الرّطبين ، ووجهَيَّ الصُّلبين ، إن لم تَغِب عن بياض سوادك ، لأسخّمنّ وجهك بمدادك ، ولقد كَسبتُ من الأسماء في القرابة رقّة الدين والصلابة ، مع أنّي ما أوتيتُ نصحاً ، أفنضربُ عنكم الذّكر صفحاً . (قال القلم) سَلِّمْ إليّ مع من سَلّم ، إن كنت أعلى فأنا أعلم ، وإن كنت

أحلى فأنا أحلمُ ، وإن كنتَ أقوى فأنا أقومُ ، أو كنتَ ألوى فأنا ألوَمُ ، أو كنتَ أطرى فأنا أطرَبُ . أو كنتَ أغلى فأنا أغلبُ ، أو كنتَ أعتَى فأنا أعتبُ ، أو كنتَ أقضى فأنا أقضبُ (قال السَّيفُ) : كيف لا أفضُلك والمَقُّ الفلانيُّ شادٌّ أزرى . (قال القلمُ) كيف لا أفضُلكَ وهو عزٌّ نَصرُه ولىٌّ أمرى

(قال الحَكَمُ بين السَّيفِ والقلم) : فلما رأيت الحجتَين ناهضتَين . والبيِّنتين بيِّنتين مُتعارضتَين . وعلمتُ أنّ لكل واحدٍ منهما نِسبةً صحيحةً إلى هذا القرْ الكريم . وروايةً مُسْنَدةً عن حديثه القديم لَطَفْتُ الوسيلةَ . ودقّقت الحِيلةَ حتى رددتُ القلمَ إلى كِنِّهِ . وأغمدتُ السَّيفَ فنام ملءَ جَفْنهِ . وأخَّرْت بينهما التَّرْجيحَ . وسَكَتُّ عمَّا هو عندى الصَّحيحُ . الى أن يحكُمَ المقرُّ بينهما بعلمِهِ ويُسَكِّنَ سَورةَ غضبهما الوافر ولجاجِها المديد يبسط حلمِهِ

﴿ مناظرة بين صاحب أبي تمَّام وصاحب البُحْتُرى للآمدى ﴾

(صاحب أبي تمّام) كيف يجوز لقائل أن يقول إنّ البُحترىّ أشعر من أبي تمّام وعن أبي تمّام أخذ وعلى حَذْوه احتذى ومن معانيهِ استقى حتى قيل الطائى الأكبر والطائيُّ الأصغر

(صاحب البُحترى) أما الصُّحبة له فما صحِبه ولا تتلمذَ له ولا روى ذلك أحد عنهُ ولا نقله ولا رأى قطّ أنهُ محتاج اليهِ ودليل ذلك الخبرُ المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد محمد بن يوسف الثَّغرى وقد دخل عليهِ البُحترى بقصيدته التي أوّلها * أأفاقَ صبّ من هوى فأُفيقا * وأبو تمّام حاضرٌ فلما أنشدها عَلِقَ أبو تمّام منها أبياتاً كثيرة فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال أيها الأمير ما ظننت أن أحداً يُقدم على أن يسرق شعرى ويُنشده بحضرتي حتى

اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة فبُهت البُحتري
ورأى أبو تمّام الإنكار في وجه أبي سعيد فحينئذٍ قال له أبو تمّام أيها الأمير والله
ما الشِّعرُ الا له وانهُ أحسن فيه الإحسان كلّه وأقبل يقرّظه ويصف معانيه ويذكر
محاسنه ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف له الجائزة فمن كان يقول مثل هذه
القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يعرف أبا تمام جديرٌ به أن
يستغني عن أن يصحبهُ أو يتتلمذ له أو لغيره من الشّعراء على اني لا أنكر أنهُ استعار
بعض معاني أبي تمّام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البُحتري من شعره
وليس ذلك بمقتضٍ أن يكون أبو تمام أستاذ البُحتري ولا بمانع أن يكون البُحتري
أشعرُ من أبي تمام فهذا كُثَيِّر قد أخذ من جَميل واستقى من معانيه فما رأينا أنَّ
أحداً قال إنَّ جميلاً أشعرُ منهُ بل هو عند أهل العلم بالشّعر والرّواية أشعرُ من جَميل

(صاحب أبي تمّام) أنَّ البُحتري نفسه يعترف أن أبا تمّام أشعرُ منهُ فقد سُئل
عنه وعن أبي تمّام فقال أن جيّده خيرٌ من جيّدي وجيّدُ أبي تمام كثيرٌ

(صاحب البُحتري) ان كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبُحتري لا عليه لان قوله
هذا يدلُّ على أنَّ شعر أبي تمام كثيرِ الاختلاف وشعرَهُ شديد الاستواء والمستوى
الشّعرِ أولى بالتّقدمة من المختلف الشّعرِ وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أنّ أبا تمام يعلو
علواً حسناً وينحطُّ انحطاطاً قبيحاً وأن البُحتري يعلو بتوسّط ولا يسقط ومن لا يسقط
ولا يُسفّ أفضل ممن يسقط ويُسفّ

(صاحب أبي تمام) أنَّ أبا تمام انفرد بمذهبٍ اخترعه وصار فيه أوّلاً وإماما
متبوعاً وشهر به حتى قيل هذا مذهبُ أبي تمام وطريقة أبي تمام وسلك الناس نهجه
واقتفوا أثَرَه وهي فضيلة عَرِيَ عن مثلها البُحتري

(صاحب البُحتري) ليس الأمرُ على ما وصفت وليس أبو تمام صاحبَ هذا المذهب ولا بأول فيه ولا سابق اليه بل سلكَ فيه سبيل مُسْلِم بن الوليد واحتذى حَذْوهُ وأفرطَ في ذلك وأسرفَ حتى زال عن النّهج المعروف وسُنَن المألوف بل إنّ مُسْلماً غيرُ مُبتَدِع له ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسمُ البديع مُتفرّقة في أشعار المتقدمين فقَصدَها وأكثر في شعره منها ولكنهُ حرص على أن يَضعها في مواضعها ولم يَسلم مع ذلك من الطّعن عليه حتى قيل انهُ أوّل من أفسد الشعرَ فجاء أبو تمام على أثره واستحسن مذهبه وأحبّ أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الأصناف فسلك طريقاً وعراً واستكره الألفاظَ والمعاني استكراهاً ففسد شعره وذهبت طَلاوته ونَشف ماؤه فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسبقه اليه — وكلٌّ ما في المسئلة أنهُ استكثر منهُ وأفرط فكان إفراطهُ فيهِ من أعظم ذُنوبه وأكبر عيُوبه. أما البحتري فانه مافارق عمودَ الشعر وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء في شعره من الاستعارة والتجنيس والمُطابقة فكان انفرادُه بحسن العبارة وحَلاوة اللّفظ وصِحّة المعنى والبعد عن التّكلف والتّعمل سبباً في اجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله ونَفَاقُ شعر الشاعر دليلٌ على علوّ مكانته واضطلاعه بما يلائم الأذواق ويُلامس القلوب من أساليب الكلام ومناهجه

(صاحب ابي تمام) إنّما أعرض عن شعر ابي تمام مَنْ لم يفهمه لدِقّة معانيه وقُصور فهمهِ عنه اما النُقّاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره واذا عرفت هذه الطّبقة فضيلتهُ لم يضُرّه طعْنُ من طعنَ بعدها عليه

(صاحب البُحتري) لا يستطيع احدٌ أن يُنكر منزلة ابن الأعرابي واحمد بن يحيى الشّيباني ودُعبل بن الخزاعي من الشعر ومنزلتهم من العلم بكلام العرب وقد

علمتم مذهبهم فى ابى تمام وازدراءهم بشعره حتى قال دعبل إن ثلث شعره محال[١] وثلثه مسروق وثلثه صالح وقال ما جعل الله أبا تمام من الشعراء : بل شعره بالخطب والكلام المنثور أشبه منهُ بالشعر — وقال ابن الأعرابى فى شعر ابى تمام إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطلٌ وهذا محمد بن يزيد المبرّد ما علمناه دوّن له كبير شىء

(صاحب ابى تمام) ان دعبلاً كانَ يشنأ ابا تمام ويحسده على ما هو معروف ومشهورٌ فلا يُقبل قولُ شاعر فى شاعر واما ابنُ الأعرابى فكان شديدَ التعصب عليهِ لغرابة مذهبهِ ولأنهُ كان يَرِدُ عليه من معانيهِ ما لا يفهمهُ ولا يعلمهُ فكان اذا سُئل عن شىء منها يأنف أن يقول لا أدرى فيعدل الى الطعن عليهِ ولا مانع أن يكون جميع من تذكرونه على هذا القياس

(صاحب البُحترى) لا عيب على ابن الأعرابى فى طعنهِ على شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المُخرجة للكلام الى الخطأ والاحالة — والعيبُ فى ذلك يلحق أبا تمام إذ عدل عن المحجّة الى طريقة يجهلها ابن الاعرابى وأمثاله من المضطلعين بالسليقة العربية

(صاحب أبى تمام) إن العلم فى شعر أبى تمام أظهرُ منهُ فى شعر البُحترى والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم

(صاحب البحترى) كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً وكان الأصمعى شاعراً عالماً وكان الكسائى كذلك وكان خلف بن حيّان الاحمر أشعرَ العلماء وما بلغ بهم العلم طبقةً من كان فى زمانهم من الشعراء غيرِ العلماء والتجويدُ فى الشعر ليست علّتهُ العلم — والشائع المشهور أنّ شعر العلماء دون شعر الشعراء وقد كان أبو تمام يعمل على أن يدل فى شعره على علمه باللغة وكلام العرب

(١) المحال الفاسد

أما البُحترى فلم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان يعدّه فضيلةً ولا يراه علماً بل كان يرى أنه شاعرٌ لا بدَّ له أن يقرّب شعرَه من فهم سامعه فلا يأتى بالغريب ألاَّ أن يتّفق له فى اللفظة بعد اللفظة فى موضعه من غير طلبٍ له ولا حرص عليهِ. على أن هذا العلم الذى تُؤثِرون بهِ أبا تمام لم ينفعهُ فقد كان يلحن فى شعره لحناً يضيقُ العذرُ فيه ولا يجد المتأوّل له مخرجاً منه إلاَّ بالحيلة والتَّحمل الشديد

(صاحب أبى تمام) لسنا نُنكر أن يكون صاحبُنا قد وهِم فى بعض شعره وعدل عن الوجه الأوضح فى كثير من معانيهِ : وغير غريب على فكر نَتج من المحاسن ما نتج وولَد من البدائع ما وَلَد أن يلحقهُ الكلال فى الأوقات والزللُ فى الأحيان بل من الواجب لمن أحسن احسانَهُ أن يُسامَحَ فى سهوه ويُتجاوزَ له عن خطائه وما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سلم من الطّعن ولا من أخذ الرُّواة عليهِ الغلطَ والعيب — وكذلك ما أخذتهُ الرواة على المحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ —واللّحن أشهر من أن يحتاج الى أن نبرهنهُ أو ندلّ عليهِ وما كان أحدٌ من أولئك ولا هؤلاء مجهول الحق ولا مجحود الفضل بل عفا إحسانهم على إساءتهم وتجويدهم على تقصيرهم

(صاحب البحترى) أما أخذ السّهو والغلط على من أخذ عليهم من المتقدمين والمتأخرين ففى البيت الواحد والبيتين والثلاثة — أما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عِدّة أبيات يكون فيها مفسداً أو مُحيلاً أو عادلاً عن السّنن أو مستعيراً استعارةً قبيحة أو مخطئاً للمعنى بطلب الطّباق والتّجنيس أو مبهماً يسوء العبارة والتَّعقيد حتى لا يُفهم ولا يوجد له مخرج

(صاحب ابى تمام) إنكم تنكرون على أبى تمام من الفضل ما يعترف به

البُحترى نفسه فقد رثاه بعد موته رِثاء اعترف فيه له بالسَّبق وفضَّله على شعراء عصره

(صاحب البحترى) لِمَ لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين وأخوين متصافيين يجمعها الطَّلب والنَّسب والمكتسب فليس بمنكر ولا غريب أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ويصفهُ بأحسن ما فيه وينحله ما ليس فيه على أن الميت خاصة يُعطى فى تأبينه من التَّقريظ والوصف وجميل الذِّكر أضعاف ما كان يستحقهُ

(صاحب أبى تمام) كيفما كان الأمر لا تستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرُّواة والعلماء أن جيد أبى تمام لا يتعلق به جيد أمثاله واذا كان جيده بهذه المكانة وكان من الممكن اغفال رديئه واطِّراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب فى أنه أشعر شعراء عصره والبُحترى واحد منهم

(صاحب البحترى) انما صار جيدُ أبى تمام موصوفاً ومذكوراً لنُدرته ووقوعه فى تضاعيف الرَّدىء فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه : وجيد البُحترى كجيد أبى تمام إلا أنه يقع فى جيدٍ مثله أو متوسط فلا يفاجئُ النفسَ منه ما يفاجئها من جيِّد صاحبه

﴿ مناظرة السفينة والوابور للمرحوم السيد عبد الله النَّديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ ﴾

شمَّرت « السَّفينة » عن الذِّراع وسَحبت طرفها ونشَرَت الشِّراع واعتدلتْ ومالتْ وابتدأت وقالت

حمداً لمن أسبغ على عباده جزيل الإنعام وسخَّر لهم من فضله السُّفُن والأنعام وجعلهما مَطيَّتين لحمل الأرزاق والأثقال وحافظين للذَّخائر عند السَّفر والانتقال وامتَنَّ بهما على عباده وهو عليمٌ بما يصنعون فقال تعالى (وعليها وعلى الفُلْك تُحْمَلون)

وصلاةً وسلاماً على من أسفرت أسفاره عن عظيم أخلاقه فانفتح بتوجهاته الشريفة باب السياحة بعد إغلاقه وآله وأصحابه الذين تحملوا فى الغزوات مشاق البرد والحر واقتحموا فى نصر دينه عقبات البحر والبر « وبعد » فان المخترعات فى الدنيا كثيرة وقد صارت سهلة بعد أن كانت خطيرة ولكن من المعلوم لكل عاقل عارف بأحوال الأوائل ناقل أن شكلى أول غريب ابتدع وأحسن عظيم اخترع ماتقدمنى سوى الحيوان والكواكب وضروريات الزرع و بعض آلات المعاطب وكان البحر قبلى ظلمة ما طلع لها فجر و انشرح لها صدر بل غرضاً ما أصابه سهم ومعنى ما ترقى له وهم حتى أمر الله نبيه نوحاً بصنعى وعلمه تركيب ضلوعى عند جمعى فبذل فى جهده و باشر عملى وحده وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) فقال تعالى (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون) فاستمر حتى أتم عمله وحقق رجاءه وأمله وأنزلنى البحر عروسا وأطاب بى نفوساً فتلقانى البحر على راسه وجريت بين روحه وأنفاسه وصار كل غريب حاضراً لدى وكلما تلاطم البحر ضربته بيدى لا ترهبنى منه الأمواج ولا تردنى عنه الأبراج أحمل الذخائر والأرزاق وأجمع الأحباب والعشاق ومع ذلك فان أصلى معدن الثمر ونزهة الأرقاء عند السمر فمن له أب كأبى ومن قبلى صنعه نبى فمجدى شامخ ومجد غيرى متهدم والفضل كل الفضل للمتقدم

فالتهبت أحشاء (الوابور) بفحم الحجر وصعدت أنفاسه مشوبة بشرر وزمجر وكفر وصاح وصفر وجرى حتى خرج عن « الشريط » وقال السكوت على هذه من التفريط ثم كر بعجله وجال وابتدأ رداً عليها فقال

الحمد لله خالق كلّ موجود الذى شرّفنى بالذّكر قبل الوُجود حيث امتن على عباده بخلقٍ عليها يُحمَلون ثم قال (ويَخلُقُ ما لا تعلَمون) ويُستأنس لى بقوله (وخلقنا لهم من مثلهِ ما يَركبون) ولا يغفل عن ذكرى إلا الجاهلون والصلاة والسلام على من تكلّم بالمغيّبات من غير شكّ ولا التباس المنزل عليه (وأنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس) وأصحابه الذين اتّخذوا من معدنى دُرُوعاً وتيجاناً وقاتلوا بها حتى أظهروا دِيناً وأرضوا ديّاناً « وبعد» فالوُقوف عند حد النّفس إنصاف والخُرُوج عنهُ قبيح الأوصاف: الفخر لا يكون إلاّ عن كِبْرٍ أو غَباوةَ وهو أوّل داعٍ للحرب والعداوةَ فكم أثار حرباً وأضرم ناراً وكم هدم قصراً وأباد داراً ولكن شرٌّ أهرّ ذاناب وكوّة فُتحت بها أبواب فاني ما كنت أظنُّ أن السَّفينةَ الحقيرة المسكينة تخرُج من الأجراف وترفع فى وجهى الجداف ولكن قد يَلقى الانسان ضدّ أمله والمرء مَجزِيٌّ بعمله ومَن سلّ سيف البَغىِ قُتِلَ بهِ وأهمُّ أمْريك الذي أنت به فانتبه فقابل أعداءكِ بأرْدأِ الحجارة وإيّاكِ أعنى فاسمعي يا جارَة فانك وإن كنت أوّل عملٍ للخلْق وصناعةِ نبيٍّ بوحْيِ الحقِّ إلاّ أنك حمّالةُ الحطَب قريبة العطَب ان هبّتْ عليك نسمات هلك من فيك ومات وإنْ كُتِبَتْ لك سلامة فلا حُباً ولا كرامة وإن كسَر ضِلْعك فار عليك الماء وفار : بم تفتخرين وأنت مُكتفة بالحبال وخَدَمتك يُنادون بالوبال إن سلَكت طرُق الأمن ارتجفت القلوب وإن ساعدتك الصَّبا أهلكتك الجنُوب تغرقين إن زاد عليك «طرد» وتهلكين إن نزل عليك «شرْد» فان أبيت السير سحبوك على وجهك وان كَلُّوا تركوك وباتوا على قلبك ما أقبح أصوات الأوباش حين يَصعَدون لسحب القُماش وما أفظع تلك الضَّجّة اذا « شحطت » وسطَ

اللجّة كم عقتِ محبّاً عن حبيبه وأحرَمتِ تاجراً من نصيبه وكم جعلوك مطيّة للفساد وآلة لهلاك العباد فان كنتِ ذُكِرْتِ في الكتاب صراحة فقد ذُكرتُ ضمنًا وإن ظهرت قبلى لفظًا فقد كنت معنى ما تأخر لتاجر عندي سبب ولا حُرِمَ مَن صاحبني بلوغ أرَب طريقك مُعوَجّ وطريقى مستقيم لا يمأني صحيح ولا يسأمني سقيم

فسحبت السفينة « المدارى » وقالت له « بارى بارى » كم تُعرّض وتصرّح « وأصفح وأصاح » ولكن مهلاً يا أبا لهب فقد خرجت عن الأدب ولابدّ ما « أرْسى » على برّك وأحرقك بلهيب جمرك حُصرت بين «عجل وقضيب» ووقفت في جحيم ولهيب وتغذّيت « بالخشب والفحم » وتفكهت « بالزّيت والشّحم » وتولّعتَ « بالمُشاقة والكُهنه » وتحلّيتَ « بالهباب والدّهنة » وتمكّن الغيظ فيك وانحبس حتى صار فيك « نفس » وجئت تقول إنّي حمّالة الحطب وأنت حمّال النّار واللّهب وإنى قريبة العطب وأنت أبو البلايا والكرب إن جريَت فضحتَ عِرْضك وان وقفت تأكل بعضك وإن صدَمك شيء هلكت ووقفت وماسلكت وإن كُسر « ذراعك » وقعت وقليلٌ إن طلدت وإن دخن أنفك تَعمى صورتك وإن ظمئت يوماً طقّت « ما سُورتك » تجرى في الخلاء والقفار وتقول النار ولا العار ما أوسخ رجالك وأضيق مجالك يا مفرّق الأحبَاب ومُفزع الرُّكاب غريقى أرجى من غريقك وبحري أنجا من طريقك كم هرست من إنسان وطحنت من حيوان وخلّفت راكبًا وتركته حيران وكم جعل رجالُك الناسَ مسخرة اذا لم يجدوا معهم « تذكرة » وكم أضعت على تاجر فلوسه اذا فُقدَتْ منه « بوليسه » أعلَى غير « الشّريط » تجرى فضلا عن لجّى وبحرى أدخل نفسك فى « مخزن الوَفر » (وفضّك من النّفخ والصفّر) تفتخر على أغصان الطّوم «وأنت حديد يامشوم »

ولئن سرْتَ على « عجل » فقلوب أهلك فى وَجل أما علمت أن العجلة من الشّيطان
وأن الباغى جزاؤه النيران شُغلت بالأكل والتّمشي ففاتك الرّفق والتأنّى
وبالجملة فانى سابقة هذا الميدان ولا ينتطح فى ذلك عنزان

فتحرّك الوابور تحرّك ناقد وتنهّد تنهُّد حاقد وقطع (قطره) وأبى (شحنًا)
وقال أسمع جعجعة ولا أرى طِحنا أبعوض تطنّ فى أُذن فيل وصورة تعدّ فى التماثيل
ولكني أبيت مخاطبتك وعفت وكرهت وجهك المدهون « بالزّفت » فان حالك
حال الحيران وصباحك صباح «القطران» وكيف أفاخر امرأة عقالها فى « مؤخّرها »
وهلا كها فى تمزيق مِئزرها تُقاد بحبل طويل وتنقاد لأذنى « عويل » يديرها
(شاغول) وفكرها مشغول تتبع هواها فى السير ولها جناح كالطير أُمّيّة فيها (قاريه) ويدٌ
عاجزة لها (باريه) ثالثة العنزين فى ذُلّ (الوتد) حمالة الحطب فى جيدها حبلٌ من مَسَد

﴿ مناظرة بين الليل والنهار لمحمد افندي المبارك الجزائرى ﴾

لما أسفر النهار عن بياض الغُرّة قابله الليل بسواد الطُّرة ثم صار الهزْل جدّا
واشتدّ النّزاع بينهما جدًّا فاستنجد كلٌّ منهما أميرَه وأفشى له سرّه وضميره واذا
بالليل حمَلَ على النّهار فصبغ حُمْرَة ورْدته بصُفْرة البهار وخطَر يجرُّ ذُيول تِيهه
وعُجبه مُرصّعًا تيجان مَفَاخره بدُر رشُهبُه . ثم قال : (والليل اذا يغشى) . (إنّ
فى ذلك لعبرةً لمن يَخشَى) ففتح باب المناقشة فى هذا الفصل وعقد أسباب المنافسة
بقوله الفَصلِ (فان الحرب أولُها كلام) ثم تنجلى عن قتيل أو أسير بكلام ـ ولما
بلغَ الليل غايتَه بَزَغَ الفجر ورَفَع رايتَه وقال إذْ جال فى مُعترَك المنايا (أنا ابن
جلاَ وطَلاَّع الثَّنايا) فتقدّم فى ذلك الميدان وجلّي تاليًا قوله تعالى (والنهار اذا
تجلّى) ثمّ استوى على عرش السّنا والسناء وأطلع شُموس طلعته فى الأرض والسماء

فأعرَبَ عن غوامض الرقائق والحقائق وأغربَ في نَشر ما انطوى من الأسرار والدقائق وما انحدر من مِنبره حتى أيّد دعوى خَبَرِه بشاهدِ مَخبره — فانتدب اليه « الليل » ومال عليه كلّ الميل وقال أحمَد من جعلني خلوة للأحباب وجَلوة لعرائس العرفان ونفائس الآداب وخلقني مثوًى لراحة العباد ومأوًى لخاصّة النُسّاك والعُبّاد : ولله درُّ من قال فأجاد

أيها الليل طُل بغير جُناحِ ليس للعين راحةٌ في الصباحِ
كيف لا أبغض الصّباح وفيه بَانَ عَنّي نور الوجوه الصِّباحِ

أتَرَدّدُ على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب وأتوددُ الى أصحاب المشاهدة بعيون الرغائب تدُور في ساحتهم بدورُ الحسن والبَهاء وتُدَارُ من راحتهم كؤوس الأُنس والهناء فتُحيّيهم نفَحات السَّمَر وتُحييهم نسمات السَّحَر فأحيانُ وصلي بالتّهاني مقمره وأفنان فضلي بالأماني مُثمره وحسبي كرامةً أنّي للناس خير لباس أقيهم بلطف الإيناس من كل باس ومَن واصَل الإدلاج وهجرَ طيبَ الكرَى قيل له « عند الصباح يحمد القومُ السُّرَى »

وما الليلُ الا المَجدِ مَطيّـةٌ ومَيدانُ سبقٍ فاستبق تبلغ المُنَى

ففتن بمعاني بيانه البديع وتفنّن في أفانين التّضريع والتّرصيع ثمّ أتمّ خطبته بالتماس المغفرةْ والعفو واستعاذ بالله من دَواهي الغفلة ودواعي اللّهو فوثب اليه (النهار) وصال عليه صَولةَ ملك قهّار وصَعدَ على منبره ثانياً وقد أضحى التّيهُ لِعطفِهِ ثانياً فأثنى على منْ تَجلّى ظُلمةَ الحجاب وتحلى له باسمه النُّور وتوجه بسورَة من الكتاب وزانه بأبهى سراج وهّاج فأوضح بسناه السبيل والمنهاج ثم صاح أيها الليل هلا قصّرت من اعجابك الذّيل ولئن دراَت رَحى الحرب واستعرَت نار الطّعن

والضَّرب فلأَسبِينَّ مخدَّراتك وهى عن الوجوه حاسره وأنت تتلو يومئذ (تلك إذاً كرّةٌ خاسره) فما دعاك الى حَلبة المفاضلة وما دهاك حتى عرّضت بنفسك المناضلة وهل دأبك إلا الخداع والمكْر وترقّب الفرصة وأنت داخل الوكر أما حضّ القرآنُ على التعوذ برب الفَلَق وندب (من شرّ ما خلَق ومن شرّ غاسق اذا وقب) فبربّى يستعاذ من شرك ويستعان على صنوف صروف غَدْرك وهب أنك تجمع المحبّ بالحبيب اذا جار عليه الهوى وحار الطبيب فكم يقاسى منك فى هاجرة الهَجْر ويئن أنين الثّكلى حتى مطلع الفجر

بيبيتُ كما بات السليمُ مُسهَّدا وفى قلبهِ نار يشبُّ لها وَقدُ

فيساهر النجوم ويساور الوُجوم وقد هاجت لواعج غرامه وتحركت سواكن وجده وهُيامه : فأنشد وزفيره يتصعّد

أُقضّى نهارى بالحديث وبالمُنَى ويجمعُنى والهمّ بالليل جامعُ

نهارى نهار الناس حتى اذا بدا لىَ الليلُ هزّتنى اليك المضاجعُ

على أن العاشق الوالِه يشكو منك فى جميع أحوالِه فكم قطع آناءك بمواصلة أنينه متململاً من فرط شوقه وحنينه فلمَّا أن حُظِىَ بالوصال تمثل بقول من قال

الليلُ إن واصلتْ كالليل إن هجرتْ أشكو من الطُّول ما أشكو من القِصَر

ولئن افتخرتَ ببدرك الباهر الباهى فانما تُبارى ببعض أنوارى وتباهى وهل للبدْر عند إشراق الشّمس من نور أو لطلعة حسنه من خدور البطون ظهور ومن ادّعى أنك تساوينى فى الفضل والقدْر أو زَعَم أن الشمس تقتبس من مِشكاة البدر ومتى استمدّت الأُصول من الفُروع « وما أغنى الشُّموسَ عن الشموع » فبىَ تنجلى محاسنُ المظاهر الكونيّة وتتحلّى بجواهر الأعراض اللّونية وأنّى يخفى

حسنى وجَمالى على مُشاهد أو يفتقرُ فضلى وكمالى الى شاهد وعِرضى عارٍ عن العار وجميعُ الحسن من ضيائى مُستعار

وليس يَصحُّ فى الأذهان شيءٌ   اذا احتاج النّهار الى دليل

أما كفاك بيّنةً وزادك ذكرى وتبصرة قوله تعالى (فَمَحَوْنا آية الليل وجَعَلْنا آيَةَ النّهار مُبْصِرة) (وهل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظُّلمات والنور) وأين منزل أهل الغفلة من منزل اهل اليقظة والحضور وإن كنت تَمْنَى الأُنس والا فراح تفعل بعقول الناس فعل الرّاح فهل حسبت أن السُّكون خير من الحركة وقد أجمع العالم على أن « الحركة بَرَكة » فان لى بكل خطوة حظوة وليس لجوادى كبوةٌ ولا لِصارمى نَبوة وان صرّحْتَ بالذين يبيتون لربّهم سُجّداً وقياماً معرّضاً بكل غافل لاه فى كل مجالٍ رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وأين من احتَجبَ بظلمات بَعضها فوق بعض ممن أضحى ينظر بعين الاعتبار فى ملكوت السموات والأرض وقد أُتحفنى الله بالصّلاة الوُسطى فاوْتُرُ بها صلواتى وشرع فيها الإسرار لأسرار اختصتْ بها أهل جلوَاتى وكفانى شرفاً (شهر رمضان الذى أُنزلَ فيه القرآن) فما ترى مأثورَةٌ فى القديم والحديث ومفاخِرى منشورَةٌ فى الكتاب والحديث ومحاسنى واضحةٌ لأولى الأبصار وهل تخفَى الشّمس فى رائعة النّهار فاكفُفْ عن الجدال وأمْسِك ولا تجعَل يوْمك مثل أمْسك وسالِمْ مَنْ لَيس لك عليه قُدرَة فقد قيل (ما هلَكَ امرُؤ عَرَف قَدْرَه) أقول قولى هذا وأستغفرُ الله من آفة العُجْب والكِبرياء ولمّا أنهارَ رُكن النهار إنْهارَ (الليل) وتبرْقعَ بالاكفِهْرار فسدّ ما بين الخافقين بسوّاده وطَفِقَ يَرْمى بسهام جداله فى جِلاده وقدّم بين نجْواه سورة القَدْر آية على ما حازه من كمال الرِّفعة والقَدْر وثنّى بقوله تعالى (سبحان

الذى أسرَى بعبده ليلا) فأشار الى الحبيب حين تجلّتْ له قرّة عينه ليلا ثم قال سُحقًا لك أيها النهار فقد أسّستَ بُنيانك على شفا جُرُف هارٍ تُناضلُنى ومتى كان انسلاخُك وظهورك وتُفاضلنى و بى أرّختْ أعوامُك وشهورُك ألم يأنِ لك أن تخشع للذِّكر فتعترف لى برُتبة التقديم فى الذِّكر وكيف تُعيرنى بلون السّواد وهل يقبُح السّواد الا فى الفؤاد أم كيف تَعيبُنى بالخداع « والحرْب خُدْعة » وليس الشئ فى موْطنه بغريب ولا بِدْعة أما تشهد العوالم من هيبتى حيارَى « وترَى الناسَ سُكارَى وما هم بسُكارَى» فكم أرّقتُ ملوكاً أكاسرة وأرَقتُ دماء أُسود كاسرة وكم أوْريتُ نار الوَغى تحت العَجاج وقد ازورّت اللّحاظ واغبرّت الفِجاج فأنا البطل الذى لا يُصطلَى بناره ولا يأخذُ منه الموْتورُ بثاره وافتخارك علىّ بالصّلاة الوُسطى ليس إنصافًا منك ولا قِسْطا وهبْ أنك انفرَدتَ بتلك الصلاة الجليلة فأين أنت مما أُوتيته من الصِّلات الجزيلة أما كان افتراض الصّلاة فى ليلة العرُوج فما بالُك تدّعى الارتقاء الى هذه البرُوج

وما أعجبَتْنى قطّ دعوى عَرِيضة ولو قام فى تصديقها ألفُ شاهدِ

وأمّا افتخارك علىّ بفضل شهر رمضان وما نزل فيه من السّبع المثانى والقرآن فهل صحّ لك صيامه إلا بى بَدْأً وختاما وقد تميّزتُ عليك بفضيلة إحيائه تهجُّداً وقياماً على أنى محلّ النيّة « ونيّة المرء خير من عمله » لأنها بمثابة الرّوح له وبها يحظى الرّاجى ببلوغ أمله هذا وإنى أتكفّل للصائم بمد يد الرّاحة ووافر الأجر حتى يتبيّن له الخيطُ الأبيض من الخيط الأسوَد من الفجر وكيف تفتخر بالكتاب المنزّه فى مزاياه عن المشاركة والله تعالى يقول فيه « إنّا أنزلناه فى ليلةٍ مباركةٍ » وهل فى مطالع سُعودك أشرقت بدور العيدين أم على جَناح جنحك أُسْرى بنور طلعة

الكونين ثم عُرج به عليه الصلاة والسلام الى منزلة قاب قوسين وهل فى تجليات أسحارك يقول الرّبّ هل من سائل فيُناجيه العبد متضرّعاً اليه بقلبٍ خاشع ودمع سائل ومما اختصصتُ بهِ من الفضائل والمفاخر أنه فى دولتى وُلدَ سيّد الأوائل والأواخر وناهيكَ بليالى شهر الله رجب وكيف لا وفى طالعها السّعيد حملت آمنة بسيّد العجَم والعرب «فطلع النهار» طلوع الأسد من غابه وكسّر جيوش الدُّجى حين كشّرَ عن نابه وشمّرَ للحرب العوان غير ناكلٍ ولا وَانٍ ناشراً فى الأُفق رايته البيضاء وأسنّته لامعة بين الخَضْراء والغَبراء وقال والذى كسانى حُلَل الملاحة وأطلق لسانى بالبلاغة والفصاحه لأمْحُوَنّ سطور الدُّجى من طُروس الوُجود ولأُثبتَنّ حسن أحوالى فى مقامات أهل الشُّهود فانى معرُوفٌ بالوَفاء وصدق الخبر موصوف بالصّفاء الذى لا يشوب صفوَه كدر كيف يُباهينى الليل بمكارم الأخلاق ومحاسن الشّيم وأنا أتحدّث بنعم الله وهو موسوم بكُفران النّعم ألستُ مَظهرَ الهداية والدّلالة وهو مَظهر الغواية والضلالة فكم أرْشدْتُ مَنْ أضلّه وأعزَزْتُ مَنْ أهانه وأذلّه وكم أظهرْتُ منه عيباً كان غيباً فابيَضّت عَيْنُهُ حزنا «واشتعلَ الرّأسُ شيبا»

وَمَنْ جهلَتْ نفسهُ قدرَه رأى غيرُه منه ما لا يَرَى

وكيف يزعُم هذا العبد الآبق أنه لسيّده فى حَلْبة الشرَف سابق وقد قال الواحد القهّار (ولا الليلُ سابق النهار) إن هو وأيْمُ الله إلا كافر وبشموس أنوار الشهادةِ غيرُ ظافر لو كان من السُّعداء لفاز بدارِ النّعيم ولولا شقَاوُه لما شابَهُ سوادُ طبَقات الجحيم وماذا يؤمّله من الجزاء ويَرجوه (يوم تبيَضّ وُجوهٌ وتسوَدّ وُجوه) أما دَري أن صحيفته سوْداء مُظلمة وصحيفتى تفصح عن نَفْس مؤمنة بالله مُسلمة وأنى يرقى كتابُهُ الى عِلّيين وهو من ظلمات الحجاب فى سجّين ثم أقبل عليه وأنشد مشيراً اليه

يا مُشبها فى فعله لونه لم تعد ما أوْجبتِ القِسْمه
خُلقك من خَلقك مُستخرج والظُّلمُ مُشتقٌ من الظُّلْمه

وقال كيف تدّعي فوق حالك وأىٌ فضل لِمَن مَنظره أسوَد حالِك أما علمت أن الظّاهر للباطن عنوان كما أن اللّسان عن الجنان ترجمان : قال أفضل الخلق « ابتَغُوا الخيرَ عند حِسان الوُجوه » وقال الشاعر

لا تَسْأل المرء عن خَلائقهِ فى وَجهِهِ شاهدٌ من الخَبَر

فأنا مفتاح خزائن الأرزاق و بى يُستفتح بابُ الكريم الرّزّاق وكفانى دليلا على الفضل والكمال « إن الله تعالى جميلٌ يُحبُّ الجمال » لقد سمعتُ أقاويلك التي قدّمتها بين يديك وزَعمتَ أنها حجّة عليك ولا جرَمَ أن «لسانَ الجاهل مِفتاحُ حَتفهِ وكم من باغ قُتل بصارم بغيه وحيفه — أما انسلاخى منك فمن أملح المِلَح لى والغُرَر وهل تحقٌ لأصناف الأصداف أن تُنافِس نفائس الدُّرر أليسَت (تلدُ الأمَةُ رَبّتها حرّة نجيبة) وقد قالوا (إن الليالى حبالى يلِدْنَ كل عَجيبة) وأمّا تقدُّمك علىّ فمِن العادة تقدُّم الخدم بين يدى السّادة

أو ما ترى أن النبىّ محمداً فاقَ البريّة وهو آخِرُ مُرْسَل

على أنه (أوّلُ ما خلَقَ الله النور) كما ورَد عن جابر فى خبره المأثور

وأمّا تَحلّى صفوَتك بتجلّي الحقّ تعالى فى السَّحر فليس الا لمن أحيا أحيانك بالمجاهدة والسَّهر وأمّا زُهوّك بقصّةِ ظهور سيد ولد آدم الذى هو نتيجة مقدّمات الكون وزُبدَةُ العالم فهل وقع اتّفاقُ الرواة على ذلك وأنّي لكَ هذا وصُبْح طلعته يمحو سوادك الحالك وأمّا خبرُ الإسراء فعنّى روته الامّة ثم بلّغه الشاهد للغائب بعد أمّة فما لاحت أسراره إلا بمطالعي ولا زاحت أستاره إلا بطوالعى وما أشرتَ اليه من

بقية معانيك التى أضاءت بها فى الخافقين نجوم معاليك فأنت أين من يوم عرفه الذى عرفه بأبهى الخصائص من عرفه وأين أنت من يوم عاشوراء الذى يعظم فيه الشكر والصبر على السراء والضراء وناهيك بسمو شأن العيدين فما أجلهما من موسمين سعيدين وكيف تفاخرنى بساعة تبدو منك مرة فى كل عام ولى فى كل أسبوع أمد تمتد فيه موائد الجود والإنعام فأخبار أخيارى سارت بها الركبان وماست بنسيم رقتها معاطف البان وقدرى فوق ما تصفه الألسن وعندى (ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) فدع عنك قول الزور والمين (فقد بين الصبح لذى عينين) ولما أفاض النهار فى حديث يفضح الأزهار أبدع فى كنايته وتلويحه وأعرب فى تعريضه وتصريحه (إبتدر اليه الليل) وأجلب عليه بالرجل والخيل وامتطى جواده الأدهم واعتم بعمامة سوداء وتلثم فأنسى بفتكاته عنترة بنى عبس حين أمسى يتوعد عمارة بالقتل والرمس ثم نشر فى الافق ذوائبه السود وعبس وبسر فأسر بسطوته الأسود وقال (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق) لأسبين رومى النهار ولأجعلنه عبرة لذوى الاعتبار فلقد تزيا المملوك بزى الملوك وادعى مقام الوصول الى صاحب السير والسلوك أما كفاه ازدرائى وتحقيرى حتى حكم بتضليلى وتكفيرى كم أسبلت على عوراته ذيل سترى وهو لا يبالى بهتك أستارى وكم أودعت مكنون سره فى خزانة سرى وهو يبوح بمصون أسرارى أف له من فاضح أما يكفيه ما فيه من الفاضح

أنم بما استودعته من زجاجة ... يرى الشىء فيها ظاهراً وهو باطن

كيف احتج لتقدمه بحديث جابر مع أن ما رواه لكسرى أعظم جابر فانه برهن على تقدمى عليه لو ادرك سر ما أومأ اليه وعلام حمل السواد على النقص

علامة وهو مُشتَقٌّ من السُّوْدَد لدى كلّ عَلاّمة أما دَرى أنى حُزتُ من الكمال الحظّ الأوفر حتى تحلّى بيديع وصفى العنبرُ والمِسْكُ الأذفرُ

إن كنتُ عبداً فنفسى حرّةٌ كرماً أو أسوَد الخلق إنى أبيض الخُلُق

وهل يُزرِى بالخال سوادهُ البارع أو يُغرى بالبرَص بياضه النّاصع وفى بياض المشيب عِبرَة وأىُّ عبرة فكَمْ أجرَى من الآماق أعظم عَبرَة

له منظرٌ فى العين أبيضُ ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفعُ

ومَنْ عاب نَعتَ الشّباب وفضّل وصفَ الشّيب فقد غاب عن شُهود العَيب وعالَم الغيب (فما كلُّ بيضاء شَحمة ولا كلُّ حمراء لحمة) ولمّا أنهَى مقاله ومَلّ مقامه شمّرَ للرّحلة أذيَاله وقوّض خيامه فتهلّل وجه الصّباح وهلّل بذكر فالق الإصباح وازدهاه السُّرُور والابتهاج كأنه رَبُّ السّرير والتّاج

فكأنّ الصّبح لمّا لاحَ من تحت الثُّرَيّا
مَلكٌ أقبل فى التّا ج يُفدّى ويُحَيّا

وبَرَز الى المُبارزة من بابها إذ كان من فرسانها وأربابها فسَلَب اللّيل لباسه وأذاقهُ شِدته وباسه وقال له أيها المعجبُ بنفسه المغرب فى نَقْشه صحيفة زُوره بنفسِهِ (ما كلّ سوداء تَمرَة ولا كل صَهْباء خَمْرَة) ألم تعلم أنّينا أبهَى مُحَيّا وشَتّان ما بين الثّرَى والثُّرَيّا أين سوادك من بياضى وما زهرُ نجمك إن تتلألأ زهرُ رِياضى وكم أطلعتُ بدُوراً فى مواكب السّيّارة فأضحتْ تزهو بجمالها على الكواكب السّيّارَة وهل لك مثل الغزالة التى انفردَت فى الملاحة لا محَالة فأنا الذى ضاء صباح الصّباحة من مُحيّاه وضاع عَبير العنبر من نشر أنفاسهِ وطيب رياه ولولاىَ ما عُرِف الحسن والجمال ولا سعى على وجه الأرض بدر الكمال: فوجم

(الليل) لبراعة تلك العبارة وبلاغة مالاح له من الرّمز والإشارة ثم وثبَ للمقال كأنما أُنشط من عِقال وقال (رُبَّ ملوم لا ذنب له) ومظلوم خيّب الدّهر أمله فالى متى يسوءنى النهار وحتى مَ يسومنى عذاب النّار طالما أعرته أذُناً صمّاء وعيناً عمياء وهو لا ينثنى عن المُقابلة ولا يَرعوى عن المحارَبة والمُقاتلة أَمَا تعلم أيها المُغتر ببياضك أنّ السّواد حلية أهل الزُّهد والصّلاح وهل يسترقّ الأُسودَ إلاّ سُودُ أحداق الملاح بَيد أن الحرَّ لا يُبالى بالجمال الظّاهر وانما يُباهى بالفعل الجميل والقلب الطّاهر فان تفاوُت المراتب بحسب تفاوُت المناقب

وما الحسن فى وجه الفتى شرفٌ له اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وكم أعدَدتُ للأُنس مقاعد وفى الأَمثال (ربّ ساعٍ لقاعد) فان ظِلّى ظليل ونسيمي عليلٌ بليل تهدأ بى الأَنفاس وتسكن الأَعضاء والحواسّ

(فقام النّهار) يعثُرُ فى ذيله وقد كَفكَفَ واكِفُ سَيلِهِ فما لَبِثَ أن تنفّسَ الصّباح وأظهر مِن سَناه ما أخفَى ضَوء المصباح وَرفرَف بجناحِهِ الأَبيضِ على الدُّجى فاقتَنَصه من وَكره بعد ما سكن وسَجَا

فكأنّ الصّباح فى الأُفق بازٌ والدُّجى بين مِخلَبَيهِ غُرابُ

وقال تبًّا لك أيها (الليل) فلقد أُوتيتَ من المَيْن أوفر نَيل أىُّ حديثٍ لك صحيح وضعتَهُ وأىُّ حقّ لك صريح أضعتَهُ

عليك بالصّدق ولو أنه أحرقَكَ الصّدقُ بنار الوَعيد

وابغِ رضا اللهِ فأبغى الوَرَى مَن أسخطَ المولَى وأرضى العَبيد

نعم لك فى السّمَر خبرٌ مرفوع بَيد أنه مكروه فى السُّنّة موضوع قد اشتهرت لكن بأقبح الاوصاف وعدَلتَ لكن عن سبيل العدل والانصاف تكتم عن المرء

ما يُردّيه (وتُخفي في نفسك ما اللهُ مُبديه) وفي المثل (الليلُ أخفَى للوَيل) فما أصْعَبَ مرامك قبل افترار سُهيل وهل يترنّم بذكرك إلاّ غافل وأنّي يَغترّ بك عاقلٌ ونَجْمك آفل وكيف تفتخر عليّ وأنت تفتقرُ اليّ ولمّا سلَبَ النّهار بأساليب بيانه العقول « سكت الليل » مَليًّا ثم أنشأ يقول

فعينُ الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما أنّ عينَ السُّخْط تُبْدى المَساويا

كيف أتصدّى للكذب وأتردّى باللّهو واللّعب وأنا المنعوتُ باللّطف والظّرْف والموْسومُ بالصَّمْت وغضِّ الطّرْف كيف أورثُ الغرُور وأوثِرُ الغفلة على الحضور وأنا الدّاعي إلى ذكر الله وَحده والسّاعي في ردّ الكثْرَة الوَهميّة إلى عين الوحدة وأنا الموصوف بالسّتر الجميل والمعرُوفُ بشكر المعرُوف والجميل وهل احجبُ البَصرَ عن شهود عالَم الكثافة إلاّ لأكشفَ لعين البصيرَة عن عالم اللّطافة وبذلك يَتحقق العبد بفَنائه عن وُجوده فيمدُّه الرّبُّ تعالى بسرّ بقائه من خزائن جُوده ثم قال (النهار لليل) وقد هجم عليه هجوم السّيل أيّها المدّعي مقام الدّعوَة إلى الله وهو في حال الغفلة عن موْلاه لاه كيف تسنّمْتَ ذُرْوَة هذا المنْبر كأنك تكتُبُ بالمِسْك وتخْتمُ بالعنبر لقد أطلْتَ فيما (لا طائل تحتَهُ) ولا معنى فكذا (أسمَعُ جعْجَعَةً ولا أرَى طِحْنًا) فلو كنتَ ممن انتخب غُرر الشّيَم وانتقى لاتّعظتَ بقوله تعالى (فلا تُزكُّوا أنفسكم هو أعلم بمَن اتّقى) فتنبّه من غفلتك أيها « الليل » قبل أن تدعو بالثُّبُور والوَيل وإلاّ فرّقت طلائع سوَادك أيّ تفريق ومزّقت سوابغ ظلامك أيّ تمزيق (فما كلُّ مرّة تسلَم الجرّة) فاسودّ وجه الليل وانقلَبَ

(بحشفٍ وسوءِ كَيْل) وندم على مُناضلة النّهار ندامة الفرزدق[1] حين فارق النوّار (ولمّا سقط في يده) ورُزِئَ في عدَه وعُدده ترَدّى بالسوَاد ولبس ثياب الحداد ثم لاح هلاله للعين كمنجلٍ صيغ من لُجَين

أنظُرْ الى حُسْنِ هلالٍ بدا يجلُو سنا طلعتهِ الحِندِسا

كمِنجلٍ قد صيغ من فضّةٍ يحصدُ من زهرِ الدُّجى نرجسا

وقال مَنْ ينصفني من هذا الجائر وينصرُ لي فأبثّه شكوى الواله الحائر فحتّامَ أُعاني حدَّ الظُّبا (وقد بلغ السّيل الزُّبى)

وكنتُ كالمُتَمَنّي أن يَرَى فَلَقاً من الصَّباح فلمّا أن رآه عمِي

فانتبه طرف (النهار) وازدهر سراجه أيّ ازدهار وشرع يتلو سورة النُّور بكمال الابتهاج والشمسُ تَرْقُمُ آية جماله بالذّهب الوهّاج

وقابل الصبح جُنح الليل فارتسمت سُطورُه البيضُ في ألواحه السُّود

ثم قال أيها « الليل » البهيم (تاللهِ إنك لفي ضلالك القديم) كيف تدّعي أنك مظلوم وتشتكي من جوري وأنت الظّلوم وهبْ أني قاتلتُك ظُلماً فأنت البادي وهل قابلتك إلاّ بما واجهتني به في المبادي وها أنا برهنتُ على فضلي بشهودٍ عُدُول ليس للمُنصِفِ عن تزكية شهادتهم عُدُول فاستَقِلْ من دعوى المجد والفخر فقد

(١) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها في مجلس عبد الملك بن مروان وذلك ان الفرزدق قال في المجلس وعنده جرير — النوار طالق ثلاثا ان لم أقل بيتاً لايستطيع جرير ان ينقضه ابداً فقال عبد الملك ماهو فقال

فاني انا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف انت مزاوله

فقال جرير ام حرزة طالق منه ثلاثا ان اكن نقضته وزدت عليه فقال عبد الملك هات فانشد

انا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

فقال عبد الملك فضلك والله يا ابا فراس وطلق عليك

(حصحصَ الحقُّ) ووضحَ الفَجر وان أبيت سُلوكَ محجَّتي ولم تتضح لك أدلَّة حجَّتي فهلمَّ الى حضرة الأمير (ولا يُنبئُكَ مثلُ خبير) فأنكرَ الليلُ زعمَه التفرُّدَ بالفضل وادّعاءه وأجاب فى عرض أمرهما على الأمير دُعاءه وقال « على الخبيرِ سقَطْت وعند ابن بجدَتها حطَطت

﴿ وكتب أيضاً مناظرة بين الارض والسماء ﴾

جالتِ السّماء فى ذلك المِضمار وصالَت ونوَّهتْ برفيع قدرها وقالت تبارَكَ الذى جعل فى السّماء بُرُوجا ومَنَحَ أشرف الخلْق الىَّ مُرُوجا وقدَّمنى فى الذِّكر فى مُحكم الذّكروشرّفني بحُسن القسَم وأتحفنى بأوفر القِسَم وقدَّسني من النَّقائِص والعُيوب وأطلعني على الغوامض والغيوب وقد ورَد أن الرَّبّ ينزل الىّ كلّ ليلة فيُولى مَنْ تعرّض لنفَحاته بِرّه ونَيلهُ فيالها من تُحفة جليلة ومِنحة جزيلة يحقُّ لي أن أجرَّ بها ذُيول العزَّة والافتخار وكيف لا والوجود بأسره باسطُ إلىّ أيديَ الذّلة والافتقار فلي العزُّ الباذخ والمجدُ الأثيل الشّامخُ لتفرُّدى بالرّفعة والسُّمُوّ وعُلُوّ المنزلة دُون غُلوّ فقالت لها﴿الأرض﴾ويْك لقد أكثرت نزْرًا وارتكبتِ بما فُهْتِ به وِزْرًا أمَا إنه لا يَعْجَبُ بنفسه عاقل ولا يأمنُ مكرَ ربه الا غافل ومن ادّعى ما ليس له بقوله أوف له فهلا كه أقرَب اليه مِنْ شراك نَعله وقد قيل من سَعادة جدّك وقوفك عند حدّك ومَنْ فعلَ ما شاء لَقِىَ ما ساء وما كفاكِ أن خطرْتِ فى ميادين التّيهِ والاعجاب حتى عرّضت لشئ ان هذا لشئٌ عُجاب وهل اختصّكِ اللهُ بالذِّكر أو أقسمَ بك دُونى فى الذِّكر أو آثرك بالتّقديم فى جميع كلامه القديم حتى تردّيت بالكبرياء وتعدّيت طَوْرَ الحياء

إذا لم تخشَ عاقبة الليالى ولم تستَحِ فاصنَعْ ما تشاء

فلا وأبيك مافي العيش خيرٌ ولا الدُّنيا اذا ذهب الحياء

وكيف تزدَرِين أهلي بالذنوب والمعاصي وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ بالنّواصي فقابلتها «السماء» بوجهٍ قد قطّبته ومجنّ قد قلّبته وقالت لها في الحال أيتها القانعة بالمُحال ما كنت أحسبُ أنك تجترئين على مبارزة مثلي وتنكرينَ عليّ ماترنّمتُ به من شواهد مَجْدِي وفضلي وهل خِلْتِ أنّ التّحدُّث بالنّعم مما يلام عليه مع أنهُ أمرٌ مندوبٌ اليه ومن أمثال ذوي الفطنةِ والعقل ليس من العدل سُرْعةُ العَذْل ولِمَ جَحدْتِ ظهورَ شمس كمالي وهل لك من الفَضائل والفواضِل كما لي ولكنّ لك عندي عُذْرًا جليًا وان كنت (لقد جئتِ شيئًا فريًا)

قدتُنْكرُ العَينُ ضوء الشّمس من رَمدٍ ويُنكِرُ الفَمُ طَعمُ الماء من سَقَم

ولو رأيت ما فيك من المساوى عيانًا لماتَنَزيت الى حَلبة المُفاخرَةِ عِنانًا فأنّى تفوزين بأشرف الأقدار وأنتِ موضعُ الفَضلات والأقذار وماهذا التّطَاوُل والإقدام ووجهك موطئُ النّعال والأقدام ان هذا إلاَّ فعل مكابر دعوَى عريضةٌ وعجزٌ ظاهرٍ وهل يحقّ للكثيف أن يتغَالى على اللّطيف أم ينبغي للوضيع أن يتعالى على الرفيع فقالت لها (الارض)أيتها المعتزة بطوالع أقمارها والمغترّة بلوامع أنوارها (ما كل بيضاء شحمه ولا كل حمراء لحمه) فبِمَ تزعُمين أنك أتقى منّي وأنقى وماعند الله خيرٌ وأبقى وأنت واقفةٌ لي على أقدام الخدمة جَارية فى قضاء مآربي بحسب الحكمة قد كفّلَكِ الحقُّ بحَمل مؤونتى وكلّفك بمساعدتي ومعونتي ووكّلك بإيقاد سراجى ومصباحي ووكّلك الى القيَام بشؤونى فى ليلي وصباحي وليس عُلوُّكِ شاهداً لك بالرتبة العاليّة فضلاً عن أن يوجبَ لك مقامَ الأفضلية (فما كلّ مرتفع نجد ولا كلّ متعاظم ذو شرف ومجد)

وإنْ علاني مَن دوني فلا عجبٌ لي أُسوةٌ بانحطاط الشّمس عن زحل

فمن أعظم ما فقتُ به حسناً وجمالا وكِدتُ بأخمصي أطأ الثُّريّا فضلاً وكمالا تكوينُ الله مِنّي وجود سيد الوُجود فأفرغ عليّ به خُلَع المكارم والجود فهو بدر الكمال وشمسُ الجمال

وأجملُ منك لم ترَ قطُّ عينٌ وأكملُ منك لم تَلِدِ النِّساء

خُلقتَ مُبرّءاً من كلّ عيبٍ كأنّكَ قد خُلقت كما تشاء

فأكرِمْ به من نبيٍّ أسرّني بِهِ وأرضي كيف لا ولولاه ما خلَقَ سماءً ولا أرضا وجعلني له مسجِداً وطَهوراً وأقرّ بِهِ عيني بُطونا وظهورا فأبرَقت (السّماء) وأرعدَتْ وأرغَتْ وأزبدَت وقالت إن لم تتخَطّ خُطّةَ المكابره وتتخلّى عن هذه المُثابره لأغرِقنّك في بحار طُوفاني أو أحرقنّك بصواعق نيراني وهل امتطيتِ السّما كين أو انتعَلتِ الفرْقَدَيْن حتى تفتخري عليّ وتشيري بالذّمّ إليّ وتلك شهادة لي بالكمال ولقد صدَق من قال

وإذا أتتكَ مذَمّتي من ناقصٍ فهيَ الشّهادة لي بأني كامِلُ

أم حسبْتِ أنّ لك في ذلك حجّة فخاطَرْت بنفسكِ في رُكوب هذه اللُّجة وكنتِ كالباحث عن حتفه بظِلْفه والجادِع مارِن أنفهِ بكفّه

لكلّ داءٍ دواءٌ يُستَطبُّ به إلاّ الحماقةَ أعيتْ منْ يُداويها

أمّا دعواكِ أني واقفةٌ لك على أقدام الخِدْمة فهي مما يوجبُ لي عليكِ شكر الفَضل والنّعمة فلو تفكّرْتِ أن خادم القوْم هو السّيّدُ والمولى وعَرَفت الفاضل من المفضول أو تدَبّرْتِ أن اليدَ العُليا خيرٌ من اليدِ السُفلى لاستَقَلْتِ من هذا الفُضول فان في قيامي يشؤونك أوضحَ أمارَة ـ وأمّا قولك مني سيّد الوُجودومن

اصطفاهم لحضرته الملكُ الودُود فان كنت تفتخرين بأشباحهم الظّاهرة فأنا أفتخرُ بأرواحهم الطّاهرَة أما علمتِ أنها فى مَلكوتى تغدُ وترُوح وبوارِدىْ بسطى وقَبضى تشدُو وتنوح فأنا أولى بهم وأحرى بالافتخار بجزئهم فلمّا سمعت (الأرض من السّماء) مقالة تقطُرُ من خلالها الدّماء أطرقت لمحة بارقٍ خاطف أو نَغْبَةَ طائرٍ خائف ثم قنّعتْ رأسها وصعدت أنفاسها وقالت لقد أكثرتِ يا هذه من اللّغط وما آثرتِ الصّواب على الغَلَط فعلامَ تهزئين بى وتَستخفّين بحَسَبى ونَسبى وإلامَ تنقضين عرَى أدلّتى ولا تعاملينى بالّتى وحتّام تُقابلينى بأنواع التّأنيب ولِم لا تقفى على حقيقتى بالتّنقير والتّنقيب أحسبتِ أن الجسم ما خُلقَ إلا عَبثاً ولا كان للنّفس النّفيسة إلا جَدثاً وفى مَيدانه تتسابقُ الفُهوم وتُدرَكُ عوارف المعارف والعلوم وبه تترَقّى الأرْواح فى مرَاقى الفلاح وكيف لا يكون مقدساً من كلِّ غىٍّ ومَينٍ وهو لا يفترُ عن تسبيح بارئهِ طرْفة عَينٍ والى متى أنتِ علىَّ مُتحاملة وعن آية العدْل والإحسانُ متماحلة وأنا لكِ أسمعُ من خادم وأطوعُ من خاتم على أن لى من الفضائل ما ثبتَ بأصحّ البراهين والدّلائل أمّا فِىَّ بقْعةٌ من أشرَف البقاع على الإطلاق لضمّها أعضاء مَن تمّمَ اللهُ به مكارِمَ الأخلاق وفىَّ رَوضةٌ من رِياض الجنّة كما أفصحَتْ عن ذلك ألْسِنةُ السّنة ومنّى الكعبة والمشْعَرُ الحرام والحَجَرُ وزَمزَمُ والرُكنُ والمقام وعلىّ بُيوتُ الله تُشَدّ اليها الرّحال ويُسبّحُ له فيها بالغُدُوّ والآصال رجال وأخرجَ منّى طيّبات الرّزق فأكرَم بها عبادَه وأتمّ نعمتَهُ عليهم فجعلَ الشّكر عليها عبادَه وناهيك بما اشتملتُ عليه من الرّياض والغِياض ذات الأنهار والحياض التى تَشفى بنسيمها العليل وتَنفى بِبرْد زُلالها حرّ الغليل

لِمَ لا أهيمُ على الرّياضِ وطيبِها وأظلُّ منها تحت ظلٍّ صافِ
والزّهرُ يضحكُ لي بثغرٍ باسمٍ والنهرُ يلقاني بقلبٍ صافِ

فأسفرتْ عن بدر طلعتها (السماء) وهي تزهو في بُرُد السنا والسناء وقالت تُناجي نفسها عند ما رقّ السمَر حتّامَ أُريها السُّهى وتُريني القمر ثم عطفتْ عليها تقول وهي تَسطو وتصول أيتها المتعدّية لمُفاضلتي والمتصدّية لمُناضلتي متى قِيسَ التُّرب بالعسجد أو شُبِّه الحصَى بالزّبرجد ان افتخرتِ بشَرَفِ هاتيك البقاع التي زها بها منك اليفاع والقاع فأين أنت من عرش الرحمن الذي تعكفُ عليه أرْواحُ أهل الايمان وأين أنت من البيت المَعمور والكرسي المكلل بالنُّور وكيف تفتخرين عليَّ بروضةٍ من رياض الجنة وهي عليَّ بأسرِها فضلاً مِنَ الله ومِنّة أم كيف تزعُمين أنه كُتِبَ لك بأوْفَر الحُظوظ وعندي القلم الاعلى واللوح المحفوظ وأما ازدهاؤك بالحياض والأنهار والرياضِ المُبتهجةِ بوُرُودِ الوَرْدِ والأزهار فليت شعِري هل حويت تلك المعاني الا بنفحات غيوثي وأمطاري أم أشرقتْ منك هاتيك المغاني الا بلمحات شموسي وأقماري فكيف تباهينني بما منحتك إيّاه وعطّرتْ أرجاءك بأريجِ نَشره وريّاه ويا عجباً منك كلّما لاحَ عليَّ شِعار الحزن خطَرت في أبهى حُلّة من حلُل الملاحة والحُسْن وان افترَّت ثُغُورُ بدُورِ أُنسي وقرَّتِ ببديع جمالي عين شمسي زَفَرْتِ زفرَةَ القيْظ وكِدْتِ أن تميّزي من الغيظ ما هذا الجفاء ياقليلة الوفاء وهل صفتْ أوقاتك الا بوجودي أو طابت أوقاتك الا بوابل كَرمي وجُودي ولو قطعْتُ عنك لَطائف الأمداد لخلعتِ ملابس الانس ولبستِ ثياب الحِداد أو حجبتُ عنك الشّموسَ والاقمار لما ميّزتِ بين الليل والنهار فهلاّ كنت بفضلي معترِفة حيث إنك منْ بحر فَيْضي مُغترفة

فتزعت (الأرض) عن مقاتلتها وعلمت أنها لا قبل لها بمقابلتها وحين عجزت عن العوم في بحرها واستسلمت تمائمها لسحرها بسطت لها بساط العتاب متمثلة بقول ذى اللطف والآداب

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

ثم قالت اعلمي أيتها الموسومة بسلامة الصدر الموصوفة بسمو المنزلة وعلو القدر أن الله ما قارن اسمى باسمك ولا قابل صورة جسمى بجسمك الا لمناسبة عظيمة وألفة بيننا قديمة فلا تشمتي بنا الأعداء وتسيئى الاحباء والأوداء فان ذلك من أعظم الرزايا وأشد المحن والبلايا

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء

ألا وان العبد محل النقص والخلل وهل يسوغ لأحد أن يبرئ نفسه من الزلل ومن يسلم من القدح ولو كان أقوم من القدح

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء فضلاً أن تعد معايبه

هذا ـ وان لى مفاخر لا تنكر وما ثر تجل عن أن تحصر كما أنك فى الفضل أشهر من نار على علم وأجل من أن يحصى ثناء عليك لسان القلم فالى متى ونحن فى جدال وجلاد نتطاعن بأسنة ألسنة حداد وهل ينبغى أن يجر بعضنا على بعض ذيل الكبر والصلف ولكن عفا الله عما سلف وهذه لعمرى حقيقة أمرى فانظرى إلى بعين الرضا واصفحى بحقك عما مضى ولما سمعت (السماء) هذه المقالة التى تجنح إلى طلب السلم والاقالة قالت لها مآرب لا جفاوة ومشرب قد وجدت له حلاوة وما ندبت اليه من المودة والألفة فلأمر ما جدع قصير أنفه ولو لم تلقى إلى القياد لعاينت منى ما دونه خرط القتاد ولكن لا حرج عليك ولا ضير فانك اخترت الصلح والصلح خير وكيف جعلت العتاب شرطاً بين

الأحباب أوَ ما سمعت قول بعض أولى الألباب

اذا كنتَ فى كلّ الأمور معاتباً   صديقك لم تلقَ الذى لا تعاتبه

وان أنت لم تشربْ مراراً على القذَى   ظمئتَ وأىُّ الناس تصفو مشاربُه

وهأنا رادّةٌ اليك عوائد إحساني وموائدَ جودى وآمتنانى فقرّى عيناً وطيبِى نفساً وتيهى ابتهاجاً وأنساً وأبشرى ببُلوغ الوَطَر وزوال البُؤس والخطَر فسجدتِ الأرض شكراً وهامَت نشوَةً وسُكراً وتهلَّل وجهها سرُوراً وأمتلأت طرَباً وحبُورا

﴿ مناظرة بين فصول العام لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٤٠١ هـ ﴾

(قال الرَّبيع) أنا شابُّ الزَّمان وروْح الحيوان وإنسانُ [١] عين الانسان أنا حياةُ النُّفوس وزينةُ عَرُوس الغُرُوس ونُزْهة الأبصار ومنْطِقُ الأطيار عَرْفُ [٢] أوقاتي ناسِم وأيامى أعيادٌ ومواسِم فيها يظهرُ النَّبات وتُنْشرُ [٣] الأموات وتُردُّ الوَدائع وتتحرَّكُ الطَّبائع ويَمْرَحُ [٤] جنيب [٥] الجَنوب [٦] ويَنزحُ [٧] وَجيبُ [٨] القلوب وتَفيضُ عيونُ الأنهار ويَعتَدِل اللّيل والنَّهار كم لى عِقدٌ منظوم وطِرازٌ وَشْيٍ مرقوم وحُلةٌ فاخرة وحلْيَةٌ ظاهرة ونَجمُ سعد يُدْنى راعيَه من الأمل وشمس حُسن تنشِدُنا [٩] يا بُعد ما بين بُرْج الجدْى [١٠] والحَمَل [١١] عساكرى منصورة وأسلحتى مشهورة فمن سيف غُصن مُجَوْهر ودِرْع بنفسج مُشهَّر ومِغفر [١٢] شقيقٍ [١٣] أحمر وتُرْس بَهار يَبْهر وسَهم آس يرْشُقُ فينشَقُّ ورُمح سوْسَن [١٤] سِنانه أزرق

(١) مايرى في السواد (٢) الريح الطيبة (٣) تحيا (٤) ينشط (٥) مجنوب والجنوب ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا (٦) ريح تخالف الشمال ومنه اذا جاءت الجنوب جاء معها خير كثير (٧) يبعد ويذهب (٨) كثرة خفقانها (٩) تطلبنا (١٠) نجم الى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة يقال له جدي الفرقد (١١) برج في السماء من البروج الربيعية (١٢) زرديتسج من الدروع على قدر الرأس (١٣) شقائق النعمان وهو نبت أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة (١٤) نبات طيب الرائحة

تحرسها آيات وتكتنفها ألوية ورايات بي تحمر من الورد خدوده وتهتز من البان قدوده ويخضر عذار الريحان وينتبه من النرجس طرفه الوسنان(١) وتخرج الخبايا من الزوايا ويفتر ثغر الأقحوان (٢) قائلا أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

إن هذا الربيع شيء عجيب ... يضحك الأرض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر ... حيث درنا وفضة في الفضاء

(وقال الصيف) أنا الخل الموافق والصديق الصادق والطبيب الحاذق أجتهد في مصلحة الأحباب وأرفع عنهم كلفة حمل الثياب وأخفف أثقالهم وأوفر أموالهم وأكفيهم المؤونة وأجزل لهم المعونة وأغنيهم عن شراء الفرا واحقق عندهم أن كل الصيد في جوف الفرا نصرت بالصبا وأتيت الحكمة في زمن الصبا بي تتضح الجادة (٣) وتنضج من الفواكه المادة وتزهو البسر والرطب وينصلح مزاج العنب ويقوى قلب اللوز ويلين عطف التين والموز وينعقد حب الرمان فيقمع الصفراء ويسكن الخفقان وتخضب وجنات التفاح ويذهب عرف(٤) السفرجل مع هبوب الرياح وتسود عيون الزيتون وتخلق تيجان النارنج والليمون مواعدي منقودة وموائدي ممدودة الخير موجود في مقامي والرزق مقسوم في أيامي

الفقير ينصاع (٥) بملء مده وصاعه والغني يرتع في ربع ملكه وأقطاعه

والوحش تأتي زرافات ووحدانا (٦) والطير تغدو خماصا وتروح بطانا (٧)

مصيف له ظل ظليل على الورى ... ومن حلا طعما وحلل أخلاطا

يعالج أنواع الفواكه مبديا ... لصحتها حفظا يعجز بقراطا(٨)

(١) النعسان الثقلان (٢) البابونج نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر (٣) الطريق (٤) رائحته الطيبة (٥) ينتقل راجعا مسرعا (٦) جماعات (٧) تذهب جائعة وترجع ممتلئة (٨) بقراط الحكيم اليوناني وهو لفظ يوناني معناه ماسك الصبح

(وقال الخريف) أنا سائق الغيوم وكاسر جيش الغموم وهازم أحزاب السموم [١] وحادى نجائب السحائب وحاسر نقاب المناقب أنا أصد الصدى [٢] وأجود بالندي وأظهر كل معنى جلي وأسمو (بالوسمي [٣] والولى) فى أيامى تقطف الثمار وتصفو الأنهار من الأكدار ويترقرق [٤] دمع العيون ويتلون ورق الغصون طورا يحاكي البقم وتارة يشبه الأرقم وحينا يبدو فى حلته الذهبية فيجذب الى خلته القلوب الأبية وفيها يكفي الناس هم الهوام ويتساوي فى لذة الماء الخاص والعام وتقدم الأطيار مطربة بنشيشها رافلة فى الملابس المجددة من ريشها وتعصر بنت العنقود وتوثق فى سجن الدن بالقيود على أنها لم تجترح إثما ولم تعاقب إلا عدوانا وظلما بى تطيب الأوقات وتحصل اللذات وترق النسمات وترمى حصى الجمرات وتسكن حرارة القلوب وتكثر أنواع المطعوم والمشروب كم لى من شجرة أكلها دائم وحملها النفع المتعدي لازم وورقها على الدوام غير زائل وقدود أغصانها تخجل كل رمح زابل

إن فصل الخريف وافى الينا ... يتهادى فى حلة كالعروس
غيره كان للعيون ربيعا ... وهو ما بيننا ربيع النفوس

(وقال الشتاء) أنا شيخ الجماعة ورب البضاعة والمقابل بالسمع والطاعة أجمع شمل الأصحاب وأسدل عليهم الحجاب وأتحفهم بالطعام والشراب ومن ليس له بى طاقة أغلق من دونه الباب أميل الى المطيع القادر المستطيع المعتضد بالبرود والفرا المتمسك من الدينار بأوثق العرى ومن يعش عن ذكرى ولم يمتثل

---

(١) الريح الحارة (٢) العطش (٣) المطر الذي يأتي في الخريف والولي المطر الذي يأتي بعده
(٤) ترقرق الدمع في العين تحرك

أمري أ جفنتهُ بصوت الرّعد وأنجزتُ له من سيف البرق صادق الوعد وسرتُ اليه بعساكر السّحاب ولم أقنع من الغنيمة بالإياب معروفي معروف ونَيْل نيلي موصوف وثمار احساني دانية القُطوف كم لي من (وابل) طويل المَدى (وجَود) وافرِ الجدا (وقَطر) حلا مذاقه (وغَيثٍ) قيد العُفاة اطلاقهُ (وديمةٍ) تُطْرِبُ السمع بصوتها (وحيَا) يُحيي الأرضَ بعد موتها أيامي وجيزة وأوقاتي عزيزة ومجالسي معمورةٌ بذوي السّيادة معمورَة بالخير والمير والسعادة نقلُها يأتي من أنواعه بالعجب ومناقِلُها تسمحُ بذهب اللّهب وراحُها تنعشُ الأرواح وسقاتُها بجفونهم السّقيمة تفتن العقول الصّحاح ان رُدتها وجدتَ مالاً ممدوداً وان زُرتها شاهدتَ لها بنين شهوداً

﴿ وكتب بعضهم مناظرة بين البرّ والبحر ﴾

قال (البرّ) ياصاحب الدُّر ومعدن الدُّر أطرقت رياضي ومزّقت حسوري وأحواضي وأغرقت جنّتي ودَخلت جنتي وتلاطمت أمواجك على جُنّتي وأكلت جزائري وجروفي وأهلكت مرعى فصيلي وخرُوفي وأهزلت ثوري وحَملي وفرسي وجَملي وأجريت سفُنك على أرض لم تجر عليها ولم تمِل طرف غرابها اليها وغرست أوتادها على أوتاد الأرض وعرّست في مواطن النفل والفرض وجعلت مَجرى مراكبك في مَجرى مراكبي ومشى حُوتُك على بطنه في سعد أخبية مضاربي وغاص ملاحك في ديار فرحي وهاجرت من القُرى الى أم القرى وحملت فلاحي أثقاله على القرى وَقد تلقّيتك من الجنادل بصدري وحملتك الى برزخك على ظهري وقبلت أمواجك بثغري وخلقت مقياسي فرحًا بقدومك الى مصري وقد جُرت وعدلت وفعلت ما فعلت فلملك تغيض ولا يكون ذهابك عن ذهاب

بغيض أو تفارق هذه الفجاج وتختلط بالبحر العجّاج وان لم تفعل شكوناك الى من أنزلك من السماء وأنعم بك علينا من خزائن الماء

اذا لم تكن ترحم بلاداً ولم تغث عباداً فولاهم يغيث ويرحم
وان صدرت منهم ذنوب عظيمة فعفو الذى أجراك يا بحر أعظم
نمدّ اليه أيديا لم نمدّها إلى غيره والله بالحال أعلم

قال (البحر) يابرّ يا ذا البر ومنبت البرّ هكذا تخاطب ضيفك وهو يخصب شتاءك وصيفك وقد ساقنى الله الى أرضك الجرز ومعدن الدرّ والخرز لأبهج زرعها ونخيلها وأخرج أبّها ونخيلها وأكرم ساكنك وأنزل البركة فى أماكنك وأثبت لك فى قلب أهلك أحكام المحبّة وأنبت بك لهم فى كل سنبلة مائة حبة وأحييك حياة طيّبة يبتهج بها عمرك الجديد ويتلو (كذلك يحيي الله الموتى) ألسنة العبيد وأطهرك من الأوساخ وأحمل اليك الابليز فأطيبك به من عرق السّباخ وأنا هدية الله الى مصرك وملك عصرك القائم بنصرك ولولا بركاتى عليك ومسيرى فى كل مسرى اليك لكنت واديا غير ذى زرع وصاديا غير ذى ضرع

سريت أنا ماء الحياة فلا أذى إذا ما حفظت الصحب فالمال هيّن
فكن خضراً يابر واعلم باننى الى طينك الظمآن بالرّى أحسن
وأسعى اليه من بلاد بعيدة وأحسن أجرى بالتى هي أحسن
اذا طاف طوفانى بمقياسك الذى يسرّ باتيان الوفاء ويعلن
فقم وتلقّاه ببسطتك التى لروضتها فضل على الروض بيّن

ولعمرى لقد تلطّف (البرّ) فى عتابه وأحسن ودفع (البحر) فى جوابه

بالتى هى أحسن وقد اصطلحا وهما بحمد الله أخوان متضافران على عمارة بلاده ونشر الثروة ونمو الخيرات بين عباده فالله تعالى يخصب مرعاهما ويحرسهما ويرعاهما

﴿ وكتب بعض الادباء مناظرة بين الهواء والماء ﴾

الحمد لله الذى رفع فلك الهواء على عنصر التراب والماء «أمّا بعد» فأنا (الهواء) الذى أؤلف بين السحاب وأنقل نسيم الأحباب وأهبّ تارةً بالرحمة وأخرى بالعذاب وأنا الذى تسيرى الفلكُ فى البحر كما تسيرُ العِيس فى البطاح وطار بى فى الجوّ كلّ ذى جناح وأنا الذى يضطربُ منّى الماء اضطراب الأنابيب فى القنا اذا صفوتُ صفا العالم وكان له نضرة وزهواً واذا تكدّرتُ انكدرت النجوم وتكدّر الجوّ لا أتلوّن مثل الماء المتلوّن بلون الإناء — لولاىَ ما عاش كلُّ ذى نفس ولولاىَ ما طاب الجوُّ من بخار الأرض الخارج منها بعد ما احتبس ولولاىَ ما تكلّم آدمىٌّ ولا صوّت حيوان ولا غرّد طائرٌ على غصن بان ولولاىَ ما سُمع كتابٌ ولا حديث ولا عُرف طيب المسموع والمشموم من الخبيث ، فكيف يفاخرنى الماء الذى اذا طال مكثه ظهر خبثُهُ وعلتْ فوقه الجيفَ وانحطّت عنده اللآلئ فى الصدف فقال (الماء) الحمد لله الذى خلق كلّ حىّ (أمّا بعد) فأنا أوّل مخلوق ولا فخر وأنا لذة الدّنيا والآخرة ويوم الحشر وأنا الجوهر الشفّاف المشبّه بالسّيف اذا سُلّ من الغلاف ، وقد خلق الله فىّ جميع الجواهر حتّى اللآلئ والأصداف ، أحيى الأرض بعد مماتها وأخرج منها للعالم جميع أقواتها وأكسو عرائس الرياض أنواع الحُلل وأنثرُ عليها لآلئ الوَبل والطّلل حتى يُضرَبَ بها فى الحسن المَثل كما قيل

إن السّماء اذا لم تبك مُقلتُها لم تَضحك الأرض عن شىء من الزّهر

فكيف يُنكِرُ فضلى مَنْ دَبّ أو دَرَج وأنا البحرُ الذي قيل عنهُ في الأمثال (حدّث عن البحر ولا حرَجَ) وأمَّا أنت أيها الهواء فطالما أهلكتَ أُمماً بسُمومك وزَمهريرك ولا تقومُ جنّتُك بسعيرك

وأما قولك لولاى ما عاش إنسان ولا بقيَ على الأرض حيوان فجوابُهُ « لوشاء الله تعالى لعاش العالم بلا هواء كما عاش عالَم الماء فى الماء » وأنشدُكَ الله أما رأيتَ ما حباني اللهُ به من عظيم المِنّة حيثُ جعلنى نهراً من أنهار الجنّة أنا أرفعُ الاحداث وأُطهِّرُ الأخباث وأجلو النّظر وأُزيلُ الوضر أما رأيتَ الناسَ اذا غِبتُ عنهم يتضرّعون إلى الله بالصّوْم والصلاة والصَّدَقة والدُّعاء ويَسألونه تعالى إرسالى من قِبَل السّماء — واعلَمْ أنّى ما نِلتُ هذا المقامَ الذى ارتفعتُ به على أبناء جنسى إلا بانحطاطى الذى عَيَّرْتَنى به وتواضُعى وهَضْم نَفْسى

وقد كثُرَ بينهما النّزاع والجِدال حتى حكَم بينهما أميرٌ وقال

إن كُلاًّ منكما مُحِقٌّ فيما يدّعيه فما أشبهكما فى السّماء بالفرقَدَين وفى الأرض بالعَينين إلا أن مِرآة الحقّ أرتْنى فضيلةً تفضلُ بها أيها الماء أخاك الهواء وحققتَ لى بأنكما لَستُما فى الفضل سواء وهى (أن اللهَ تعالى خَلَق آدمَ من الماء) فاعترِف لأخيك بالفَضل والذّكاء

﴿ وكتب المقدسى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ مناظرة بين الجمل والحِصان ﴾

قال « الجمل » أنا أحملُ الاحمال الثّقال وأقطعُ بها المراحل الطّوال وأكابدُ الكلال وأصبرُ على مُرِّ النّكال ولا يَعتريني من ذلك مَلالَ وأصُول صولة الادلال بل أنقادُ للطّفل الصّغير ولو شئتُ استصعبت على الأمير الكبير فأنا الذّلول وللاثقال حمول استُ بالخائن ولا الغلول ولا الصّائل عند الوُصول أقطعُ فى الوُحول ما يَعجزُ عنه الفحول وأُصابر الظلماء فى الهواجر ولا أُحول فاذا قَضيتُ حقّ صاحبى

وبلغتُ مآربي ألقيتُ حبلي على غاربي وذهبتُ في البوادي أكتسبُ من الحلال زادي فان سمعتُ صوتَ حادي سلّمتُ اليه قيادي وواصلتُ فيه سهادي وطلّقتُ طيبَ رُقادي ومددتُ اليه عُنقي لبلوغ مُرادي فأنا إن ضللت فالدّليل هادي وإن زللتُ أخذ بيدي من اليه انقيادي وإن ظمئتُ فذكر الحبيب زادي وأنا المسخرُ لكم بإشارةِ (وتحملُ أثقالكم) فلم أزل بين رحلة ومقام حتى أصِل الى ذلك المقام

فقال (الحصان) أنا أحمل على كاهلي فأجتهدُ به في السير وأنطلقُ به كالطير أهجُم هجومَ الليل وأقتحمُ اقتحام السّيل فان كان طالبًا أدركَ فيّ طلبه وإن كان مطلوبًا قطعتُ عنه سببه وجعلتُ أسبابَ الردى عنه محتجبه فلا يُدركُ منّي الا الغبار ولا يسمعُ عنّي الا الأخبار وان كان الجمل هو الصابر المجرّب فأنا السابق المقرّب وان كان هو المقتصد اللاحق فأنا المقرّب السابق فاذا كان يوم اللقاء قدمتُ أقدامَ الواله وسبقتُ سبقَ نباله وذلك متخلّفٌ لثقل أحماله وان أوثقَ سائسي قيدي وأمنَ قائدي كيدي أوثقتُ بشكالي لكيلا أحول على أشكالي وألجمتُ بلجامي كيلا أغفلَ عن قيامي وانعلت الحديدَ أقدامي كيلا أكلّ عن إقدامي فأنا الموعودُ بالنّجاه المعدُودُ لنيل الجاه المشدودُ للسّلامه المقصود للكرامه قد أجزل النعم على إنعامه وأمضى بالعناية الازليّة أحكامه فانّ الخيرَ معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة خُلقتُ من الريح وأُلهمتُ التّسبيح وما برح ظهري عزّا وبطني كنزاً وصهوتي حرزاً فكم ركضتُ في ميدان السّباق وما أبديت عجزا وكم حززتُ رؤوس أهل النّفاق حزًّا وكم أخليت منهم الآفاق (هل تحسّ منهم من أحدٍ أو تسمعُ لهم ركزا)

الفن الثالث في الامثال

المَثَل عبارة عن تأليف لا حقيقة له في الظاهر وقد ضُمِّنَ باطنُه الحكم السَّامية وهي ثلاثة أقسام مُفتَرَضَةٌ ممكنة ومُختَرعةٌ مستحيلة ومختلطة

فالأمثال المفتَرَضة الممكنة هي ما نُسِبَ فيها النُّطق والعمل الى عاقل.[1] والمختَرَعة المستحيلة ما جاءت على ألسنة الحيوانات والجَمَادات فيُعزى لها النطق والعمل لإرشاد الانسان

والمختلطة ما دار فيها الكلام أو العمل بين النَّاطق وغير الناطق

وشروط المثل أربعة « الأول » أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليُفضي المقصود منه الى ذهن السامع « الثاني » أن لا يكون مُسهَبًا مُملاً « الثالث » أن يُبْهِج السَّامع بِطَلاوته ويفيكه فِكرَته بهزل كلامه وابتكار معانيه ويَضبُطَ عقله في فهم الرِّواية المختلقة وفضِّ مشكلها « الرَّابع » أن يُورَدَ بصُورةٍ مُحتملة وفوائد المثل جمَّة منها نُزهة البال وترويح الخاطر ومنها استقصاء الحكم ـ وهي قديمة العهد جداً ولا يعرف اسم أول من تكلمَ بها وكما تكون نثرا تكون نظماً ـ ولنذكر لك من الأمثال ماطاب وراق فنقول

أمثال القرآن الكريم

أمثال القرآن الشريف قسمان ظاهر مصرّح به وكامن لا ذكر للمثَل فيه

أما أمثاله الظاهرة فكقوله تعالى في شأن المنافقين (مَثَلهم كمَثَل الذي استَوقد نَاراً فلما أضاءتْ ما حَوْله ذهبَ الله بنُورهم وتركهم في ظُلُمات لا يُبصرون صُمٌّ

(١) وتختلف عن الحكاية من وجهين الاول ان لها مغزى والثاني كونها غير واقعة وان كانت في حيز الامكان

بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيّب (١) من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) وقوله تعالى في شأن الذي ينفق أمواله ابتغاء مرضاة الله والذي ينفقها رياء (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان (٢) عليه تراب فأصابه وابل (٣) فتركه صلداً (٤) لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة (٥) أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل (٦) والله بما تعملون بصير، أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار (٧) فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

وقوله تعالى في تمثيل الحق والباطل (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً (٨) رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء (٩) وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال

وقوله تعالى في تمثيل الحكمة وضدها

---

(١) مطر (٢) حجر املس (٣) مطر شديد (٤) صلباً نقياً من التراب (٥) مكان مرتفع (٦) مطر خفيف (٧) ريح شديد (٨) ما يعلو على وجه الماء من قذر ونحوه (٩) باطلاً مرمياً به

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت (١) من فوق الارض مالها من قرار)

وقوله جل شأنه فى حال الكفار وما يعبدون من دون الله

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وقوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وقوله تعالى فى أن عمل الكافر يذهب هباء تذروه الرياح

(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ) وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب (٢) بقيعة (٣) يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى (٤) يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب. ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

وقوله تعالى فى أن الدنيا ظل زائل وخيال باطل

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما (٥) تذروه الرياح) وقوله تعالى (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب

(١) قطعت من اصلها (٢) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهار (٣) جمع قاع وهو الارض المستوية (٤) عميق (٥) يابساً متفرقة اجزاؤه

ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفارَ نباتُهُ ثم يهيجُ فتراه مُصفرّاً ثم يكون حُطَاماً (١))

وأما أمثاله الكامنة فهى الآداب البارعة والحكم الباهرة فمن ذلك قوله تعالى

ليس لها من دون الله كاشفة	لكلّ نبأٍ مُستقرّ
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبُّون	هل جزاء الأحسان إلا الإحسان
الآن حصحص الحقّ	كم من فئةٍ قليلة غلَبت فئة كثيرة
وضرب لنا مثلا ونسِيَ خلقَه	آلآن وقد عصيْت قَبلُ
ذلك بما قدّمت يداك	تحسبهم جميعاً وقلوبُهم شتّى
قُضِيَ الأمرُ الذى فيه تستفتيان	ولا يُنبئك مثلُ خبير
أليس الصُّبح بقريب	كل حزبٍ بما لديهم فرحون
وحيل بينهم وبين ما يشتهون	ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم
وقليلٌ من عبادىَ الشّكور	ماعلى الرسول إلا البلاغُ
ولا يَحيقُ المكر السّيئ إلا بأهلِه	ما على المحسنين من سبيل
قل كلٌّ يعملُ على شاكلته	لا يكلّف الله نفساً الا وُسعَها
وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم	لا يستوى الخبيث والطّيب
	ظهر الفساد فى البر والبحر
	لمثل هذا فليعمل العاملون
كلّ نفس بما كسبت رهينة	فاعتبروا يا أولى الأبصار

(١) فتاتاً

جملة من أمثال العرب والمولدين	ما يماثلها من القرآن الكريم
القتل أنفى للقتل	ولكم فى القِصَاص حياةٌ
إن عادت العقرب عُدنا لها	وإن عُدتم عُدنا. وإن تعودوا نَعُد
إن غداً لناظره قريب	أليسَ الصبحُ بقريب
قد وضح الأمر لذى عَينين	الآن حَصْحَصَ الحق
أعطِ أخاك تمرة فان أبى فجمرة	ومَن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شَيطاناً
سَبَق السيف العَذل	قُضِىَ الأمر الذى فيه تَستَفتِيَان
قد حِيل بين العَيرِ والنَّزوان	وحِيل بينهم وبين ما يَشتَهون
عادت غيث على ما أفسد	ثم بدّلنا مكان السّيئة الحسنة
لكلّ مقامٍ مقال	لكل نبأ مُستقر
مصائبُ قوم عند قوم فوائدُ	وأن تُصِبهم سَيئة يفرَحوا بها
من حفر لأخيه بئراً وقع فيها	ولا يَحيقُ المكرُ السيّئ الا بأهله
كُل البقل لا تسأل عن المبقلة	لا تسألوا عن أشياء ان تُبدَ لكم تَسُؤكم
المأمولُ خير من المأكول	وللآخرةُ خيرٌ لك من الأولى
لو كان فى اليوم خير ما سلم على الصّياد	ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم
الكلب لا يصيد كارهاً	لاَ إكراهَ فى الدّين
كلّ شاة ستناط برجليها	كل نَفس بما كسبت رَهينةٌ
عند الخناز ير تنفق العَذرة	الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات

الفن الرابع فى الأوصاف

الوصف [1] عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضُروب نعوته الممثّلة له وأصوله ثلاثة « الأوّل » أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عمّا سواه « الثانى » أن يكون ذا طلاوة ورَونق « الثّالث » أن لا يخرج فيه إلى حدُود المبالغة والأسهاب ويكتفى بما كان مناسباً للحال وأنواعه كثيرة ولكنها ترجع الى قسمين وهما وصف الاشياء ووصف الأشخاص أمّا الأشياء الحرِيّة بالوصف فهى كالأمكنة والحوادث ومناظر الطّبيعة

وأمّا وصف الاشخاص فيكون بوصف الصُّورة أو الطبع أو بوصفهما معاً

ولنذكر لك فِقراً جارِية على ألسنة البُلغاء فى صِفات شتى ثم نتبعْها بمقالات فى الوصف نَثراً ونَظماً

وصف البُلْدان

بَلدَةٌ كأنّها صُورة جنَة الخُلد مَنقوشةً فى عُرْض الأرض ، بلدةٌ كأن مَحاسِنَ الدُّنيا مجموعةٌ فيها ومَحصورة فى نواحِيها ، بلدةٌ ترابُها عَنبر وحَصْباؤُها عقيق ، وهوَاؤها نَسيم وماؤها رَحيق ، بلدة مَعشوقة السُّكنى رَحْبة المثوى [2] كَوكبها يَقظان وجوُّها عُرْيان ، يومُها غَدَاةٌ وليلُها سَحَر ، بلدة واسِعةُ الرُّقعة طَيِّبة البُقعة ، واسطة البلاد وسُرّتها ووجهُها وغُرّتها

وصف القلاع

قَلعة حلّقت [3] بالجوّ تُناجي السَّماء بأسرارها ، قلعة تَتوشّحُ بالغُيوم وتجتلى

---

(١) احسن طريقة للاجادة فى الوصف ان ترسم اولاً في بدأ وصفك نظراً عاماً جامعاً لمجمل الامر الذي تحاول وصفه ثم تأخذ بأيراد مختلف الاجزاء قسما فقسما وذلك اما على تتابع ورودهذه الأجزاء وأما بتقديم أهم الاجزاء او ايثار ما كان يراه الكاتب أشد مناسبة لغايته (٢) الاقامة (٣) ارتفعت

النُّجوم، قلعةٌ مُتناهيةٌ فى الحصانة مُمتنِعةٌ عن الطَّلب والطَّالب منصوبة على أضيَق المَسالك وأوعر المَناصب، لم تزدها الايَّام إلا نبُوًّا(١) أعطاف واستِصْعاب جوانبَ وأطراف، قد ملَّ المُلوكُ حِصارَها ففارَقوها عن طِماح (٢) منهـا وشِمَاس (٣) وَسئِمَت الجُيوش ظِلَّها فغادرَتها(٤) بعد قُنُوط ويأس، فهى حِمًى لا يُراع (٥) ومَعقِلٌ لا يُستطاع، كأنَّ الأيام صـالحتها على الإعفاء من الحوادث والليالى عاهدَتها على التَّسليم من القَوارع (٦)

وصف الدُّور

دارٌ قَرارٍ تُوسِعُ العين قُرَّة والنَّفسَ مَسرَّةً، كأنَّ بانيها استَسلفَ الجنَّة فعجِّلت له، دارٌ تخجلُ منها الدُّور وتَتَقاصر عنها القصور، دارٌ قد اقترَن اليُمن(٧) بيُمناها واليُسْرُ بيُسْرَاها الجُسوم منها فى حَضَر والعُون على سَفر، دارٌ دارَ بالسعد نجمُها وفاز بالحسن سَهمُها يخدُمُها الدَّهر ويأويها البَدر ويَكنفُها النَّصر، هى مَرتَع النَّواظر ومُتنفَّس الخواطر، أخـذَت أدوات الجِنان وضحِكت من العَبقَرِىِّ(٨) الحِسان

وصف الدِّيار الخالية

دارٌ لَبِسَت البِلى وتعطَّلت من الحِلَى، صـارتْ من أهلها خالية بعدما كانت بهم حالية، قَدْ أنفدَ البَين سُكَّانَها وأقعد حِيطانَها، دارٌ شاهدُ اليأس منها يَنطِقُ وحبلُ الرَّجاء فيها يَقصُرُ، كأن عمرَانهـا يُطوَى وخرَابها يُنشَر أركانها قِيامٌ وقُعود وحِيطانُها رُكَّع وسُجود

بَكتْ دارُهم من بَعدهم فتهلَّلت دُموعى فأىَّ الجازعين ألومُ

(١) بعدا (٢) كبر وفخر (٣) اباء وامتناع (٤) تركتها (٥) لا يفزع ولا يخاف فيها احد
(٦) الحوادث والنوائب (٧) البركة (٨) البسط المعجب شكلها

أمستعبراً يبكي على اللهو والبلى أم آخر يبكي شجوه فيهم

وصف أيام الربيع

يومٌ جلابيبُ غيومه رِقاق(١) وأرديةُ نسيمه رِقاق، يومٌ سماؤه فاختية وأرضه طاوُوسية، يوم مُمسّك السماء معصفر الهواء مُعنبر الروض مُصندل الماء، يومٌ تبسّم عنه الربيع وتبرّج عنه الروضُ الأريع، يوم كأنّ سماءه مُجِدّة تتباكى وأرضه عروسٌ تتجلّى، يومٌ دَجْنه(٢) حاكف وقطره واكف(٣)

وصف الرياض

روضةٌ رقّت حواشيها وتأنّق واشيها(٤) روضة كالعقود المُنظّمة على البُرود المُنمنمة، روضة قد راضتها كفُّ المطر ودبّجتها أيدي النّدى، رياضٌ كالعرائس في حَلْيها وزخارفها والقيانِ(٥) في وَشْيها ومَطارفها(٦) باسطةٌ زرابيّها وأنماطها ناشرة بُرودها ورِياطها زاهية بحمرائها وصفرائها تائهةً بعيدانها وغُدرانها كأنما احتفلت لوفد أو هي من حبيب على وَعْد، روضة قد تضوّعت(٧) بالأرَج(٨) الطيّب أرجاؤها وتبرّجت(٩) في ظُلَل الغمام صحراؤها وتنافحت بنوافح المسك أنوارُها وتعارضت بغرائب النُّطق أطيارها، بُستانٌ أنهارُه محفوفة بالأزهار وأشجاره مُوقرةٌ بالثمار، أشجارٌ كأنّ الحورَ أعارتها قدودَها وكستها بُرودَها وحلّتها عُقودها، شقائقُ كتيجان العقيق على رُؤوس الزّنوج كأنها أصداغ المسك على الوَجنات المُورّدة كأنّ الشقيق جامٌ(١٠) من عقيق أحمر مُلئت

(١) الكساء المرسل على مقدم البيت من اعلاه الى الارض (٢) الغيم (٣) سائل (٤) حائكها وناقشها (٥) جمع قين للمغنية (٦) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه اعلام والزرابى البسط والانماط الاثواب التي تطرح على الهوادج والرياط الاثواب الرقاق (٧) تحركت (٨) نفحة ريح الطيب (٩) تزينت (١٠) اناء .

قرارته بمسك أذفر ، الأرض زمردة والأشجار وشي والماء سيوف والطيور قيان (١) قد غردت خطباء الأطيار على منابر الأنوار والأزهار

﴿ وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر ﴾

ليلة قص جناحها وضل صباحها ، ليال ليست لها أسحار وظلمات لا يتخللها أنوار ، ليل ثابت الأطناب (٢) بطيء الغوارب طامح الأمواج وافي الذوائب بات بليلة ساورته (٣) فيها الهموم وسامرته النجوم واكتحل السهاد وافترش القتاد اكتحل بماء السهر وتململ على فراش الفكر قد أقض مهاده (٤) وقلق وساده هموم تفرق بين الجنب والمهاد وتجمع بين العين والسهاد

﴿ وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأفول النجوم ﴾

قد اكتهل (٥) الظلام قد نصفنا عمر الليل واستغرقنا شبابه قد شاب رأس الليل كاد ينم النسيم بالسحر قد انكشف غطاء الليل وستر الدجى : هرم الليل وشمطت ذوائبه ، قوضت (٦) خيام الليل وخلع الأفق ثوب الدجى تبسم الفجر ضاحكا من شرقه ونصب أعلامه على منازل أفقه ، اقتنص بازي الضوء غراب الظلام وفض كافور النور من الغسق مسك الختام طرز قميص الليل بغرة الصبح ، باح الصبح بسره ، خلع الليل ثيابه وحدر (٧) الصبح نقابه بث الصبح طلائعه تبرقع الليل بغرة الصبح أطار منادي الصبح غراب الليل عزلت نوافج الليل بجامات الكافور وانهزم جيش الظلام عن عسكر النور مالت الجوزاء (٨) للغروب وولت مواكب الكواكب وتناثرت عقود النجوم وهي نطاق الجوزاء وانطفأ قنديل الثريا

(١) مغنيات (٢) جبال الخيمة (٣) شغلته وقاومته (٤) خشن وترب (٥) صار كهلا تشبيهاً بالرجل الكهل وهو من جاوز الاربعين سنة (٦) هدمت (٧) انزل (٨) برج في السماء

﴿ وصف طلوع الشمس وغروبها ﴾

بدَا حاجبُ الشّمس ألقت الغزَالة (١) لُعابَها وضربت الضّحى أطنَابها انتشرَ جنَاح الضوّ فى أُفق الجوّ استوَى شبابُ النّهار على رَونق الضحى بلغت الشّمسُ كَبِدَ السّماء قام قائمُ الهاجِرَة ورَمت الشّمس بجمَرَات الظُّهر اصفرّت غِلالةُ (٢) الشّمس وصارت كأنها الدّينارُ يلمع في قرار الماء نفَضتْ تِبراً على الأصيل وشدّت رَحلها للرّحيل جَنحت الشّمس إلى مغاربها دَلكَتْ (٣) دَاوح (٤) واغبرّ لوْحُ اللُّوح (٥) تصوّبت الشمس للمَغيب تَضيفَّت للغرُوب فآذن جنبُها بالوُجوب (٦) شاب النّهار وأقبلَ شابُ الليل استَتَر وجهُ الشّمس بالنِقاب وتَوارت بالحِجاب كأن هذا الامرَ من مَطلع الفلق إلى مجمع الغسَق

﴿ وصف الرعد والبرق ﴾

قامَ خطيبُ الرَّعد نَبضَ (٧) عِرْق البَرْق ، سحابة إرتجزَت (٨) رُعودُها وذهّبتْ ببرُوقها بُرُدُها ، نَطق لسانُ الرَّعـد وخفَقَ قلبُ البرق ، فالرّعد ذُو صَخَب (٩) والبَرق ذو لَهَب ، ابتسم البرق عن قهقهة الرّعد ، زأرتْ أُسود الرّعد ولمعت سيُوفُ البَرق رَعدَت الغَمام وبَرَقت ، وانحلّت عُرى السماء فطبقت هَدرَت رَواعدُها وقرُبت أباعدُها وصَدقَتْ مواعدُها

﴿ وصف مقدمات المطر ﴾

لَبست السّماء سِربالها وسَحَبت السّحائبُ أذيالَها قد احتَجَبت السّماء فى سُرادِق الغيم ، لبسَ الجوّ مطرَفَه (١٠) الادكَن (١١) باحتِ الرِّيحُ بأسرَار النّدَى

---

(١) الشمس (٢) الثوب (٣) غربت (٤) السحابة (٥) لوح واللوح كلاهما الهواء بين السماء والارض (٦) وجبت الشمس وجيباً ووجوباً غابت (٧) تحرك (٨) تداركت اصواتها (٩) ذو صوت شديد (١٠) رداء من خز مربع (١١) المائل الي السواد

ضُربت خَيمةُ الغَمام، ابتلَّ جناح الهواء واغرورقت مُقلة السَّماء هبَّت شمائل الجنائب لتأليف شَمل السَّحائب، تألَّفت أشتات الغُيوم وأُسبلت الستور على النجوم

﴿ وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء ﴾

مدَّ الشتاء رِواقه وألقى أرْواقه [1] وحلَّ نطاقه أناخ بنوازله وأرسى بكلاكله وكلَح بوجهه وكشر عن أنيابه قد عادت الجبال شيبا ولبست من الثلوج ملاءً قَشيبا [2] شابت مفارق البروج بتراكم الثلوج ألمَّ الشيب بها وابيضت لِمَمُها [3] بَرْدٌ يُقضقِض [4] الأعضاء ويَنقُضُ الأحشاء برد يُجمّدُ الرِّيق فى الأشداق والدَّمع فى الآماق يوم كأن الأرضَ شابتْ لهوْله يوم فضّيُّ الجلباب مِسكيّ النقاب عبوسٌ قمطرير [5] كشرَ عن ناب الزَّمهرير وفرشَ الأرضَ بالقوارير [6] يوم أرضهُ كالقوارير اللامعة وهواؤه كالزنابير اللاسعة

﴿ وصف المطر والماء والسحاب والغدران ﴾

ماء إذا مسّته أيدى النسيم حكى [7] سلاسلَ الفضّة غديرٌ ترقرقت [8] فيه دموع السحائب وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب انحلّ عقدُ السماء وانهلّ دمعُ الأنواء [9] انحلّ سِلك القطر عن دُرّ البحر سحابةٌ تحدُو من الغيوم جمالاً وتمدّ من الأمطار حِبالاً سحابة ترسلُ الأمطار أمواجاً والأمواجَ أفواجاً سحابةٌ يضحك من بُكائها الرّوضُ وتخضرُّ من سوادها الأرضُ سحابةٌ لا تجفُّ جفونُها ولا يخفُّ أنينُها ديمة [10] روّت أديم [11] الثرى [12] ونبّهت عيونَ النَّور من الكَرى [13] سحابة ركبت أعناق الرياح وسحّتْ كأفواه الجِراح مطرٌ كأفواه القِرَب

(١) جمع روق وهو والرواق بمعنى (٢) جديدا (٣) جمع لمة الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن (٤) يكسر ويضعف (٥) شديد مظلم (٦) جمع قارورة الاناء من الزجاج (٧) شابه (٨) تحركت (٩) جمع نوء المطر (١٠) المطر بلا رعد (١١) وجه الارض (١٢) التراب (١٣) النوم

وصف القيظ وشدّة الحرّ

حرٌّ يُشبه قلب الصبّ ويُذيبُ دماغ الضّبّ (١) قوِيَ سلطان الحرّ وبُسط بساطُ الجمر أوقَدتْ الشّمس نارَها وأذكت (٢) أُوَارها (٣) حرٌّ يلفح حرّ الوجْه، هاجرة كأنّها من قلوب العُشّاق اذا اشتعلت فيها نارُ الفراق هاجرة تحكي نار الهَجر وتُذيب قلبَ الصّخر حرٌّ يهربُ لهُ الحرباء (٤) من الشمس قد صَهَرَت (٥) الهاجرة الابدان وركبت الجنَادِب (٦) العيدَان حرٌّ يُنضجُ الجُلُود ويُذيب الجلمُود أيام كأيام الفُرقة امتداداً وحرٌّ كحرّ الوَجد اشتداداً هاجرة (٧) كالسّعير الهاجم يجُرُّ أذيال السّمائم (٨)

وصف الشيب

ذوَى (٩) غُصنُ شبَابه بدَتْ في رأسه طَلائع المَشيب أقمَرَ ليلُ شبَابه ظَهرَتْ غُرّة القَمر وأومَض (١٠) البرقُ في ليل الشّعَر رُمِيَ فاحِمُ الفوْدِ (١١) بِضدّه واشتَعل المُبيض في مُسوّده لمَع ضَوْءُ فرْعه وتفرّق شمل جمعه علاه غُبارُ وقائع الدّهر، بينا هو راقدٌ في ليـل الشّباب أيقظَهُ صُبحُ المَشيب طوَى مَرَاحِل الشّباب وأنفق عُمرَه بغير حِساب جاوَز مِنَ الشّباب مَرَاحِل وَوَرَدَ من الشّيب مَناهِل. فَلّ (١٢) الدّهرُ شبَا شَبابه ومحَا محاسنَ رُوائه طار غُراب شَبابه إنتهى شَبابُه وشاب أترابُه إستبدَل بالادهم (١٣) الأبلق (١٤) وبالغُراب العقْعَق (١٥) إستعاضَ (١٦) من الغُراب بقادمةِ النّسر أسفرَ صُبحُ المشيب علتْه أُهبَة الكِبر نفَض جُبّة الصّبَا

(١) حيوان برى (٢) اوقدت (٣) نارها (٤) حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون الوانا بحر الشمس (٥) اذابت (٦) الجراد (٧) شدة الحر عند الزوال (٨) الرياح الحارة (٩) ذبل (١٠) برق ولمع (١١) معظم شعر الرأس مما يلي الاذن (١٢) هزم (١٣) الاسود (١٤) الابيض واصله للرخام (١٥) طائر على قدر الحمامة (١٦) جعله عوضا

وتولى داعِيَة الحِجا (١) الشَّيب زُبْدةٌ مَخَضتْها الايام وفِضّة مَحَصتْها التّجارب سرَى في طريق الرُّشد بمصباح الشَّيب، الشَّيب خِطام المَنيّة الشّيب نذير الآخرة

﴿ وصف آلات الكتابة ﴾

الدّواة من أنفع الأدوات وهى للكتابة عَتاد (٢) والخاطِر زِناد غدير لا يَردُ غير الافهام ولا يُمْتَح (٣) بغير أرْشِيَة (٤) الأقلام غدير تفيضُ ينابيعُ الحكمة من أقطاره وتنشأ سُحبُ البلاغه من قَراره مِدادٌ كسواد العين وسُوَيداء القَلب وجَناح الغُراب ولُعابِ اللّيل وألوان دُهْم الخيل، مدادٌ ناسَب خافيةَ الغُراب واستعارَ لونَه من شَرْخ (٥) الشّباب أقلامٌ جمّة المحاسن بعيدةٌ من المَطاعن أنابيبُ ناسبت رِماح الخَطّ فى أجناسِها وشاكَتْ الذّهبَ فى ألوانها وضاهت الحديد فى لَمَعانها أقلام كأنها الاميال استواء والآجالَ مَضاء بطيئةُ الخَفى قويّة القُوَى، قلم لا يَنبُو (٦) إذا نَبَتِ الصِّفاح ولا يُحجِمُ (٧) إذا أحجمَت الرّماح قلم يسكُتُ واقفاً ويَنطقُ ساكتاً

﴿ وصف الخطباء ﴾

جلَوْا بكلامهم الأبصار العليلة وشَحَذُوا بمواعِظهم الأذهان الكَليلة ونَبّهوا القلوب من رَقدَتها ونقلُوها عن سُوء عادتها فشَفَوْا من داء القسْوة وغباوَة الغَفلة وداوَوْا من العِيّ الفاضح ونهجوا لنا الطّريق الواضح خطيبٌ لا تَنالُه حُبْسة ولا تَرْتهنُه لُكْنة ولا تتمشّى فى خِطابه رُتّة (٨) ولا تَحيّف (٩) بيانَهُ عُجمة ولا تَعترضُ لسانَه عقدة خطيبٌ جواهرُ نَفَثاته صِحاح وعرائس أفكاره صِباح خطيبٌ

(١) العقل (٢) ما يعده الانسان لحوادث الدهر (٣) لا ينزع (٤) حبال الدلاء (٥) ريعانه (٦) لا يبعد (٧) لا يتأخر (٨) العجمة (٩) بمعنى تنقص

تزينت بدرر ألفاظه عقود الملح ، لا عيب فيه إلا أن لفظه عطل الياقوت والدر خطيب مصقع ينثر لسانه اللؤلؤ المكنون هو الخطيب المصقع الذى أشخص بآيات خطبه الزاجرة عيون القوم وأبكاها هو الخطيب المصقع الذى تتلاعب بالعقول معانيه ويصاغ الدر من لفظ فيه هو الخطيب الذى تهتز له المنابر وتنقاد اليه كلمات السحر متسابقة آخذاً بعضها برقاب بعض

﴿ وصف العلماء ﴾

بدر العلوم اللائح وقطرها الغادى والرائح وثبيرها (١) الذى لا يزحم ومنيرها الذى ينجلى به ليلها الأسحم (٢) أما فنون الأدب فهو ابن بجدتها (٣) وأخو جملتها وأبو عذرتها ومالك أزمتها تستخرج الجواهر من بحوره وتحلى لمعات الطروس بقلائد سطوره تآليفه غرر منيرات أضاءت في وجوه دهم المشكلات عالم أقلامه نفثات السحر تآليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها له بدائع مائسات (٤) الأعطاف، بحر البيان الزاخر شيخ المعارف وإمامها ومن فى يديه زمامها لديه تنشد ضوال الأعراب وتوجد شوارد اللغة والإعراب مالك أعنة العلوم وناهج طريقها والعارف بترصيعها وتنميقها الناظم لعقودها الراقم لبرودها المجيد لارهافها (٥) العالم بجلائها وزفافها مالك رق الكتابة والإنشاء وتصرف فى فنون الإبداع كيف شاء عالم يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه صاحب المصنفات التى دلت على وفرة اطلاعه وغزارة مادته وحسن أبيانه لم يترك معنى مغلقا إلا فتح صياصيه ولا مشكلاً إلا أوضح مبانيه

(١) الثابر المواظب (٢) الاسود (٣) العالم بها المتقن لها (٤) متبخترات مائلات (٥) لدقتها ولطفها (٦) جمع صيصة الحصن المنيع

﴿ وصف البلغاء ﴾

فلانٌ يحوكُ الكلامَ على حسب الأماني ويَخيطُ الألفاظَ على قُدُود المعاني يجتَني من الألفاظ أنوارَها ومن المعاني ثمارَها يعبَث (١) بالكلام ويَقودُه بألين زمام حتى كأنّ الألفاظ تتحاسد في التّسابُق الى خواطره والمعاني تتغايَر في الانثيال (٢) على أنامله، بليغٌ نَسَق (٣) من جواهر كلامه أكاليلَ دُرّ المَنظوم بها سلك، بليغٌ تَفَلُّ سِهامُ أفكاره الزّرد ناظم سِلك البلاغة وقائد زمام البَراعة اذا أوجزَ أعجز واذا شاء أطال وأطلق من البلاغة العِقَال اذا أذكى سراج الفِكر أضاء ظلامَ الأمر يَستَنبطُ حقائق القلوب ويَستخرجُ ودائع الغُيوب

﴿ وصف الشُّعراء والمُنشئين ومحاسن النَّظم والنَّثر ﴾

مَقذِفُ حَصَى القَريض وجماره ومَطلِع شُموسه وأقماره نَثرُهُ سِحر البيان ونظمه قِطعُ الجُمان طَلعت شمس الأدب من أُفُق أشعاره وتفجَّرت ينَابيعها من خِلاَل آثاره، شاعرٌ توقّدَت جمراتُ أفكاره، شاعرٌ عرائس أفكاره صِبَاح إن نَثَرَ فالنُّجوم في أفلاكِها أو نظمَ فالجواهرُ في أسلاكِها أخذَت بمَجامع القلوب كَلِمُه اذا كَتبَ انتسَبَ اليه السّحر أصحّ انتساب ونَسَق (٤) المُعجزاتِ نَسقَ حساب وأرَى البدائعَ بِيضَ الوُجوه كريمَةَ الأحساب إن نَثرَ رأيت بحراً يَزخَر وإذا نظَم أزرَى بنَظْم العُقُود وأتى بأحسنَ من رَقْم البُرُود اذا كَتبَ مَلأ المَهارِق (٥) بَياناً وأرَى السّحرَ عِياناً هو الكاتب الذى تحسُدُ أرقامُ الطّراز سُطور قلمه ويَوَدّ التِّبر لو كان مِدَاد كلمه هو الكاتب الذى تَنقاد الى يَرَاعه (٦) دَقائق المعاني

---

(١) يلعب (٢) الانصباب (٣) نظم (٤) نظم (٥) جمع مهرق ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه (٦) اقلامه

صاغرة بزمام، نثر كنثر الورد ونظم كنظم العقد نثر كالسحر أو أدق ونظم كالماء أو أرق نثر كما تفتح الزهر ونظم كما تنفس السحر، رسالة تضحك عن غرر وزهر وقصيدة تنطوى على حبر ودرر كلام كما هب نسيم السحر على صفحات الزهر، كتاب مطالعه مطلع أهلة الأعياد وموقعه موقع نيل المراد، كتاب حسبته يطير من يدى لخفته ويلطف عن حسى لقلته صحائف انطوت المحاسن تحت رق منشورها وصدحت حمائم البلاغة على أغصان سطورها صحائف تنوب عن الصفائح وقراطيس تزف الى الاسماع عرائس القرائح صحائف ألبسها الحبر أثوابا من الحبر (١) ودبجها (٢) صوب (٣) الفكر لاصوب المطر

﴿ وصف الأمراء والأشراف ﴾

فلان من شرف العنصر الكريم ومعدن الشرف الصميم (٤) أصل راسخ وفرع شامخ (٥) ومجد باذخ (٦) قد ركب الله دوحته (٧) فى قرارة المجد وغرس نبعته (٨) في منبت الفضل ، المجد لسان أوصافه والشرف نسب أسلافه دوحة رسب (٩) عرقها وبسق (١٠) فرعها وطاب عودها واعتدل عمودها وفيأت ظلالها وتهدلت (١١) ثمارها وتفرعت أغصانها وبرد مقيلها (١٢) أمير جيشه الهمم دوحة مجده وريفة (١٣) الظل وريقة (١٤) أمير لاعيب فى نداه (١٥) إلا أنه يستعبد كل حر هو غرة الجمال وصورة الكمال عقد المناصب به نضيد، أمير

(١) الحبرات التى تلبسها النساء اذا خرجن (٢) نقشها (٣) المطر (٤) الخالص (٥) المرتفع (٦) العالي (٧) الشجرة العظيمة (٨) الشجرة ايضاً (٩) ثبت (١٠) ارتفع (١١) تدلت (١٢) مكانها (١٣) ممتدة متسعة (١٤) مورقة (١٥) عطائه وهذا نوع من انواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم

ولا عيب فى معروفهم غير أنه ... يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وفي الحقيقة ليس بعيب بل هو نهاية فى المدح

عبِقَتْ من شمائله نسمات النَّدّ وقطرت من سلسبيل أوصافه مياهُ المجد جامعُ ماتفرق من شَملِ الفضائل ناظمُ ما انتثر من عِقدِ المآثر، أنارت بهِ نجومُ المعالى وشموسها ، له شرف باذخ تعقد بالنجوم ذوائبه، ألقتْ اليهِ الرئاسة مقاليدها(١) وملكتهُ طريفها وتليدها (٢) أمير تفرّع من دوحةِ سناء (٣) وتحدّر من سلالة أكابر ورُقاة أسرّة ومنابر مُرتضع ثدْى المجد ومفترشُ حِجر الفضل لهُ صدرٌ تضيقُ به الدهناء (٤) وتفزعُ اليه الدهماء (٥) له في كل مكرمةٍ غرّةُ الإصْباح وفي كل فضيلةٍ قادمةُ الجناح لهُ صورة تستنطق الأفواهَ بالتسبيح ويترقرقُ فيها ماء الكرم وتقرأ فيها صحيفة البِشر ينابيع الجود تتفجّر من أنامله وربيع السماك يضحك من فواضله لهُ أخلاقٌ خُلقنَ من الفضل وشِيمَ تُشام (٦) منها بوارق المجد أرِج (٧) الزمانُ بفضله ، وعقِم النساء عن الاتيان بمثله مالهُ للعفاة (٨) مُباح وفعالهُ (٩) فى ظلمة الدهر مِصباح ، مناقب تشدخ (١٠) فى جبينها غرّة الصباح وتتهادى أنباءها (١١) وفودُ الرياح سألت عن أخباره فكأنّى حرّكت المسك فتيقاً أو صبحت الروضَ أنيقاً (١٢) هو رائشُ (١٣) نبلِهم ونبعة (١٤) فضلهم وواسطةُ (١٥) عِقدهم ، لهُ همّة علا جناحها إلى عنان النجم وامتدَّ صباحها من شرقٍ إلى غرب همتهُ أبعدُ من مَناط (١٦) الفرقد وأعلى من مَنكبِ الجوزاء(١٧) موضعُهُ من أهل الفضل موضعُ الواسطة من العِقدِ وليلة التمّ من الشهر بل ليلة القدر الى مطلعِ الفجر هطلت عليَّ سحائبُ عِنايته ورفرفت حولى أجنحة

(١) مفاتيحها (٢) حديثها وقديمها (٣) مجد ورفعة (٤) الفلاة الواسع (٥) جماعة الناس (٦) تنظر (٧) فاحت منه رائحة طيبة (٨) الطالبون للعطاء (٩) بفتح الفاء كرمه (١٠) تعلى (١١) اخبارها (١٢) معجباً (١٣) السهم ذو الريش (١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط العقد وهى احسنه (١٦) محل علاقته (١٧) برج في السماء

رعايته قد استظهرتُ على جور الايام بعدله واستترتُ من دهري بظله قدغرقتنى نعمهُ حتى استنفدت شكرَ لساني ويدي ، تتابعت نعمه تتابُع القطر على القفر وترادفت منهُ ترادُف اليُسر إلى ذي الفقر لهُ أيادٍ قدعمت الآفاق وطوّقت الأعناق أيادٍ قد حبست عليه الشكر واستعبدت لهُ الحرّ مننٌ توالت توالىَ القطر واتسعت سعة البرّ والبحر وأثقلت كاهل الحرّ

(وصف القلم)

ألقلمُ أحدُ اللسانين وهو المخاطِب للغيوب بسرائر القلوب على لُغاتٍ مختلفة من معانٍ معقولة بحروف معلولة متباينات الصوَر مختلفات الجهات لقاحها التفكّر و نتاجها التدبير تخرس منفردات وتنطقُ مزدوجات بلا أصواتٍ مسموعة ولا ألسُنٍ محدودة ولا حركات ظاهرة خلا قلم حرّف باريهِ قطّته ليتعلق المِداد به وأرهفَ جانبيهِ ليردَّ ما انتشر عنه اليهِ وشقّ رأسه ليحتبس المداد عليه فهنالك استمدّ القلمُ بشقّه ونثرَ فى القرطاس بخطه حروفاً أحكمها التفكّر وأولى الاسماعَ بها الكلام الذى سداه العقل وألحمه اللّسان ونهَستهُ اللّهواتُ وقطعته الأسنان ولفظتهُ الشفاه و وعته الأسماع عن أنحاء شتّى من صفات وأسماء — قال البُحتري

طعانٌ بأطراف القوافى كأنه طعانٌ بأطراف القنا المتكسر

(وصف الخط لأبي الحسن القيرواني المتوفى سنة ٤٨٨ هـ)

سئل بعض الكتّاب عن الخط متى يستحقّ أن يُوصفَ بالجودَة قال اذا اعتدلت أقسامه وطالت ألفُه ولامه واستقامت سطورُه وضاهى صعودَه حُدُورُه وتفتّحت عيونُه ولم تشتبه راؤه ونونُه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسُه (١) ولم تختلف أجناسُه وأسرع إلى العيون تصوّرُه وإلى العقول تثمّره وقُدّرت فصوله

(١) جمع نقس بكسر النون المداد الذي يكتب به (٢) الطريقة

واندمجت أصوله وتناسبَ دقيقه وجليلُه وخرج من نَمط (١) الورّاقين وبعد عن تصنّع المجبّرِين وأقام لصاحبه مقام النّسبة والحليةَ

(وصف الكتَاب)

الكتابُ نِعْمَ الانيس فى سَاعة الوَحدة ونِعم المعرفة فى دار الغُربة ونعم القرين والدّخيل ونعم الزّائر والنّزيل وعاءٌ مُلئ علماً وظَرفاً وإناءٌ مُلئ مزحاً وجدّا وحبذا بستانٌ يُحمل فى خُرْج وروضٌ يُقلّبُ فى حِجر هل سمعت بشجرة تُؤتى أُكُلها كلّ حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لا تَذْوَى (١) وزهر لا يَتوَى ونمر لا يفْنى ومن لك بجليس يفيد الشىء وخلافه والجنس وضدّه يَنطق عن الموتى ويُترجم عن الأحيـاء ان غضبت لم يغضب وان عَرْبَدت (٢) لم يَصخَب (٤) أكتَمُ من الأرض وأنَمُّ من الريح وأهوى من الهوى وأخدعُ من المُنَى وأمتع من الضّحى وأنطق من سَحبان وائل وأعيا من باقل (٥) هل سمعت بمعلّم تَحلّى بخلال كثيرَة وجمعَ أوصافاً عديدةً عرَبيّ فارسىّ يُونانىّ هِنـدىّ سِنْدىّ رُومىّ إن وَعظَ أسمع وان ألهَى أمتع وان أبـكى أدمعَ وإن ضرب أوجع يفيدُك ولا يَستفيدُ منك ويزيدُك ولا يَستزيدُ منك إن جدّ فعبْرة وإن مَزَح فنُزْهة قبرُ الاسرار ومخزَن الوَدائع قيدُ العُلوم وينبوع الحِكم ومَعدِنُ المكارم ومؤنس لا ينَام يُفيدك علم الأوّلين ويُخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين هل سمعت فى الأوّلين أو بلغك أنّ أحداً من السالفين جمعَ هذه الاوصاف مع قِلّة مؤونته

(١) الطريقة (٢) لا تذبل وبابه‌رمى ورضى وقوله يتوى يهلك (٣) عربد الرجل ساء خلقه عند السكر (٤) لم يصوت (٥) رجل من اياد به يضرب المثل في العى ومن عيه انه اشترى ظبياً فحمله على عنقه فسئل عن ثمنه فحل عنه يديه وفتح اصابعه واشار بها واخرج لسانه يريد انه بأحد عشر درهماً ولم يلهم ان يخبر عن سعره بلسانه فصار عيه مثلا

وخفة محمله لا يرزؤك (١) شيئاً من دنياك نعم المدّخر والعُدة (٢) والمشتغل والحرفة جليس لا يُطريك (٣) ورفيق لا يملّك يطيعك فى الليل طاعته فى النهار ويطيعك فى السفر طاعته فى الحضر إن أطلت النظر اليه أطال امتاعك (٤) وشحذ (٥) طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخّم ألفاظك ان ألفته خلّد على الأيام ذكرك وان درسته رفع فى الخلق قدرك وان نعته نوّه عندهم باسمك يقعد العبيد فى مقاعد السادات ويجلس السوقة فى مجالس الملوك فأكرم به من صاحب وأعزز به من موافق

(وصف عاصفة لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ)

أتى عارض فى ليلة الجمعة التاسعة من جمادى الآخرة كانت فيه ظلمات متكاثفة وبروق خاطفة ورياح عاصفة فقويت أهويتها واشتدّ هبوبها فتدافعت لها أعنّة مطلقات وارتفعت لها صواعق مصعقات فرجفت لها الجدران واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتنقت، وثار بين السماء والأرض عجاج فقيل لعلّ هذه على هذه أطبقت وتحسب أن جهنم قد سال منها وادٍ وعدا منها عادٍ وزاد عصف الرياح إلى أن انطفأت مصابيح النجوم ومزّق أديم السماء ومحا ما فوقه من الرقوم لا عاصم من الخطف للأبصار ولا ملجأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار وفر الناس نساءً ورجالا ونفروا من دورهم خفافاً وثقالا لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً فاعتصموا بالمساجد الجامعة وأذعنوا للنازلة بأعناق خاضعة ووجوه عانية ونفوس عن الأهل والمال سالية ينظرون من طرف خفيّ ويتوقّعون أيّ خطب

(١) لا ينقصك (٢) ما يعده الانسان لحوادث الدهر من سلاح وغيره (٣) لايمدحك (٤) انتفاعك (٥) احدها وقواها

جليّ قد انقطعت من الحياة عُلقهم وعَميت عن النّجاة طُرُقهم ووقعت الفِكرة فيما هَم عليهِ قادمون وقاموُا إلى صلاتهم ودُّوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون إلى أن أذِن الله فى الرّكود وأسعَفَ الماجدين بالهجُود وأصبحَ كلٌّ يُسلّم على رَفيقه ويُهنّئه بسلامة طريقه ويرى أنه قد بُعِث بعد النّفخة وأفاق بعد الصّيحة والصّرخة وأن الله قد ردّ له الكرّة وأدَّبه بعد أن كاد يأخذه على غرّة ووَردت الأخبار بأن كسرت المرَاكب فى البِحار والأشجار فى القِفار وأُتلِفَ خلق كثير من السُّفار ومنهم مَن فرَّ فلم يَنفعه الفَرار

(وصف العلم لبديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

العلم شيء بعيد المَرام لا يُصادُ بالسّهام ولا يُقسَم بالأزلام [١] ولا يُرى فى المنام ولا يُضبَط باللّجام ولا يُكتَب للّئام ولا يُورث عن الآباء والأعمام

وزَرْعٌ لا يزكو [٢] إلاَ متى صادف من الحَزْم ثَرَى طيّباً ومن التّوفيق مطراً صيّباً ومن الطّبع جوّاً صافياً ومن الجهد رَوْحاً [٣] دائماً ومن الصّبر سقياً نافعاً

وغَرَضٌ لا يُصاب إلا بافتراش المَدَر [٤] واستناد الحجَر وردّ الضّجَر وركوب الخطَر وإدْمانِ السّهَر واصطِحابِ السّفَر وكثرةِ النّظر وإعمالِ الفِكر

(١) الازلام جمع زلم بفتح الزاي او ضمها مع فتح اللام وهى سهام لا نصل لها ولا ريش كان العرب اذا ارادوا القمار احضروا جذوراً فنحروها وقسموا لحمها الى ثمانية وعشرين قسما ثم اتو بعشرة ازلام فرسموا على واحد منها خطا وعلى الثاني خطين وعلى الثالث ثلاثة وهكذا الى السابع فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدح المعلى وتبقى ثلاثة غفلا لا يرسم عليها شيء ثم يضعون الجميع فى خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلماً باسم واحد من المقامرين فان كان مرسوماً عليه شيء أخذ من اقسام اللحم بقدره وان كان غفلا غرم ثمن الجزور . والمقصود من هذه العبارة إن العلم لا ينال بطريق البخت والمصادفة كما ينال اللحم المقسوم (٢) يزكو ينمو ويطيب (٣) الروح بفتح فسكون نسيم الريح (٤) المدر قطع الطين اليابس وافترش المدر

﴿ وصف الامام العادل ﴾

كتب عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه لما وَلِى الخلافة الى الحسن بن أبى الحسن البصرى أن يكتب اليه بصفة الإمام العادل فكتب اليه الحسن

إعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الإمام العادل قوَامَ كلّ مائل وقَصْدَ كلّ جائر وصلاح كلّ فاسد وقُوَّة كلّ ضعيف ونصفَة كلّ مظلوم ومَفْزَع كلّ ملهوف والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالرّاعي الشّفيق على إبله الرّفيق الذى يرتاد لها أطيب المرْعى ويذودها عن مراتع المهلكة ويحميها من السّباع ويكنفُها من أذى الحرّ والقرّ ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلّمهم كبارا يكتسب لهم فى حياته ويدّخر لهم بعد مماته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالامّ الشّفيقة البَرّة الرّفيقة بولدها حملَتْه كُرْهاً ووضعته كُرْهاً وربّته طفلاً تسهر بسهره وتسكُن بسكونه ترْضعُهُ تارةً وتفْطِمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتمّ بشكايته والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصِيّ اليتامى وخازن المساكين يربّي صغيرهم ويمُون كبيرهم ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسُد بفساده ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويُسْمعهم وينظر إلى الله ويُريهم وينقاد إلى الله ويقودهم ـ فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله كعبد إئتمنه سيّده واستحفظه ماله وعياله فبدّد المال وشرّد العيال فأفقرَ أهلَه وفرّق ماله واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدُود ليزْجُرَ بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها مَنْ يَليها وأن الله أنزل القصاص حياةً لعباده فكيف اذا قتلهم مَنْ يَقتصّ منهم ـ واذكرْ يا أمير المؤمنين الموتَ وما بَعده

و قلّة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزوّدْ له ولمَا بعدَه من الفزع الأكبر واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غيرَ منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثواؤك ويُفارقك أحبّاؤك يُسلمونك فى قعره فريداً وحيداً فتزوّد له ما يصحبك يوم يفرّ المرءُ من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبتِهِ وبنيه ـ وآذكر يا أمير المؤمنين اذا بُعْثر مافى القبور وحُصّلَ مافى الصّدور فالأسرار ظاهرة ـ والكتاب لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ـ فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مَهَل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل ـ لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحُكم الجاهلين ولا تسلُك بهم سبيل الظّالمين ولا تُسلّط المُستكبرين على المستضعَفين فانهم لا يرْقُبون فى مؤمن إلاً ولا ذِمّةً فتبوء بأوزارك وأوزارٍ مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك ولا يَغرّنّك الذين يتنعّمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطّيّبات فى دُنياهم بإذهاب طيّباتك فى آخرتك، لاتنظُر الى قُدْرتك اليومَ ولكن انظر الى قُدْرتك غداً وأنت مأسورٌ فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله في مجمع من الملائكة والنّبيّين والمرسلين ، وقد عَنَتِ الوُجوهُ للحيّ القيّوم ، إنى يا أمير المؤمنين وان لم أبلُغ بعظتى ما بلغهُ أولوا النهى من قبلى فلم آلُك شفقةً ونُصحاً فأنزلْ كتابى اليك كمُداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لمَا يرجو له فى ذلك من العافية والصحّة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

﴿ وصف عمرو بن العاص مصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﴾

مصر تُرْبةٌ غبراء وشجرَة خضراء طولها شهر وعرضها عشر (١) يخطّ وسطَها نهر ميمون الغدَوات مُبارك الرّوحات يجرى بالزّيادة والنّقصان كجرْى الشّمس

(١) اي عشر ليال لان عادة العرب السير في الليل

والقمر له أوان تظهر به عيونُ الأرض وينابيعها حتى اذا أصلح عجاجه وتعظمت أمواجه لم يكن وُصول أهل القرى الى بعض إلا فى خفاف القوارب [١] وصغار المراكب فاذا تكاملت زيادته نكص [٢] على عقبيه كأول ما بدأ فى شدته وطما [٣] فى حدته فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه فيبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب حتى اذا أشرق وأشرف سقاه من فوقه الندى وغذاه من تحته الثرى فعند ذلك يدور حلابه ويغنى ذبابه — فبينما هى يا أمير المؤمنين درّة بيضاء اذ هى عنبرة سوداء فاذا هى زبرجدة خضراء فتبارك الله الفعال لما يشاء

(وصف حرب لأبى منصور الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

عند مادارت رحا الحرب صمتت الألسنة ونطقت الأسنة وخطبت السيوف على منابر الرقاب وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب وتلاصقت القنا والقنابل [٤] وتعانقت الصوارم [٥] والمناصل وبلغت القلوب الحناجر وأدركت السيوف المناحر وضاق المجال وتحكمت الآجال فلا ترى إلا رؤوساً تندر [٦] ودماء تهدر وأعضاء تتطاير وتتناثر وأجساماً تتزايل وتمايل حتى ثملت الرماح من الدماء فتعثرت فى النحور وتكسرت فى الصدور فرجوا الأعداء من جوانبهم وتمكنوا من فض مواكبهم

(وصف أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ المطر شعراً)

مع مقدمة لعمر بن على المتطوعى فى وصف ذلك المطر نثراً

حكى عُمَرُ بنُ عليّ المطّوّعيّ قال : رأى الأميرُ السيدُ أبو الفضل عبدُ الرحمن

---

(١) السفن الصغيرة (٢) رجع (٣) ارتفع (٤) القنا الرماح والقنابل جمع قنبل ما بين الخمسين فصاعداً من الخيل (٥) السيوف القاطعة وكذا المناصل (٦) تسقط

ابنُ أحمدَ أدام الله عزه أيامَ مُقَامِهِ بجُوَيْن(١) أن يطالع قرية من قُرى ضِيَاعِهِ(٢) تُدعى نجاب على سبيل التنزُّهِ والتفرُّجِ فكنت في جملة من استصحبه إليها من أصحابه واتّفقَ أنْ وصلنا والسماء مُصحِيَةٌ(٣) والجوُّ صافٍ لم يُطرِّزْ ثوبهُ بعلَمَ الغَمام(٤) والأفقُ فيروزَجٌ لم يعبق به كافور السَّحاب(٥) فوقع الاختيارُ على ظلّ شجرة باسقةِ الفروع(٦) متسعةِ الأوراق والغصون قد سترت ما حواليْها من الأرض طولاً وعرضاً فنزلنا تحتها مُستظِلّين بسماوة أفنانها مستترين من وهَج الشمس بستَرةِ أغصانها(٨) وأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة(٩) ونتسالب أهدابَ المُنَاشدة والمُحاوَرة(١٠) فما شعرنا بالسماء إلا وقد أرعدَتْ وأبرَقَتْ(١١) وأظلَمَتْ بعدما أشرَقَتْ ثم جادت بمطر كأفواهِ القِرَب فأجادَتْ(١٢) وحكت أناملَ الأجواد بل أوفت عليها وزادت(١٣) حتى كاد غيثُها يعودُ عيثاً(١٤) وهمّ وبلُها أن يستحيلَ ويْلاً(١٥) فصبرْنا على أذاها وقلنا: «سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تَقشَّعُ(١٦)» فإذا نحنُ بها قد أمطرَتْنا برَداً كالثغورِ لكنها من ثغورِ العذاب(١٧)

(١) كورة بخراسان وبلدة بسرخس (بلاد فارس) (٢) يطالع قرية يطلع عليها والضياع جمع ضيعة وهي العقار والارض المغلة (٣) لا غيم فيها (٤) عبارة عن خلو الجو من السحاب (٥) اي لونه مثل لون الفيروزج وهو الزرقة ولم يعبق به لم يلصق به والكافور طيب يستخرج من شجر كبير ولون هذا الطيب يصير ابيض بعد عملية تعمل فيه — والمعنى انه لا يرى شيء من السحاب في الافق (٦) طويلتها (٧) الافنان الغصون وسماوتها يعني اوراقها العريضة المتلاحمة تلاحماً يجعلها تشبه السقوف (٨) وهج الشمس شدة حرها وتوقدها (٩) عبارة عن تذاكرهم (١٠) عبارة عن تناشدهم الاشعار وتحاور بعضهم مع بعض تحاوراً ادبياً (١١) يقال رعدت وبرقت اي جاءت بالرعد والبرق وأرعدت وأبرقت يعني تهددت بالرعد وتوعدت بالبرق (١٢) جادت تكرمت وأجادت أحسنت (١٣) حكت شابهت وأنامل الاجواد المقصود أيدي الكرام وحاكاتها لايدي الكرام يعني مشابهتها لايديهم في السخاء وأوفت وزادت بمعنى واحد (١٤) الغيث المطر — والعيث الافساد (١٥) الوبل المطر الشديد العظيم القطرات والويل الشر (١٦) اي لا تمكث الا قليلا وتذهب (١٧) البرد قطرات المطر المتجمدة التي تنزل على الارض كالحب — والثغور جمع ثغر وهو ما يرى من الاسنان من فتحة الشفتين — وثغور العذاب فتحاته

لامن الثُّغُورِ العِذَابِ (١) فأيقنّا بالبلاء وسلّمنا لأسْبَابِ القضاء (٢) فما مرّت ساعةٌ من النهار حتى سمعنا خرير الأنهار (٣) ورأينا السيلَ قد بلغ الزُّبَى (٤) والماء قد غمَرَ القِيعانَ وَالرُّبا (٥) فبادرنا الى حِصْنِ القرية لائذين من السَّيل بأفْنِيَتِها (٦) وعائذين من القَطْرِ بأبْنِيَتِها (٧) وأثوابُنا قد صَنْدَلَ كافورَهَا ماءُ الوَبْلِ (٨) وَغَلَّفَ طِرازَهَا طينُ الوَحْلِ (٩) ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان وإن فَقدْنا بياضَ الأكمامِ والأرْدَانِ (١٠) ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح شُكْرَ التاجر على بقَاءِ رأسِ المال إذا فُجِعَ بالأرْبَاحِ (١١) فبِتنا تلك الليلةَ تحت سماءٍ تَكِفُ ولا تَكُفُّ (١٢) وتبكي علينا الى الصباح بأدمعٍ هوَامٍ (١٣) وأرْبَعٍ سِجَامٍ (١٤) فلما سُلّ سيفُ الصُّبْحِ من غِمْدِ الظلامِ (١٥) وصُرِفَ بوالي الصَّحْوِ عاملُ الغمام (١٦) رأينا صوابَ الرَّأْيِ أن نُوسعَ الإقامة بها رفضاً (١٧) ونتّخذَ الارتحال عنها فرضاً فمازلنا نطوي الصحارَى أرضا فأرضاً الى أن وافينا

---

(١) لا من الاسنان العذبة الريق (٢) وخضعنا لاحكام المقادير (٣) يعني جرى الماء بشدة حتى صار يسمع له صوت كصوت مياه الأنهار (٤) السيل الماء العظيم الذي يتجمع من المطر ويسيل بشدة — والزبي جمع زبيه وهي الارض المرتفعة ارتفاعاً عظيما بحيث لا يعلوها الماء عادة — اوحفرة تحفر فيها لتصاد فيها الاسد (٥) الربا جمع ربوة وهي الارض المرتفعة — والقيعان جمع قاع وهو الارض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال والآكام (٦) فبادرنا اسرعنا : والحصن الموضع الحصين الذي لا يوصل الى جوفه . لائذين متحصنين — والافنية جمع فناء وهو المتسع امام الدار (٧) عائذين ملتجئين — والقطر ما نزل من ماء المطر — والابنية المباني (٨) صندل استعمله متعديا بمعنى جعل لون الصندل احمر ضاربا الى السواد — والكافور والوبل تقدم معناهما (٩) غلف الشيء جعل له غلافاً اي حجابا وستراً والطراز رسم الثوب والمعنى ان رسم الثوب ستره الطين المتناثر من الوحل (١٠) الاردان اصول الاكمام (١١) اي اوجع بعدم الارباح وفقد المكاسب (١٢) يكف يقطر ولا يكف ولا ينقطع (١٣) هوام جمع هام من همى يهمى بمعني سال (١٤) لعله يريد اربع نواح يقطر منها الماء كثيراً (١٥) اي الصبح الشبيه بالسيف والظلام الشبيه بالغمد (١٦) ازال الصحو الغمام (١٧) اي ان نرفض الاقامة بها رفضا باتا

المُسْتَقَرَّ رَكْضا (١) فلما نفضنا غُبارَ ذلك المسير(٢) الذي جعلنا في رِبْقَةِ الأَسير (٣) وأفضَيْنا إلى ساحة التَّيسير (٤) بعد ما أُصِبْنا بالامر العسير وتذاكرنا ما لَقِينا من التَّعب والمَشقَّة في قطع ذلك الطَّريق وطيّ تلك الشُّقَّة (٥) أخذ الأمير السيد أَطال الله بقاءه القلم فعلّق هذه الأبيات ارتجالا

دَهَتْنا السَّماءُ غَداةَ السَّحاب ... بغَيْثٍ عَلى أُفْقِهِ مُسْبِلِ (٦)

فجَاءَ بِرَعْدٍ لهُ رَنَّةٌ (٧) ... كَرَنَّةِ ثَكلى وَلَمْ تُثْكَلِ (٨)

وَثَنَّى بوَبْلٍ عَدَا طَوْرَهُ (٩) ... فَعَادَ وَبالاً عَلَى المُمْحِلِ (١٠)

وَأشْرَفَ أصْحَابُنا مِنْ أذَاهُ ... على خَطَرٍ هائِلٍ مُعْضِلِ (١١)

فَمِن لاَئِذٍ بِفِنَاءِ الجِدَارِ (١٢) ... وَآوٍ إلى نَفَقٍ مُهْمَلِ (١٣)

وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنادِي الغَرِيقَ ... هُنَاكَ وَمِنْ صَارِخٍ مُعْوِلِ (١٤)

وجادَتْ علينا سماءُ السُّقُوفِ ... بدَمْعٍ مِنَ الوُجْدِ لَمْ يُهْمَلِ (١٥)

كأنَّ حَرَاماً لهَا أنْ تَرَى ... يَبِيساً مِنَ الأرْضِ لَمْ يبْلَلِ (١٦)

---

(١) وافينا اتينا والمستقر المسكن وركضا يعني عدوا وجريا على الاقدام (٢) يعني لما ازلنا وسخ هـذا السير بمعنى استرحنا (٣) الربقة عروة تجعل فى حبل مع عرى اخرى ويربط فى هذا الحبل (ويسمى الربق) اولاد الضأن والمعز والبقر (٤) افضينا وصلنا والساحة رحبة بين الدور والتيسير اليسر والتسهيل (٥) وطى تلك الشقة أي قطع تلك المسافة (٦) الغداة اول النهار يعني دهمتنا السماء في اول النهار الذي كان فيه غيم — والغيث المطر — والمسبل الهاطل يعني دهمتنا السماء بمطر هاطل على الافق الذي كان السحاب مخيما عليـه (٧) له رنة اي دوى وصوت هائل (٨) الثكلى التي فقدت ولدها ولم تثكل يعني لم يفقدها الله ولدها والمعنى كصوت الغائب عنها ولدها مع أن الله لم يهلكه فهى تصوت على غيابه ولم ينقطع أملها من وجوده (٩) الوبل تقدم تفسيره (المطر الشديد) وعدا طوره تجاوز حده (١٠) فصار ثقيلا وخيما على المكان المحل الجدب المنقطع عنه المطر (١١) اشرف على كذا قرب منه والمعضل الذي لا دواء له (١٢) فمن متحصن بالاراضي المجاورة للجدران (١٣) ومن لاجيء الى سرب فى الارض لم يتعهده احد (١٤) ينادي الغريق اى يدعو الناس ويقول : الغريق لينقذوه والمعول الرافع صوته بالبكاء (١٥) لم يهمل اى لم يترك شيأ من الوجد اى الجدة والكثرة (١٦) كان حراما لها أى كأن السماء محرم عليها ان ترى أرضاً يابسة لم تبل بالماء

وأقبَلَ سَيلٌ لهُ رَوْعَةٌ (١) فأدْبَرَ كلٌّ عَنِ المُقْبِلِ (٢)
يُقَلِّعُ ماشاءَ منْ دَوْحَةٍ (٣) ومَا يَلْقَ منْ صَخْرَةٍ يَحْمِلِ (٤)
فمنْ عَامرٍ رَدَّهُ غامراً (٥) ومنْ مُعلمٍ عادَ كالمجْهَلِ (٦)
كفانَا بَلِيَّتَهُ رَبُّنا فقدْ وَجَبَ الشكرُ للمُفْضِلِ (٧)
فقلْ للسَّماءِ أرعِدي وابْرُقي (٨) فإنَّا رَجَعْنا إلى المَنْزِلِ

(ووصف ابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ ھ حديقة)

لمّا صدأتْ مِرْآةُ الجَنَانِ (٩) قَصَدتُ لِجِلائِها بَعضَ الجِنَانِ (١٠) فدخَلْتُ إليها ومَا كدْتُ أنْ أُقدِمَ عليْهَا فإذا هِيَ جنّةٌ عاليةٌ (١١) قُطُوفُها دانيةٌ (١٢) وطَلْحُها مَنضُودٌ (١٣) وظلُّها ممدُودٌ (١٤) وأعلامُ أشْجارِها مَرْفوعةٌ (١٥) وفاكهَتُها كَثِيرةٌ لامقطُوعةٌ ولا مَمْنُوعةٌ (١٦) تجُوسُ المِياهُ خِلالَ دِيَارِها (١٧) وتُشْرِقُ بآفاقِها أنوارُ نوّارِها (١٨) نُزْهةُ النّواظِرِ (١٩) وشَرَكُ الخَوَاطرِ (٢٠) بها أشجارٌ لا تُحْصَى (٢١) وثِمارٌ لاتُعدُّ ولا تُستقصَى (٢٢)

---

(١) الروعة الفزعة (٢) فصار كل واحد يولى ويهرب ممن يقابله (٣) يقتلع كل ما يريد من الشجر العظام (٤) ويحمل كل ما يلقاه من الصخور الضخام (٥) رده غامرا صيره خرابا (٦) من معلوم صار كالمجهول (٧) كفانا الله شره فوجب الشكر له لافضاله علينا (٨) ايتِ بالرعد والبرق (٩) الجنان القلب وصدئت مرآته علاها الوسخ والمعنى لما كل القلب ومل العمل (١٠) لجلائها اى ازالة الوسخ الذى علاها والجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات النخل والشجر (١١) اى مرتفعة فاخرة (١٢) عناقيدها متدلية قريبة من الجاني (١٣) الطلح الاشجار العظام ومنضود يعني متراكم بعضه فوق بعض (١٤) أي متسع (١٥) أى اغصانها مرتفعة (١٦) لا تقطع عن الطالب ولا تمنع منه (١٧) أى تتردد بين بيوتها (١٨) النوار الزهر (١٩) تتنزه فيها العيون (٢٠) تصطاد الخواطر وتسبي العقول (٢٢) لا يمكن الاتيان على عددها (٢٣) لا يتأتى ادراك آخرها

﴿ وصف أمير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنه ٢٩٦ هـ البيان ﴾

ألبيان تُرجُمانُ القلوب وصَيقل العقول (١) ومجلى الشّبهة (٢) وموجب الحجّة والحاكم عند اختصام الظنون والمفرّق بين الشكّ واليقين وخير البيان ما كان مصرّحاً عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقّيه أو موجزاً ليخفّ على اللفظ تعاطيه

﴿ ووصف أيضاً المكارم ﴾

لن تكسبَ أعزّك الله المحامد وتستوجب الشرف إلا بالحمل على النفس والحال ، والنُّهوض بحمل الاثقال وبذل الجاه والمال ولو كانت المكارم تنال بغير مؤونة لاشترك فيها السِّفَلَ (٣) والأحرار وتساهمها الوضَعاء (٤) من ذوى الأخطار ولكنّ الله تعالى خصّ الكرماء الذين جعلهم أهلها فخفّف عليهم حملها وسوّغهم فضلها وحظرها (٥) على السِّفْلَةِ لصغر أقدارهم عنها وبُعد طباعهم منها ونفورها عنهم واقشعرارها منهم

﴿ ووصف أيضاً القرآن الكريم ﴾

فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول وظاهر غير خفىّ يشهد بذلك عجز المتعاطين ووهن (٦) المتكلّفين وهو المُبلّغ الذى لا يملّ والجديد الذى لا يَخلَق (٧) والحقّ الصّادع والنُّور السّاطع والماحى لظُلَمِ الضّلال ولسان الصدق النّافى للكذب ومفتاح الخير ودليل الجنّة — إن أوجز كان كافياً وان أكثر كان مذكّرا وان أمر فناصحا وإن حكم فعادلا وان أخبر فصادقا سراج تستضئ به القلوب وبحرالعلوم وديوان الحِكَم وجَوهَر الكَلِم

(١) جلاؤها (٢) كاشفها (٣) السفل جمع سفلة وهم طغام الناس وغوغاؤهم (٤) جمع وضيع وهو الساقط (٥) منعها (٦) ضعف (٧) لا يبلى

﴿ ووصف ابن الرُّومي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ جيوشاً ﴾

وسار فلان فى جيوش، عليهم أردية السُّيوف وأقمصة الحديد وكأنَّ رماحهم قرون الوعول[١] وكأنّ أدراعهم زَبد السيول على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمدّ بالنقع سُرَادِقها قد نشرت فى وجوهها غرر[٢] كأنها صحائف الرّق[٣] وأمسكها تحجيل[٤] كأنه أسورة اللُّجين وقُرِطَتْ عُذُراً[٥] كأنها الشنوف تتلاقف الاعداء أوائلها ولم تنهض أواخرها قد صُبّ عليهم وقارُ الصَّبر وهبَّت معهم رِيح النّصر

﴿ ووصف الحسد الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ﴾

ألحسد أبقاك الله داء يَنْهك الجسد علاجه عسير وصاحبه ضجر وهو باب غَامض[٦] وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فمداويه فى عناء ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم (دَب[٧] اليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء)

الحسد عقيد[٨] الكفر وحليف الباطل[٩] وضد الحق، منه تتولّد العداوة وهو سبب كلّ قطيعة[١٠] ومفرّق كلّ جماعة وقاطع كلّ رحم من الأقرباء[١١] ومحدث التفرّق بين القُرناء[١٢] ومُلقّح الشرّ بين الحلفاء[١٣]

ووصف أيضاً أفضل الكلام — وقال

أفضل الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ومعناه ظاهراً فى لفظه وكأن الله قد ألبسه من ثياب الجلالة وغشّاه[١٤] من نور الحكمة على حسب نية صاحبه

---

(١) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة (٢) جمع غرة وهي بياض في جبهة الفرس (٣) الرق جلد رقيق أبيض يكتب فيه (٤) التحجيل بياض في قوائم الفرس (٥) أي البست عذرا جمع عذار وهو ما على خد الفرس من اللجام (٦) أى مسلك خفي يعسر الخروج منه (٧) سرى فيكم (٨) أى معاهده ومحالفه (٩) ملازمه (١٠) انفصال (١١) كل قرابة واتصال (١٢) المناظرين (١٣) مولد الشر بين المتحالفين (١٤) كساه

وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه (١) منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع فى القلوب صنيع الغيث (١) فى التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة كساها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة

﴿ وصف الشعراء المحدثين ﴾

قال ابن دُريد سألت أبا حاتم عن أبى نُواس فقال ان جدَّ أحسن وان هزل ظرف وان وصف بالغ يُلقى الكلام على عواهنه لا يبالى من أين أخذه قلت فبَشّار بن بُرد قال نظّار غواص مطيل مجيد يصف ما لم يركأنهُ رآه على أن فى شعره خللاً كثيراً . قلت فمروان بن أبى حفصة قال شاعر راضٍ عن نفسهِ يستحسن كلما جاء منهُ معجَب لا يرى ان أحداً يتقدمهُ كثير الصواب كثير الخطأ ليس لشعره صنعة . قلت فمسلم بن الوليد قال خليج صاف ينزع من بحر كدرٍ كالزند يورى تارة ويصلد أخرى. قلت فأبو العتاهية . قال غُثاء جَمّ واقتدار سهل وشعر كخرز الزجاج وربما أشبه الياقوت والزبرجد . قلت فعباس بن الأحنف قال يلقى دَلوه فى الدلاء فيغترف الصفو أحياناً والحمأة أحياناً على أن كدره أكثر من صفوه . قلت فمسلم الخاسر . قال مقلّ مدّاح شعره ديباج وعهن يموّه الردئ حتى يشبه الجيّد . قلت فأبو الشّيص . قال جدّه كله فيهِ حلاوة وبشاعه كالسدرة التى نَفَضت ففيها المستعذب والمستبشع . قلت فعلى بن جبلة . قال بحّاث عن الكلام الفخم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة القدماء ويجلّ عن منزلة النظراء . قلت

(١) أى من اجبار الفكر (٢) المطر

فأبو تمام . قال سيل كثير الغثاء غزير الغمار جمّ النطاف فاذا صفا فهو السلاف بالماء الزلال . قلت فعبد الصمد بن المعذّل. قال خرّاج ولاّج يعتسف تارة ويهتدى أخرى . قلت فعلىّ بن الجهم . قال كلام رصين ومسلك وعر عقله أغلب على شعره من طبعه . قلت فبكر بن النطّاح . قال تشبّه بالأعراب فأفرط وتجاوز حدّ المولدين فأسهب فهو الساقط بين القريتين

﴿ ووصف ابن الأثير المتوفى سنة ٧٥٩ هـ أبا تمّام والبُحترىّ والمُتَنَبّى ﴾

قال لقدْ وقفت من الشعر فى كلّ ديوان ومجموع وأنفذت شطراً من العمر فى المحفوظ منه والمسموع فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله وكيف يحصى قول لم تُحص أسماء قائليه فعندَ ذلك اقتصرتَ منهُ على ما تكثر فوائده وتتشعّب مقاصده ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتّباع من قصرَ نظرَه على الشعر القديم إذالمراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل اللطيف فتى وجدتُ ذلك فكل مكان خيّمتُ فهو بابل وقد اكتفيت من هذا بشعر أبى تمّام والبُحتُرى والمُتنبّى وهؤلاء الثلاثة هم (لاتُ الشّعر وعُزّاه ومَناته) الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته وقد حوت أشعارهم غرابة المحدَثين وفصاحة القدماء وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء — أما أبو تمام فإنهُ ربّ معان وصيقل أذهان وقد شهد له بكلّ معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الإغراب الذى برّز فيه على الأضراب ولقد مارست من الشعر كلّ أوّل وأخير ولم أقل ما أقوله إلاّ بعد التنقير فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكرَه برائضه أطاعته أعنّة الكلام وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذَام فخذ منى فى ذلك قول حكيم وتعلّم (ففوق كل ذى علم عليم) وأما البُحتُرىّ فإنه أحسن فى سبك

اللفظ على المعنى ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الإطلاق فبينا يكون فى شَظَف نجد إذ يتشبَّث بريف العراق — وسئل المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البُحترى ولعمرى انه أنصف فى حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فإن البُحترى أتى فى شعره بالمعنى المقدُود من الصخرة الصَّماء فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرَكَ بذلك بُعد المرام مع قُرْبه إلى الأفهام وما أقول إلاَّ أنه أتى فى معانيه بالنَّوادر الغالية ورق فى ديباجة لفظه إلى الدرَجة العالية وأما المُتنبى فانه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فتقصُرت عنه خُطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ولكنه حُظِى فى شعره بالحِكَم والأمثال واختصّ بالإبداع فى وصف مواقف القتال ـ وأنا أقول قولا لست فيه متأثِّماً ولا منه متلثِّماً وذلك أنَّه اذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نِصالها وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى يظن أنَّ الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقهُ فى ذلك تضلّ بسالكه وتقوم بعذر تاركه ولا شك أنه كان يشهد الحرُوب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدّاه اليه عيانه ومع هذا فانى رأيت الناس عادلين عن سنن التوسط فإما مفرِّط فى وصفه وإما مفرط على أنه كان اذا انفرد بطريق صار أبا عذره ـ ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة

لا تطلبنَّ كريماً بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يداً ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمِد الصمم

(ووصف المفضل الضَّبى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مرور ببعض أحياء العرب)

روى المفضَّل الضَّبى قال نزَل علينا بنو ثعلبةَ فى بعض السنين وكنت مشغوفاً بسماع أخبار العرب وجمعها فأخذت أجول بين خيامهم وأتحسّس من أحوالهم وإذا

أنا بامرأة واقفة فى فناء خبائها آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله فى حسنه وجماله وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب يسترق السمع ويترشفه القلب فكان أكثر ما أسمعه منها (بنىّ وأى بنىّ) وهو يتبسم فى وجهها وقدغلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربات الحجال فلا يحير جوابا ولا يبدى خطابا فاستحسنت مارأيت واستحليت ماسمعت فدنوت فسلمت فردّ علىّ السلام ووقفت أنظر الى المرأة والغلام فقالت لى ياحضرى ماحاجتك قلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى فابتسمت وقالت ياهذا إن شئت سقت اليك ماهو أحسن مما رأيت فقلت هاتى حفظك الله قالت ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربى بيننا كأنه شبل وكنت أقيه برد الشتاء وحرّ الهجير حتى إذا ماتمت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب لحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما أن اشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى الخيلاء بين بيوتات الحىّ وأصغى إلى أصوات ذوى الحاجات فأخذ فى قرى الضيف واطعام الطعام وأنا عليه وجلة أحرسه من العيون أن تصيبه ومن الألسن أن تعيبه الى أن نزلنا فى بعض الايام منهلا من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحىّ فى طلب ثأرلهم وشاء الله تعالى أن أصابت الغلام وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق في الحىّ غيره ونحن آمنون وادعون فوربك ماهو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد نوّاراً لازوّاراً فما كان الا هنيهة حتى أحرزوا الأموال وهو يسألنى ما الخبر وأنا أستره عنه اشفاقاً عليه وضناً به حتى اذا علت الأصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الضرغام اذا أغضب فأمر بأسراج فرسه

ولبس درع حربه وأخذ رمحه بيده وركب حتى لحق حماة القوم وأنا أنظر اليه فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم فقتله فانصرفت اليه وجوه الفرسان فرآه غلاماً صغيراً لامدد وراءه فحملوا عليه فأسرع يؤم البيوت حتى اذا خلفهم وراءه وامتدوا فى أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم من الرمية وناداهم خلوا عن المال فوالله لارجعت إلا به أو لاهلكن دونه فتداعت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة ومالوا عليه بالأعنة فوثب عليهم وهو يزأر كالأسد وجعل لايحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الا هزمها حتى لم يبق من القوم الا من نجا به فرسه ففاز بالأموال وأقبل بها فكبر القوم عند رؤيته وفرحوا فرحا عظيماً بسلامته فوالله مارأينا قط يوماً كان أسمح صباحاً وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته ينشد فى وجوه فتيات الحى هذه الابيات

تأملن فعلى هل رأيتن مثله ... اذا حشرجت نفس الكمى عن الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه ... من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه ... من السمهرى اللدن والصارم العضب
أنا ابن أبى هند بن قيس بن خالد ... سليل المعالى والمكارم والسيب
أبى لى أن أعطى الظلامة مرهف ... وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده ... شماريخ رضوى لانحططن الى الترب
وعرض نقى أتقى أن أعيبه ... وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب
فان لم أقاتل دونكن واحتمى ... لكن وأحميكن بالطعن والضرب
وأبذل نفساً دونكن عزيزة ... علىّ لأطراف القنا وظبى القضب

فلم تصدق اللاتى مشين الى أبى يهنئنه بالفارس البطل الندب

(وصف نهج البلاغة للامام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ)

أوفى لى حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) صدفة بلا تعمل أصبته على تغير حال وتبلبل بال وتزاحم أشغال وعطلة من أعمال فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات ومواضيع متفرقات . وكان يخيل لى فى كل مقام ان حروباً شبت . وغارات شنت . وان للبلاغة دولة . وللفصاحة صولة . وان للأوهام عرامة [١] وللريب دعارة [٢] . وان جحافل الخطابة . وكتائب الذرابة . فى عقود النظام وصفوف الانتظام . تنافح بالصفيح الأبلج [٣] والقويم الأملج [٤] وتمتلج [٥] المهج . بروائع الحجج . وتفل دعارة الوساوس . وتصيب مقاتل الخوانس [٦] فما أنا الا والحق منتصر. والباطل منكسر . ومرج الشك فى خمود . وهرج الريب فى ركود . وان مدبر تلك الدولة . وباسل تلك الصولة . هو حامل لوائها الغالب . أمير المؤمنين على بن أبي طالب . بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع أحس بتغير المشاهد . وتحول المعاهد . فتارة كنت أجدنى فى عالم يعمره من المعانى أرواح عالية . فى حلل من العبارات الزاهية. تطوف على النفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصافية . توحى اليها رشادها وتقوم منها منآدها . وتنفر بها عن مداحض المزال . الى جواد الفضل والكمال . وطوراً كانت تتكشف لى الجمل عن وجوه باسرة . وأنياب كاشرة وأرواح فى أشباح النمور . ومخالب النسور .

(١) العرامة الشراسة (٢) الدعارة سوء الخلق (٣) الصفيح السيف والابلج اللامع البياض (٤) الرمل الاملج الأسمر (٥) تمتلج تمتص (٦) الخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء

وقد تحفّزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب . فجلبت القلوب عن هواها . وأخذت الخواطر دون مرماها . واغتالت فاسد الأهواء ، و باطل الآراء ، وأحياناً كنتُ أشهد أن عقلاً نورانياً . لا يُشبه خَلقًا جسدانياً . فصل عن الموكب الآلهى . واتصل بالروح الانسانى . فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما بهِ إلى الملكوت الاعلى ونَما بهِ إلى مشهد النور الأجلى . وسكن بهِ إلى عمّار جانب التّقديس . بعد استخلاصه من شوائب التّلبيس . وآنات كأنى أسمع خطيب الحكمة . ينادى بأعلياء الكلمة . وأولياء أمر الأمة . يعرّفهم مواقع الصواب ويبصرهم مَواضع الارتياب . ويحذّرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم الى دقائق السياسة ويهديهم طريق الكياسة : ويرتفع بهم الى منصّات الرياسة ويصعدهم شرف التدبير ويُشرف بهم على حسن المصير

﴿ وصف حفلة لمحمد بك المُويلحى ﴾

لو كان لليالى لسانٌ يَنطق بالفَخار وجَنانٌ يجرى بنظم الأشعار لأنشدت لَيلة الحفلة (الخديويّة) قصيدةً تُسَجل لها فى ديوان العُصور والدُّهور مالم تَبلُغه ليلة قبلها فى تكامُل الفرَح والسُّرُور ولو كان الدّهر يفصحُ لنا يوماً عن انشراحه وابتهاجه لأنبأنا بأنه ادّخرَها غُرّةً لجبينه ودُرّة لتاجه لازالت أيام الجناب العالى ولياليهِ مُشرِقةً بالسّعدِ والهناء متألِقةً تألقَ البدُور فى أفق السّماء

﴿ ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له ﴾

قال عيسى بن هشام زايَلْنا الأهرام وخلّيْناها تَنْدُبُ مَن شادها وتَنعي مَنْ بَناها و مِلْنا إلى دار التحفِ ومُستودَع الآثار لمشاهدة ما حفظتهُ لنا من صنوف الطّرَف وعيونِ الأخبار وما أخرجَتْهُ الأيام من عالم الخفاء الى عالَم الظُّهور بعد أن كان سرًّا مكتوما في خواطر العصور والدُّهور وما صانتهُ بطون القبور من

الفناء والدثور وحمته أحشاء الرموس من العفاء والدروس وما أخبته أرحام المعابد والهيا كل من بقايا الماضين وخبايا الأوائل وما انكشفت عنه سجوف الأحقاب وديعة الأسلاف للأعقاب من مكنون الدفائن ومكنوز الخزائن وعجائب الفن الدقيق وبدائع البدع الأنيق وغرائب الصنع العتيق بليت فى اصطحابها بطون الأيام والليالى وآنحنت فى احتضانها ظهور العصور الخوالى وانقلبت البحار وهاداً وأصبحت الوهاد أطواداً وغدت الأغوار أنجاداً وأضحى العمار خرابا والخراب عماراً والغمار سرابا والسراب غمارا وتمدنت بواد وتبدت مدائن وبادت مواطن وقامت مواطن ومضت دول بعد دول وذهبت أول أثر أول وبدت أحوال وحالت وظهرت أعمال وزالت وهى هى كما تركها أهلها مصون وضعها محفوظ شكلها خبر صادق ولسان ناطق تخبر بالعبر وتحدث عمن غبر

مضت غبرات العيش وهى غوابر على الدهر مكتوب عليها حبائس

﴿ وصف الفونغراف للمرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ ﴾

مثال القوة الناطقة من غير إرادة سابقة يقتطف الألفاظ اقتطافا ويختطف الصوت اختطافا مطبعة الأصوات ومرآة الكلمات ينقل الكلام من ناحية إلى ناحية نقل كلام عمر رضى الله عنه إلى سارية (١) أشد من الصدى فى فعله فى إعادة الصوت على أصله كأنه الحروف عن يد الطابع والوتر عن يد الضارب والقصب عن فم القاصب يحفظ الكلام ولا يبيده ومتى استعدته منه يعيده من غير أن يبقى لفظا فى صدره أو يكتم شيئاً من أمره كأنما حفظ الوديعة فى نفسه طبيعة فلو تقدم له الوجود فى مرتبة الزمن لما احتجنا فى الأخبار إلى

(١) ابن زنيم الذي ناداه عمر رضى الله عنه على المنبر

عنعنة[1] ولا فى التداعى إلى بينة بل كان يُسمِعُنا كلامَ السيد المسيح فى المهد وصوت عاذرَ[2] من اللحد وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم وأنشدوه كلمتهم فرأينا به غرائب اليونان وبدائع الرومان وربما سمعنا خُطَب سحبان وشعر سيدنا حسان بذلك اللسان وأصبح وجود الإنسان غير محدود بزمن من الزمان: لله درّه من تلميذ يستوعب ما عند المعلم ويستخلصه فى لحظة معيداً لقوله ناقلا لصوته ولفظه

لقد وجدتُ مكان القول ذا سعةٍ فإن وجدتَ لساناً قائلاً فقلِ

نديم ليس فيه هفوة النديم وسمير لا يُنسَبُ اليه تقصير تُسكته وتستعيده وتذمه وتستجيده وتنقصه وتستزيده وهو فى كل هذه الأحوال راض بما يقال لا يكلّ من تحديث ولا يملّ من حديث نمام كما ينمّ عليك وينقلُ لغيرك كما ينقل اليك فهو المصورُ لكلّ فن المتكلمُ بكلّ لغة المحدث عن كلّ إنسان المؤرخ لكلّ زمان الشاعر الناثر المغنى العازف لا تعجزه العباره ولا يجهده الاداء ولا يضرُّه إختلافُ شكل ولا تباينُ أصل بل تعدّت شدة حفظه البشريّة من اللغات إلى حفظ أصوات العجماوات إلى حركة اصطكاك الجمادات

﴿ ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها ﴾

ورد الكتابُ المطرزُ بحلى الكرم المحلّى بجميل النعم واستلمت الهديّة فسلمتْ يدٌ أهدتها وحفظتْ السجايا التي لمحاسن الأعمال هدتها ودامت رحابُ لمثل هذه الحسنات فيها مجال وللمحسنات بهاء وجمال وللآمال محط رحال وللمقاصد كعبة إقبال وطابت نفسٌ تعالى الله أن تماثلها نفس عصام فانها نسخت آية الكرم

(١) مراده الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم التي تروى عن فلان عن فلان (٢) هو الذي احياه عيسى عليه السلام

والإقدام بآية الجود والإكرام وفعلت فى القلوب بالعطاء والنوال ما قصرت عنه الرماح الطوال وتأملتها فأرتنى مالا عين رأت وأظهرت من محاسن المناظر ما أعمرت وقربت كل منظور بعيد وتلت (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) وصفا وفتى بصفاتها فلم أشته شيئا الا جمعت بينه وبينى وصح علينا قول القائل (رأيت بعينها ورأت بعينى) ثم سرحت نظرى فى الأطلال والرسوم حتى نظرت نظرة فى النجوم فلم تخف عينى شجراً ولا مدراً ولا نجماً ولا قمراً

يزيدك وجهها حسنا اذا ما زدته نظرا

ببهاء يخيل لى أنها صيغت من ضياء فلا عيب فيها غير أنى نظرت بها فى سماء فضلك الباهر وأفق شرفك الطاهر فلم ينكشف لى بها لجودك آخر: لا زال كرمك بعيدا حده على كل ناظر وباصر وفضل مناهلك غاية تقصدها الاوائل والأواخر

﴿ وصف سان استفانو باسكندرية ﴾

كتابى والقلم فى البنان يسطر ما يمليه الجنان عن محاسن ذلك المكان المشهور (بسان استفان) هناك ترى البحر كالمرآة تمثلت فيها السماء فكأنما الماء سماء والسماء ماء وتخال الشاطىء مرتعاً للظبيات الآنسات أو سوق جمال تباع فيه القلوب على الغانيات

هناك الشبيبة واللعب والزهو والطرب وقد اعتل الصبا وصح الصبا: حور وولدان يمرحون بنشاط الشباب ويتهادون بنشوة الدلال والإعجاب فمن «غادات» روائح غاديات قدودهن الرماح الطاعنات ولحاظهن القاتلات المحييات ومن « ولدان » يلعبون بالكرة والصولجان فالكرة قلب المحب المتيم والصولجان الذى يدفعها شوق العاشق المغرم هناك نغمات الأوتار تدعو الى اغتنام الاوطار تهدى الارتياح الى الأرواح وتبدل الأفراح من الأتراح

هناك الكؤوس على قطب الخلاعة تدور فهى برشفاتها الثغور وبنورها البدور تشرق من الحنان وتغرب فى أفواه الندمان فيعلو الوجوه الشفق فتبارك المبدع فيما خلق

هناك فريق من أهل الهوى حلفاء الأسى والجوى يختلسون النظرات وتحتها سهام صائبات تقصد قلوبهم ولا راحم لهم ينادون من يحبون فلا يجابون ويتذللون لعز الجمال على أنهم لا يحابون يتمنون الرضا بعد الهجر وحلو اللقا بعد الصبر وفريق آخر قد وافاهم السعد فنالوا الامانى تعلو وجوههم نضرة النعيم بما نالوه من إشارة أو تسليم يتبادلون التحيات بالحواجب ويشفقون على القلوب فيضمون الايدى فوق الترائب حتى اذا الليل سجا وسترهم رداء من الدجى يتلاقون الى جانب اليم ويتهامسون والفم قريب من الفم تراهم على الارائك جنبا بجنب وعنقا على كتف مبتعدين عن العيون هنا وهناو قد بلغوا الآراب والمنى يجتنون الثمر من السمر ويلثمون الراح بالراح ولا يزالون فى مسرة وهناء وأنس وصفاء حتى ينادى منادى الموائد بحى على شهى الطعام وهلموا الى رائق المدام فيجلسون مثنى وثلاث ورباع محفوفين بيانع الازهار مستضيئين بأزهى الأنوار والغلمان عن يمينهم وشمالهم قائمون بحوائجهم وهم فى لباسهم كأقمار وفى خفتهم كلمح الابصار فيأكلون ويشربون ويضحكون ويلعبون بين نغمة بالحديث الرخيم ونشوة المدام القديم حتى اذا أخذت كل حاسة حظها وتلجلجت الألسنة فلا تفهم لفظها هنالك كسرب الظباء رائح وغاد هذه مائلة وهذا متهاد الى أن يتمشى النوم فى الجفون فتذبل العيون فينصرفون الى المنام ويحلمون بلذيذ الأحلام بعد أن يتعاهدوا على الأوبة ويحسنوا الختام بالتوبة

﴿وصف الشمس﴾

ألشمسُ كوكبٌ مُضيءٌ بذاته . وهي أعظمُ الكواكب المرئيةِ لنا منظراً وأسطعُها ضوءاً ، وأغزرُها حرارةً ، وأجزلُها نفعاً للأرضِ التي نسكنُها ولكثير من أخواتِها سيارات الشمس وبناتِها

والشمسُ كرةٌ متأجّجةٌ ناراً ، حرارتُها أشدُّ من حرارةِ أي ساعور (١) أرضيّ . ويبلغ ثِقلُها ثلثمائةِ وزنٍ من ثِقلِ الارض، وهي أكبرُ منها جِرماً بثلثمائةِ ألفٍ وألف الف مرّةٍ

وتدورُ الشمسُ على مِحْورِها من الغرب الى الشرق مرةً واحدةً في نحو خمسةٍ وعشرين يوماً .وتبعُدُ عنّا بنحو اثنين وتسعين ألفَ ألفِ ميل وخمسمِائة ألف ميل . وهي مع كلّ هـذا العِظَمِ الهائلِ لا تُعَدُّ في النجوم الكبرى ، بل إن أكثرَ ما نُشاهدُ من النجوم الثابتةِ شموسٌ أكبرُ من الشمس بأُلوف الالوف ، والشمس بسيّارتها تابعٌ من توابع أحدِها

وسَطحُ الشمس مَهَبُّ عواصفَ وزوابعَ نيرانيةٍ شديدةٍ تُثيرُ في جوّها اشوِظةً (٢) هائلةً ، تندلِعُ (٣) ألسنتُها المتأجّجة عن مُحيط كرتها أميالاً . وقد وصفَ بعضُ العلماء لهَباً آرتفع من سطحها لأوّلِ وَهْلةٍ نحوَ أربعينَ ألفَ ميل في الفضاء ، ثم آزدادَ بَريقاً وتألّقاً (٤) ، ثم آرتفعَ بعدَ نصف ساعة الى خمسين وثلثمِائةِ ألفِ ميل ، ثم جعلَ يضؤُل ويضعُفُ ،فلم تمضِ ساعتان حتى آضمحلَّ آضمحلالاً .غيرَ أن ما وصفَه هذا العالم ليس إلاَّ من قبيل النوادر،ولكنَّ آرتفاع

(١) الساعور النار نفسها أو موقدها (٢) الشواظ اللهب (٣) اندلع اللسان خرج من الفم (٤) تلألؤاً

اللهب نحو مائة ألف ميل ليس بغير العادي . وكثيراً ما تبلغ سرعة اللهب مائة ميل في الثانية . وأكثر مادة الشمس من عنصر المخذى (الإيدرجين) المتقد

وبرصد الشمس مراراً بالمرقب المغشى بالسواد شوهد في صفحة قرصها نكت سود وكلف يشوه محياها ، كأنما هي كرة سوداء الباطن غلفت بسطح ساطع من الصمادات يتخلله ثقب يظهر تحتها السواد . ولا تزال حقيقة هذه البقع موضوع البحث والتعليل عند الفلكيين . ومن تنقل هذه النكت عرفت دورتها على محورها

وللشمس سيارات أو أبناء انفصلت منها منذ أزمان سحيقة ، علم منها الى الآن نحو ثمانية ، هي على ترتيب الأقرب منها فالأقرب : عطارد فالزهرة فالأرض فالمريخ فالمشترى فزحل فأورانوس فنبتون . ولم تعلم كل شؤون هذه السيارات حق العلم ، وإنما ألم العلماء بمعرفة موادها وكثافتها وأبعادها ، ولكن أمر الحياة فيها لم يزل مبهماً مستغلقاً اللهم الا في الأرض وقمرها

أما مقدار النعم التي سخرها الله لنا بوجود الشمس فمما لا يحصيه العد ، فهي مبعث حياتنا وحياة الحيوان الذي يعيش معنا ، ومصدر نورنا ونارنا وحرنا وبردنا . وهي التي تحيل مياه البحار بخاراً ، وتقلها في الجو غيوماً ، وتنزلها على الأرض أمطاراً ، حيث تجرى جداول وأنهاراً ، فتروى زرعنا ، وتنمي غراسنا ، وتثير الرياح ، وتطلع الانواء ، وتزجى [1] السفن والبواخر في عباب الماء ، وتدفع القطرات الحديدية ، وتدير الالات البخارية ، وتنير المصابيح الدخانية والزيتية ، إذ ليس الفحم الحجرى والزيت الارضى إلا حرارة نارها المدخرة منذ قديم الدهور لينتفع بها أحياء هذه العصور ، وما النهار المبصر ، والليل

(١) تسير

المُظلِمُ ، الا آيتانِ من آيات اللهِ المُسَخَّرة لنا بتسخيرِ هذا المخلوقِ العجيب : ففي النهارِ نسعَى في مَناكب الأرض لابتغاء رزقنا ، وتدبيرِ معاشِنا ، وتنظيم شؤون حياتنا ، ونُسبّحُ بحمدِ ربنا ، ونعتبرُ بآثارِ من سبقَنا ، وفى الليل نسكن لإراحة أبدانِنا ، واستجمامِ (١) قُوانا ، واستيفاءِ حظّنا من النومِ الذى به نستديمُ صِحّتَنا ، ونستعيضُ ما فقَدناه بأعمالنا ، وننظرُ فى مَلَكوتِ السمواتِ وما خلقَ اللهُ من شىء فى حركات الكواكب وانتقالِها ، وبديع صُورِها وألوانِها ، فتعنُو وجُوهنا ، وتتضاءلُ كِبرياؤنا ، أمامَ قُدرة خالِقنا العظيمِ ، فسبحانَه من إله حكيمٍ .

وما الألوان التى نراها فى نَوْر الأزهار وريش الأطيار ونفائس المصنوعاتَ إلاّ أثرُ وُقوعِ أضوائِها على هذه المرئيات وانعكاسِها (٢) على أبصارِنا ، فإن نُور الشمس الأبيض مُؤلَّفٌ من سبعة ألوانٍ أصلية (٣) تنشأ منها كلُّ الألوان الفرعية ، وهى الأحمرُ ، والبُرتقالىُّ ، والأصفرُ ، والأزرقُ ، والأخضرُ ، والنِّيلَجِىُّ ، والبَنَفْسَجِىُّ . فمن الأجسام مالا يمتصُّ شيئاً من هذه الألوانِ ، بل يَعكِسُها كلَّها على العين ، فيبدو أبيضَ ناصعاً كزهرةِ الياسمين ، ومنها ما يمتصُّ بعضَها ويعكِسُ باقيَها ، فيتلوَّن بلَونِ مايعكِسُ منها ، فإذا أبصرتَ ورقةَ الشجر خضراءَ عرَفتَ أنها اختزنت من ضَوءِ الشمس ستة ألوان ، وردَّت الى عينيك سابعها ، وهو الأخضر لأن فيما ادَّخرَتْهُ نفعاً لها ، وليس بها الى ما لفَظَتْه افتقارٌ ، ومنها ما يردُّ لونين أو أكثرَ ، فيبدو لونهُ مَزيجاً بين هذه الألوان السبعة . وهذه الألوان من عجائب صُنع الله فى الأرض لتمييز بعضِها من بعضْ

(١) استجماع (٢) انعكس مطاوع عكس كما فى الاساس (٣) امكن ارجاع هذه الالوان فى الصناعة الى ثلاثة

فقد يتماثلُ الشيئان شكلا ، وحجما ، وصلابةً ، وليناً ، وشماً ثم لايتباينان إلا من حيثُ اللونُ ، فيكونُ اللونُ آيةَ تبايُنهما ، وأكثرُ ما يكون ذلك في الأزهار

وتنوُّعُ الألوانِ هو السرُّ في جمالِ المرئياتِ من مشاهدِ الطبيعة وبدائع الصناعةِ ، وإن أعظمَ المصورينَ وأمهرَ النقاشين لم يُبرِّزوا على غيرهم ، ويدلُّوا على ذكائهم ونبوغهم الا ببراعتهم في محاكاةِ ألوانِ الطبيعة المؤتلفةِ وأشكالها المتجانسة . وإنما يتمُّ لهم ذلك اذا عرَفوا كيفَ يمزجُونَ من الأصباغِ مايستخدمون به ألوان النُّورِ خيرَ استخدامٍ ، وينتفعون بهِ أحسنَ انتفاعٍ . وقد سخَّرَ علماء الطبِّ تبايُنَ الألوانِ في كشفِ النقابِ عن حقائقِ الجراثيم ، فإنَّ منها مالا يتضحُ للعين في المجهرِ إلا اذا ألقيَ عليه صِبغٌ خاصٌّ يُؤثِّرُ فيه لونُه فيُصبغُ به

ولأمواجِ الشمس الضوئية سُرعةٌ معلومةٌ تسيرُ بها ، فاذا انخفضتْ هذه السرعةُ عما هي عليه لم تعُدِ العينُ قادرةً على رؤيتها ، لأنها تستحيلُ الى مظهرٍ آخرَ غيرِ مظهر الضوء والحرارة ، وليس يُنكَرُ ما للضوءِ والحرارةِ معاً من الأثرِ الحسَنِ في تنقيةِ المساكن مما يقطنُها من الجراثيم القتَّالةِ والعفَنِ المُضني . ولذلك قيلَ : إن الدارَ التي تدخُلها أشعةُ الشمس لايدخُلها الطبيبُ

وصف القمر

القمرُ أجملُ الكواكبِ صورةً وأبينُها منظراً وأسهلها رَصْداً ، وأكبرُها في رأي العَيْن بعدَ الشمسِ جرْماً

وهو سيَّارٌ كُريٌّ أصغرُ مِنَ الارضِ بنَحوِ تسعٍ وأربعينَ مرةً . انفصلَ مِنها زَمنَ التكوينِ ، وصارَ تابعاً لها ، طائفاً حولَها ، مستمداً نورَه مِن الشمسِ مثلَها ، دائراً حولَ الشمسِ معها ، غيرَ أنَّ طوافَ الأرض بقمرِها

حولها يتمُّ في سنةٍ شمسيةٍ وطوافَ القمر حولَ الأرض يتمُّ في شهرٍ قمريّ : أي مدة تسع وعشرينَ يوماً ونصفِ يوم تقريباً . ومع أنهُ خاضعٌ لنظام الأرض لا يقلُّ بُعْدُه عنها عن واحد وعشرين ألفاً ومائتيْ ألفِ ميل

والذى يسترعى أنظارنا كما استرعَى أنظارَ مَنْ قبلَنَا اختلافُ أشكالِه وتعددُ مَطالِعِه . مما جعلَه مَبعثَ تخيُّل القُدَماء ومَثَارَ تفكّرِ الحكماء ومقصداً لِعبادَةِ الجُهلاء ! فتراهُ يلوحُ ليلةَ أوّلِ الشهر إثرَ غروبِ الشمس ضئيلاً مُقوَّساً لا يلَبثُ أن يغرُبَ ويغيبَ في شفَقِ الشمس ، ثم يَهُلُّ في الليلة الثالثة أبْيَنَ صورةً وأَبْقَى زمناً لازدياد تأخرِه في الغروب عن الشمس ، ولا يزالُ نورُه في تزايُدٍ ومَطالِعُه في تقدمٍ نحوَ المشرق ، حتى يطلُع من المشرِق في الليلةِ الرابعةَ عشرةَ عند غروب الشمس بدراً كاملاً بَهِيَّ الطلعةِ باهرَ الأنوارِ ، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين

ولكنَّ الكمالَ لِلهِ وَحدَهُ ، فإن منتهَى الزيادة مُبتَدأُ النَّقصِ، ففي الليلةِ الخامسةَ عشرة يتأخّرُ طلوعُهُ من المشرق ، وينقُصُ من حافَةِ نورِه التي كانت موضعُ هِلالِه الأوّل زيقٌ لا يُشعَرُ به إلاَّ في الليالي التالية ، ولا تَزال مَطالعُهُ في تقهقُرٍ ونُورُه في تناقص حتى قُرْبِ آخر الشهرِ ، فيُشْرِقُ قُبَيلَ الفجرِ هلالاً ضئيلاً يكادُ يكونُ مَقلوبَ الهلال الأول ، وفي الليلةِ الأخيرةِ يكونُ عندَ الصَّباحِ في الأفقَ الشرقيّ مظلِماً لا يُرى منه شيء ، وهي ليلةُ المُحاق أو السَّرار . ويظلّ بَعضَ النهار كذلك ، ثم يتولَّدُ هلالُه الجديدُ ، ولكنَّه لا يَظهَرُ إلاَّ بعدَ أن يغيبَ قُرصُ الشمسِ ، فيلوحُ هلالُه ثم يختفي كما قدمنا

وعِلَّةُ ذلك أن نورَ القمرِ كنُورِ الأرض مُستَفادٌ من الشمس . وهو لا يُقا بلُ

الارض إلاَّ بوجهٍ واحد لا يتغير . وهذا الوجهُ بالنسبة إلى حركتهِ مع الأرض حولَ الشمس لا يُقابلُ الشمسَ مُقابلةً تامــةً إلاّ فى وضعٍ واحد ومرة واحدة هى الليلةُ الرابعةَ عشرةَ ، فيغشــاه نورُها ، و يصيرُ بدراً . أما بقيةُ الليالى التى قبلها والتى بعدَها فينحرفُ قليلاً أو كثيراً عنها ، حتى يصيرَ كلُّه ظلاماً ليلةَ المُحَاق ، فيُطوَى خبرُه ، ويكونُ الوجهُ الآخر الذى لا يُرى لنا بدراً كامــلاً . ثم يتولَّدُ هلالُه خَلقاً جديداً

وكذلك شأنُ الأرض فى استمدادِ نُورها أوْ ما نُسَمِّيهِ نهاراً ، فلو كان فى القمر سُكان لكانتْ فى رأى أعيُنِهِمْ أكبرَ كوكَبٍ فى السماء ، ولَشاهدوها أكبر من الجِرْمِ الذى نُشَاهِدُ القمرَ عليه أضعافاً مُضاعفةً ،ولـكانتْ عندَهم أرْوَعَ جمالاً وأبدَعَ من قمرهم فى نظرنا تَشَــكُّلاً ، فبدَورانها على نفسها يرَوْنَها كلَّها جزءاً فجزءاً ، وتظهَرُ قارَّاتُها ومُحيطاتها وَاضحةً عليها فى وقت الصَّحْو ومُظلَّلاً بعضُها بالغمام فى وقت الدَّجْنِ ، وتبدُو أهلَّتُها و بدورُها ضخمةً باهرةً ولـكن لا يراها إلاَّ سُــكانُ النصفِ المُقابِلِ لنا أو الذين يُريدون التَّفرُّجَ برؤيتها من أهل النصف الثانى

ولقُرب القمر منا وخُلوّ جوّه من الهواء سَهلَ رصدُه علينا ، فنرى فى صفحته عند الشُّروق ليلةَ التِّمامِ كثيراً من المَحْوِ [1] يجعل صورتَه أشبهَ بوجهِ إنسان ذى أنفٍ وفمٍ وحاجبين وعينين إحداهما مُغمَضيةٌ . ولايزالُ كذلك ، حتى يتعدَّى خط زوال مكانِ الناظرِ . فإذا مال الى المَغرب انحرفَتْ هذه الصورة حتى يصيرَ عاليها سافلَها . وليس هذا المَحْوُ إلا ظلامَ بطونِ الأوديةِ والسُّهول

(١) المحو : السواد فى القمر

البعيدةِ الغوْر وظِلالَ الجبال والهضابِ الشاهقةِ الطُّول شهوقاً يكاد يمنع استدارته أما قِمَمُ الجبالِ وسُطوحُها المقابلةُ للشمس فترَى لامعةً ساطعةً فتَبِينُ سلاسلُ الجبال طرائقَ مضيئةً وقِمَمُها نُقطاً لامعةً وفوَّهاتُ جبال ناره الشديدة السَّعَةِ البعيدةُ الغَوْر التى تُعَدُّ بعشرات الالوفِ كأنها حلَقاتٌ وسطها نُقطٌ سود

وقد ظن القدماء فى عِلَّة المَحوِ ظنوناً بعضُها صادَفَ الحقيقةَ وبعضُها جانبها حتى ظهر غاليليو، واخترع سنة ١٦٠٦ م مِرْقَباً يقرّب الاشباح ثلاثين مَسافة فأثبتَ وُجودَ الجبالِ والأودية فيه . وزادَ عليه غيرُه فى تحسين المراقبِ المكَبِّرة حتى أصبح القمرُ يُرَى كأنهُ على بُعدِ أربعينَ مِيلاً منا . على أن هذا القرب لا يجعلُنا نرى الأشباحَ الصغيرةَ التى من نوع الحيوان لنتحقق أللقمَر سُكانٌ كما للأرض أو لا ، ولكن قد أصبح من المرَجَّح إن لم يكن من المحقق أنهُ خالٍ من الماء ومن السَّحاب والضَّباب الناشئين منه ومن النباتِ ، إذ لو كان به شيءٌ منها لتغيّر شكلهُ من حالٍ إلى حال . ويُشكُّ أن له هواء ، وإن كان له هواء فلعَلَّهُ لا يزيدُ على قِمَمِ جبالِه . ولا شك أن الماء والهواء هما يَنبُوعا الحياة وتجرُّدُه منهما ، وخمودُ جبال ناره ويُبس جرمهِ يجعلُ بردَه شديداً جدًّا فى الليل وحرَّه عظيماً جدًّا فى النهارِ ، على فَرْط طولهما البالغ فيه خمسةَ عشرَ يوما : مما يجعلُ الحياةَ فيه متعسرةً بل مستحيلةً ، اللهم إلاَّ أن تكونَ حياةً غيرَ حياتنا

ويُرجّحُونَ أنّ القمرَ كان فى أزمانٍ سحيقةٍ على طبيعة تقربُ من طبيعةِ أُمّهِ الأرض ، فكانَ آهلاً بالحيوانِ والنباتِ ، إلاَّ أن صِغَر جسمه جعلَه يسبق الأرضَ فى اليُبْسِ والبرُودة ، فتقبَّضَ وبرَدَ وانتهت دُنياه ، وأصبحَ كإسفَنْجةٍ

مُشعَّبة ذاتِ شعَبٍ ونَخاريبَ (١) تكوينُها منْ جِنْسِ تكوين الأرض

ولقد خلَقَ الله القمَرَ مُسخَّراً لأهل الأرض خاصَّةً ، فهو بعكْسِهِ نُورالشمس عليهم هدايةٌ لهم في ظُلُماتِ البَرّ والبحرِ . ولَقد قَضى الإنسانُ عُصوراً ودُهوراً وليس له مِصباحٌ في جُنحِ الظلام غيرُه . ولا يزالُ كذلك لأهلِ البدْوِ وقبائل الهَمَج . وهو باختلافِ أشكالِه تقويمٌ فِطْرِيٌّ لهم ، فباهِلالِه يُعْرَفُ أوَّلُ الشَّهْر ، وبالتَّرْبيعِ الأوَّل يُعرَفُ رُبْعُهُ ، وببدْرِه (٢) يُعرَفُ نصفُه ، وبالتربيعِ الأخير يُعْرَفُ ثلاثةُ أرباعه ، وبمِحاقِه تُعرفُ نِهايتُه

وإذا مَرَنَ الإنسانُ على النَّظَرِ في تقديرِ ضَوْئِه وأوقات مَطالِعه عرَفَ الشهرَ يوماً يوماً والليلَ ساعةً ساعةً . قال تعالى « يَسألونَكَ عنِ الأهلّةِ قُلْ هِيَ مَواقيتُ لِلناسِ والحَجّ »

وباتحاد جذْبِه مَع جذْبِ الشَّمس للأرْض ينشا المَدُّ والجزْرُ ، وفائدتهما في تَسْهيلِ الملاحةِ لاتُنكر ، فكم من موانيء ومرافيء لولاهما لَسُدَّت برواسبِ الانهارِ والسيول

ولضوءِ القمرِ في إنضاجِ الثِّمارِ والبقولِ أثرٌ أيُّما أثرٍ ، حتى إنَّ بعضَها لاينمو ويزهو لونه إلاّ في لياليهِ البيض

الفن الخامس في المقامات

المقامة عبارةٌ عن كتابة حسنة التأليف أنيقة التَّصنيف تتضمَّن نكتة أدبيَّة ومدارُها على رِوايةٍ لطيفة مختلَقَة تُسند الى بعض الرُّواة ووقائع شتَّى تُعزَى الى

---

(١) جمع نخروب وهي الثقب التي تكون في مثل بيوت الزنابير والنحل

(٢) مصدر بدر البدر يبدر بدرا . وبالمصدر سمى هذا الكوكب عند تمام نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق في ليلة التمام عند غروبها

أحد الأدباء والمقصود منها غالباً جمع دُرَر الألفاظ وغُرَر البيان وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة والرّقائق الأدبية كالرّسائل المُبتكَرَة والخطب المحبّرة والمواعظ المُبكية والأضاحيك المُلهية [١] ولنذكرْ لك مُنتخبات من مقامات مختلفة فنقول

(قال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ المقامة التاسعة الاسكندرانية [٢])

أخبر الحارث بن همّام قال طَحا بيَ [٣] مَرَحُ [٤] الشّباب وهَوى الاكتِساب [٥] الى أن جُبْتُ [٦] ما بين فَرغانة [٧] وغانه [٨] أخوضُ الغمار [٩] لأجنى الثّمار وأقتحم الأخطار [١٠] لكي أدركَ الأوْطار [١١] وكنتُ لقفتُ من أفواه العلماء وثقِفتُ [١٢] من وَصايا الحُكماء أنه يلزمُ الأديبَ الأريب [١٣] اذا دخل البلد الغريب أن يَستميل قاضيَه [١٤] ويَستخلص مَراضيه [١٥] ليشدّ ظهره عند الخصام ويأمنَ في الغربة جَوْرَ الحُكّام فاتخذتُ هذا الأدب [١٦] إماما [١٧] وجعلتُه لمصالحي زِماما فما دخلتُ مدينة ولا وَلجتُ [١٨] عرينَة [١٩] إلا وامتزَجتُ بحا كما امتزاج الماء بالرّاح وتقوّيتُ بعنايته تقوّي الأجسادِ بالأرْواح فبينما أنا عند حاكم

(١) اعلم ان المقامات تعرف بالمكان الذي تجري فيه فيقال المقامة الحلبية او الموصلية بناء على ان محل وقوعها حلب او الموصل وربما نسبت الى المروى عنه ويستحب في راوى المقامة ان يمثل رجلا ظريف النفس كثير الاسفار حسن الروية متفرغاً لفنون الادب جادا فى طلب غرره كاداً ذهنه فى تحصيل درره كالحارس بن همام فى المقامات الحريرية وعيسى بن هشام فى المقامات البديعية ومخترع هذه الفن هو بديع الزمان الهمذانى وبعده الحريري واشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وانلم يبلغوا شأوهما (٢) تقدم تاريخه (٣) ذهب بي (٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) اي محبة اكتساب المال (٦) قطعت (٧) بلد بأقصى بلاد المشرق (٨) بلد بأقصى المغرب (٩) بالكسر جمع غمرة الكثير من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (١٠) اي ادخل في القحمة بالضم وهي الشدة والاخطار الامور العظيمة (١١) الحاجات (١٢) ادركت (١٣) العاقل (١٤) يرغبه ويترضاه ويطلب ميله اليه (١٥) يطاب خالص رضاه (١٦) اى هذا الامر الظريف المستحسن (١٧) قدوة اى اعمل بمقتضاه (١٨) دخلت (١٩) مأوى الاسد

الاسكندرية في عشيّة عَرِيَّة (١) وقد أحضر مال الصّدقات ليفُضّه (٢) على ذوي الفاقات (٣) إذ دخل شيخ عِفرِيَة (٤) تعتِلُه (٥) امرأة مُصبية (٦) فقالت أيّدَ (٧) الله القاضي وأدام به التّراضي (٨) إني امرأة من أكرم جُرثومة (٩) وأطهر أرومة (١٠) وأشرف خُؤولة وعُمومة مِيسَمي (١١) الصَّوْن (١٢) وشيمتي (١٣) الهَون (١٤) وخُلُقي نِعمَ العَون (١٥) وبيني وبين جاراتي بَوْن (١٦) وكان أبي اذا خطبني بُناةُ (١٧) المجد وأرْبابُ الجَدّ سَكّتَهم (١٨) وبَكّتَهم (١٩) وعاف وَصْلَتَهم (٢٠) وصِلَتَهم (٢١) واحتجّ بأنه عاهد الله تعالى بحِلْفة أن لا يُصاهِرَ (٢٢) غيرَ ذي حِرفة (٢٣) فقيّض القَدَر (٢٤) لنَصبي وَوَصَبي (٢٥) أن حضر هذا الخُدَعة (٢٦) نادي أبي (٢٧) فأقسم بين رَهطه (٢٨) إنّه وَفقُ شرْطه وادعى أنه طالما نظم دُرّة فباعها ببدرة (٢٩) فاغترّ أبي بزخرفة مِحاله وزوّجنيه قبل اختبار حاله فلمّا استخرجني من كِناسي (٣٠) ورحّلني عن أُناسي ونقلني الى كِسْره (٣١) وحصّلني تحت أسْره وجدته قُعَدَة جُثَمة (٣٢) وألفيْته ضُجَعَة نُوَمَة (٣٣) وكنت صحِبته برِياش (٣٤) وزِيّ (٣٥)

---

(١) اى شديدة البرد او ذات ريح بارد (٢) يفرقه (٣) اى الفقراء المحتاجين (٤) اى خبيث شديد الدهاء (٥) تجرة بعنف وجفاء (٦) اى ذات صبيان (٧) قوى ونصر (٨) اراد التراضي بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه الغالب والمغلوب (٩) اى اصل (١٠) الاورمة اصل الشجرة ثم استعير لاصل الحسب (١١) علامتي واصل الميسم الآلة التي يكوى بها ويعلم (١٢) الحفظ والعفاف (١٣) خلق وعادتي (١٤) الرفق (١٥) اى الرفيق الظهير (١٦) اى فرق وتفاوت في الفضل (١٧) بالضم جمع بان (١٨) اي قال لهم كلاما لا يجدون له جوابا (١٩) الزمهم الحجة (٢٠) اى كره قربهم (٢١) اى عطاءهم (٢٢) اى لا يزوج ابنته (٢٣) صناعة (٢٤) يعني قدر الله تعالى (٢٥) لتعبي ومرضي (٢٦) الكثير الخداع (٢٧) مجلس ابي (٢٨) قومه وعشيرته (٢٩) البدرة عشرة آلاف درهم (٣٠) اى منزلي واصله بيت الظبي او بقر الوحش (٣١) بفتح الكاف وكسرها اى جانب بيته (٣٢) كثير القعود كثير الجثوم اى يلازم الموضع الذي يقعد فيه (٣٣) الضجعة اصله العاجز الذي لا يتصرف والنومة كثير النوم والمعنى انه عاطل عن العمل كسول (٣٤) مال ولباس فاخر (٣٥) هيئة حسنة

وأثاث (١) ورِىّ (٢) فما بَرِح يبيعه فى سُوق الهضم (٣) ويتلفُ ثمنَه فى الخَضم (٤) والقَضم (٥) الى أن مزّق مالى بأسره (٦) وأنفق مالى فى عُسره فلمّا أنسانى طعم الرّاحة وغادَر (٧) بيتي أنقى من الرّاحة (٨) قلت له يا هذا انهُ لا مَخبأ بعد بُوس (٩) ولا عِطْرَ بعد عَرُوس (١٠) فانهَضْ للاكتساب بصِناعتك واجتنِي (١١) ثمرة بَرَاعتك (١٢) فزعم (١٣) أن صناعتَهُ قد رُميَتْ بالكساد (١٤) لما ظَهَرَ فى الأرض من الفساد ولى منهُ سُلالة (١٥) كأنه خِلاَلَة (١٦) وكلانا ما ينال معه شُبْعة (١٧) ولا تَرْقا (١٨) له من الطوَى (١٩) دمعة وقد قُدْته (٢٠) اليك وأحضرته لديك لتَعْجُم (٢١) عُودَ دَعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل القاضى عليه وقال له قد وَعيتُ (٢٢) قَصص عِرسك فبرهن الآن عن نفسك وإلا كشَفتُ عن لَبسك (٢٣) وأمرتُ بحبسك فأطرَق إطراق الأفعُوان (٢٤) ثم شمّر للحرب العَوان (٢٥) وقال

إسمَعْ حديثى فإنه عَجَبُ ... يُضحِكُ من شَرحه ويُنتَحَبُ (٢٦)

أنا امروٌ ليس فى خصائصه (٢٧) ... عَيْبٌ ولا فى فَخاره رِيَبُ

---

(١) هو متاع البيت (٢) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء فى الاصل اسم من روى من الماء يروى ريا (٣) المراد يبيعه باقل من القيمة (٤) الاكل بجميع الفم (٥) الاكل باطراف الاسنان وقيل الخضم الاكل باطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الخضم اكل الرطب والقضم اكل اليابس يريد انه يصرف ثمنه في انواع الاكل واللذات (٦) اي فرق الذي لى (٧) ترك (٨) بطن الكف لنقائه من الشعر (٩) اى فقر (١٠) مثل قالته امرأة من بني عذرة مات عنها زوجها واسمها عروس فتزوجها رجل ابخر وامرها ان تتعطر فقالته (١١) اى مكنى من الجني وهو جمع الثمرة (١٢) أى فضلك وفوقانك على اقرانك (١٣) ادعى (١٤) هو خمود السوق وقلة البيع ضد النفاق بالفتح (١٥) يعني ولدا (١٦) ما يتخلل به (١٧) قدر ما يشبع به مرة (١٨) اي لا تسكن (١٩) الجوع (٢٠) اتيت به (٢١) لتقضي وتختبر (٢٢) فهمت وحفظت ماقصته زوجك (٢٣) اظهرت اشكالك وتعمية امرك (٢٤) ذكر الافاعى او العظيم منها (٢٥) الحرب التى قبلها حرب وهي تكون اشد من الاولى (٢٦) الانتحاب رفع الصوت بالبكاء (٢٧) خصاله وطباعه

سُرُوجُ دارِى التى وُلِدْتُ بها والأَصل غسّانُ (١) حين أَنْتَسِبُ

وشُغْلِي الدَّرْسُ والتّبحّرُ فى العـلم طلابى وحبّـذا الطَّلبُ

ورأسُ مالى سِحْر الكلام (٢) الذى منهُ يُصاغُ القَرِيضُ (٣) والخطبُ

أغوصُ فى لُجَّة البيان فأختـارُ اللآلئ منها (٤) وأنتخبُ

وأجتني (٥) اليانع (٦) الجنيّ (٧) من القول وغيرى للعود يحتطبُ

وآخذُ اللفظَ فضَّةً فإذا ما صغتهُ (٨) قيل انهُ ذَهبٌ

وكنتُ من قبلُ أمترى نَشَبًا (٩) بالأدب المُقتنى وأَحتلِبُ

ويَمتطى (١٠) أخمصى (١١) لحرمته مراتبًا ليس فوقها رُتبُ

وَطالما زُفّتْ الصِّلاتُ إلى ربْعى (١٢) فلم أرضَ كلَ مَن يَهَب (١٣)

فاليومَ من يَعلقُ الرجاء بهِ أكسدُ شىءٍ فى سُوقه الأدب (١٤)

لا عرضُ أبنائهِ يُصان ولا يُرقب (١٥) فيهم إلٌّ (١٦) ولا نسَبُ

كأنهم في عِراصهم (١٧) جيفٌ يُبعدُ من نَتْنِها ويُجتَنبُ

فحار لُبّى (١٨) لما مُنيتُ به (١٩) من الليالى وصَرْفُها (٢٠) عجبُ

وضاق ذرعى (٢١) لضيق ذات يدى وساورتنى (٢٢) الهمومُ والكرَبُ

---

(١) اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه منهم بنو جفنة ورهط الملوك وقيل غسان قبيلة (٢) هو ما لطف مأخذه ورق (٣) الشعر (٤) اي اتعمق فى بليغ المعاني وانتق منه الملح (٥) اقتطف (٦) الزاهى (٧) الطرى من الثمر الذى جني حديثاً (٨) سبكته (٩) اي اكتسب مالا (١٠) اى يركب (١١) ما ارتفع من باطن القدم عن الارض (١٢) اى حملت الجوائز والهدايا الى منزلى (١٣) اى لم ارض ان اكون تحت منة كل احد بل لم اقبل الا من العظماء (١٤) اى ان من يتعلق به الامل ويرجى منه النوال لا يستعمل الادب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده (١٥) يحفظ (١٦) بكسر الهمزة وتشديد اللام العهد والقرابه والجوار (١٧) جمع عرصة وهى فناء الدار اى كانهم فى مواضعهم (١٨) تحير عقلى (١٩) بليت به (٢٠) تقلبها (٢١) انقبض قلبى (٢٢) واثلتني وغلبتني

وقادني دَهري المُـلِمُ (١) الى ... سُـلوكِ ما يَسْتَشِينُهُ (٢) الحسَبُ (٣)

فبِعتُ حتى لم يَبـق لي لَبَدُ (٤) ... ولا بَتـاتٌ (٥) اليـهِ أنقلبُ

وادَّنْتُ (٦) حتى أثقلتُ سالِفتي (٧) ... بحَمل دَيْنٍ من دُونهِ العطبُ

ثم طويتُ الحشا على سَغَبٍ (٨) ... خمساً (٩) فلمّا أمضني (١٠) السغَب

لم أرَ إلاّ جَهازَها عَرَضاً (١١) ... أجولُ في بيعـهِ وأضطرب

فجُلْتُ فيـهِ والنفسُ كارهـةٌ ... والعينُ عَبرى (١٢) والقلبُ مكتئِب (١٣)

وما تجاوزتُ (١٤) اذ عبِثْتُ (١٥) به ... حدَّ التراضي (١٦) فيحدثُ الغضب

فان يكن غاظَها توهُّمُها ... أن بناني بالنَّظم تكتسب

أو أنني إذ عزمتُ خِطبتَها ... زَخرفتُ قولي لينجحَ الأرب (١٧)

فو الذي سارت الرِّفاقُ (١٨) الى ... كعبتهِ تستحثُّها (١٩) النُّجُب (٢٠)

ما المكرُ بالمحصنات (٢١) من خُلُقي ... ولا شِعاري (٢٢) التمويهُ (٢٣) والكذب

ولا يدي مُذ نشأتُ نِيطَ بها (٢٤) ... إلاّ مواضي اليَراعِ (٢٥) والكُتُب

بل فِكرتي تَنظِمُ القلائدَ (٢٦) لا ... كفّي وشِعري المنظومُ لا السُّخُب (٢٧)

---

(١) الذي يأتي بما يلام عليه (٢) يستبشعه (٣) مايعد من مفاخر الآباء او الدين وقيل الكرام (٤) يقال ماله سبد ولا لبد اى شعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشي واراد الحريري انه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (٥) الزاد ومتاع البيت (٦) تداينت (٧) صفحة العنق وقيل مقدمه (٨) جوع (٩) خمس ليال (١٠) احرقني (١١) حطام الدنيا وهو المال قل او كثر (١٢) دامعة باكية (١٣) حزين (١٤) تعديت (١٥) فعلت به ما لا يليق فعله (١٦) اى حد الرضا (١٧) الحاجة

(١٨) جمع رفقة وهو جمع رفيق (١٩) تستعجلها (٢٠) جمع نجيبة وهي الكريمة من الابل (٢١) جمع محصنه العفائف (٢٢) تخلق (٢٣) تزين الكلام وأصله ان يطلى المعدن غير الذهب والفضة بأحدهما او الفضة بالذهب (٢٤) علق بها (٢٥) جمع يراعه وهي القصبة الجوفاء والمراد الاقلام (٢٦) جمع قلادة أصله ما تقلد به المرأة من الذهب والمراد ما ينظم من القصائد والاشعار (٢٧) جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شيء يجعل في اعناق الاطفال

فهذه الحِرْفة المشارُ الى ما كنتُ أحوى بها واجتلب
فأْذَنْ لشرحي كما أذِنتَ لها ولا تُراقبْ (١) واحكم بما يجب

قال : فلما أحكَم ما شاده (٢) وأكمل إنشاده عطَفَ القاضي إلى الفتاة بعد أن شُغِفَ (٣) بالأبيات وقال أما أنه قد ثبتَ عند جميع الحكّام وولاة الأحكام انقراضُ (٤) جيل الكرام (٥) وميلُ الأيام الى اللئام وإني لإخال (٦) بعلك (٧) صدوقا في الكلام بَرِيًّا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض (٨) وبيّن مصداق النظم وتبين أنه معروقُ العظم (٩) وإعنات المُعذِر ملأمة (١٠) وحبس المُعسر (١١) مألمة (١٢) وكتمان الفقر زَهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي الى خِدْرِك (١٣) واعذُري أبا عُذْرِك (١٤) ونَهنِهي من غربك (١٥) وسلّمي بقضاء ربّك — ثم انهُ فرَضَ لهما في الصّدقات حِصّة وناولهما من دراهمها قَبصَةً (١٦) وقال لهما تعلّلا (١٧) بهذه العُلالة (١٨) وتندّيا بهذه البلالة (١٩) وصبرا على كيد الزّمان وكَدّه فعسى الله أن يأتيَ بالفتح أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرْحة المُطلَق من الإِسار (٢٠) وهِزة المُوسرِ بعد الاعسار — قال الراوى

---

(١) اي لا تنظر الى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق (٢) أي اتقن ما قاله وأنشأه من شاد البناء اذا طلاه بالشيد وهو الجص (٣) يروى بالعين المهملة من شعف الحب فؤاده اي علاه وشمله — وبالغين المعجمة أي فتن وبلغ حبها شغافه وهو غلاف القلب (٤) انقطاع وفناء (٥) اي جماعة الكرم والجيل أهل زمان واحد (٦) بكسر الهمزة اي لاظن (٧) زوجك (٨) الخالص (٩) كناية عن الهزال يقال عظم معروق اذا أخذ ما عليه من اللحم (١٠) الاعنات الحمل على المشقة الشديدة والمعذر البالغ في العذر او هو الذي يأتي بما يعذر به ويطلق على المحقق العذر وعلى الذي بان عذره والملامة اللوم (١١) العاجز عن قضاء الدين (١٢) ايلام (١٣) بيتك وسترك (١٤) ابو عذر المرأة اول زوج لها (١٥) اي كفي وازجرى نفسك عن الحدة (١٦) هي ما يتناوله الانسان بأطراف أصابعه (١٧) تشاغلا وتلاهيا (١٨) ما يتعلل به وأصلها بقية اللبن (١٩) قدر ما يبل به الشيء واسم للبقية أيضاً (٢٠) القيد الذي يشد به الاسير.

وكنتُ عرفتُ أنّه أبو زيد ساعة بَزَغَتْ شمسُهُ ونَزَعتْ (١) عرسه وكدتُ أُفصحُ عن افتتانه (٢) وأثمار أفنانه (٣) ثم أشفقتُ (٤) من عثور (٥) القاضى على بُهتانه (٦) وتزويق (٧) لِسانه فلا يرى عندَ عِرفانه (٨) أن يُرشّحه (٩) لإِحسانه فأحجمتُ (١٠) عن القول إحجامَ المرتاب (١١) وطويت ذكره كطيّ السِّجلّ للكتاب (١٢) إلا أنى قلتُ بعد ما فصَلَ (١٣) ووصل إلى ما وصل لو أنّ لنا من ينطلق فى أثره لأتانا بفصّ خبره (١٤) وما يُنشرُ من حِبَرِه (١٥) فأتبعَهُ (١٦) القاضى أحدَ أُمنائه وأمرَه بالتجسّس (١٧) عن أنبائه (١٨) فما لبثَ أن رجع متُدَهدِهاً (١٩) وقهقر مُقهقِهاً (٢٠) فقال له القاضى مَهْيَم (٢١) يا أبا مريم (٢٢) فقال له لقد عاينتُ عجباً وسمعتُ ما أنشأ لى طرَباً فقالَ لهُ ماذا رأيت وما الذى وعَيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يُصفّق بيديه ويُخالفُ بين رجليه (٢٣) ويُغرّد بملء شِدْقيه ويقول

كِدْتُ أصلى (٢٤) ببليّه   من وَقاح (٢٥) شمَّرِيّه (٢٦)

---

(١) خبثت والنزع الذكر بالقبيح والافساد بين الناس ومعناه خاصمته عرسه (٢) يقال افتن الرجل في حديثه اذا جاء بالافانين وهي الاساليب والمرادهنا تصرفه في الفنون والمعارف (٣) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن (٤) خفت (٥) اطلاع (٦) كذبه (٧) التزويق التحسين والتزيين مأخوذ من الزاووق وهوالزئبق (٨) معرفته (٩) الترشيح التربية والتأهيل من ترشيح الظبية ولدها لأنها اذا بلغ ولدها السمن سمت به حتى يرشح درةأفيقوى — ويأتي بمعنى التقويه ايضاً (١٠) تأخرت (١١) الشاك (١٢) السجل الصحيفه فيها الكتابة أي كما تطوى الصحيفة الكتابة (١٣) ذهب (١٤) بحقيقة حاله (١٥) الحبر أردية يمانيه موشاة جمع حبرة والمراد ما يذكره من الكلام المسجع الشبيه بالحبر في الحسن (١٦) اي أرسل وراءه من يتبعه (١٧) أي بالبحث سراً بحيث لا يشعر (١٨) أخباره (١٩) التدهده الاسراع من دهدهت الحجر اذا دحرجته وتبدل الهاء الاخير ياء فيقال تدهدي تدهدياً (٢٠) القهقرةالمشي الى الوراء والقهقهة الضحك بصوت (٢١) أي ما الخبر وهي كلمة لاهل اليمن معناها ما خبرك وما شأنك (٢٢) يقال لعون القاضي ابو مريم (٢٣) أي يرقص (٢٤) احترق (٢٥) الوقاح قليلة الحياء بينهالقحة والوقاحة وحافر وقاح صلب (٢٦) الشمري الماضي في الامور الجادفيمايحاول

وأزورُ السِّجنَ لولا حاكم الإسكندريّه

فضحك القاضي حتى هوت (١) دُنِّيَّتُهُ (٢) وذوت (٣) سكينته (٤) فلما فاء (٥) الى الوقار وعقَّبَ الاستغرابَ بالاستغفار قال اللهمّ بحرمة عبادك المقرّبين حرّم حبسي على المتأدّبين ثم قال لذلك الأمين عليّ (٦) به فانطلق مجدًّا في مطلبه ثم عاد بعد لأيه (٧) مخبراً بنأيه (٨) فقال له القاضي أما إنه لو حضر لكُفِيَ الحَذَر (٩) ثم لأوليته ما هو به أولى ولأرينّه أنّ الآخرة خيرٌ له من الاولى — قال الحارث ابن همّام فلمّا رأيت صغو (١٠) القاضي اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه (١١) غشيتني نَدامةُ الفرزدق (١٢) حين أبانَ النّوار (١٣) والكُسَعِيِّ (١٤) لما استبان النّهار

﴿ المقامة البشرية لبديع الزمان الهمذاني المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ ﴾

حدّثنا عيسى بنُ هشام قال كان بِشر بن عَوانة العَبْديّ صُعلوكاً فأغار على رَكب فيهم امرأةٌ جميلة فتزوّج بها وقال ما رأيتُ كاليوم فقالت

---

(١) وقعت (٢) بتشديد النون والياء جميعا قلنسوة طويلة يلبسها القضاة كانها منسوبة الى الدن (٣) ذبلت وفترت (٤) وقارته (٥) رجع (٦) اي أئت به وأحضره (٧) اللأى كالسعي الابطاء والاحتباس (٨) اي ببعده (٩) ما يحذر منه ويخاف (١٠) ميله (١١) أتتني وحضرتني (١٢) هو همام بن غالب التميمي الشاعر (١٣) النوار على وزن سحاب اسم زوجة الفرزدق وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ومن شعره في ذلك قوله

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
ولو اني ملكت يدي وامري لكان علي للقدر الخيار

(١٤) الكسعي هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين حي من بني ثعلبة كان راعياً وعمل قوسا بعد طول تعب ثم رمى عنها ليلا فنفذت في الرمية ووقع السهم في حجر فقدح منه الشرر فظن ان السهم أخطأ الرمية فرمى ثانياً وثالثاً الى اخر الاسهم وكانت خمسا وهو يظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما اصبح تبين ان اسهمه كلها أصابت فندم ندما شديداً فضربت العرب المثل به في الندامة

أعْجَبَ بِشْراً حَوَرٌ فى عَيـنى وساعِدٌ أبيضُ كاللُّجَيْنِ

ودونَه مَسْرَحُ طرف العين خُمْصانَةٌ تَرْفُلُ فى حِجْلَيْنِ

أحسنُ من يمشى على رجلين لو ضَمَّ بِشْرٌ بينها وبينى

أدامَ هجرى وأطال بينى ولو يَقِيس زَيْنَها بِزَيْنى

لأَسْفَرَ الصُّبحُ لذى عَينين

قال بِشْرٌ وَيْحَكِ من عَنَيْتِ فقالت بنت عمك فاطمة فقال أهىَ من الحسْن بحيثُ وَصفْتِ قالتْ وأزيدُ وأكثر فأنشأ يقول

وَيْحَكِ ياذَاتَ الثَّنايا البيضِ ما خِلْتُنى منك بمُسْتَغِيض

فالآن إذ لَوَّحتِ بالتَّعريض خَلَوْتِ جَوّاً فاصفِرى وَبيضِى

لاأضمّ جَفْنَاى على تغميض مالم أشِلْ عِرضِى من الحَضيض

فقالت كم خاطبٍ فى أمرها ألحَّا وهى إليك إبنة عمّ لَحَّا

ثم أرسل الى عمه يَخطُب ابنته وَمنعهُ العمّ أُمنيته فآلى ألا يُرْعِى على أحد منهم إن لم يُزَوِّجه ابنته ثم كثُرَت مَضرّاته فيهم واتّصلتْ معرّاته اليهم فاجتمع رِجال الحىّ الى عمّه وقالوا كُفّ عنّا مجنونَكَ فقال لاتُلْبِسونى عاراً وأمهلونى حتى هلَـكَهُ ببعض الحِيَل فقالوا أنت وذاك ثم قال له عَمُّه إنّى آليتُ أن لا أزَوّجَ بنتى هذه إلا ممّن يسوق اليها ألفَ ناقة مَهراً ولا أرضاها إلا من نُوق خُزَاعة وكان غرَضُ العمّ أن يَسلُكَ بِشر الطَّريق بينه وبَين خُزاعة فيَفترسُهُ الأَسد لان لعرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطّريق وكان فيه أسد يُسمى « داذاً » وحيّة تدْعَى « شُجاعًا » يقول فيهما قائلهم

أفتاكُ من داذ ومن شُجاع إن يَكُ داذٌ سيّد السّباع

فانها سيّدةُ الأفاعي

ثم ان بِشراً سَلَكَ ذلك الطريق فما نصفَهُ حتى لَقِيَ الاسد وقمَصَ مُهْرُه فنزَل وعَقَرَه ثم اخترَطَ سيفه الى الأسد واعترَضه وقطَّه ثم كتب بدَم الأسد على قميصه الى ابنة عمّه

أفاطمُ لو شهدْتِ ببطنِ خَبْتٍ وقد لاقَى الهِزَبرُ أخاكِ بِشْرَا

إذاً لرَأيتِ ليثاً زارَ لَيثاً هِزَبْراً أغلَباً لاقَى هِزَبرا

تبهنَسَ حين أحجَمَ عنهُ مُهرِى مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهراً

أنلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الأرض إنى رأيتُ الأرضَ أثبَتَ منكَ ظَهْرَا

وقلتُ له وقد أبدَى نصالاً مُحدّدة ووَجْهاً مُكفَهِرَا

يُكفكفُ غِيلةً إحدَى يدَيه ويَبسُطُ للوُثُوب على أُخرَى

يَدُلُّ بمِخلَب وبحدِّ ناب وباللّحظاتِ تحسَبُهُنَّ جَمرَا

وفى يُمناىَ ماضى الحدّ أبقى بمضرَبهِ قِراعُ الموْت أُثْرَا

ألم يَبْلُغك ما فعلَتْ ظُباه بكاظمةٍ غداةَ لَقِيتُ عمْرَا

وقلبى مثلُ قلبك ليس يخشى مُصاولَةً فكيفَ يخاف ذُعْرَا

وأنتَ تَرُوم للأشبال قُوتاً وأطلبُ لابنةِ الأعمام مَهرَا

ففيمَ تَسوم مِثلى أن يُوَلِّي ويجعلَ فى يديك النفس قَسْرا

نصحتُك فالتمِسْ ياليثُ غيرى طعاماً إن لحمي كان مُرّا

فلما ظنَّ أن الغشَّ نُصحى وخالفنى كأنّى قلتُ هُجْرَا

مَشَى ومَشَيْتُ من أسدَين راما مَراماً كان إذ طَلَباهُ وعْرَا

هَزَزْتُ له الحُسَامَ فخِلتُ أنى ... سَللتُ به لدى الظلماء فجرا
وجُدْتُ له بجائشةٍ أرتْهُ ... بأنْ كذبتْهُ ما منّتْهُ غدرا
وأطلقتُ المهنّدَ من يمينى ... فقدَّ له من الأضلاع عشرا
فخرَّ مجدَّلاً بدمٍ كأنى ... هدمتُ به بناءً مشمخرًا
وقلتُ له يعز علىّ أنى ... قتلتُ مناسبى جلدًا وفخرا
ولكنْ رُمتَ شيئًا لم يرُمْهُ ... سواكَ فلم أُطِقْ ياليثُ صبرا
تحاولُ أن تعلّمنى فرارًا ... لعمرُ أبيك قد حاولتَ نُكرا
فلا تجزعْ فقد لاقيتَ حرًّا ... يحاذر أن يُعابَ فمُتّ حرًّا

فلمّا بلغتِ الأبياتُ عمّه ندم على ما منعه تزويجها وخشى أن تغتاله الحيّة فقام فى أثره وبلغهُ وقد ملكتْهُ سَوْرةُ الحيّة فلمّا رأى عمّهُ أخذتْه حميّةُ الجاهليّة فجعل يده فى فم الحيّة وحكم سيفه فيها فقال

بِشرٌ الى المجد بعيدٌ همّه ... لمّا رآه بالعراء عمّهُ
قد ثكلتهُ نفسهُ وأمّه ... جاشتْ به جائشةٌ تهمّهُ
قام إلى ابنِ للفلاَ يؤمّهُ ... فغاب فيه يدهُ وكمّهُ
ونفسهُ نفسى وسمّى سمّهُ

فلمّا قتلَ الحيّة قال عمّه إنّى عرّضتُك طمعًا فى أمرٍ قد ثنى الله عنانى عنهُ فارجعْ لأزوّجك ابنتي فلما رجع جعل بِشر يملأ فمه فخرًا حتى طلع أمرد كشقّ القمر على فرسه مدجّجا فى سلاحه فقال بشر ياعمّ إنى أسمع حسّ صيدٍ وخرج فاذا بغلامٍ على قيدٍ فقال ثكلتْك امّك يا بشر أن قتلتَ دودة وبهيمة تملأ ما ضغيك فخرًا أنت فى أمان ان سلّمتَ عمّك فقال بشرٌ من أنت لا أمّ لك قال

اليومُ الأسوَد والموتُ الأحمر فقال بشر ثكلتكَ من سلحتك فقال يا بشر ومن سلحتك وكرّ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه فلم يتمكّن بشرٌ منه وأمكنَ الغلامَ عشرُون طعنة فى كُلْيَةِ بشر كلّما مسّه شبا السّنان حماه عن بدنه إبقاءً عليه — ثم قال يا بشر كيف ترى أليس لو أردت لأطعمتك أنياب الرُّمح ثم ألقى رُمحه واستلّ سيفه فضرب بشراً عشرين ضربةً بعرض السّيف ولم يتمكن بشرٌ من واحدة ثم قال يا بشر سلم عمّك واذهب فى أمانٍ قال نعم ولكن على شريطة أن تقول لى من أنت فقال أنا ابن المرأة التى دلّتك على ابنة عمّك فقال بشر

تلك العَصا من هذه العُصيّه هل تَلِدُ الحيّةُ إلا الحيّ

وحلفَ لا ركب حصاناً ولا تزوّج حصاناً ثم زوّج ابنةَ عمّه لابنه

الفن السادس فى الروايات

الرّواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعلٍ حدثا أو أمكنَ حدوثهما — وخواصّها أربعة الإيضاح والإيجاز والإمكان والتّلطّف « فالإيضاح » يكون بتقديم فرش للحديث وتوطئةٍ للخبر يقرّبُ مأخذ الرّواية وبمراعاة الترتيب الطبيعى فى إيراد ظرُوف الخبر ما لم يكن للرّاوى غرضٌ لتجاوُز هذا النّظام وبالعدول عن كثرة الاستطرادات فى إنشاء الحديث لأن ذلك يصرفُ العقلَ عن سياق الرّواية ويذهبُ برَونقها « والإيجاز » حذفُ فُضول وحشوِ الكلام مع انتقاء أخصّ الظرُوف وأنسبها للغاية ولا بأس بالاطناب إذا ما دعا اليه مقتضى الحال « والامكان » ترشيح الرّواية للقبول فى ذهن السّامع « والتّلطف » فى الرّواية أن يَبلغ الكاتبُ كُنهَ القلوب ويأخذ بمجامع اللبّ بأن ينتقل فيها من حال الى حال لأن النّفس قد جُبلت على محبّة التّحوُّل وطبعت على إيثار التّنقّل وللرّواية ثلاثة أجزاء صدرُها

ونقدتها وختامها «فالصدر» التوطئة للواقع بحيث يقف السامع على أسماء الأشخاص وطباعهم وعلى مكان الواقع وسوابق العمل «والعقدة» هي الجزء الذي على محوره تدور الرواية وهو المجال الاوسع الذي تتقابل الأشخاص وتشتبك الأحوال وتضطرم في النفس لواعج الشوق للوقوف على عاقبة الأمر فتنقل من الرجاء الى الخوف ومن الفرح الى الحزن

«والختام» الجزء الأخير من الرواية الذي به تفك الإربة وتحل رباق الحديث فتنال النفوس بذلك مرامها وتفوز بوطرها وسمته أن يكون فجائيا مرتبطاً مع ما قبله ارتباطاً محكماً وافياً بالمراد بحيث ترضى به النفوس وترتاح اليه القلوب — وشواهد الرواية كثيرة لا نطيل بذكرها أفردها الأدباء بالتآليف العديدة — ولنذكر هنا بعض ملح لا يستغنى عنها المقام

﴿ رواية ليلى الأخيلية مع الحجاج ﴾

قال بعضهم بينما كان الحجاج في مجلس ومعه عنبسة بن سعد العاصي إذ دخل الحاجب فقال امرأة بالباب فقال له الحجاج أدخلها فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فاذا امرأة قد أسنت حسنة الخلق ومعها جاريتان لها وإذا هي ليلى الأخيلية فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له فقال لها ياليلى ما أتى بك فقالت أخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفي لنا الفجاج : فقالت الفجاج مغبرة . والأرض مقشعرة والمبرك معتل وذو العيال مختل والهالك للقل والناس مسنتون رحمة الله يرجون وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة لم تدع لنا هبعاً ولا ربعا ولا عافطة ولا نافطة أذهبت

الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ثم قالت إنى قلت فى الامير قولا : قال هاتى فأنشأت تقول

أحجّاجُ لا يُفللْ سلاحُك انّما الـ ... ـمنَايا بكفّ الله حيث يراهَا
أحجاج لا تعط العُصاة مُناهُم ... ولا اللهُ يُعطى للعُصاة مُناها
اذا هبَط الحجاج أرضاً مريضةً ... تتبّع أقصَى دائها فشفاهَا
شفاها من الدّاء العُضال الذى بها ... غلامٌ اذا هزّ القنَاة سقاهَ
سقاها فروّاها بشرْب سِجالِه ... دماء رجالٍ حيث مَال حشاها
اذا سمع الحجاج رزّ كتيبةٍ ... أعدّ لها قبل النُّزول قِراهَا
أعدّ لها مَصقولةً فارسيّةً ... بأيدى رجال يحلُبُون صراهَا
فما ولَد الأبكارُ والعُونُ مِثلَه ... ببحرٍ ولا أرضٍ يجفّ ثرَاها

قال : فلما قالت هذا البيتَ قال الحجاج قاتلها الله ما أصاب صفَتى شاعر منذ دخلت العراق غيرها ثم التفت الى عَنبسةَ بن سعيد فقال والله أنى لأعدللأمر عسى أن لا يكون أبداً ثم التفت اليها فقال حَسبُك قالت إنى قد قلت أكثر من هذا قال حسبك وَيحَك حسبك ثم قال ياغلام إذهب الى فلان فقل له إقطع لسانها فذهب بها فقال له يقول لك الأمير أقطع لسانها قال فأمر بإحضار الحجّام فالتفتت اليه فقالت ثكلتْكَ أُمك أما سمعتَ ماقال أنما أمرك أن تقطع لسانى بالصِلة فبعث اليه يَستثبتُه فاستشاط الحجّاج غضباً وهمّ بقطع لسانه وقال اردُدها فلما دخلت عليه قالت: كاد « وأمانة الله » يقطع مِقولى — ثم أنشأت تقول

حجّاج أنت الذى ما فوقه أحدٌ ... الا الخليفةُ والمستغفرُ الصّمد
حجاج أنتَ شهابُ الحربِ ان لقحتْ ... وأنتَ للناس نُورٌ فى الدُّجى يقدُ

ثُم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه قالوا لا والله أيها الامير إنّا لم نر قطّ أفصحَ لسانًا ولا أحسن مُحاورة ولا أملح وجهًا ولا أرصن شعراً منها فقال هذه لَيلى الأخيلية التى مات تَوبة الخفَاجي من حُبّها ثم التفت اليها فقال أنشدينا ياليلى بعض ماقال فيك تَوبة قالت نعم أيها الامير هو الذى يقول

وهل تبْكِينَ ليلى اذا متّ قبلها وقام على قَبرى النّساء النّوائحُ

كما لو أصابَ الموتُ ليلى بَكيتُها وجاد لها دمعٌ من العين سافِح

وأُغْبَطُ من ليلى بما لا أناله بَلَى كلّ ماقرّت به العين طائح

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت علىّ ودونِيَ جَندَل وصفائح

لسلّمت تَسليمَ البشاشة أوزقا اليها صدًى مِن جانب القبر صائح

ثم قال لها سَلى ياليـلى تعطى قالت أعطِ فمثلكَ أعطى فأحسنَ قال لكِ عشرون قالت زِد فمثلك زاد فأجمل قال لك أربعون قالت زِد فمثلك زاد فأكمل قال لك ثمانون قالت زد فمثلك زاد فتمّم قال لكِ مائة واعلمى انها غَنم قالت معاذ الله أيها الأمـير أنت أجْودُ جُوداً وأمجدُ مجداً وأورى زنداً من أن تجعلها غنماً قال فما هى ويحك ياليـلى قالت مائةٌ من الإبل برُعاتها فأمرَ لها بها ثم قال ألك حاجة بعدها قالت يدفع إلىّ النّابغة الجَعدى قال قد فعلت وقد كانت تهجوه ويهجوها فبلغ النّابغة ذلك فخرج هاربًا عائذاً بعبد الملك فاتبعتهُ إلى الشام فهرب الى قتيبة بن مُسلم بخُراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قُتيبة بِقومَس ويقال بحُلوان

﴿ رواية بنات الشاعر المقتول ﴾

كان لشاعر عدوٌّ فبينما هو سائر ذاتَ يوم فى بعض الطُّرق اذا هو يعدوه فعلم الشاعر أن عدوّه قاتلُه لا محالة فقال له ياهذا أنا أعلم أن المنيّة قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنتَ قتلتنى أن أمضِ إلى دارى وقِفْ بالباب وقل « ألا أيها البنتانِ أن أباكما » فقال سمعاً وطاعة ثم إنَّهُ قتله فلما فرغَ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال « الا أيها البنتان أن أباكما » وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل « ألا أيها البنتان أن أباكما » أجابتاه بفمٍ واحد « قتيلٌ خُذَا بالثّار ممن أتاكما » ثم تعلّقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقررهُ فأقر بقتله فقتله

﴿ رواية المُتكلمة بالقرآن الكريم ﴾

قال عبد الله بن المُبارك خرجتُ حاجًّا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيّه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى بعض الطّريق اذ أنا بسواد فتميّزت ذاك فاذا هى عجوزٌ عليها دِرْعٌ من صفوف وخمار من صُوف فقلت السّلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت « سلامٌ قولاً من ربّ رحيم » قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان قالت « ومن يُضلل الله فلا هَادى له » فعلمت أنّها ضالّة عن الطّرِيق فقلت لها أين تُريدينَ قالت « سُبحان الّذى أسرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرَام الى المسجد الأقصى » فعلمت أنها قد قَضت حجّها وهى تُريد بيتَ المقدس فقلت لها أنت مُنذُ كم فى هذا الموضع قالت « ثلاثَ ليالٍ سَوياً » فقلتْ ما أرى معك طعاما تأكلين قالت « هو يُطعمُني ويَسقين » فقلت فبأىّ شيء تتوضئين قالت « فان لم تجدوا ماء فتيمّموا صعيداً طيباً » فقلت لها أن معى طعاماً فهل لك فى الأكل قالت « ثم أتموا الصّيام الى الليل » فقلت ليس هذا

شهر رمضان قالت « وَمن تطوّعَ خيراً فانّ الله شاكرٌ عليم » فقلت قد أُبيح لنا الافطار في السفر قالت « وأن تصوموا خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون » فقلت لِمَ لا تُكلّميني مثل ما أُكلّمك قالت (ما يُلفظُ من قول إلاّ لديهِ رقيبٌ عتيد) فقلت فمن أيّ الناس أنت قالت (ولا تقفُ ما ليسَ لك بهِ علمٌ أنّ السمع والبصرَ والفؤاد كلّ أولئك كان عنهُ مسئولا) فقلت قد أخطأت فاجعليني فى حِلٍّ قالت (لا تثريبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم) فقلت فهل لكِ أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت (وما تفعلوا من خير يعلمهُ الله) قال فأنختُ ناقتي قالت (قل المؤمنين يَغَضّوا من أبصارهم) فغضضت بصرى عنها وقلت لها إركبي فلمّا أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزّقت ثيابها فقالت (وما أصابكم من مُصيبة فَبما كَسبت أيديكم) فقلت لها اصبرى حتى أعقلها قالت (ففهّمناها سليمان) فعقلت الناقة وقلتُ لها اركبي فلما ركبت قالت (سُبحان الذى سَخّر لنا هذا وما كُنّا له مقرنين وانّا الى ربنا لَمنقلبون) قال فأخذت بزمام النّاقة وجعلت أسرعُ وأصيحُ فقالت (واقصدْ فى مَشيك واغضُضْ من صوتك) فجعلت أمشي رُويداً رُويداً وأترنّم بالشعر فقالت (فاقرءوا ما تيسّر من القرآن) فقلت لها لقد أُوتيتُ خيراً كثيراً قالت (وما يذّكر إلاّ أولو الالباب) فلمّا مشيتُ بها قليلاً قلت ألكِ زوجٌ قالت (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تَسُؤكم)فسكتُّ ولم أُكلّمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت (المال والبنُون زينةُ الحياة الدّنيا) فعلمت أن لها أولاداً فقلت وما شأنهم فى الحجّ قالت (وعلامات وبالنّجم هم يهتدون) فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القِباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت (واتّخذ الله ابراهيم خليلا وكلّم الله موسى تكليماً — يا يحيى خُذ

الكتاب بقوة) فناديت يا ابراهيم ياموسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه) فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي وقالت (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى با مرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

تم بعون الله سبحانه وتعالى

طبع « الجزء الاول » من كتاب « جواهر الادب » ويليه بمشيئته جل شأنه « الجزء الثانى » وأوله — الفن السابع فى تاريخ أدب اللغة العربية



جواهر الأدب

في

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف

أحمد الهاشمي

الطبعة الثلاثون

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن السابع فى تاريخ أدب اللغة العربية (١)

التاريخ ـ هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيثُ معيشتهم، وسياستهم وأدبهم، ولغتهم

والأدب ـ (كل رياضة محمودة يتخرّجُ بها الإنسانُ فى فضيلة من الفضائل.) وهذه الرياضةُ كما تكون بالفعل، وحسن النظر، والمحاكاةِ، تكون بالأقوال الحكيمة التى تضمّنتها لغةُ أىّ أمّة

واللغة ـ ألفاظٌ يعبّرُ بها كلّ قوم عن أغراضهم ـ وهى من الأوضاع البَشريّة

وأدبُ لغة أىّ أمة ـ هو ما أُودِعَ فى شِعرِها ونَثرها من نتائج عقول أبنائها وصُوَرِ أخيلتهم وطباعِهم: مما شأنهُ أن يُهذّب النفس، ويُثقّف العقل، ويقوّم اللسان

وتاريخ أدب اللُّغة ـ هو العلم الباحثُ عن أحوال اللُّغة: نَثرِها ونظمِها فى عُصورها المختلفة، وعمّا كان لنابغيها من التأثير البيّن فيها

واللغة العربية ـ إحدى اللغات الساميّةِ. وهى لغة أمة العرب القديمة العَهْد الشائعةِ الذكر التى كانت تسكن الجزيرةَ المنسوبة اليها فى الطرَف الغربىّ من آسيا

(١) من الوسيط في الادب العربي وتاريخه بتصرف

وهذه الأُمة — منها القُدماء ، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة و ينطقون باللغة العربية سليقةً وطبعاً ، وهم ثلاث طبقات ـ أولاها العربُ البائدةُ ، وهؤلاء لم يصل الينا شيء صحيحٌ من أخبارهم إلاّ ما قصّه الله علينا فى القرآن الكريم ، والا ما جاء فى الحديث النّبوىّ . ومن أشهر قبائلهم طَسْمٌ ، وجَديسٌ وعَاد ، وثمودُ وعِمْليق ـ وثانيتُها العربُ العَاربَة ـ وهم بنو قحطانَ الذين اختاروا اليمن منازلَ لهم ـ ومن أمهات قبائلهم كَهْلاَنُ ، وحِمْيَرُ ـ وثالثتها العرَب المُستَعْرِبَة وهم بنو اسماعيل الطّارئون على القَحطانيّين ـ والمُمْتزجون بهم لغةً ونسباً ، والمعروفُون بعدُ بالعَدْنانيّين ـ ومن أمهاتِ قبَائلهم رَبيعةُ ، ومُضرُ ، وإِيَادُ ، وأَنْمارُ

ومنها المحدثون — وهم سلائلُ هؤلاء الأقوام المُمتزجون بسلائل غيرهم والمُنتشرون بعدَ الإِسلام فى بِقاع الارض من المُحيط الأخضر (الأطلنطي) إلى ما وراء بحر فارِسَ ودِجلَةَ ، ومن أعالى النّهرين الى ما وراء جَاوَه وسُومَطْرَة

﴿ عصور اللغة العربية وآدابها ﴾

لمّا كان تاريخ لغة أى أمة وأدبها يرتبط كلّ الأرتباط بالحوادث السّياسيّة والدّينيّة والاجتِماعيه التى تقع بين ظَهْرَانى هذه الأمة ، ناسبَ تقسيم تاريخ أدب اللغة خمسة أعصر :

الأوّل ـ عصر الجاهلية ـ وينتهى بظهور الاسلام ومُدّتُه نحو خمسين ومائةسنة

الثانى ـ عصر صدر الاسلام ، ويشمل بنى أميَّة ـ ويبتدئ بظهور الاسلام وينتهى بقيام دولة بنى العبّاس سنة (١٣٢) هـ

الثالث ـ عصر بنى العباس ـ ويبتدئ بقيام دولتهم ، وينتهى بسقوط بغَدَاد فى أيدى التّتار سنة (٦٥٦) هـ

الرابع — عصر الدُّوَل التُّركية ـ ويبتدئ بسقوط بغداد ، وينتهي بمبدإ النّهضة الاخيرة سنة (١٢٢٠) هـ

الخامس — عصر النّهضة الأخيرة — ويبتدئ من حكم الأسْرة المحمّدية العلوية بمصر ، ويمتدُّ الى وقتنا هذا

﴿ العصر الأوّل عصر الجاهلية ﴾

(حالة اللغة وآدابها فى ذلك العصر)

لغة العرب من أغنى اللّغات كَلِماً ، وأعرَقِها قِدَماً ، وأوسَعِها لكل ما يقع تحت الحِسّ ، أو يجول فى الخَاطر : من تحقيق علوم ، وسنّ قوانين وتصوير خيال ، وتَعيين مرافق — وهى على هَنْدَمَة وضعها ، وتَنَاسُق أجزائها لُغةُ قوم أمّيّينَ ، ولا عَجَب أَنْ بلغت تلك المنزلة ، من بَسْطة الثرْوة ، وسَعة المَدَى إذ كان لها من عوامل النّموّ ، ودواعى البقاء والرقىّ ، ما قلّما يتهيّأ لغيرها ـ وما رواه لنا منها أئمة اللّغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النّبوى هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التى سكنت جزيرةَ العرب ـ ولا شكّ فى أنّ من أسباب امتزاج هذه اللُّغات ما يأتى :

(١) هِجرةُ القحطانيين الى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العربَ البائدة باليمن ثم تمزّقهم فى بقاع الجزيرة كلّ مُمزّق بظلهم أنفسَهم وتخرُّب بلادهم بسَيْل العَرِم[1]

(٢) هجرةُ اسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين

(١) العرم جمع عرمة كفرحة وهي سد يعترض به الوادي أو هو جمع بلا واحد ؛ او هو الاحباس والسدود تبنى في الوادي لحبس المياه خلفها وهي المسماة الآن بالخزانات. وحادثة سيل العرم أنه كان لسبأ في اليمن عرم تحبس المياه خلفها لتوزع بنظام فتهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الاهلية سببا في تفرق قبائل سبأ في انحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فقيل (تفرقوا أيدي سبأ)

بالمُصاهرة والمُجاورة والمحَاربة والمُتاجرَة — وأظهرُ مواطن هذا الامتزاج مَشاعر الحجّ والأسواق التى كانت تُقيمها العربُ فى أنحاء بلادها ، ومن هذه الأسواق عُكاظُ ومَجَنَّة وذو المَجَاز

وأهمّها سوق عُكَاظ — وكانت تُقام من أوّل ذى القَعدة الى اليوم العشرين منه . وأُقيمت تلك السُّوق بعد عام الفيل بخمس عَشرَة سنة وبقيت الى مابعد الاسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائه. وكان يجتمع بهذه السوق أكثرُ أشراف العرب للمُتَاجَرة ، ومُفاداة الأسْرَى والتَّحكيم فى الخصومات وللمُفاخرة والمُنَافرَة بالشّعر والخُطب فى الحسَب والنسَب والكرم والفصَاحة والجمال والشّجاعة وما شاكل ذلك . وكان من أشهر المحكّمين بها فى الشعر النَّابغة الذُّبيَانىّ . ومن أشهر خطبائها قُسُّ بن سَاعِدَةَ الإيادِى . وقد لَهجَ الشّعراء بذكرها فى شعرهم . وحضرها منهم الرجال والنساء

﴿ كلام العرب ﴾

الغرضُ من كلام العرب كغيره الإبانةُ عمّا فى النفس من الافكار ليكون مَدْعاةً الى المُعاونة والمُعاضدة . وذَرِيعة الى تسهيل أعمال الحياة

ولمّا كانت هذه الأفكارُ لاتزال متجدّدةً غيرَ مُتناهية . كانت صُوَر الكلام المُبيّن عنها لاتزال كذلك متجدّدة خاضعةً لقُوى الاختراع والابتداع وأنواع الانشاء والتأليف على حسب مايقتضيه المقام فقد تَصل صُورة الكلام الى الغاية القُصوى فى البلاغة ، وقد تنحطُّ صورة العبارة الى الدَّرْك الأسفل من الإبانة . بحيث لو انحطّت عن ذلك لكانت عند الأُدباء بأصوات العجماوات

أشبهَ ، وبين الحالين مراتب ، وجُلُّ بحث علم الأدب وتاريخه فى التفاوت بين هذه المراتب ورجالها

وكلامُ العرب بمراتبه : العليا والدّنيا وما بينهما تعتَورهُ كغيره أحوال تتغيّر بتغيُّر حياة أهله العقليّة والمعاشيّة والدّينيّة ، وتلك الأحوالُ تتمثّل فى « أغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها »

﴿ أغراض اللغة فى الجاهليّة ﴾

(١) كانت اللّغة تُستعمل فى أغراض المعيشة البدويّة ، ووصف مرافقها من حِلٍّ وتَرحالٍ ، وانتجاع كلأ . واستدرار غَيث . واستنتاج حيوانٍ .

(٢) وفى إثارة المُنازعَات والمُشاحنات ، وما يتبعها من الحضّ على ادراك الثّار . والتّفاخر بالانتصار ، والتّباهى بكرم الأصل والنّجار

(٣) شرح حال المُشاهدات والكيفيات والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك

﴿ معانى اللغة فى الجاهليّة ﴾

تُجمَل معانى اللّغة (١) فى قَصْر معانى المفردات على ماتقتضيه البَداوة والفطرة الغضّة الخالية من تكلّف أهل الحضر وتأنّقهم (٢) وفى انحصار أحكامهم فى (الخبر) ومطالبهم فى (الأنشاء) إما فى التّعقّل المُستَنْبَط من الحسّ والمشاهدة أو الطّبيعةَ أو التّجربة أو الوِجدان . من غير مبالغة ولا إغراق . وإما فى التّخيُّل المنتزَعةِ صُوَرُه من المحسوسات بحيث لا تَخرج عن الإمكان العقلى والعادىّ

﴿ عبارة اللغة فى الجاهليّة ﴾

تُلخَّص أحوالُ العبارة فى الجاهلية فيما يأتى :

(١) استعمال الألفاظ فى معانيها الوضعية. أو معانٍ مناسبة للمعنى الأصلىّ بطريق المجاز الذى قد يُصبح بعد قليل وضعاً جديداً

(٢) كثرة استعمال المترادف —وقلّة الأعجمىّ المعبّرعنه بالمعرّب— وخلوّ الكلام العربى من اللّحن — وغَلبة الايجاز عليه كما تراه واضحاً فى شعرهم

(٣) ارسال الأساليب الكلاميّة على حسَب ماتقتضيه البلاغة بدون تكلّف

﴿ تقسيم كلام العرب ﴾

ينقسم كلام العرب قسمين : نثرًا ونظماً . فالنظمُ هو الموزون المقفّى . والنثرُ ما ليس مرتبطاً بوزن ولا قافية

﴿ النثر — المُحَادثة — الخطَابة — الكتابة ﴾

الأصل فى الكلام أن يكون منثورًا : لإبانةِ مقاصدَ النّفس بوجه أوضح وكُلفة أقلّ وهو إمّا حديثٌ يدور بين بعض النّاس وبعض فى اصلاح شؤون المعيشة . واجتلاب ضروب المصالح والمنافع وذلك مايسمّى (المحادثة) أو «لغة التّخاطُب» . وإما خطابٌ من فصيح نابِهِ الشأن يُلقيه على جماعةٍ فى أمرٍ ذى بَالٍ . وهذا مايسمّى « الخطابة » . وإمّا كلامٌ نفسىّ مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفّظ به . أو لحفظِهِ للخَلَف . أو لبُعد الشقّة بين المُتخاطبين . وذلك ما يسمى (الكتابة) . إذَن فأقسام النثر ثلاثة . مُحادثة . وخطَابة . وكتابة وكلّها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزامِ التّقفيةفى أواخر عباراته : وذلك مايسمى « النّثر المُرْسَل » وإما أن تكون قِطعاً ملتزَمًا فى آخر كل فِقرْتين منها أو أكثر قافيةٌ واحدة . وهذا مايُسمّى « السّجعَ » وهونوع من الحِلية اللّفظية إذا جاء عفواً ولم يُتَعَمّد التِزامه. ولحُسن وقعه فى الأسماع. وحوْكه و تأثيره فى الطّباع

كان أكثر ما يُستعمل فى الخطَابة. والأمثالِ. والحِكَمِ. والمُفاخراتِ. والمُنافرات.

﴿ المحادثة أو لُغَة التخاطب ﴾

لُغةُ التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحّدت لغاتها هى اللغة المَعربة المستعملة فى شعرها وخُطبها وكتابتها. ولا فرق بينها فى البلاغة الاّ بقدر ما تستدعيه حال الخَطابة والشّعر والكتابة: من نبالة الموضوع والتأنّق فى العبارة

وأكثر ما وصل الينا منها ما كان شريفَ المعنى. فصيحَ اللّفظ

﴿ الخَطابة ﴾

لما كان جُلّ العرب فى جاهليّتها قبائلَ مُتبَدّية. لا يربِطُها قانونٌ عام. ولا تضبِطها حكومة منظّمة. ومن شأن المعيشة البدويّة شَنّ الغارات لأوْهى الأسباب. والمدافعةُ بالنفس عن الرُّوح والعرض والمال. والمُباهاة بقوّة العَصبية وكرم النِّجار وشرف الخصال. وللقول فى ذلك أثرلا يقِلُّ عن الصَّوْل — كانت الخطابة لهم ضَرُورية. وفيهم فِطريّة. وانما لم تَصل الينا أخبار خُطبائهم الأوائل. وشيء من خُطَبهم كما كان ذلك فى الشعر. لِحَفْلهم قديمًا بالشعر دون الخطابة. ولصعوبة حفظ النثر

وما عُنِي الرّواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم الا عندما حلّت الخطابة بعدُ منزلةً أسمَى من الشعر. لابتذاله بتعاطى السّفهاء والعامة له. وتلوثهم بالتّكسب به والتّعرض للحُرَم. فنبهُ بذلك شأن الخطابة. واشتهر بها الأشراف وكان لكل قبيلة خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر.

وأكثر ما كانت الخطابة فى التّحريض على القتال. والتّحكيم فى الخصومات واصلاح ذَاتِ البَيْن. وفى المفاخرات. والمنافرات. والوصايا وغير ذلك

وكان من عادة الخطيب في غير خُطب الإملاك والتَّزويج أن يخطب قائماً أو على نَشَز ومُرتفع من الأرض أو على ظهر راحلته . لإبعاد مَدَى الصوت . وللتأثير بشخصه واظهار ملامح وجهه وحركات جوارحه ولا غِنى له عن لَوْث وعَصْب العمامة والاعتماد على مخصَرة أو عصاً أو قناة أو قوس وربما أشار بأحداها أو بيده

وخُطباء العرب كثيرون (من أقدمهم) كعبُ بن لُؤَيّ (وكان ذا نفوذ عظيم في قومه حتى أكبروا موته) وذو الإصبع العَدْواني وهو حُرْثَانُ بن مُحَرِّث

(ومن أشهرهم) قيسُ بنُ خارجة بن سِنَان خطيب حرب داحِس (١) والغبراء . وخُوَيلدُ بن عمرو الغطَفَانيّ خطيب يوم الفِجَار (٢) وقُسُّ بن (٣) ساعدة الإيادِيّ خطيب عُكاظ . وأكثم بن صَيفيّ زعيم الخُطباء الذين أوفدهم النُّعمان على كِسْرَى : وهم أكثم بن صَيفي وحاجب (٤) بن زُرارةَ التَّميميَّان والحارثِ بن عُبَاد (٥) وقَيسُ بن مسعُود (٦) البكريَّان وخالدُ بن جعفر (٧)

---

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس راهنه حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفرسيه : الخطار والحنفاء ، فوضعت فزارة كميناً في طريق السباق فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة ، فهاجت الحرب بين عبس وفزارة ثم بين عبس وذبيان لنصرتها فزارة ، وفي القصة روايات أخرى (٢) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره اربع عشر سنة . وسميت كذلك لانها كانت في الاشهر الحرم (٣) ستأتي ترجمة قس وأكثم (٤) سيد من سادات تميم ، وهو الذي وفد على كسرى حين منع تميما من ريف العراق حتي أصابهم القحط فأعجب به ومنحه مطلبه وتعهد له حاجب بحسن الجوار ، ورهن عنده قوسه على ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم يعث بعد بأربعة آلاف درهم (٥) كثراب كان خطيباً مؤثراً ، وشاعراً بليغاً ، وله عمل جليل في الحرب التى انتشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد ان أعتزلها ، وله فيها قصيدة مشهوره منها

برقا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

(٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين كان كريماً عالي الهمة من أفضل العرب حسباً ونسباً وكانت تقـ له القبائل كلها بذلك بل هي وكسرى أيضاً . وكان له حجرة فيها مائة من الابل لاضيافه اذا نحرت ناقة قيدت أخرى مكانها (٧) سيد من سادات بني عامر . خلص قومه من العبودية لغطفان بعد انقتل سيدها زهير ابن جزيمة

وعَلقمة بن [١] عُلاثة ، وعامرُ بن الطُّفَيل [٢] العامريّون ، وعمرو بن [٣] الشَّريد السُّلَمي ، وعمرو بن معْديكرِبَ [٤] الزُّبيدي ، والحارث بن ظالم [٥] المُرّى)

﴿ قُسُّ بن ساعدةَ الإيادىّ ﴾

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروبُ به المثلُ فى البلاغة والحكمة كان يَدين بالتوحيد ، ويُؤمن بالبعث ، و يدعو العرب إلى نبذ العُكوف على الأوثان ويُرشدهم إلى عبادة الخالق — ويقال إنه أوّل مَنْ خطبَ على شَرَف وأوّل من قال فى خُطبه « أما بعدُ » وأوّل من اتّكأ على سيف أو عصاً فى خطابته ، وكان الناس يتحاكمون اليه وهو القائل « البيّنةُ على مَن ادّعى ، واليمينُ على مَن أنكر » ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطُب فى عُكاظ فأثنى عليه وعُمّر قسٌّ طويلاً ومات قُبيل البعثة — ومن خُطَبه خطبته التى خطبها فى سوق عُكاظ وهي — أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات : وكلّ ماهو آتٍ آت ، ليلٌ داج ونهارٌ ساج وسماء ذات أبراج ، ونجوم تَزهر ، وبحار تَزْخرَ وجبال مُرساه ، وأرض مُدحاه وأنهار مُجراه ، ان فى السماء لخبرا وان فى الأرض لعبرا مابال الناس يذهبون ولا يَرجعون أرَضُوا فأقاموا ؟ أم تُركوا

---

(١) خطيب بليغ اشتهر فى قومه بالعفة والمحافظة على الجوار والعقل الراجح والحسب الواضح (٢) هو ابن عم لبيد الصحابي شاعر متين ؛ وفارس من اشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم اسما ؛ ولقد بلغ من شهرته ان قيصر كان اذا قدم عليه قادم من العرب قال مابينك وبين عامر فان كانت بينه وبينه رحم واشجة قربه وأكرمه (٣) وهوابو السيدة تماضر الخنساء يميل الى الفخر والصراحة في القول ولقد بلغ من تعاليه في ذلك انه كان يأخذ ابنيه معاوية وصخرا في المواسم العامة ويقول أنا ابو خيرَيْ مضر فمن أنكر فليغير فلا يغير ذلك عليه احد (٤) خطيب شاعر وفارس قاهر وصحابي جليل شهد اليرموك والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر في سنه وضعف في جسمه (٥) كان شجاعاً فاتكا وخطيباً شاعرا يميل الى معاقرة الخمر وهو الذي قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله اباه وكثيراً من قومه

فناموا ؟ يُقسم قُسٌّ بالله قسما لا إثم فيه ان لله دينًا هو أرضى لكم وأفضلُ من دينكم الذى أنتم عليه ، إنكم لتأتُون من الأمر منكراً — ويُروى أن قُسًّا أنشأ بعد ذلك يقول

في الذّاهبين الأوّلـــين من القرون لنا بصائر
لمّا رأيت موارداً للموت ليس لها مَصادِر
ورأيت قومِيَ نحوها تمضى الأكابرَ والأصاغر
لا يرجع الماضى الىّ م ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القومُ صائر

﴿ أكثم بن صَيفِي ﴾

هو أعرف الخطباء بالأنساب وأكثرهم ضرب أمثال واصابةَ رأى وقوّة حُجة وقَلّ من جاراه من خُطَباء عَصره وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النّعمان على كسرى ولقد بلغ من إعجابه به أن قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى : وقد عُمّر طويلاً حتى أدرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وجمع قومه وحثّهم على الايمان به ، وفى اسلامه روايات ، وكان فى خطبه قليلُ المجاز حسن الإيجاز حلو الألفاظ دقيق المعانى مُولعاً بالأمثال « راجع خطبته فى فَنّ المناظرات »

﴿ الكِتَابة ﴾

يُراد بالكتابة عند الأدباء صناعة إنشاء الكتب والرسائل وإذ كانت الكتابة بهذا المعنى تُؤدَّى بالنقوش المسمَّاة بالخط فأوّل حلقة من سلسلة الخط العربىّ هى الخطّ المصرى القديم ومنهُ اشتق الخط الفينيق ومن هذا اشتق الآرامى والمسند بأنواعه : الصفوىّ والثمودىّ واللّحيانىّ شمالى جزيرة العرب والحميرىّ جنوبها

ورواة العرب يقولون انهم أخذوا خطهم الحجازيّ عن أهل الحيرة والأنبار

أما الكتابة بمعنى انشاء الكتب والرّسائل فهى لازمة لكل أمة متحضرة ذات حكومة منظّمة ودواوين متعدّدة — وقد كان بعض ذلك موفورًا في ممالك التبابعة جنوبًا ومأثورًا عن ممالك المناذرة والغساسنة شمالاً ولذلك استُعمل الخط المسند الحميرى عند الأولين من عهد مديد والأنبارى الحيريّ عند الآخرين وإنما لم يصل الينا شئ من رسائل تلك الأُمم ولا من كتب فنونها ودينها غير قليل عثُر عليه لتقادُم عهد أهلها وعدم استكمال البحث بعدُ فى بلادها .

ولم يعرّفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتّاب هذه الصناعة إلاّ « بعديّ بن زيد العِبَاديّ » الذى كان كاتباً ومُترجماً عند كِسرى

أما البدوُ من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مُضر و بعضُ القحطانيين. فكانوا أُميين ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الانشائية الا بعد أن عرفوا الخط آخرَ عصور الجاهلية وهو ما نقل عنهم فيه : أنهم كانوا يكتبون فى بدء رسائلهم باسمك اللهمّ ومن فلان الى فلان وأما بعد — ولم تقم لهم دولة بالمعنى السابق إلاّ بقيام الاسلام فهو الذى أفشى فيهم الخطّ والكتابة

ولما كانت علوم كل أمة لها الأثرُ العظيمُ فى تكوين فكر الأديب وخيال الشاعر وكانت كتابتها قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ناسب شرح ذلك

﴿ علوم العرب وفنونها ﴾

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الامم ومن العرب أهلُ حضارة دلّت عليها دُولهم العظيمةُ وقِدَمُ تاريخهم وآثارُهم الخالدةُ وهم التّبابعة فى اليمن والمناذرةُ والغساسنةُ فى الشمال وإذاً تكون هندسة إرواء الأرض وعِمارة المُدن والحساب

والطّبُّ والبَيْطَرَةُ والزراعةُ ونحوُها معروفةً في الجنوب والشمال مدوّنةً في الكتب وان لم يحفظ لنا الدهرُ صُوراً منها — أما البَدوُ منهم وان كانوا أُميّين يمقتُون الصّناعاتِ فلا غِنًى لهم عن تجرِبة تُرشدهم الى ما ينفعهُم ليعرفوا متى تجودُ السماء وبمَ يتميزُ الأقرباء من البعداء فكسَبهم ذلك علمَ النجوم والطِّبَّ الضّروري والأنساب والأخبار ووصف الأرض والفِراسة والعِيافة والقيافة والكِهانة والعِرافة والزّجر وقرض الشعر

علم النجوم — هو معرفة أحوال الكواكب — وقد كانوا أبرع في هذا العلم منهم في كل علم سواه تعرفه عامّتهم قبل خاصتهم للإهتداء به في ظُلمات البر والبحر ومعرفة أزمنة الخِصب والمحْل وبعضُ معارفهم فيه مُستمدّ من الكَلدَان لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب و بنو مرّة بن همام الشيباني)

الطبّ الأنساني والحيواني (البيطرة) وقد عاناه من العرب كثيرون ومن مشهوريهم (الحارثُ بن كَلَدَة الثّقَفِيّ وابن حِذْيَم التّيْمِيّ)

الأنساب — علم تُتعرّف به القَرَاباتُ التي بين بعض القبائل وبعض فتلحق فروعها بأصولها وانما دعاهم الى العناية به حاجتُهم الى التّناصُر بالعَصبيّة لكثرة حروبهم وتفرّق قبائلهم وأنَفتهم من ان يكون لغريب عنهم سلطانٌ عليهم وحُبّهم الافتخارَ بأسلافهم وممن اشتهر بمعرفة أنساب العرب (دَغْفَل بن حَنظلة الشّيباني وزيدُ بن الكيس النّمَري وابن لسان الحُمّرة) ولهذا كانوا يحفظون انسابَهم

الأخبار والتاريخ والقصص : هي معرفة أحوال السابقين وكانوا يعرفون منها

ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة ووقائع أيامهم المشهورة كقصة الفيل وحرب البسوس وحرب الفجار

وصف الأرض — هو معرفة كل بقعة وما يجاورها وكيف يهتدى اليها

ومن قرأ شعر العرب فى نسيبهم واطلع على وصفهم وكيف كانوا يحددون الحقير منها بحدود قلما تحدّ به مملكة عظيمة عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم

الفراسة : هى الاستدلال بهيئة الانسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله ورزائله وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ولهم فى ذلك نوادر شتّى

القيافة : ضرب من الفراسة وهى الاهتداء بآثار الأقدام على أربابها أو الاستدلال بهيئة الانسان وأعضائه على نسبه فقد كانوا يميّزون بين أثر الرجل والمرأة والشيخ والشاب والأعمى والبصير والأحمق والكيّس واذا نظروا عِدّة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه والأخ بأخيه والقريب بقريبه وعرفوا الأجنبي من بينهم وممن اشتهر بالقيافة (بنو مُدلج وبنو لِهْب)

الكهانة والعرافة : وهما القضاء بالغيب وربما خُصَّتْ الكهانة بالأمور المستقبلة والعرافة بالماضيه وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخاليه على الحوادث الآتيه لما بينهما من المشابهة الخفية — وللعرب فى الكهّان اعتقاد عريض لزعمهم أنهم يعلمون الغيبَ فيرفعون اليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم عن الرُّؤى ويستطبُّونهم فى أمراضهم وممن اشتهر من الكهّان (شِقّ أنمار وسَطِيح الذئبى) ومن الكواهن (طُرَيفَةُ الخير وسَلمى الهمْدانيه) ومن العرّافين (عراف نجد : الأبلقُ الأسدى وعرّاف اليمامه رَباح بن عَجَلة

الزجر : وهو الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وسائر أحواله على الحوادث

بقوة الخيال والاسترسال فيه ومن أشهر الزجّرين : بنو لِهب وأبو ذؤيب الهُذلىّ ومُرّة الاسدى

ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكله كلَبيد بن ربيعة القائل

لَعمرك ما تدرى الطوارقُ بالحصى ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

وكضابئ بن الحارث القائل

وما عاجلاتُ الطير تُدنى من الفتَى نجاحاً ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخيبُ

ورُبَّ أمورٍ لا تضيرك ضَيرةً وللقلب من مخشاتِهِنَّ وَجيبُ

ولا خير فيمن لا يُوَطِّن نفسه على نائبات الدهر حين تنوبُ

﴿ النظم والشعر والشُعراء ﴾

النظم عرَّفه العَرُوضيون بأنهُ الكلام الموزون المقفّي قصداً ويرادفه الشعر عندهم — أما المحققون من الأُدباء فيخُصُّون الشعر بأنهُ الكلام الفصيح الموزون المُقفى المعبّر غالباً عن صُوَر الخيال البديع . واذا كان الخيال أغلبَ مادّته أطلق بعضُ العرب تجوّزاً لفظ الشّعر على كل كلام تضمَّن خيالاً ولو لم يكن موزوناً مقفّى — ولجَزْيه وفق النظام المُمثّل في صورة الوزن والتّقفية كان تأثيره في النفس من قبيل إثارة الوِجدان والشُّعور بسْطاً وقبضاً وترغيباً وترهيباً لا من قبيل اقناع الفكر بالحجّة الدّامغة والبرهان العقليّ ولذلك يَجْمُلُ أثره فى إثارة العواطِف وتصوير أحوال النفس لا فى الحقائق النظرية ولا ريب أن النفس ترتاع بصور المحسوس الباهر وما انتُزِع منه من الخيال الجَلِيّ لخفّة مؤونته عليها واراحته لها من المُعاناة والكدّ فكيف إذا انضم الى ذلك نَغمُ الوزن والقافية الشديد الشّبه بتأثير الإِيقاع والتلحين الذى يَطرَبَ له الحيوانُ فضلاً عن الإِنسان — والعرب بفطرتهم مَطبوعين على الشعر لبداوتهم . وملاءمة بيئتهم لتربية الخيال ، فالبدوىّ لحرّيته

واستقلاله بأمر نفسه يغلبُ عَلَى أحكامه الوجدانُ ، ويُسلكُ اليه من طريق الشعور ، ومعيشةُ البدويّ فوق أرض نقية التُربة وتحت سماء صافية الأديم ، ساطعةِ الكواكب ، ضاحيةِ الشمس ، تجلت لحسه مناظرَ الوجود ، وعوالمَ الشهود فكان لخَياله من ذلك مادةٌ لا يغور ماؤها ، ولا ينضُب معينُها ، فهام بها فى كلّ وادٍ وأفاض منها الى كل مراد ، وكان له من لغته وفصاحةِ لسانه أقوى ساعد ، وأكبر معاضد . ويَشعُر الانسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر وان كانت واسطةٌ بين النثر والشعر ، فليست الا السّجع لما فيه من معادلة الفِقر ، والتزام القافية والميل الى التغنّي به فكان من ذلك المقطّعات والاراجيز الصغيرةُ ، يحدُون بها الابل ، ويَعتَدُون بها المكارم ثم لمّا تمت مَلَكة الشعر فيهم ، واتّسعت أغراضهُ أمامهم ، نوّعوا الأوزان وأطالوا القوافى ، وقصّدُوا القصيد

وقد خَفِي علينا « كأكثر الأمم » مبدأُ قول الشعر ، وأوّلُ مَنْ قاله أمّا ما نُسب من الشعر الى آدم وابليس والملائكة والجن والعرب البائدة فهو حديثُ خُرافة

والشّعر الذى صحّت روايتُه منذ أواسط القرن الثانى قبل الهجرة ينتهى أقدمُ مطوّلاته الى مُهَلهِل بن رَبيعة وأقدم مقطّعاته الى نفر لعلّهم لم يبعدُوا عنهُ طويلاً مثل العَنبر بن عمرو بن تميم ودُرَيد بن زيد بن نَهْد — وأعصُر بن سعد بن قيس عَيْلان وزُهير بن جنَاب الكلبى والأفوه الأوْدِى وأبو دُوَاد الايادى وقد رَوَا أنهُ لم يكن لأوائل العرب من الشّعر إلا الأبياتُ يقولها الرجل فى حاجته وأن أول من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التّغلَبي في قتل أخيه كُلَيب فهو أوّل من رُويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً وتبعه الشعراء مثل امرئ القيس وعَلقَمَة وعَبيد ممن أخرجوا لنا الشعر العربيّ فى صورته الحاضرة

هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر ونشأته فى الجاهلية — أما ما يتعلق بمادته

وجوهره فانه يرجع الى أغراضه وفنونه ومعانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه وأوزانه وقوافيه

(١) أغراضه وفنونه

نظم العربُ الشعر في كل ما أدركته حواسهم وخطر على قلوبهم من فنونه وأغراضه الكثيرة كالنسيب — ويسمّى التّشبيب والتّغزُّل — وطريقتهُ عند الجاهلية يكون بذكر النساء ومحاسنهن وشرح أحوالهن وكان له عندهم المقام الأوّل من بين أغراض الشّعر حتى لو انضم اليه غرض آخر قُدّم النسيب عليه وافتتح به القصيد : لما فيه من لَهْو النّفس وارتياح الخاطر ولأن باعثه الفذّ هو الحبُّ وهو السرُّ في كل اجتماع انسانيّ والبَدوُ أكثر الناس حبًّا لفراغهم

والفخر — هو تمدُّح المرء بخصال نفسه وقومه والتحدُّث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم ووفرة قبيلهم ورفعة حسبهم وشهرة شجاعتهم

والمدح — وهو الثناء على ذى شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعفّة والعدل والشجاعة وان هذه الصفات عريقةٌ فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلقيّة — وشاع المدح عندما ابتذِل الشّعرُ واتخذه الشّعراء مهنة ومن أوائل مدّاحيهم زُهير والنّابغة والأعشَى

والرّثاء : وهو تعداد مناقب الميت وأظهارُ التّفجُّع والتّلهُّف عليه واستعظام المصيبة فيه

والهجاء — هو تعداد مثالب المرء وقبيله ونَفيُ المكارم والمحاسن عنه :

والاعتذار — هو دَرْء الشّاعر التّهمة عنه والترفُّق في الاحتجاج على براءته منها واستمالةُ قلب المُعتذَر اليه واستعطافُه عليه : والنّابغة في الجاهلية فارس هذه الحلبة

والوصف ـ هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لاحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعُر به

والحكمة والمثل — فالحكمة قولٌ رائع يتضمّن حكماً صحيحاً مسلماً . والمثل

مرآة تريك أحوال الأمم وقد مضت وتقفك على أخلاقها وقد انقضت - فالأمثال ميزان يوزن به رقى الأمم وانحطاطها وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولغتها . وأكثر ما تكون أمثالُ العرب وحكمُها موجَزَة متضمنة حُكماً مقبولا أو تجربة صحيحة تمليها عليها طباعها بلا تكلف — راجع فن الأمثال السابق

(٢) معانيه وأخيلته

قصدُ الشاعر من شعره الإبانةُ عما يُخالج نفسه من المعانى فى أىّ غرض من الأغراض السابقة ونحوها . ومن هذه المعانى ما هو عادىٌّ فى البدوىِّ والحضرىِّ والعربىِّ والعجمىِّ كالأخبار الصادقة وأوصاف المشاهدات وشرح الوجدانات كما يمليها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق - ومنها ما هو غريبٌ نادر ينتزعه الخيال من المرئيات البديعة والأشكال المنتظمة وذلك ما يسمّى بالمعنى المخترَع الذى تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والاكثار منه واذا قسنا الشعر الجاهلى بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخيلته تمتاز بالأمور الآتية .

(١) جلاء المعانى وظهورها ومطابقتها للحقيقة والواقع (٢) قلة المبالغة والغُلُوِّ فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع (٣) قلة المعانى الغريبة المنتزَع الدقيقة المأخذ المتجلية فى صور الخيال البديع والتشبيه الطريف والاستعارة الجميلة والكناية الدقيقة وحسن التّعليل وغير ذلك (٤) قلة تأنّقهم فى ترتيب المعانى والأفكار على النظام الذى يقتضيه الذّوق فيدخلون معنى فى معنى وينتقلون من غَرض الى آخر اقتضاباً بدون تخَيل ولا تلطُّف

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمماً بدوية تنظم الشعر بطبعها من غير مُعاناة صناعة ولا دراسة

علم - غلب على شعرها صراحةُ القول وقلةُ المُواربة فيه والبُعد عن التكلّف وصحة النّظم والوفاء بحقّ المعنى - أضف الى ذلك الأمور الآتية

(١) جودة استعمال الألفاظ فى معانيها الموضوعة لها : لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجوه دلالتها (٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزْلة واستعمال الألفاظ الغريبة التى هجرت عند المحدثين (٣) القصد فى استعمال ألفاظ المجاز و مَقْت استعمال الاعجمى إلاّ ما وقع نادراً (٤) عدم تعمُّد المحسّنات البديعية اللفظية ، ومتانة الأساوب بحسن إيراد المعنَى الى النّفس من أقرب الطرق اليها وا طرفها لديها و إيثار المجاز أو قلة الاسهاب إلا إذا دعت الحال

(٤) أوزانه وقوافيه

العرب لم تَعرف موازين الشّعر بتَعلُّم قوانينَ صناعية وتَعرُّف أصول وضْعية وانما كانت تنظم بطبْعها على حسب ما يُهيّئهُ لها انشادُها وقد هدتهم هذه الفِطرة الى أوزان أرجَعها الخليل الى خمسةَ عشرَ وزناً سمّاها بحوراً وزاد عليها الأخفش بحراً وقد أكثروا النّظم من بعضها دون بعض (راجع كتابنا (ميزان الذّهب فى بُحور شعر العرب)

وشِعر العرب رجزُه وقصيدُه يبنى على قافية واحدة كيفما طال القول .

﴿ الشعراء ﴾

شُعراء الجاهلة أكثر من أن يُحاط بهم . ومن جُهِل منهم أكثر ممن عُرِف . وانما اشتهر بعضهم دون بعض : لنُبُوغه ، أو كثرة المروىّ من شعره أو قرب عهده من الاسلام زمنِ الرواية - وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحكم نافذ وسلطان غالب ، اذ كانوا ألسنتهم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم ، وأسلحتهم التى يذودون بها عن حياض شرفهم (وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت

القبائلُ فهنأتها ، وصَنَعت الأطعمة وأتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان لانهُ حماية لأعراضهم ، وذَبٌّ عن حياضهم وتخليدٌ لمفاخرهم ، وإشادة بذكرهم ، وكانوا لا يُهَنِّئُون الاّ بغلام يُولد ، أو شاعر ينبغ . أو فرس تُنْتَج)

وكانت طريقةُ نظم الشعر ارتجالَه فتأتيهم ألفاظُهُ عفواً ، ومعانيه رهواً كما وقع للحارث بن حِلِّزة وعمرو بن كلثوم . أما مَن اتخذه منهم صناعة يستدرُّها ويلتمس به الجوائز ، وينشده فى المحافل والمواقف العظام فانه يتعهّده بالتهذيب والتنقيح ليجعله رقيق الحاشية حسن الدِّيباجة يَصح أن يقال فيه انه المثل الأعلى للشعر الجاهلى ، كما ترى ذلك واضحاً فى حَوْليّات زُهَير واعتذاريّات النّابِغة.

وقد غبر النـاس دهراً طويلا لايقولون الشعر إلاَّ فى الاغراض الشريفة لايمدحون عظيماً طمعاً فى نَوَاله ، ولا يهجون شريفاً تشفّياً منهُ وانتقاماً حتى نشأت فيهم فئة امتهنت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوكَ والأمراء كالنّابغة الذّبيانى وحسأن مع النُّعمان بن المُنذر ومـلوك غسَّان ، وزُهَير بن أبي سُلمى مع هَرِم بن سنان وأُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْت مع عبد الله بن جُدْعان : أحد أجواد قريش والأعشَى مع المُلوك والسُّوقة ، حتى قصد به الأعاجم ، وجعله مَتْجراً يتّجر به فتحامىَ الشعرَ الأشرافُ ، وآثروا عليه الخَطابة .

(طبقات الشعراء)

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع : (١) طبقة الجاهلين (٢) طبقة المُخَضْرَمين (وهم الذين اشتهروا بقول الشعر فى الجاهلية والإسلام (٣) طبقة الاسلاميين ، وهم الذين نشئوا فى الاسـلام ولم تفسد سليقتهم العربية ، وهم شعراء بنى أُميّة

(٤) طبقة المُولَّدين ، أو المُحْدَثين ، وهم الذين نشئوا زمن فساد العربية وامتزاج العرب بالعجم — وذلك من عصر الدولة العباسية الى يومنا هذا

والشعراء الجاهليون يُقسَّمون باعتبار شُهرتهم فى الشعر للاجادة أو للكثرة الى طبقات كثيرة نذكر منها ثلاثاً (١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس ، وزُهير ، والنَّابغة (٢) الطبقة الثانية ، الأعشى ، ولَبيد ، وطرَفَةُ (٣) الطبقة الثالثة ، عَنترة ، وعُرْوَةُ بن الوَرد والنِّمرُ بن تَوْلب ، ودُرَيْد ابن الصِمَّة ، والمُرَقِّش الأكبر

ومن الأدباء من يُقدّم بعض هؤلاء على بعض ويزيدون غيرهم عليهم

(١) امْرُؤ القَيْس

هو الملك أبو الحارث حُنْدُج بن حُجْر الكِنْدِىُّ شاعرُ اليمَانِيَة

وآباؤه من أشراف كندة وملوكها ، وكانت بنو أسد من المُضرِيّة خاضعة لملوك كِندة وآخر ملك عليهم هو حُجْر أبو امرئ القَيس وأمه أخت مُهَلْهِل وكُلَيب

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعيّة أبيه من بنى أسد ، وسلك مسلك المُترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويُعاقر الخمر ويُغازل الحسان فمقته أبوه ولما لم ينجع فيه القولُ طرده عنه وأقصاه ، حتى جاء نبأ ثَوَرَان بنى أسد على أبيه وقتلهم له . لأنه كان يعسِف فى حكمه لهم ، فقال (ضيَّعني صغيراً ، وحمّلنى دمه كبيراً لا صحْوَ اليومَ ولا سُكْرَ غداً ، اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ) وأخذ يجمع العُدَّة ويستنجد القبائل فى ادراك ثأره فنازل بنى أسد وقتل فيهم كثيراً ثم اشتدت به علة قروح فمات منها ودُفن بأنقرة وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قَرن

شعرُه — يُعتبر امرؤ القيس رأسَ فحول شُعَراء الجاهلية والمقدّم فى الطبقة الأولى فهو أوّل من أجاد القول فى استيقاف الصحب ، وبكاء الديار ، وتشبيه النساء

بالظِّباء والمَها والبَيض، وفى وصف الخيل بقَيْد الأَوابد وترقيق النَّسيب، وتقريب مآخذ الكلام، وتجويد الاستعارة، وتنويع التشبيه.

وقد يُفحش فى تشبيبه بالنساء وتَحدُّثه عنهن، ويُشَمّ من شعره رائحة النُّبل وتُلمح فيه شارات السيادة والملك: من ذلك قوله

فظلّ العذارَى يرتمين بلحمها ... وشحمٍ كهُدّاب الدِّمقس المُفتّل

وقوله: وظلّ طُهاة اللّحم من بين منضِجٍ ... صفيفَ شِواءٍ أو قديرٍ معجّل

ولو أنّ ما أسعَى لأدنى معيشةٍ ... كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

ولكنّما أسعَى لمجدٍ مُؤثّلٍ ... وقد يُدرك المجدَ المؤثّل أمثالى

وشعره وان اشتمل بشَمْلة البَداوة فى جفاء العبارة، وخُشونة الالفاظ وتجهّم المعانى، تراه أحيانًا يخطِر فى حُلل من حسن الدِّيباجة، وبديع المعنى، ودِقة النّسيب ومقاربَة الوصف وسهولة المأخذ: مما كان منه لخَلَفه أجمل مثال فى مُحاكاته

فمن النوع الاول قوله فى معلقته

وفرعٍ[1] يُغشّي المتنَ أسودُ فاحمٌ ... أثيثٌ كقِنْو النخلة المُتعثْكل

غدائرهُ[2] مُستشزِرات إلى العُلا ... تَضلّ المَدارى فى مُثنًّى ومُرسَل

وكشحٍ[3] لطيفٍ كالجديل مخصّرٍ ... وساقٍ كأُنبوب السَّقيّ المُذَلّل

---

(١) الفرع الشعر التام. المتن الظهر. الفاحم الشديد السواد. الاثيث الكثير. القنو العذق (السباطة) المتعثكل الكثير الشماريخ الداخل بعضها في بعض. يريد تشبيه شعر محبوبته بكباسة النخل الكثيرة الشماريخ (٢) غدائره ذوائبه. مستشزرات مرتفعات. تضل تغيب. المداري الامشاط ومفردها مدرى (٣) الكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف. الجديل زمام يتخذ من سيور. المخصر الدقيق الخصر. والانبوب ما بين العقدتين من القصب وغيره والسقى المذلل يعني البردى المسقى الملين بالارواء. يريد تشبيه كشح محبوبته بخطام الناقة المتخذ من الجلد. وساقها بنباتة البردي المسقية كثيراً.

وتعطو[1] برَخْصٍ غير شَثْنٍ كأنه اساريع ظَبْيٍ أومساويك إسحِلِ

ومن الثانى قوله :

كأنَّ عيون الوحش حولَ خِبائِنا وأرحُلِنا الجزْعُ[2] الذى لم يثقَّبِ

كأنَّ قلوبَ الطير رَطْباً ويابسا لدى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ[3] البالى

أغرَّكِ مني أنَّ حبَّكِ قاتلى وأنك مهما تأمرى القلبَ يفعلِ

ولامرئ القيس المطولات والمقطَّعات ، وأشهر مطوَّلاته معلَّقتُه المضروب بها المثل فى الاشتهار ، وأوّلها :

قِفَا نبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ[4]

فتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يعفُ رسمُها لِمَا نسَجتْها من جَنوبٍ وشَمْأَلِ[5]

ومنها يصف الليل :

وليلٍ كموج البحرِ أرخَى سُدُولَه علىَّ بأنواع الهموم ليَبْتَلى[6]

فقلتُ له لمَّا تمطَّى[7] بصُلبه وأردَفَ أعجازاً[8] وناء[9] بكَلْكَلِ[10]

---

(١) العطو التناول . الشثن الغليظ . الاساريع جمع أسروع وهو دود يكون في البقل والاماكن الندية . وظبي اسم مكان . والاسحل شجرة تدق أغصانها في استواء يشبه انامل محبوبته بهذا الصنف من الدود او هذا النوع من المساويك (٢) خرز اسود يخالطه بياض (٣) اردأ التمر (٤) قال ياقوت قال السكري الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع مابين امرة واسود العين . امرة مثل أممة منهل من مناهل خليج البصرة واسود العين جبل بنجد يشرف على طريق البصرة الى مكة (٥) لم يعف رسمها لم يذهب اثرها . ونسج الريحين على رقمة اختلافهما عليها جنوباً وشمالا يعجب من عدم عفاء رسمها السبب الذي من اجله تعفو الرسوم وهو اختلاف الرياح عليها بسفي التراب (٦) كموج البحر في توحشه ونكارة امره . والمراد بالسدول الظلمات الشبيهة بالستور (٧) مد ظهره (٨) مآخير (٩) مقلوب فأى بمعنى بعد (١٠) الكلكل الصدر . والمعنى افرط في الطول

أَلاَ أيُّها اللّيلُ الطويلُ أَلا انْجَلى[١] بصُبْحٍ وما الإِصباحُ منكَ بأمثَلِ[٢]
فيَالكَ من ليـل كأنَّ نجومَهُ بكلّ مُغارِ[٣] الفتْلِ شُدَّت بِيَذْبُلِ[٤]

ومنها يصف فرسه :

وقد أغتَدِى والطيرُ فى وُكناتِها[٥] بمُنْجَرِدٍ[٦] قَيْدِ الأَوابد[٧] هَيكَلِ[٨]
مِكَرٍّ[٩] مِفَرٍّ[١٠] مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجُلْمُودِ[١١] صخرٍ حطّه السيلُ من عَلِ

(٢) النّابغة الذُّبيانى

هو النّابغة الذُّبيانى أبو أُمامة زِيادُ بن معاوية : أحدُ فحول شعراء الجاهلية، وزعيمهم بعُكاظ، وأحسنُهم دِيباجة لفظٍ، وجلاءَ معنى، ولُطفَ اعتذار ولُقّبَ بالنابغة لنبُوغه في الشعر فُجاءَة وهو كبير، بعد أن امتنع عليه وهو صغير وهو من أشراف ذُبيان إلاّ أن تكسُّبه بالشّعر غضَّ منْ شرفه، على أنه لم يتكسّب بشعره إلاّ فى مدح ملوك العرب، وكان من أمره فى ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم وطالت صُحبته للنعمان بن المُنْذر، فأدناه منه إلى أن وشى به عند النعمان أحد بطانته فغضب عليه وهمّ بقتله . فأسرّ اليه بذلك حاجبُهُ عِصام، فهرب النّابغة إلى ملوك غَسّان المنافِسين للمناذرة فى مُلْك العرب، فمدح عمرَو بنَ الحارث الأصغر وأخاه النّعمان، غير أن قديم صحبته للنّعمان جعله يحِنُّ إلى معاودة العيش فى ظلاله، فتنصّل ممّا رُمى به . واعتذر اليه بقصائد عطفتْ عليه قلبه، وعُمِّر النابغة طويلاً ومات قُبيل البعثة شعره يمتاز برَشاقة اللفظ ووضوح المعنى، وحسن النظم، وقلة التكلف، حتى عُدَّ عند المُرقّقين من الشعراء كجرير أنه أشعر شعراء الجاهلية، وأغراه تكسُّبه

(١) انكشف (٢) افضل . وذلك لانى أقاسى الهموم نهاراً كما اعانيها ليلا (٣) محكم الفتل (٤) جبل بنجد (٥) الوكنات أعشاش الطير (٦) ماض فى السير (٧) الوحوش (٨) طويل (٩) (١٠) الكر الهجوم والفر الهروب وفرس مكر مفر بجيدهما (١١) الحجر العظيم

بالشعر أن يَفتَنَّ في ضروب المدح — ومن أبلغ شعره معلقته التى أوّلها

عُوجُوا فَحَيُّوا لنُعمٍ دمنةَ الدار ماذا تُحَيُّونَ من نُؤْيٍ وأحجار (١)

أقوَى وأقفرَ من نُعْمٍ وغيَّره هُوجُ الرياحِ بهابي التُّربِ مَوّار (٢)

وقفتُ فيها سَراةَ اليومِ أسألها عن آل نُعمٍ أمونًا عِبْرَ أسفار (٣)

فاستعجمت دارُ نُعمٍ ما تكلمنا والدار لو كلّمتنا ذاتُ أخبار

ومن جيد قوله فى الاعتذار:

أتانى (أبيتَ اللعنَ) (٤) أنك لُمتنى وتلك التى أهتمُّ (٥) منها وأنصبُ (٦)

فبتُّ كأنَّ العائدات (٧) فرشن لي هَرَاسا (٨) به يُعلَى فِراشى ويُقشَبُ (٩)

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلّغتَ عنى جنايةً (١٠) لَمُبلغُك الواشى (١١) أغشُّ وأكذب

ولكننى كنتُ امرأً لىَ جانبٌ (١٢) من الأرض فيه مُسترادٌ (١٣) ومَهرَب

ملوكٌ (١٤) وإخوان اذا ما أتيتُهم أُحكَّمُ (١٥) في أموالهم وأُقرَّبُ

كفعلك فى قومٍ أراك اصطنعتهم فلم تَرهم فى شكر ذلك أذنبُوا (١٦)

فلا تترُكنّي بالوَعيد كأنّني الى الناس مَطلِيٌّ به القارُ (١٧) أجربُ

---

(١) عوجوا قفوا . الدمنة ما اجتمع من آثار الديار . النؤي الحفير يكون حول الخباء يمنع المطر (٢) اقوى واقفر خلا . هوج الرياح جمع هوجاء وهي الشديدة . الهابي السافي . موار يجيء ويذهب (٣) سراة اليوم وسطه . الامون الناقة التي يؤمن عثارها . عبر اسفار اي يعبر عليها فيها (٤) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية : ومعناها ابيت ان تفعل شيئاً تلعن به . وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام (٥) اصير لاجلها اذا هم (٦) أتعب (٧) الزائرات فى المرض (٨) شوكا كانه حسك (٩) يخلط (١٠) ذنباً (١١) (النمام) (١٢) الجانب الناحية وأراد به الشام (١٣) موضع يتردد فيه لطلب الرزق (١٤) بدل من مستراد ومهرب او مبتدأ بتقدير فيه ملوك (١٥) تصرف كيف أشاء (١٦) قال الاصمعي كما فعلت انت بقوم قربتهم وأكرمتهم فتركوا الملوك ولزموك فلم تر ذلك ذنباً عليهم (١٧) القطران

ألم ترَ أن الله أعطاك سَورةً [(١)] ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذب [(٢)]

وأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ اذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب [(٣)]

ولستَ بمُستبقٍ أخاً لا تلمُّه على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذَّب [(٤)]

فان أكُ مظلوماً [(٥)] فعبدٌ ظلمته وان تك ذا عُتبى [(٦)] فمثلك يعتِب [(٧)]

(٣) زُهير بن أبي سُلمى

هو زُهَير بن أبي سُلْمى ربيعة بن رياح المُزَنيُّ ، ثالثُ فحول الطبقة الأولى من الجاهلية ، وأعفُّهم قولا ، وأوجزُهم لفظاً ، وأغزَرهم حكمةً ، وأكثرهم تهذيباً لشعره

نشأ في غَطَفَان وان كان نسبهُ في مُزَينَةَ ، من بيت جلُّ أهله شعراء : رجالا ونساء — واختصَّ زُهيرٌ بمدح هَرِم بن سنان الذُّبياني المُرّي — وأوّلُ ما أعجبَه من أمره وحبّبَ اليه مدحه حُسنُ سعيه هو والحارثُ بن عَوف في الصلح بين عبس وذُبيـان في حرب داحس والغبراء بتحمُّلهما ديات القتلى التي بلغت ثلاثة آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته احدى المعلقات السبع التي أوّلها

أمِنْ أمّ أوفى [(٨)] دِمنةٌ [(٩)] لم تَكلَّم بحَوْمانَةِ الدُّرَّاج فالمُتَثَلَّم [(١٠)]

ثم تابع مدحه كما تابع هَرِم عطاءه حتى حلف ألاّ يمدحه زُهير إلاّ أعطاه ولا يسأله إلاّ أعطاه ولا يسلّم عليه إلاّ أعطاه عبداً أو وليـدةً أو فرساً ، فاستحيا زُهير منه ، فكان اذا رآه في ملأ قال : أنْعِموا صباحاً غير هرم وخيرَكم استثْنيت

(١) منزلة رفيعة وشرفاً (٢) يضطرب (٣) أراد بهذا البيت والذي قبله تسلية النعمان على ما حصل منه من مدحه لآل جفنة (٤) تلمه تصلحه . والشعث الفساد . المهذب المنقي من العيوب . يعتذر بذلك عن زلته او المعنى أي الرجال يكون مبرأ من العيوب فان قطعت اخوانك بذنب لم يبق لك أخ (٥) جعل غضبه ظلما لانه عن غير موجب (٦) رضا (٧) يرضي

(٨) امرأة زهير (٩) ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرها (١٠) حومانة الدراج ماء بنجد على الطريق التي بين البصرة ومكة . والمتثلم موضع قريب منه

وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع متديناً مؤمناً بالبعث والحساب كما يظهر من قوله :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وعمر زهير ومات قبل البعثة بسنة — ومن حكمه فى معلقته

وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ... ولكننى عن علم ما فى غد عم

رأيت المنايا خبط عشواء[1] من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره[2] ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه ... الى مطمئن البر لا يتجمجم[3]

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وان يرق أسباب السماء بسلم

ومن يجعل المعروف فى غير أهله ... يكن حمده ذماً عليه ويندم

ومن لم يذد[4] عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم[5]

ومهما تكن عند امرئ من خليقة[6] ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

شعره — اتفق أكثر الشعراء على أن زهيراً يفضل صاحبيه امرأ القيس والنابغة وكان زهير صاحب روية وتعمل وتهذيب لما يقول ولا سيما مطولاته ، حتى قيل انه كان ينظم القصيدة فى أربعة أشهر ، ويهذبها فى أربعة أشهر ، ويعرضها

(١) الخبط الضرب باليد . والعشواء الناقة التى لا تبصر ليلا . يريد أن المنية كالناقة العشواء تسير على غير هدى فتصيب الناس على غير نسق معروف او ترتيب محدود (٢) يصنه ويحفظ (٣) يتزلزل ويضطرب (٤) يدفع ويكف (٥) من انقبض عن الناس وكف يده عن الامتداد اليهم رأوه مهيناً ضعيفاً فاستطالوا عليه وظلموه (٦) طبيعة

على خواصه فى أربعة أشهر ، فلا يُظهرها إلا بعد حول ، ولذلك يُسمّون بعض مطوّلاته الحوليات ، ومما سبق فيه غيره قوله يمدح هرماً :

قد جعل المُبتغون الخيرَ فى هَرِم والسائلون الى أبوابه طُرُقا
من يلق يوماً على عِلاّته هرماً يلق السماحةَ منه والندى خُلُقا
لو نال حيٌّ من الدنيا بمكرُمةٍ افق السماء لنالت كفهُ الافقا

(٤) عنترة العَبسى

هو عنترة بنُ عمرو بن شداد العبْسى أحد فُرسان العرب وأغرِبتها وأجوادِها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة

وكان أمُّه أمةً حبشية تسمى زَبيبَةَ ، وأبوه من سادات بنى عَبْس

وكان من عادات العرب ألاّ تُلحق ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله فى عِداد العبيد ولذلك كان عنترة عند أبيهِ منبوذاً بين عُبدانهِ ، يَرْعى له إبلَه وخيلَه فرباً بنفسه عن خِصال العَبيد ، ومارس الفروسية ومَهَرَ فيها ، فشبَّ فارساً شجاعاً هُماماً وكان يكره من أبيه استعبادَه له وعدمَ الحاقه به ، حتى أغار بعضُ العرب على عبس واستاقوا ابلهم ، ولحقهم بنو عبس وفيهم عنترةُ لاستنقاذ الابل ، فقال له أبوه : كُرَّ ياعنترةُ فقال : العبدُ لا يُحسن الكَرّ إنّما يحسنُ الحِلاَبَ والصَّر ، فقال كُرّ وأنت حُر ، فقاتل قتالاً شديداً حتى هَزَم القومَ واستنقذ الابل ، فاستلحقه أبوه . ومن ذلك الوقت ظهر اسمهُ بين فرسان العرب وساداتها وطال عمر عنترة حتى ضَعُفَ جسمه وعجز عن شنّ الغارات ومات قُبيل البعثة

شعره — لم يشتهر عنترة أوّل أمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وانما غابت عليه الفروسية مكتفياً بها حتى عيَّره يوماً بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر فاحتجّ

لسواده بخُلُقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التى كانت تسمى المُذَهَّبَة أيضاً وأولها ·

هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّمِ   أمْ هل عرفْتَ الدارَ بعد توَهُّمِ (١)

وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه . وحسنَ دفاعه عنهم ووفرة جُوده ، معرجا فيها على أوصاف امور شتّى . ومن قوله فى معلقته :

لما رأيت القومَ أقبلَ جمعهم   يتذامرون (٢) كررتُ غيرَ مُذَمَّمِ
يدعون عنترَ والرماحُ كأنّها   أشْطان (٣) بئرٍ فى لَبان (٤) الأدْهم (٥)
ما زلت أرْميهم بثُغرةِ (٦) نحره   ولَبانهِ حتى تَسَرْبَلَ بالدم
فازورّ (٧) من وَقع القَنا بلَبانه   وشكا إليّ بعَبْرَة وتحَمْحُم (٨)
لو كان يَدْرى ما المحاورةُ اشتكى   ولكان لو علم الكلامَ مُكلّمى
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقْمَها   قِيلُ الفوارس وَيْكَ (٩) عنترَ أقدِمِ
والخيلُ تقتحمُ الخَبار (١٠) عوابساً   من بين شَيْظَمَة (١١) وأجْرَد (١٢) شَيْظَم
أثنى عليّ بما علمتِ فإنني   سَمْحٌ مُخالطَتى اذا لم أُظْلَمِ
فاذا ظُلمت فانّ ظُلْمى باسل   مُرٌّ مَذاقتهُ كطعم العَلقم

ومن جيد قوله :

بَكَرَتْ تُخَوّفُنى الحتوفَ (١) كأنّنى   أصبحت عن غرض الحتوف بمَعْزِلِ

(١) تردم الرجل ثوبه رقعه و (أم) بمعنى بل والتوهم التفرس ، والمعنى لم يترك الشعراء لى شيئاً اصلحه . ثم خاطب نفســه قائلا هل عرفت دار محبوبتك بعد شدة بحثك عنها (٢) يحض بعضهم بعضاً على القتال (٣) الحبال التى يستقى بها (٤) اللبان الصدر (٥) الحصان الاسود (٦) اعلى نحره (٧) مال (٨) العبره تردد البكاء في الصدر والتحمحم من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له (٩) وى كلمة يقصد منها التعجب والكاف للخطاب (١٠) الارض اللينة (١١) الفرس الطويل (١٢) الاجرد القصير الشعر الرقيقة (١٣) الحتف الموت

فأجبتها ان المنيّة منهلٌ [١] لا بد أن أُسقى بكأس المَنْهل
فاقْنَى [٢] حياءك لا أبالك [٣] واعلمي أنى امرؤٌ سأموتُ ان لم أُقتَل
ان المنيةَ لو تُمَثَّل مُثِّلَتْ مثلى اذا نزلوا بضنك [٤] المَنْزِل
انى امرؤ من خير عبس منصبا شطرى [٥] وأحمى سائرى بالمُنْصُلُ [٦]
واذا الكتيبة [٧] أحجمَت [٨] وتلاحظَت [٩] ألفيتُ خيراً من مُعَمّ مُخْوِل [١٠]
والخيلُ تَعلمُ والفوارسُ أنّنى فرّقتُ جمعهمُ بضربة فَيْصَل
والخيلُ ساهمةٌ [١١] الوُجوه كأنما تُسقَى فوارسُها نقيعَ الحنظَلِ
ولقد أبيتُ على الطوَى [١٢] وأظلّه حتى أنالَ به كريمَ المأكل

(٥) عمرو بن كُلثوم

هو أبو الأسود عَمْرو بن كُلثومِ بنِ مالك التَّغلبى . وأمه ليلى بنت مُهلهِل أخى كليب . نشأ عمرو فى قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفراً وأكثر ما كانت فِتنُ تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وكان آخر صالح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المُنذر . ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مُشاحة فى مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعرُ بكر (الحارث بن حِلزة اليَشكُرى) وأنشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كُلثوم أنّ هوى الملك مع بكر ، فأنصرف ابن كلثوم وفى نفسه ما فيها ثم خطر فى نفس ابن هند أن يكسر من أنَفَةِ تَغلِبَ بإذلال سيدِها وهو عمرو بن كُلثوم فدعاه وأمّه ليلى بنتَ مُهلهِل

(١) مشرب (٢) الزمى (٣) كلة يراد بها التنبيه والاعلام لا الجفاء والشدة (٤) ضيق (٥) نصفى (٦) السيف (٧) الطائفة من الجيش (٨) تأخرت عن الاقدام (٩) نظر بعضهم بعضا بمؤخر عينه من شدة الهول (١٠) كريم الاعمام والاخوال (١١) متغيرة عابسة (١٢) الجوع

وأغرَى هنداً امَّه أن تَستخدِمَها فى قضاء أمر، فصاحت لَيلى واذُلاَّه، فثار به الغضب وقتل ابن هند فى مجلسه، ثم رحل تَوًّا إلى بلاده بالجزيرة وأنشد معلقته التى أوّلها:

ألا هبىّ بصَحْنِك (١) فَاصْبَحِينا (٢) ولا تُبْقِى خُمورَ الأَنْدَرِينا (٣)

ومات قبل الإسلام بنحو نصف قَرْن

شعره: لم يشتهر إلا بمعلقته الواحدة التى قامت له مقام الشعر الوفير: لحسن لفظها، وانسجام عبارتها، وعُلو فخرها ولعلّ شهرته بالخطابة لا تقلّ عن شهرته بالشعر: ومن سامى فخره فى معلقته

وقد عَلِم القبَائلُ مِن مَعَدّ اذا قُبَب بأبطَحها (٤) بُنِينا
بأنّا المُطْعمون اذا قدرنا وأنّا المُهلِكون إذا ابتُلِينا
وأنّا المانعون لما أرَدْنا وأنّا النازلون بحيث رِشينا
وأنّا التّاركون اذا سَخِطنا وأنّا الآخذون اذا رَضِينا
ونَشرَبُ ان وردنا الماء صَفْواً ويشربُ غيرُنا كَدِراً وطينا
اذا ما المَلْكُ سام الناس خسفا أبينا أن نُقِرّ الذلّ فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطِش حين نبطش قادرينا
بُغاةً ظالمين وما ظُلِمنا ولكنّا سنبدأ ظالمينا
ملأنا البرّ حتى ضاق عنا ونحن البحرَ نملؤه سفينا
اذا بلغ الرَّضيعُ لنا فِطاما تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

---

(١) الصحن القدح العظيم (٢) اسقينا الصبوح وهوما اصبح عندهم من الشراب (٣) قرية بالشام (٤) الابطح والبطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصا

(٦) طَرَفة بن العبد

هو عَمْرو بن العبد البكريّ أقصر فحول الجاهلية عُمراً ومال الى قول الشعر والوقوع به فى أعراض الناس ، حتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع انه كان يَتطلّبُ معروفه وجُودَه ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له فاضطغنها عليه ، حتى اذا ماجاءه هو وخاله المُتلمّس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياهامنه وبينماهما فى الطريق ارتاب المتلمّس فى صحيفته فعرّج على غلام يقرؤها له (ومضى طرفة) فاذا فى الصحيفة الأمر بقتله، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفرّ الى ملوك غسّان وذهب طرفة الى عامل البحرين وقُتل هناك — وعُمره نحو ست وعشرين سنة

شعره — يُجيد طرفة الوصف في شعره مقتصراً فيه على بيان الحقيقة بعيداً عن الغُلوّ والاغراق وكذلك كان هجاؤه على شدّة وقعه — ومطلع معلقته

لِخَوْلَةَ (١) أطلالٌ ببُرْقَةِ (٢) ثَهْمَدِ (٣) تَلُوحُ (٤) كباقي الوَشْمِ (٥) فى ظاهر اليد

ومنها

رأيتُ بنى غَبْرَاء (٦) لا يُنكرونني ولا أهلُ هاذاكَ الطِّراف (٧) المُمَدَّد

ألا أيها ذا الزّاجرى أحضُرَ الوغى (٨) وأن أشهد اللّذاتِ هل أنت مُخلِدِى

فان كنت لا تستطيعُ دَفْعَ مَنِيَّتى فدعنى ابادِرْها بما مَلَكَتْ يدى

---

(١) اسم محبوبته (٢) البرقة مكان اختلط ترابه بحجارة او حصى (٣) موضع في ديار بني عامر (٤) تلوح تلمع (٥) النقش على اليد وغيرها بالنيلج وهو المسمى الآن (بالدق) (٦) الغبراء الارض والمراد الفقراء (٧) البيت من الادم (٨) الا ايها الانسان الذى يلومنى على حضور الحرب وحضور اللذات هل تخلدنى ان كففت عنهما

إلى أن قال

أرَى الموتَ يَعتَامُ[1] الكرامَ ويصطفي ... عَقيلةَ[2] مالِ الفاحشِ المُتَشَدِّدِ
أرَى العيشَ كَنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ ... وما تَنقُصِ الأيَّامُ والدهرُ ينفَدِ
لَعَمرُكَ إنّ الموتَ «ما أخطأ الفتى» ... لَكالطِّوَلِ[3] المُرخَى وثِنْياه[4] باليدِ
متى ما يشأ يوماً يَقُدْه لحتفه ... ومن يكُ في حبلِ المنيةِ يَنقَدِ

ومن أبياته السائرة

وظُلمُ ذوي القُربى أشدُّ مَضاضةً ... على المرءِ من وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ
أرى الموتَ أعدادَ[5] النفوسِ ولا أرى ... بعيداً غداً ما أقربَ اليومَ من غدِ
ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ

(٧) أعشَى قَيس

هو أبو بَصيرٍ مَيمُونُ الأعشى بنُ قيس بن جَندلٍ القَيْسي نَشأ في بدءِ أمره رَاويةً لخاله المُسيَّب بن عَلَس وقد عَمِيَ وطال عمره ، حتى كان الإسلامُ وعظُم أمرُ النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب ، فأعدَّ له قصيدةً يمدحه بها ، وقصده بالحجاز ، فلقيه كفارُ قُريش وصدّوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء ويرجعَ إلى بلده : لتَخوُّفِهم أثرَ شعره ففعل ، ولما قرُب من اليمامة سقط عن ناقته فدُقَّت عنقه ومات ، ودفن ببلدته مَنفُوحةَ باليمامة

---

(١) يختار (٢) كرام المال (٣) الطول الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه (٤) الثني الطرف والجمع اثناء ؛ والمعنى اقسم بحياتك ان الموت مدة مجاوزته للفتى بمنزلة حبل طول للدابة يرعى فيه وطرفاه بيد صاحبه. فكما ان الدابة لا تفلت ما دام صاحبها آخذاً بطرفي طولها فكذلك الانسان لا يهرب من الموت (٥) جمع عدد اي لكل انسان ميتة فاذا ذهبت النفوس ذهبت ميتهم كلها ؛ او جمع عد بالكسر وهو الماء الذي لا تنقطع مادته وكل احد يرده

شعره : يُعدُّ الأعشى رابعًا لثلاثة الفحول : امرئ القيس ، والنابغة وزهير وان كان يمتازُ عنهم بغزارة شعره ، وكثرة مارُوى له من الطوال الجياد وتفننه فى كل فن من أغراض الشعر واشهرمن بينهم بالمبالغة فى وصف الخمر ، حتى قيل : أشعرالناس امرؤُ القيس اذا ركب ،وزُهير اذا رغب ، والنّابغة إذا رهِب ، والأعشى إذا طرِب . ولشعره طَلَاوة ورَوْعة ، ليست لكثير من شعر غيره من القدماء ولقوّة طبعه وجَلَبَةَ شعره سُمّى صَنّاجة العرب حتى ليُخَيَّل اليك اذا أنشدت شعره أن آخر ينشِد معك

ولجلالة شعره كان يرفع الوضيعَ الخامل ، ويخفض الشريف النابه ، ومن الذين رفعهم شعر الأعشى المُحلّق . وقد كان أبا ثمان بنات عوَانس : رغبت عن خِطبَتهن الرجالُ لفقرهنّ فاستضافه على فقره ، فمدحه الأعشى ونوّه بذكره فى عُكاظ ، فلم يمضِ عام حتى لم تبق جارية منهنّ إلا وهى زوج لسيّد كريم وكان الأعشى يتطرّف فى شعره وعدّه بعضهم من أصحاب المُعلّقات ،وذكر قصيدته التى يمدح بها الأسود الكِندى ومطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالى وما تردُّ سؤالى

ومن جيّد شعره قصيدته التى أعدّها ليُنشدها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدحه فيها فلم يَفز بذلك — وأولها

أَلَم تَغتَمِض عيناكَ ليلةَ أَرْمَدَا وبِتَّ كما باتَ السّليمُ مُسَهَّدَا
وماذاكَ من عِشق النّساء وانّما تناسيتَ قبل اليوم خُلّة مَهْدَدَا
ولكن أرى الدهر الذى هو خائنٌ اذا أصلحتْ كفّاى عادفأفسدا
شبابٌ وشَيْبٌ وافتقار وثَروة فللهِ هذا الدّهرُ كيف تردّدا

وقصيدته فى مدح المحلّق أولها

أَرِقتُ وما هذا السُّهاد المُؤَرِّقُ ؟ وما بىَ من سقْمٍ وما بى تعَشُّقُ

ومنها :

لَعمرى لقد لاحت عيونٌ كثيرة الى ضوء نار فى اليفَاعِ تَحرَّق

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يصْطليانها وبات على النار النّدى والمُحلَّق

رضيعىْ لِبانٍ ثدىَ أُمٍّ تقَاسما بأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لانتفرّق

ترىَ الجودَ يجرى ظاهراً فوق وجهه كمازان متنَ الهنْدُوانىّ رَونقُ

يداهُ يدا صدقٍ فكفٌّ مُبيدةٌ وكفٌّ اذا ما ضُنَّ بالمال تُنفِقُ

(٧) الحارث بن حِلِّزَة

هو الحارث بن حِلِّزَةَ اليشكرىّ البكرىّ يتصل نسبه الى بكر بن وائل ولم يؤثر عنه غيرُ قطع يسيرة وقصيدتِهِ المعلقة التى مطلعها :

آذنَتْنا ببينها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

وكان من أمر هذه المعلقة أن عمرو بن هند أحدَ ملوكِ الحيرة أصلح بين بكر وتغلِب بعد حرب البسوس وأخذ من كِلا الفريقين رَهائنَ من أبنائهم ليكفَّ بعضُهم عن بعض، وليُقيدَ منها للمُعتدَى عليه من المعتَدِى فحدث أن سرّح الملك ركبًا من تغلِب فى بعض حاجتِهِ ، فزعمت تغلِبُ أن الركبَ نزلوا على ماء لبكر فأجلوْهم عنه ، وحملوهم على المفازة فماتوا عطشاً ، وتزعم بكر أنهم سقوْهم وأرشدوهم الطّريق فتاهوا وهلكوا وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند وكانت ضِلعهُ مع تغلِب فهاج ذلك الحارثَ بنَ حلِّزة وكان فى المجلس مستوراً عن الملك بستارة لمــا فيه من البرص فارتجل قصيدته هذه ارتجالا يفتخر فيها بقومه وفَعالهم وحسن

بلائهم عنـد الملك وعظم أيامهم معه فما أتمّ قصيدته حتى انقلب الملك الى جانب البكريين وقرّب الحارث من مجلسه . وعُمِّر الحارث طويلاً حتى قيل : انه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة

شعره ـ أكثر الرواة معجَبون بارتجال الحارث قصيدته على طولها وإحكامها ومن قوله فيها وهو أوجزُ وصف للتأهُّب للارتحال وأوضحُهُ تصويراً للحقيقة

أجمعوا أمرَهم عِشاءً فلمّا أصبحُو أصبحت لهم ضَوْضاء
من مُنادٍ ومن مُجيبٍ ومن تَصـــهال خيل خـــلالَ ذاك رُغاء

(٩) لبيدُ بن رَبيعَة

هو أبو عقيل لَبيدُ بن ربيعة العامرىّ أحد أشراف الشعراء المجيدين وهو من بنى عامر بن صَعْصَعَة احدى بطون هوازن من مضر وأُمُّهُ عبسية . نشأ لَبيدُ جواداً شجاعاً فاتكاً . أمّا الجُود فورثه عن أبيه المُلقَّب بربيعة المعتَرِّين . وأما الشجاعةُ والفتكُ فهما خصلتا قبيلته اذ كان عمُّهُ ملاعبُ الأسنَّة أحدَ فُرْسان مضَرَ فى الجاهلية وكان بين قبيلته وبين بنى عبس أخواله عداوة شـديدة فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر وعلى العبسيين الرّبيعُ بن زياد وعلى العامريين مـلاعبُ الأسنة وكان الرّبيع مُقَرَّباً عند النعمان يؤاكله وينادمه فأوغر صدرَه على العامريين فلما دخل وفدُهم على النّعمان أعرض عنه فشَقّ ذلك عليهم ـ ولَبيد يومئذٍ صغير يسرح إبلهم ويرعاها فسألهم عن خَطْبهم فاحتقروه لصغره فألح حتى أشركوه معهم فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عنـد النعمان أسوأ انتقام : بهجاء لا يجالسه بعده ولا يؤاكله فكان ذلك ومقت النعمانُ الربيع ولم يقبل له عذرًا وأكرم العامريين وقضى حوائجهم فكان هذا أوّلَ ما اشتهرَ به لَبيد ثم قال بعد ذلك المقطّعات

والمطوّلات وشهد النّابغة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته التى أوّلها:

عَفَتِ الديارُ محلُّها فمُقامُها ... بِمِنًى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها

ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفود العرب على النبى صلى الله عليه وسلم جاء لَبيد فى وفد بنى عامر وأسلم وعاد إلى بلاده وحسن اسلامه، وتنسّك وحفِظ القرآن كله وهجر الشعر حتى لم يروَ له فى الاسلام غير بيت واحد وهو

ما عاتب الحرَّ الكريمَ كنفسه ... والمرء يصلحه الجليسُ الصالح

وبعد أن فُتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطّاب واختارها دار اقامة. وما زال بالكوفة حتى مات فى أوائل خلافة معاوية سنة احدى وأربعين من الهجرة، وقد قيل انه عاش ثلاثين ومائة سنة

شعره — نبغ فيه وهو غلام وجرى فيه على سَنَن الأشراف والفُرسان

ومن جيد شعره قوله فى معلقته مفتخراً بفعاله وقوله وقومه:

إنا إذا التقت المجامع لم يزل ... منا لِزَازُ عظيمة جَشّامُها (١)

ومقسّمٌ يعطى العشيرةَ حقّها ... ومُغَذْمِرٌ لحقوقها هضّامُها (٢)

فضلا وذو كرم يعين على النّدى ... سَمْحٌ كَسُوبُ رغائبٍ غَنّامُها (٣)

من معشر سَنّتْ لهم آباؤهم ... ولكل قومٍ سُنّة وإمامُها

لا يَطْبَعون ولا يبور فَعالُهم ... اذ لا تميل مع الهوَى أحلامُها (٤)

---

(١) رجل لزاز الخصوم يصلح لان يلز بهم اى يقرن ليغلبهم ويقهرهم، جشم الامر كسمع تكلفه على مشقة وجشام مبالغة منه اي لا تخلو المجامع من رجل منا يتحلى بقمع الخصوم ويتكلف لخصام (٢) الغذ مرة الغضب؛ والهضم الظلم يريد منا الذى يقسم الغنائم فيوفر على الشمار حقوقها ويتغضب عند اضاعة شىء منها ويهضم حقوق عشيرته اذا ظلمت وجارت (٣) الرغائب جمع رغيبة وهي العطاء الكثير؛ والامر المرغوب فيه؛ وفضلا اى يفعل ذلك تفضلا (٤) الطبع تدنس العرض وتلطخه؛ والبوار الفساد؛ والاحلام العقول

فاقنع بما قَسَمَ المليكُ فانما ... قسم الخلائقَ بيننا علاّمُها
واذا الأمانةُ قُسِّمت فى معشر ... أوفى بأوفرِ حظنا قُسّامُها
فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكُهُ ... فسما اليه كهلُها وغلامُها
وهمُ السُّعاةُ اذا العشيرةُ أفظِعَتْ ... وهمُ فوارسها وهم حكّامُها [١]
وهمُ ربيعٌ للمُجاور فيهمُ ... والمُرمِلاتِ إذا تطاوَلَ عامُها [٢]
وهمُ العشيرة أن يُبَطِّئَ حاسد ... أو أن يميل مع العدوّ لئامُها [٣]

وقال يرثى أخاه أربد:

بَلِينا وما تَبلَى النُّجومُ الطَّوالعُ ... وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ [٤]
وقد كنتُ فى أكنافِ جارِ مَضَنَّةٍ ... ففارقنى جارٌ بأربدَ نافعُ [٥]
فلا جَزَعٌ إن فرّق الدهر بيننا ... فكلُّ امرىءٍ يوماً به الدهر فاجعُ
وما الناسُ الاّ كالديار وأهلها ... بها يوم حَلّوها وراحوا بلاقعُ [٦]
وما المرء إلاّ كالشّهاب وضوئه ... يحور [٧] رماداً بعد اذ هو ساطعُ
وما المال والأهلون إلاّ ودائعٌ ... ولا بدّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ
وما الناس إلاّ عاملان: فعامل ... يُتبّر [٨] ما يبنى وآخر رافعُ
فمنهمْ سعيد آخذ بنصيبه ... ومنهمْ شقىٌّ بالمعيشة قانعُ

---

(١) افظعت اصيبت بأمر فظيع (٢) ارمل القوم نفد زادهم اي هم لمن جاورهم وللنساء اللاتي نفدت ازوادهن بمنزلة الربيع لعموم نفعهم واحيائهم اياهم بجودهم (٣) هم متعاضدون كراهية ان يبطىء احد بعضهم بعض اوبعضهم ان يميل لئامهم الى الاعداء (٤) المباني من القصور والحصون (٥) اكناف ظلال ، جار مضنة يضن به ويتنافس فيه — بأربد اى هو اربد (٦) البلقع الارض القفر والجمع بلاقع (٧) يرجع (٨) يهلك ويهدم

ومنه قوله فى النعمان يرثيه :

ألا تسألان المرء ماذا يحاولُ ... أنحبٌ فيقضى أم ضلال وباطلُ (١)

أرى الناس لا يدرون ما قدرُ أمرهم ... بلى كل ذى لبٍّ إلى الله واسلُ (٢)

ألا كل شىء ما خلا الله باطلُ ... وكل نعيم لا محالة زائلُ (٣)

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دُوَيهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ (٤)

وكل امرئٍ يوماً سيعلم غيبه ... اذا كُشِّفت عند الإله الحصائل

﴿ الرّواية — والرُّواة ﴾

قد علمنا مما تقدم أن عامّة المرويّ من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزوٌّ الى أهل البدو الأميين ، ولذلك لم يصل الينا كتابٌ يجمع بين دفّتيه الكثيرَ منها — وما رُوِى لنا من كلام فُصحاء العرب ليس الا النزر اليسير بوجوه مختلفة و بالطبع لا يحفظ هذه الوديعة الاّ أهل الحفاظ عليها والاعتداد بها وهم الشعراء والمتأدبون ، فقد كان امرؤ القيس راوية أبى دُوَاد الإيادى ، وزُهير راوية أوْس بن حجر ، والأعشى راوية المسيَّب بن عَلَس

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رُواة الناس للاشعار وعلماؤهم بالأنساب وهم مَخْرَمَةُ بن نَوْفَل ، وأبو الجَهْم بن حُذَيفة ، وحُوَيْطِب بن عبد العزّى وعقيلُ ابن أبى طالب

(١) السؤال بمعنى الاستفهام والمحاولة استعمال الحيلة . والنحب النذر اسألوا هذا الحريص على الدنيا عما هو فيه اهو نذر نذره على نفسه فلا بد من فعله ام هو ضلال وباطل من امره (٢) الواسل الطالب والراغب الى الله — ارى الناس لا يعرفون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها فالعاقل من يتوسل الى الله بالطاعة والعمل الصالح (٣) كل شيء غير الله تعالى زائل وفائت ومضمحل ليس له دوام (٤) التصغير للتعظيم والمراد الموت . والمقصود من الانامل الاظفار لان صفرتها لا تكون الا بالموت

﴿ العصر الثاني عصر صدر الإسلام ، ويشمل بني أُمَيّة [1] ﴾

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كانت العربُ امَّا بدويّةً ليس لها من وسائل العُمران وأسباب الرَّخاء ما يحملُها على تبحُّر في علم ، أو تبصُّر في دين ، أو تفنُّن في تجارة ، أو زراعة أو صناعة أو سياسة — وعلى وفْق ذلك كانت اللغة العربية لاتعْدُو أغراضَ المعيشة البدوية إلاّ أنّ رُوحاً من الله تَنسّم بين أرجائها فأيقظها من رَقدتها ، ونبّهها لضرورة التعاونُ على الخير في مَعاشها ولغتها وجماعتها ، فظهر ذلك بيّناً في الاسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفي الأذعان فيها إلى حكومة الأشراف من قريش وتميم وغيرهما ، مما هيَّأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ويتفاهموا بلسان واحد . فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الإسلام فيهم ، وما أَلِفت نفوسهم هذا النَّمط الجديد الاّ وقد جاء النبي الكريم لامّاً لشَعْثِهم موَحّداً لكلمتهم ، مهذّباً لطباعهم مبيّناً طريق الحق ، وجادة الصواب . بشريعة عظيمة . فكان من نتيجة ذلك أن أُسّستْ لهم جامعة قومية مِلِّية ومُلكٌ كبيرٌ — وباتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره . وتفهُّمِهمْ شريعتَهُ وكلامَهُ ثمّ خُضوعهم بعدُ لزَعامةِ قومه وخُلَفائه ووُلاتهم وفتوحهم تحت ألويتهم ممالك الأكاسرة والقياصرة وغيرها

---

(١) خلفاء بني امية هم : مدة الخلافة

١ : معاوية بن ابي سفيان (٤١ — ٦٠)	٧ : سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩)
٢ : يزيد بن معاوية (٦٠ — ٦٤)	٨ : عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١)
٣ : معاوية بن يزيد (٦٤ — ٦٤)	٩ : يزيد بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥)
٤ : مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥)	١٠ : هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥)
٥ : عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦)	١١ : الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ — ١٢٦)
٦ : الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦)	١٢ : يزيد بن الوليد الاول (١٢٦ — ١٢٦)
	١٣ : مروان الجعدي (١٢٧ — ١٣٢)

ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة . جدث فى حياتهم الفكرية واللسانية مايمكن اجماله فى الأمور الآتية :

الأول — شيوع اللغة القرشية ثم توحدُ لغات العرب ، وتمثّلها جميعها فى لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها . وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم . وظهور ذلك الداعي العظيم منهم . وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم وبحكم الضرورة تكون لغتهم هى اللغة الرسمية بين القبائل

الثانى — انتشار اللغة العربية فى ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتوح والمغازى وهجرة قبائل البدو اليها ، واستيطانهم لها ، واختلاطهم بأهلها

الثالث — اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجاً دينياً . واتباعها خُطة نظامية تقتضيها حالُ الملك وسكنى الحضر

الرابع — ارتقاء المعانى والتصورات وتخير الالفاظ والاساليب

الخامس — ظهور اللحن في الكلام بين المُستعربين : من الموالى . وأبناء العرب من الفتيات . وبعض العرب المكثرين من معاشرة الأعاجم

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوى ناسب وصفهما . بقليل من كثير مما ينبغى أن يقال فيهما

﴿ القرآن الكريم وأثره فى اللغة ﴾

القرآن (كتابٌ أُحكِمت آياتُه ثم فُصِّلَتْ من لَدُنْ حكيم خبير) فيه آيات بينات . ودلائل واضحات . وأخبار صادقة . ومواعظ رائقة . وشرائع راقية . وآداب عالية . بعبارات تأخذ بالألباب . وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً

مابلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتى بمثلها . أو يفكر فى محاكاتها فهو آية الله الدائمة . وحجته الخالدة . (لا يأتيه الباطلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ من حَكيم حَميدٍ) أنزل الله على رسوله ليبلّغه قومه وهم فحول البلاغة . وأمراء الكلام . وأباة الضيم . وأرباب الانفة والحَمِيّة فبهرهم بيانُه . وأذهلهم افتنانُه فاهتدى به من صح نظرُه واستحصف[1] عقله . ولطف ذَوقُه . وصدّ عنه أهلُ العِناد والمكابرة واللّجاج فتحدّاهم أن يأتوا بمثله فنكصوا ثم بعشر سُوَر مثله فعجزوا . ثم بسورة من مثله فانقطعوا كَحُقّ عليهم اعجازه قال تعالى (قلْ لَئِنِ

اعلم اولا ان عجاز القرآن من جهة اغراضه ومقاصده — فتجده في كل غرض وموضوع غاية في الابانة والجلاء ونهاية في الاصابة واطراد الاحكام : فمن تشريع خالد ؛ وتهذيب بارع وتعليم جامع ؛ وأدب بالغ ؛ وارشاد شامل وقصص واعظ ؛ ومثل سائر وحكمة بالغة ؛ ووعد ووعيد واخبار بمغيب ؛ الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد

وقد كان فحول البلاغة لا يبرز احدهم الا في فن واحد من أنواع القول فمن يبرع في الخطابة لا ينبغ في الشعر ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ؛ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب ؛ ولامر ما ضربوا المثل بامرىء القيس اذا ركب وزهير اذا رغب ؛ والاعشى اذا طرب ؛ والنابغة اذا رهب

ثانياً — من جهة الفاظه واساليبه — فلا تجد منه الا عذوبة في اللفظ ؛ودماثة في الاساليب تجاذباً في التراكيب ؛ ليس فيها وحشى متنافر ؛ ولا سوقي مبتذل ؛ ولا تعبير عويص ؛ ولا فواصل متعملة ؛ على شيوع ذلك في كلام المفلقين وأهل الحيطة المتروين ؛ حتى انك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منهم تفرعه جمالا ؛ وتشمله نوراً ؛ وتكسوه روعة وجلالة الى أجمال في خطاب الخاصة وتفصيل في تفهيم العامة ؛ وتكنية للعربي ؛ وتصريح للاعجمي — وغير هذا مما يقصر عن احصائه الالمام ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام

ثالثا من جهة معانيه — فانك تجدها من غير معين العرب الذي منه يستقون : لاطراد صدقها وقرب تناولها واطمئنان النفوس اليها وابتكارها البديع على غير مثال معهود : من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على تمازج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابر وهو فى جملته نزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذي لا تبديل لكلماته ولا ناسخ لاحكامه ولا ناقض انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

وللقرآن فضل على اللغة فقد أثر فيها مالم يؤثره أى كتاب سماوياً كان أو غير سماوى فى اللغة التى كان بها . اذ ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلاً . وصانها من كل ما يشوه خلقها ويذوى غضارتها فأصبحت وهى اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التى انطمست آثارها . وصارت فى عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث فيها علوماً جمة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب . ولم يخطها قلم منها . اللغة . والنحو . والصرف . والاشتقاق . والمعانى . والبديع . والبيان . والأدب والرسم . والقراءات . والتفسير . والأصول . والتوحيد . والفقه

﴿ جمع القرآن وكتابته ﴾

قد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجماً على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال فى بضع وعشرين سنة ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتاب وحيه بكتابة ما ينزل وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن كله مكتوب ، وفى صدور الصحابة محفوظ . وفى مدة الامام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء فى الأمصار فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوا تلك الصحف فى مصحف واحد مرتب السور واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم

﴿ الحديث النبوى ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم ، وكانت حياته كلها هداية ونوراً وأفعاله وأقواله جميعها مدداً يستمد منه الخلق سدادهم

وإرشادهم فى معاشهم ومعادهم ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم توفق الى مثله أمة فى حفظ آثار رسولها فجمعوا من كلامه ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ووعوا منها فى صدورهم مالا يدخل تحت حصر وكلامه صلى الله عليه وسلم منزه عن اللغو والباطل وانما كان فى توضيح قرآن أو تقرير حكم أو ارشاد الى خير أو تنفير من شر أو فى حكمة ينتفع الناس بها فى دينهم ودنياهم بعبارة هى فى الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ولذلك كان تأثيرها فى اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى

﴿ النثر ـ لغة التّخاطب ـ الخَطَابة ـ الكتابة ﴾

كانت لغة التّخاطب فى مبدإ الاسلام بين العرب الخُلّص والموالى النابتين فيهم هى العربية الفصيحة المُعْربة وكانت لغة الموالى الطارئين عليهم تقرُب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حَسَب طول لُبْثِهم فيهم أو قِصَر مُقامهم عندهم — ولما فتح المسلمون الأمصار وكثر عندهم سَبيُ الأعاجم وأسرى الحروب ودخل فى الاسلام منهم ألوف الألوف وأصبحوا لهم إخواناً وشركاء فى الدين وتمّ بينهم التّزاوج والتّناسُل، نشأ للعرب ذُرّية اختلطت عليهم ملكة العربية ـ وكذلك كان الشأن فى المتعرّبين من الأعاجم . أما العرب أنفسهُم بعد الفتوح فكانت لغتهم فى جزيرتهم مثلَ ما كانت عليه فى جاهليتهم . أما سكّان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامة منهم المخالطون للأعاجم لم تخلُ لغتهم من لحن أو هُجْنة . والخاصة منهم تشدّدوا فى المحافظة على سلائقهم وتحامَوا التزوج بالأعجميات وبالغوا فى تربية أبنائهم فكانوا يرسلونهم الى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يُحْضرون لهم المؤدّبين والمعلمين ـ كذلك كان يفعل خلفاء بنى أمية وأمراؤهم اقتداء بكبيرهم

مُعاوية بن أبي سفيان في تربية ابنه يزيد . ومَن لحن منهم عدُّوا ذلك عليه عاراً لا يُمحى وسُبّةً لا تزول . ومن هؤلاء اللحّانين عُبيد الله بن زياد والوليدُ بن عبد الملك وخالد القسرى مع أنّ بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم

ومن هنا يُعلم السّر في تسرُّع القوم الى وضع النحو وتدوينه والشكل والاعجام

﴿ الخطابة في هذا العصر والخُطباء ﴾

لما كان مبدأ كلّ انقلاب عظيم في أيّ أُمّة : إمّا دعوةً دينية وإمّا دعوة سياسية ، وكانت تلك الدّعوة تستدعى ألسنة قوّالةً من أهلها لتأييدها ونشرها وألسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضها والصدّ عنها . وذلك لا يكون الا بمخاطبة الجماعات — كان ظهور الاسلام من أهم الحوادث التي أنشطت الألسُن من عُقُلها وأثارت الخطابة من مكمَنها فوق ما كانت عليه في جاهليّتها فكان العملُ الأكبرُ لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بادئ أمره غيْرَ تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة . ولِأمرٍ ما جعلها الشارع شعارَ كل الأمور ذوات البال . ولذلك كان دُعاةُ النبي صلى الله عليه وسلم ورسلُه الى الملوك وامراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعُمّالُهم كلُّهم خطباء مصاقع ولُسْنا مَقاول وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذى لا ينهَض باعباء الخَطابة ولا سيما الدينيّة لشرحها الحقائق وقرْعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب بعبارات تفهمها الخاصة والعامة وكان لهم من القرا ن وأدلته وحججه والاقتباس منه مَدَد أيُّما مدد — ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان . وافترقوا الى عراقيين بزعامة على — وشاميين بزعامة معاوية . ولكل منهم دعوة يؤيّدها ورغبةٌ يُناضل عنها في تلك الحرب الشّعواء التي لم يُنْكب الاسلام

بمثلها . ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ولا يُشَق غُبارهم - وعلى رأس العراقيين شيخُ الخطباء علىٌّ بن أبى طالب - وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبى سفيان - ولم يعدم كل طائفة منها خطباء يُؤيدون دعوتها بما أُتوا من البلاغة فى الخطابة والفصاحة والبيان

والخطابة وصلت فى هذا العصر الى أرقى ما وصلت اليه فى اللسان العربى حتى ممن يُعَدُّ عليهم اللحن ولم تَسْعَد العربيةُ بكثرة خطباء ووفرة خُطَب مثل ماسعدت به فى هـذا الصدر الأول . اذ كان القوم ورؤساؤهم عرباً خُلَّصاً يسمعون القول فيتّبعون أحسنه

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتِجار العِمامة والاشتمال بالرداء واختصار المِخْصَرة والخطبةِ من قيام

وليس فى عصور أدب اللغة عصرٌ أحفلُ بالخطباء من هذا العصر: اذ كانت الخَطابة فيه سَلِسة القياد على خلفائه وزُعمائه: لفطرتهم العربية ومحلّهم من الفصاحة والبيان وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم

﴿ أبو بكر الصّديق رضى الله عنه ﴾

هو أبو بكر عبد الله عَتيق بن أبى قُحافة عثمان صاحبُ رسول الله وأوّل الخُلفاء الراشدين ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مُرّةَ بن كعب. وُلد بعد مولد رسول الله لسنتين وبِضعة اشهر ونشأ من أكرم قريش خُلقاً وأرجحهم حلماً وأشدّهم عِفّة وكان أعلمهم بالانساب وأيام العرب ومفاخرها — صحبَ رسول الله قبل النبوة وكان أوّلَ من آمن به من الرجال وصدّقه فى كل ما جاء به: ولذلك سُمّى الصدّيق وهاجر معه الى المدينة وشهِد معه أكثر الغزَوات وما زال يُنفق ماله

وقوّته في مُعاضدته حتى انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى واختلفت العرب وارتدت عن الاسلام فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم ـ وما مات الاّ وجيوشُه تهزم جيوش الفُرس والروم وتستولى على مدائنهم وحصونهم وكانت وفاته سنة ١٣ هـ ومدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً مُفوّهاً قويّ الحجة شديد التأثير يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة (وذلك انه لما مات رسول الله اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفةً له عليهم : فأبت الأنصارُ إلاّ أن يكون الخليفة منهم وأبى المهاجرون من قريش إلاّ أن يكون منهم واشتدّ النزاع حتى كادت تقع الفتنة فخطبهم خطبة لم يلبث الجميع بعدها أن بايعوه خليفة) وهى

حمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناسُ نحن المهاجرون ، وأوّلُ الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنُهم وجوهاً ، وأكثرُ الناس ولادةً في العرب وأمسُّهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلمنا قبلكم وقُدّمنا في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى (وَالسَّابِقونَ الأوّلونَ مِنَ المُهاجِرين والأنصارِ والّذينَ اتّبَعُوهُمْ بإِحْسَانٍ) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : اخوانُنا في الدين . وشركاؤنا في الفيء وأنصارُنا على العدوّ آويتم وواسيتم فجزاكم الله خيراً فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب الاّ لهذا الحيّ من قريش فلا تَنفَسُوا على اخوانكم المهاجرين مامنحهم الله من فضله

وخطب أيضاً حين بايع الناس البيعة العامة

حمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنى قد وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى وان رأيتمونى على باطل فسدّدونى

أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم ، فاذا عصيتُه فلا طاعةَ لي عليكم ألاَ إن أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القويّ حتى آخذ الحق منه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

وخطَبَ أيضاً الناسَ فقال : (بعدَ أن حمد اللهَ وأثنى عليهِ وصلّى عَلَى نبيّه صلى الله عليهِ وسلم)

أُوصيكم بتقوَى اللهِ والاعتصامِ بأمرِ الله الذي شرَعَ لكم وهداكم بهِ فانّ جوامعَ هَدْيِ الإسلام بعْدَ كلمةِ الإخلاص السَّمْعُ والطاعة لِمَنْ ولاّهُ اللهُ أمرَكم ، فانهُ مَن يُطع اللهَ وأُولي الأمرِ بالمعروفِ والنّهي عن المُنكرِ فقد أفلحَ ، وأدّى الذي عليهِ من الحقّ . وإيّاكم واتّباعَ الهوى ، فقد أفلحَ من حُفِظَ من الهوَى والطَمعِ والغَضَب. وإيّاكم والفخرَ ! وما فَخْرُ من خُلقَ من تُراب ثم الى التراب يعودُ ، ثم يأكلهُ الدُّودُ ، ثم هو اليومَ حيٌّ وغداً ميّتٌ ؟ فاعملوا يوماً بيوم ، وساعةً بساعةٍ ، وتوَقّوْا دُعاءَ المظلومِ ، وعُدُّوا أنفسكم في الموتى واصبروا ، فانّ العمل كلّه بالصبر . واحذروا ، والحذرُ ينفعُ . واعملوا ، والعملُ يُقْبلَ ، واحذروا ما حذّركُم اللهُ مِن عذابه ، وسارعوا فيما وعدَكم اللهُ من رحمته وافهمُوا وتَفهّمُوا ، واتقوا ، وتَوقّوا فإنّ اللهَ قد بَيّنَ لكم ما أهلَكَ بهِ مَن كانَ قبلكم ، وما نجّى بهِ مَن نجّى قبلكم ، قد بَيّنَ لكم في كتابهِ حَلالَه وحرامهُ ، وما يحِبُّ من الأعمالِ ، وما يكرَه ، فإني لا آلوكم ونَفسي . واللهُ المستعانُ ولا حولَ ولا قُوّةَ الاّ بالله . واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربّكم أطعتم وحظّكم حفِظتُم واغتبطتم ، وما تطوّعتم بهِ لدينكم فاجعلوهُ نوافلَ بين أيديكم تستوفُوا سَلَفَكم وتُعطَوْا جِرايتَكم حين فقرِكم وحاجتكم اليها . ثم تفكروا عبادَ

الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مَضَوْا ، قد ورَدوا على ما قدّموا فأقاموُا عليهِ وحلوا فى الشقاء أو السعادة فيما بعد الموت . ان الله ليس له شريك وليس بينه و بين أحد من خلقه نسب يُعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءا الا بطاعته واتباع أمره فانه لا خير فى خير بعده النار ولا شر فى شر بعده الجنة

﴿ عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمرُ بن الخطاب القرشي ثاني خليفة لرسول الله وأوّل من تسمّى من الخلفاء بأمير المؤمنين وأوّل من أرّخ بالتاريخ الهجرى ومصّر الامصار ودوّن الدواوين

وُلد رضى الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثَ عشرةَ سنةً وحضر مع رسول الله الغزوات كلها ، ثم لما قُبض أعان أبا بكر على تولية الخلافة ، ولما أحسّ أبو بكر بالموت ، عَهِد بها اليه ، فقام باعبائها خير قيام وأتمّ جميع ما شرع فيه أبو بكر: من فتح ممالكِ كسرى وقَيصر

وقتله أبو لؤلؤةَ عبدُ المغيرة بن شُعبةَ : لأنه لم ينصفه على زعمه في تخفيض ما يدفعه لسيده من أجرة عمله . وكان قتله سنة ٢٣ هـ ومُدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام . وكان رحمه الله من أبين الناس منطقاً ، وأبلغهم عبارة وأكثرهم صواباً وحكمة وأرواهم للشعر ، وأنقدهم له

ومن خطبه خطبته إذ ولى الخلافة

صعِد المنبر فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس . انى داع فأمِّنوا اللّهم انّي غليظ فليّنيِّ لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدَّعارة والنّفاق من غير ظلم مِنّي ولا

اعتداء عليهم ، اللهمّ انى شحيحٌ فسخّني فى نوائب المعروف قصداً من غير سَرَف ولا تبذير ولا رياء ولا سُمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدارَ الآخرةَ اللّهم ارزقني خفضَ الجناح ولينَ الجانب للمؤمنين اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت فى كل حين ، اللّهم انى ضعيف عن العمل بطاعتك فارزُقني النشاطَ فيها ، والقوة عليها بالنية الحسنةِ التي لا تكون الاّ بعزتك وتوفيقك ، اللّهم ثبّتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك وارزقنى الخشوعَ فيما يُرْضيك عنّى ، والمحاسبةَ لنفسي ، واصلاح الساعات ، والحذرَ من الشبُهات اللهم ارزقنى التفكر والتّدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهمَ له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعملَ بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير

ومن خطبه فى ذم الدنيا :

انما الدنيا أمل مُخْتَرَم وأجل مُنْتَقِض و بلاغ الى دارٍ غَيرها ، وسَيرٌ الى الموت لَيس فيه تعريجٌ فرحم الله امرأ فكّر فى أمره ، ونصح لنفسه وراقب ربّه واستقال ذَنبه ، بئس الجارُ الغنيّ يأخذُك بما لا يعطيك من نفسه فان أبيت لم يعذرك ، إياكم والبِطنةَ فانها مَكسَلَة عن الصلاة ومفسَدَة للجسم ، ومؤدّيةٌ الى السقم ، وعليكم بالقصد في قُوتِكم ، فهو أبعد من السّرَف ، وأصح للبدن وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يُؤثرَ شهوته على دينه

﴿ عُثمان بن عَفّان رضى الله عنهُ ﴾

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفّان القرشىّ الاموىّ ، ثالث الخلفاء الراشدين وموجد نَسَخ القرآن المبين. وُلد في السنة السادسة من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وآمن فى السابقين الأولين ، و بذل ماله الكثير فى تأييد الاسلام ومعونة المجاهدين

وشهد مغازيَ رسول الله كلها إلاّ بدراً — وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة الى ستة هو منهم — تنتخب الامةُ أحدهم خليفة ، فانتخبوا عثمان فأكمل مغازيَ عمر ثم ثار عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرباءه بولاية الأقاليم ، فحاصروه فى داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة ٣٣ هـ ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً

وكان رحمه الله من بلغاء الخلفاء وأوجزهم لفظاً وأجزلهم معنى ، وأسهلهم عبارة ومن خطبه خطبته بعدَ أن بويع وهى بعد الحمد والثناء

أما بعد فانى قد حُمّلت وقد قَبلت ، ألا وإنى مُتَّبع ولستُ بمُبتدع . ألا وان لكم علىّ بعد كتاب الله عز وجل وسُنةِ نبيّه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتباعَ من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسنَنْتُم وسَنّ سُنّة أهل الخير فيما لم تسنُّوا عن ملأ . والكفَّ إلاّ فيما استوجبتم — ألا وان الدنيا خضرة قد شُهيّت الى الناس ومال اليها كثير منهم فلا تركنوا الى الدنيا ولا تثقوا بها فانها ليست بثقة واعلموا أنها غير تاركة إلاّ من تركها

ومن خُطبه أيضاً وهى آخر خُطبةٍ خطبها

أما بعد — فانّ الله عزّ وجل إنما أعطاكم الدُّنيا لتطلُبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لِتركنُوا اليها — الدُّنيا تفنَى والآخرة تبقى فلا تُبْطرنّكم الفانية ولا تَشغَلنّكم عن الباقية فآثِروا ما يبقى على ما يَفنَى فان الدنيا مُنقطِعة وانّ المصير الى الله ، اتّقوا الله عز وجل فان تَقواه جُنّة من بأسهِ ووسيلةٌ عنده واحذَروا من الله الغِيَرَ ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً (واذكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيكم اذ كنتُمْ أعدَاء فألّفَ بَيْنَ قلوبِكُمْ فأصبَحتُمْ بِنِعمَتِهِ إخْوَاناً)

﴿ علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ﴾

هو أمير المؤمنين أبو الحسن عليّ بن أبي طالب، وابن عم رسول الله وزوج ابنته ورابع الخلفاء الرّاشدين — ولد رحمه الله بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة ، وهو أوّل من آمن من الصّبيان . وكان شجاعاً لا يشقّ له غُبار . شهد الغزوات كلها مع النبي إلاّ غزوة تبوك ، وأبلى في نُصرة رسول الله ما لم يُبْله أحد . ولما قُتل عثمان بايعه الناس بالحجاز وامتنع من بيعته معاويةُ وأهلُ الشام شِيعةُ بني أُمية غضباً منهم لمقتل عثمان وقِلّة عناية عليّ بالبحث عن معرفة القَتَلَة على حَسَب اعتقادهم . فحدث من جرّاء ذلك الفتنةُ العظمى بين المسلمين وافتراقُهم الى طائفتين فتحاربوا مدّة من غير أن يَستتبّ الأمر لِعليّ أو معاوية حتى قَتل أحدُ الخوارج عليًّا غِيلة بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ

وكانت مدّة خلافته خمس سنين إلاّ ثلاثة أشهر

وكان رحمه الله أفصحَ الناس بعد رسول الله ، وأكثرهم علما وزهداً وشدّة في الحق ، وهو امام الخطباء من العرب على الاطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخطبه كثيرة : منها خطبته كرم الله وجهه بعد التّحكيم وهي

الحمد لله وأن أتى الدهرُ بالخَطْب الفادح، والحَدَث الجلَل وأشهد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لاشريك له ليس معه إلَـه غيرُه ، وان محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله « أما بعد » فان معصية النّاصح الشّفيق العالم المجرِّب تُورث الحيرة وتُعقِب النّدامة ، وقد كنت أمرتكم في هـذه الحكومة [1] أمري ، ونخلت لكم

(١) أي حكومة الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري

مخزونَ رأيي، لو كان يُطاع لقصير أمر (١) فأبيتم عليَّ إباء المخالفين الجُفاة والمُنابذين العُصاة حتى ارتاب الناصحُ بنصحه وضنَّ الزند بقدحه، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتهم أمري بمُنعَرَج اللوى فلم يستبينوا النُّصح الا ضحى الغد

ومن خطبه له حين خاطبه العباس وأبو سفيان في أن يبايعا له بالخلافة

أيها الناس شقُّوا أمواج الفتن بسُفن النجاة، وعرِّجوا عن طريق المُنافرة وضعوا عن تيجان المفاخره، أفلح من نهض بجَناح أو استسلم فأراح هذا ماءٌ آجن ولقمة يَغَصُّ بها آكلها، ومجتني الثمرةِ لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه فان أقل يقولوا حرَص على الملك، وان أسكت يقولوا جزِع من الموت، هيهات بعد اللَّتيا والتي والله لابنُ أبي طالب آنسُ بالموت من الطفل بثَدي أمه، بل اندمَجْتُ على مكنون علم لو بحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرْشيَة في الطَّوِيِّ البعيدة

﴿ سَحْبانُ وائل ﴾

هو سَحْبانُ بن زُفَر بن إياد الوائلي، الخطيب المصقَع، المضروبُ به المثلُ في البلاغة والبيان، نشأ في الجاهلة ولما ظهر الاسلام أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاويةَ فكان يُعِدُّه للسامات، ويتوكأ عليه عند المفاخرة

قدم على معاوية وفدٌ فطلب سَحْبان ليتكلم فقال: أحضروا لي عصاً قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ — قال ما كان يصنع بها موسى وهو

(١) هو مولى جزيمة الابرش وكان حاذقاً وكان قد أشار على سيده جزيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها اجابة لدعوتها الى زواجه فقتلته فقال قصير (لا يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلا

يخاطب ربّه ـ فضحك معاوية وأمر له باحضارها ثم خطب من صلاة الظهر الى أن حانت صلاةُ العصر، ما تنحنحَ ولا سَعَلَ ولا توقّف ولا تلَـكّأَ ولا ابتدأ فى معنى وخرج منه وقد بقى منـه شىء حتى دَهِشَ منه الحاضرون فقال معاوية : أنت أخطبُ العرب: قال سَحْبان : والعجم والجنّ والانس

وكان سحبانُ اذا خطب يَسِيل عرقًا ـ وماتَ فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ

ومما يؤثر من خطبه قوله :

إن الدنيا دارُ بَلاَغ والآخرةَ دارُ قرار، أيها الناس فخذوا من دار مَمَرِّكم لدار مقرِّكم . ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرِجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرُج منها أبدانكم ففيها حِييتم ولغيرها خلِقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك ؟ وقال الملائكة ما قدَّم ؟ قدِّموا بعضاً يكون لكم ولا تُخلِفوا كُلاًّ يكون عليكم

﴿ زياد بن أبيه ﴾

هو أحد دهاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها ـ أمّه سُمَيّةُ أَمة الحارث بن كَلَدَةَ الثقفى طبيب العرب وقد قرنها بعبد له رومى يدعى عَبيداً فولدت سُمَيّة زياداً على فراش عبيد هذا (فى السنة الأولى من الهجرة) فنشأ غلاماً فصيحا شجاعاً فما افتتحت العرب الممالك والأمصار حتى عرف منه ذلك فاستكتبه أبو موسى الأشعرى والى البصرة من قِبَل عُمر

ولما ولِىَ أميرُ المؤمنين علىّ الخلافة اضطربت عليه فارس فسار اليها زياد بجمع كثير وتمكّن بخداعه من إيقاع الشّقاق بين رؤساء المشاغبين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت ثائرتهم ، وبقى يتولى لعلىّ الأعمال حتى قتل

عليّ فخافه معاوية فأرسل اليه المغيرة بن شعبة يستقدمه فقدم عليه فادّعاه أخاً له واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان وصار يسمّى زياد بن أبي سفيان ـ بدل زياد بن عبيد ـ أو (ابن سميّة ـ أو ابن أبيه)

وولاّه معاوية العراقين وهو أوّل من جُمع له بينهما فسار فى الناس سيرة لمّ بها الشّعث وأقام المعوجّ وكبح الفتنة واشتطّ فى العقوبة وأخذ بالظنة وعاقب على الشّبهة حتى شمل خوفهُ جميع الناس فأمن بعضهم بعضاً وكان الشئ يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتى صاحبه فيأخذه بل كان لا يغلق أحد بابه وكان زياد يقول : (لو ضاع حبل بينى وبين خراسان لعرفتُ آخذه) وكان مكتوبا فى مجلسه عنوانُ سياسته وهى (الشدّه فى غير عنف واللّين فى غير ضعف، المحسن يجازى باحسانه والمسئ يعاقب بإساءته) وتوفّى بالكوفة فى رمضان سنة ٥٣ هـ

ومن خطبه البليغة خطبته حين قدم الى البصرة وهى :

أمّا بعدُ فان الجهالة الجهلاء والضّلالة العمياء والغيّ الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم : من الأمور التى ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته فى الزمن السّرمدىّ الذي لا يزول إنهُ ليس منكم الاّ مَنْ طرفت عينه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه : من ترككم الضّعيفَ يقهر والضعيفة المسلوبة فى النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق ، ألم يكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن دلج الليل وغارة

النهار ! قرّبتم القرابة ! وباعدتم الدّين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغضُون على المنكر ، كل امرىء منكم يردّ عن سفيهه ، صنْعَ من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ، فلم يَزَل بهم ما ترَوْن من قيامكم دُونَهم حتى انتهكوا حُرَم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كُنوساً فى مكانِس الرِّيَب ، حرام عليّ الطعام والشراب حتى أضعَ هذه المواخير بالارض هدْماً وإحراقاً انى رأيت آخِرَ هذا الامر لا يصلُح إلاَّ بما صَلح به أوّله : لِينٌ فى غير ضَعف ، وشدّة فى غير عُنف ، وانى لأُقسم بالله لآخذَنّ الوليَّ بالمولى ، والمقيمَ بالظاعن ، والمطيع بالعاصى ، حتي يلقي الرجل أخاه فيقولَ « انجُ سَعْدُ فقد هلَكَ سَعيد » أو تستقيم لى قنَاتُكم ، إنَّ كذْبة الأمير بَلْقاء مشهورة ، فاذا تعلقتم عليَّ بكذبة فقد حلَّتْ لكم معصيتي ، وقد كان بيني وبين قوم إحَنٌ فجعلتُ ذلك دبْر أذنى وتحت قدَمى ، انى لو علمت أن أحدكم قد قتله السلُّ من بغضى لم أكشف له قناعا ، ولم أهتك له ستراً ، حتي يُبْدِي لى صَفْحَته ، فاذا فعل ذلك لم اناظره ، فاستأنفوا أُموركم وأعينوا على أنفسكم فربَّ مبتئس بقدومنا سيُسَر ، ومسرور بقدومنا سيَبتئِسُ ، أيها الناس انا قد أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادَة نسُوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا ، فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أُحببنا ولكم علينا العدلُ فيما وَلينا فاستوجبوا عدلنا وفَيئنا بمناصحتكم لنا

﴿ الحَجَّاج ﴾

هو أبو محمد الحجّاج بن يوسف الثّقَفى أحد جبابرة العرب وساستها ومُوَطّدُ مُلك بني أُمية ، وأحدُ البلغاء والخطباء المصاقع ولد سنة ٤١ هـ

وخدم الحجَّاج بولايته عبدَ الملك بن مروان ، وابنيه الوليد وسليمان حتى كان

ملكه ما بين الشام والصين ومات سنة ٩٥ هـ في عهد سليمان في مدينة واسط بالعراق

وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوّة الحُجة ، قال الأصمعي أربعة لم يلحنوا في جدّ ولا هزل، الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القِرِّية : والحجاج أفصحهم — ومن مآثره اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان وارسالها الى بقية الأمصار — ومن خطبه المشهورة خطبته لمّا قدم أميراً على العراق فانهُ دخل المسجد مُعْتَمَّاً بعمامة قد غطّى بها أكثرَ وجهه متقلِّداً سيفاً مُتنكّباً قوساً يؤمُّ المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعِد المِنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قَبّح الله بني أمية حيث تَستعمل مثل هذا على العراق فلما رأى عُيونَ الناسِ اليه ، حَسَرَ اللِّثام عن فِيه ونهض ثم قال :

أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثّنايا ... متى أضع العِمامة تَعرفوني

ثم قال : يأهل الكوفة اني لأرى رؤوساً قد أينعَتْ وحان قِطافها واني لَصاحبُها وكأني أنظر الى الدماء بين العمائم واللِّحَى — ثم قال :

هٰذا أوانُ الشدّ فاشتدّي زِيَمْ ... قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ

ليس براعي إبل ولا غَنَمْ ... ولا بجزّار على ظَهْرِ وَضَمْ

قد لفّها الليـلُ بعَصَلْبِيّ ... أرْوَعَ خرّاج من الدَّوّيّ

مهاجرٍ ليس بأعرابيّ

قد شمّرت عن ساقها فشُدُّوا ... وجَدَّت الحربُ بكم فجِدُّوا

والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ ... مِثْلُ ذراعِ البكر أو أَشَدُّ

لا بُدّ مما ليس منه بُدُّ

إني والله يأهل العراق ما يُقعقع لي بالشنّان ولا يُغمز جانبي كتغماز التين ولقد فُررت عن ذكاء وفُتّيشت عن تجربة — وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مكسراً فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة (١) ولأضربنكم ضرب غرائب (٢) الإبل فانكم لكأهل قريةٍ كانت آمنة مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . واني والله ما أقول الا وفيت ولا أهمّ الا أمضيت ولا أخلق (٣) الا فريت (٤)

وان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوّكم مع المهلّب (٥) بن أبي صفرة — واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلّف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الاّ ضربت عنقه

﴿ طارق بن زياد ﴾

هو أحد قوّاد جيوش الوليد بن عبد الملك . كان خطيباً مصقعاً و بطلا مقداماً ، بعيد الهمة يعشق المجد وتصبو نفسه إلى الفتوحات . خرج من المغرب سنة ٩٢ ﻫ باثني عشر ألف جندي من مواطنيه يقلّهم أسطول قويّ قد جُهّز لذلك وعبر البحر الى اسبانيا لفتحها ، فلما علم رودريك ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم هالت طارقا كثرة عَدده وكمال عُدده . فبادر وأحرق أسطوله

نوع من الشجر وذلك لان الاشجار تعصب أغصانها ثم تختبط بالعصي لسقوط الورق وهشيم اليدان (٢) وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب (٣) أقدر (٤) قطعت (٥) هو ابو سعيد المهلب ابن أبي صفرة الازدي البصري قائد قواد الامويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الجديد

ليقطع أمل أصحابه في الرجوع وقال لهم « أيها الناس الخ » فاندفعوا على الاسبان اندفاع اليائس وهزموهم شرّ هزيمة . ثم والى طارق فتوحاته في إسبانيا حتى قبض على رودريك آخر ملوك القيزيغوط بها وقتله سنة ٩٤ هـ وبعد ذلك بسنة استقدمه الوليد الى دمشق الى أن مات سنة ١٠١ وها هي خطبته

أيُّها الناس أين المفرّ ، البحرُ من ورائكم والعدوّ أمامكم ، وليس لكم والله إلاّ الصّدق والصّبر . واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدُبة اللّئام ،وقد استقبلكم عدوّكم بجيشه ،وأسلحتُه وأقواتُه موفورة ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سُيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوّكم وإن امتدّت بكم الايام عَلَى افتقاركم ، ولم تُنجِزوا لكم أمراً ذَهَبَ رِيحُكم ، وتعوّضتْ القلوب من رُعبها عنكم الجُرْأةَ عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خِذْلان هذه العاقبة مِن أمركم بمُناجزةَ هذه الطّاغية ، فقد ألقتْ بِهِ اليكم مدينته الحَصينة . وان انتهازَ الفُرصة فيه لَمُمكنٌ ان سمحتم لانفسكم بالموت واني لم أحذّركم أمراً أنا عنه بنجْوة ولا حَمَلتُكم على خُطّةٍ أرخَصُ متاعٍ فيها النفوس — أبدأ بنفسي . واعلموا أنكم ان صَبَرْتُم عَلَى الأشقّ قليلاً استمتعتم بالأرْفَه الألذّ طويلاً . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظّكم فيه بأوفرَ من حظّي — وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخَيْرات العميمة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عِرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ثقةً منه بارتياحكم للطّعان واستماحكم بمُجالدة الابطال والفُرسان ليكونَ مغنمها خالصة لكم من دونهِ ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى وليّ إنجادكم عَلَى ما يكون لكم ذِكراً في الدارين واعلموا أني أوّل مجيب الى ما دعوتكم اليه وأني عند مُلتقى الجمعين حاملٌ بنفسي

علَى طاغية القوم « لَذَرِيقَ » فقاتِله ان شاء الله تعالى . فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كُفيتم أمرَه ولم يُعْوِزكُمْ بطلٌ عاقلٌ تسندون أموركم اليه ، وان هلكت قبلَ وصولى اليه فاخلفُونى في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجَزيرة بقتله

﴿ الكتابة خطية وانشائية ﴾

الكتابة الخطيّة — كان الخطُّ فى مبدإ ظهور الإسلام هو الخط الأنبارى الحِيرى ، المسمى بعد انتقاله الى الحجاز بالحجازى ، وهو أصل النسخ . وكان يكتب به النزرُ اليسير من العرب عامة و بضعة عشر من قريش خاصّة . فلما انتصر النبي صلى الله عليه وسلم على قريش فى يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من اُمّيّيهم — وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة . فانتشرت الكتابة بين المسلمين وحضّ النبي على تعلّمها — ومن أشهر كُتّاب الصحابة زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام . ولما فتح المسلمون الممالك ونزلت جَمْهَرة الكُتّاب منهم الكوفة عَنَوا بتجويد الخط العربى وهَندسةِ أشكاله حتى صار خطُّ أهل الكوفة ممتازاً بشكله عن الخط الحجازى واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفى)

وكان الصحابةَ وتابعوهم من بَنى أُميّة يكتبون بلا اعجام ولا شكل إلا قليلاً اعتماداً منهم على معرفة المكتوب اليهم باللغة واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم وظهر اللحن والتحريف في الألسنة أشفقَ المسلمون على تحريف كَلِم الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدُّؤَلىّ علاماتٍ فى المصاحف « بصَبْغٍ مُخالف » فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف والكسرة

نقطة أسفله والضمة نقطة من الجهة اليسرى وجعل التنوين نقطتين — وكان ذلك فى خلافة معاوية

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمَر بأمر الحجاج نقْط الأعجام بنفس المداد الذى يكتب به الكلام وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان ثم شاع فى الناس بعد

﴿ الكتابة الانشائية قسمان كتابة رسائل ودواوين وكتابة تدوين وتصنيف ﴾

١ — (كتابة الرسائل والدواوين)

كان زُعماء العرب وفصحاؤهم كلهم كُتَّاباً يُنشِئون بملَكتهم ولو لم يخطّوا بيمينهم فكان النبى وأصحابه وخلفاؤه يُملون كتبَهم على كُتَّابهم بعبارتهم وبعضهم يكتبها بيده — ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت فى حاجة إلى انشاء الدواوين لضبط ذلك . فكان عمر أولَ من دوَّن الدواوين — وكان كُتّاب الرسائل للخلفاء وعمّالهم إما عرباً أو مواليَ يُجِيدون العربية — أما كُتّاب الخراج ونحوه فكانوا فى كل إقليم من أهله يكتبون بلغتهم — ولما نبغ من العرب من يُحسن عملهم حُوِّلت هذه الدواوين الى العربية زمنَ عبد الملك بن مروان والوليد ابنه وجرى خلفاء بنى أمية فى كتابة الرسائل على ما كان عليه الأمر زمن الخلفاء الراشدين

ثمّ لما اتسعت رُقعة المملكة وقرّت أمور الدولة ازدادت الأعمال وشُغِل الخلفاء عن أن يَلُوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم، عهِدُوا بها إلى كبار كُتَّابهم — وكان كثير منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية وهى لغات أمم ذات حضارة وعلوم ونظام ورسوم — ومن هؤلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك أحد

الواضعين لنظام الرسائل ، وأستاذ عبد الحميد الكاتب الذى آلت اليه زَعامة الكتابة آخر الدولة الأموية

﴿ مميزات الكتابة الانشائية ﴾

وتمتاز الكتابة فى هذا العصر بالميزات الآتية :

(١) الاقتصارُ فى أغراضها على القدر الضرورى . والاقتصار فى معناها على الالمام بالحقائق وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل . واستعمال الألفاظ الفحلة والعبارات الجزلة . والاساليب البليغة اذ كان الكاتب والمكتوب اليه عرباً فصحاء

(٢) مراعاة الأيجاز غالباً الا حيث يستدعى الحالُ الإسهاب — و بقى الامر على ذلك حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الأموية ، فأسهب في الرسائل وأطال التحميدات فى أوّلها ، وسلك طريقه مَنْ أتى بعده

﴿ الكُتّاب ﴾

كُتّاب هذا العصر كثيرون ، فقد كانت الخلفاء والامراء والقوّاد كلهم كتاباً بلغاء . ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم : واشتهر من بين هؤلاء

﴿ عبد الحميد بن يحيى الكاتب ﴾

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ الشامى شيخُ الكتّاب الأوائل

كان عبد الحميد فى أوّل أمره معلِّم صبيان حتى فَطِن له مَروان بن محمد أيام توليتهِ أرْمينيةَ فكتب له مدة ولايته حتى اذا بلغَه مبايعة أهل الشام له بالخلافة سجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلاّ عبد الحميد فقال له مروان لم لا تسجد ؟

فقال ولِمَ أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا ، — قال إذاً تطير معي
قال الآن طاب لي السجود وسجد ، فاتخذه مروان كاتب دولته

لما دهمتْ مروانَ جيوشُ خُراسان أنصارُ الدعوة العباسية وتوالت عليه الهزائم كان عبد الحميد يلازمه في كل هذه الشدة ، فقال له مروان قد احتجت أن تصيرَ مع عدوّي وتظهرَ الغدر بي ، فان اعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك يُحْوِجُهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفعني في حياتي والاّ لم تعجز عن حفظ حُرَمي بعد وفاتي — فقال له : ان الذي أشَرْت به عليَّ أنفعُ الأمرين لك وأقبحُهُما بي . وماعندي الاّ الصبر حتى يَفتح الله عليك أو أقتَلَ معك وأنشد :

أُسِرُّ وفاءً ثم أُظْهِرُ غَدْرَةً فمَنْ لي بعذْرٍ يُوسع الناس ظاهرُه

وبقي معه حتى قُتِل مروان سنة ١٣٢ ﻫ وأُخذ عبد الحميد الى السفّاح فقتله سنة ١٣٢ ﻫ

﴿ منزلته في الكتابة ﴾

هو الأستاذ الاول لأهل صناعة كتابة الرسائل وذلك أنه أوّل من مهّد سبلها ، ومَيّزَ فصولها ، وأطالها في بعض الشئون ، وقصّرها في بعضها الآخر وأطال التّحميدات في صدرها وجعل لها صوراً خاصةً ببدئها وختمها على حسب الاغراض التي تكتب فيها — ويقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمّنه مالو قُرِئ لأدّى الى وقوع الخلاف والفَشَل ، وقال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فان يكُ ذلك والاّ فالهلاك . وكان الكتابُ لكبر حجمه يحمل على جمل ، فلما وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبي مسلم أمر بأحراقه قبل أن يقرأه وكتب على جُذاذة منه الى مروان

محا السيف أسطارَ البلاغةِ وانتحَى عليك ليوثُ الغاب من كلّ جانب

٣ — ﴿التّدوين والتّصنيف﴾

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ولم يدَوّن فيه كتاب الا ما كان من أمر كتابة المصحف .وكان مرجعُ الناس في أمر دينهم ودُنياهم كتابَ الله تعالى وسنة رسوله فاذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا الى الخلفاء وفقهاء الصحابة

ثم لما انتشر الاسلام زمن بَني أميّة واختلطت العرب ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي وفشا اللحنُ وأشفقوا على القرآن من التحريف وعلى اللغة من الفساد دوّنوا النحو وكان أوّلَ من كتب فيه أبو الأسود الدؤلي وقد تلقى مبادئه عن الامام عليّ — وأخذ عنه فِتيانُ البَصرة وخصوصاً الموالي إذ كانوا أحوجَ الناس الى النحو واشتغل أهل الكوفة به بعد أن فشا بالبصرة ولم ينقض هذا العصرُ حتى اشتغل به طبقتان من البَصريين وطبقة من الكوفيين — ثم لما حدثت الفتَن وتعدّدَت المذاهب والنِّحل وكثرت الفتاوى والرجوعُ فيها الى الرؤساء ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناسُ على رؤسائهم ويتركوا سنة رسول الله فأذِن أمير المؤمنين عُمر بن عبد العزيز لابى بكر محمد بن عمرو بن حَزْم في تدوين الحديث — وانقضى هذا العصر ولم يدَوّن فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير . أما العلوم الأخرى فيُرْوَى أن خالد بن يزيد ابن معاوية حُبّبَ اليه مُطالَعَةَ كتب الأوائل من اليونان فتُرجمت لَه ونبغَ فيها ووضع كتباً فى الطب والكيمياء، وأن معاوية استقدم عُبيد بن شَرْيَة من صنعاء فكتب له كتاب «الملوك وأخبار الماضين» . وان وهب بن مُنَبِّه الزُّهْرى وموسي ابن عُقْبة كتبا فى ذلك أيضاً كُتباً . وأنْ زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً فى مثالب

قبائل العرب . وأن ماسَرْجَوَيْه متَطبّب البصرة تولى فى الدولة المرْوانية ترجمة كتاب أهْرُون بن أعين من السريانية الى العربية وأن يُونُس الكاتب بن سليمان ألّفَ كتاباً فى الاغانى ونِسْبَتِها الي من غَنّى فيها — ولم يبلغ التصنيف شأواً يذكر

﴿ الشعر والشعراء فى هذا العصر ﴾

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، فأتاهم بالامر العظيم والحادث الخطير ، حاملاً باحدى يديه القرآن يدعو الناس الى توحيد الله والتمسك بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيفَ الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشدَّ ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعهما . فهبّوا يتحَسّسُونَ الاوّل ويتمرّسُون أساليبه ومعانيه ويَتفَرّسُون ألفاظه ومغَازيه ، ما بين معُاند يتلمّس مطعنًا فيه ، ومؤمنٍ يستَبينه ويستهديه ، وتأهّبوا للثانى : ما بين ضال ينُاوئه ، ومهتد يُعاضده ، فصار ذلك صارفًا لهم عن التشاغل بالشعر محوّلاً مجْرَى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المتحرفة عن سنَن الشّرف والحق . وبغّض اليهم تلك الفنونَ المرذولة ازراء القرآن على الشعر بقوله (والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُون أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فى كلّ وادٍ يَهِيمُونَ وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يفعَلُونَ الاّ الّذين آمنوا وعمِلُوا الصالحاتِ وذكرُوا اللهَ كثيراً وانتصرُوا مِن بَعدِ ما ظُلِمُوا) ولهذا لم يَكُفَّ شعراء المسلمين عن قوله فيما يُطابق روحَ القرآن

ولبث الحال على ذلك مدّة حياة النّبي الكريم ، حتي اذا ما ثاروا لاسكان فتن أهل الردّة وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا الى ما ألفوه من أغراض الشعر الاكثارَ من التّباهي بالنصر ، ووصفَ المعارك ، وأحوالَ الحصار وآلاتِ القتال ولما آل الامر الى بنى أمية وشغَبَ عليهم كثير من فِرَق المسلمين أصبح الشعر لسانًا

يعبّر عن مقاصد كل حزب، حتى أصبح حرفة عتيدة، وصناعة جديدة ومورد ثروة وأصبحت دراسته ونقده وروايته دَأبَ العلماء والادباء حتى الخلفاء وأولياء عهودهم ويمكن وصف ما كان عليه الشعر فى هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوّراته وعباراته بما يأتى :

﴿ أغراض الشعر وفنونه ﴾

(١) نشر عقائد الدين وحِكَمه ووصاياه والحث على اتّباعه وخاصّةً زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين :

(٢) التحريض على القتال ووصفه والترغيبُ فى نيل الشهادة رفعاً لكلمة الله، وذلك فى أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها

(٣) الهجاء — وكان أوّلاً فى سبيل الدفاع عن الإسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حدّ المروءة، وبما رضيه النبي من حسّان شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بنى عبد مَناف. وكان يتحرّج عنه المسلمون ولو بالتعريض زمن النبي وخلفائه: ولذلك عاقب عمرُ أمير المؤمنين الحُطَيئة وهدّده بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين: ثم صار يُتَساهل في خَطْبه حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر وان لم يصل في الاقذاع والفُحش الى الحدّ الذى وصل اليه في العصر الآتي — ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفرزدق والاخطل :

(٤) المَدحُ — وقلّما كان مبدأ الاسلام فى غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ونشر الحق على يديه. وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تُزهَى بهِ نفوسهم تواضعاً ثم استرسل الشعراء فيه وقَبِل ذلك منهم الخلفاء الى أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والوُلاة والإشادة بعظمتهم

﴿ معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه وأوزانه ﴾

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصوّرهم وتخيلهم عما ألفوه زمن الجاهلية وان فاقوهم كثيراً فى ترتيب الفكر وتقريب المعنى الى الأذهان والوجدان. بما هذّب نفوسهم ورقّق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله — وكذلك لم يخرجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرها فى الجاهلية. وانما آثروا جزالة اللفظ وفخامته ومؤالفته لسابقه ولاحقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته وروعة تأثيره ولا سيما أهل النسيب: — ولم يطرأ على أوزان الشعر العربى حدثٌ غيرُ ما عُرف عنهُ فى الجاهلية وانما شاع في هذا العصر نظم الاراجيز والتطويل فيها. واستعمالُها فى جميع أغراض القصيد. حتى في افتتاحها بالنسيب والتخلص منه الى المدح والذم ونحو ذلك

﴿ الشعراء ﴾

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم واستقامت ألسنتهم ولم يمتدّ اليهم اللحن — ولقد زادتهم مُدارسة القرآن الكريم فصاحةً وبلاغة وإحكاماً واتقاناً حتى فضّلهم بعض الرّواة على سابقيهم من الجاهليين — ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زُهير والخنساء والحُطَيئة وحسان ابن ثابت والنابغة الجَعْدِي وعُمر ابن أبي ربيعة والاخطل والفرزدق وجَرير والكُمَيت وجَميل وكُثَيِّر ونُصَيْب والراعي وذو الرُّمة

(١) كعب بن زُهير

هو كَعب بن زُهير بن أبي سُلمى أحد فحول المخضرمين ومادح النبي الامين ولمّا ظهر الاسلام ذهب أخوه بُجَيْر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب

كعب لاسلامه وهجاه وهجا رسول الله وأصحابه فتوعده النبي صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه فحذّره أخوه العاقبة الاّ أن يجيءُ الى النبي مسلماً تائباً فهام كعب يترامى على القبائل أن تجيرَه فلم يُجرْهُ أحد فلما ضاقت الارض في وجهه جاء أبا بكر رضي الله عنه بالمدينة وتوسّل به الى الرسول فاقبل به عليه وآمن وأنشده قصيدته المشهورة

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليوم متبولُ مُتيّم إثرَها لم يُفْدَ مكبولُ

فخلع عليه النبي بُردته فبقيت فى أهل بيته حتّى باعوها لمعاوية بعشرين الف درهم . ثم بِيعت للمنصور العباسي بأربعين الفاً . ومات سنة ٢٤ هـ

شعره — كان كعب من الشعَراء المجيدين المشهورين بالسَّبق وعُلو الكعب في الشعر ، وكان خلَف الأحمر أحدُ علماء الشعر يقولُ لولا قصائدُ لزهير ما فضلته على ابنه كعب ، وكفاه فضلاً أن الحُطيئة مع ذائع شهرته رجاه أن يُنوّه به في شعره فقال :

فمن للقوافى شانَها من يحُوكها اذا ما مضى كعب وفوز جرْوَلُ

ومن شعره قوله فى قصيدته بانت سعاد :

وقال كلُّ خليل كنت آمُلهُ لا أُلهِيَنّكَ انى عنك مشغول

فقلتُ خلّوا سبيلى «لا أبالكُمُ» فكل ما قدّرَ الرحمنُ مفعول

كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ يوماً على آلة حَدْباءَ محمول

انبئْتُ أن رسول الله أوعدنى والعفوُ عند رسول الله مأمول

مهلاً هداكَ الذى أعطاكَ نافلة القرآن فيها مواعيظٌ وتفصيل

لا تأخذَنّى بأقوال الوُشاة ولم أذنبْ وقد كثرت فيَّ الأقاويل

ومن قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني | سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها | والنفس واحدة والهم منتشر
فالمرء ما عاش ممدود له أمل | لا ينتهي العمر حتي ينتهي الأثر

ومن قوله أيضاً :

ان كنت لا ترهب ذمي لما | تعرف من صفحي عن الجاهل
فاخش سكوتي اذ أنا منصت | فيك لمسموع خنا القائل
فالسامع الذم شريك له | ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء الى أهلها | أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمه | ذموه بالحق وبالباطل

﴿ الخنساء ﴾

هي السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرق شواعر العرب ، وأحزن من بكى وندب

كان أبوها عمرو ،وأخواها : معاوية وصخر، وكانت هي من أجمل نساء زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم ، فرغبت عنه ،وآثرت التزوج في قومها فتزوجت منهم. وكانت تقول المقطعات من الشعر فلما قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لا بيها صخر ، جزعت عليهما جزعاً شديداً ، وبكتهما بكاء مراً ، وكان أشد وجدها على صخر : لأ نه شاطرها هي وزوجها أمواله مراراً ولما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت ، وكان يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول هيه ياخناس ، ويومئ بيده

وما فَتِئَتْ تبكى صخراً قبل الإِسلام وبعده حتى عَمِيت . وبَقِيَتْ الى أن شَهِدَت حربَ القادسية مع أولادها الاربعة . فأوصتهم وصيتَها المشهورة وحضتهم على الصبر عند الزحف فقُتِلوا جميعاً . فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم . ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها . وتوفيت سنة ٢٤ هـ

شعرها — أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأةٌ قبلَ الخنساء ولا بعدها أشعرَ منها . ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى النساء وكان بشارٌ يقول لم تقل امرأة شعراً الا ظهر الضعف فيه فقيل له وكذلك الخنساء فقال تلك التى غلبت الفحول — ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقلّ منه عند شعراء الإِسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التى مطلعها :

قذًى بعينيك أم بالعين عوّارُ　　أم ذَرَّفَتْ اذ خلت من أهلها الدارُ

لولا أن أبا بصير (يعنى الأعشى) أنشدنى قبلكِ لَقلتُ انكِ أشعر مَن بالسوق . وسئل جرير منْ أشعر الناس قال أنا لولا الخنساء ، قيل فبِم فضلتك قال بقولها

إن الزمان (وما يَفنى له عَجَبٌ)　　أبقى لنا ذَنَباً واستُؤْصِلَ الراسُ

إن الجَديدين فى طول اختلافهما　　لا يَفسُدان ولكن يَفسُدُ الناس

ومن جيد شعرها ترثى أخاها صخراً :

أعَيْنَيّ جُودَا ولا تَجْمُدا　　ألاَ تَبكيان لصخر النّدى

ألاَ تبكيان الجرىء الجميل　　ألاَ تبكيان الفتى السّيدا

رفيعَ العماد طويل النّجا　　د ساد عشيرتَه أمردا

إذا القوم مدّوا بأيديهم　　الى المجد مدّ اليه يدا

فنال الذى فوق أيديهمُ … من المجد ثم انتمى مُصْعِدا
يُحَمِّله القومُ ما عالهم … وان كان أصغرَهم مولدا
وان ذُكِرَ المجد ألفيته … تأزَّرَ بالمجد ثم ارتدى

ومن قولها ترثيه أيضاً :

ألا يا صخرُ إن أبكيتَ عينى … فقد أضحكتنى زمناً طويلا
دفعتُ بك الخطوب وأنت حيٌّ … فمن ذا يدفع الخَطْب الجليلا
إذا قَبُح البكاء على قتيل … رأيتُ بكاءك الحَسَنَ الجميلا

ومن بديع قولها :

يُذكرنى طلوعُ الشمس صخراً … وأذكره لكل غروب شمس
فلولا كثرةُ الباكين حولى … على اخوانهم لقتلت نفسى
ولكن لا أزال أرى عَجُولا … ونائحة تنوح ليوم نحس
هما كلتاهما تبكى أخاها … عشيةَ رُزْئه أو غِبَّ أمس
وما يَبكين مثل أخي ولكن … أُسَلِّى النفس عنه بالتأسّى
فقد ودّعت يوم فراق صخر … أبى حسّانَ لَذّاتى وأُنسى
فيا لَهفي عليه ولَهف أُمّى … أيُصْبح فى الضَّريح وفيه يُمسى

(٣) الحُطيئة

هو أبو مُلَيكة جَرْوَلٌ الحُطيئة العبسيٌ — نشأ كما قال الأصمعي جَشِعاً سؤولا مُلحفاً دنىء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلا قبيح المنظر رثّ الهيئة مغموز النسب فاسد الدين — وعاش الحطيئة مدّة فى الجاهلية وجاء الاسلام فأسلم ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاش متنقّلا فى القبائل يمدح هذه تارة

ويذم تلك أخرى . وينتسب الى عبس طوراً وطوراً الي ذُهْل ويهجو اليوم من عدحه بالا مس — وكل قبيلة تخطب وُدّه وتتّقي شرّ لسانه حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حبس الحطيئة فما زال يستشفع اليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدّده بقطع لسانه ان هجا أحداً واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ولكنه نكث وأوغل فى الهجاء بعد موت عُمر وبقى كذلك حتى مات أوائل خلافة معاوية

شعره — لولا ما وُصِم به الحُطيئة من خِسّة النفس ودناءة الخُلق وجهالة النسب لكان باجادته فى كل ضرب من ضروب الشعر شاعرَ المخضرمين على الاطلاق الاّ أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله ولا للشرف . وقلّما يُوجد فى كلام الحطيئة مظنّة ضعف أو مغمزَ لغامز من ركاكة لفظ أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية ومن مدحه الذى لا يُلحق له فيه غبار قوله

يسوسُون أحلاماً بعيداً أناتُها — وإن غضبوا جاء الحفيظة والجَدُّ
أقِلوا عليهم (لا أبا لا بيكمُ) — من اللوم أو سُدُّوا المكان الذى سَدُّوا
أولئك قوم ان بنَوْا أحسنوا البِنا — وان عاهدوا أوفَوْا وان عقدوا اشدُّوا
وان كانت النعماء فيهم جزَوْا بها — وان أنعموا لا كدّروها ولا كدُّوا
مَطاعينُ فى الهيجا مكاشيفُ للدُّجى — بنى لهمُ آباؤهم وبنى الجد
ويَعذلنى أبناء سعد عليهم — وما قلت إلا بالذى علمت سعد

ومن أبياته التى استعطف بها أمير المؤمنين عمر وهو فى سجنه قوله :

ماذا تقول لافراخ بذى مرَخ — زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيت كاسبَهم فى قعر مُظلمة — فاغفر عليك سلام الله ياعمرُ

أنت الأمين الذى من بعد صاحبه ... ألقى اليكَ مقاليدَ النهى البشرُ

لم يُؤثروك بها إذْ قدَّموك لها ... لكنْ لأنفسهم كانت بك الخِيَرُ

﴿ حسّان بن ثابت ﴾

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعرُ رسول الله وأشعر شعراء المخضرمين . وهو من بنى النجار من أهل المدينة — نشأ فى الجاهلية ونَبُهَ شأنه فيها — ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأسلم الأنصار . أسلم معهم ودافع عنهُ بلسانه كما دافع عنه قومهُ الأنصارُ بسيوفهم

وعاش حسان بعد رسول الله مُحَبَّباً الى خلفائه مرضيًّا عنه وعُمِّرَ قريباً من ١٢٠ سنة — وبقى أكثر حياته ممتعاً بحَواسه وعقله . حتى وهن جسمه فى أواخر عمره وكُفَّ بصره ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ

شعره — كان حسان شاعر أهل المدَر فى الجاهلية وشاعر اليمانيةَ فى الاسلام ولم يكن فى أصحاب رسول الله ولا فى أعدائه عند دعوته الى الله أشعرُ منه — ولذلك رمى مشركي قريش من لسانه بالدَّاهية التى لم يكن لهم قِبلٌ بها فأوجعهم وأخرسهم من غير فُحْش ولا هُجْر ولما أُذِن له النبى فى هجائهم قال له كيف تهجوهم وأنا منهم . قال: أسلُّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعرة من العجين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب له منبراً بالمسجد ويسمع هجاءه في أعدائه ويقول (أجبْ عنى اللهمَّ أيِّده بروح القدس) وكان فى شعر حسان زمنَ الجاهلية شدَّةٌ وغرابةُ لفظ فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه وكثُر ارتجاله الشعرَ لانَ شعره وسهُل اسلوبه — ومن شعره فى الجاهلية :

ولقد تقلّدنا العشيرةُ أمرَها ... ونسودُ يومَ النائباتِ ونعتلى

ويسودُ سيدُنا جَحاجحَ سادةً ... ويُصيب قائلُنا سَواء المفصل

ونُحاوِلُ الأمرَ المهمَّ خَطابةً ... فيهم ونَفصل كلَّ أمرٍ مُعْضِلِ
ونزور أبوابَ الملوك ركابُنا ... ومتى نُحكَّمْ في البرية نَعدِلِ

ومن شعره فى الاسلام يفاخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الذوائبَ من فِهرٍ وإخوتِهم ... قد بيّنوا سُنَنًا للناس تُتَّبَعُ
يَرضَى بها كلُّ من كانت سريرتُه ... تقوى الإلٰهِ وبالأمرِ الذى شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهمُ ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجيةٌ تلك فيهم غيرُ مُحْدَثةٍ ... ان الخلائق (فاعلم) شرُّها البدَعُ
لا يَرقَعُ الناسُ ما أوهَتْ أكفُّهمُ ... عندَ الدفاع ولا يُوهُون ما رَقَعوا
ان كان فى الناس سبّاقون بعدهُم ... فكلُّ سَبقٍ لأدنى سبقهم تَبعُ
أعِفَّةٌ ذُكِرتْ فى الوَحْىِ عِفَّتُهم ... لا يَطمَعون ولا يُزرِى بهم طمع
لا يفخَرون اذا نالوا عدوَّهُم ... وان أُصيبوا فلا خَورٌ ولا جَزَعُ

(٥) النابغة الجَعدىّ

هو أبو ليلى حسّانُ بن عبد الله الجعدىّ العامرىّ أحدُ القدماء المعمَّرين والشعراء المُخَضرَمين، ووُصّاف الخيل المشهورين

قال الشعر فى الجاهلية ثم أجبَل دهراً، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الاسلام وبعده : ولذلك سُمّى النّابغة، وهو ممّن فكّر فى الجاهلية، وأنكر الخمر وما تفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان، وذَكر دين ابراهيم، وصام واستغفر، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعاش طويلاً فى الاسلام، فأقام زمنًا مهاجراً حتى أيام عثمان رضى الله عنه فأحسّ بضعف فى نفسه، فاستأذنَ عثمانَ فى الرجوع الى البادية فأذن له . ثم لما

كانت خلافة علىّ شهد معه وقائع صِفِّين ، وظاهرَه بيده ولسانه ، ونال من معاوية وبنى أمية — ومات بأصبهان سنة ٥٨ هـ بعد أن عمّر مائة وثمانين سنة

شعره — كان النابغة الجعدى شاعراً مطبوعاً فى الجاهلية والاسلام ، وهو أوّل من سبق الى الكناية فى الشعر عن اسم من يَعْنِى الى غيرها وتبعه الناس بعد ، قال

أُكنى بغير اسمها وقد علِم اللـــه خَفيّاتِ كلِّ مُكْتَتَم

وكان مِمَّن يصفون الخيل فلا يُلحق له فى ذلك غُبار ، حتى ضرب به المثل قال الاصمعى : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقاربهم أحد : طُفَيْل الغَنَوِىّ وأبو دُواد الإيادى ، والنابغة الجعدى . ولهُ فى الفخر والهجاء والمديح والرثاء شعر كثير ومن أشرفه قصيدته التى مدح بها الرسول الكريم وهى :

خليلىّ عُوجَا ساعةً وتَهَجَّرا ... ونوحَا على ما أحدث الدهرُ أوذرا
ولا تجزَعا إنَّ الحياة ذميمة ... فخِفًّا لرَوعات الحوادث أو قِرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزَعَا مما قضى الله واصبرا
ألم تريَا أن الملامة نفعها ... قليل إذا ما الشىء ولّى وأدبرا
تهيج البكاء والندامةَ ثم لا ... تغيّر شيئاً غير ما كان قُدِّرا
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتاباً كالمَجرَّة نيّرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها ... وكنت من النار المَخوفة أحذرا

ومنها فى الفخر :

وانا لقوم ما تعوَّد خيلنا ... إذا ما التقينا أن تَحيد وتَنْفِرا
وننكر يوم الرَّوع ألوان خيلنا ... من الطعْنِ حتى نَحسَبَ الجَون أشقرا
بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادرُ تحمي صفوَه أن يكدَّرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمرَ أصدرا

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء — البيت) قال لهُ فأين المظهر يا أبا ليلى قال الجنة ، قال لهُ ان شاء الله ، ولما أتمَّ قصيدته ، قال لهُ الرسول أجدتَ لا يفضض الله فاك — فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضّت من فيه سنٌّ

(٦) — عُمر بن ابى رَبيعَة

هو أبو الخطاب عُمر بن عبد الله بن أبى رَبيعة القَرشى المخزُومى أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء

وُلد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . وكانت أمُّه نصرانية . وكان أبوه تاجراً موسراً وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الثلاثة من بعده ، فشبَّ فى نعيم وتَرَف — وقال الشعر صغيراً وسلك فيه طريق الغزل وَوَصف أحوال النساء وتَزَاوُرَهُن ومُدَاعبَة بعضهن لبعض وتعرض المُحْصنَات المتعفّفات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقعن منه فى بلاء عظيم وصِرن يخفن الخروج إلى الحج لانه كان يتَلقَّاهُنَّ بمكة ويترقّب خروجهنّ للطّواف والسّعى ويصفهنّ وهنّ مُحْرِمات . وحَلُمَتْ عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ولترقّب توبته وإقلاعه — فلما تمادى فى أمره وشبّب ببنات السادات والخُلفاء غضب عمر بن عبد العزيز ونفاه الى جزيرة أمام مدينة مصوّع ، ثم رأى أن يكفر عن سيئاته بالتّوبة والجهاد فغزا فى البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ

شعره — رقيق بلفظ رشيق ومعنى أنيق حتى قال فيه جرير هذا والله الذى أرادته الشعراء فأخطأته وقد سلك فى الغزل طريقاً لم يسلكوه : ومن قوله المشهور

ليت هنداً أنجزتنا ما تعِد　　وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدّت مرة واحدة　　انما العاجز من لا يستبد

(٧) الاخْطَل

هو أبو مالك غِياثٌ الاخطَلُ بن غَوْث التَّغْلبى النّصرانى ، شاعرُ الأمويين وأمدحُ ثلاثةِ شعرائهم المقدّمين والمتفرّد بوصف الخَمر دُون الاسلاميين قال الشعر وهو صبِىّ وما لَبِث أن زاحَمَ شاعرَ تغلب وقتئذ « كَعْبَ بن جُعَيْل » وهاجاه وظهر عليه — ولما طلب يزيدُ بن معاويةَ قبل أن يَلِي الخلافةَ من كعب هجاء الانصار لِتعرُّض حسان بن ثابت الأنصارى لاخته في شعره أَبى عليه ذلك كعب ، وقال أأهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآوَوْه : ولكنى أدُلُّك على الاخطل فبعث اليه وأمره بهجائهم فهجاهُم بقصيدة منها

ذهبتْ قريش بالسَّماحة والنَّدَى　　واللؤْمُ تحت عمائم الأنصارِ
فدعُوا المكارِمَ لستُمُ من أهلها　　وخذوا مَساحِيَكم بنى النَّجّارِ

و بلغ الشعرُ كبارَ الأنصار فغضبوا وشكَوْه إلى معاوية فوعدهم بقطع لسانه فاستجار بيزيد ، فما زال بأبيه حتى عفا عنه — ولمّا وَلِىَ يزيدُ الخلافةَ قرّبه اليه وتابعه فى ذلك خلفاء بنى أُمية ، وبخاصةٍ عبد الملك إذ كان يستعين به على أعدائه فقرّبه اليه وأدناه وسمح له بالدخول عليه بلا إذن وأجزل له العطايا وسماه شاعرَ الخليفة ولمّا حدثتِ المُهاجاةُ بين جرير والفرزدق وحُكِّم فيهما أيُّهما أشعرُ عرّض بتفضيل الفرزدق ، فهجاه جرير ، فردّ عليه الأخطل وكانت الشيخوخة قد بلغت

منه فلم يلحق جريراً . وكان الأخطل يقيم أزماناً بدمشق وأحياناً ببلاده من أرض الجزيرة ومات سنة ٩٥ هـ وقد نيّف على السبعين

شعره : كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فُحول الاسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر بعيداً عن التكلُّف والتعمُّق فيه وامتاز باجادته المديح والابداع في معانيه — قال يمدح بني امية ويخص بشر بن مروان :

إن يحلمُوا عنك فالأحلام شيمتهم — والموتُ ساعةَ يحمَى منهمُ الغضبُ
كأنهم عند ذاكم ليس بينهمُ — وبين من حاربوا قُرْبى ولا نَسبُ
كانوا مَوالِيَ حقٍّ يطلبون به — فأدركوه وما ملُّوا ولا لَغَبوا
إن يك للحق أسباب يُمدّ بها — ففي أكفهم الأرسان والسَّببُ
همُ سَعوْا بابن عفان الامام وهم — بعداِلشِّماس مَرَوْها ثمّتَ احتَلَبُوا

ومنها :

اذا أتيتَ أبا مروان تسأله — وجدتَه حاضِراهُ الجُودُ والحسَب
ترى اليه رِفاقَ الناس سائلة — من كل أوْبٍ على أبوابه عُصَبُ
يَحتضرُون سِجالا من فواضله — والخيرُ مُحتَضرُ الابواب مُنْتَهَبُ
والمُطعِمُ الكومَ لا ينفكُّ يعقِرُها — إذا تلاقى روَاقُ البَيْتِ واللهَبُ
كأن حيرانَها في كلّ منزلةٍ — قتلى بمجرّدة الأوصال تُستَلَبُ

ومن أفضل شعره قوله :

والناس همُّهمُ الحياة ولا أرى — طولَ الحياة يزيد غير خبَال
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد — ذخراً يكون كصالح الأعمال

(٨) الفَرزدق

هو أبو فِراس هَمَّام بن غالب التميمي الدّارمي أحَدُ ثلاثة الشعراء الأمويين وأجزل المقدّمين في الفخر والمدح والهجاء

ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة — وأتى بها أبوه يوماً إلى أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه فسأله عنه — فقال هذا ابني يُوشِك أن يكون شاعراً مُجيداً — فقال له أقْرِئه القرآن فأقرأه وحفِظه ثم رَحَل إلى خلفاء بني امية بالشام ومدحهم ونال جَوائزهم، وأخص من كان يمدحه منهم عبد الملك بن مروان ثم أولادُهُ من بعده — وكان الفرزدقُ فوق إقذاعه في الهجو وفحشه في الشباب وقذف المحصنات يُرْمى بالفجور وقلّة التمسك بشعائر الدين ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد حسن البصري . وكان فيه تشيّعٌ يَستره أيام اختلافه الى بني أُميّة ثم كاشف به آخرَ حياته حتى أمامَ الخليفة هشامٍ عند ما رأى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة مهابة واجلالاً لعلى بن الحسين فسأله عنه كالمُتجاهل لأمره ، فشق ذلك على الفرزدق وأنشد قصيدته الميمية الآتية يُعَرِّفُ بعلى ويُنكِر على هشام تجاهلَه ، فحَبَسَه هِشامٌ ثم أطلقه. وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ومات بالبصرة سنة ١١٠ هـ

شعره — يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزَالة لفظه ، وكثرة غريبه ومُدَاخلة بعض ألفاظه في بعض ، ولذلك يُعجَب به أهل اللغة والنحو وكان يُقال (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) — ويعتبر الفرزدق من أفخر شعراء العرب وأشدّهم ولوعاً بتَعداد مآثر آبائه وأجداده

ومن جيد شعره قوله يمدح على بن الحسين :

هذا الذى تَعرِفُ البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خيرِ عبادِ الله كلّهمِ هذا التقى النقىُّ الطاهرُ العلمُ
وليس قولك مَنْ هذا بضائره العُرْبُ تعرف من أنكرتَ والعجمُ
اذا رأته قريشٌ قال قائلها الى مكارم هذا ينتهى الكرَمُ
يُغضى حياءً ويُغضَى من مَهابتِه فلا يُكَلَّم الاَّ حينَ يَبْتَسِمُ
بكفِّه خَيزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ من كفِّ أرْوَع فى عِرْنينِهِ شمَمُ
يكادُ يُمْسِكه عرفان راحتِهِ ركنُ الحطيم اذا ما جاء يَسْتَلِمُ
ينشقُّ ثوبُ الدُّجى عن نور غرّته كالشمس تَنجاب عن إشراقها الظُّلَمُ
من معشر حبُّهم دينٌ وبغضهمُ كُفْرٌ وقربُهُمُ مَنْجًى ومُعتَصَمُ
إن عُدَّ أهلُ التقَى كانوا أئمتهم أو قيلَ مَن خيرُ أهلِ الأرض قيل همُ

﴿ (٩) جرير ﴾

هو أبو حَزْرة جَرير بن عَطِيَّة بن الخَطَفَى التميمي اليَرْبوعى : أحدُ فُحول الشعراء الاسلاميين ، وبُلغاء المدَّاحين الهجائين ، وأنسب ثلاثتهم المُفلقين ، وهو من بنى يربوع أحد أحياء تميم ، وُلد باليمامة سنة ٤٢ ﻫ ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ . وكان يَختَلِفُ إلى البصرة فى طلب المِيرَةِ ومدحِ الكُبراء ، فرأى الفرزدقَ وما كسبه الشعرُ من المنزلةِ عند الامراء والوُلاةِ وهو تميمي مثلُه وودّ لو يسبقهُ إلى ما ناله ، وأغراه قومه به للتنويه بشأنهم فوقعت بينهما المُهاجاة عشرَ سنين كان أ كثرُ اقامة جرير أثناءها فى البادية ، وكان الفرزدقُ مقيماً بالبصرة يملا عليه الدنيا هِجاءً وسبًّا . فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة واتصل

بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظُم أمره وشرّق شعرُه وغرّب حتى بلغ الخليفة عبدَ الملك ، فحسَد الحجاجَ عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة بدمشق ومات باليمامة سنة ١١٠ هـ

وكان فى جرير على هجائه للناس عفةٌ ودِينٌ وحُسن خُلق ورِقّة طبع شعره — اتفق علماء الادب وأئمة نَقْد الشعر على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشئوا فى ملك الاسلام أبلغَ من جرير والفرزدق والاخطل وانما اختلفوا فى أيُّهم أشعر ولكلٍّ هَوًى ومَيْل فى تقديم صاحبه : فمن كان هَواه فى رِقّة النَّسيب وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الأَساليب والتصرف فى أغراض شتّى ، فضّل جريراً ، ومن مال إلي إجادة الفخر ، وفخامة اللفظ ، ودقة المسلك ، وصلابة الشعر وقوة أسره ، فضّل الفرزدق ، ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوْغ إلى اجادة المدح والامعان فى الهجاء واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها ، حكم للأَخطل — وإن له فى كل باب من الشعر أبياتاً سائرة هى الغاية التي يُضرب بها المثل فيقال ان أغزل شعر قالته العرب هو قوله

إن العيون التى فى طَرْفها حوَر ... قتلْننا ثم لم يُحيين قتلانا

يَصْرَعْن ذا اللبّ حتى لا حَراك به ... وهُنّ أضعفُ خلق الله إنسانا

وأن أمدح بيت قوله :

ألستُمْ خيرَ من ركِب المطايا ... وأندَى العالَمين بُطونَ راح

وأن أفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسِبت الناس كلّهمُ غِضابا

وأن أهجى بيت مع التصوُّن عن الفحش قوله :

فغُضّ الطرفَ إنك من نُمَيرٍ فلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا

وأن أصدق بيت قوله :

إني لأَرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مُولَعة بحُبّ العاجلِ

وأن أشد بيت تهكمًا قوله :

زعمَ الفرزدَقُ أن سيقتل مَرْبعًا أبْشِر بطُول سلاَمة يا مَرْبَعُ

ومن جيد شعره قوله من قصيدة يرثى بها امرأته وهي التي نُدِبت بها نَوَار امرأة الفرزدق :

لولا الحياء لهاجَني استِعْبار ولزُرت قبركِ والحبيبُ يُزَار

ولَهتِ قلبي اذا علتنِيَ كَبْرة وذوو التّمائم من بَنيكِ صِغار

لا يُلبِثُ القرناء أن يتفرّقوا ليلٌ يكرّ عليهمُ ونهار

صلّى الملائكة الذين تخيّروا والطيّبون عليكِ والأَبرار

فلقد أراكِ كُسيتِ أحسنَ منظرٍ ومع الجمال سكينةٌ ووَقارُ

(١٠) — الكُميتُ

هو الشاعر الخطيب الرّاوية النسّابة أبو المُستهلّ الكُميتُ بن زَيْدٍ الاسَدى الكوفي أشعرُ شعراء الشّيعة الهاشمية ، ومُثير عصبيّة العدنانية على القحطانية ولد سنة ٦٠ هـ ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد احدى قبائل العرب الفصحاء من مضر فلقِن العربية ، وعرف الادب والرواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بمدارسة العلم والأخذ عن الاعراب ، وكان له جدّتان أدركتا الجاهلية تقُصّ ن عليه أخبارها وأشعار أهلها ، فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك وأقرّ له حمادٌ الراوية بالسبق عليه.

وقال الكُميت الشعرَ وهو صغير وكان لا يُذيعه ولا يتكسّب به ، ويكتفي بحرفته تعليم صبيان الكوفة بالمسجد ، ولما حَصُف شعرُه وقوي أثرُه ، ولا سيما قصائده التى أعلن فيها تَشَيُّعَه لبنى هاشم وآل علىّ ، أنشده الفرزدق مستنصحاً له فى امر اذاعته اذا أعجبه ، فأمره باذاعته فقال قصائده البليغة المطولة المسماة « بالهاشميات » التى يقول فيها

طَرِبتُ وماشوقاً الى البِيض أطرَبُ ... ولا لَعِباً منّى وذو الشيب يلعبُ
ولم تُلْهِنى دارٌ ولا رسمُ منزل ... ولم يتطرّبنى بنانٌ مخضّبُ
ولا السانحاتُ البارحات عشيّة ... أمَرَّ سليمُ القرن أم مرّ أعضب
ولكن الى أهل الفضائل والنُّهَى ... وخير بنى حوّاء والخيرُ يُطلَب
بنى هاشمٍ رَهطِ النّبى فانّني ... بهم ولهم أرضَى مراراً وأغضب
خفضتُ لهم منّى الجناحَ مودّة ... الى كَنَفٍ عِطفاه أهل ومرْحَب
وما لِىَ إلاّ آلَ أحمدَ شيعةٌ ... وما لى إلاّ مذهبَ الحقّ مذهبُ
بأىِّ كتاب أم بأيّةِ سُنّة ... يُرَى حبّهم عاراً علىّ ويُحْسَب

شعره ـ لشعره من التأثير السّياسى والمذهبى أثر سيئ شتّت شملة الوحدة العربيّة

﴿ الرّواية والرُّواة ﴾

ظهر الاسلام وعمدةُ العرب فى ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ والرّواية : فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير ، والعلم الكثير فكانت عنايتهم بحفظها فى الصدور أكثر من كتابتها فى السطور . ولما اتسع علم المسلمين بما أضيف اليهما من تفسير الصحابة والتابعين ومن أقوالهم فى الدّين تعدّد طوائف الرّواة للقرآن والحديث وفنون الأدب

واذ كان الانسان عرضةً للنسيان ، وأحوال الناس تختلف فى الصدق

والكذب تشدد الصحابة والتابعون وتابعوهم فى تصحيح الرواية وشدة التوثق من صدق الرواة تحرجاً منهم أن يدخل فى الدين ما ليس منه

ولما خاف سيدنا عمر بن عبد العزيز أن تموت السنة الصحيحة بموت رواتها وبما وضعه الزنادقة والشيعة والخوارج ودسوه فيها ، أمر العلماء بتدوين الحديث وبقى الأمر فى الشعر والأدب كما كان فى الجاهلية : لكل شاعر راو أو عدة رواة ـ ومن أشهر هؤلاء هُدْبة بن خَشْرَم راوية الحطيئة ، وجميل راوية هدبة وكُثَيِّر راوية جميل ، وأبو شفقل وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ومربَع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكُمَيت ، وصالح بن سليمان راوية ذى الرُّمَّة وذو الرُّمة راوية الراعى

وبقى الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر فاشتغل العلماء بالرواية وصار الرَّاوي منهم يروى لمئات من الشعراء والشواعر وإن لم يكن هو شاعراً وأكثر هؤلاء العلماء من الرُّواة أدرك عصرَ بنى العباس فيذكر فيه . ومع تشدّد الناس فى تصحيح الرواية سُنَّةً وأدباً حدث فى الشعر والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقص والزِّيادة ونحو ذلك

العصر الثالث — عصر الدولة العباسية [1] من ١٣٢ — ٦٥٦ هـ

أحوال اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كان بنو امية شديدى التعصب للعرب والعربية ، فكان كلُّ شيءٍ في دولتهم عربيَّ الصِّبغة ، وكانت جمهرة العرب منتشرةً في كل مكان امتدَّ اليه سلطانها فلما قامت الدولةُ العباسية بدعوتها ، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً مثل من وجدت من الفرس وأُمم الأعاجم ، فاكتسحت بهم دولةَ بني أمية وأسست دولةً قويةً كان أكثرُ النفوذ فيها للموالي . فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيءٍ من سقاية الماء الى قيادة الجيوش والوزارة ، وابتدأ شأنُ العرب السياسيُّ يتضاءلُ من ذلك الحين شيئاً فشيئاً واختلطوا بالأعاجم وكان من المجموع شعبٌ ممتزج لغةً وعادةً وخُلقاً فأثر ذلك في اللغة لفظاً ومعنى ، وشعراً ونثراً كتابةً وتأليفاً ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام . أما حال ممالك الغرب والأندلس صدر هذا العصر فلم يبعدُ

---

[1] خلفاء بني العباس الى سنة ٣٣٣

أبو العباس عبدالله السفاح (١٣٢ — ١٣٦)
ابو جعفر المنصور (١٣٦ — ١٥٨)
محمد المهدى (١٥٨ — ١٦٩)
موسى الهادى (١٦٩ — ١٧٠)
هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣)
محمد الامين (١٩٣ — ١٩٨)
عبد الله المأمون (١٩٨ — ٢١٨)
ابو اسحق محمد المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧)
ابو جعفر هارون الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢)
جعفر المتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧)
محمد المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨)
ابو العباس احمد المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢)
ابو عبد الله المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥)
محمد المهتدي بالله (٢٥٥ - ٢٥٦)
احمد المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩)
احمد المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩)
علي المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥)
جعفر المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠)
ابو منصور محمد القاهر (٣٢٠ - ٣٢٢)
ابو العباس احمد الراضى (٣٢٢ - ٣٢)
ابراهيم المتقي لله (٣٢٩ - ٣٣٣)

كثيراً عما كان عليه في العصر الماضي ثم سرتْ اليها عدوى تقليدها للمشارقة في أكثر الأمور

ويمكن ارجاعُ جميع هذه التغيرات الى ثلاثة أمور «الأول» ما يتعلق بالاغراض التي تؤديها اللغة «الثاني» مايتعلق بالمعاني والأفكار «الثالث» مايتعلق بالألفاظ والاساليب

﴿ أغراض اللغة ﴾

لما قامت الدولة العباسية وتشبَّه الخلفاء بملوك الفرس في أكثر أمور السياسة والمعيشة ، وحاكتهم العامةُ في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الاعاجم ، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تُعهَد فيها من قبلُ بنقْل علوم تلك الامم وآدابها وعاداتها وطُرق معيشتها — ثم تناولت هذه الاغراضَ في الغرب بعدئذٍ بفرق يسير فكان من تلك الاغراض مايأتى :

(١) تدوين العلومِ الشرعيةِ واللسانية والعقلية ولم يُدوَّن في صدر الاسلام من ذلك الا نَذر يسير، وكذا الترجمةُ من اللغات الاجنبية الى العربية

(٢) تأديةُ مقاصد الصناعات المختلفة ، وخاصةً بعدَ دخول العرب في غِمار الصُّناع و بعدَ تعَرُّب الاعاجم

(٣) تأديةُ المقاصد التى استدعاها الانغماسُ في الترف بلذائذ الحضارة التي جرتْ فيها الامم عصرَ الدولة العباسية الى امد بعيد، أو اقتضاها نظام الملك والدفاع عنه — كالإمعان في وصف الاشياء النفيسة مما لم يُعرف للعرب في صدر الاسلام أو عُرِفَ وكان قليلاً ممقوتاً صاحبهُ — وكوصف البحر والاساطيل الحربية والمعارك البحرية — وامتاز بأكثرِ ذلك المغربُ والاندلسُ كما امتازت الاندلسُ

بالاجادة في وصف مناظر الطبيعة ومحاسن الوجود لملاءمة بيئتها لذلك ، وكادت تلحق بها فى الوصف صقلية وافريقية إبّان ازدهارهما

(٤) تأديةُ مقاصد أنواع الخلاعة والسُّخرية مما قلّ نظيرُه فى صدر الاسلام

(٥) المُحاضرة والمُناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم

﴿ المعانى والافكار ﴾

إن ما حدثَ في مشارق الممالك الاسلامية ومغاربها أثناء العصر العباسى من الانقلابات السياسية والاجتماعية كان له نتيجةٌ ظاهرة فى الحركة الفكريه للتكلمين بالعربيّة ظهر ذلك فى عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة ، فمنها :

(١) ازديادُ شُيوع المعاني الدقيقة ، والتّصوراتِ الجميلة ، والأخيلة البديعة

(٢) التّعويلُ على القياس والتّعليل فى الأحكام الفكريّة : بالإكثار من الحجَج والبراهين العقلية وانتحاء مذاهب الفلاسفة فى الشّعر والكتابة والتدريس ولا سيما بعد عصر الترجمة وأكثر ما كان ذلك بالمشرق وقلّما عُنِى به أهل المغرب

(٣) التهويلُ والغلوّ فى التّفخيم المقتَبسُ فى المشرق من اللغة الفارسية والسارى بعضُه بالعَدوَى إلى أهل المغرِب والأندلس

﴿ الالفاظ والاساليب ﴾

غلب على عبارة اللّغة العربية فى هذه المُدة أمران عظيمان : السُّهولة والمحسّنات البديعية . ويشمل ذلك ما يأتي :

(١) انتقاء الالفاظ الرّشيقَة السَّهلة وقِلَّة الحاجة إلى الارتجال

(٢) ازديادُ الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن والاقتباس منهُ والاستشهاد بهِ

(٣) الاكثار من ألفاظ المجاز والتشبيه والتمثيل والكناية والمحسنات اللفظية

(٤) التوسعُ في ادخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والامراء والعظماء
(٥) تفاقُمُ الخَطْب فى استعمال الكلمات الاعجمية فى كثير من الاشياء
(٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وادارة الحكومة وغيرها
(٧) التأنق فى صَوْغ العبارات وتَوْثيق الربط بينها والميل إلى استعمال السجع
(٨) التطرف إلى غاية حَدَّى الاطناب والإيجاز ولكل منهما مقام
(٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاسُ بمعيار المنطق لا بمعيار البلاغة . واذ كانت اللغة إما نثراً و إما شعراً والنثر محادثة ، وخطابة ، وكتابة ، فاحفظ ما يُتلَى عليك

النثر — المحادثة — أو (لغة التخاطب)

إن لغةَ التخاطب بين الخاصة من العرب فى أواخر العصر الماضى كانت العربية الفصيحة الخاليةَ من اللحن إلا من آحاد عُيِّروا به، وأن لغةَ العامة والسُّوقة من العرب المختلطين بالعجم هى العربية المَشُوبة بشىء من اللحن ، ولغةَ المتعربين من العجم تَقِلّ عن هذه فى الفصاحة ، وتزيدُ عليها فى اللحن بمراتب مختلفة

فلما تمّ امتزاجُ العرب بالعجم عصرَ الدولة العباسية ، تكوّنت بين العامة فى البلاد التى تكثر فيها جمهرةُ العرب لغاتُ تخاطبٍ عاميةٌ — الاّ بين أهل جزيرة العرب ، فلم يزل تخاطُبُهم باللسان العربى الفصيح إلى أواسط القرن الرابع . وبقيت لغاتُ التخاطب فى البلاد التى تَقِلّ فيها جاليتُهم هى اللغات الوطنية الأعجمية ممزوجةً ببعض الألفاظ العربية التى أدخلها عليها الاسلام

وخاف الخلفاء والخاصةُ من هَوْل تغلب العامية على الفصيحة فيستغلقَ على المسلمين فهمُ الكتابِ والسنة وهما كلُّ الدين ، فحرّضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة — ولكن ذلك كله لم يوقف تيار

العامية الزاخر ، واستمرّ فى طغيانه الى أن غلب فى النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب ، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم وأصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامية خاصة بها — ولكن لم تصبح العامية لغة علم وأدب — كما وأن ذلك لم يكن طويل الأمد

﴿ الخطابة والخطباء ﴾

لما كان قيام الدولة العباسية فى المشرق والادريسية فى المغرب الأقصى والأموية الثانية فى الاندلس ، من الامور التى ينشأ عنها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية . وكان ذلك يستدعى تأليف العصابات ودعوة الناس الى التشيّع لزعماء الأحزاب كانت دواعى الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها . فكان بين قوّاد هذه الدول ودعاتها وخلفائها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع — ثم لما فترت هذه الدواعى باستقرار الدول . واشتد اختلاط العرب بالأعاجم ، وتولى كثير من الموالى قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم — ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها — فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة الا قليلا فى المغرب أيام الحفل وقدوم الوفود و بقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك . وقلّ فيها الارتجال أو عدم جملة ، وحل محلّ الخطابة فى الأمور السياسيه نشر المنشورات ، وفى الامور الدينيه مجالس الوعظ والتدريس فى المساجد والمدارس — واشتهر فى صدر الدولة العباسيّة جملة خطباء أشهرهم داود بن علي ، وشبيب بن شيبه

﴿ داود بن عليّ ﴾

هو داود بن عليّ بن عبد الله بن عباس خطيب بنى العباس ، وأحد مؤسسى

دولتهم ، نشأ هو وأخوته (وكانوا اثنين وعشرين رجلاً) في قرية الحُمَيْمة من أعمال عَمّان ـ وكان الوليدُ بن عبد الملك أجلى عليّ بن عبد الله بن عباس وأهل بيته اليها سنة ٩٥ هـ غضباً عليه

وكان داود أجدّ النّابغين من اخوته ـ وكان بليغهم ولسانهم وأخطبهم في وقته . وعاجلته منيّته قبل أن يستطير سلطانه في الدّولة . ولاّه أبو العباس عقب بَيْعته بالكوفة ولاية الكوفة وسَوادَها ، ثم ولاّه إمارة الحج في هذه السنة وَولاّه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة ، فقتل من ظفِر بهم من بني أمية في مكة والمدينة سنة ١٣٢ هـ وهو أول موسم ملكه بنو العباس وخطبهم الخطبة الآتية وهي « شُكراً شُكراً ـ إنا والله ماخرجنا لنحفِر فيكم نهراً ولا لنبني فيكم قصراً أظنَّ عدوُّ الله أن لن نقدر عليه إن رُوخيَ له من خِطامه ، حتى عَثَرَ في فضل زمامه ، فالآن حيث أخذ القوس باريها وعاد القوسُ الى النَزَعة ، ورجع الملك في نِصابه ، في أهل بيت النبوّة والرحمة ، (والله لقد كنا نتوجّع لكم ونحن في فُرُشِنا) أَمِنَ الاسودُ والاحمرُ لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكم ذمة العباس ، لا وربِّ هذه البنيةِ ـ وأومأ بيده الى الكعبة لا نهيّج منكم أحداً »

﴿ شَبيب بن شَيبة ﴾

هو شَبيبُ بن شَيْبة بنِ عبد الله المِنْقَريّ التّميمي خطيبُ البصرة ونشأ بها وامتاز بنبَالة نفس وَسخاء كفّ . وحسن تواضع ونزاهة لسان كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة القريبة من حد الاعجاز . قال الجاحظ : يقال أنهم لم يروا خطيباً كشبيب بن شَيبة . فانه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة . فلم يزل يزداد منها

حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره وقد يطوّل حتى يقول فيه الراجز

اذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها عجبتَ من كثرتها وطيبها

وعرف شبيب أبا جعفر المنصور قبل خلافته ثم اتصل به بعدها . فجعله في حاشية ولي عهده المهدى . وبقي كذلك حتى ولِّيَ المهدى الخلافة فصار من خيرة سُمَّاره وجُلسائه الى أن مات في خلافته سنة ١٦٥ هـ

ومن خُطبه القصار ماعزّى به المهدىّ يوم ماتت ابنتُه البانوقة وجزع عليها جزعاً شديداً — « أعطاكَ اللهُ يا أميرَ المؤمنين على ما رُزِئْتَ أجراً . وأعقبك صبراً ولا أجهدَ اللهُ بلاءَك بنقمه ولا نزع منك نِعمه ، ثوابُ الله خيرٌ لك منها ورحمةُ الله خيرٌ لها منك ، وأحقُّ ما صُبِرَ عليه مالاَ سبيلَ الى ردّه .

﴿ الكتابة — خطية وانشائية ﴾

الخطّ : تنوّعَ في هذا العصر الخط الكوفي الى أنواع أربت على خمسين نوعاً ومن أشهرها المحرّر والمشجّر والمربّع والمدوَّر والمتداخل . وبقي مستعملا في المباني والسّكة الى حدود الالف . ثم نُسِي جُملة وقد جُدِّدت منه أنواع في عصرنا أما تاريخ خطنا المستعمل الآنَ فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط « قطبةُ المحرّر » من الخط الكوفى والحجازى خطاً هو أساس الخط الذى يكتب به الآن ، واخترع القلم الجليل الذى يكتب به على المبانى ونحوها . وقلم الطُّومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل وحسَّن عمله غيره من كتّاب صدر الدولة العباسية حتى ظهر ابراهيم الشِّجْرى وأخوه يوسف من كتّاب أواخر القرن الثانى : فو

ابراهيم من الجليل قلم الثلثين وولّد يوسف من الجليل القلم الرِّيَاسِيّ وهو قلم التوقيع
وعن ابراهيم أخذ الأحولُ المحرر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم النصف.
هذه هي أشهر الخطوط وقد تولّد منها نحو من ٢٠ خطًّا يختص كل منها بغرض خاص.
واتفقوا على أن طول الالف يعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف. وأن يكون طول الالف مربع مقدار قطعة القلم

وعن الأحول — أخذ مهندس الخط الأعظم الوزير «أبو علي محمد بن مُقلة» وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الاشكال التي نعرفها الآن وأمّا العمل الذي بدأ به «قطبة» فهندسا الحروف وقدرا مقاييسها وأبعادها وضبطاها ضبطاً محكماً واخترعا له القواعد وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبد الله محمد بن أسَد القارىء المتوفى سنة ٤١٠ هـ — وعنهُ أخذ أبو الحسن عليّ بن هلال البغدادي المعروف بابن البوّاب المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع عدّة أقلام واليه انتهت الغاية. وكل من جاء بَعده فهو تابع لطريقته: كأمين الدين يَاقوت المَلكي المتوفى سنة ٦١٨ هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي — أما الاندلسيون والمغاربة فلم يعبثوا بهذا الاصلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي الى الآن بنوع من التعديل — واخترع الخليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واواً صغيرة تكتب فوق الحرف والفتحة ألفاً والكسرة ياء والشدّة رأس شين والسكون رأس خاء وهمزة القطع رأس عين ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت الى الشكل المعروف الآن

وهاك ترجمة الخطّاط المُتفنّن المشهور

﴿ ابن مُقلة ﴾

هو الوزير أبو عليّ محمد بن علي بن الحسن بن مقلة إمام الخطاطين وأحد كبار الكتاب البارعين ، أخذ الخط عن الاحول المحرّر صنيعةُ البرامكة وتمّ على يديه ويدى أخيه الحسن نقلُ الخط من الكوفيّ الى الشكل المعروف فى زماننا ـ وكان ابن مقلة يتولى فى أوّل أمره بعض أعمال فارس ويَجْبِي خراجها وتنقلَّتْ به الاحوال الى أن استوزَره الامام المقتدر بالله سنة ٣١٦ ثم كاد له أعداؤه عنده ، فقبَض عليه سنة ٣١٨ ﻫ ونفاه الى فارس ثم وزر للراضي فوَشَى به أعداؤه عنده فقُبض عليه وعُزل ثم أطمعهُ نحسهُ أن يكيد لابن رائق أمير الامراء ببغداد عند هذا الخليفة فقبض عليه ابن رائق وقطع يده اليمنى ثم عاد فقطع لسانهُ أيضاً حتي مات سنة ٣٢٨ ﻫ ومن قوله في تلك الحوادث

اذا ما مات بعضك فابك بعضاً ... فان البعض من بعض قريب

وقوله :

ما سئمت الحياة لكن توثقْـ ... ـتُ بأيمانهم فبانت يميني

بعت ديني لهم بدنياى حتى ... حرَموني دنياهمو بعد ديني

ولقد حُطتُ ما استطعت بجهدى ... حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد اليمين لذةُ عيش ... يا حياتي بانت يميني فبيني

﴿ الكتابة الانشائيّة فى الرسائل الديوانية والاخوانية ﴾

كانت كتابة الرسائل فى أوائل حكم بنى العباس جاريةً على نظام كتابتها فى أواخر عهد بنى أمية ، سالكة الطريق التي سلكها عبد الحميد وابنُ المقفّع والقاسم ابن صُبيح وعِمارة بن حمزة ونظراؤهم : من العناية بجعل عبارتها جزلةً بليغة

متناسقة الوضوع والأساليب — وبقيت كذلك بل زادت حسنًا وجمالاً ومراعاة لمقتضى الحال إلى أوائل القرن الرابع . ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلبُ عليها تدريجًا بتضاءل ملكةِ البلاغة فى الكتاب وتقاصُر هممهم عن استيفاء أداتها : لتغلب الأعاجم من الديلم البُوَيهيين والترك السَّلجُوقيين عَلَى سلطان الخلفاء فى الشرق ، وتغلب البربر على شمالىّ افريقية والأندلس فى الغرب ، فلم يَعُدْ فى الملوك والأمراء من يعنيهم أمرُ العربية وبلاغتها . وما زالت كذلك حتى سقطت الدَّولة العباسية على أيدى الاعاجم من التتار فكان ذلك عصرًا ابتداء اضمحلال الكتابة واللغة

﴿ الكُتّاب ﴾

كان أكثر كُتّاب المشرق فى هذا العصر من سلائلَ فارسيّة أو سواديّة وقد بلغوا بحذقهم سياسةَ الملك ونبوغهم فى البلاغة أن ارتقوْا عند خلفاء العباسيين الى مرتبة الوزارة — وأول كاتبٍ منهم ارتقى اليها هو أبو سَلمةَ الخَلّالُ . وأشهرُ من بلغ نفوذُه وسلطانُه مبلغًا زاحم فيه الخليفة يحيى بن خالد بن برمك وابناه جعفرٌ والفضلُ ، ثم محمدُ بن الزيات فى زمن المعتصم والواثق . وكان كُتّابُ الأندلس والمغرب أكثرهم من سلائل عربية . ومن أشهر كُتّاب هذا العصر فى الشرق ابن المقفّع ، ويحيى بن خالد بن برمك ، وابناه : جعفر والفضل ، واسماعيل بن صبيح ، وعمرو بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن الزيات ، والحسن بن وهب وعلى بن الفرات ، وابن مقلة ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمى ، والبديع ، والصابى ، والعماد الكاتب ، والقاضى الفاضل

ومن أشهر كُتّابه فى الأندلس ابنُ شُهَيد ، وأبو المُطرّف بن عميرة ، وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب

﴿ ابن المُقَفَّع ﴾

هو أبو محمد عبد الله بن المُقَفَّع أحد فحول البلاغة وثانى اثنين مهّدا للناس طريق الترسُّل . ورفعا لهم معالِمَ صِناعة الانشاء أولهُما « عبدُ الحميد »

نشأ بن المقفع بين أحياء العرب . فكان أبوه دَاذَوَيْهِ المقفّعُ الفارسى يعمل فى جباية الخراج لوُلاة العراق من قِبَل بنى أمية ، وهو على دين المجوسية ووُلد له ابنه هذا حوالىْ سنة ١٠٦ هـ وسمّاه (رَوْزَ بَة) فنشأ بالبَصرة . وهى يومئذ حلْبَة العرب ومُنْتَدَى البلغاء والخطباء والشعراء . فكان لكلّ ذلك (فوق ذكائه المفرط وتأديبِ أبيهِ له) أعظمُ أثرٍ فى تربيته وتهيئتهِ لأن يصيرَ من أكبر كُتاب العربية وعُلمائها وأدبائها والمترجمين اليها . وقد أسلم بمحضر من الناس وتسمّى « عبد الله » وتكنى بأبى محمد ـ وكان نادرة فى الذكاء . غاية فى جمع علوم اللغه والحكمة وتاريخ الفرس متأدبًا متعففًا قليلَ الاختلاط الاّ بمن على شاكلته كثيرَ الوفاء لأصحابه

وكان أُمّةً فى البلاغه ورَصانة القول وشرَف المعانى إلى بيانِ غرضٍ وسُهولة لفظٍ ورَشَاقةِ اساوبٍ . ولا توُصَفُ بلاغته بأحسنَ مما وصف هو البلاغَةَ حيث يقول (البلاغة هى التى اذا سمِعها الجاهلُ ظن أنه يحسنُ مثلَها)

ومن رسائله أنه عزّى بعضهم فقال :

(أما بعد) فان أمرَ الآخرة والدنيا بيد الله هو يُدَبّرهما ويقضى فيهما مايشاء لا رادّ لقضائه ولا مُعقِّبَ لحُكمه فان الله خلق الخلقَ بقدرته . ثم كتب عليهم الموتَ بعد الحياة لئلاّ يطمعَ أحدٌ من خلقه فى خُلْد الدنيا ووقّت لكلّ شىء ميقاتَ أجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليس أحد من خلقه إلا وهو مستيقن بالموت لا يرجو أن يخلصَه من ذلك أحد . نسأل الله تعالى خيرَ المنقلب

وبلغنى وفاة فلان فكانت وفاتُه من المصائب العظام التى يُحتَسَبُ ثوابها من ربنا الذى اليه منقلَبُنا ومَعادُنا وعليه ثوابُنا

فعليك بتقوى الله والصبْرِ وحسنِ الظنّ بالله فانّه جعل لاهل الصبر صلوات منهُ ورحمةً وجعلهم من المهتدين

وقد ترجم كتباً عديدة من أشهرها كتاب كليلة ودِمْنة وقيل ان هذا الكتاب من وضع ابن المقفع وهو قول مقبول لا بأس به — وله كتاب الادب الكبير والأدب الصغير والدرة اليتيمة ـ وقتله والى البصرة سفيان بن معاوية سنة ١٤٢ هـ لاتهامه بالزندقة والكيد للاسلام بترجمة كتب الزندقة

﴿ ابراهيم الصُّولى ﴾

هو أبو اسحق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صُول كاتب العراق وأشعر أصحاب المقطَّمات . نشأ ببغداد فتلقّى العلم والادب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر فى حداثته ، فبرع فيه ، وتكسَّب به . ورحل الى العُمّال والامراء يمدحهُم ويستميح جَدْواهم . ثم قصد الفضلَ بن سهل وزيرَ المأمون أيام مُقامه معه بخراسان ومدحه فوهب له ولى العهد عشرة آلاف درهم . وجعله الفضل كاتباً لاحد قُواده ـ وبقى يَنْتقل فى أعمال النواحى والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز فتحامل عليه وزيرُه ابن الزيات فعزله وسجنه بها . فكتب اليه يستعطفه ، فلم يزددْ بذلك الاّ جفاءً وغلظةً ، ثم اطلع الواثق على ذلك فأطلقه . وتولى ديوان الضِّياع والنفقات فى خلافة المتوكل ومات سنة ٢٤٢ هـ . ـ ومن رسائل تعزية عن لسان المنتصر بالله الى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين « أما بعد » تولى الله توفيقك وحِياطتَكَ ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك إن أفضلَ النِعَم نعمة تُلُقّيتْ بحق

الله فيها من الشكر وأوفرَ حادثة ثوابًا حادثةٌ أُدِّيَ حقُّ الله فيهامن الرضاوالتسليم والصبر . ومثالُك من قدَّمَ مايجبُ لله عليهِ فى نِعمَةٍ فشكرَها وفى مصيبةٍ فأطاعه فيها وقد قضى اللهُ سبحانهوتعالى في محمد بن اسحق مولى أمير المؤمنين « عفا الله عنه » قضاءه السابقَ والموقعَ . وفى ثواب الله و رضا أمير المؤمنين « أدلم الله عزه » وتقديم ما يُقدِّمُ مثله أهلُ الحجا والفَهم ما اعتاضه معتاضٌ وقدّمه موفقٌ فليكن اللهُ « عزَّ وجل » وما أطعته به وقدّمتَ حقّه فيه أولى بك في الامور كلها فانك إن تتقربْ اليهِ في المكروه بطاعته يُحْسِنْ ولايتك فى توفيقك لشكر نِعَمه عندك

﴿ ابن العَميد ﴾

هو الأُستاذُ الرئيسُ الوزيرُ أبو الفضل محمدُ بن الحسينِ العميدِ كاتب المشرق وعمادُ ملك آل بُوَيْهٍ وصدرُ وزرائهم — نشأ شغوفًا بمعرفة العلوم العقلية واللّسانية فبَرَع فى علوم الحكمة والنجوم ونبغ في الادب والكتابة حتى قيل فيه . (بُدِئت الكتابة بعبد الحميد وختمتْ بابنِ العميد) ثم رحل عن أبيه الى آل بُوَيْه وتقلّد شريف الاعمال فى دولتهم الى أن تولى وزارة ركن الدولة سنة ٣٢٨ فساس دولتَه ووطّد أركانها وتشبّه بالبرامكة ففتح بابهُ للعلماء والفلاسفة والشعراء والادباء وكان

(بقية خلفاء العباسيين)

عبد الله المستكفي بالله	(٣٣٣ — ٣٣٤)	المنصور الراشد	(٥٢٩ — ٥٣٠)
القاسم المطيع لله	(٣٣٤ — ٣٦٣)	محمد المقتفي لامر الله	(٥٣٠ — ٥٥٥)
ابو بكر الطائع لله	(٣٦٣ — ٣٨١)	يوسف المستنجد بالله	(٥٥٥ — ٥٦٦)
احمد القادر بالله	(٣٨١ — ٤٢٢)	حسن المستضيء بأمر الله	(٥٦٦ — ٥٧٥)
عبد الله القائم بأمر الله	(٤٢٢ — ٤٦٧)	احمد الناصر لدين الله	(٥٧٥ — ٦٢٢)
عبد الله المقتدي بأمر الله	(٤٦٧ — ٤٨٧)	محمد الظاهر بأمر الله	(٦٢٢ — ٦٢٣)
احمد المستظهر بالله	(٤٨٧ — ٥١٢)	منصور المستنصر بالله	(٦٢٣ — ٦٤٠)
فضل المسترشد بالله	(٥١٢ — ٥٢٩)	عبد الله المستعصم بالله	(٦٤٠ — ٦٥٦)

يشاركهم في كل ما يعلمون الا الفقه وما زال في وزارته محطّ الرّحال وكعبةَ الآمال حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ

ومن رسائله — كتابي اليك وأنا بحال لو لم يُنَغّصها الشوق اليك ولم يُرَنّق صفوَها النّزوعُ نحوك لعددتها من الاحوال الجميلة ، وأعددت حظي منها في النعم الجليلة . فقد جمعت فيها بين سلامة عامة . ونعمة تامة . وحظيت منها في جسمي بصلاح وفي سعيي بنجاح ، لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدي عنك ويخلو ذرعي مع خلوّي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي وناظم لشمل أنسي وقد حُرِمت رؤيتك وعدمت مشاهدتك وهل تسكن نفس متشعّبة ذاتُ انقسام وينفع انسُ بيت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلني الله فداءك فامتلأتُ سروراً بملاحظة خطك وتأمل تصرفك في لفظك وما أقرظها فكل خصالك مقرظ عندي . وما أمدحها فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقدي

وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديري فيك فان كان كذلك والا فقد غطّى هواك وما ألقى على بصري

﴿ الصاحب بن عَبّاد ﴾

هو كافي الكُفَاة أبو القاسم اسمعيل الصاحب بنُ عَبّاد وزيرُ آل بُوَيه ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالَقَان قزوين . وتعلّمَ العلم والادبَ من أبيه ، ثم اتّصل بابن العَميد ، فلزِمَ صُحْبتَه وأخذ عنهُ الادبَ ، وتولّى له كتابة خاصّته ثم تنقّلت به الاحوال في خدمة ملوك بني بُوَيه ، فكان وزيراً لِمُؤَيّد الدّولة ثم لاخيه فخر الدولة ، وله في ملكها اليدُ المطلقة والامرُ النافذُ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ — و يُعَدّ

ابن عبّاد فى الكتابة ثانىَ ابن العميد في حَلْبته وأبلغ من سلك طريقته، غير أنه أُولعَ بالسجع والجناس، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والادب مبلغهما، ولا حلّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما - ومن رسائله ما كتب به الى بعض السادة وقد أهدى الى ابن عبّاد مُصْحفا

البرّ « أدام الله السيّد » أنواعٌ ، تَطُولُ به أبواعٌ ، وتقصر عنه أبواع فان يكنْ فيها ما هو أكرمُ منصباً وأشرف منسباً فتحفةُ السيّد إذ أهدى ما لا تشا كلهُ النّعَمُ ولا تعادله القيَمُ : كتابَ الله وبيانَه وكلامَهُ وفُرقانه ووحيَهُ وتنزيلَه وهُداه وسبيلَهُ ومعجزَ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ودليلَهُ طبَع دون معارضة على الشفاه وختم على الخواطر والافواه فقصر عنه الثقَلان وبقِيَ ما بقِيَ الملَوَان . لائحٌ سراجُه . واضحٌ منهاجُه . منيرٌ دليلهُ . عميقٌ تأويلهُ يقصم كلّ شيطانٍ مريدٍ ويذِلُّ كلّ جبارٍ عنيدٍ وفضائلُ القرآن لا تُحصي في مُطوّلات الأسفار فأصِفُ الخط الذى بهر الطرْفَ وفاق الوصف وجمع صحةَ الاقسام وزاد في نخوةِ الاقلامِ بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره وعينهُ فُراره وحقاً أقول انى لا أحْسَبُ أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعتَ وابتدع في استكتابها ما ابتدعت وان هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادةَ الفرْع على الغُرّة بل زيادةَ الحج على العُمرة

﴿ أبو بكر الخوَارَزْميّ ﴾

هو أبو بكر محمدُ بن العباس الخوارَزْميّ الكاتب الشاعر اللغوي الاديب الرّحّالة وُلد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها وكان ضليعاً في كل فن من فنون العربية وخاصة الكتابة والشعر - جاب الاقطار ودخل الامصار من الشام الى أقصى خراسان في

استفادة العلم والادب وافادتهما : وكان كثير الحفظ للشعر غزير المادة من اللغة

وتقلّب الخوارزمى في خدمة كثير من الملوك والامراء والوزراء حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور وطاب عيشهُ بها الى أن مُني في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهَمَذانى ومناظرته ومناضلته وأعانه عليه قوم من أعيان البَلْدة ووجوهها فانخذل الخوارزمي انخذالاً شديداً وكسفَ بالُه ولم يحُلْ عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ ﻫ

وكان الخوارزميُّ ممن يجري على طريقة ابن العميد في الكتابة مُتوخيّاً جزالة الالفاظ مُحتفلاً بصحّة المعانى مع مَيْل فيه الى الغريب — وتقدّم له كثير من الرسائل

﴿ بَديع الزّمان الهمذانى ﴾

هو أبو الفضل أحمدُ بن الحسين الكاتب المترسّل والشاعر المُبدِع : حافظ عصره — نشأ بهَمَذان ودرس العربيةَ والادبَ ونبغَ فيهما وضرب فى الارض يتكسّب بأدَبه ثم أقام بنيسابور مدّة أملى بها أربعمائة مَقامةٍ بلفظ رشيق وسجع رقيق ، وعلى منوالها نسَجَ الحريريُّ — ثم شجرَ بينَه وبين الخوارَزمى ما كان سببا في هبوب ريحه وبُعْد صِيته اذ لم يكن في الحُسْبان أن أحداً يجترىء على الخوارزمى

وبموت الخوارزمى خلا له الجوُّ عند الملوك والأمراء ، فتجوّل فى حواضرهم ، ثم استوطن هرَاة وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم باله ، ولكن المَنيَّةُ عاجلته وهو فى سن الاربعين سنة ٣٩٨ ﻫ وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات

« ابنُ زيدون »

هو الكاتبُ الشاعرُ ذو الوزارتين أبو الوَليد أحمدُ بنُ عبدالله المشهور بابن زيدون المخزومى الأَندلسيّ . نشأ فى مدينة قُرطُبة وتأدّب على كبار أئمتها وقال الشعر

وأجداده ـ ولما نبه شأنه بين شعراء قرطبة اتصل بأبى الوليد بن جَهْور أحد ملوك الطوائف ، فحُظِى عنده ومدحه حتى أصبحَ لسانَ دولتِهِ الناطقَ ، وحسامَها المسلولَ . فأفسد أعداؤه ما بينه و بين ابن جَهْور ، فاعتقله ومكث فى محبسه مدةً استشفع فيها اليه بقصائدَ أبدَعها ، ورسائلَ استنفدَ فيها جُهدَه ، فما ألانتْ له قلباً فأعملَ الحيلةَ فى فِراره من سجنه ، وخلَص الى المُعتَضِد بن عَبَّادٍ ملِك إشْبيلِيَة اذ كان أشدَّ ملوك الطوائف رغبةً فيه وأكثرهم تمسكاً بالأدباء ، فألقى اليه مقاليدَ وِزارته ، وأصبح صاحبَ أمره ونهْيِه ـ ولما مات المُعتضدُ وخلَفَه ابنهُ المُعتمِدُ كان له كما كان أبوه . وأغدق عليه برَّه ونعمته

ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات باشبيلية سنة ٤٦٣ هـ (راجع رسالته الجِدّية فى فن المكاتبات اذا شئت)

« القاضى الفاضل »

هو أبو على عبد الرحيم البَيْسانى اللَّخْمى وُلد بمدينة عسقلان سنة ٥٢٩ وتعلّمَ على أبيه وغيره . قدِم مصرَ وهو شابٌ أواخر الدولةِ الفاطمية وتعلّمَ فى ديوان ابن حديد قاضى الاسكندرية . وظهر فضله فيما كان يرسله الى القاهرة من الرسائل فاستُقدِم أيامَ الظافر اليها ، وكان من كُتّاب ديوانه ، ولازم خدمة أكابر القضاة والكُتّاب فى الديوان ، وأخذ عنهم ، وحاكاهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسَعة اطلاعه وغزارة مادته وسُرعة بديهته وصفاء خاطره

ولما سقطت الدولةُ الفاطميةُ تولّى وزارةَ صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردّد بين مصر والشام فى الحروب الصليبية ، ودبَّر المملكة أحسنَ تدبير وبقِىَ فى الوزارة حتى مات صلاح الدين فوَزَرَ لابنه العزيز على مصر . ثم وزَرَ من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ

ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عَيْذابَ الى صلاح الدين يتشفع له فى توليته خَطابة الكَرَك وهى :

أدام اللهُ السلطان الملكَ الناصرَ وثبّتَه، وتقبَّلَ عمله بقبول صالح وأثْبته وأخذ عدوَّه قائلا أو بيته ، وأرغم أنفَه بسيفه وكبْتَه

خدمةُ المملوكِ هذه واردةٌ على يدِ خطيب عَيْذاب . ولما نبا به المنزلُ عنها وقلَّ عليه المرفِقُ منها . وسمع هذه الفتوحات التي طبّق الارض ذكرُها . و وجب على أهلها شكرُها ـ هاجر من هجير عَيْذاب وملحها . ساريا في ليلة أملٍ كلها نهارٌ فلا يَسأل عن صبحها وقد رغِب فى خطَابة الكَرَك وهو خطيبٌ ، وتوسّل بالمملوك فى هذا الملتمَس وهو قريب ، ونَزَع من مصر الى الشام وعن عَيذاب الى الكَرَك وهذا عجيب والفقر سائق عنيف ، والمذكور عائل ضعيف و لُطفُ الله بالخلق بوجود مولانا لطيف والسلام

(التّدوين والتّصنيف)

كانت الحاجة الى التدوين قد اشتدّت في مبدإ الدولة العباسية لاتّساع ممالك الاسلام فهبَّ العلماء الى تهذيب ما كُتبَ في الصُّحُفِ المتفرّقة وما حفظوه فى الصدور ورتّبوه و بوّبوهُ وصنّفوه كُتُباً ، وكان من أقوى الاسباب لاقبال العلماء على التصنيف حث الخليفةِ أبى جعفر المنصورِ عليه وحَمْلُه الائمة والفقهاء على جمع الحديث والفقه ولم يقتصر على مُعاضدة العلوم الاسلامية بل أوْعزَ الى العلماء والمترجمين أن ينقلوا الى العربية من الفارسية واليونانية فنونَ الطبّ والسّياسة والحِكمة والفلَك والتّنجيم والآداب وتابَعه في ذلك أولادُه وأحفاده حتى زخَرَتْ بحورُ العلم واختُرِعَتْ الفنونُ وتفرّعت المسائلُ ودُوّنَت الكتبُ فى كلّ فنّ

(كتابة التّصنيف والتّدوين)

وكانت كتابة التّصنيف والتّدوين في القرن الاول وبعض الثاني من النّهضة عبارةً عن سلسلةٍ من الروايات المسندةِ إلى رُواتها ــ وبعضها يُرْوى بلفظ أصحابها غالبًا : كما في الشعر والخطب والرسائل ، وبعضُها بلفظ الراوي كما في أخبار الفُتُوح والتاريخ والقصص ، ثم ظهرت بعد ذلك في العلوم الشرعية واللسانيّة طبقاتُ الاستنباطِ والتعليل والتفريع والشرح والاختصار وجمع الفروع تحت كلّيات عامة فلم يكن المؤلّفين بُدٌّ من حذفِ أسانيد الروايات وتركِ المحافظة على نقلها بلفظها إلاّ في الحديث ونحوه

أما كتب العلوم المترجمةُ فكانت عبارتُها هي تفسيرَ ألفاظها الأعجمية بالعربية ، ولم تكن ترجمتها جيدةً في عصر المنصور ، ثم صُححت ترجمتها في زمن الرشيد والمأمون ــ ثم لما أتقنَ كثيرٌ من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعباراتهم ، وكانت أولَ أمرها بليغةً مفهومةً ثم عمّوْها على بعض الفقهاء المكفِرِين لهم والمُغرِين الأُمراء والسلاطين بقتلهم ، حتى أصبحت عبارةُ كتب الفلسفة والتوحيدِ أصعبَ ما يقرأ باللّسان العربي

(العلوم اللّسانية ونشأتها)

العلوم اللّسانية هي الأدب والتاريخ والبيان والنحو واللغة [illegible] علم الأدب [illegible] كانت كتبه في أول نشأتها [illegible] رسائل [illegible] منها في ضربٍ خاصٍ من ضروبه ، كرسائل ابن المقفّع ورسائل سهل بن هرون في الأخلاق وكتاب النوادر ، وكتاب الأراجيز ، وكتاب الشعر للأصمعي ، وكتاب الشعر والشعراء لأبي عُبَيدة ، واذا تابعنا من يقول إن ابن المقفّع هو الذي ابتدع

كتابَ كليلة ودمنةَ ونحلَه الهندَ والفرسَ كان هـذا الكتابُ أولَ كتاب ظهر فى الأدب العربىّ الخاصّ بموضوعٍ واحد — وأوّلُ كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة منهُ كتابُ البيان والتبيين . وكتابُ الحيوان للجاحظ ـ واقتفى أثره أحمد بن طيفور فى كتابه العظيم المنظوم والمنثورِ فى أربعةَ عشرَ جزءاً

ثم ابو العباس محمد المبرَّد ، فى الكامل والروضة ـ ثم أبو حنيفة الدّينَوري . وابو بكر محمد الصُّولى . وابن قُتَيْبَةَ صاحب أدب الكاتب. وابن عبد ربه صاحب العقدالفريد ! وابوعلي القالى صاحب الامالى ، وابوالفرج الاصبهانى صاحب الاغانى وغيرهم ـ ومن اشهر المؤلفين فى الادب الجاحظ ، واحمدبن عبد ربه ، والحريري: وهاهى ترجمتهم

﴿ الجاحظ ﴾

هو إمام الادب ابو عثمانَ عَمرٌو الجاحظ بنُ بَحْرِ بنِ محبوب الكنانى البصرىّ وُلِد حوالَىْ سنة ١٦٠ بمدينة البَصرة . ونشأ بها فتناول كلَّ فن ومارس كل علم عُرِفَ في زمانهِ مما وُضعَ في الإسلام أو نُقل عن الامم الاوائل فأصبح له مشاركةٌ في عِلْمِ كلّ ما يقع عليه الحِسُّ او يخطرُ بالبال فهو راويةٌ متكلمٌ فيلسوفٌ كاتبٌ مُصنِّفٌ مُتَرَسِّلٌ شاعرمؤرِّخٌ عالمٌ بالحيوان والنبات والمَوَات، وصَّافٌ لأحوال النّاس ووجوهِ معايشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحيَلِهم — الاّ أنه غلبَ عليهِ أمران : الكلام على طريقة المعتزلة : والأدب الممزوجُ بالفلسفة والفُكاهة : وكان غايةً فى الذّكاء ودِقّة الحسّ وحسن الفِراسة : وكان سَمْحاً جواداً كثير المُواساةِ لأخوانه : وكان على دَمامة خلقهِ وتناقُض خُلُقهِ خفيف الرُّوح فكِه المجلس غاية في الظُّرف وطيب الفُكاهة وحلاوة الكلام — وهو على الجملة أحدُ أفذاذ العالَم وإحدى حُجَج اللسان العربيّ — وأقام الجاحظُ أكثرَ عُمره بالبَصرة يعيش

مَعيشةَ الأُدباء والعلماء محبوبًا لوُلاَتها وأعيانها محبُوًّا منهم بالعطايا والمِنح بما يُصنّفه لهم من الكتب المتفقة مع أهوائهم المختلفة — وكان كثير الانتجاع للخلفاء ببغداد وسُرَّ من رأى حتي فلِج بالبصرة وبقي مفلوجاً بهامدَّة إلى أن انتقل إلى بغداد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران (ام الرشيد) سنة ٢٥٥ ﻫ وله أكثر من مائتى كتاب

﴿ أحمد بن عبد ربه ﴾

هو أديبُ الأندلسِ وشاعرُها أبو عُمَر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه القُرطبيُّ ولد سنة ٢٤٦ ﻫ ونشأ بمدينة قُرطبة ودرسَ علومَ العربيةِ فنبغ فى جميعها . وحفِظ منها ما لم يحفظه أحدٌ من علماء زمانه وقرأ رسائلَ المُحدَثين من المشارقة وما تُرجِم من كتب الاوائل فى أكثر العلوم، وأودعَ زُبْدَةَ ذلك في « كتابه العقد الفريد » وكان يشتغل فى حَدَاثته بالشعر ويجْرى فى مضمار اللهو والطرب ونظم فى ذلك من القصائد والمُقَطَّعاتِ الرقيقةِ الجيلةِ ما جعلَ المُتَنَبى على صَلفه وكِبْره حينَ سمع شعرَه يُسَمّيهِ (مليحَ الاندلس) ثم أقلعَ فى كِبَره عن صَبْوَته وأخلصَ للهِ فى تَوْبته : فاعتدّ أشعارَه التي قالها فى الغَزَل واللهو عملًا باطلاً : وعملَ على أعاريضها وقوافيها قصائدَ فى الزُّهد يُعارضها بها ، وسمّاها المُمَحِّصات ، ونال من خلفاء بنى أمية بالاندلس قبولاً وحلّ عندَهم فى المكان الأسمى ـ وبَقِىَ بقُرطبة رئيساً مُسوّداً حتى فُلج وعاش كذلك عِدَّةَ سنين ثم مات بها سنة ٣٢٨ ﻫ

﴿ الحريريُّ ﴾

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريرى ـ الكاتب الشاعر اللغوى النحوى صاحب البدائع المأثورة فى مقاماته المشهورة التى نسجها على مِنوال مقامات بديع الزّمان الهمَذَاني ـ وأنشأ خمسين مقامةً أتى فيها على كثير من موادّ اللغة

وفنون الادب وأمثال العرب وحِكَمِها بعبارة مُسَجَّعة مزيَّنةٍ بأنواع البديع، ولاسيما الجناسِ ترغيباً للطلاب في حفظ اللغة وأدبها وتفكيهاً لهم بمطالعتها — ونَحَل وقائعها أبا زيدٍ السَّرُوجي وهو أعرابيٌّ فصيحٌ من سَرُوج كان قد قدِم البصرة واعجب به علماؤها، وسمى راويها عنه الحارثَ بن همَّام (يُريدُ نفسَه) وأهداها إلى الوزير جمال الدين بن صدَقة وزير المسترشد العباسي، وله غير المقامات شعرٌ كثير ورسائل بديعة وكتب في النحو واللغة منها كتابه دُرَّة الغوَّاص في أوهام الخواص ومُلحةُ الإعراب في النحو — وتُوفِّيَ بالبصرة سنة ٥١٥ هـ

﴿ فن التاريخ ﴾

أوّل ما وُضع في التاريخ باللغة العربية الكتاب الذي وضعه عُبَيدُ بن شَرْيةَ لمعاوية وفي صدر الدولة العباسية وضعَ كثيرٌ من العلماء كتباً في التاريخ بأقسامه التي من أشهرها

(١) فن السير والمغازي — وأشهر من ألَّف فيه من الاوائل محمد بن اسحق

(٢) فن الفتوح — وأشهر من ألَّف فيه منهم الواقدي والمدائني وأبو مخْنَفٍ

(٣) فن طبقات الرجال — وأشهر علمائه ابن سعد كاتب الواقدي والبُخاري

(٤) فن النسب — وأشهر قدماء علمائه الكلبي وابنه

(٥) فن أخبار العرب وأيامها — وأشهر علمائه أبو عُبيدة والأصمعي

(٦) قصص الانبياء — وكتب فيه كثيرون

(٧) تاريخ الملوك — ومن أقدم من كتب فيه ابن قُتيبة والهيثَم بن عديّ وابن واضح اليعقوبي — ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبري الجامع كتابه هذه الفنون السابقة مرتباً على حسب السنين الهجرية

وحاكاه بعده ابن الاثير في تاريخه الكامل

العروض والقافية

أوّلُ من اخترع علم العروض الخليلُ بن أحمدَ من غير سابقة تعلُّم على استاذ أو تدرُّج في وضع بل ابتدعهُ وحصَر فيه أوزانَ العرب في خمسة عشر بحراً وزاد عليه تلميذُ تلميذِه الاخفشُ بحراً آخرَ ـ ثم لم يزد عليهما أحد شيئًا يعتدّ بهِ

أما القافية فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها ـ ولكن الخليلَ هو أول من فصل الكلام فيها وجعلها علمًا مدوّنًا

النّحو

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يُدرَس في المَعاهد ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصرف

ومن أكبر الائمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذّبوه من البصريين أبو عمرو بن العلاء وتلميذه الخليل وتلميذ الخليل سِيبَوَيه الواضع لأول كتاب جامع في النّحو ثم بعده الأخفش شارح كتابه

ومن الكوفيين مُعاذٌ الهَرّاء والرُّؤاسيّ وتلميذهما الكسائىُّ وتلميذه الفرّاء

علم اللغة

ويُسمّى متنَ اللغة ، ويَعني به معرفةَ معانى ألفاظها المفردة . وأوّل ما وضع الائمة فيه رسائلُ وكتبٌ صغيرةٌ في موضوعات خاصّة ، فلما ظهر الخليلُ أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسابية في كتاب ، ورتّبه على حروف المعجم مقدّماً حروفَ الحلق ومبتدئًا منها بالعين ولذلك سمّى معجَمه « كتابَ العين » ثم ألف أبو بكر ابن دُريد معجمه العظيمَ الذى سماه (الجَمْهَرَةَ) مرتّبًا له على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن . وأدرك عصرَه الازهريُّ فألف كتاب (التهذيب) على ترتيب الخليل ثم وضع الجوهريُّ كتابه المسمى (بالصّحاح) على ترتيب الجمهرة

وابن سيده الاندلسى كتابه (المُحْكَم) على ترتيب الخليل وابن فارس كتابه (المجْمل) والصاحب بن عَبّاد كتابه (المحيط) وهذه هى أصول كتب اللغة وما بعدها من (العُباب والتكملة ومجمع البحرين) للصاغانى ، والنهاية لابن الأثير ولسان العرب لابن مُكرّم ، والمصباح للفيومي والقاموس للفيروزابادى ، فهو جمع لها أو اختصار منها

﴿ علوم البلاغة — المعانى والبيان والبديع ﴾

أوّل كتاب دُوّن فى علم البيان كتاب (مجازِ القرآن) لابي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء — ولا يُعلم أوّل من ألف فى المعاني بالضبط ، وانما أُثر فيها كلامٌ عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ فى اعجاز القرآن وغيرِه — وأوّلُ مَنْ دوّن كتبًا في علم البديع ابن المُعتز وقُدَامة بن جعفر — وقبل ذلك كان البديع يُستعملَ فى الشعر عملا ، و بقيت هذه العلوم تتكامل و يزيد فيها العلماء حتى جاء فحلُ البلاغة عبدُ القاهر الجرجاني فألّف فى المعانى كتابَه دلائلَ الإعجاز وفى البيان كتابه أسرارَ البلاغة وجاء بعدَه السكاكيُّ فألّف كتابه العظيمَ مفتاحَ العلوم

﴿ الخليل بن أحمد ﴾

هو أبو عبد الرحمن الخليلُ بن أحمدَ بن عمرو بن تميم الفراهيدى الازدى البصرى مخترع العروضِ ، ومُبتكر المعْجمات ، و واضع الشكل العربى المستعمل الآن

ولد سنة ١٠٠ بالبصرة ونشأ بها وأخذ العربيةَ والحديثَ والقراءَة عن أئمة زمانه وأكثر الخروجَ الى البوادى ، وسمع الأعراب الفصحاء ، فنبغ في العربية نبوغًا لم يكن لاحدٍ ممن تقدّمه أو تأخر عنه ، وكان غايةً في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله وتمَنّ ذلك تلميذه سيبويه

ومما يشهدُ له بحدّة الفكر وبُعد النظر اختراعهُ العروضَ علماً كاملاً لم يحتج إلى تهذيب بعده ، وابتكارُه طريقةَ تدوين المعجمات بتأليف كتاب العين وتدوينه كتاباً دقيقاً فى الموسيقى على غير معرفة بلغة اجنبية واشتغال بلهو ، وزاد في الشّطرَنج قطعةً سماها جَمَلاً لعِبَ بها الناسُ زمناً، وبَقِىَ الخليلُ مُقيماً بالبصرة طولَ حياته زاهداً متعفِفاً مُكِبًا على العلم والتعليم حتى مات فى أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٤ هـ بصدمة فى دِعامة مسجد ارتجَّ منها دماغه

﴿ سِيبَوَيه ﴾

هو أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قنبَرَ — امام البصريين وحجة النحويين ولد بالبيضاء من سُلالة فارسية ونشأ بالبصرة وكان يطلب أوّلَ أمره الحديثَ والفقه فعيبت عليه لَحنَةٌ لَحنَها فى مجلس شيخه فخجل ، وطلَب النحو ولازم الخليل وأخذ عن غيره أيضاً وكان الخليلُ يؤثره على أصحابه ، فدوَّن جميعَ ما أخذه عنه ونقله عن غيره فى كتابه الذى لم يُجمَع قبله مثلُه ولولا هـذا (الـكتابُ) الذى رواه عنه وشرحه تلميذُه الأخفش ما كان لسيبويه خبر يشهرُ لوفاته كهلاً ولقلةمن أخذ عنه هذا الـكتابَ ولأنه لا يعرف له كتابٌ غيرُه وبحسبك هو — ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة ١٧٧ هـ

﴿ الكِسَائى ﴾

هو أبو الحسن على بن حمزة — أحد القراء السبعة وإمام الـكوفيين فى النحو واللغة — نشأ بالـكوفة وتعـلم على الـكبر بعد لحنةٍ لحنها أمامَ جمعٍ من طلبة العلم فلازم أئمة الـكوفة حتى أنفد ما عنـدهم ، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس فى حلقته ، وأعجبه علمه . فقال له : من أين علمك هذا قال من بوادى الحجاز ونجد

وتهامة فخرَج اليها ، وأنفدَ خمس عشرةَ قِنِّينة حبرٍ فى الكتابة عن العرب سوى ما حفِظَ عنهم . ولما رجع من البادية وجّه اليه المهدىُّ فخرج إلى بغداد فحظِىَ عنده وضمّه إلى حاشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيدُ مؤدِّبَ ولدِه الأمين ، فكان مُجالسُه هو والقاضىَ محمدَ بنَ الحسن صاحبَ أبى حنيفة على كرسيَّين متميزين بحضرته ، وما زالاَ على هذه الكرامة حتى خرج الرشيدُ إلى الرىّ وهما فى صحبته فماتا فى يوم واحد فبكاهما وقال دفنت الفقه والعربية بالرّىّ وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت اليه امامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد — وكان يروى الشعر وليس له فيه جيّدُ نظرٍ

﴿ العلوم الشرعية ﴾

التفسير — لم يُدوَّنْ فى كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلّها إلاّ فى عصر الدولة العباسية . وكان التفسيرُ عبارة عن نقل روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبيّن المرادَ من آياته ، وأوّلُ طبقةٍ من المفسرين أدركت الدولة العباسيةَ أو نشأت فى صدرها طبقةُ سفيانَ بن عُيَيْنةَ ووَكيع بن الجرّاح وشُعبةَ بن الحجاج واسحق بن راهَوَيْه ومُقاتِل بن سليمان والفرّاء

﴿ الحديث ﴾

أوّلُ كتابٍ جُمِعَ فى الحديث الكتابُ الذى أمر الخليفةُ الأمَوىّ عمر بن عبد العزيز بتدوينه ولم يعرف له خبرٌ بعدُ : ثم أخذ العلماء يدوّنون فيه بحضّ الخليفة أبى جعفر وأولاده ، فدوّنَ الإمامُ مالكٌ موطأهُ ـ ولما اشتدّتْ رغبةُ الناس فى طلب الحديث وضعَ كثيرٌ من الزّنادقة واليهود المتظاهرين بالاسلام كثيراً من الاحاديث فتجرّد لها الأئمةُ الأعلامُ وبيّنوا صحيحها من فاسدها كاسحق بن

رَاهويه وتلميذه محمدُ بن اسمعيلَ البخارى الذى دَوّنَ كتابه فى الاحاديث الصحاح فقط ، وتبعه تلميذه مسلمُ بن الحجاج ، والإمامُ احمدُ بنُ حنبل وأصحابُ كُتُب السنة الصحاح وهم ـ الترمذِىُّ وأبو داود والنسائى وابنُ ماجهْ ـ هذه هى اصول الكتب فى الحديث

﴿ الإمام البُخارى ﴾

هو أبو عبد الله محمدُ بن اسمعيلَ بن ابرهيم بن المُغيرة ، إمام المحدِّثين وصاحب الجامع الصحيح أجلّ كتبِ الإسلام بعدَ كتابِ الله العزيز

ولد ببُخَارى من سُلالة فارسية سنة ١٩٤ هـ ونشأ بها يتيماً فحَفِظَ القرآن وألم بالعربية وهو صبي وحُبّبَ اليهِ سماعُ الحديث فكان أولُ سماعه من عُلماء بخارى وهو لم يُناهزِ البلوغَ حتى حفظ عشراتِ الألوف من الأحاديث ودخل من أجله أكثر ممالك المشرق وأخذ عنهُ علماؤها وأئمتها ومنهم أحمدُ بن حنبل — وتفقه على مذهب الشافعى واستخرج كتابه « الجامعَ الصحيحَ » من ستمائة ألف حديثٍ فى ستّ عشرَةَ سنة جمع فيهِ تسعة آلاف حديثٍ مكرّرٍ بعضُها بتكرُّرِ وجوهها وقال إني جعلتهُ حجةً بيني و بين الله فأجمع علماء السنةِ على أنهُ لم يكن فيها أصحُّ منه ومات سنة ٢٥٦ هـ

﴿ علم الفقه ﴾

لمَّا كان المروىُّ عن رسول الله وظاهرُ نصّ القرآن لا يستوعبان كلّ أحكام الوقائع المختلفة المتجدِّدة بتجدّد الزمان والمكان كان الاجتهاد ضروريًّا فى الدين وجاءت الدولة العباسية وأهلُ الحجاز يرجّحون جانب الأخذ بالحديث لكثرة رُواتِه بينهم ، وإمامُهم فى مذهبهم مالكُ بن أنس ، وأهلُ العراق يرجحون الأخذ

بالقياس ، وإمامُهم في مذهبهم أبو حنيفة لكثرة ما وضعه متزندقة العراق في الحديث ثم لما دخل أهل الحجاز العراقَ وتساوى الفريقان في معرفة الأحاديث عملوا بهما ، ونشأ من ذلك عدّة مذاهب أشهرُها مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك ومذهبُ الشافعي ومذهب أحمد بن حنبل وهذه المذاهبُ الاربعة هي التي ارتضاها معظم الأمة في أمر دينها ودنياها : ثم كان لكل مذهب أئمةٌ مجتهدون فيه :

﴿ الامام أبو حنيفة النُّعمان ﴾

هو الإمام الأعظمُ أبو حنيفةَ النُّعمانُ بن ثابتٍ فقيهُ العراق — ولد سنة ٨٠ هـ من سلالة فارسية ونشأ بالكوفة وعاصرَ بعضَ الصحابة وأخذ كلّ علمه عمّن شافه الصحابة و نَقَلَ عنهم — وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجُّداً وقراءة للقرآن الكريم وأكثرهم وَرَعاً وتَوَخياً للكسب من وجه حلّ ، رَضِيَ أن يعيش تاجرَ خزّ ورغِبَ عن وظائف الملوك والخلفاء ، وعُرِضَ عليه القضاء من قِبَل أمراء بني أمية ثم المنصورِ فأبى فسجنه وآذاه حتى قيل إنه مات في سجنه وكان يعتذر بأنه لا يأمنُ نفسه أن تزلّ وقرأ عليه علماء الكوفة و بغداد وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمدِ بن الحسن وأبي يوسف وزُفَر — ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ واستنباط فقهه من القرآن والحديث مع استعمال الرأى والقياس

﴿ الامام مالك ﴾

هو أبو عبد الله مالك بن أنس امام دار الهجرة وسيد فقهاء الحجاز من سلالة عربيّة ولد سنة ٩٥ بالمدينة المنوَّرة ونشأ بها ، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعُبَّاد ورحَلَ اليهم وأخذ عنهم وما زال يدأب في التحصيل وجَمْعِ السنة حتى صار حجةً من حُجَج الله في أرضه وضُرِبَ به المثلُ فقيلَ (لا يُفْتَى ومالكٌ

بالمدينة) وعرَف الخلفاء قدرَه فأجلُّوه ، حتى أن الرشيدَ رحَل هو وأولادُه اليه بالحجاز ليسمعَ موطأه فسمِعه وأغدق عليه — وكان مالكٌ أوّلَ أمرِه فقيراً فلما كثرتْ منَحُ الخلفاء له حسن حاله فأظهرَ نعمة الله عليه ووصل أهلَ العلم وأشركهم فى ماله ومنهم الشافعى — وأخلاقه : من الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب لرسول الله عليه الصلاة والسلام تَجلّ عن الوصف حتى انه كان لا يركب دابةً في المدينة اجلالاً لارض ضمّت جسَد رسول الله وتوفي سنة ١٧٩ بالمدينة ودفن بالبقيع

﴿ الامام الشافعى ﴾

هو أبو عبد الله محمدُ بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع — عالمُ قريش وفخرها وامامُ الشريعة وحَبْرُها ، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف وِلد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ وحمل الى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها فقيراً تربيه امه ويواسيه ذوو قرابته من قريش ، حفِظَ القرآن وهو ابن تسعِ سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة ورحل الى البادية في تطلُّبها ولم يناهز سنَّ البلوغ حتى حفِظ منها شيئاً كثيراً ، ثم تفقّه وحفِظ مُوَطَّأَ مالكٍ وأفتى وهو ابن خمس عشرةَ سنة . ثم رحل فى هذه السن الى مالك وقرأ عليه الموطأ من حفظه فقال مالك : ان يكن أحدٌ يُفلِح فهذا الغلامُ . وأضافه وخدَمه بنفسه . ثم رجع الى مكة ، وعلّم بها العربية والفقهَ ، وصحّح عليه الأصمَعيُّ شعرَ الهُذليين ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه . وفى سنة ١٩٩ أو سنة ٢٠٠ هـ خرج الى مصر وسكن الفُسطاطَ فكانت دار هجرته ، وبها أملى مذهبَه بجامع عمرو — وتوفِّيَ سنة ٢٠٤ هـ

﴿ الامام أحمد بن حنبل ﴾

هو الامام الصابرُ المحتسِبُ أبو عبد الله احمدُ بن حَنْبل الشَّيباني وُلد ببغداد من سلالة عربية سنة ١٦٤ فتعلم العلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته حتى حفِظَ مئات الالوف من الاحاديث.واختار منها نيفًا واربعين الفَ حديث ضمّنها كتابَه المسندَ ، واستنبط مذهبَه من السُّنة مَشوبًا بشيء من القياس والرأى وظهرت فى مدّته فتنة خَلْق القرآن ، فامتُحِنَ بها في مجلس المعتصم ليجيبَهم الى القول بخلق القرآن فلم يفعل ، فضُربَ حتى أُغمي عليه ثم عُوفي واشتغل بالعلم والتّعليم ببغداد حتي مات سنة ٢٤١ هـ

﴿ علم الكلام ﴾

كان السَّلفُ الصالحُ من الصّحابة والتّابعين يستدلّون على عقائدهم بظاهر الكتاب والسُّنّة . وما وقع فيهما من المتشابه أو أوهم التّشبيه المنافي لتنْزيه المعبود توقَّفوا فيه خَوْفَ أن يحيد بهم فهمهم فى التأويل عن القصد — غيرَ أن ذلك لم يُقْنِعْ من دخل فى الاسلام فكثُرَ جدَلهم واضطر العلماء أن يعارضوهم وساعدهم الخلفاء وأوَّلهم المهدى الذى حرّضهم على تدوين علم الكلام « التوحيد » فافترق المرضىّ عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين ، فرقة اعتقدت ما يقرُب من مذهب السلف وسُمُّوا الجماعية أو أصحاب الحديث ، وفرقة اعتزلتها وخالفتها فى بعض المسائل وسُمُّوا المعتزلة أو أصحاب العدل ، وجرى رجالُ الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعرى فألف مذهبه الكلامي الذى سُمّى بعدُ بمذهب الاشاعرة وغلب على كل مذهب سواه إلاّ بعض مذاهب قليلة كمذاهب الشّيعة « و بقى كثير منها إلى الآن » ومذاهب الخوارج و بقى منهم إلى عصرنا بقية فى الجبل الاخضر من بُرقة وفى جزيرة جربة على ساحل تونس و ببلاد البحرين

﴿ أبو الحسن الأشعرى ﴾

هو أبو الحسن على بن اسمعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وامام المتكلمين وُلد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ — ونشأ بها وأخذ علم الكلام عن أبي علىّ الجُبائيّ شيخ المعتزلة وتبعهُ فى الاعتزال ، واحتجّ له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم هداه البحث . فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء ومن المعتزلة غَالٍ فى نظره ، فتوسّط ، وتغيّب عن الناس مدّة ألف فيها كتبه فى نصرة أهل السُّنّة والردّ على أكثر عقائد المعتزلة : وكان شافعيّ المذهب — توفى سنة ٣٢٤ هـ وممَّن نَصر مذهبه الفخر الرازى والغزالى وقاربه فى مذهبه القاضى أبو منصور الماتُريدى

﴿ الأمام الغزالى ﴾

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزّالى الطُّوسى الشافعى حجة الاسلام ولد سنة ٤٥٠ هـ ونشأ بطوس وتعلم بها مبادئ العلوم ثم رحل إلى نَيسْابور ، ولازم أمامَ الحرمين الجُوينى وهو يومئذ عالم الشافعية في الشرق فما زال يتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر متكلمى الأشاعرة وفقهاء الشافعية — ولما مات الجوينى ذهب إلى بغداد ولقي الوزيرَ نظامَ الملك صاحبَ المدرسة النِّظاميّة الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم وأقرّ له فحول العراق بالفضل فتولّى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات — ثم حجّ وذهب إلى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أنبيائها ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس واشتغل بتأليف الكتب الجليلة التي في مقدمتها كتاب « إحياء علوم الدين » ثم لزم التدريس بنيسابور ثم عاد إلى وطنه حيث مضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البرّ حتى مات بطوس سنة ٥٠٥ هـ.

﴿ نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها وأشهر المترجمين والمشتغلين بها ﴾

وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة وتشمل أربعة علوم ـ المنطق، والطبيعيّات والرياضيّات، والالهيات ـ وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة والكيمياء وفن المواليد الثلاثة والطب والصيدلة والفلاحة

وتشمل الرياضيّات علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات والحيل (الميكانيكا) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتّنجيم، ومن متعلقاته علم الجغرافيا الرياضية — ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق والموسيقى: وتشمل الآلهيات علم ما وراء الطبيعة من الروحانيات والمدركات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوى النفسية والجن والملائكة ونحو ذلك:

وهذه العلوم فطريّة فى الانسان من حيث أنه متفكر متمدين لا تختص بها أمة دون أخرى فكان الاشتغال بها ضروريًا لكل أمة أصبحت ذات حضارة ولذلك ترجم المسلمون بعضها فى عصر بنى أمية، واستقدم المنصورُ العباسىُّ كثيراً من الأطباء والمترجمين، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود فى الطبّ والفلك والسياسة — ولما مات المنصور فتَرَ أمر الترجمة الى زمن الرشيد والبرامكة فحثّوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية وصححوا بعض ما تُرجِمَ زمنَ المنصور — ثم جاء عصرُ المأمون فزخرتْ بحُورُ الترجمة، وبعث إلى بلاد الروم جماعةً من المترجمين كابن البطريق، وسَلْمٍ صاحب بيت الحكمة والحجاج بن مطر وحُنَيْن بن اسحاق فاختاروا كتبًا حملوها الى بغداد وتُرجمت وتعلمها الناسُ وصححوا أغلاطها واستدركوا عليها ولم يمضِ قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى بَرع المسلمون فى هذه العلوم كلها، وظهر منهم من الحكماء والفلاسفة مَنْ كاد يلحق فلاسفةَ

اليونان . ومن هؤلاء فيلسوفُ الإسلام والعرب أبو يوسفَ يعقوبُ بن اسحق بن الصبّاح الكندى وتلميذُه احمدُ بن الطيّب السرخسى وبنو موسى بن شاكر محمد واحمد والحسن أشهر رياضى هذا العصر — وأوّل المخترعين من المسلمين فى الحيل والهندسة ، ومحمد بن موسى الخوارزمى مخترع علم الجبر والمقابلة . ومذيع الحساب الهندى بين العرب

ثم ذهب طورُ الترجمة والتصحيح ـ وتلاه طورُ التأليف والتكميل والاختراع فأتى فيه بالعجب العجاب أبو نصر محمد بن محمد طَرْخان الفارابى الحكيم الكبير مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون ، والتى أستنبط الافرنج بحاكاتها آلة المِعزَف (البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب الكيميائى الشهير المتوفى سنة ٣٦٤ هـ والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو على الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ وأبو الريحان أحمد بن محمد البِيرُونى الفلكى الرياضى المقوِّم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

وكان لدولة الفواطم فى مصر اشتغال بهذه العلوم فاشتهر فى دولتهم فى الفلك والرياضيات ابن يونس وفى الطب ابن رضوان وغيرهما . ولم يُعْنَ أهل الأندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق ، وأشهر من نبغ منهم فيها أبو الوليد القاضى أحمد ابن رشد وأبو القاسم الزهراوى ، ومن كُتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبس أهل (أوربا) كثيراً من أصول مدنيتهم الحاضرة

﴿ الشعر والشعراء ﴾

قد كان للشعر عند الخلفاء والوزراء والقوّاد سوقٌ نافقةٌ حتى عند رؤساء الاعاجم من الدّيلم والترك — ودام كذلك الى انتهاء الدولة العباسية . وبهذه

العناية العظيمة بل وكثرة قائليه ومنتحليه تفنن الناس وأدخلوا عليه فنونا لم تعهد فيه واستعملوه في كل غرض حتى التعبد به — وتشكل أسلوبه وتنوعت معانيه بما يطابق أغراض استعماله

ولم يقصر الشعر على الموالي في صدر الدولة العباسية كالكتابة — بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحيانا ومن سلائل العرب بالامصار أخرى — غير أن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالي مثل بشار وأبي نواس ومسلم وأبي العتاهية وابن الرومي

ومن أشهر شعراء الامصار من العرب أبو تمام والبحتري وابن المعتز والمتنبي وأبو فراس وأبو العلاء المعري وابن هانئ الاندلسي والشريف الرضي

(١) بشار بن برد

هو أبو معاذ بشار المرعث بن برد — أشعر مخضرمي الدولتين ورأس الشعراء المحدثين ، وممهد طريق الاختراع والبديع للمتفننين ، وأحد البلغاء المكفوفين — وأصله من فرس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة فنشأ بشار فيهم واختلف الى الاعراب الضاربين بالبصرة حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر ، وكان أكمه مجدور الوجه قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ـ لا يألف ولا يؤلف

شعره — قد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشارا هو رأس المحدثين وأسبقهم الى معاطاة البديع وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل والهجاء وانه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة حتى عد شعره برزخا بين الشعر القديم والحديث ومجازا يعبر عليه

الشعرُ من مرابع البداوة الى مقاصير الحضارة — ومات سنة ١٦٨ ﻫ

ومن شعره فى المشورة والحِكم والنّصائح

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعن　　برأي نَصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ
ولا تجعل الشُّورى عليك غضاضةً　　فانّ الخوافى قوّةٌ للقوادمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسك الغُلُّ أختَها　　وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّد بقائمِ
وخلِّ الهُوَينى للضعيف ولا تكن　　نئُومًا فانّ الحرّ ليس بنائمِ

وقوله :

اذا كنتَ فى كلِّ الامور معاتبًا　　صديقَك لم تلقَ الذى لا تعاتبُهْ
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فانه　　مقارفُ ذنبٍ مرّةً ومجانبُهْ
اذا أنت لم تشرَبْ مرارًا على القذى　　ظمئتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربه

وقوله :

خليليَّ إن المالَ ليس بنافعٍ　　اذا لم ينلْ منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ اذا ضاقت عليَّ محلّةٌ　　تيممت أخرى ما عليَّ مضيقُ
وما خاب بين الله والناس عاملٌ　　له في التقى أو فى المحامد سُوق
وما ضاق فضلُ الله عن متعفِّفٍ　　ولكنَّ أخلاقَ الرجال تضيقُ

(٣) أبو نُوَاس

هو أبو عليّ الحسنُ بن هانئ ، الشاعرُ المتفنّن الجادُّ الماجنُ ، صاحبُ النادرة الطائرة ، والشعر السائر ، ورأس المحدّثين بعد بشار ، وهو فارسيّ الأصل

وُلِد بقريةٍ من كورة خوزستان سنة ١٤١ ﻫ ونشأ يتيماً فقدمت به أمّه البصرةَ بعد سنتين من مولده فتعلم العربية ورغبَ في الأدب فلم تعبأ أمّه بحاله وأسلمته الى

عطّار بالبصرة ، فمكث عنده لايفترُ عن مُعاناةِ الشّعر الى أن صادفه عند العطار « وَالبة بن الحباب» الشاعرُ الماجنُ الكوفيُّ في احدى قَدَماته الى البصرة فأعجب كلٌّ منهما بالآخر ، فأخرجهُ والبة معه الى الكوفة فبَقي معهُ ومع ندمائه من خُلَعاء الكوفة ، وتخرّج عليهم في الشعر وفاقهم جميعاً ، وبلغَ خبرُه الرشيدَ فأذن له في مَدْحه فمدحه بقصائد طنانة ، ثم انقطع الى مدح محمد الأمين وثبت عنده بعض مايوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد سنة ١٩٩ هـ

وكان أبو نواس جميلَ الصورة ، فَكِهَ المَحْضَر ، كثيرَ الدُّعابة ، حاضرَ البديهة ، متيناً في اللغة والشعر والأدب .

شعره — أكثرُ علماء الشعر ونقَدَتُه وفحول الشعراء على أن أبا نواس أشعرُ المحدَثين بعد بشار وأكثرهم تفنناً وأبدعُهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع معنى وأنه شاعرٌ مطبوع برّز في كلّ فن من فنون الشعر ، وامتاز من كل الشّعراء بقصائده الخمريات ومقطّعاته المجونيات . وكان شعرُه لِقَاحَ الفسادِ والقُدوةَ السيئة لنقلة الغزل من أوصاف المؤنث الى المذكر

ومن قوله لما حضرته الوَفاة :

يارَبِّ ان عظمت ذنوبي كثرةً فلقد عَلِمتُ بأن عفوَكَ أعظمُ
ان كان لايرجوكَ الاّ محسنٌ فبمن يلوذُ ويستجير المجرمُ
أدعوكَ ربِّ كما أمرت تضرُّعا فاذا رَدَدْتَ يدي فمن ذا يرحمُ ؟
مالي اليك وسيلة إلاّ الرّجا وجميلُ عفوك ثم إني مُسْلِمُ

(٣) مُسلم بن الوَليد

هو صَريع الغَواني أبو الوليد مُسلمُ بن الوليد الأنصاري ، أحدُ الشعراء

المفلقين – قال الشعر فى صباه ولم يتجاوزْ به الأمراء والرؤساء مكتفياً بما ينالُه من قليل العطاء ، ثم انقطع الى يزيد بن مَزْيَد الشَّيْبانى قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة هرونَ الرشيد ومدحه ومدح البرامكة وحَسُنَ رأيُهم فيه ولما أصبح الحلُّ والعقد بيد ذِى الرياستين : الفضل بن سهل وزير المأمون فى أوّل خلافته ، قرّبه وأدناه وولاّه أعمالاً بجُرْجان ، ثم الضياعَ بأصبهان . ولما قُتل الفضلُ لزم منزله ونسكَ ولم يمدح أحداً حتى مات بجُرْجان سنة ٢٠٨ هـ

شعره — قد تكلّف البديع فى شعره واستكثر منهُ فى قوله ، ومزَج كلامَ البدَويّين بكلام الحضَريين فضمّنه المعانى اللطيفةَ وكساه الألفاظ الظريفةَ . فله جزالةُ البدويّين ورِقةُ الحضريين

ومن جيد قوله :

يجودُ بالنّفس إن ضنّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

(٤) أبو العتَاهِية

هو أبو اسحقَ اسمعيلُ بن القاسمُ بن سُوَيْدٍ ، أطبعُ أهل زمانه شعراً وأكثرهم قولاً وأسهلهم لفظاً وأسرعهم بديهة وارتجالاً وأوّلُ من فتح للشعراء بابَ الوعظ والتزهيد فى الدنيا والنهى عن الاغترار بها وأكثر من الحكمة

ولد بالكوفة سنة ١٣٠ هـ ونشأ فى عمل أهله وكانوا باعةَ جِرار الا أنه ربأ بنفسه عن عملهم . وقال الشعرَ فى صباه وامتزج بلحمه ودمه فذاع صيتهُ وسلك طريق خلعاء الكوفة ثم قدم بغداد ومدح المهدىّ — ثم عرضت له حالٌ امتنع فيها عن قول الشعر حتى حبسه الرشيدُ لعدم تلبيته ما اقترحه عليه من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طَلِبَتَه وعاد إلى قول الشعر على عادته فيه ، وترك الغزلَ والهجاء وبقى

على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون حتى مات سنة ٢١١ هـ ببغداد
ومن شعره يمدح المهدى

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله أعمالها
وان الخليفة من بغض لا إليه ليبغض من قالها

وكتب على البديهة فى ظهر كتاب

ألا إننا كلنا بائد وأي بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم وكلٌّ إلى ربه عائد
فياعجباً كيف يعصى الالا ه أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكة وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(٥) ـ أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت بذكرهم الركبان . وخلد شعرهم الزمان . ثانيهم البحتري ، وثالثهم المتنبى ولد سنة ١٩٠ هـ بقرية جاسم من أعمال دمشق ونقل صغيراً الى مصر فنشأ بها فقيراً وكان يسقي الماء بالجرة فى جامع عمرو ـ وتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبغ فى قوله ، ثم خرج إلى مقر الخلافة فمدح المعتصم وحظي عنده ومدح وزيره محمد بن الزيات والحسن بن وهب الذى ولاه بريد الموصل فأقام بها الى

أن مات سنة ٢٣١ هـ

شعره — يُعَدُّ أبو تمّام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين ، انتهت اليه معانى المتقدمين والمتأخرين وظهر والدنيا قد مُلِئَتْ بترجمة علوم الأوائل وحِكَمِها فخصف عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها — وهو الذى مهّد طريق الحِكَم والامثال للمتنبي وأبى العلاء وغيرهما ، ولذلك كان يقال إن أبا تمام والمتنبي حكيمان — والشاعر البُحتري

وأجاد أبو تمام فى كل فن من فنون الشعر ، أما مراثيه فلم يعلق بها أحدٌ جاش صدره بشعر ، وأشهرها القصيدة التى رثى بها محمدَ بن حُمَيد الطائى ومنها

كذا فليَجِلَّ الخطبُ وليَفْدَحِ الأمْرُ ... فليسَ لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

تُوُفِّيتِ الآمالُ بعد محمد ... وأصبح فى شُغْلٍ عن السَّفْرِ السَّفْرُ

وما كان الأ مالَ من قلّ ماله ... وذخراً لمن أمسي وليس له ذخر

وما كان يدرى مجتدى جودِ كفِه ... اذا ما استهلّتْ أنهُ خُلِق العُسْرُ

ألاَ فى سبيل الله من عطّلت له ... فِجاجُ سبيل الله وانثغرَ الثغرُ

فتي كلّما فاضت عيون قبيلة ... دماً ضحكت عنهُ الأحاديث والذكر

فتى دهره شطران فيما ينوبُه ... ففي بأسه شطر وفى جوده شطر

فتى مات بين الطّعن والضرب ميتة ... تقوم مقامَ النصر إنْ فاته النصرُ

وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه ... من الضرب واعتلّت عليه القَنا السُّمْرُ

وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّه ... اليه الحِفاظ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ

ونفسٌ تَعافُ العارَ حتي كأنما ... هو الكفر يوم الرّوْع أو دُونه الكفر

فأثبتَ في مُسْتَنْقَعِ الموت رجلَه ... وقال لها من تحت أخْمَصِك الحشر

غدا غدْوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف الا وأكفانهُ الأجر

﴿ ٦ — البُحتُرِىّ ﴾

هو أبو عُبادةَ الوليدُ بن عُبَيْدٍ الطائىُّ أشعر الشُّعراء بعد أبي نُوَاس وُلد سنة ٢٠٦ هـ بناحية مَنْبج فى قبائل طيّ وغيرها من البدو الضاربين في شواطئ الفُرات ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحةُ العرب وخرج الى العراق وأقامَ في خدمة المتوكل والفتحِ ابن خاقان محترَماً عندهما إلى أن قُتلا فى مجلس كان هو حاضرَه فرجَع الى مَنْبج ، و بقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد وسُرّ مَنْ رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ :

وكان على فضله وفصاحته من أبخل خلق الله وأوسخِهم ثوبًا وأكثرِهم فخراً بشعره حتى كان يقول اذا أعجبه شعرهُ أحسنتُ والله ، و يقول للمستمعين : ما لكم لا تقولون أحسنت. والكثير على أنهُ لم يأت بعد أبي نُواس من هو أشعر من البُحتَرى ولا بعد البُحترى من هو أطبع منهُ عَلَى الشعر ولا أبدع منه فى الخيال الشعرى

شعره — كله بديع المعنى حسن الدّيباجة صقيل اللفظ ، سلس الأسلوب كأنهُ سيل ينحدر الى الأسماع مجوّداً فى كل غرض سوى الهجاء ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي واعتبروا أمثال أبي تمام والمتنبي والمعرى حكماء ، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الاصوات التى يتغنّى بها فى زمنه من شعره المطبوع فى ديوان حافل — ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل و يصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر وخطبته فى الناس

بالبرّ صُمتَ وأنتَ أفضل صائمٍ وبسُنَّة الله الرَّضيَّة تُفطرُ

فانعَمْ بيوم الفطر عَيْناً إنهُ يوم أغرُّ من الزمان مُشَهَّرُ

أظهرْتَ عزَّ الملك فيه بجَحْفَلٍ لَجِبٍ يُحاطُ الدّينُ فيه ويُنصَرُ

خِلنا الجبالَ تسير فيه وقد غدتْ عُدداً يسير بها العديدُ الأكثرُ

فالخيل تَصهَلُ والفوارسُ تدّعى ... والبيض تلمع والأَسنّةُ تزْهَرُ
والأَرضُ خاشعةٌ تَميد بثقلها ... والجَوُّ معتكِرُ الجوانب أغبرُ
والشمس طالعة تَوقّدُ فى الضحى ... طَوْراً ويطفئها العجاجُ الاكدرُ
حتى طلعتَ بضوء وجهك فانجلى ... ذاك الدُّجى وانجاب ذاك العِثْيَرُ
فافتنّ فيك الناظرون فإِصْبعٌ ... يُوماَ اليك بها وعينٌ تنظرُ
يجدون رؤيتَك التى فازوا بها ... من أنعُمِ الله التى لا تُكفَرُ
ذكروا بطلعتك النبىّ فهلّلوا ... لمّا طلعتَ من الصفوف وكبّرُوا
حتى انتهيْتَ الى المُصلّى لابساً ... نورَ الهدى يبدو عليكَ ويظهرُ
ومَشَيْتَ مِشْيَةَ خاشع متواضعٍ ... لله لا يُزْهَى ولا يتكبّرُ
فلوَ آن مُشتاقاً تَكلّف فوق ما ... فى وُسعه لسعى اليك المنْبرُ
أبديتَ من فصل الخطاب بحكمة ... تُنبى عن الحق المُبين وتُخبرُ
ووقفتَ في بُرْد النبىّ مذكِّراً ... بالله تُنذِر تارة وتُبشِّرُ

(٧) — ابن الرُّومى

هو أبو الحسن على بن العباس بن جُريج الرُّومى مولى بنى العباس الشاعر المكثر المطبوع، صاحب النظم العجيب، والتّوليد الغريب، والمعاني المخترعة والأهاجى المقذعة

ولد ببغداد سنة ٢٢١ ﻫ ونشأ بها، وأقام كل حياته، وكان كثير التطيُّر جداً وكان القاسمُ بن عبيد الله وزيرُ المعتز يخاف هجوه وفلتاتِ لسانه فسلّط عليه مَن دسّ له السّم فى الدّسم الى أن مات سنة ٢٨٣ ﻫ ببغداد، وآثاره متفرقة فى أبواب هذا الكتاب

شعره — قاله فى كل غرض ولا سيما الوصفِ والهجاء، ونَبغَ فى الشعر نبوغاً

لم يقصر به كثيراً عن درجة البحتري ، وربما فاقه في اختراع المعاني النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ، ووضعها في أحسن قالب — وله ديوان كبير

(٨) — ابن المعتز

هو أمير المؤمنين أبو العباس عبدُ الله بن أمير المؤمنين محمد المعتز بالله أشعر بني هاشم ، وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات

ولد سنة ٢٤٩ هـ في بيت الخلافة ، وتربّى تربية الملوك وأخذ عن المُبرّد وثعلب ومهر في كل علم يعرفه أئمة عصره وفلاسفة دهره حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كُتّابها وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة خشية أن يكفَّ أيديَهم عن الاستبداد بالملك ، وولّوا المقتدرَ صبيًّا ، ثم حدثت فتنٌ عظيمة فتسرّع محمد بن داود بن الجرّاح وجَمَع العلماء وخلعوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة على غير طلب منه . فلما رأى غِلمانُ المقتدر أن الامر سيخرج من أيديهم تآمروا على قتله وخُنِقَ من ليلته سنة ٢٩٦ هـ ، وآثاره متفرقة في هذا الكتاب .

(٩) أبو الطَّيّب المتَنَبّي

هو أبو الطّيبِ أحمدُ بنُ الحسين الجُعْفي الكِنْديّ الكوفيّ المتَنبّي الشاعر الحكيم ، وخاتم ثلاثة الشعراء ، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء

وهو من سلالة عربية من قبيلة جُعْفيّ بن سعد العشيرة احدى قبائل اليمانية

ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ في محلة كِنْدةَ ونشأ بها وأولع بتعلم العربية من صباه وكان أبوه سقّاء فخرج به الى الشام . ورأى أبو الطيب أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون الا بالمعيشة في البادية فخرج الى بادية بني كلب فأقام بينهم مدّة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فعظم شأنه بينهم . وكانت الأعراب الضاربون بمشارف

الشام شديدي الشغب على ولاتها فوشَى بعضهم الى لؤلؤ أمير حمص من قِبل الأخشيدية بأن أبا الطيب ادّعى النبوة فى بني كلب وتبعه منهم خلق كثير ويخشى على ملك الشام منه . فخرج لؤلؤ الى بنى كلب وحاربهم وقبض على المتنبى وسجنه طويلا ثم استتابه وأطلقه

فخرج من السجن وقد لصِق به اسم المتنبى مع كراهته له . ثم تكسّب بالشعر مدّة انتهت بلحاقه بسيف الدولة بن حَمْدان فمدحه بما خلّد اسمه أبد الدهر . وتعلم منه الفروسية وحضر معه وقائعه العظيمة مع الرُّوم حتى عُدَّ من أبطال القتال رجاء أن يكون صاحبَ دولة .

ثم قَصد كافوراً الأخشيدى أمير مصر ومدحه ووعده كافور أن يقلّده أمارة أو ولاية ـ ولكنهُ لما رأى تعاليه فى شعره وفخرَه بنفسه عدل أن يوليه . وعاتبه بعضهم فى ذلك فقال : ياقوم ، مَن ادعى النّبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدّعى المملكة بعد كافور ، فحسبكم فعاتبه أبو الطيب واستأذن فى الخروج من مصر فأبى . فتغفّله فى ليلة عيد النحر وخرج منها يريد الكوفة ومنها قصد عضدَ الدولة بن بويه بفارس ماراً ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صِلته وعاد الى بغداد . وخرج الى الكوفة فخرج عليه أعراب بني ضبّة وفيهم فاتك بن أبي جهل ، وكان المتنبي قد هجاه هجاء مقذعاً فقاتلهم قتالا شديداً حتى قتل المتنبى وابنه وغلامه سنة ٣٥٤ هـ

شعره ـ لاخلاف عند أهل الأدب فى أنه لم ينبغ بعد المتنبى فى الشعر من بلغ شأوه أو داناه. والمعرّى على بُعد غَوْره وفرط ذكائه وتوقّد خاطره وشدة تعمّقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبى الطيب ويقدّمه على نفسه وغيره . ومن قوله

اذا رأيتَ نُيوبَ الليث بارزةً فلا تظنّنَّ أنّ الليثَ يبتسمُ
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسبَ الشحم فيمن شحمهُ ورمُ
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظرةٍ اذا استوت عنده الأنوار والظُلَمُ
يامن يعزُّ علينا أن نفارقهمْ وجداننا كلَّ شيءٍ بعدَكم عدمُ
ان كان سرَّكُمُ ماقال حاسدنا فما لجرحٍ اذا أرضاكُمُ ألَمُ
وبيننا لو رعيتمْ ذاك معرفة ان المعارفَ في أهل النُّهى ذِممُ
كم تطلبون لنا عيباً فيُعجزُكم ويكره الله ماتأتون والكرمُ
اذا ترحلتَ عن قوم وقد قدروا ألاّ تفارقهمْ فالراحلون هُمُ

ومن قوله :

ذو العقلِ يَشقَى فى النّعيم بعقله وأخو الجهالةِ فى الشّقاوة ينعَمُ
لا يخدعنَّك من عدوٍّ دمعهُ وارحمْ شبابَك من عدوٍّ ترْحَمُ
لا يسلَم الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدّمُ
والظلمُ من شِيمَ النفوس فان تجدْ ذا عفّةٍ فلِعلّةٍ لا يظلِمُ
ومن البليّة عذلُ من لا يرعوى عن غيّه وخطابُ من لا يفهَمُ
ومن العداوة ما ينالُك نفعُهُ ومن الصّداقة ما يَضُرُّ ويؤْلِمُ

ومن قوله :

ما كنت أحسَبُ قبل دفنك فى الثّرى أن الكواكبَ فى التّراب تغورُ
ما كنت آملُ قبل نعيِك أن أرى رَضْوَى على أيدى الرجال يسير
خرجوا به ولكلّ باكٍ حولَه صعقاتُ موسى يومَ دُكَّ الطُّور
حتى أتوا جَدَثاً كأنّ ضريحه في كل قلب مُوحِّدٍ محفور

كفلَ الثناء له بردّ حياته لمّا انطوى فكأنه منشور

(١٠) — ابن هانيء الأندلسي

هو أبو القاسم محمدُ بن هانئ الأزديُّ الأندلسيُّ شاعرُ الغَرْب ومُتَنَبّيه والمؤثرُ لفخامةُ ألفاظه على رِقَّة معانيه ، وأحد المفرطين فى غلوّ المدح واستعمال الاستعارة والتشبيه

وُلِدَ بأشْبيليّة سنة ٣٢٦ ﻫ ولما نبُه شأنه اتصل بعامل اشبيلية زمن المستنصر الأموى ، ومدحه بغرر القصائد فأحلّه منه منزلة سنية وأغدق عليه العطايا فأكبَّ على اللهو والطّرب والاستهتار ، واتُّهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بالفلسفة

ولما شاع ذلك عنهُ نقَمه عليه أهلُ اشبيلية وأشركوا عاملها فى التُّهمة وكادوا يهمُّون به فأشار عليه بالهجرة من اشبيلية فاجتاز البحرَ الى عُدْوة المغرب ومدح وُلاته من قبل المعز الفاطمى ، ثم نُمى خبرُه الى المعز فوجّه فى طلبه فوفد عليه بأفريقية ومدحه فاصطفاه واتخذه شاعر دولته

ولما فتح جوهر مصر و بنى القاهرة ورحل اليها المعز ليتخذها دار ملكه شيّعه ابن هانئ ، ورجع لاخذ عياله والالتحاق به ، فتجهّز وتبعه ، فلما وصل الى بَرْقة مات بها سنة ٣٦٢ ﻫ — وعُمره ٣٦ سنة

شعره — لم ينبغ فى شعراء جزيرة الاندلس ولا برّ المغرب جميعهما من يفوق ابن هانئ فى صناعة الشعر أو يساويه فقد كان عندهم فى الشهرة والاجادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبى عند المشارقة ويسميه كثير من الادباء بمتنبى المغرب

ومن قوله فى وصف الخيل :

وصواهلٍ لا الهَضْبُ يوم مغَارها هَضْبٌ ولا البِيدُ الحُزون حُزُون

عُرِفَتْ بساعة سَبْقِها لا أنها علِقَتْ بها يومَ الرِّهان عيُون
وأجلُّ عِلم البرق فيها أنها مرَّت بجانحَتَيْه وهي ظنُون

ومن قوله الموهم الـكفر في مطلع قصيدة يمدح بها المعزّ :

ما شئتَ لا ما شاءتِ الاقدارُ فاحكم فأنت الواحدُ القهّار

(١١) — أبو العلاء المعرّى

هو أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سليمان المعرّى التنُوخى الشاعر الفيلسوف المتفنّن — وهو عربى النسب من قبيلة تَنُوخ من بطون قضاعة من بيت علم وقضاء وُلِد بمعرّة النعمان سنة ٣٩٨ هـ وجُدر فى الثالثة من عمره فـكُفَّ بصره وتعلّم على أبيه وغيره من أئمة زمانه ، وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرّة — وقال الشعر وعمره احدى عشرة سنة ، ودخل بغداد ، وأقبل عليه السيد المرتضى إقبالاً عظيماً ثم جفاه — ولما رجع الى المعرّة أقام ولم يبرح منزله ، ونَسَك وسمّى نفسه رهنَ المَحْبِسَيْنِ : محبِس العمى ومحبِس المنزل وبقى فيه مكبّاً على التدريس والتأليف ونظم الشعر مقتنعاً بعشرات من الدنانير فى العام يستغلها من عقار لهُ ، مجتنباً أكلَ الحيوان وما يخرجُ منه مدّة ٤٥ سنة ، مكتفياً بالنبات متعللاً بأنه فقيرٌ وأنه يرحم الحيوان . وعاش عزَبًا الى أن مات سنة ٤٤٩ هـ بالمعرة — وأوصى أن يكتب على قبره

هذا جناه أبي عليّ ي وما جنيتُ على أحد

شعره ـ وله كثير من الشعر يناقضُ بعضُهُ فى حقيقة العالَم والشرائع والمعبود وللناس فى اعتقاده أقوال كثيرة والظاهر أنه كان شاكاً متحيّراً وهو أحكم الشعراء بعد المتنبى و يفضل عليه فى الطبيعيات والاجتماعيات والاخلاق والقوانين والفلسفة والشرائع والاديان ـ ومن مراثيه قوله

غيرُ مُجْدٍ فى مِلّتى واعتقادى   نَوْحُ باكٍ ولا تَرنُّم شادِ
وشبيهٌ صوتُ النَّعِيِّ اذا قيـ   ـس بصوت البشير فى كل ناد
أبكَتْ تِلكمُ الحمامة ام غنـ   ـتْ على فرع غُصنها المياد
صاحِ هذى قبورُنا تملأ الرُّحْـ   ـبَ فأين القبورُ من عَهْد عاد
خفِّفِ الوطء ما أظنُّ أديم الـ   أرض الاّ من هذه الأجساد
وقبيحٌ بنا وإن قدُم العهْـ   ـد هوانُ الآباء والأجداد
ـسِر إن استطعتَ في الهواء رويْدًا   لا اختيالاً على رُفات العباد
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مِراراً   ضاحك من تزاحُم الأضداد
ودفينٍ على بقايا دفين   فى طويل الأزمان والآباد
فاسأل الفرقدَيْن عمن أحسّا   من قبيل وآنسا من بلاد
كَمْ أقاما على زوال نهار   وأنارا لمدلِجٍ فى سَواد
تَعَبٌ كلها الحياةُ فما أعـ   ـجَبُ الاّ من راغبٍ فى ازدياد
انّ حزنًا فى ساعة الموت أضعا   فُ سرورٍ فى ساعة الميلاد
خُلِق الناس للبقاء فضلّتْ   أُمةٌ يحسَبُونهم للنفادِ
انما يُنقلون من دار أعما   لٍ الى دار شِقْوَةٍ أو رشاد
ومنها : بانَ أمرُ الإلـه واختلف النا   س فداعٍ الى ضَلالٍ وهاد
والذى حارت البريةُ فيه   حيوان مستحدَثٌ من جماد
فاللبيبُ اللبيبُ من ليس يغترْ   رُ بكوْنٍ مَصيرُه للفساد

ومن قوله :

ضحكْنا وكان الضّحكُ منا سفاهةً   وحُقّ لسُكّان البسيطة أن يبكوا

تحطّمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يُعاد لنا سبك

﴿ ١٢ — ابن خَفاجة الأندلسى ﴾

هو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خَفاجة شاعر شرقيّ الاندلس وأشهر وُصّاف الطبيعة : ولد بجزيرة شُقْر من أعمال بَلَنْسِية سنة ٤٥٠ فتعلّم ونظم الشعر وكتب الرسائل الاخوانية البليغة ، وما زالت شمس أدبه فى صعود حتى صار واحد زمانه في الاندلس ـ وغلب على شعره وصف الحوادث الجوّية ومناظر الطبيعة : وله غزل رقيق ومدح بارع ورثاء بليغ

شعره ـ يمتاز بالجزالة وكثرة المعانى وازدحامها فى اللفظ حتى يحتاج فى فهمها الى التأمل على خلاف مذهب الاندلسيين فى ذلك: توفى سنة ٥٣٣ ﻫ : ومن قوله يصف زهرة

ومائسة تُزْهَى وقد خلع الحَيا عليها حِلًى حُمْراً وأردية خُضْراً

يذوب لها ريقُ الغمائم فِضّةً ويجمُدُ فى أعطافها ذهباً نَضْراً

وقوله: يأهل أندَلُسٍ لله دَرّكُمُ ماءٌ وظلٌّ وأنهارٌ وأشجارٌ

ما جنةُ الخلد الاّ فى ديارِكمُ ولو تخيّرتُ هذِى كنتُ أختارُ

لا تخشوا بعدَ ذا أنْ تدخلوا سقراً فليس تُدخَلُ بعد الجَنّة النّارُ

﴿ الرّواية والرّواة ﴾

جاءت الدولةُ العباسية وقد اتسع نِطاق الرواية واختصّ كلّ فريق من الناس برواية شيء : فلما دُوّنت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواةُ ما حفظوه فيها وأخذ أمر الرواية يضمحلّ شيئاً فشيئاً في أكثر العلوم ولا سيما الادب ثم اقتُصِرَ فى الرواية على تصحيح النطق والأداء — ولكل علم رواةٌ مشهورون وقد سبق الكلام على رواة العلوم والفنون فى تاريخ وضعها

وأما رُواة الادب والشعر خاصّة فأشهرهم حمّادٌ الراويةُ الكوفيُّ ، وخَلَفٌ الاحمرُ البَصْرِيُّ ، وأبو عمرو الشيبانيُّ الكوفيُّ ، والسكرىُّ البغداديُّ

ومن رواة الادب بجميع فنونه لغة وشعراً وأخباراً أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى ، والاصمعى ، وأبو زيد الانصارى ، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم ، ومحمد ابن سلاّم الجُمحى ، وغيرهم ـ وهاك ترجمة أشهرهم فى الرواية

﴿ الأَصْمَعِيُّ ﴾

هو شيخ رُواة الادب الامامُ الثَّبْتُ الحجة الثِّقة التقيُّ ، أبو سعيد عبدُ الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمَع الباهلي البصرى

ولد سنة ١٢٣ هـ ـ ونشأ بالبصرة فأخذ العربيةَ والحديث والقراءةَ عن أئمة البصرة وأخذ عن فصحاء الأعراب وأكثر الخروج الى البادية وشافه الأعراب وساكنهم وتعلّم من خلَفٍ الأحمرِ نقْدَ الشعر ومعانيه وكان أحفظَ أهل زمانه حتى قال مرةً إني أحفَظ اثنيْ عشَر ألف أرجوزةٍ فقال له رجلٌ : منها البيتُ والبيتان . فقال : ومنها المائة والمائتان . وعمّر حتى أدرك زمنَ المأمون . وأراد المأمونُ أن يُقدِمَه اليه فاعتذر بكبر السن . ومات سنة ٢١٦ هـ وله مؤلفات كثيرة

﴿ العصر الرابع عصر المماليك التركية ـ ٦٥٦ — ١٢٢٠ هـ ﴾

(حالة اللغة العربية وآدابها فى ذلك العصر)

لمّا اكتسح التتارُ ممالكَ الدولة العباسية افترقوا إلى ممالكَ متعدّدة بآسيا وشرقىّ أوربا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا وشرعوا يخدُمون الاسلامَ : بتقريب العلماء اليهم وترغيبهم فى التأليف ، فأفاد ذلك فى ادامة الحركة العلمية فى الجملة ، وإن لم يفد اللغةَ العربيةَ فائدةً تذكر لمكان العُجْمةِ منهم ، أما

علومُ العرب وأدبُها فلم يكن لها مَباءة ترجع إليها إلاّ البلادَ العربية كالشام ومصر غير أنه أصبحت اللغةُ التركيةُ العثمانيةُ هى اللغةَ الرسميةَ للأعمال الديوانية والسياسية فى جميع الممالك العثمانية ، فزاحمت اللغةَ العربية مزاحمة ظهر أثرُها بيّناً فى تحرير الرسائل الديوانية والمعاهدات السياسية ، ودخل فى اللغة أثناء دولتى المماليك والعثمانيين كثير من الألفاظ التركية والفارسية :

﴿ النثر لغة التخاطب ﴾

كادت تحلّ محلّ اللغة العامية العربية (فى أعالى الجزيرة وشرقىّ العراق) اللغة الفارسيةُ والتركية والكردية ممزوجة بشىء من الالفاظ العربية

أما فى بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربيةُ لسانَ الجميع فيها حتى الملوك والسلاطين لغلبة العناصر العربية فيها ـ بل دوّن بها بعض العلماء ونظم بها الشعراء ثم أخذت العناية بها فى الانحطاط

﴿ الخطابة ﴾

لم تتغيّر الخَطابةُ عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيثُ قُصُورُها على خُطَب الجُمع والأعياد وتلاوة بعض المرسُومات والمنشُورات و بقيت لغةُ الخَطابة العربيةَ وحدها أو مع الترجمة إلى الأعجمية

﴿ الكتابة — الكتابة الخطية ﴾

دَرَج الخط فى هذا العصر فى الطريق التى مهّدها ابن مقلة وابن البواب وياقوت الملكى وياقوت المستعصمى ، واستعملت فيه أكثر أنواعه وما زال الخط يجري فى مضماره حتى قبض على عنانه مكتّبو الترك العثمانيين فأبدعوا فى تحسينه بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق — ومن أشهرهم الشيخ حمدالله الاماسى إمام الخطاطين العثمانيين ، وجلال الدين ، والحافظ عثمان

﴿ الكتابة الانشائية - كتابة الرسائل ﴾

أُتُّبعت فى كتابة الرسائل أثناء هذا العصر طريقةُ القاضى الفاضل التى أساسها المعانى الخيالية والتزام السجع والمحسنات البديعة وعضّد هذه الطريقة من كُتّاب هذا العصر شهابُ الدين محمودٌ الحلبي المتوفى سنة ٧٥٥ هـ — ومُحيي الدين بن عبد الظاهر، وابن فضل الله العُمَرى وأولاده، وبقيت هذه الطريقة مرعيّةً فى مصر والشام حتى نهايةِ دولةِ المماليك وصدر حكومة العثمانيين - ولما غلبت اللغة التركيةُ العثمانيةُ على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية فى الحواضر والأمصار، أخذ شأنُ الكتابة العربية فى الاضمحلال

﴿ الكُتَّاب ﴾

(١ — القاضى مُحيي الدين عبد الظاهر)

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجُذَامى المصرى وُلد سنة ٦٢٠ هـ وربّاه والده، وبرع فى كتابة الرسائل سالكاً طريقة القاضى الفاضل وخدم فى ديوان الإنشاء مدة الملك الظاهر بيبرس وولديه، وبعض أيام المنصور قلاوون ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الدين من واضعي اصطلاح الإنشاء ونظامِ ديوانه الذى ظلّ مرعياً في مصر والشام حتى نسخه النظام التركي العثماني، وتوفى سنة ٦٩٢ هـ وله تآليف ومكاتبات سلطانية كثيرة — وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يردّ على صاحب اليمن فى تعزيته على موت ابنه :

« ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ، لا نأسف معه على فائت ولا نَأسَى على مفقود، وإذ علم الله (سبحانه) حسنَ الاستنابة إلى قضائه، والاستكانة إلى عطائه، عوّض كلّ يوم مايقولُ المبشرُ به : هذا مولى مولود، وليستْ الإبل

بأغلظَ أكباداً ممن له قلبٌ لا يُبالى بالصدَمات كثُرَتْ أو قلّتْ ، ولا بالتباريح حقُرَتْ أو جلّتْ ، ولا بالأزَمات إن هى توالتْ أو تولّتْ ولا بالجفُون ان ألقتْ مافيها من الدموع والهجوع وتخلّتْ ويخافُ من الدهر من لاحلَبَ أشطُره ، ويأسف على الفائت مَن لابات بنبأِ الخطوب الخطرة على أنّ الفادحَ بموت الولد الملك الصالح (رضى الله عنه) وان كان مُسْكِياً والنافح بشجوه وان كان مُبكياً . والنافحَ بذلك الأسف وان كان لِنار الأسف مُذكياً . فإن وراء ذلك من تثبيت الله عز وجل ماينسِفُه نسفاً ، ومن إلهامه الصبرَ ما يُجدّدُ لتمزيق القلوب أحقّ مابه تُرْفى . وبكتاب الله (تعالى) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحاً »

﴿ ٢ — شهاب الدين بن فضل الله العمرى ﴾

هو الشاعر الكاتب المصنف القاضى أبو العباس شهاب الدين احمد بن يحيى ابن فضل الله العمرى ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب مسالك الأبصار وُلد بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ وتفقّه وتأدّب على أبيه وغيره ، وكان أعلمَ أهل القطرين بتاريخ الملوك ، وطبقات العلماء ، والأدباء ، وعلم وصف الأرض ، فوق الفقه الذي نال فيه مرتبة الأفتاء وتوفى سنة ٧٤٩ هـ ومن انشائه فى وصف قِطّ زَباد من رسالة طويلة (وقِطّ الزباد الذى لاتحكيه الأسود في صوَرها : ولاتسمح غزلانُ المسك بما يخزُنه من عَرفه الطّيب فى سُررها كم تنقل فى بيوت طابت موطناً ، ومشى من دار أصحابه فقالوا (ربنا عَجّل لنا قِطّنا)

ومن فصول رسائله فصل كتبه من رسالة عن لسان سلطانه الى نائب الشام مع طيور صيد جَوارح أرسلها اليه :

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى بسلام جميل الافتتاح ، وثناء يطير إليه وكيف لا تطير قادمة بجناح ، ونعلمه ان مكاتبته المتقدمة الورود تضمنت التذكار من الجوارح بما بقى من رسمه وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تحسب فى قسمه وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يبعد عليها مطار ، ولا يوقد للقرى فى غير حباليقها جذوة نار ؛ ولا تؤم طيراً إلا وترش الأرض بدمه فلا يلحق لها بغبار وهي طائركم لها من فتك أخذ الطير من مأمنه ، وسلب ماتحلى به من رياش الريش ثم تزيا بأحسنه .

﴿ ٣ — لسان الدين بن الخطيب ﴾

هو ذو الوزارتين الكاتب الشاعر . أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن الخطيب تأدب وتفقه واجتمع له من الحكمة والأدب ملكة يلذ بها ادباء الأندلس كتابة وشعراً وتصنيفاً وسياسة ومات سنة ٧٧٦ هـ

ومن قصار رسائله رسالة فى الشوق كتبها إلى ابن خلدون وهى بعد الديباجة (أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج ، وأما الصبر فسل به أية درج ، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج ، لكن الشدة تعشق الفرج ، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج ، وأنى بالصبر ، على إبر الدبر . بل الضرب الهبر . ومطاولة اليوم والشهر حتى حكم القهر ، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر . عن إنسانها المبصر ، أو تذهل ذهول الزاهد . عن سرها الرائى والمشاهد . وفى الجسد مضغة يصلح اذا صلحت فكيف حاله ان رحلت عنه ونزحت ، واذا كان الفراق هو الحمام الأول . فعلام المعول ، أعيت مراوضة الفراق على الراق ، وكادت لوعة الاشتياق ، أن تمضى الى السياق

تركتمونى بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصيانا

أقرَعُ سنّى ندمًا تارةً وأستميحُ الدمعَ أحيانا

﴿ التّدوين ﴾

ألّفَ علماء هذا العصر تآليف جمّة أخلفت على العربية بعضَ ما أباده التتار والصّليبيون : من الكتب النفيسة . ويرجع أكثر الفضل فى ذلك الى علماء مصر والشام وجالية الأندلس . أما أعاجم المشرق وان ألفوا فى العلوم الاسلامية والفلسفية فان تأثير بيئتهم الأعجمية جعل كتبهم صعبة التّناول ضعيفةَ الأثر فى تقدُّم اللسان العربى مما ستعرفه من أحوال العلوم ومؤلفيها

﴿ الأدب ﴾

قد كان لادباء القاهرة من الكُتّاب السّبقُ فى وضع الكتب الجامعة التى تبحث فى عدة علوم أدبية أو ملحقةٍ بها : ومن هؤلاء

شِهاب الدين النُّوَيْرى صاحبُ نهاية الأرب ، وابنُ فضل الله العُمَرى صاحب مسالك الأبصار ، وشهاب الدين القلقَشَنْدِى صاحب صُبح الأعشى — وممن ألّف في الأدب بمناحٍ مختلفة : جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والعرر ، وشهاب الدين الحلبي صاحب منازل الأحباب ، وحسن التّوسل الى صناعة الترسُّل ، وشهاب الدين احمد الأبشيهى صاحب المستطرف ، والنواجى صاحب حَلبَة الكميت

﴿ بقية العلوم الاسلامية ﴾

لما أباد التتارُ بقيةَ العلماء والنحاة فى الشرق ، كاد أفق المشرق والشام ومصر يصفرّ من النحاة وأهل اللغة ، لولا أن تداركها الله بدخول التتار فى الاسلام ومعاضدتهم والدول التى خلفتهم للعلم والعلماء ، وبجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس والغرب قبيل حادث التتار وبعده كابن مالك والشاطبي وأبى حيان

وابن منظور الأفريقي، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل كانوا كواكب العصور المتأخرة، فدونوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم ممن نشئوا في العصور المظلمة

﴿ كتابة التدوين والتصنيف ﴾

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً. وكانت في الشروح والمطولات مبسوطة: ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر بن خلكان: وابن خلدون والسيوطي: وابن مكرم: والفيروز ابادي: وعز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ وابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١هـ ولسان الدين بن الخطيب المتوفى ٨١٦هـ، وسعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١، والسيد الجرجاني، المتوفي سنة ٨١٦ والشهاب الخفاجي

﴿ ابن خَلِكان ﴾

هو قاضي القضاة شمسُ الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر خِلِكان الإربلي وُلد سنة ٦٠٨ هـ بمدينة أربل وأقام بها الى سنة ٦٢١ فرحل الى حلَب ومكث بها سنين ثم الى دمشق وأقام مدة، ثم أقام بمصر وتولّى القضاء بها وفيها ألف أكثر تاريخه العظيم (وَفَيَات الاعيان) ثم تقلّبت به الأحوال بين مصر والشام الى أن مات بدمشق سنة ٦٨١: وكان كاتباً بليغاً، وشاعراً مجيداً، حسن المحاضرة، لطيف المعاشرة، واسع الاطلاع، شديد التحرى والضبط (وتاريخه وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان) أفضل ما بأيدي الناس من كتب التاريخ لشدة عنايته بضبط الأعلام واسماء البقاع والبُلدان وتحقيق الحوادث بحسب الامكان

﴿ ابن خلدون ﴾

هو حكيمُ المؤرّخين، وعلَم المحققين، الفقيهُ القاضي الكاتب الشاعر المصنف عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون وُلد بتُونس سنة ٧٣٢ هـ ـ وتلقى العلم

والأدب من أبيه ومن كبار العلماء، وقرأ العلوم العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يَطُرَّ شاربُهُ ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بنى الأحمر فحظى عندهم حتى حسده على ذلك صديقه لسان الدين بن الخطيب فأقلع عنها، وذهب إلى صاحب بجاية بالمغرب الأوسط فوزَر له، وبقى يتردَّد بين المغرب الأوسط والأقصى وافريقية والأندلس حتى حسن فى عينه التخلّى عن السياسة والانقطاع إلى العلم، فنزل على بعض قبائل العرب على حدود الصحراء أربعة أعوام ألّف فيها تاريخه ومقدّمته التى لم ينسج أحد من المتقدمين ولا المتأخرين على منوالها، ثم عزم على الحج فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ زمن سلطانها برقوق. ثم استقدم أهله وولده من المغرب فغرقت بهم السفينة فأقام بمصر حزيناً، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ الى أن مات سنة ٨٠٨ هـ

﴿ جلال الدّين السّيوطى ﴾

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الامام كمال الدين الخُضَيْرى السيوطى العالم المحدّث المفسّر صاحب التّصانيف المشهورة — ولد سنة ٨٤٩ هـ ونشأ يتيماً وحفظ القرآن وعمره دون الثمان، ثم حفظَ متونَ الفقه والنحو، وأخذ العلم عن مشايخ وقته وابتدأ فى التصنيف وسنّه ١٧ سنة ثم لازم الأشياخَ وطلبَ العلم فى بقاع الأرض فدخل الشامَ والحجازَ واليمنَ والهند والمغربَ والتكرُور ونبغ فى كثير من العلوم، ورزق التبحُّر فى التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع وتولى التدريس والافتاء ولم يكن أشهرُ منه فى زمنه. ويُعَدُّ السيوطى من الأئمة الذين حفظوا العلمَ للخلفَ وسهّلوا سُبُلَهُ للمتأخرين، وقد ترك للناس أكثرَ من ثلثمائة مُصنَّف — وتوفى سنة ٩١١ هـ بالقاهرة

﴿ الشعر ﴾

لمّا كان أكثر الملوك والأمراء في هذا العصر أعاجمَ بالفطرة ، كان ميلهم الى الشعر العربى غير طبيعىّ ، ولذلك انقرض الشعرُ العربىّ من أواسط آسيا وبقيت صُبابةٌ منه بالعراق والجزيرة : وبقى على كل شىء من الرونق فى الشام ومصر والاندلس والمغرب ، غير انهُ قلّ التكسُّبُ به فيها ، فمال اكثر الشعراء الى انتحال الكتابة في الدواوين صناعة واستعملوا الشعر في تملّق الملوك والرؤساء وفي اظهار التفصُّح والتسلية فهُجِرَ قوله في الاغراض الهامّة وعُدِلَ به الى أغراضٍ أخرى

﴿ الشعراء ﴾

ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم ، شرف الدين الانصارى المتوفي سنة ٦٦١هـ — وجمال الدين بن نباتة المصرى المتوفي سنة ٧٩٨ هـ — وشهاب الدين التّلعفَرى المتوفي سنة ٦٧٥هـ — والشاب الظّريف المتوفي سنة ٦٨٧هـ — والامام البُوصيرى المتوفى سنة ٦٩٥هـ — وابن الوردى المتوفي سنة ٧٤٩هـ — وأبو بكر بن حجة المتوفي سنة ٧٧٦ هـ — وصفي الدين الحِلّي المتوفى سنة ٧٥٠هـ — وفخر الدين بن مكانس المتوفى سنة ٧٩٤ هـ — وابن معتوق الموسوى المتوفى سنة ١١١١ هـ — وهاك ترجمة بعضهم

﴿ ١ — البُوصيري ﴾

هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيري ، صاحب البردة والهمزية ، وُلد بدَلاص ونشأ ببُوصير ثم انتقل الى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب فقال الشعر البليغ فى جِدّه وهزله ومن أشهر شعره قصيدة البردة الشهيرة التي أولها

أمنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ ... مزجْتَ دمْعًا جرَي من مقلةٍ بدمِ

أم هبّتِ الريحُ من تِلقاءِ كاظمةٍ ... وأومضَ البرقُ فى الظلماء من إضَمِ

فما لعينيك إن قلتَ اكْففَا هَمتَا ... وما لقلبك ان قلتَ استفق يهِمِ

أيَحسَب الصبُّ أن الحبَّ مُنكتم ... ما بينَ مُنسجِم منه ومُضْطرِمِ

ومن حكمها البديعة المشوبة بمحاسن البديع قوله :

والنّفس كالطّفل أن تُهمِلْه شبّ عَلى ... حُب الرّضاع وإن تفطمْه ينفطم

فاصرفْ هواها وحاذرْ أن تُولّيه ... إن الهوى.ما تولّى يُصْمِ أو يصِمِ

وراعِها وهْى فى الأعمال سائمةٌ ... وان هى استحلت المرعى فلا تُسِمِ

كم حسّنتْ لذةً للمرء قاتِلةً ... من حيث لم يدرِ أن السُّم في الدَّسَمِ

واخشَ الدسائس من جوع ومن شِبع ... فرُبَّ مَخْمَصةٍ شرٌّ من التُّخَمِ

واستفرغ الدمعَ من عَيْن قد امتلاتْ ... من المحارمِ والزمْ حِميةَ النّدمِ

وقصيدته الهمزية في مدحه صلى الله عليه وسلم لا تقلُّ عن البُردة في فصاحتها ، وأوّلها

كيف ترقَى رُقيَّكَ الانبياءُ ... يا سماءً ما طاولتْها سَماءُ

لم يُساووكَ فى علاكَ وقد حا ... ل سنًا منك دونَهم وسَناءُ

وتُوفي البوصيرى سنة ٦٩٥ هـ بالاسكندرية وقبره بها مشهورٌ يُزار

٢ — صفيّ الدين الحِلّى

هو عبد العزيز بن علي الشهير بابن سَرَايا الطائى الحِلّى شاعرُ الجزيرة وُلد سنة ٦٧٧ هـ — ونشأ بمدينة الحِلّة من مدن الفرات فتأدّب ونظم الشعر وأجاده وأصبح فيه أشهرَ شعراء عصره ، وخدم به الملكَ المنصورَ نجم الدين غازى بن قره ارسلان :أحد ملوك الدولة الا رتُقيّة (ديار بكر)

واتصل بعده بابنه الملك الصالح شمس الدين ، ثم ذهب الى الحج وعرّج

منصرَفَه منهُ على مصر فمدح الملك الناصرَ بنَ قلاوون وتوفي سنة ٧٥٠ هـ
ويعتبر صفى الدين من أئمـة البديع المبتدعين في أنواعه المغالين في استعماله فى شعرهم بلا كثير تكلُّف، وهو أوّلُ من نظم القصائدَ النبويةَ الجامعةَ لانواع البديع المسماةَ بالبديعيات على مثال بُردة البوصيرى — ومن قوله فى الادب :

إسمعْ مخاطبةَ الجليس ولا تكنْ عجلاً بنُطقك قبلَما تَفهَمُ
لم تُعطَ مع أُذنيك نُطقًا واحداً الاَّ لِتسمَعَ ضِعفَ ما تتكلمُ

﴿ ٣ — ابن نبَاتة المصرى ﴾

هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نبَاتة ، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك ـ ولد سنة ٦٨٦ ونشأ بالقاهرة ، وتلقى العلم والادب وأكبَّ على قراءة شعر القاضى الفاضل ورسائله ، فرسخت فيه طريقته من الوَلوع بالتّورية والتّلميح والطّباق ، ولم يأت بعده من شعراء مصر والشّام من بلغ غايَته فى لطف التّصوّر ورقة اللفظ وانسجام العبارة ومات سنة ٧٩٨ هـ ومن شعره قوله :

يا مشتكِي الهمّ دعْه وانتظر فرجاً ودار وقتك من حين إلى حينِ
ولا تعاندْ إذا أصبحت في كدَر فانما أنت من ماء ومن طينِ

﴿ ٤ ـ ابن مَعْتوق المُوسَوِىّ ﴾

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوى شاعر العراق في عصره وسابق حلبته فى رقة شعره ـ ولد سنة ١٠٢٥ ونشأ بالبصرة وبها تعلّم وتأدب وقال الشعر وأجاده ، وكان فى نشأته فقيراً فاتّصل بالسيد على خان أحد أمراء البصرة من قبل الدولة الصفَويّة الإيرانيةَ وكانت وقتئذٍ تملك العراقَ والبحرين ، ومدحه مدَحاً رقيقةً ـ وأكثرُ شعره مقصورٌ عليه وعلى آل بيته فغمره باحسانه — وابن معتوق

من كبار شعراء الشيعة فمدح عليًّا والشهيدين بما يخرج عن حدّ الشرع والعقل ومات سنة ١١١١ هـ — ويمتاز شعره بالرقة وكثرة المجازات

﴿ العصر الخامس عصر النهضة الأخيرة من ١٢٢٠ — إلى الوقت الحاضر ﴾

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية فى أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت اليه من الفساد والاضمحلال — فلما استولى ساكنُ الجنان محمدُ عليّ باشا على مصر رَأى بحكمته أن يربِّيَ مَنْ يكونُ خيرَ واسطة لنقل معارف الاوربيين اليها . فبعث إلى أوروبا بثلاثة بُعوث علمية فى أزمنة مختلفة كوّنت بعدُ ثلاثَ طبقات من العلماء والاطباء والمهندسين والضباط فنقلوا إلى اللغة العربيةِ عشراتِ الكتب الجليلة فى العلوم المختلفة فأحدث ذلك فى اللغة العربية انقلاباً عظيماً ، واكتسبت من سَعة الاغراض والمعانى والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروةً طائلةً — ورأى العلماء والادباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تتقبّل منهم بقبول حسن كلَّ ما يحسنونه من نتيجة كدهم وثمرة أفكارهم فالتفوا حولها وصار للدولة كتابٌ وشعراء ومنشئون فى جريدتها « الوقائع » أوّل جريدة عربية ، واقتدى بمصر أهل الشام ، ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها فى مصر كما استمر فى الشام ، بل ركدت ريحها زمن عباس باشا الاول وزمن سعيد باشا ، ثم تنسّمت فى عصر اسماعيل ، وما لبثت أن صارت رُخاء طيبة فأعاد سيرةَ جدّه فى نشر العلم ،وظهرت ثمرةُ أعماله فى حياته وكادت مصر توشك أن تكون قطعة من أوربا

﴿ النثر ـ المحادثة أو لغة التخاطب ﴾

كانت العامية فى أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين دخل فى عباراتهم كثير من الفصيح ، وانتقل ذلك لمعاشريهم من الاميين و بعض النساء ، ومما ساعد على ذلك أيضاً جعل التقاضي باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات

﴿ الخطابة ﴾

كان المصريون والسُّوريون أَوائلَ هـذا العصر لايستعملون الخَطابةَ في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الافكار في عصر اسماعيل باشا ، وصادفَ ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر ، والتفّ حوله لفيف من أدباء المصريين والسُّوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته وألّف منهم أندية كانوا ينتابون الخطابة فيها فى الامور الدينية والسياسية والاجتماعية وانتشرت الخطابة بين شبان مصر وفشَتْ بعد عصر اسماعيل في زمن توفيق باشا وصاحب السّمو الخديوى عباس باشا الثاني — ومن أشهر خطبائهم السيد عبدالله النديم والشيخ محمد عبده ومصطفى باشا كامل ومحمد بك فريد وسعد باشا زغلول والشيخ عبد العزيز جاويش وغيرهم حتي بلغت الخطابة فى عصرنا هذا مبلغاً عظيماً

﴿ الكتابة الخطية ﴾

وقف الخط فى سبيل تقدمه عند الحد الذى رسمته له الطبقة الناشئة في القرن العاشر والحادى والثاني عشر من خطاطى الترك ، وكل من نشأ بعدهم فانما هو متّبع طريقتهم — وأشهرهم عبد الله الزهدى ، وهو الذى خط بالقلم الجليل جدران

المسجد النبوى وجدران سبيل والدة عباس باشا الاول بالصليبة بالقاهرة ، ومحمد مؤنس افندى ، وتخرّج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطاطي قطرنا المصرى

﴿ الكتابة الانشائية ﴾

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين في آواخره شأن يذكر لجعل التركية هى اللغةَ الرسمية ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير في المماليك العثمانية إلاّ قليلاً وشرعت تتغيّر فى مصر ثمّ لما ا نشئت المدارس النظامية نشأت طبقة من كتاب الدواوين رقّوا كتابتها . وقد هُجر السّجع الذى أ كثر منهُ الاقدمون الأ أن عبد الله باشا فكرى أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة ألمّ به فى كثير من مكاتباته الرسمية . كما سبق ذلك في المكاتبات

أمّا كتابة التأليف والصُّحف فأخذت تنحو منحى كتابة ابن خلدون في مقدمته . ولما ولّت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع الرسمية والاشرافَ على تحرير الجرائد ، ترقّت كتابتها كثيراً ودرجت فى سبيل التقدّم إلى الا ن :

﴿ كتابة التّدوين ﴾

كان أ كثر الكُتبِ التي أُلفت أو تُرجمت فى مصر علمية ، لشدّة احتياجها اليها ـ أما سورية فكانت حالة الادب فيها فى النصف الاول من العصر الحاضر خيراً منها فى مصر ولكن مصر نهضت فى النصف الثانى واسترجعت حياتها الادبية وأدخلت دراسةَ أدب اللغة فى مدارسها وألّف فيه عدّةُ كتب . وانحطّ شأنُ سورية فى العربية فلم ينبغ فى اللغة من السوريين فى السنوات الأخيرة من يضارع سابقيهم — ومن أشهر العلماء الأزهريين فى هذا العصر الشيخ الجبرتى الشيخ حسن العطار والشيخ العروسى والشيخ التميمي والشيخ الباجورى

والشيخ عليش والشيخ الايارى والشيخ السقا والشيخ الانبابى والشيخ محمد الاشمونى والشيخ الشربينى والشيخ سليم البشرى والشيخ محمد البحيري ووالد مؤلف هذا الكتاب وغيرهم : — ومن غير الازهريين من أهل النهضة الحديثة رفاعه بك شيخ المترجمين والمؤلفين ، وعلى مبارك باشا مؤسس دار العلوم وأشهر المؤلفين المصريين ، والنطاسى الشهير محمد على باشا ، والسيد صالح مجدى بك ومحمود باشا الفلكى ، وأحمد ندا بك ، وعبد الله باشا فكرى ، وقدرى باشا ودرّى باشا ، والشيخ ناصيف اليازجى ، والشيخ ابراهيم اليازجى ، وأحمد فارس والشيخ على يوسف وأديب اسحاق وغيرهم — وهاك ترجمة النهضة الحديثة

﴿ ١ — رفاعه بك رافع الطهطاوى ﴾

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعه بك الحسيني الطهطاوى شيخ الترجمة وإمام النهضة الحديثة ، وُلد بطهطا من أُسرة شريفة ، وتأدّب وتعلّم فى الجامع الازهر ثم انتُخب إماماً لبعض فرق الجيش ، ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد على باشا إماماً ومعلماً لاول بعث علمى أُرسل إلى فرنسا سنة ١٢٤١ هـ فراقته علوم أوربا وعظمتها فأكبّ بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ اختاره محمد علي باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبى زعبل ، واشترك هو وأُستاذه الشيخ حسن العطار فى انشاء جريدة « الوقائع المصرية » وتحريرها ثم نقل إلى مدرسة المدفعية (الطبجية) ثم صار مديراً لمدرسة الالسن والترجمة . ثم انتُخب عضواً بلجنة المدارس وتولّى « ادارة مجلّة روضة المدارس المصرية » وعكف على الترجمة والتأليف حتى توفى سنة ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالاً هم أركان النهضة الحديثة ، وآخر ما ألّفه « نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز »

﴿ ٢ — عبد الله فكرى باشا ﴾

هو عبد الله فكرى بن محمد بليغ الضابط بن الشيخ عبد الله : وهو أحد أركان النهضة الادبية فى الديار المصرية . وُلد سنة ١٢٥٠ هـ وأكبّ على تعلّم علومه بالازهر مشتغلاً أيضاً باللغة التركية واستُخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية في عدّة مناصب آلت الى نقله إلى حاشية سعيد باشا ثم اسماعيل باشا فعهد اليهِ بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك . ثم تقلّب في جملة مناصب آخرُها نظارة المعارف سنة ١٢٩٩ هـ وبقى بها حتى زمن الثورة العرابية فسقط مع الوزارة ، واتهم فى الثورة فقبض عليهِ ثم اتّضحت براءته فأطلق وردّ اليه معاشه بعد أن استعطف الخديوى توفيقا بقصيدة طويلة وتوفى سنة ١٣٠٧ هـ وكان فكرى باشا كاتبا بليغاً سلك فى كتابته طريقة كتّاب القرن الرابع كالبديع الهمذانى والخوارزمي من الّتزام السجع القصير القليل التكلف ولذلك يقول فيهِ المرحوم الشيخ حسين المرصفى مدرس دار العلوم (لو تقدّم به الزمان ، لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علّامة همذان)

﴿ ٣ — علىٌّ مبارك باشا ﴾

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرّخ ، المؤلف المترجم ، المُربّى العظيم علىٌّ بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم ، مصلح العلم والإدارة بالديار المصرية ومؤسس دار العلوم ، ودار الكتب العربية : وُلد سنة ١٢٣٩ هـ وكان يرسله والده إلى معلّم قاسٍ يتعلّم عليه القرآن الكريم لحفظه ، وهرب من المعلم لقسوته وضَرْبه ، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض الكتاب حتى عثر فى بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبى زعبل فصحبهم ودخل المدرسة

ثم اختير فى جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العينى وسنه ١٢ سنة ودرس الرياضة فبرع فيها فاختير طالباً بمدرسة الهندسة فأكمل فى خمس سنوات درس فن الهندسة وأرسل إلى أوربا سنة ١٢٦٠ ليتم دراسته بها، فمكث نحو أربع سنوات درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش، ثم قدّم لعباس باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد اليه رياسة ديوانها فقام به خير قيام ، وألّف بعض الكتب الدراسية فكان أوّل من نظّم المدارس المصرية وتزاحمت عليه المناصبُ فكان مديراً للسكك الحديدية وناظراً للمعارف وللأشغال وللاوقاف والقناطر الخيرية فقام بذلك جميعا فى آن واحد خيرَ قيام ـ ومن أعماله العظيمة انشاء دار الكتب وانشاء مدرسة دار العلوم ليُوفّقَ بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ويحسّن تعليم العربية فجاءت هذه المدرسة بأحسن ما يطلب منها وتجديدُ مدينة القاهرة وأمهات مدن القطر الى أن وافته المنية سنة ١٣١١ هـ

❊ الشيـخ محمد عبده ❊

هو المُصلحُ الكبير والمجتهد الخطير والكاتب البليغ والخطيب المِصقع الأستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده أحد أركان النهضة العربيـة ومؤسسى الحركة الفكرية ـ وُلد سنة ١٢٦٦ بإحدى قرى مديرية الغربية ونشأ بين أُسرته بمَحلة نصر من مديرية البحيرة ، وتُرك بلا تعليم حتى ناهزت سنُّه العاشرة ثم رغبه فى التعلُّم فحفظ القرآن الكريم ، وطلب العلم بالجامع الأحمدى ، ثم انتقل الى الازهر ونبغ فى علومه ـ ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغانى سنة ١٢٨٦ وأعاد الى مصر دراسةَ الفلسفه وعلوم الحكمة والكلام لزِمه الشيخ محمد عبده وكان أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته والاستفادة منه ـ ونال درجة العالميّة

سنة ١٢٩٤ ، واختير سنة ١٢٩٥ مدرّساً للأدب والتاريخ العربى بدار العلوم ومدرسة الألسن ، ثم اختير لاصلاح لغة الوقائع المصريه ، ثم صار رئيس تحريرها وفى هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها — وحدثت عقب ذلك الثورة العرابية ونُفِيَ من مصر إلى سورية وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوربا فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس فأنشأ جريدة العروة الوثقى ، ثم عفا عنه الخديوى وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الاهلية ، ثم مفتياً للديار المصرية وتولى التدريسَ بالازهر ، وما زال كذلك حتى توفى سنة ١٣٢٢ هـ

﴿ ٥ — مصطفى باشا كامل ﴾

هو الوطنى الكبير . مصطفى بن على افندى محمد المهندس المولود بالقاهرة فى ١٤ اغسطس سنة ١٨٧٤ . ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الاولية ثم انتقل الى مدرسة والدة عباس باشا الاول وفى أثناء وجوده فى هذه المدرسة تُوفى والده فانتقل الى مدرسة القربية فأتم فيها الدراسة الابتدائية سنة ١٨٨٧ ثم تحوّل الى المدارس الثانوية ونال فى نهايتها شهادة البكالوريا بتفوّق باهر وذكاء نادر ألفت اليه نظر المرحوم على باشا مبارك وزير المعارف فاختصه بمرتب شهرى يُصرف اليه مساعدة له — وكان منظوراً اليه بعين الاجلال والاحترام من إخوانه ومعلميه ورؤسائه لما امتاز به من حسن الالقاء وفصاحة اللسان وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته فى المسائل العلمية والاجتماعية والكل يعجبون به ويتوقعون له مستقبلاً مجيدا ـ ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهاراً ومدرسة الحقوق الفرنسوية ليلا فكان يتلقى دروسهما حتى نال الكفاية منها فذهب الى طولوز بفرنسا وأَدى فيها الامتحان ونال الشهادة النهائية . وفى أثناء دراسته للحقوق تنبّه خاطره الى المسائل

السياسية وأصبح همه انقاذ مصر من الاحتلال . وكان يتردّدُ على الجرائد الوطنية ليكتب فيها آيات الوطنيّة . وأنشأ المجلة المدرسية وألّف كتاب المسألة الشرقية ورواية فتح الأندلس وكتاباً فى حياة الأمم والرّق عند الرومان — وكلها ترمى الى تحبيب الاستقلال واحياء الشعور الوطنى فى أفكار المصريين ـ واجتمع مصطفى بالمرحوم عبد الله النديم الخطيب المفوه والكاتب البليغ ومُشعِل نار الوطنية من قبلى فاقتبس مصطفى منه الأساليب والتعليمات العظيمة وأضاف ذلك الى معلوماته الماضية ـ ونهض نهضة الاسد الى فريسته وأذكى أُوار الوطنية فى عقول الشباب الناهض وتطورت مصر الفتاه الى يومنا هذا فى مراقى التقدم والنجاح . وقد صار صيته فى الآفاق وأصبح اسمه مرادفا للشمس فى رائعة النهار . وحدّث عن شجاعته وفصاحته وقوة معارضته مما لا يمكن لقلم وصفه . وقد أنشأ جرائد اللواء العربى والفرنسى والانكليزى لهذا الغرض . وتوفى يوم الاربعاء ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ وشيعت جنازته باحتفال كبير لم يسبق له مثيل واشترك فيه عشرات الالوف من جميع طبقات القطر المصرى وعم الحزن الشديد على جميع المصريين ورثاه الكتاب والشعراء وجميع جرائد العالم . وطيرت نعيه الشركات البرقية الاجنبية فى الممالك الأوربية . وخطبه الطنّانة كثيرة لا نطيل بذكرها

﴿ ٦ — محمد بك فريد ﴾

هو المخلص الأمين . محمد بن احمد باشا فريد ووالدته أميرة من فضليات سيدات الخُلفاء العباسيين . وكان ميلاده فى ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤ هـ وعاش ٥٢ سنة ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا فدرس الدروس الابتدائية ثم دخل المدارس الثانوية فجدّ واجتهد حتى فاق أقرانه وأحرز شهادة البكالوريا

ثم انتقل الى مدرسة الادارة والالسن ومنها دخل مدرسة الحقوق الخديوية حتى نال الشهادة النهائية فى شهر مايو سنة ١٨٨٧ م وعقب ذلك عينته الحكومة المصرية بقلم قضايا الدائرة السنية الذى لم يلبث فيه الا قليلا حتى أصبح رئيسه . وقد أنعم عليه سموّ الخديوى بالرتبة الثانية — ثم تدرج فى وظائف القضاء الى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية — وفى خلال ذلك كان يكاتب أمهات الصحف العربية والافرنجية حتى استقال من خدمة الحكومة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٦ م واشتغل بالمحاماة وانضم بكل قواه الى الحزب الوطنى لتحرير مصر والسودان . ولازم صاحبه الزعيم الاكبر المرحوم مصطفى باشا كامل . وقد ألّف كتاب البهجة التوفيقية فى تاريخ العائلة الخديوية وتاريخ الدولة العثمانية وتاريخ الرومان — وأنشأ مجلّة الموسوعات وكتب الآف المقالات فى المؤيد واللّواء والصّحف الاوربية — وألقى مئات من الخطب فى الشرق والغرب . وتعرف بكثير من كبار ساسة جميع العالم

ولما شعر المرحوم مصطفى باشا كامل بدنوّ الاجل جمع الحزب الوطنى وأوصاهم بانتخاب فريد بعده رئيساً فقام برياسته خير قيام وقد ضحى نفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حبّاً فى الوطن حتّى مات غريباً فى برلين يوم الاثنين ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ م ونقلت جثته من بلاد المانيا لدفنها بالقاهرة فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه سنة ١٩٢٠ م. وشيّعت باحتفال مهيب فى اسكندرية ومصر لم تر العيون مثله اشتركت فيه العلماء والامراء والوزراء وجميع الاعيان والوجهاء . ورثته الكتاب والشعراء وجرائد ومجلات الشرق والغرب فممّن رثاه حافظ بك ابراهيم قال من قصيدة طويلة

مَن ليومٍ نحنُ فيه مَن لِغدْ   مات ذُو العَزْمةِ والرّأيِ الاسَدّ

أيُّها النيلُ لقد جلّ الاسَى   كن مِددًا لى اذا الدّمع نفدْ

فلقـد ولّى فريدٌ وانطوى ركنُ مِصر وفتاها والسَّندْ
خالدَ الآثار لا تخش البلى ليس يَبلى مَن له ذِكرٌ خلدْ
قُل لِصبّ النّيل إن لاقيتَه فى جوار الدائم الفرد الصَّمدْ
ان مصرًا لا تَني عن قَصدِها رَغمَ ما تَلقَى ولئن طال الأَمدْ
فاسْترِحْ واهنأْ ونَمْ فى غِبطَةٍ قد بَذرتَ الحبَّ والشَّعبُ حَصدْ

﴿ ٧ — معالى الرئيس المحبوب سعد باشا زغلول ﴾

هو روح مصر الزعيم الاكبر . سعد بن الشيخ ابراهيم زغلول المولود ببلدة ابيانا التابعة لمديرية الغربية سنة ١٢٧٧ هـ قرأ القرآن الكريم ودرس العلوم الابتدائية فى بلده . ثم رحل الى مصر ودخل الازهر الشريف وحضر علوم اللغة والادب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع وغيرها على فطاحل العلماء كالشيخ المهدى العباسى . والشيخ ابو النجا الشرقاوى والشيخ احمد الرفاعى والشيخ محمد عبده وخلافهم من كبار الائمة.ثم تعيّن محرراً لجريدة الوقائع المصرية الرسمية بالداخلية. ثم انتقل معاونًا بنظارة الداخلية فى مدة وزارة محمود سامى باشا البارودى . ثم تعين مديراً لقلم قضايا مديرية الجيزة وذلك في مدة اشتداد الثورة العرابية . ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبتهُ الجمعية عضواً في لجنة تنقيح قانون الجنايات بالاستئناف. ثم اختاره اللورد كرومر أن يكون وزيراً لوزارة المعارف ثم وكيلا للجمعية التشريعية الى ان تطورت الحالة الوطنية فى القطر المصرى فانتخبتهُ الامة وكيلاً عنها فى مطالبة انكلترا بالجلاء عن مصر والسودان الى يومنا هذا

ومن كلماتهِ المأثورة فى الوطنية

(١) لا استعبادَ . لا استعمارَ . لا حِمايَة . لا رِقابَة . لا تَداخُل لاحد في

شأن من شؤوننا . هذا ما نريد وهذا ما لا بدّ ان نحصلَ عليهِ

(٢) أُقسمُ بالوطنيّة وعزّتها لو كنت أعرف أني أقود أُمة بلهاء تنقاد لكل زعيم بدون تصوّر ولا ادراك كما يصفها أعداؤها ما رضيت أَن أكون قائداً لها

(٣) ان قوّتنا ليست مستمدّة من الخارج بل هي في نفوسنا فلتكن نفوسنا قويّة تصلِ الى غايتنا

(٤) الارادة متى تمكّنت من النّفوس وأصبحت ميراثاً يتوارثهُ الأَبناء عن الآباء ذلّلت كل صعب ومحت كل عقبة وقهرت كل مانع مهما كان قويا ووصلت عاجلاً او آجلاً الى الغاية المطلوبة

(٥) لا يمكن ان نعتبر للحكوميين مذهباً لان المذهب يقتضي مبادىء وقواعدَ أمّا هم فقاعدتهم القوّة . وما يعتمد على القوة لا يصح ان يُسمّى مذهباً

ومن كلماتهِ المأثورة في الحريّة وحدودها

(١) كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح أن نقبله مطلقاً مهما كان مصدره عالياً ومهما كان الآمر بهِ

(٢) كل تقييد للحرية لا بد ان يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها والا كان ظلماً

(٣) الصّحافة حرّة تقول في حدود القانون ما تشاء وتنتقد ما تريد فليس من الرأي أن نسألها لِمَ تنتقدنا بل الواجب أن نسأل أنفسنا لِمَ نفعل ما تنتقدنا عليهِ

(٤) نحن نحبُّ الحريّة ولكنّنا نحبّ أكثر منها أن تستعملَ في موضعها

(٥) جميل جداً أن يقال لا تحجروا على الناس ولا تقيّدُوا حريّتهم وانها لنغمة لذيذة يحسنُ وقعها في الاسماع والقلوب . ولكنّا لا نريد الحجر على الناس

ولا تقييد حريتهم بل نريد حماية الحق وصيانته من أن يتمتع بهِ غير صاحبه من حيث يُحرم منهُ صاحبهُ

ومن آرائهِ في التشريع

(١) كل شريعة تؤسّس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة

(٢) لا تصدّقوا أن هناك قاعدةً يرجع اليها القاضي في تقدير العقوبة أو أن هناك ميزاناً توزَن بهِ الجزاءات وانما هى أُمور اجتهادية يُلهم بها القاضى الهاماً

(٣) الحقُّ فوق القوّة والأمّة فوق الحكومة

(٤) اننا اذا احترمنا أمراً للحكومة نحترمه لانه نافع للامة لا لانه صادر من تلك القوة المُسيطرة

(٥) يجبُ أن ننقاد للقانون وألاّ نعتبر الانقياد اليه مهانة ومذلّة بل عزًّا وشرفاً

(٦) إن كانت الحكومة تريد أن نكونَ في صفّها مدافعين عنها فما عليها الا أن تتّبع الحقّ والعدل وتحترم القانون

(٧) يُعجبُني الصّدق في القول والاخلاص في العمل وأن تقوم المحبّة بين الناس مقام القانون

(٨) الذى يلزمنا أن نُفاخر به هو اعمالنا في الحياة لا الشهادات التى في أيدينا

(٩) اعاهدكم عهداً لا أحيد عنه . على أن أموت في السّعى الى استقلالكم فان فزت فذاك والا تركت لكم تتميمَ ما بدأتُ به

هذا قليل من كثير لا نحيط به جمعاً خصوصاً خطبه المطوّلة المُمْتعة التى تكاد أن تكون في درجة الاعجاز ولا غرابة في ذلك فمعالى الرئيس معروف بالشجاعة والصراحة ويمتلك في يده أعِنَّة الالفاظ يتصرّف فيها كيف يشاء حتى أنه ليعبّر عن

ا قسى المعانى وأخشنها بأرقّ الالفاظ وأعذبها وأخفها وقعاً على النفوس والاسماع خصوصاً وأنه قدير على التأثير على نفس السامع وامتلاكه أزمة الاهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب واقتداره على اسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية او الاخلاقية او السياسية الى قاعدتها العامة التى توضح طريقها وتكشف الغامض منها

وبالجملة فمعالى الرئيس مُتشرّع يبحث النظامات ويدققها . وسياسى يُبارز خصمه مبارزة الرجل الذى يحسن تقليب الحسام بين يديه فلا كلماته تخرق حجب الآداب ولا تتجاوز حدّ اللياقة — ولقد كان كلامه ينزل على السامعين نزول الندى على أكمام الزهر فلا يرتفع صوت ولا تبدو حركة مع طول خطابته نحو ساعتين نسأله سبحانه وتعالى أن يمنّ على مصر والسودان بالاستقلال التام وأن يمنحها الحرية على يد بطلها العظيم وزعيمها الجليل ورئيسها المحبوب « سعد باشا زغلول » حفظه الله آمين

---

٨ — الغازى مصطفى باشا كمال

اشهرُ حُماة الشرق وداهية أقطاب الساسة البطل الغازى مصطفى كمال باشا المولود فى سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨٠ م ولما بلغ السنة السادسة من عمره أدخله والده مدرسة تُدرّس فيها العلوم الابتدائية على الطراز الحديث . وما لبث أن ترك المدرسة على أثر وفاة المرحوم والده . ثم انتقل الى قرية مع والدته الى خاله الذى كفله وعهد اليه القيام بحراسة الحقول والاشتغال بالزراعة مدة ليست بالقصيرة . فأوجست والدته خيفة من ضياع أيامه الدراسية بدون جدوى وصحت عزيمتها على إرسائه الى دار جدته فى (سلانيك) فسافر اليها ودخل فى المدرسة الملكية الإعدادية . غير أنه لم يُوفّق

للتعلّم بها وذلك لشغفه بحب المدرسة الرشدية لعسكرية الابتدائية رغم ارادة والدته التى كانت لا توافقه على الالتحاق بها . وما زل بها حتى استطاع التأثير عليها وتمكّن من التغلّب على فكرها وأدّى الامتحان المؤهّل لدخول المدرسة العسكريّة بتفوّق باهر وكان أكثر التلاميذ وأشدهم حبا فى الرياضيات، وقد حصل فى زمن يسير بجده واجتهاده على معلومات جمّة فى هذا العلم بدرجة تُساوى درجة أستاذه أو تزيد عليه. وصار يشتغل بحلّ المسائل الرياضية بطُرق أوفي وأوسع عمّا كان يتلقّاه وخطّى بذلك خطوةً واسعة الى الامام وأخذ يتبحّر فى الرّياضيّات ويُناقش أستاذهُ المدعو مصطفى بك القائل له انّ بين اسمى واسمك اشتباه فيجدرُ أن أضيف الى اسمك ياولدى لفظة « كمال » للتميز بيننا

وقد أتم الدراسة فى المدرسة العسكرية الابتدائية وفاق زُملاءه فى العلوم الرياضية بحيث لم يُصادف أىّ صعوبة فى المدرسة الاعدادية العسكرية الثانوية فى (مناستر) غير أنه كان ضعيفاً فى اللغة الفرنسية فتحيّن فرصة العطلة المدرسية ودخل مدرسة الفرير وتزوّد بقسط وافر فى اللغة الفرنساوية — وفى خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركى المشهور (عمر ناجى بك) فارتشف من منهله العذب وتأدّب بأدبه ودرس عليه آداب اللغة وضرب بسهم فيها حتى صار الشعر هو المادة التي تنجذب نفسه اليه وترتاح بهرغم النصائح التى كانت تلقيها عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم « اذا أردت أن تكون جنديّاً حقيقيّاً فاترك الأدب وخيال الشعراء » وبعد اتمامه الدراسة فى تلك المدرسة سافر الى الاستانة سنة ١٣١٩ ﻫ والتحق بالمدرسة الحربية وكان شغفه العظيم بالرياضيات لا يزال حيّاً ونامياً نموّ اشتغاله بعلوم الادب ومزاولة الخطابة وأساليبها فتولّد من ذلك توته واسترعاء نظاره الى حبّ الاشتغال

السياسة خصوصاً وقد وقعت في يده كتب الوطني العظيم «نامق بك كمال» فطالعها مراراً ووقف على ما فيها وأدرك مراميها فرسخت في عقيدته الوطنية وكان ذلك في عهد المرحوم السلطان عبد الحميد الداهية العظيم ومع ذلك تخرّج من هذه المدرسة برتبة «ملازم ثان». ولما انتقل الى مدرسة أركان حرب بدأ يتعرّف مع بعض أخوانه من الطلبة ما يكشف ادارة البلاد وسياستها من السوء والفساد. فكان أول ما فكر فيه أن يفهم زملاءه البالغ عددهم ٥٠٠٠ طالب موقف البلاد الادارى والسياسى. وقد فكّروا جميعا في تأسيس جريدة تكون لسان حالهم. وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأبحاثها غير أن «اسماعيل باشا» مفتش المدارس وقف على حركتهم وسلط الجواسيس عليهم ثم وشى بهم الى المرحوم السلطان الغازى عبد الحميد الثانى وقال لجلالته ان ناظر المدرسة رضا باشا هو المسئول عن حركة الطلبة وواجبٌ إدانته فاستدعاه جلالة السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسية ـ واستمرّ مع رفاقه على اصدار جريدتهم حتى آخر سنتى مدرسة اركان حرب. وبعدها خرج من المدرسة برتبة «يوز باشى» في أركان الحرب العامة واستأجر لنفسه مكاناً خاصاً في «بك أوغلى» رغبة في استئناف العمل وعقد الاجتماعات واصدار القرارات لصالح الوطن ولكن لم تمض مدة وجيزة حتى عرف الجواسيس عمله وألقوا القبض عليه واعتقلوه بضعة أشهر ثم أطلق سراحه بواسطة سمى رضا باشا ناظره السابق في المدرسة وأصرّ على إشتغاله بالسياسة حتى نفته الحكومة الى ولاية الشام للخدمة في الجيش وقد أسس هناك «جمعية الحرية» واتخذ بعض التدابير لتوسيع نطاق هذه الجمعية ـ فأسس لها فروعاً في بيروت ويافا والقدس وفي كل مدينة حلّ فيها ونزل بها ـ ولما كان انتشار مبادئ الجمعية غير ممكن في تلك المدن عزم على السفر الى «مقدونيا» حيث هناك الأرض صالحة

لبذر تلك المبادئ والعمل على إنمائها وانباتها نباتا حسنًا وأطلع جمعيته على رأيه وعلى ذلك سعى أفرادها وتمكن من اصدار إذن يستطيع به السفر في بادئ الأمر الى «أزمير» وعلى أثر ذلك أرسل رسالة خاصة إلى (شكرى باشا) المعروف هناك بوطنيته الحارّة وطلب منه مساعدته. ولما شدّ الرحال الى مقدونيا وركب البحر غيَّر وجهته الى مصر ومنها الى بلاد اليونان ثم الى سلانيك رغبة فى إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس . وقد أسس فى مدينة سلانيك فرعًا عامًا للجمعية — وما كادت حكومة الاستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أعماله وأخذت في البحث عنه حتى سافر على وجه السرعة الى (يافا) وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة العقبة . فاستصدرت جمعية الحرية أمراً بتعيينه على الحدود المصرية . وما كاد يصل أمر البحث عنه الى ولاية الشام حتى كان مُتوليًا شؤون وظيفته الجديدة على حدود مصر

وقد مكث في سوريا ثلاثة أعوام ثم طلب من الحكومة نقله الى مقدونيا فقوبل طلبه بالقبول وعلم بعد وصوله الى سلانيك ان جمعية الحرية غيّرت اسمها باسم جمعية الاتحاد والترقي وما وافى اعلان الدستور حتى برز الى ميادين السياسة بفضل اعلانه جميع الأحرار وقد اقترح على الجمعية انسحاب الجيش من ميادينه فقوبل بالارتياح غير ان الجمعية لم تتمكن من تنفيذه فى ذلك الحين

ولما نشبت الثورة الرجعية فى الاستانة سنة ١٩٠٩: أخمدها واستتبَّ الأمن ثم تعيّن بمُهمّة الاصلاح على ولاية طرابلس. ثم شرعت الحكومة التركية فى الأنظمة الجديدة لضباط الجيش وهى تقضى بتنزيل درجاتهم — ورتبهم وألحق حسب النظام الجديد برتبة ضابط صغير « قول أغاصى » بهيئة أركان حرب في فرقة «سلانيك» فأخذ يبذل جهده فى تعليم الجيش وتدريبه على الاصول الحربية الحديثة والأنظمة الجديدة

وكان كثيراً ما يكتب من الاقتراحات النافعة والانتقادات المفيدة لاصلاح شأن الجيش فكان ذلك من الاسباب الجوهرية التى بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه وكان جزاؤه تعيينه قائداً للألاى الثلاثين فجاء هـذا التعيين على عكس غرضهم الأساسى اذ أفسح له مجالا واسعاً لالقاء بعض المحاضرات الفنية وشرح أساليب الخطط الحربية وتوضيح المواقف الهامة وغير ذلك مما يحتاج اليه الضبّاط والقواد — ثم بعد ذلك دعته حكومة الاستانة وعيّنته ضمن أركان الحرب العامة فيها وقام بصحبة المرحوم شوكت باشا بالحركات الحربية لاخماد الثورة فى بلاد البانيا

وقد ذهب مع جماعة من اخوانه متنكراً الى مصر على أثر اعلان الحرب الايطالية سنة ١٩١١ وسافر منها الى بنغازى. ثم عاد الى الاستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار وتعيّن رئيسا لاركان الحرب ثم عاد الى الاستانة وتعيّن مُلحقاً عسكرياً في سفارة « صُفيا » عاصمة بلغاريا ومكث هناك مدة سنة كاملة

ولما نشبت الحرب العامة سنة ١٩١٤ تعيّن قائداً للفرقة السادسة عشر في (تكفورطاغ) ثم تعيّن قائداً لفيلق ديار بكر وبعـدها تولّي قيادة الجيوش. وعُيّن بعد ذلك قائداً للقوات الحجازية فتوجّه الى الشام وتفاوض مع جمال باشا وأركان حربه وأنور باشا واركان حربه. وبعد أخذ وردّ أقنع الجميع بضرورة الجلاء عن الحجاز ثم عاد الى ديار بكر ومنها عاد الى الاستانة وأخذ القيادة على عاتقه وحصل بينه وبين كبار القواد الالمانيين مناقشات أدت الى استقالته وسافر من الاستانة مع ولى العهد (جلالة الخليفة الاعظم الحالى) الى المـانيا وفيها تقابل مع القائدين العظيمين (هندنبورج ولودندرف) و بعد ذلك عاد فرأى ما حل بالبلاد من المصائب فاقترح على الحكومة اسقاط الوزارة وتشكيل وزارة أخرى حسب برنامج قرّره لها

وكان نظره متجها نحو نقطتين هامتين

(١) التوسّل بالاسباب الناجحة في الحصول على ما تمس الحاجة اليه

(٢) انشاء قوّة قوية للدفاع عن مصالح الوطن

وقد صحّت عزيمته على ترك الاستانة والتوغّل في داخلية البلاد و بسط موقف البلاد المحفوف بالمخاطر. ولاجل هذا بذل جهده في العمل على انقاذ الوطن خاصة والشرق عامة . و بينما كان مشتغلا بتهيئة الاسباب لذلك اذ تلقى أمراً بتعيينه قائداً ومفتشا لجيش الصاعقة مع ضرورة ذهابه به الى الاناضول فتقبّل ذلك بالسرور العظيم . وقام الى الاناضول وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معاً لذلك الجيش وكان ذلك من أهم العوامل الفعّالة للوصول الى تحقيق انقاذ الوطن (حاجة فى نفس يعقوب قضاها) ولما شعرت الحكومة بخطائها استدعته فى الحال الى الاستانة فرفض واستقال وسعى فى جمع نوّاب الأمة وتاليف المجلس الوطنى الكبير في الاناضول وقد افتتح المجلس الوطنى يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ وأخذ في مباشرة الاعمال والقيام بواجب البلاد وكان شغله الشاغل (كيف تمثّل ارادة الامة أحسن تمثيل) فاهتدى بعد أبحاث طويلة أنه لا يتم ذلك الا باجتماع نوّابها العظام . وهذا ما دعاه الى وضع مستقبل الامة من حريتها واستقلالها في يد وزارة كبيرة تمثل البلاد وقد تم له ما أراد ففاز بالنصر والسداد وفقه الله الى ما فيه صلاح العباد

والغازى على جانب عظيم من الفضيلة ومكارم الاخلاق بعيداً عن الزهو وحب النفس متواضعا محبوبا محترما صريحا في قوله وعمله. فصيحا بليغا — من كبار الكتّاب ومن فحول الشعراء ينادي المعالى ويناجى الحرية والاخاء والمساواة وقد اجتمع بين يديه امارة السيف والقلم — وخطبه أشهر من أن تذكر

من أقواله : فى الوطن

انّ وطننا العزيز لا يموتُ وإن يموتَ . واذا فرضنا المحال وسلّمنا بموته (لا قدّر الله) فكاهلُ الكرة الأرضيّة لن يستطيع حمل تابُوته الجسيم . نعم يسقط مهشما مُقطع الأوصال ما دام فرد منّا يتنسّم نسيم الحياة

ومن آرائه فى تعليم المرأة

تعليم المرأة « أمّ الوطن » وتثقيف عقلها بالعُلوم الدّينية والمعارف الأهلية من أهم ما ترمى اليه نهضتنا العلميّة الوطنيّة

ومن وصفه للفلاّح

سيّد تركيا بل سيد العالَم الحقيقى (الفلاّح) لانه هو العُنصر الأول فى تكوين عناصر الأمة وكيانها . والوطن بدونه لا شئ بل الوطن هو . فيتعيّن أن نعتنى به عناية خاصة وأن نضع قبل كل شئ سعادته نصبَ أعيننا

﴿ الشعر ﴾

كانت حالة الشعر في النصف الأوّل من هذا العصر لا تزيد شيئاً مذكوراً على ما كانت عليه فى العصر الماضي ، اذ كانت حكومة محمد على باشا فى أوّل أمرها تركية الصّبغة ، وكان هو اميًّا — ولكنّ الشعر أخذَ بعد ذلك فى الترقي خصوصاً في عصر اسماعيل باشا ، فتقدم خطوات تمثّلت في شعر السيد على أبي النصر المتوفي سنة ١٢٩٨ ، والشيخ على الليثي المتوفي سنة ١٣٠٩ ، وعظيم الشعراء البارودى

ولم يزل العلم والعلماء مع ذلك لهم المقام الأوّل فى مصر حتى كان العصر الحاضر ، ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكُتبه فهبّ أهلُه يتفكّهون بالأدب وكتابته والتأليف فيه ويستمعون الشعر ويحضرون المجامع العظيمة لإنشاده

فأقبل الشعراء على نظمه في كل أغراضه القديمة والحديثة ونحوا به نحو الشعر الفرنجي من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوجدان والعواطف النفسية ومن وصف القطار والكهرباء والمسرة والبرق وغير ذلك

ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت خلوُّه من تكلف البديع والجناس . والرجوع به الى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس

﴿ الشعراء ﴾

شعراء هذا العصر كثيرون وأشهرهم محمود باشا سامى البارودى ، وأحمد بك شوقى، ومحمد حافظ بك ابراهيم ، واسماعيل باشا صبرى ،وخليل بك مطران وغيرهم

(البارودى)

هو ربّ السيف والقلم ، أمير الشعراء وشاعر الامراء ، محمود سامي باشا بن حسن حسنى بك البارودى ، أحد زعماء الثورة العرابية واشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية — وُلِد سنة ١٢٥٥ هـ وتأدب وأُدخِلَ المدرسة الحربية وما زال يترقى حتى ولاّهُ المرحوم الخديوى توفيق باشا نظارتى الحربية والاوقاف . ثم وُلّى رياسة النظار قبيل الثورة العرابية . فلما اضطرمت نيران الثورة أرغمه زعماؤها على اصطلاء نارها فخبّ فيها ووَضعَ . وحُكم عليه بعد انقضائها بالنفى إلى جزيرة سيلان) حتى عمى وشُفع فيه فأذِن له بالقدوم الى مصر بعد مضى ١٧ سنة من منفاه وبقى فى منزله كفيفاً يشتغل بالأدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢ هـ ـ ومن قوله

والدهر كالبحر لاينفكّ ذا كدَر وانما صفوه بين الورى لُمَعُ
لو كان للمرء فكر فى عواقبه ما شان أخلاقَهُ حرص ولا طمع
وكيف يدرك مافى الغيب من حدَث من لم يزل بغرور العيش ينخدع

دهرٌ يغُرّ وآمال تَسُرّ وأع ... مار تمرّ وأيام لها خدع

يسعى الفتى لأمور قد تضرّ به ... وليس يعلم ما يأتى وما يدع

يأيها السادر المزورّ من صلف ... مهلاً فانك بالأيام منخدع

دع ما يريب وخذ فيما خلقت لهُ ... لعلّ قلبك بالإيمان ينتفع

ان الحياة لثوب سوف تخلَعُهُ ... وكل ثوب اذا ما رثّ ينخلع

ومن قوله في الحماسة والفخر

أنا مصدرُ الكَلِمِ البوادى ... بين المَحاضر والنّوادى .

أنَا فارسٌ أنا شاعر ... في كلّ ملحمَة ونادى

فاذا ركبت فإننى ... زَيْدُ الفوارس فى الجلاد

وإذا نطقتُ فإننى ... قسُّ بنُ ساعِدة الإيادى

وقال يصفُ هَرَمَي الجيزةِ وأبا الهول :

سل الجيزةَ الفيحاء عن هَرَمَيْ مِصْرِ ... لَعَلّكَ تدرى غيْب ما لم تكُنْ تدرى

بناءانِ رَدَّا صَوْلَةَ الدّهْرِ عنهما ، ... ومِنْ عَجَبٍ أن يَغْلِبَا صولَةَ الدّهْرِ

أقاما على رَغْمِ الخُطوبِ ليَشْهَدَا ... لبانِيهما بينَ البريّةِ بالفخرِ

فكَمْ أُمم فى الدهر بادتْ وأعْصرِ ... خلَتْ وهما اعْجُوبَةُ العينِ والفكْرِ

تلوحُ لآثارِ العقول عليهما ... أساطيرُ لا تنفك تُتْلَى الى الحشْرِ

رُموزٌ لو استَطْلَعْتَ مكْنونَ سِرّها ... لأبصرتَ مجموعَ الخلائقِ فى سطرِ

فما مِنْ بِناء كانَ أو هو كائنٌ ، ... يُدانيهما عندَ التأمّلِ والخُبْرِ

يُقصّرُ حُسْنًا عنهما صَرْحُ بابلٍ ، ... وَيعترفُ الإيوانُ (١) بالعجزِ والبَهْرِ

(١) هو ايوان كسرى كان بهوأ عظيماً في قصره بالمدائن وسقفه أزج معقود وبه سمي قصره الابيض

كأنهما ثديان فاضا بدرة ... من النيل تروى غلة الأرض إذ تجرى
وبينهما بلهيب (١) فى زى رابض ... أكب على الكفين منه الى الصدر
يقلب نحو الشرق نظرة وامق ... كأن له شوقا الى مطلع الفجر
مصانع فيها للعلوم غوامض ... تدل على أن ابن آدم ذو قدر
رسا أصلها ، وامتد فى الجو فرعها ... فأصبح وكرا للسماكين (٢) والنسر (٣)

﴿ احمد شوقى بك ﴾

هو رب القلم محيى دولة الشعر بعد العدم شاعر النيل أحمد بن على شوقى بك المولود سنة ١٢٨٥ هـ

شعره ، ينظم بين أصحابه فيكون معهم وليس معهم ، وينظم حين يشاء ، وحيث يشاء ، لا يجهد فكره ولا يكده فى معنى أو فى مبنى . فأما المعنى فيجيئه على مرامه أو على أبعد من مرامه ولا ينضب عنده لانه يستخلصه من عقل فوار الذكاء ومعارف جامعة الى أفانين الآداب فى لغات الافرنج والاعراب ، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ ، وغرائب السير التى يحفظ منها غير يسير إلى مشاركات علمية وتنبيهات فنية استفادها من مطالعته فى صنوف الكتب ، واتخذها عن ملحوظاته ومسموعاته فى جولاته بين بلاد الشرق والغرب ـ وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول : ترى فيه من نسج البحترى ومن صياغة أبى تمام ، ومن وثبات المتنبى ، ومن مفاجآت الشريف ، ومن مسلسلات مهيار

ومن قوله : يصف هيكل أنس الوجود

---

(١) اسم لابي الهول عرف به صدر الاسلام . ولعل ابا الهول محرف عنه (٢) السماكان نجمان نيران فى السماء احدهما السماك الرامح والثاني السماك الاعزل (٣) النسر كوكبان : الواقع والطائر . وفى النسر تورية

أيُّها المُنتحي « بأسوانَ » داراً كالثريّا تريدُ أن تنقضّا
اخلعِ النعلَ واخفضِ الطرفَ واخشعْ لا تحاولْ من آيةِ الدهرِ غضّا
قِفْ بتلكَ القصورِ في اليمّ غرقى مُمسِكاً بعضُها في الذعرِ بعضا
كعذارى أخفينَ في الماءِ بضّاً سابحاتٍ بهِ ، وأبدينَ بضّا
مُشرفاتٍ على الزوالِ . وكانتْ مُشرفاتٍ على الكواكبِ نهضا
شابَ من حولها الزمانُ . وشابت وشبابُ الفنونِ ما زالَ غضّا
رُبَّ نقشٍ كأنما نفضَ الصا نعُ منهُ اليدَينِ بالأمسِ نفضا
ودُهانٍ كلامعِ الزيتِ مرّت أعصرٌ بالسراجِ والزيتُ وضّا
وخطوطٍ كأنها هدبُ ريمٍ حسنتْ صنعةً وطولاً وعرضا
وضحايا تكادُ تمشي وترعى لو أصابت من قدرةِ اللهِ نبضا
ومحاريبَ كالبروجِ بنتْها عزَماتٌ من عزمةِ الجنّ أمضى
شيَّدَت بعضَها الفراعينُ زُلفى وبني البعضَ أجنبٌ يترضّى
ومقاصيرَ أبدلتْ بفُتاتِ الـ مسكِ تربًا . وباليواقيتِ قضّا
حظُّها اليومَ هدّةٌ ، وقديماً صرفت في الحظوظِ رفعاً وخفضا
سقَت العالمينَ بالسعدِ والنحـ سِ إلى أن تعاطتِ النحسَ محضا
صنعةٌ تُدهِشُ العقولَ وفنٌّ كان إتقانهُ على القومِ فرضا

***

يا قصوراً نظرتها وهي تقضي فسكبتُ الدموعَ ، والحقُّ يُقضى
أنتِ طغرا ، ومجدُ مصرَ كتابٌ كيفَ سامَ البلى كتابكِ فضّا ؟
وأنا المحتفي بتاريخِ مصرٍ من يصُنْ مجدَ قومِهِ صانَ عِرضا

لم تمُت أُمّةٌ ، ولا بادَ شعبٌ … أَقرَضوا الذِّكرَ والاحاديث قَرضا

رُبّ سرّ بجانبَيكِ مُزالٍ … كان حتى على الفراعين غَمضا

قُلْ لهـا في الدُّعاءِ لو كان يُجدي … يا سماءَ الجَلالِ لا صرتِ أرضا

حارَ فيكِ المهندسون عقولاً … وتولّتْ عزائمُ العلمِ مَرضى

أينَ ملكٌ حيالَها وفريدٌ … من نظامِ النعيمِ أصبحَ فضّا ؟

أين فرعونُ فى المواكبِ تترى … يركضُ المالكينَ كالخيلِ ركضا !

ساقَ للفتح فى الممالكِ عرضاً … وجلا للفخارِ في السلمِ عرضا

أين « إيزيسُ » تحتها النيلُ يجرى … حكمتْ فيـهِ شاطئَينِ وعرضا !

أَسدلَ الطّرفَ كاهنٌ ومليكٌ … فى ثَراها وأرسلَ الرأسَ خفضا

يُعرَضُ المالكون أسرى عليهـا … فى قيود الهوان عانينَ جَرضى

مالَها أصبحتْ بغير مُجير … تشتكى من نوائب الدهرِ عضّا

هيَ فى الأسرِ بين صخرٍ وبحرٍ … مَلِكة فى السجون فوقَ حضوضى

أين (هوروسُ) بين سيفٍ ونطعٍ … أَبهذا فى شرعِهم كان يُقضى !

ليت شعرى ! قضى شهيدَ غرامٍ … أم رماهُ الوشاةُ حِقداً وبُغضا !

رُبّ ضرب من سوطِ فرعون مضٍّ … دونَ فعلِ الفراقِ بالنفسِ مَضّا

وهلاكٍ بسيفِهِ وهو قاسٍ … دونَ سيفٍ من اللّواحظِ يُنضَى

قتلوهُ فهل لذاك حديثٌ : … أين راوى الحديثِ نثراً وقرضا

شيمةُ النيل أن يفى ، وعجيبٌ … أحرجوهُ فنقّضَ العهدَ نقضا

حاشةُ الماءِ فهو سيدٌ كريمٌ … ليتَ بالنيلِ يومَ يسقطُ غيضا

شيّدوا المالَ ، والعلومُ قليلٌ … أتقنوهُ بالمالِ والعلمِ نقضا

﴿ محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

هو الشاعر الكبير محمد حافظ بن ابراهيم أفندى فهمي المولود سنة ١٢٨٨ هـ

يقول الشعر ، فى كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، و يتعب فى قرض قريضه تعب النّحات الماهر فى استخراج مثال جميل من حجره

يؤثر الجزالة على الرّقة ، وله فيها آيات ، يطرق الموضوع فى الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع شأن الصانع القدير الذى يبدأ بأصعب ما بين يديه آمنًا أن تهن عزيمته دون الاجادة بعد ذلك عالمًا ان الكلام لا بدّ أن يأتيه فى أى مقام طيعاً ولو بعد حين

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ينسج على منوالها و يتخيّر نفائس مفرداتها وأعلاق حلاها . له غرام باللفظ لا يقلّ عن الغرام بالمعنى . وفى أقصى ضميره يؤثر البيت الجاد لفظًا على الجاد معنى . فاذا فاته الابتكار حينًا فى التّصور لم يفته الابتكار حينًا فى التصوير أولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ما شاء فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربي فى مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته واضاءته وأثره الخالد

أما شعره فشعر البيان وان من البيان لسحراً ــ ومن شعره الاجتماعى ، قوله

كم ذا يُكابد عاشقٌ ويُلاقى ... فى حبِّ مصرَ كثيرةِ العشّاقِ

إنى لأحملُ فى هواكِ صبابةً ... يا مصرُ ، قد خرجت عن الاطواقِ

لهفى عليكِ ! متى أراكِ طليقةً ... يحمي كريمَ حماكِ شعبٌ راقِ

كَلِفٌ بمحمود الخِلالِ ، مُتيَّمٌ ... بالبذلِ بين يديكِ والانفاقِ

إني لتُطربنى الخِلالُ كريمةً ... طَرَبَ الغريبِ بأوبةٍ وتلاقِ

ويهزني ذكرُ المروءةِ والندى ... بين الشمائلِ هزةَ المشتاقِ
ما البابليةُ في صفاءِ مزاجها ... والشربُ بين تنافسٍ وسباقِ
والشمسُ تبدو في الكؤوسِ وتختفي ... والبدرُ يشرقُ من جبينِ الساقي
بألذَّ من خلقٍ كريمٍ طاهرٍ ... قد مازجتهُ سلامةُ الاذواقِ
فاذا رُزقتَ خليقةً محمودةً ... فقدِ اصطفاكَ مُقسّمُ الأرزاقِ
فالناسُ هذا حظهُ مالٌ ، وذا ... علمٌ وذاكَ مكارمُ الأخلاقِ
والمالُ إن لم تدّخرهُ محصّنا ... بالعلمِ كان نهايةَ الإملاقِ
والعلمُ ان لم تكتنفهُ شمائلٌ ... تُعليهِ كان مطيةَ الإخفاقِ
لا تحسبنَّ العلمَ ينفعُ وحدهُ ... ما لم يتوَّجْ ربُّهُ بخلاقِ
مَنْ لي بتربيةِ النساءِ فإنها ... في الشرقِ علّةُ ذلكَ الإخفاقِ
الامُ مدرسةٌ إذا أعددتَها ... أعددتَ شعبا طيّبَ الأعراقِ
الامُ روضٌ إن تعهّدَهُ الحيا ... بالريّ ، أورقَ أيّما إيراقِ
الامُّ أستاذُ الأساتذةِ الالى ... شغلت مآثرُهم مدى الآفاقِ
أنا لا أقولُ : دعوا النساءَ سوافراً ... بين الرجالِ يجُلنَ في الاسواقِ
يدرُجْنَ حيثُ أردنَ ، لا مِن وازعٍ ... يحذرنَ رقبتَهُ ، ولا مِن واقِ
يفعلنَ أفعالَ الرجالِ لواهيا ... عن واجباتِ نواعسِ الاحداقِ
في دورِهنَّ شؤونُهنَّ كثيرةٌ ... كشؤونِ ربِّ السيفِ والمزراقِ
كلاَّ ، ولا أدعوكُمُ أن تُسرفوا ... في الحُجْبِ والتضييقِ والإرهاقِ
ليستْ نساؤكُمُ حُلى وجواهراً ... خوفَ الضياعِ تُصانُ في الاحقاقِ
ليست نساؤكُمُ أثاثا يُقتنى ... في الدُّورِ بين مخادعٍ وطباقِ

تتشكَّلُ الازمانُ فى أدوارِها دُوَلاً ، وهنَّ على الجمود بواقِ
فتوسَّطوا فى الحالتَين ، وأنصفوا فالشرُّ في التقييد والإطلاقِ
ربُّو البنات على الفضيلةِ ، إنَّها في الموقفَين لهنَّ خير وثاقِ
وعليكُمُ أن تستبينَ بناتُكم نورَ الهدى وعلى الحياءِ الباقي

﴿ اسماعيل صبري باشا ﴾

أكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها أو خبر ذي بال يسمعهُ أو كتاب يطالعه — ينظم المعنى الذى يعرض له فى بيتين عادة الى أربعة الى ستة ، وقلّما يزيد على هذا القدر الا حيث يقصد قصيدة — شديد النقد لشعره كثير التبديل والتحويل فيه حتى اذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الاسلوب أهمله ثم نسيه — ومن قوله يصف الاهرام

لا القومُ قومى ولا الأعوانُ أعواني إذا ونى يوم تحصيلِ العُلى وانِ
ولستُ إنْ لم تؤيِّدْني فراعنة منكم بفرعونَ عالى العرشِ والشانِ
ولستُ جبّارَ ذا الوادي إذا سلمت جبالُهُ تلكَ من غاراتِ أعوانِي
لا تقربوا النِّيلَ إن لم تعملوا عملاً فماؤهُ العذْبُ لم يُخلَقْ لِكسلانِ
رِدُوا المجرَّة كدًّا دون موردِهِ أو فاطلبوا غيرَهُ رِيًّا لظمآنِ
وابنُوا كما بنَتِ الأجيالُ قبلكمُ لا تتركوا بعدَكم فخراً لإنسانِ
أمرتُكم ، فأطيعوا أمرَ ربِّكمُ لا يَثنِ مُستمِعاً عن طاعةٍ ثانِ
فالملكُ أمرٌ وطاعاتٌ تُسابقهُ جنبًا لجنب الى غايات إحسانِ
لا تتركوا مُستحيلاً في استحالته حتى يُميطَ لكم عن وجهِ إمكانِ
مقالةً قد هوَت من عرشِ قائلها على مناكبِ أبطالٍ وشجعانِ

مادَتْ لها الارضُ من ذُعرٍ ودانَ لها ... ما في المقطَّمِ من صخرٍ وصوّانِ
لو غيرُ فرعونَ ألقاها على ملأٍ ... في غيرِ مصرٍ لعُدَّتْ حُلْمَ يقظانِ
لكنّ فرعونَ إن نادَى بها جَبَلاً ... لبَّتْ حجارتُهُ في قبضةِ الباني
وآزرتْهُ جماهيرٌ تسيلُ بها ... بِطاحُ وادٍ بماضي القومِ ملآنِ
يَبنون ما تقِفُ الاجيالُ حائرةً ... أمامَهُ بين إعجابٍ وإذعانِ
من كلِّ مالم يَلِدْ فكرٌ ولا فُتِحَتْ ... على نظائرِهِ في الكون عينانِ
ويُشبِهونَ إذا طاروا الى عمَلٍ ... جِنًّا تطيرُ بأمرٍ من سُليمانِ
برًّا بذي الامرِ لا خوفًا ولا طمَعًا ... لكنّهم خُلقوا طُلّابَ إتقانِ
أهرامُهم تلك ، حيِّ الفنَّ متَّخذًا ... من الصخورِ بروجًا فوقَ كيوانِ
قد مرَّ دهرٌ عليها ، وهي ساخرةٌ ... بما يُضَعضِعُ من صرحٍ وإيوانِ
لم يأخذِ الليلُ منها والنهارُ سوى ... ما يأخذُ النملُ من أركانِ ثهلانِ
كأنها والعوادي في جوانبها ... صَرعى ببناءِ شياطينٍ لشيطانِ
جاءت إليها وفودُ الارضِ قاطبةً ... تسعى اشتياقًا الى ما خلّدَ الفاني
فصغَّرتْ كلَّ موجودٍ ضخامتُها ... وغضَّ بنيانُها من كلِّ بُنيانِ
وعادَ مُنكِرُ فضلِ القومِ معترفًا ... يُثني على القومِ في سرٍّ وإعلانِ
تلك المِيا كلٌّ في الامصارِ شاهدةٌ ... بأنهم أهلُ سبقٍ ، أهلُ إمعانِ
وأن فرعونَ في حَوْلٍ ومقدرةٍ ... وقومَ فرعونَ في الإقدامِ كُفْؤانِ
اذا أقامَ عليهم شاهدًا حَجَرٌ ... في هيكلٍ قامتِ الأخرى ببرهانِ
كأنما هي والاقوامُ خاشعةٌ ... أمامها صحُفٌ من عالَمٍ ثانِ
تَستقبلُ العينَ في أثنائها صُوَرٌ ... فصيحةُ الرمزِ دارتْ حولَ جُدرانِ

لو أنها أُعطِيَتْ صوتاً لسكانَ لهُ	صدًى يُروّع صُمّ الإنس والجانِ
أين الأُلى سَجّلوا فى الصخر سيرتَهم	وصَغُرُ وا كلّ ذى مُلك وسلطانِ
بادُوا ، وبادَت على آثارهم دُوَلٌ	وأُدرِجُوا طيَّ أخبار وأكفانِ

﴿ خليل بك مطران ﴾

هوشاعرالشعور والخيال. وشاعر بَعلبك والاهرام. ولد سنة ١٧١ ببعلبك وتعلّم بها قدم مصر سنة ١٨٩٣م واشتغل بمكاتبة الصّحف وأنشأ باسمه « المجلّة المصرية » سنة ١٨٩٩م وأنشأ أيضا (جريدة الجوائب المصرية) وله ديوانه المسمّى (ديوان الخليل) شعره ـ مجمعُ الصُّوَر وملعَبُ الخيَال. ونفسه كالصّحيفة الحسّاسة ينطبع عليها كل ما يمر بها . بل الغصن الرطب يميل به كلّ نسيم بل وجه البُحيرة الصّافي يحرّكه كل ريح

من قصيدة له يصف ضرب الاسطول الايطالى سواحل الشّام و يستنهض الهمم

بلادى لا يَزالُ هواكِ مِنّى	كما كان الهوى قبل الفِطَام
أُقَبِّل منكِ حيثُ رمى الأعادى	رُغاماً طَاهراً دُونَ الرّغام
وأُفدِي كل جُلمود فتَيت	وَهَى بقنَابل القومِ اللّئام
لَحى الله المطامعَ حيث حلّت	فتلك أشدّ آفات السلام
تشوبُ الماء وهو أغرّ صاف	وتمشى فى المشارب بالسقام
أقول وقد أفاق الشّرق ذُعراً	من الحال الشّبيهة بالمنامِ
على صَخَب المدافع في حماه	ورقص الموت بين طُلًى وهامِ
أقول بصوته لحماة دار	رماها من بُناة الغرب رام
اباةَ الضَّيم من عَربٍ وتُرك	نُسورَ الشّم آسادَ الموَامي
قرومَ العصر فرسانًا ورَجلاً	نُجومَ الكرّ من خلف اللثام

بنا مَرض النعيم فنسّمونا ... وَغَى يشفي من الصفو العُقام

بنا بَرْدُ المكوثِ فأدفئونا ... بحُمّى الوَثْبِ حيث الخطبُ حام

بنا عطلُ السّماع فشنّفونا ... بقعقعة الحديد لدى الصّدام

على هذا الرّجاء ونحن فيه ... نسيرُ مُوفّقين الى الأمام

وقال فى نابليون وهو يراقب السماء في آخر أيامه

قالوا لنابليون ذات عشيّة ... إذ كان يرقب فى السّماء الأنجُما

هل بعد فتح الارض من أُمنيّة ... فأجابَ انظر كيف أفتتح السّما

أبواب الشعر العربى

(الباب الاول فى المديح)

« قال أُميّة بن أبى الصّلت المتوفى سنة ٩ هـ فى العزّة الالـهية »

لكَ الحمدُ والنّعماء وَالمُلْكُ رَبَّنا ... فلا شَيء أعلى منك مجداً وأمجدُ

مَليك على عَرش السّماء مُهيمنٌ ... لعِزّته تعنُو الوُجوه وتَسجدُ

فَسُبحان من لا يَعرفُ الخلقُ قدرَه ... ومَنْ هو فوقَ العَرْش فردٌ مُوحّدُ

هُو الله بارى الخلقِ والخلقُ كلُّهم ... إماءٌ له طوعاً جميعاً وأعبُدُ

مليكُ السّموات الشّداد وأرضِها ... يدومُ ويبقى والخليقةُ تَنفَدُ

(وقال أيضاً)

إلـهُ العالَمينَ وكلِّ أرض ... ورب الرّاسِياتِ من الجبالِ

بَناها وابتَنى سَبْعاً شِداداً ... بلاَ عَمدٍ يُرَيْنَ ولا رجالِ

وسوّاها وَزَيّنها بنور ... من الشمس المُضيئة والهلالِ

ومن شُهُب تلألأُ في دُجاها مَرامِيها أشدُّ من النِّصالِ

وشقّ الارضَ فانبجَسَتْ عيُونا وأنهاراً من العَذْب الزُّلالِ

وبارك في نواحيها وَزَكّى بها ما كان من حَرْثٍ ومالِ

فكُلُّ معَمّ لا بدّ يوما وذى دُنيا يصيرُ إلى زوالِ

ويفْني بعد جِدته وَيبلَى سوَى الباقي المقدّسِ ذى الجلالِ

وسِيقَ المجرِمُون وهم عُراة الى ذات المَقامع والنّكالِ

فنادَوا ويلَنا وَيلاً طويلاً وعَجُّوا فى سَلاسلها الطّوالِ

فليسُوا ميّتين فيستَريحوا وكلهمُ بحَرّ النّار صالى

وحَلّ المتّقون بدار صدق وعيش ناعِمٍ تحت الظّلالِ

لهم ما يشتهون وَما تمنّوا من الافراح فيها والكمالِ

(وقال محمود سامي البارودي باشا مادحاً سيد الامة — من كشف الغُمّة)

« محمدٌ » خاتم الرُّسل الّذى خضعت له البرية من عُرب ومن عَجَم

سميرُ وحى ومجنَى حِكمةٍ ونَدى سَماحة وقِرَى عافٍ ورِيُّ ظَمِ

قد أبلغ الوحىُ عنه قبل بعثته مسامِعَ الرُّسل قولاً غير مُنكتِمِ

فذاك دعوةُ إبراهيمَ [1] خالقَهُ وسِرُّ ما قاله عيسى [2] من القِدَمِ

أكرم به وبآباءٍ مُحجلة جاءت به غرّةً في الأعصُر الدُّهُمِ

قد كان فى مَلكوت الله مُدّخَراً لدعوة كان فيها صاحبَ العَلمِ

نورٌ تنقل في الاكوان ساطِعُهُ تنقلَ البدرِ من صُلب الى رَحِمِ

---

(١) يشير الى قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) (٢) يشير الى قوله جل ذكره (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)

(وقال أحمد بك شوقي مادحاً أفضل الخلق على الاطلاق — من نَهج البُردة)

« محمدٌ » صفوةُ البارى ورَحمتُه ... وبُغيةُ اللهِ من خَلقٍ ومن نَسَمِ

وصاحبُ الحوضِ يومَ الرُسلُ سائلةٌ ... متى الوُرُودُ وجبريلُ الأمينُ ظَمِي

سَناؤه وسَناه الشمس طالعةً ... فالجِرمُ في فلكٍ والضوءُ في علمِ

قد أخطأ النجمُ ما نالت أُبُوَّته ... من سُؤْددٍ باذخٍ في مظهرٍ سنِمِ

نُمُوا اليه فزَادُوا في الوَرَى شَرفاً ... ورُبَّ أصلٍ لفرعٍ في الفَخار نُمِي

حوَاه في سُبُحات الطُهر قبلهمُ ... نُوران قاما مقَامَ الصُّلبِ والرَّحِمِ

لمّا رآه بَحِيراً قال نَعرفهُ ... بما حفِظنا من الاسماء والسِّيَمِ

﴿ وقال أبو تمام مادحاً المعتضد بالله ﴾

إلى قُطبِ الدُّنيا الذى لو بفضلِهِ ... مَدَحتُ بَني الدُّنيا كفَتهم فَضائله

من البأسِ والمعروفِ والجودِ والتُقَى ... عيالٌ عليهِ رزقهنَّ شمائله

هو البَحرُ من أيِّ النَواحي أتيتَه ... فلُجتُهُ المعرُوفُ والجودُ ساحله

تَعود بَسطَ الكف حتّى لوَ انَّهُ ... ثَناها لقبضٍ لم تُطِعْهُ أنامله

ولو لم يكن في كفِه غيرُ رُوحه ... لجاد بها فليتَّقِ اللهَ سائله

﴿ وقال فيه أيضاً ﴾

السيف أصدَقُ إنباءً من الكُتُبِ ... في حدِه الحدُّ بينَ الجدِّ واللعبِ

بِيضُ الصفائِحِ لا سُودُ الصحائفِ في ... مُتونِهِنَّ جلاءُ الشكِّ والرِّيَبِ

فتحٌ تَفتحُ أبوابُ السّماءِ له ... وتبرُزُ الارضُ في أثوابِها القُشُبِ

غادَرتَ فيهم بهيمَ الليل وهو ضُحى ... يُقِلُّهُ وَسْطَها صُبحٌ من اللهَبِ

حتى كانَ جلابيبَ الدُجى رَغِبَتْ ... عن لونِها وكأنَّ الشمس لم تَغِبِ

أجبتَهُ مُعلِنًا بالسّيف منصلِتا ولو أجبتَ بغير السّيف لم تُجِب
خَليفةَ اللهِ جازى اللهُ سَعيك عن جُرثومةِ الدّين والإسلام والحَسَب
فبيْن أيّامك اللاتى نُصرتَ بها وبين أيّامِ بدْرٍ أقربُ النّسب

﴿ وقال أبو العَلاء المعرّى ﴾

اليك تَناهَى كلُّ فخرٍ وسُؤْدَدِ فأبلِ اللّيالى والأنامَ وَجدّدِ
لِجَدّكَ كان المجدُ ثم حَويتَهُ ولابنك يُبنَى منه أشرفُ مَقعَدِ
ثلاثةُ أيامٍ هىَ الدّهرُ كلُّه وما هُنَّ غيرُ الأمسِ واليومِ والغَدِ
وما البدرُ إلا واحدٌ غيرَ أنه يَغيبُ ويأتى بالضّياء المُجدَّدِ
فلا تَحسبِ الأقمارَ خلقًا كثيرةً فجملتها مِن نَيّرٍ مُتردِّدِ
وللحَسَنِ الحُسنَى وان جادَ غيرُه فذلك جُودٌ ليس بالمتعمَّدِ

﴿ وقال أبو الطَّيّب المتنبّي مادحاً سيف الدولة ﴾

ضاق الزمانُ ووجهُ الأرض عن مَلِك مِلءِ الزمان ومِلءِ السّهل والجَبل
فنحنُ فى جَذَل والرُّوم فى وَجَل والبَرُّ فى شُغُل والبحرُ فى خَجَل
ليتَ المدائح تَستوفِى مناقبَه فما كُلَيبٌ وأهلُ الأعصُر الأُوَل
خُذْ ماترَاه ودَعْ شيئًا سمِعتَ به فى طَلعة البدرِ ما يُغنيك عن زُحل
وقد وَجدت مكانَ القول ذا سعةٍ فانْ وجَدتَ لسانًا قائلاً فقل
إن الإمامَ الذي فخرُ الأنامِ به خيرُ السُّيوف بكفَّى خيرَةِ الدُّول
تُمسِى الأمانِىَ صَرعَى دُون مَبلَغِه فما يقولُ لِشىءٍ ليتَ ذَلك لى

﴿ وقال أيضا يمدح أبا شُجاع ﴾

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ فليُسعِدِ النُّطقُ ان لم تُسعدِ الحالُ

واجز الاميرَ الذى نُعْماه فاجئةٌ بغير قولٍ ونُعمَى النّاسِ أقوالُ
فرُبما جزَت الإحسانَ مُوليَه خَريدةٌ من عذارى الحَىّ مِكسالُ
وان تكن مُحْكمات الشّكل تمنعنى ظهور جرْى فلى فيهنّ تَصْهالُ
وما شَكرْتُ لأن المالَ فرّحنى سيّان عندىَ اكثارٌ واقلالُ
لكن رأيتُ قبيحاً أن يُجادَ لَنا وانّنا بقضاء الحقّ بُخّالُ
فكنتُ مُنْبِتَ رَوْضِ الحزْنِ باكَرَه غيثٌ بغيرِ سِباخ الارض هَطّالُ
غيثٌ يُبَيّن للنُّظار موْقِعُه أن الغيوثَ بما تأتيه جُهّالُ
لا يُدْرِكُ المجدَ الأسيّدٌ فَطِنٌ لما يَشُقُّ على السادات فَعّال
لاوارِثٌ جَهلَتْ يُمناهُ ما وَهَبَتْ ولا كَسوبٌ بغير السّيف سَئّال
قال الزّمانُ له قولاً فأفهمَ أن الزّمان على الإمساكِ عَذال
تدرى القناةُ لذا اهتزّت براحته أن الشّقىّ بها خيلٌ وأبطالُ
كفاتكٍ ودُخول الكاف مَنقَصةٌ كالشّمس قُلْتُ وماللشمس أمثال
القائدُ الأُسْدَ غَذَتْها بَراثِنُهُ بمثلها من عداهُ وهى أشبالُ

وقال أيضاً يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث سنة ٣٤٣ هـ

على قدْرِ أهل العزْم تأتى العزائمُ وتأتى على قدْر الكرام المكارم
وتَعظُم فى عين الصغير صِغارُها وتصغُرُ فى عين العظيم العظائم
يُكلّفُ سيفُ الدّوْلة الجيشَ همّهُ وقد عجزَت عنه الجيوش الخضارِم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدّعيه الضّراغم
يُفَدّى أتمُّ الطّير عُمْراً سِلاَحهُ نسُورُ الفَلاَ أحداثُها والقَشاعِم
وما ضَرّها خلْقٌ بغير مخالب وقد خُلِقتْ أسيافه والقوائم

هل الحَدَثُ الحمراء تَعرف لوْنَها وتَعلَم أيُّ السّاقِيَيْن الغمائم
سقَتها الغَمام الغرُّ قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم
بَناها فأعلي والقَنا تَقرَع القَنا ومَوْج المنايا حولها مُتلاطم
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت ومن جُثَث القَتلى عليها تَمائم
طَريدة دَهر ساقها فرَدَدْتَها على الدّين بالخَطّيّ والدّهر راغم
تُفيت اللّيالى كلّ شيء أخذتَه وهُنَّ لما يأخذْن منك غَوارم
وكيف تُرَجّى الرُّوم والرُّوس هَدْمَها وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم

(وقال جرير المتوفي سنة ١١٠ ﻫ يمدح عبد الملك بن مروان)

تعزَّت امُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قالتْ رأيتُ المورِدِين ذوِى لِقَاحِ
ثِقِى باللهِ لَيسَ له شريك ومِنْ عِندِ الخَليفة بالنّجاحِ
سأشكرُ إنْ رَدَدْتَ إلىّ رِيشِى وأنْبَتَّ القَوَادمَ فى جناحِي
ألَستُمْ خيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وأنْدَى العالَمينَ بُطونَ راحِ

(وقال أيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه)

إكمْ باليَمامةِ منْ شعْثاءَ أرْمَلَة ومنْ يَتيم ضَعيفِ الصوْتِ والنَظَرِ
ممّنْ يَعُدُّكَ تَكْفِي فَقْدَ وَالِدِهِ كالفَرْخِ فى العُشّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ
يَدْعُوك دَعْوَةَ مَلهوفٍ كأَنَّ بهِ خَبْلاً منَ الجِنّ أو مَسّاً من النُّشَرِ
إنّا لَنرْجو إذا ما الغيثُ أخلَفَنا منَ الخَليفةِ ما نَرجو منَ المَطَرِ
نَالَ الخِلافَةَ أو كانَتْ لَهُ قَدَراً كما أتَى رَبَّهُ مُوسَى علَى قَدَرِ
هذِى الأرامِلُ قَدْ قضَّيْتَ حاجَتَها فمَنْ لحاجةِ هذا الأرمل الذَّكَرِ

(وقال أيضاً يمدحه)

يَعُودُ الفَضْلُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ ... وتُفْرِجُ عَنهمُ الكُرَبَ الشِّدَادَا

وقد أمّنْتَ وَحْشَهمُ بِرِفْقٍ ... ويُعْيِي النَّاسَ وَحْشُكَ أن يُصادَا

وتَدْعُو اللهَ مُجتهداً لِيَرْضَى ... وتَذْكُرُ فى رَعِيَّتِكَ المعَادَا

ومَا كَعْبُ بنُ مامةَ وابنُ سُعْدَى ... بأجْوَدَ مِنكَ يا عُمَرُ الجَوَادَا

(وقال الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ مادحاً الامير أبا الفضل الميكالى)

لك فى المفاخر مُعجزاتٌ جَمَّةٌ ... أبداً لغيرك فى الورَى لم تُجمَعِ

بحران بحرٌ في البلاغة شابَهُ ... شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعى

وترسلُ الصَّابى يزين عُلوَّهُ ... خط ابن مُقلةَ ذو المحل الأرفع

كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو ... كالوشى في بُرْدٍ عليه مُوَشَّعِ

شكراً فكم من فِقرَةٍ لك كالغِنَي ... وافي الكريم بُعَيْدَ فقر مُدْقِعِ

واذا تَفَتَّق نَوْرُ شعرك ناضراً ... فالحُسن بين مُرصَّعٍ ومُصَرَّعِ

أرْجلْتَ فرسان الكلام ورُضْتَ أفْ ... راسَ البديع وأنت أمجد مُبدِعِ

ونقشتَ فى فَصِّ الزمان بدائعاً ... تُزرى بآثار الربيع الممْرِعِ

(وقال أبو محمد اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ يمدح الملك الفائز ووزيره الصالح)

أقسمتُ بالفائزِ المعصومِ مُعْتَقِداً ... فَوْزَ النَّجاةِ وأجرَ البِرِّ فى القَسَمِ

لقد حمَى الدِّينَ والدنيا وأهلهُما ... وزيرُهُ الصَّالحُ الفَرَّاجُ للغُمَمِ

اللابسُ المجدِ لم تنسج غَلائلَهُ ... إلاّ يدُ الصَّانِعَيْنِ السَّيفِ والقَلَمِ

قد ملَّكتْه العَوالى رِقَّ مملكةٍ ... تعيرُ أنفَ الثُّريّا عِزَّةَ الشَّمَمِ

أرَى مَقاماً عظيمَ الشَّأنِ أوهمنى ... فى يَقظَتي أنَّه من جملةِ الحُلُمِ

لَيتَ الكواكبَ تَدْنو لي فأنظِمَها ... عُقودَ مَدْحٍ فما أرضى لكُمْ كَلِمي

خليفةٌ ووزيرٌ مــدّ عدلُهما ... ظِلاًّ على مَفرِق الإسلامِ والأُمَمِ

زيادةُ النّيلِ نقصٌ عِندَ فيضِهِما ... فما عسى يَتعاطى هاطِلُ الدِّيَمِ

﴿ وقال حافظ بك ابراهيم يمدحُ أستاذنا الشيخ محمد عبده ويهنئه ﴾

رأيتُك والأبصارُ حَولك خُشَّعٌ ... فقلتُ أبو حفص ببُرْدَيكَ أم علي

وخفضتَ مِن حزني على مَجدِ أمّةٍ ... تَدارَكْتَها والخطْبُ للخَطب يعتلي

طلعتَ بها باليُمن من خيرِ مَطلَعٍ ... وكُنتَ لها في الفوز قِدْحَ ابنِ مُقبِل

وجرّدتَ للفُتْيا حُسامَ عزيمةٍ ... بحدَّيه آياتُ الكتابِ المُنزَّل

مَحَوتَ به في الدّين كلَّ ضلالةٍ ... وأثبتّ ما أثبتَّ غيرَ مُضلِّل

لئنْ ظفِر الأفتاءُ منك بفاضلٍ ... لقد ظفِر الإسلامُ منك بأفضل

الباب الثاني في الفخر والحماسة

(قال السموءل بن عادياء المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة)

اذا المرءُ لمْ يَدْنَسْ مِن اللُّؤمِ عِرضُهُ ... فكُلُّ رِداءٍ يَرْتَديه جَميلُ (١)

وإنْ هُوَ لمْ يَحمِلْ على النّفسِ ضَيْمَها ... فليسَ إلى حسْنِ الثّناءِ سبيلُ (٢)

يُعيّرُنا أنّا قليلٌ عَـديدُنا ... فقلتُ لها إنّ الكِرامَ قليلُ (٣)

---

(١) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة — والمعنى ان الانسان اذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأي ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلا (٢) وان هو لم يحمل الى آخر البيت — اي من لم يصبر النفس على مكارهها فلا سبيل الى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم ضيم الغير لهم لأنهم يأنفون من ذلك ويعدونه تذللا (٣) يقال عيرته كذا وعيرته بكذا والاول المختار — المعنى أنها انكرت مناقلة عددنا فعدته عاراً فأجبتها ان الكرام يقلون

وَما قَلَّ مَنْ كانَتْ بَقاياهُ مِثلَنا ... شَبابٌ تَسامَى لِلعُلا وَكُهُولُ (١)

وَما ضَرَّنَا أنا قليلٌ وَجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأَكثرينَ ذَليلُ (٢)

لنا جبلٌ يحتلُّهُ مَنْ نُجيرُهُ ... مَنيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهوَ كليلُ (٣)

رَسا أَصلُهُ تحتَ الثرَى وَسما بهِ ... إلى النجمِ فَرْعٌ لا يُنالُ طَويلُ (٤)

هُوَ الابلقُ الفردُ الذى شاعَ ذِكرُهُ ... يَعِزُّ على مَنْ رامَهُ وَيطولُ (٥)

وَإنّا لقومٌ لا نَرَى القَتلَ سُبَّةً ... إذا ما رَأتهُ عامِرٌ وَسَلولُ (٦)

يُقرِّبُ حُبُّ المَوتِ آجالَنا لَنا ... وتَكرَهُهُ آجالُهُمْ فَتَطولُ (٧)

وما ماتَ منّا سيِّدٌ حَتْفَ أنفِهِ ... ولا طُلَّ مِنا حيثُ كانَ قتيلُ (٨)

تَسيلُ على حَدِّ الظُّباتِ نفوسنا ... وليستْ على غيرِ الظُّباتِ تَسيلُ (٩)

صَفَوْنا فلم نَكدُرْ وأَخلَصَ سِرَّنا ... إناثٌ أطابتْ حَملَنا وفحولُ (١٠)

---

(١) الشباب جمع شاب كالشبان وقوله تسامى اراد تتسامى فحذف احدى التاءين والكهول جمع كهل ضد الشبان (٢) وما ضرنا يجوز في ما ان تكون نافية والمعنى لم يضرنا ويجوز انه تكون استفهامية على طريق التقرير والمعني اي شيء ضرنا (٣) قيل انه اراد بذكر الجبل العز والسمو — وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموأل الذي يقال له الابلق الفرد — يعني من دخل في جوارنا امتنع على طلابه (٤) رسا اصله الى آخر البيت يريد به انه اثبت جبل في الارض واعلى طود عليها (٥) الابلق الفرد الذي شاع ذكره هو حصن السموءل بناه ابوه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت تمرد مارد وعز الابلق (٦) السبة العار وعامر وسلول قبيلتان يقول اذا حسب هؤلاء القتل عاراً عده عشيرتي فخراً (٧) يقرب الى آخر البيت يشير به الى انهم يغتبطون لاقتحامهم المنايا وان عامرا وسلولا يعمرون لجانبتهم الشر كراهة للموت وحبا للحياة (٨) يقال مات فلان حتف انفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب — قيل ان اول من تكلم بقولهم حتف انفه النبي صلى الله عليه وسلم ومعني البيت انا لا نموت ولكن نقتل ودم القتيل منا لا يذهب هدرا (٩) الظبات جمع ظبة وهي حد السيف قيل اراد بالظبات السيوف كلها فأضاف الحد اليها اى انهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون الا بالسيوف ولا يقتلون بالعصى ولا بالحجارة كما يقتل رعاع الناس (١٠) المراد بالسر هنا الاصل الجيد ومعنى ذلك صفت انسابنا فلم يشبها كدر

عَلَوْنا إلى خيرِ الظُّهورِ وحَطَّنا ... لِوَقْتٍ إلى خيرِ البُطونِ نُزولُ (١)

فنَحنُ كَماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنا ... كَهامٌ ولاَ فينَا يُعَدُّ بَخيلُ (٢)

ونُنْكِرُ إن شِئْنا على الناسِ قَولَهم ... ولا يُنْكِرونَ القَوْلَ حينَ نقولُ (٣)

إذا سيِّدٌ منّا خلاَ قامَ سيِّدٌ ... قَؤولٌ لما قالَ الكِرامُ فَعولُ (٤)

وما اخمِدَتْ نارٌ لنا دُونَ طارقٍ ... ولا ذَمَّنا فى النّازلينَ نَزيلُ (٥)

وأيّامُنا مشهُورةٌ في عَدُوِّنا ... لها غُرَرٌ معلومةٌ وحُجُولُ (٦)

وأسيافُنا في كلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ ... بها منْ قِراعِ الدّارِعينَ فُلولُ (٧)

مُعَوَّدَةٌ ألاَّ تُسَلَّ نِصالُها ... فتُغْمَدَ حتى يُسْتَباحَ قَبيلُ (٨)

سَلِي إنْ جَهِلْتِ النّاسَ عنّا وعنهمُ ... فَليسَ سَواءٌ عالِمٌ وجَهولُ (٩)

فإنّ بني الدَّيّانِ قُطْبٌ لقَومِهِمْ ... تَدُورُ رَحاهُم حَوْلَهُمْ وتَجُولُ (١٠)

---

(١) علونا الى آخر البيت يشير به الى صريح نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم (٢) كماء المزن يريد بذلك تشبيه صفاء انسابهم بصفاء ماء المطر والنصاب الاصل ومنه نصاب السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل فيعد (٣) ولا ينكرون الى آخر البيت معناه انهم لشدة بأسهم وحماستهم تخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم (٤) يعني ان السيادة مستقرة فينا حتى اذا خلا منا سيد خلفه سيد يقول ما تقول الكرام ويفعل ما تفعله (٥) وما اخمدت نار لنا يشير بذلك الى انهم لكثرة كرمهم يديمون ايقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وانهم يثنى عليهم كل نزيل (٦) الحجول جمع حجل وهو الخلخال يقول وقعاتنا مشهورة في اعدائنا فهى بين الايام كالافراس الغر المحجلة بين الخيل (٧) القراع بكسر القاف المقارعة والمضاربة والدارعين اصحاب الدروع يقول اسيافنا فى كل مكان تفللت اي تكسرت مما نضارب بها الاعداء والفلول جمع فل وهو الكسر (٨) القبيل الجماعة من آباء شتى وجمعه قبل والقبيلة الجماعة من اب واحد وجمعها قبائل يقول عودت اسيافنا ان لا تجرد من أغمادها فترد فيها الا بعد ان يستباح بها قبيل (٩) عنا وعنهم ويروى عنا فتخبرى معناه ان كنت جاهلة بنا فسلى الناس تخبرى بحالنا فالعالم والجاهل مختلفان (١٠) القطب الحديد الذي في الطبق الاسفل من الرحا يدور عليه الطبق الاعلى منها والمعنى ان امر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم الا بهم مثل الرحا لا يتم امرها الا بالقطب

﴿ وقال عنترة العبسى ﴾

لعَمرُكَ إن المجد والفخر والعُلاَ ... ونيلَ الأماني وارتفاعَ المراتب
لمَنْ يلتقى أبطالَها وسَرَاتَها ... بقلبٍ صَبورٍ عند وَقع المضارب
ويَبنى بحدِّ السَّيف مجداً مشيداً ... على فَلَكِ العَلياء فوق الكواكب
ومَنْ لم يُرَوِ رُمحَهُ من دَم العِدَاَ ... اذا اشتبكتْ سُمْرُ القَنا بالقَواضب
ويُعطى القَنا الخَطيّ فى الحرب حَقّهُ ... ويَبزِى بحدّ السّيف عرضَ المنَاكب
يعيشُ كما عاش الذليل بغُصة ... وإن مات لا يجرِى دُموعُ النَّوادب
فضائلُ عزمٍ لا تُباعُ لضارعٍ ... وأسرارُ حزمٍ لا تُذَاع لعائب
بَرزتُ بها دهراً على كل حادث ... ولا كُحلَ إلا مِنْ غبار الكتائب
إذا كذَبَ البرْق اللمُوعُ لشائِمٍ ... فبرْقُ حُسامى صادقٌ غيرُ كاذب

﴿ وقال أيضاً فى الحماسة والفخر ﴾

سَكَت فغرَّ أعدائى السكوتُ ... وظَنونى لأهلي قد نَسيتُ
وكيف أنامُ عن سَادات قومٍ ... أنا فى فَضْلِ نِعمتهم رُبيتُ
وإن دارت بهم خيلُ الأعادى ... ونادَونى أجبتُ متى دُعيتُ
بسيفٍ حدُّهُ مَوْجُ المَنايا ... ورُمحٍ صدرُهُ الحَتفُ المُميتُ
خُلِقتُ من الحديد أشدَّ قلباً ... وقد بَلِىَ الحديدُ وما بَليتُ
وإنى قد شربتُ دم الاعادى ... بأقحاف الرُّؤوس وما رَويتُ
وفى الحرب العَوان وُلدتُ طفلاً ... ومن لبن المعامع قد سُقيتُ
فما للرُّمح فى جسمي نصيبٌ ... ولا للسَّيف فى أعضاىَ قُوتُ
ولى بَيت علا فَلَكَ الثُّريَّا ... تخِرّ لعظْم هيبته البيوتُ

﴿ وقال أيضاً فى الحماسة والفخر يوم المصانع ﴾

إذا كشف الزّمانُ لك القِناعا ومدّ اليك صَرْفُ الدّهر باعا

فلا تخشَ المنيّة والتقيها ودافعْ ما استطعتَ لها دفاعا

ولا تختَرْ فِراشاً من حريرٍ ولا تبكِ المنازلَ والبِقَاعا

وحولك نِسوة يَندُبْن حزْناً ويهتِكْن البراقعَ واللِّفَاعا

يقول لك الطّبيبُ دواك عندى اذا ما جسَّ كفّك والذّرَاعا

ولو عرَف الطّبيبُ دواء داء يَرُدُّ الموْتَ ما قاسَى النّزاعا

وفى يوْم المصانع قد تركْنا لَنَا بفعالِنا خبراً مُشاعا

أقمنا بالذّوابل سُوقَ حَرْب وصَيّرْنا النفوس لها مَتاعا

حِصانى كان دَلاّل المَنايا فخاضَ غُبارها وشَرَى وباعا

وسيفي كان فى الهَيجا طبيباً يُدَاوِى رأسَ من يشكو الصُّداعا

أنا العبدُ الذى خُبِّرْتَ عنه وقد عاينتني فدَعِ السماعا

ولو أرسلتُ رُمحى مع جَبان لكان بهيبَتي يَلقى السِّباعا

مَلأتُ الأرضَ خوفاً من حُسامى وخَصمى لم يجدْ فيها اتّساعا

إذا الأبطال فرّتْ خوفَ بأسى ترى الأقطارَ باعاً أو ذِراعا

﴿ وقال أيضاً فى الفخر والحماسة ﴾

أُعادى صَرفَ دهر لا يُعادَى وأحتَمِلُ القطيعةَ والبِعادَا

وأُظهِرُ نُصح قوْم ضيَّعونى وإن خانتْ قلوبُهمُ الودادا

أُعلِّلُ بالمُنَي قلباً عليلاً وبالصبر الجميل وإن تمادَى

تُعيّرنى العِدَا بسَواد جلدى وبيضُ خَصائلي تمحُو السّوادا

وَرَدتُ الحربَ والابطالُ حولى تَهزُّ أكفُّها السُّمرَ الصِّعادا
وخُضتُ بمُهجتى بَحر المنايا ونار الحرْب تتَّقِدُ اتّقادا
وعُدْتُ مُخضَّبا بدم الأعادى وكَربُ الرَّكض قدخَضَب الجَوادا
وسَيفى مُرْهَفُ الحدَّين ماض تَقُدُّ شِفارُه الصَّخرَ الجِمادا
ورُمحى ما طعنتُ به طَعينًا فعادَ بعينه نظرَ الرَّشادا
ولولا صارِمى وسِنان رُمحى لما رفعتْ بنو عَبس عِمادا

﴿ وقال يتوعّد النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بقومه ﴾

لايَحمِلُ الحِقدَ من تَعلو به الرُّتبُ ولا يَنال العُلى مَن طَبعُه الغَضبُ
لله درُّ بَني عَبْس لقد نَسَلُوا من الأكارِم ما قد تنسلُ العَرَب
قد كنتُ فيما مَضَى أرْعى جِمالَهُمُ واليومَ أحمِي حِماهُم كُلّما نُكِبُوا
لَئن يَعيبُوا سوادى فهو لى نَسبٌ يومَ النِّزال إذا ما فاتنى النَّسب
إن كنتَ تعلم يا نُعمان أنَّ يدى قصيرَةٌ عنك فالأيّام تَنقلب
إنّ الأفاعِي وان لانَتْ ملامِسُها عند التقلّب فى أنيابها العَطب
اليومَ تعلَم يا نُعمان أىُّ فتًى يلقَى أخاكَ الذى قد غرّهُ العُصَب
فتى يخُوضُ غُبارَ الحرب مُبتسماً وينثنى وسِنان الرُّمح مُختَضِب
ان سلّ صارِمَهُ سالت مَضاربُه وأشرق الجَوُّ وانشقّت له الحُجُب
والخيلُ تَشهدُ لى أنى أُكفكِفها والطّعنُ مثل شُرار النّار يلتَهِب
إذا التقَيتُ الاعادى يومَ مَعركةٍ تَركت جمعهمُ المغرورَ يَنتَهِب
لىَ النُّفوس وللطّيرِ اللّحومُ ولِـ وحشِ العظامُ وللخيّالة السلَب
لا أبعدَ اللهُ عن عَينى غطارفةً إنساً اذا نزلوا جنًّا اذا رَكِبُوا

أُسودُ غابٍ ولكن لا نُيوبَ لهم ... الاّ الأسنّة والهندية القُضُبُ
تَعدُو بهم أعوَجيّاتٌ مُضمَّرة ... مثل السّراحين في أعناقها القَبَبُ
ما زلتُ ألقى صدورَ الخيل مندفقًا ... بالطّعن حتى يضِجَّ السَّرْجُ واللَّبَب
فالعُميُ لو كان في أجفانهم نَظرُوا ... والخُرْس لو كان في أفواههم خَطبوا
والنّقع يوم طِرادِ الخيل يشهَدُ لي ... والضّرب والطّعن والأقلام والكُتُب

﴿ وقال أيضًا في اغارته على بني حريقة ﴾

حكِّم سيُوفَك في رقاب العُذَّلِ ... واذا نزلتَ بدار ذلّ فارْحلِ
واذا الجبانُ نهاكَ يومَ كريهةٍ ... خوفًا عليك من ازْدحام الجَحْفَلِ
فاعصِ مَقالتَه ولا تَحفِلْ بها ... واقدِم اذا حق اللّقا في الأوّلِ
واخترْ لنفسك منزلاً تعلو به ... أومُت كريمًا تحت ظلّ القَسطلِ
إن كُنتُ في عَدَد العبيد فهِمّتي ... فوق الثُّريّا والسِّماك الأعزل
أو أنكرتْ فُرسانُ عبس نسبتي ... فسِنانُ رُمحي والحسام يُقِرُّ لي
وبذابلي ومُهنّدي نِلتُ العلى ... لا بالقَرابة والعديد الاجزل
ورميتُ رُمحي في العَجاج فخاضه ... والنار تُقدَحُ من شفار الأنصُل
خاضَ العَجاجَ مُحَجَّلاً حتى اذا ... شهد الوَقيعةَ عاد غير مُحَجّلِ
ولقد نكبتُ بَني حُرَيقَة نكبةً ... لما طعنتُ صَميم قلبِ الأخيَلَ
وقتلتُ فارسَهم ربيعةَ عَنوَةً ... والهَيذُبان وجابرَ بنَ مُهَلهِلِ
لا تسقِني ماء الحياة بذلّة ... بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظَلِ
ماء الحياة بذِلّةٍ كجَهنّمٍ ... وجهنّمٌ بالعزِّ أطيَبُ مَنزِلِ

﴿ وقال هبة الله بن سناء الملك المتوفى سنة ٦٣٥ هـ ﴾

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى ... وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا
ولكننى لا أرهب الدهر إن سطا ... ولا أحذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوى حادث الدهر كفه ... لحدثت نفسى أن أمد له يدا
توقد عزمى يترك الماء جمرة ... وحلية حلى تترك السيف مبردا
وفرط احتقارى للأنام لأننى ... أرى كل عار من حلى سؤددى سدى
ويأبى إبائى أن يرانى قاعداً ... وانى أرى كل البرية مقعدا
وأظمأ إن أبدى لى الماء منة ... ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان إدراك الهدى بتذلل ... رأيت الهدى ألا أميل إلى الهدى
وقدماً بغيرى أصبح الدهر أشيباً ... وبى وبفضلى أصبح الدهر أمردا
وإنك عبدى يا زمان واننى ... على الرغم منى أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أننى واطىء الثرى ... ولى همة لا ترتضى الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى ... لخرت جميعاً نحو وجهى سجدا
أرى الخلق دونى إذ أرانى فوقهم ... ذكاء وعلماً واعتلاء وسؤددا
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا ... من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولى قلم فى أنملى إن هززته ... فما ضرنى ألا أهز المهندا
إذا صال فوق الطرس وقع صريره ... فإن صليل المشرفى له صدى

﴿ وقال حسان بن ثابت الأنصارى المتوفى سنة ٥٤ هـ ﴾

لعمر أبيك الخير يا شعث ما نبا ... علىّ لسانى فى الخطوب ولا يدى
لسانى وسيفى صارمان كلاهما ... ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودى

وانْ أكُ ذا مال كثيرٍ أجُدْ بِهِ ... وإن يُعتَصَر عودى على الجهد يُحمَدِ
فلا المال يُنسيني حيائي وعِفَّتي ... ولا واقعات الدّهر يفلُلن مِبردى
أكثّر أهلى من عيالٍ سواهمُ ... وأطوى على الماء القَراح المبَرّد
وإنى لمُعط ما وجدْتُ وقائلٌ ... لموقد نارى ليلة الرّيح أوقدِ
وإنى لقوّالٌ لدى البَثّ مرحباً ... وأهلاً اذا ما جاء من غير مُرْصَد
وإنى لَيدعونى النّدى فأُجيبه ... وأضرِبُ بِيض العارض المتوقّد
وإنى لَحلوٌ تَعترينى مرارةٌ ... وإنى لتَرّاكٌ لِمَا لَمْ أُعوّد
وإنى لَمُزْجٍ للمَطِىّ على الوَجَى ... وإنى لتَرّاك الفِراشِ المُمَهّد

وقال الفرزدق

لنا العِزّةُ القَعْساء (١) والعَدَدُ الذى ... عليه إذا عُدَّ الحَصى يَتَخلّفُ (٢)
ومنّا الذى لا يَنْطِقُ النّاس عِندَهُ ... ولكنْ هو المُسْتأذَنُ المتصرّف (٣)
تراهُمْ قُعُوداً حَوْلَه وعُيُونُهُمْ ... مكَسّرةٌ أبصارُها ما تصرّفُ (٤)
تَرى النّاس إنْ سِرْنا يسيرُونَ خلفَنا (٥) ... وانْ نحنُ أومأنا الى النّاس وقّفوا (٦)
ولا عِزّ الاّ عِزُّنا قاهرٌ لهُ ... ويسألُنا النّصفَ الذّليلُ فنُنْصِف (٧)
ومَا قام مِنّا قائمٌ فى نَدِيّنا (٨) ... فيَنْطق إلاّ بالّتى هى أعرَفُ (٩)

وقال وقد نزل فى بادية وأوقد ناراً فرآها ذئب فأتاه فأطعمه من زاده وأنشد

(١) العزة القعساء اى القوة والمنعة الشامخة الثابتة (٢) يعني عددنا كثير ؛ وعدد الحصى اقل منه (٣) يعني منا من لا يتكلم فى مجلسه الا باذنه ولا يفعل امر الا بأمره (٤) يعني ما تنظر يمنة ولا يسرة من مهابته وجلالته (٥) يعني نحن سادة اشراف نمشى امام الناس (٦) يعني اذا اشرنا الى الناس ان قفوا وقف بعضهم بعضاً طوع اشارتنا (٧) ويطلب منا الضعيف النصفة والعدل فنمكنه من ذلك (٨) الندى كغنى والنادى مجتمع القوم (٩) يعني لا ينطق الا حيث يحسن الكلام واذا نطق جاء بالقول الصادق الذى لا يمكن لاحد ان ينكره

وأطلس عسّال وما كان صاحباً (١) دعوتُ بناري مَوْهِناً فأتاني (٢)
فلما أتى قلتُ أُدْنُ دُونَك (٣) إنني وإيّاكَ في زادِي لمشتركان
فبِتُّ أقدُّ الزّاد بيني وبينه (٤) على ضَوْءِ نارٍ مَرّةً ودُخَان
وقلتُ لهُ لمّا تكشّر ضاحكاً (٥) وقائمُ سيفي في يدي بمكان (٦)
تعَشّ فان عاهدْتني لا تخونني نكُنْ مثلَ منْ يا ذِئبُ يصْطحبان (٧)
وأنت امرؤٌ يا ذِئبُ والغدرُ كنتُما اخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعَا بلبان (٨)
ولوْ غيرنا نَبَّهتَ تلتَمِسُ القِرى رماكَ بسهمٍ أوْ شَبَاةِ سِنَان (٩)

﴿ وقال الشريف الرّضي (١٠) « وقيل لعنترة العبسي » ﴾

لغير العُلَى منّي القِلَى والتّجنّب ولولا العلَى ما كنتُ في الحبّ أرغب
اذا الله لم يعذرك فيما ترومه فما النّاس إلاّ عاذل أو مؤنّب
ملكت بسيفي فرصة ما استرقّها من الدّهر مفتول الذّراعين أغلب

(١) الاطلس الذئب الخبيث الذي في لونه غبرة مائلة الى السواد ؛ والعسال الذي يضطرب في عدوه ويهز رأسه (٢) الموهن الساعة الاولى بعد نصف الليل اى دعوته بسبب ايقاد النيران في الساعه الاولى بعد نصف الليل لجاء الي (٣) اي لما جاء وقف فقلت له اقرب خذ اشارة الى اعطائه الزاد (٤) أقد اى اقطع والزاد الطعام ولعل طعامه كان لحماً بدليل القد (٥) لما تكشر لما ابدى اسنانه ضاحكا اي كأنه يضحك (٦) يعني ومقبض سيفي ثابت في يدى (٧) يعني اذا لم تظهر عليك علامـة الغدر بقيت معك وبقيت معي كالمصطحبين (٨) يعني مع اني اعرف انك والغدر متلازمان لا تفترقان ومعنـاه ان شيمته الغدر (٩) تلتمس القرى تطلب الضيافة وشباة السنان حده (١٠) هو ابو الحسن محمد بن ابي احمد الحسين بن موسى الابرش الشريف الملقب بالرضي ذى الحسبين نقيب الطالبين المولود سنة ٣٥٩ هـ وتوفى سنة ٤٦٣ هـ ثم نقل الى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكربلا فدفن عند ابيه ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام ابي العباس احمد ابن المقتدر

عطفاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابداً كلانا في المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوق

لئن تك كفّي ما تطاول باعها ... فلى من وراء الكفّ قلبٌ مدرَّب
فحسبي أنى فى الأعادى مُبَغَّض ... وأنّى إلى عزّ المعالى محبَّب
وللحلم أوقات وللجهل مثلها ... ولكنّ أوقاتى إلى الحلم أقربُ
يصولُ علىَّ الجاهلون وأعتلى ... ويعجُم فىَّ القائلون وأُعرب
يرَوْنَ احتمالى غُصّة ويزيدهم ... لواعج ضِغن أننى لستُ أغضب
وأعرِض عن كأس النّديم كأنها ... وميض غمام غائر المزْن خُلَّب
وقور فلا الألحان تأسر عزمتى ... ولا تمكر الصّهباء بى حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها ... ولا أنطق العوْراء والقلب مغضب
تحلّمُ عن كرّ القوارض شيمتى ... كأنْ معيد المدح بالذّم مطنب
لسانى حصاة يقرع الجهل بالحِجا ... اذا نال منّى العاضه المتوثّب
ولست براض أن تمسّ عزائمي ... فضالاتُ ما يُعطي الزّمان ويَسلُب
غرائبُ آداب حبانى بحفظها ... زمانى وصرفُ الدّهر نِعم المؤدِّب
تريّشنا الأيام ثم تهيضنا ... ألا نعم ذا البادى وبِئس المعقّب
نهيتك عن طبع اللّئام فاننى ... أرى البخلَ يأتى والمكارم تطلب
تعلّم فان الجود فى النّاس فِطنة ... تقومُ بها الاحرار والطّبع أغلب

﴿ وقال العميد مؤيد الدين الطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ ﴾

أبى اللهُ أن أسمُو بغير فضائلى ... اذا ما سَما بالمال كلُّ مُسوّد
وإن كرُمت قبلى أوائل أُسرتى ... فانّى بحمد الله مبدأُ سُؤددى
وما منصبٌ إلا وقدْرىَ فوْقَه ... ولو حُطّ رحلي بين نسْر وفرْقد
اذا شرُفتْ نفسُ الفَتى زادقدرُه ... على كل أسنى منه ذِكراً وأمجَد

كذاك حديد السّيف إن يصفُ جوهراً ... فقيمتُه أضعافُه وزن عسجد

وما المال إلا عارةٌ مُستردّةٌ ... فهلاّ بفضلي كاثروني ومحتدي

إذا لم يكن لي في الولاية بسطةٌ ... يطول بها باعي وتسطو بها يدي

ولا كان لي حكمٌ مطاعٌ أُجيزه ... فأُرغِمُ أعدائي وأُكبِتُ حُسّدي

فاعذر إن قصّرتُ في حقّ مُجتدٍ ... وآمنُ أن يعتادني كيدُ معتدِ

ولولا تكاليفُ العلى ومغارمٌ ... ثِقال وأعقاب الاحاديث في غد

لاعطيتُ نفسي في التخلّي مرادها ... فذاك مرادي مذ نشأت ومقصدي

﴿ وقال الفَضلُ بن العبّاسِ بن عُتْبَةَ بن أبي لهَب ﴾

مهلا بَني عمّنا مهلاً موالينا ... لا تَنبشوا بيننا ما كان مدفونا

لا تطمعُوا أن تُهينونا ونُكرمكم ... وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا

مهلاً بني عمّنا من نحتِ أثلتِنا ... سيرُوا رُويداً كما كنتم تسيرونا

الله يعلم أنا لا نحبّكمُ ... ولا نلومكمُ ان لم تحبّونا

كلٌّ له نيّةٌ في بُغضِ صاحبه ... بنعمة الله نَقليكم وتَقلونَا

﴿ وقال محمد بن عبد الله الأزدي ﴾

لا ادفعُ ابن العم يمشي على شفًا ... وان بلغتني من أذاه الجنادعُ

ولكن أُواسيه وأُنسى ذنوبه ... لِتُرجعَه يوماً الىّ الرّواجعُ

وحسبك من ذلّ وسوءِ صنيعةٍ ... مُناواة ذي القربى وان قيل قاطع

﴿ وقال حِطّان بن المعلّى ﴾

أنزلني الدّهر على حُكمِه ... من شامخ عالٍ الى خفضِ

وغالني الدهر بوفر الغِنى ... فليس لي مالٌ سوى عِرضي

أبكانيَ الدّهر ويا رُبّمَا أضحكنى الدهر بما يُرضى

لولا بُنيات كزُغب القطَا رُدِدْنَ من بعض الى بعض

لكان لى مُضطرَبٌ وَاسِعٌ فى الأرض ذات الطُّول والعرض

وإنّما أولادُنا بينَنَا أكبادُنا تمشى على الأرض

لو هبّت الريحُ على بعضهم لامتنعت عينى من الغمض

﴿ وقال أوسُ بن حَبْناء ﴾

اذا المرء أولاكَ الهوَان فأولهِ هوانًا وأن كانت قريبًا أوَاصُره

فان أنت لم تقدرْ على أن تهينَه فذَرْهُ الى اليوم الذى أنت قادره

وقاربْ اذا لم تكن لك حيلة وصَمّمْ إذا أيقنتَ أنك عاقره

﴿ وقال سعد بن ناشب ﴾

تُفَنّدُنى فيما ترى من شراستى وشدّةِ نفسى أُم سعدٍ وما تدرى

فقلت لها ان الكريم و ان حلا ليُلفَى على حال أمرّ من الصبر

وفي اللّين ضعف والشراسة هيبةٌ ومن لم يُهبْ يُحمل على مركب وعر

ومابى على مَن لانَ لى من فَظاظة ولكنّنى فظٌّ أبيٌّ على القَسْر

﴿ وقال ابراهيم بن كُنَيْف النّبهانى ﴾

تَعزّ فانّ الصّبرَ بالحرّ أجمل وليس على ريب الزّمان مُعوّل

فلو كان يُغنى أن يُرى المرء جازعًا لحادثة أو كان يُغنى التذلل

لكانَ التعزّى عندَ كل مُصيبة ونائبة بالحرّ أولى وأجمل

فكيفَ وكلٌّ ليس يَعدُو حِمَامَه وما لامرىءٍ عما قضى الله مَرحَلُ

فان تكن الأيّام فينا تبدّلت ببؤسَى ونُعمَى والحوادث تفعلُ

فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للتى ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا ... فصحت لنا الأعراض والناس هزل

﴿ وقال آخر ﴾

إن يحسدونى فانى غير لائمهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بى وما بهم ... ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذى يجدونى فى صدورهم ... لا أرتقى صدراً منها ولا أرد

﴿ وقال سالم بن وابصة ﴾

عليك بالقصد فيما أنت فاعله ... ان التخلق يأتى دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قمت به ... أحمى الذمار وترمينى به الحدق
فما زلقت ولا أبديت فاحشة ... إذ الرجال على أمثالها زلقوا

(وقال تأبط شراً)

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلاً ... به الخطب الا وهو للقصد مبصر

﴿ وقال حبيب بن أوس أبو تمام الطائي ﴾

أنا ابن الذى استرضع الجود فيهم ... وقد ساد فيهم وهو كهل ويافع
نجوم طواليع جبال فوارع ... غيوث هواميع سيول دوافع
مضوا وكأن المكرمات لديهم ... لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
فأى يد فى المحل مدت فلم يكن ... لها راحة من جودهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا ... فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

بَهالِيلُ لو عاينت فيضَ أكُفِّهم ... لأيقنتَ أن الرِّزقَ فى الارض واسع
اذا خفقت بالبـذل أرواحُ جُودهم ... حَدَاها النَّدَى واستنشقتها المدامع
رِياحٌ كَرِيحِ العنبر الغض فى النَّدَى ... ولكنها يوم اللقـاء زَعازع
هي السُّمُّ ما تنفكُّ فى كلّ بلدةٍ ... تَسيلُ به أرماحُهم وهو ناقعُ
أصـارت لهم أرض العـدُوّ قطائعاً ... نفوسٌ لحـدّ المُرهفات قطـائع
بكلّ فتًى ما شابَ من رَوْعٍ وقعةٍ ... ولكنه قد شِينَ منـه الوَقائع
اذا ما أغارُوا فاحتوَوْا مال معشر ... أغارتْ عليهم فاحتوَتهُ الصَّنائع
فتعْطِي الذي تعطيهم الخيل والقنَا ... أكفٌّ لإرث المكرُمات موانعُ

﴿ وقال أبو فِراس الحمدانى (١) ﴾

وواللهِ ما قصَّرْتُ فى طلَب العلى ... ولكنْ كأنَّ الدّهرَ عنّيَ غافلُ
مواعيـدُ آمال متى ما انتَجعتها ... حَلبتُ بَكيّاتٍ وهُنَّ حَوافلِ
تُدافِعُني الايامُ عمّا أُرِيدُه ... كما دَفَعَ الدَّيْنَ الغَرِيمُ المُماطـل
فمثلَيَ مَن نالَ الأعادى بسيفه ... ويا رُبما غالتهُ عنهـا الغوائل
وما لىَ لا تُمسى وتُصبح فى يدى ... كرَائمُ أموالِ الرّجال العقَائل

---

(١) هو الحارث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان بن عم سيف الدولة وناصر الدولة توفى سنة ٣٥٧ هجرية كان فرد دهره وشمس عصره ادباً وفضلا وكرماً ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة فلله دره شاعراً من قبل ومن بعد ومثلي يعجز قلمه عن ترجمته وانشد وهو محتضر يخاطب ابنته

ابنيتي لا تجزعى ... كل الانام الى ذهاب
نوحى على بحسرة ... من خلف سترك والحجاب
قولى اذا كلمتني ... فعييت عن رد الجواب
زين الشباب ابو فرا ... س لم يمتع بالشباب

احكّمُ فى الأعداء عنها صَوارماً | أحَكّمُها فيها اذا ضاق نازل
وما زال محميٌّ الحمائل عَنْوَةً | سوى ما أقلّتْ فى الجُفون الحمائل
ينالُ اختيارُ الصفْحِ عن كل مذنب | له عندنا ما لا تنالُ الوسائل
لنا عقبُ الأمرِ الذى فى صدُورِه | تطاولُ أعناقُ العِدَى والكواهل
أصاغرُنا فى المكرُماتِ أكابرٌ | وآخرُنا فى المأثُراتِ أوائل
اذا صُلْتُ صولاً لم أجد لى مُصاولاً | وإن قلتُ قولاً لم أجد مَن يقاول

وقال أيضاً :

إنّا إذا اشتدّ الزّما | نُ ونابَ خَطْبٌ وادْلَهَمْ
ألْفَيْتَ حولَ بُيُوتِنا | عُدَدَ الشَّجاعةِ والكَرَمْ
لِلِقَا العِدا بِيضُ السُّيُو | فِ وللنَّدَى حُمر النّعَمْ
هذا وهذا دأْبُنا | يُودَى دَمٌ ويُرَاقُ دمْ

وقال أيضاً :

وإنى لَنَزّالٌ بكلّ مَخوفَةٍ | كثيرٌ الى نزّالها النَّظرُ الشَّزْرُ
وإنى لجرّارٌ لِكلّ كتيبةٍ | مُعوَّدَةٍ ألاّ يُخِلّ بها النَّصْرُ
ولا راحَ يُطْغينى بأثوابِه الغِنى | ولا باتَ يَثْنينى عن الكَرَمِ الفقرُ
وما حاجتى فى المال أبغى وُفورَهُ | اذا لم أفِرْ عِرْضى فلا وَفَرَ الوَفْرُ
اسِرْتُ وما صَحْبى بعُزْلٍ لدى الوغى | ولا فَرَسى مُهْرٌ ولا ربُّهُ غِمْرُ
ولكنْ اذا حُمّ القضاءُ على امرئٍ | فلَيْسَ له بَرٌّ يَقيهِ ولا بَحْرُ
وقال أُصَيْحابى الفرارُ أو الرَّدَى | فقلتُ هما أمران أحلاهُما مُرٌّ
ولكننى أمضى لما لا يعيبُنى | وحَسْبُكَ من أمرَيْن خيرُهما الأسرُ

ومنها

يمنّونَ أن خلّوا ثيابى وإنّما ... علىّ ثيابٌ مِنْ دِمائهمُ حُمرُ
وقائمُ سيفٍ فيهم دُقّ نصلُهُ ... وأعقابُ رُمحٍ فيهمُ حُطّمَ الصدْرُ
سيَذكرُنى قومى اذا جدّ جدُّهُم ... وفى الليلةِ الظلماءِ يُفتقَدُ البدرُ
ولو سدّ غيرى ماسَدَدْتُ اكتفوا به ... وما كانَ يُغنى التِّبرُ لو نفقَ الصفْرُ
ونحنُ أناسٌ لا توسُّطَ بيننا ... لنا الصدْرُ دونَ العالمينَ أو القبرُ
أعزُّ بنى الدُّنيا وأعلَى ذوى العُلا ... وأكرمُ مَنْ فوقَ التّرابِ ولا فخرُ

وقال أيضاً :

غيرى يُغيّرُه الفعالُ الجافى ... ويحُولُ عن شِيَمِ الكريمِ الوافى
لا أرتضِى وِدّاً إذا هُوَ لم يدُمْ ... عِندَ الجفاءِ وقلّةِ الإنصافِ
إنّ الغنىّ هُوَ الغنىُّ بنفسِهِ ... ولوَ انّهُ عارِى المناكبِ حافِ
ما كلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافياً ... وإذا قنِعتَ فبعضُ شىءٍ كافِ
وتعافُ لى طمعَ الحريصِ فُتوّتى ... ومُرُوءتى وقناعتى وعفافى
ومكارِمى عددُ النجومِ ومنزلى ... مأوى الكرامِ ومنزلُ الأضيافِ

وقال أيضاً :

أتدعُو كريماً مَنْ يجُودُ بمالِهِ ... ومَنْ جادَ بالنفسِ النفيسةِ أكرمُ
إذا لم يكُنْ يُنجِى الفِرارُ من الرّدَى ... على حالةٍ فالصّبرُ أرجى وأحزمُ
لعمرى لقدْ أعذرْتَ لو أنّ مُسْعِداً ... وأقدمتَ لو أنّ الكتائبَ تُقدِمُ
وماعابَكَ ابن السّابقينَ الى العُلا ... تأخُّرُ أقوامٍ وأنتَ مُقدّمُ
ومالَكَ لا تلقى بمُهجتِكَ القنا ... وأنتَ منَ القومِ الذينَ همُ همُ

﴿ وقال أبو الطيّب المتنبّي ﴾

أطاعنُ خيلاً من فوارسِها الدَّهرُ وحيداً وماقولي كذا ومعيَ الصّبرُ
وأشجعُ منّي كلَّ يومٍ سلامتي وما ثبتتْ إلا وفى نفسها أمر
تمرَّستُ بالآفاتِ حتى تركتُها تقول أماتَ الموتُ أم ذُعرَ الذعرُ
وأقدمتُ إقدامَ الأبيّ كأنَّ لى سوى مهجتي أو كان لى عندها وترُ
ذرِ النفسَ تأخذْ وُسعَها قبل بَينها فمفترقٌ جاران دارُهما العُمرُ
ولا تحسبَنَّ المجدَ زقًّا وقينةً فما المجدُ إلا السّيفُ والفتكةُ البِكْرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوكِ وأن ترى لك الهبواتُ السُّودُ والعسكرُ المجْرُ
وتركُك فى الدُّنيا دويًّا كأنما تداولَ سمعَ المرءِ أنملُه العشْرُ
إذا الفضلُ لم يرفعكَ عن شكرِ ناقصٍ على هبةٍ فالفضلُ فيمن له الشكْرُ
ومَن يُنفقِ السّاعاتِ فى جمعِ مالِه مخافةَ فقرٍ فالذى فعلَ الفقرُ

﴿ وقال صفيّ الدّين الحلّي ﴾

سَلِ الرّماحَ العوالى عن معالينا واستشهدِ البيضَ هل خابَ الرَّجا فينا
وسائلِ العُربَ والأتراكَ ما فعلتْ فى أرضِ قبرِ عُبيدِ اللهِ أيدينا
لقد سعَينا فلم تضعُفْ عزائمُنا عمّا نرومُ ولا خابت مساعينا
يا يومَ وقعةِ زَوْراءِ العراقِ وقد دِنّا الأعادِى كما كانوا يدينونا
بضُمّرٍ ما ربطناها مسوَّمةً إلا لِنغزُو بها من باتَ يغزونا
وفتيةٍ إنْ نقُلْ أصغَوا مسامعَهم لقولنا أو دعوناهم أجابونا
قومٌ اذا استُخصِموا كانوا فراعنةً يوماً وإن حكمُوا كانوا موازينا
تدرَّعوا العقلَ جلباباً فان حَميت نارُ الوغَي خِلتَهم فيها مجانينا

إذا ادّعوا جاءت الدُّنيا مُصدِّقةً ... وإن دعوْا قالت الايامُ آمينا
إن الزّرازير لمّا قام قائمها ... توهّمتْ أنها صارت شواهينا
ظنّتْ تأنّي البُزاةِ الشُّهْبِ عن جزَع ... وما درتْ أنه قد كان تهوينا
ذُلّوا بأسيافنا طول الزّمان فمذ ... تحكّموا أظهرُوا أحقادهم فينا
لم يغنِهم مالُنا عن نَهب أنفُسنا ... كأنهم في أمانٍ من تقاضينا
أخلوا المساجد من أشياخنا وبغوْا ... حتى حملنا فأخلَينا الدّواوينا
ثم انثنينا وقد ظلّتْ صوارمنا ... تميسُ عُجْبًا وتهتزّ القنا لِينا
وللدّماء على أثوابنا علَقٌ ... بنَشره عن عبير المسْك يُغنينا
إنّا لَقومٌ أبتْ أخلاقنا شرفًا ... أن نَبتَدِى بالأذَى من ليس يُؤْذِينا
بيضٌ صنائعنا سودٌ وقائعنا ... خُضرٌ مرابعنا حُمرٌ مواضينا
لا يظهر العجزُ منّا دون نَيل مُني ... ولو رأينا المنايا فى أمانينا

﴿ وقال أبو العلاء المعرّى ﴾

ألا فى سبيل المَجْدِ ما أنا فاعل ... عَفافٌ وإقدامٌ وحَزْمٌ ونائلُ (١)
أعندي وقد مارستُ كلَّ خَفيّةٍ ... يُصَدَّقُ واشٍ أو يُخَيَّبُ سائل (٢)
تُعَدُّ ذُنوبى عند قومٍ كثيرةً ... ولا ذنبَ لى إلا العُلاَ والفضائل (٣)
كأني إذا طُلتُ الزّمانَ أهلَه ... رَجعت وعندى للأنام طَوائلُ (٤)

---

(١) اى قد جمعت العفة والشجاعة والحزم والجود . وسلوك هذا الطريق هو المجد اى ان افعالى كلها واقعة في سبيل المجد ثم فصل أفعاله وعدها وكانت كلها من خلال المجد (٢) اى بعد ان جربت الامور التى تخفى وعرفتها اصدق الساعى بيني وبين اخواني بالافساد او اخيب من ترجو معروفى ويطلب نائلى اى انى لا افعل ذلك استفهام بمعنى الانكار (٣) اى ذنوبي كثيرة عند من لا يناسبه حالى وذلك لقصوره ونقصه ـ ولا ذنب لى الا افضالى وعلو شأنى (٤) الطوائل جمع طائلة وهى الترة يقول متى فقت اهل العصر بالفضائل ابغضوني وعادوني وصرت كأني وترت الناس وان عندي لهم ترات وديوناً يطالبوني بها

وقد سار ذِكرى فى البلاد فمنْ لهم ... بإخفاء شَمسٍ ضَوْءها مُتكامل (١)

يُهمُّ الليالى بعضُ ما أنا مُضمر ... ويثقُل رَضوَى دُون ما أنا حامل (٢)

وإنى وإن كنتُ الاخيرَ زَمانُهُ ... لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائل (٣)

وأغدو ولو أنَّ الصباحَ صوارمٌ ... وأسرى ولو أن الظلامَ جحافل (٤)

وإنى جَوادٌ لم يُحَلَّ لجامهُ ... ونَصلٌ يمانٍ أغفلَته الصياقل (٥)

فان كان فى لُبْسِ الفتى شَرفٌ له ... فما السَّيفُ إلاَّ غِمدُه والحمائل (٦)

ولى مَنطقٌ لم يَرضَ لى كُنْهَ مَنزلى ... على أنَّنى بين السِّماكين نازل (٧)

لدى مَوطنٍ يَشتاقُهُ كل سيِّدٍ ... ويَقصُرُ عن إدراكه المتناول (٨)

(١) اي يجتهد حسادى فى ستر حالى وأخفاء امرى وكيف يمكنهم ذلك وقد صار صيتى فى البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد اخفاء شمس قد تكامل ضوؤها وشعاعها اى ولا يضمن ذلك احد لانه غير ممكن فكذلك اخفاء ذكرى غير ممكن (٢) الليالى فى موضع نصب لانه مفعول يهم وسكن لضرورة الشعر اى يهم بعض ما اضمره من الهموم الليالى يعني ان الايام لا تطيق ما اطيقه وكذلك لا يستطيع جبل رضوى حمل ما احمل من مثقلات الخطوب (٣) اى اني وان كنت الذى آخر زمانه افعل من الامور العجيبة ما عجزت الاولون زماناً عن امثاله اى سبقت الاوائل فى المساعى وان تأخر زماني (٤) اى لا يصرفني عن همى امر من الامور بل اغدو اول النهار لحاجاتي ولو كان الصباح سيوفاً لم يثنني عن قصدى والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيئته واسرى فى الليل المظلم لما يهمني ولا تمنعني ظلمة الليل عن همى ولو كان الظلام جحافل وهى جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش والجيش بالظلام ايضاً (٥) يصف اعتزاله الامور وايثاره ملازمة الخمول والتنزه عن الاعمال مع استعداده للانهاض الى معالى الامور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبسيف يمنى قد صدىء لطول عهده بالصقل اى كما ان تعطل الجواد عن تحلية لجامه وطول عهد السيف بالصقل اى كما لا تزرى بعتق الجواد وجوهر السيف فكذلك ايثاره العزلة والتنزه عن الاعمال لا يزري بمنصبه ومكانه (٦) اى ليس الشرف فى ملابسة الاعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان كذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله وليس كذلك انما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلى بأوصاف الشرف ومعالى المجد (٧) اي منطق لا يرضى لى بنهاية منزلتي هذه مع ارتفاعها وعلوها فانها قد بلغت السماكين بلى يقتضى اعلى واشرف منها (٨) اى منزلى عند محل يتمنى كل سيد ان يبلغه ويرقى الى حده ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول اليه

ولما رأيتُ الجهلَ في الناس فاشياً تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنيَ جاهلُ (١)
فواعجباً كم يدَّعي الفضلَ ناقصٌ ووا أسفاً كم يُظهرُ النقص فاضل (٢)
وكيف تَنامُ الطيرُ في وُكناتِها وقد نُصبتْ للفرْقدين الحَبائل (٣)
يُنافسُ يومي في أمس تشرُّفاً وتحسُدُ أسحاري عليَّ الأصائل (٤)
وطال اعترافي بالزمانِ وصَرفهِ فلستُ أُبالي مَنْ تَغُولُ الغَوائل (٥)
فلو بانَ عَضْدي ما تأسَّفَ مَنْكِبي ولو ماتَ زَنْدي ما بكتْهُ الأنامل (٦)
اذا وصفَ الطَّائيَّ بالبخل مادرٌ وعيَّرَ قُسّاً بالفَهاهةِ باقلُ (٧)
وقال السُّهَى للشمس أنتِ ضَئيلةٌ وقال الدُّجى للصُّبح لونُكَ حائل (٨)

(١) اى لما كثر الجهل في الناس وعز العلم والفضل وجهل قدره تكلفت الجهل وسترت فضلي تشبهاً بأهل زماني حتى ظن بي اني جاهل مثلهم (٢) يتعجب من ادعاء الناقص التحلي بالفضل زوراً ويتأسف من اظهاره النقص مع فضله تشبهاً بالجاهلين فى زمانه (٣) الوكنات جمع وكنة وهو الموضع الذي ينام فيه الطير والحبائل جمع حبالة وهي الشبكة التي ينصبها الصائد للصيد ضرب لنفسه مثلا بالفرقدين علواً ولغيره بالطير فى اوكارها اى متى كادني الحساد بمكيدة الحسد مع فضلي وارتفاع مكاني وحالهم فى كيدى انهم ينصبون الشباك لصيد الفرقدين كيف يسلم من دوني من مكايدهم (٤) ينافس يفاعل من قولهم نفست بالشيء انفس اذا ضننت به اى ان الوقت الذى اكون فيه تشرف بي فسائر الاوقات يحسد الوقت الذى اكون فيه فصار امسي المنقضي يحسد يومي لكوني فيه وكذلك تحسد الاصائل مع اعتدالها واضاءتها الاسحار التى اكون فيها مع بردها وظلمتها — والاصائل جمع جمع الجمع فالواحد اصيل ثم اصل ثم آصال ثم اصائل (٥) طالما عرفت الزمان واحواله ونال مني حوادثه وصرفه وتمرنت نفسى على نوائبه فصرت لا اجزع على المصائب ولا ابالي بمن تنزل نوازل الدهر وغاله يغوله اي اهلكه والغوائل جمع غائلة (٦) يهون على نفسه خطوب الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لو اصيب عضده وبان لم يتأسف اى لم يجزع منكبه عليه ولو مات زنده لم تبك انامله عليه مع ان الكف لا تبطش الا بواسطة قوة الزند وما داناه (٧) يعني بالطائي حاتما الطائي وقد سار به المثل فى الجود — ومادر رجل من بني هلال بن عامر ابن صعصعة يضرب به المثل فى البخل وانما قيل له مادر لانه سقى ابله من بعض حياض فلما شربت ابله وصدرت عن الماء سلح فى الحوض ومدر الحوض به اى لطخه لئلا يشرب غيره فسمي مادرا وقيل ابخل من مادر (٨) السها كوكب خفي تمتحن به الابصار اى وحين ينعكس الامر بأن يصف

وطاولتِ الأرض السَّماء سفَاهةً ... وفاخرتِ الشُّهبَ الحَصى والجنَادِل(٢)

فياموت زُر ان الحياةَ ذميمةٌ ... ويا نفسُ جِدّي ان دهركِ هازِل(٣)

﴿ وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى ﴾

ولى شيمةٌ تَأبي الدَّنايا وَعزْمَةٌ ... تردّ اُهَامَ الجيش وهو يَمورُ

اذا سرْتُ فالارض التى نحن فوْقها ... مُرادٌ لمُهْرى والمعاقلُ دُورُ

فلا عَجبٌ ان لم يصرْنى منزل ... فليس لعقبان الهواء وُكور

همامةَ نَفس ليس ينفى ركابُها ... رَواحٌ على طول المَدى وبُكور

معوَّدةٌ ألاّ تكفّ عنانها ... عن الحدِّ الاّ أن تتمّ اُمور

لها من وَراء الغَيب أُذْنٌ سميعةٌ ... وعينٌ ترى ما لا يراه بصير

وفيت بما ظنّ الكرامُ فراسةً ... بأمرى ومثْلى بالوفاء جَدير

وأصبحتُ محسودَ الخلالَ كأنّنى ... على كلّ نفسٍ في الزَّمان أمير

اذا صُلت كفّ الدّهر من غلَوائه ... وان قُلت غصّت بالقُلوب صدُور

ملكت مقاليدَ الكلام وحكمةً ... لهـا كوكبٌ فخمُ الضِّياء مُنير

وإنّى امرُؤٌ صعبُ الشّكيمةِ بالغ ... بنفسىَ شأواً ليس فيه نكيرُ

وقال أيضا :

سِوَايَ بتَحنان الأغارِيد يَطرَبُ ... وغيرى باللّذات يَلهو ويلعَبُ

وما أنا مِمّنْ تأسِرُ الخَمرُ لبّه ... ويَملِكُ سمْعَيهِ اليَرَاعُ المُثقّبُ

السمى الشمس بالخفاء مع بهائها ويصف الدجا الصبح بأنه حائل اللون اى متغير (١) اى اذا كانت الارض تباهى السماء من جهلها وتفاخر الحصى والحجارة الكواكب فى العلو (٢) اى اذا كانت الامور معكوسة كما وصف لم تبق رغبة الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى الماه ليقطع الحياة الذميمة التي لا يحمدها صاحبها لما يرى من الامر المحال — ويأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعنيها غير معرجة على شيمة الدهر فى تلونه وعدم ثباته

ولكنْ أخو همّ اذا ما ترجَّحتْ ... به سَوْرةٌ نحو العُلا رَاح يدأب
نفى النّوْمَ عن عينيهِ نفسٌ أبيّةٌ ... لها بين أطرافِ الأسنّةِ مَطلب
لُبانةُ نفس أصغرتْ كلَّ مأربٍ ... فكلّفتِ الايّامَ ما ليس يُوهَب
اذا أنا لم أعطِ المكارم حقّها ... فلا عزّنى خالٌ ولا ضمّني أب
ومَن تكُنِ العلياءُ همّةَ نَفْسِهِ ... فكلُّ الذى يَلقاه فيها محبّب

﴿ وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفية سنة ١٣٢٠ هـ ﴾

بيَدِ العَفافِ أصونُ عزَّ حِجابى ... وبعِصمَتي أسمو على أترابى
وبِفِكرةٍ وقّادةٍ وقريحةٍ ... نقادةٍ قد كمّلتْ آدابي
ما ضرّنى أدبى وحُسْنُ تعلّمى ... الا بكوْنى زهرَةَ الالبابِ
ما عاقني خجلى عنِ العليا ولا ... سدْلُ الخِمارِ بلِمّتى ونِقابى
عن طيّ مِضمارِ الرّهانِ اذا اشتكتْ ... صَعْبَ السّباق مطامِحُ الرُّكّابِ
بلْ صَولتى فى راحتى وتفرُّسى ... في حُسْنِ ما أسعَى لخيرِ مآبِ

الباب الثالث في شكوى الزمان والحال

« قال الشّنفرى [١] المتوفي سنة ٥١٠ م »

أَقيموا بَني أُمي صُدُور مطيّكمُ فانّى الى قوم سواكم لأميلُ [٢]

فقَد حُمّت الحاجاتُ والليل مقْمرٌ وشُدّتْ لطيّات مطايا وأرحُلُ [٣]

وفى الأرض منأًى للكريم عن الأذى وفيها لمن خافَ القِلى متعزَّلُ [٤]

لعمرك ما فى الأرض ضيقٌ على امرئ سَرى راغبًا أو راهبًا وهو يعقل [٥]

ولى دونَكم أهلونَ سِيدٌ عَملَّسٌ وأرْقَطُ زهلولٌ وعرْفاءُ جيأَل [٦]

(١) هو ثابت بن أوس الازدي الشاعر المشهور من اهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ ميلادية — والشنفري هو العظيم الشفتين ؛ وهو شاعر الازد من العدائين . وكان في العرب من العدائين من لا تلحقه الخيل ؛ منهم هذا وسليك بن سلكة وعمر بن براق واسير بن جابر وتأبط شرا — وكان الشنفري حلف ليقتلن من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول له الشنفري لطرفك ثم يرميه فيصيب عينيه فاحتالوا عليه فأمسكوه ؛ وكان الذي امسكه اسير ابن جابر احد العدائين رصده حتى نزل فى مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلا ثم قتلوه فمر رجل منهم بجمجمته فضربها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتلى مائة — والله اعلم بذلك (٢) مطا جد في السير والمطية الدابة تمطو في سيرها جمعها مطايا ومطى (المعنى) يخاطب قومه ويقول لهم تهيئوا للرحيل فاني كاره ما انتم عليه من البقاء وشديد الرغبة فى الالتحاق الي قوم غيركم (٣) حم الامر حما قضى والطيات جمع طية وهى النية (المعنى) عجلوا بالرحيل فقد قضيت الحاجات وتمهدت الاسباب وتم الاستعداد لقضاء الاغراض (٤) نأى عنه بعد والقلى بكسر القاف شدة الكراهة وتعزل عنه تنحى (المعني) لماذا المكث مع من يبغضونكم ويبغون اساءتكم مع ان في الارض سعة للكرماء ليتباعدوا عمن يرومهم بالأذى وينتحو عمن يناوئونهم بالكراهة (٥) (المعنى) وحياتك ان الارض لا تضيق على الانسان العاقل الذى يستعمل عقله فى درك المرغوب وترك المرهوب (٦) السيد بالكسر الاسد والذئب والعملس بفتح العين والميم واللام المشددة القوى على السير السريع والذئب الخبيث والارقط النمر والزهلول كعصفور الاملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذي هو بمنزلة عرف الفرس وجيألة وجيأل ممنوعتان وجيل بلا همزة الضبع (المعنى) اني افضل عليكم معشر القاعدين معاشرة الوحوش العادية من السباع والذئاب والنمر والضباع .

هُمُ الأهل لا مُستودَعُ السّرِّ ذائعٌ — لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخذَلُ (١)

وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غير أنني — اذا عرضتْ أُولى الطرائدِ أبسَلُ (٢)

وإن مُدّت الأيدى الى الزاد لم أكن — بأعجلهم إذ أجشَعُ القومِ أعجلُ (٣)

وما ذاك الا بسطةٌ عن تفضُّلٍ — عليهم وكان الأفضلَ المُتفضّلُ (٤)

وإني كفاني فَقدَ من ليس جازياً — بحسني ولا فى قُربه مُتعلَّلُ (٥)

ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مُشيَّعٌ — وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطلُ

هَتوفٌ من المُلسِ المُتونِ يزينُها — رصائعُ قد نِيطتْ اليها ومِحمَلُ (٦)

إذا زلّ عنها السّهمُ حنّتْ كأنها — مُرزّأةٌ ثكلى ترنُّ وتُعوِلُ

واست بمِهيافٍ يُعشّي سَوامَهُ — مُجدَّعةً سُقبانُها وهي بُهَّلُ (٧)

---

(١) جر على نفسه وغيره وجريرة اى ذنباً والجريرة الذنب والخيانة (المعنى) فهؤلاء حقيقة هم الاهل على الاسرار مأمونون وعن جرائر الجاني منهم محامون (٢) الابى كعلى من يكره الدنايا ولا يحتمل الضيم والباسل الاسد والشجاع والطريدة ما طردته وابعدته من ناحية وضممته اليك من الصيد والفرسان (المعنى) جميعهم يعافون الدنايا ولا يبالون بالمنايا لكني انا اشجع الاقران فى ملتقى الطعان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص وأسوأه واخذ الانسان نصيبه والطمع فى غيره (المعنى) ولى خصلة اخرى هى بالعفيف احرى وهى تأخر يدى عن الطعام عند تقدم ايدى الاقوام (٤) (المعنى وما دعاني الى ذلك الا توسعي بالفواضل اليهم لان افضل القوم هو المتفضل عليهم (٥) تعلل بالامر تشاغل وشيع فلانا شجعه ويأتي ايضاً بمعنى خرج معه ليودعه والاصليت السيف الصقيل الماضى والعيطل القوس الطويلة العنق المتن (المعنى) ما دام لى ثلاثة اصحاب القلب الجرىء والسيف الماضى والقوس المتينة فلا ابالى بضياع من لا يشمر فيهم الجميل ولا ترجى منهم فائدة (٦) قوس هتوف ذات صوت والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة او كل حلقة مستديرة فى سيف او سرج او غيره ونيطت اليها علقت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزاة المصابة بالرزايا والثكلى الفاقدة اولادها وأعول رفع صوته بالبكاء والصياح (المعنى) قوس طنانة رنانة من نبات النبع مزينة بالحلى والحمائل ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالى فهى تبكى وتعول لفقده (٧) المهياف السريع العطش والسوام الابل الراعية وناقة باهل بينة البهل لاصرار عليها ولا خطام ولا سمة لها (يقال) بهلت الناقة حل صرارها او مجدعة محبوسة على غير علف

ولا جُبَّإٍ أكهى مُرِبٍّ بعرسهِ ... يُطالِعها في شأنه كيف يَفعلُ (١)
ولا خرقٍ هيقٍ كأنَّ فؤادَه ... يظلّ به المُكّاء يعلو ويسفل (٢)
ولا خالفٍ دارِيّة مُتغزّل ... يروح ويغدو داهنًا يتكحّل (٣)
ولست بعلٍّ شرُّه دون خيره ... ألفَّ اذا ما رعتهُ اهتاجَ أعزل (٤)
ولست بمِحيار الظّلام اذا انتحتْ ... هُدَى الهوجل العِسّيفِ يَهْماءُ هوْجل (٥)
اذا الأمعز الصوّان لاقى مناسمى ... تطاير منه قادحٌ ومُفلّل (٦)

وسقبان جمع سقب وهو ولد الناقة (المعنى) ولست من الناس الذين لا يتحملون العطش فيروحون الى نوقهم ويحبسون اولادها عنها جائعة ويتمتعون هم بدرها من غير ما نعم (١) الجبأ كسكر الجبان والاكهى الجبان الضعيف ورب بعرسه اى زوجته لزمها وقعد معها كارب (والمعنى) ولست بالجبان الضعيف الذى يلازم قرينته ويطلعها على امره ويأخذ رأيها فيه (٢) الخرق ككتف الذى يندهش ويبهت لأقل شيء والهيق الواحد من النعام ويسمى بالظليم والمكاء كرمان نوع من الطير (المعنى) ولست من الذين يطيشون بأدنى الامور مثل النعام وترجف قلوبهم كان المكاء يطير بها الى فوق والى تحت (٣) يقال فلان خالفة اهل بيته وخالفهم بمعنى انه غير نجيب لا خير فيه اذ انه يقعد بعدهم ويأتى خالفة وخالف بمعنى احمق والدارية الملازم لبيته (المعنى) ولست من خلف السوء الملازمين للبيوت الذين لا هم لهم في غدوهم ورواحهم الا التغزل بالنساء والتزين لهن بالتدهن والتكحل (٤) العل الصغير الجسم الضعيف والالف الرجل الثقيل اللسان العى بالامور والاعزل الخالى من السلاح (المعنى) ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين يرتكبون في الامور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيهم من الخوف (٥) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده والهوجل المفازة البعيدة لا علم بها والناقة بها هوج من سرعتها والرجل الاهوج والدليل والعسيف صيغة مبالغة من عسف فى السير خبط فيه خبط عشواء والايهاء عند اهل البادية السيل والجمل الهائج الصؤول وعلى ذلك يمكن ان يقال ناقة يهماء (المعنى) ولست ممن تستولى عليه الحيرة فى الظلام اذا اتاه دليل الابل عن الطريق وخبط فى السير خبط عشواء وتبعته الناقة اليهماء (٦) المعز الصلابة مكان امعز صلب وارض معزاء صلبة اوالصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابه ، والمنسم كمجلس خف البعير والمفلل المكسر والمراد بالقادح هنا الحجر الذي يضرب بغيره فيفتته ويخرج منه الشرر (المعنى) اذا ضربت ناقتى بمناسمها حجارة الصوان فى الارض الشديدة الصلابة فتتها فتضاربت الحجارة فنها ما يورى النار ومنها ما يتفتت من شدة اصطدام الحجارة بعضها ببعض

أُديم مِطال الجوع حتى أُميته ... وأضرِب عنه الذِّكر صفحاً فأذهل (١)
وأستفُّ تُرْب الأرض كي لا يَرى له ... عليّ من الطَّوْل امرؤٌ مُتطوّل (٢)
ولولا اجتناب الذّام لم يُلْفَ مشربٌ ... يُعاش به إلا لديّ ومأ كل (٣)
ولكنَّ نفساً حُرَّةً لا تقيم بي ... على الضَّيم الا ريثما أتحوّل (٤)
وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت ... خيوطة ماريّ تُغار وتُفتل (٥)
وأغدو على القوتِ الزّهيد كما غدا ... أزلُّ تهاداه التَّنائف أطْحل (٦)
غدا طاوياً يُعارض الرّيح هافياً ... يخوت بأذنابِ الشِّعاب ويعْسِل (٧)
فلمّا لواه القوت من حيث أمّه ... دعا فأجابتْه نظائرُ نُحّل (٨)

---

(١) صفحاً اما مصدر من صفح عنه اعرض مفعول له على معنى اصرف عنه التذكر اعراضا عنه واما ظرف بمعنى الجانب على معنى انحى التذكر عنه جانباً كما تقول صنمه جانباً (المعنى) اني اعود نفسى على تحمل الم الجوع دائماً حتى لا يبق له تأثير واصرف نفسى عنه حتى لا يخطر لى على بال (٢) الطول الفضل والانعام وتطول عليه امتن وانعم (المعنى) واني افضل سف التراب على امتنان من يترفع على بالانعام (٣) الذام العيب والذم (المعنى) ولولا ان اخشى العار والمذمة التي تلحق الباذلين ماء وجوههم لاجل الماكل والمشارب لكان عندي من اشكالها والوانها كل ما تشتهيه الانفس (٤) الضيم الهضم وريثما معناها مقدار ما (المعنى) ولكن نفسى عزيزة لاتبطىء بالاقامة على الاهتضام الا ابطاء تتأهب فيه للرحيل عنه (٥) الخمص الجوع والحوايا جمع حوية كثنية ماتحوى وانطوى بعضه على بعض من الامعاء والخيوطة جمع خيط وماري اسم صانع مشهور يفتل الخيوط وأغار شد الفتل (المعنى) واضمر امعائي بالجوع حتى تصير مثل الخيوط التي يشد فتلها ماري المشهور بفتل الخيوط (٦) الزهيد القليل والازل السريع والموصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده والتنوفة المفازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف او الفلاة لا ماء بها ولا انيس وان كانت معشبة وجمعها تنائف والطحلة بالضم لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل ذئب اطحل لونه الطحلة (المعنى) ادور على القوت القليل مثل ما يدور عليه الذئب من فلاة الى فلاة (٧) غدا طاوياً اى يكر بالضرب فى الارض جائعاً ويعارض الريح يسابقه وهافيا خفيفاً مسرعاً وخات البازى انقض على الصيد وخات الرجل اختطف واذناب الشعاب اطراف الاراضى التى بين الجبال ؛ وعسل الذئب يعسل عسلا وعسولا وعسلانا اشتد اهتزازه فى عدوه (المعنى) خرج الذئب من الجوع مبكراً يقطع اعماق المفارز فى طلب القوت بعدو ويبارى الريح (٨) لواه القوت قتله وضمره وامه قصده ونظائر نحل يعني امثاله الهزيلة (المعنى) فلما لم يجد فى الامكنة التي

مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الوجوه كأنَّها قِدَاحٌ بكفَّيْ ياسِرٍ تَتَقلقلُ (١)

أو الخشرم المبعوث حثحثَ دَبره محابيض أرساهنَّ سامٍ مُعسِّلُ (٢)

مُهَرَّتةٌ فُوهٌ كأنَّ شُدُوقَها شُقوقُ العِصِيِّ كالحاتٌ وبُسَّلُ (٣)

فضجَّ وضجَّتْ بالبراح كأنَّها وإيَّاه نوحٌ فوق علياءَ ثُكَّلُ (٤)

وأغضى وأغضتْ واتَّسى واتَّسَتْ به مراميلُ عزَّاها وعزَّته مُرمِلُ (٥)

شكا وشكتْ ثم ارْعوى بعد وارعوت وللصبر إن لم ينفع الشكو أجملُ (٦)

وفاءَ وفاءتْ بادراتٍ وكلُّها على نكظٍ ممَّا يُكاتِمُ مُجمِلُ (٧)

وتشرب أسآرَ القطا الكُدْرُ بعد ما سَرتْ قَرَباً أحشاؤها تتصلصلُ (٨)

قصدها ما يقتات به صاح فصاح معه امثاله من الذئاب التى انحلها الجوع (١) المهلة الضامرة المنقوشة والقداح جمع قدح وهو السهم قبل ان يراش ويركب عليه نصله والياسر الذي يلعب بالقداح لعبة كانت للعرب وهى حرام لما فيها من خسارة المال وتتقلقل تتحرك (المعنى) ذئاب ضامرة وخطها الشيب من يراها فى عدوها يخالها سهاماً تتحرك فى يدى ياسر (٢) الخشرم كجعفر جماعة النحل وامير النحل ومأواها وحثحث كحثحش وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ومحابيض جمع محبض كمنبر عود يشتار به العسل او يطرد به الدبر وهى هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى الى محابيض وأرسى وقف واوقف وسام مرتفع ومعسل طالب العسل (المعنى) او كأنها جماعة النحل حثها اميرها على الطير الى الميدان التى نصبها لها مشتار العسل فى الاماكن المرتفعة (٣) المهرتة الواسعة والفوه جمع الافوه وهو الواسع الفم او الذي يخرج اسنانه من الشفتين والشدوق اطراف الفم من باطن الخدين وكالحات شديدة العبوس وبسل كريهات المنظر (المعنى) ان افواهها واسعة بارزة بالانياب واشداقها كانها شقوق العصى قبيحة المنظر نظيفة الرؤية (٤) البراح كسحاب المتسع من الارض لا زرع بها ولا شجر (المعنى) فصاح ذلك الذئب وصاحت معه الذئاب كانها معه نائحات تنوح فوق ربوة عالية على فقد اولادهن (٥) اغضى على الشىء سكت واتسى اقتدى والمرمل الذي نفد زاده ؛ وعزاها سلاها على مصابها (المعنى) ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاها على جوعها وسلته على مخمصته (٦) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه (المعنى) شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنها وصبروا على الجوع والصبر احسن من الشكوى التى لا تفيد (٧) فاء رجع وبادرات مسرعات والنكظ محركة الجوع الشديد (المعنى) ورجعت الذئاب مسرعة وجميعها على ما به من شدة الجوع الذي يؤلمه ويكتمه راض بحالته محسن لها مستعين بالصبر على ما به من الضر (٨) اسآر جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب والقطا

همَمتُ وهمّت وابتدرنا وأسدلت وشمّر مني فارطٌ مُتمهّل (١)
فولّيت عنها وهى تكبو لعقره يُباشره منها ذقونٌ وحوْصل (٢)
كأنّ وغاها حجرتيه وحوله أضاميم من سَفر القبائل نُزّل (٣)
توافين من شتّى اليه فضمّها كما ضمّ أذواد الأصاريم مَنهل (٤)
فعبّت غشاشاً ثم مرّت كأنها مع الصُّبح ركبٌ من أحاظة مُجفِل (٥)

نوع من الطير صوته قطاقطا وهو ثلاثة اضرب كدرى وجوني وغطاط فالكدري الغبر الالوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلوق وهو الطف من الجوني والجوني السود البطون والاجنحة وهو اكبر من الكدري والغطاط كسحاب الغبر الظهور والبطون والابدان سود بطون الاجنحة طوال الارجل والاعناق لطاف لا تجتمع اسراباً اكثر ما يكون ثلاث واثنتان الواحدة غطاطة ويقال ان القطا يطلب الماء على بعد مراحل عديدة بعضهم ابلغها الى عشرين (المعنى) اني اسبق القطا الغبر الالوان فى السير اتركها تخرج لطلب الماء حتى اذا كانت ليلة اليوم الذي ترد الماء فيه على حين يشتد طيرانها حتى تسمع لها صاصلة عدوت فسبقتها الى الماء وشربت منه وتأتي هى بعدى تشرب (١) سدل ثوبه وشعره واسدله ارخاه وارسله وفرط القوم يفرطهم فرطاً وفراطة فهو فارط تقدمهم الى الورد لاصلاح الحوض والدلاء (المعنى) ولقد خرجنا جميعاً متسابقين لورود الماء غير انها مع اسدالها اجنحتها ومدها لها لتدرك الماء على عجل قد تعوقت عنه وشمرت عن ساعد الجد فى طلبه فتقدمتها اليه على مهل (٢) تكبو تنكب على وجهها والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء فى اقصى الحوض والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين والحوصلة للطير كالمعدة للانسان (المعنى) وقد انصرفت عنها بعد ما رويت وتركتها تغمس بأذقانها وحواصلها فى الماء لترتوي من شدة العطش التى اصابتها من اجهادها نفسها فى الطيران (٣) الوغى كالفتى الصوت والجلبة والحجرة الناحية والاضاميم جمع اضامة بكسر الهمزة وهى الجماعة والسفر القوم المسافرون (المعنى) كان جلبتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر (٤) توافين اليه اى تلاحقن الى الماء ومن شتى اى من جهات متفرقة والاذواد جمع ذود وهو جماعة الابل والاصاريم هنا جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الاعراب (المعنى) اجتمعن عليه على اختلاف الاماكن التى أتين منها كما تجتمع على المنهل ابل الاعراب المتفرقة المنازل (٥) العب جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الحمامة فى شربها وغشاشا اى عبا قليلا عجلا غير مرئي واحاظة كأسامة بن سعد بن عوف ابو قبيلة من حمير واليه ينسب مخلاف احاظة باليمن والمحدثون يقولون وحاظة ؛ واجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها (المعنى) فشربت قليلا ثم عجلت بالطيران اذا رأيتها حسبتها فرسانا تطرد النعام من بني احاظة المشهورين بركوب الخيل والصيد عليها

وآلفُ وجهَ الأرض عند افتراشها ... بأهدأ تُنبيهِ سناسنُ قُحَّل (١)

وأعدِل منحوضاً كأنّ فصوصه ... كِعابٌ دحاها لاعِبٌ فهي مُثَّل (٢)

فان تبتئِسْ بالشّنفرى أمُّ قسطل ... لما اغتبطتْ بالشنفرى قبلُ أطول (٣)

طريد جناياتٍ تياسرن لَحمه ... عقيرته لِأيِّها حُمّ أوّل (٤)

تنام اذا ما نام يقظى عيونها ... حثاثاً الى مكروههِ تتغلغل (٥)

وإلفُ همومٍ ما تزال تعوده ... عِيادا كحُمّى الرّبْع أو هي أثقل (٦)

(١) الاهدأ المنكب المسترخي اللحم وتنبيه ترفعه والسناسن حروف فقار الظهر وقحل معناها مجردة من اللحم (المعنى) اني الفت ان يكون وجه الارض هو الفراش الذي انام عليه فأدوم على ذلك وان اصبحت ولى منكب استرخى لحمه على ظهر بان عظمه (٢) اعدل معناه هنا اسوى وافرش لرأسي واجعل لها وسادة ومنحوضاً يعني ساعداً قليل اللحم والفصوص المراد بها هنا الاصابع والكعاب لعب على شكل الاقماع ودحاها بمعنى بسطها ومثل معناها ماثلة وقائمة بين يدي اللاعب (المعنى) واحب ان اتوسد ساعداً ذاهب اللحم كان عظامه الخارجة كعاب اقامها اللاعب بين يديه (٣) تبتئس تحزن وام قسطل الحرب واغتبطت سرت وقرت عيناً (المعنى) لان تحزن الآن الحرب لأني تركتها فلطالما فرحت من قبل حين كنت امشها قدماً (اسيرها وامضى اليها مقدماً) (٤) كان من عادات العرب غير المحمودة اذا ارادوا ان تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب ان يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة اقسام ويجعلوا لها سهاما بعضها ذوات انصباء وبعضها غفل بلا نصيب ليستوفوا ببيعها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقترعون بالسهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الانصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هي لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرمها الدين الحنيفي والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقال لهم يسر والناقة التي تذبح فيه يقال لها جزور لانها تجزر ويقال لها عقيرة لانها تعقر وتنحر ويقال تياسروا اي اخذوا الانصباء من اللحم ويقال حم بمعنى دنا وقرب (المعنى) قد كثرت جناياتي فى الحروب على الناس حتى اصبحت شريداً من سعيهم وراني للاخذ بالثار مني ومسارعتهم الى اقتسام لحمي ومسابقتهم فى ان يكون كل منهم اول من يفترسني (٥) تنام اى الجنايات والمراد اصحابها وحثاثا سراعا وتتغلغل تدخل بشدة (المعنى) تبيت ارباب الجنايات اذا نام الشنفري وعيونهم ساهرة على كيده يديرون فى سرعة الوصول الى اذاه وضرره (٦) الالف الاليف الحليف المعاود والعياد العودة والرجوع مرة بعد اخرى وربعت عليه الحمى جاءت ربعاً يعني ترددت عليه فى كل اربعة ايام مرة تتركه فى الثلاثة وتأتيه فى الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع (المعنى) ولم ازل حليف الهموم تعاودني مع ثقلها معاودة الحمى الربعية بل ان تلك الهموم اثقل من الحمى

إذا وردت أصدرتُها ثمّ إنها تؤوب فتأتى من تُحيتُ ومن علُ (١)

فامّا ترانى كابنة الرّمل ضاحياً على رِقّةٍ أحفى ولا أتنعّل (٢)

فانّى لمولى الصّبر أجتاب بزّه على مثل قلب السِّمع والحزم أفعل

وأُعدِم أحيانًا وأغنى وانما ينال الغني ذو البُعْدةِ المتبذّل (٣)

فلا جزِعٌ مِنْ خَلّةٍ مُتكشّفٌ ولا مَرِحٌ تحت الغِنِي أتخيّل (٤)

ولا تَزدهى الأجهال حلمى ولا أرى سؤولا بأعقاب الأقاويل أُنْمِلُ (٥)

وليلةِ نحسٍ يَصطلى القوسَ ربُّها وأقطعهُ اللاتى بها يَتنبّل (٦)

دَعسْتُ على غَطْش وَبغْش وصُحبتى سُعارٌ وإرْزِيزٌ ووجرٌ وأفكَل

---

(١) تؤوب ترجع (المعنى) كلما ثارت على جيوش الهموم واحاطت بي من كل جانب رددتها عني بعزم ماض وصبر جميل (٢) فاما تراني باهمال ان حملا على لو كقراءة طلحة فاما ترين بياء ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية او البقرة الوحشية وضاحياً بارزاً للشمس وعلى رقة معناها سوء العيش ومولى الصبر واليه واجتاب القميص لبسه والبز الثياب والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون انه لا يموت حتف انفه كالحية وانه فى عدوه اسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً (المعنى) فان ترني كالحية عارياً حافياً معدماً فان الصبر ثيابى والشجاعة حشو اهابى ولا افعل الا ما يوجبه الحزم (٣) اعدم اعداماً وعدماً بالضم افتقر وذو البعدة بالضم اى صاحب الابتعاد فى الارض والمبتذل الذي لا يصون نفسه (المعنى) أني أضرب فى الأرض فتارة افتقر وطوراً أغتني ولا ينال الغني الا من باشر الاسفار ولم يتحاش بنفسه عن اقتحام الاخطار (٤) الجزع نقيض الصبر والخلة والحاجة والفقر والمرح والبطر والاختيال (المعنى) الفقر لايظهر على ترحا والغني لايبدي مني مرحا (٥) تزدهي تستخف والاجهال جمع جهل شذوذاً لأن قياسه أجهل وجهول الا انه حسنه كون عنه الهاء الشبيهة بحروف اللين والباء في بأعقاب بمعنى عن والنملة مثلثة وكسفينة النميمة وهو نمل ونامل ومنمل كمحسر ومنبر ونمال كشداد نمام وقد نمل كنصر وعلم وأنمل نم (المعنى) لا يستفز الجهل حلمي ولا تجدني متبعاً للاقاويل الساقطة أنم بها على الناس (٦) اصطلي استدفأ والاقطع جمع قطع وهو القضيب تبرى منه السهام وتنبل بالاقطع اتخذها نبلا ودعش عليه كمنع هجم وفى الظلام دخل والغطش الظلمة والغش والمطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع والارزيز بردصغار كالملح والوجر الحقد والغل والغيظ والافكل الرعدة (المعنى) وكم ليلة طويلة مظلمة باردة يضطر الساري فيها الى ايقاد قوسه ونبله ليتدفأ بها من شدة القرسريت فى ظلامها ومطرها وليس يصاحبني غير الجوع والثلج والغيظ والرعدة

فأيَّمتُ نِسْوانًا وأَيتمتُ وِلدةً ... وعُدْتُ كما أبدأت والليل أليل (١)
وأصبحَ عنّى بالغُمَيْصاءِ جالساً ... فريقان مسئول وآخر يسأل (٢)
فقالوا لقد هرّت بليلٍ كِلابُنا ... فقلنا أذِئبٌ عسّ أم عسَّ فرعُل (٣)
فلم يكُ إلا نبأةٌ ثمّ هوّمتْ ... فقلنا قَطاة ريِعَ أم ريعَ أجْدل
فان يكُ مِن جِنّ لأبرح طارقًا ... وان يك إنساً ما كها الإنس يفعل
ويومٍ من الشِعْرَى يذوبُ لُعابه ... أفاعيهِ فى رَمْضائِهِ تتَملْمل (٤)
نَصبْتُ له وجهى والكِنُّ دُونه ... ولا ستر إلاّ الأتحَميُّ المُرَعْبل
وضَاف اذا هبّتْ له الريح طيَّرت ... لبائد عن أعطافِهِ ما ترجّل

(١) أيمت نسوانا يعنى قتلت رجالهن فتركتهن بلا ازواج وايتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعني قتلت آباءهم وابدأت بدأت والليل اليل يعني طويل شديد الظلمة (المعنى) فقتلت الرجال وتركت النساء ايامى والاولاد يتامى ورجعت كما رحت والليل باق على حاله (٢) الغميصاء موضع اوقع فيه خالد بن الوليد رضى الله عنه ببني جذيمه (المعنى) ولما اصبح الصباح جلس الناس بالغميصاء لشدة ما دهاهم يتساءلون ويتجاوبون عما فعلت (٣) هر الكلب هريراً صوت صوتاً دون النباح وعس طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبع والنبأة الصوت الخفى ؛ وهوم هز رأسه من النعاس والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطا قطا والاجدل الصقر وريع اخيف ولا برح معناه لقد اتى بالبرح وهو الشدة والشر ؛ وهاق كهاضمير الفعلة دخلت عليه الكاف شذوذاً (المعنى) فجعلوا يقولون انا لما سمعنا كلابنا تصوت بالليل حسبناها تنبح على ذئب او ولد ضبع ولكنها لما صوتت قليلاً ونامت قلنا ربما كانت نبأتها لطيران قطا ارتاعت او لمرور صقر خائف امامها وما علمنا ان الطارق الذي اهرها شيء عظيم الا لما رأينا آثار فعله من القتل الذريع كل ذلك فعله فى ليلة لئن كان هذا الطارق من الجن فلقد اتى شيأ عظيما وان كان من الانس فما يفعل الانس مثل ذلك (٤) الشعرى نجم يطلع فى شدة القيظ واللعاب معناه هنا ماتراه فى شدة الحر كأنه منحدر من السماء اذا قام قائم الظهيره ويكون على هيئة البخار او على هيئة نسج العنكبوت ويسمى ايضاً لعاب الشمس والرمضاء الارض الشديدة الحرارة وتململ تقلب والكن الستر والاتحمى برد معروف والمرعبل الممزق وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ولبائد جمع لبدة وهى الشعر المتراكم واعطافه جوانبه وترجل تمشط (المعنى) وكم يوم من ايام الشعرى التى تتصاعد فيها الابخرة وتتململ فيها الافاعى من شدة الحر عرضت له وجهى بغير ستر ومشيت فيه ولا شيء

بَعيدٌ بمسِّ الدُّهنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ ... له عَبَسٌ عافٍ من الغسلِ مُحْوِلُ (١)

وخرْقٍ كظهْرِ التُّرسِ قفرٍ قطعتُهُ ... بعاملتَينِ ظهرُهُ ليسَ يُعْمَلُ (٢)

فألحقتُ أُولاه بأُخراهُ مُوفياً ... على قُنةٍ أُقْعِي مرارًا وأَمثُلُ (٣)

تَرُودُ الأَراوِى الصُّحْمُ حوْلي كأنها ... عَذارَى عليهنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ (٤)

ويرَكُدْنَ بالآصالِ حوْلي كأنني ... من العُصْمِ أدْفى ينتحِي الكِيحَ أعقَلُ (٥)

﴿ وقال الطُّغرائي يُواسى مُعِين المُلك فى نكبته المتوفى سنة ٥١٠ هـ ﴾

فصبرًا مُعين المُلك ان عنَّ حادثٌ ... فعاقبةُ الصّبرِ الجميلِ جميلُ

ألم ترَ أنَّ اللَّيل بعد ظلامه ... عليه لإِسفارِ الصّباحِ دليلُ

ألم ترَ أنَّ الشمس بعد كسُوفها ... لها صفحة تغشى العيونَ صقيل

وأن الهِلال النِّضو يُقمِر بعد ما ... بدا وهْوشختُ الجانبين ضئيل

على جسدى الا ثوب ممزق وشعر مسترسل اذا هبت عليه الريح لم تطير منه الا لبائد في كل جانب منه لم تمسها الامشاط (١) الفلى تنقية الرأس من القمل والعبس محركة ما تعلق بأذناب الابل من ابوالها وابعارها يجف عليها وعاف من الغسل لم يغسل والمحول الذى اتى عليه الحول (المعنى) ان هذا الشعر بقى عاماً من غير ان يفلى ولا يغسل ولا يمس بدهن حتى تراكت عليه الاوساخ وصار عليه منها مثل عبس الابل (٢) الخرق الارض الواسعة تنخرق فيها الرياح وقفر خالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أى ليس يسلك (المعنى) وكم صحراء مقفرة لم يسلكها احد قطعتها مشياً على رجلى (٣) اوفى عليه اشرف والقنة بضم القاف قلة الجبل واقعى فى جلوسه تساند الى ما وراءه ومثل قام منتصباً (المعنى) فعبرت تلك الصحراء من اولها الى آخرها مشرفاً على قلل الجبال تارة اقعد وتارة اقوم (٤) الرود الذهاب والمجىء والاراوى جمع اروية بالضم والكسر وهى انثى الوعول والعذارى جمع عذراء وهى البكر والملاء بضم الميم نوع من الاردية والمذيل طول الذيل (المعنى تطوف الاراوى الضخم حولى اذا اريتها حسبتها عذارى تلففت فى ملاء طويلات الذيول (٥) الركود السكون والثبات والآصال جمع اصيل وهو العشى والعصم جمع اعصم وهو الوعل الذى فى موضع المعصم منه والادفى الذي يميل قرناه ناحيتى ظهره وينتحى يتعمد والكيح ناحية الجبل وأعقل ممتنع فى الجبل (المعنى) ويقفن حولى يحسبني وعلا أدفى يقصد الجبل ليمتنع به

فقد يعطف الدّهر المسير قيادُه ... فيشفى عليلٌ أو يُبلّ غليل

وبرّاش مقصوصُ الجناحين بعد ما ... تساقَط ريشٌ واستطار نسيل

أسأت إلى الأيام حتى وتَرْتَها ... فعندك أضغان لها وتبول

وصارَمتَها فيما أرادت صُروفها ... ولولاك كانت تنتحي وتصول

وما أنت إلاّ السيفُ يسكُن غمدَه ... ليشقى به يوم النّزال قتيل

أمَالكَ بالصّدّيق يوسفَ أُسوة ... فتَحمِلَ وطء الدّهر وهو ثقيل

وما غضٌّ منك الحبسُ والذكر سائر ... طليقٌ له فى الخافقين ذميل

﴿ وقال محمود باشا سامي البارودي وهو فى منفاه ﴾

محا البَين ما أبقت عيونُ المَهامِنيّ ... فشِبْتُ ولم أقضِ اللُّبانَةَ من سِنِيّ

عناءٌ ويأسٌ واشتياقٌ وغُربةٌ ... ألا شَدّ ما ألقاه فى الدّهر من غَبَن

فإن أكُ فارَقتُ الدّيارَ فلى بها ... فؤادٌ أضلّته عيونُ المَهاعِنيّ

بعثتُ به يومَ النّوى إثرَ لحظةٍ ... فأوقعه المِقدارُ فى شَرك الحُسن

فهل من فتًى فى الدهر يجمَع بيننا ... فليس كلانا عن أخيه بمُستغنى

ولما وقفنا للوَداع وأسبلَت ... مدامعنا فوق الترائب كالمُزن

أهبتُ بصبرى أن يعود فبزّنى ... وناديتُ حِلمى أن يثوب فلم يُغنِ

وما هى إلاّ خَطرةٌ ثم أقلعَت ... بنا عن شطوط الحيّ أجنحة السفُن

فكم مُهجة من زَفرة الوجد فى لَظًى ... وكم مُقلة من غَزرة الدّمع فى دَجن

وما كنتُ جربتُ النّوى قبل هذه ... فلما دهتني كدتُ أقضى من الحزَن

ولكنّني راجَعتُ حلمى وردّني ... الى الحزم رأىٌ لا يحوم على أفن

ولولا بُنَيّاتٌ وشيبٌ عواطلٌ ... لما قرَعت نفسى على فائت سِنىّ

فياقلبُ صبراً إن جزعتَ فربما جرَت سُنُحا طيرُ الحوادث باليُمن
فقد تُورق الأغصانُ بعد ذُبولها ويبدو ضياء البدر فى ظلمة الوهن
وأىُّ حُسام لم تصبه كهامة واهذَم رُمحٍ لا يُفَلّ من الطّعن
ومَن شاغَبَ الأيامَ لان مريرُه وأسلمه طولُ المِراس الى الوهن
وما المرء فى دنياه الا كسالك مناهجَ لا تخلو من السّهل والحَزن
فان تكن الدنيا تولَّت بخيرها فأهونْ بدنيا لا تدُوم على فَن
إذا عرف المرءُ القلوبَ وما انطوَت عليه من البَغضاء عاش عَلَى ضغن
يَرى بصرى مَنْ لا أودُّ لقاءَه وتسمع أُذنى ما تعاف من المنّ
تحمّلت خوفَ المنّ كلّ رزيئة وحملُ رزايا الدَّهر أحلى من المَنّ
وعاشَرتُ أخداناً فلما بلوتُهم تمنَّيتُ أن أبقى وحيداً بلا خِدن

﴿ وقال محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

لم يَبقَ شىءٌ من الدّنيا بأيدينا إلاّ بقيّة دَمع في مآقينا
كنّا قِلادة جيدِ الدّهر وانفرطت وفى يَمين العُلا كُنّا رَياحينا
كانت منازلُنا فى العزّ شامخةً لا تشرق الشّمسُ إلا فى مغانينا
وكانَ أقصى مُنَى نهر المجرّة لو من مائه مُزجت أقداحُ ساقينا
والشّهب لو أنها كانت مُسخرة لرَجْم من كان يَبدُو من أعادينا
فلم نزل وصرُوف الدهر ترمقُنا شَزَراً وتخدعُنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاهٌ ولا نَشَبٌ ولا صديقٌ ولا خِلٌّ يُواسينا

﴿ وقال أيضاً فى شكوى الزمان ﴾

سعيتُ الى أن كدتُ أنتعلُ الدّما وعُدتُ وما أعقبتُ إلا التّندُّما

سلامٌ على الدنيا سلام مُودّعٍ رأى في ظلام القبر أُنساً ومغنما
تبلّغ بالصبر الجميل وبالأسى زماناً وجادته المُنى فتأدّما
أضرّتْ به الأولى فهام بأُختها وإن ساءت الأخرى فويلاهُ منهما
فهُبّي رياحَ الموت نكباء واطفئي سراجَ حياتي قبل أن يتحطّما
فما عصمَتني من زماني فضائلي ولكنْ رأيتُ الموتَ للحُرّ أعصما
فياقلبُ لا تجزَع إذا عضّكَ الأسى فانك بعد اليوم لن تتألّما
ويا عينُ قد آن الجمودُ لمدمعي فلا سيلَ دمعٍ تسكُبين ولا دَما
ويا يدُ ما كلّفتك البسط مرّة لذي مِنّة أولى الجميلَ وأنعما
فلله ما أحلاك في أنمُل البلى وان كنتِ أحلى في الطروس وأكرما
ويا قدَمي ما سرْتَ بي لمذلّة ولم ترْتق الا الى العزّ سلّما
فلا تُبطئي سيراً الى الموتِ واعلمي بأنّ كريمَ القوم مَنْ مات مُكرَّما

﴿ وقال فقيد الأدب حفني بك ناصف ﴾

أتقُضَى معي إن حان حيني تجاربي وما نلتها إلاّ بطول عَناء
وأبذُل جهدي في اكتساب معارفٍ ويفنَى الذي حصّلتهُ بفنائي
ويحزُنني ألاّ أرى ليَ حيلة لإعطائها من يستحقّ عطائي
إذا ورّث الجهالُ أبناءهم غنًى وجاهاً فما أشقى بني الحكماء

الباب الرابع في الوصف

« قال على بن محمد القاضى التنوخى المتوفي سنة ٣٤٣ هـ واصفاً مكتوباً »

وصحيفة ألفاظها في النظم كالدر النثير
جاءت الى كأنها التـ وفيق فى كل الأمور
بأرق من شكوى وأحـ سن من حياة في سرور
لو قابلت أعمى لأصـ بح وهو ذو طرف بصير
وكأنها أمل تحقـ ق بعد يأس في الصدور
أو كالفقيد اذا أتت بقدومه بشرى البشير
أو كالمنام لساهر أو كالغني عند الفقير
أو كالشفاء لمدنف أو كالأمان لمستجير
وكأنما هي من وصا ل أو شباب أو نشور
لفظ كأسر معاند أو مثل اطلاق الأسير
وكأنه اذ لاح من فوق المهارق والسطور
ورد الخدود اذا انتقلـ ت به على راح الثغور
غرر غدت وكأنها من طلعة الظبي الغرير
من كل معنى كالسلا مة أو كتيسير العسير
كتبت بحبر كالنوى أو كفر نعمى من كفور
فى مثل أيام التوا صل أو كأعتاب الدهور
أهديتها يا خير من يختار من كرم وخير

﴿ وقال أيضاً واصفاً الخط والكتابة والبلاغة ﴾

خطٌّ وقرطاس كأنهما السَّوالف والشُّعورُ
وبدائعٌ تدعُ القلوبَ تكادُ من طربٍ تطيرُ
في كلِّ معنى كالغنى يحويه محتاجٌ فقير
أو كالفكاك يناله من بعد ما يأسٍ أسير
وكأنها الإقبال جاء أو الشفاء أو النُّشور
وكأنها شرخ الشباب وعيشه الخضل النضير

﴿ وقال البُحترى في الموضوع نفسه ﴾

واذا دَجتْ أقلامه ثم انتحتْ برقتْ مصابيح الدُّجى في كُتْبِه
فاللفظ يقرُب فهمهُ في بُعْده منّا ويَبعدُ نيله في قُرْبه
فكأنها والسّمع معقودٌ بها شخص الحبيب بدا لعين مُحبّه

﴿ وقال الوزير المهلبي المتوفي سنة ٣٥٢ هـ في الموضوع نفسه ﴾

ورَد الكتاب مُبشّراً نفسي بأنواع السُّرورِ
وفضضته فوجدتُه ليلاً على صفحات نور
مثل السَّوالف والخدو د البيض زينتْ بالشعور
أنزلته مني بمنـ زلة القلوب من الصدُور

﴿ الموز — وقال النجم بن إسرائيل : يصفه ﴾

أتتهُ موزا شهيّ المنظر، مُستحكم النُّضج، لذيذَ المخبَر
كأنّ تحت جلدِه المزعفَر لفّاتِ زُبد، عُجنت بسكّر

وقال البهاء زهير :

فى ريحه ، ولونه ، وطعمه : كالمسك، أو كالتبر أو كالضَّرَب

وافت به أطباقه مُنضَّدا : كأنه مكاحلٌ من ذهب [١]

وقال آخر :

تَحكى إذا قشَّرته أنيابَ أفيالٍ صغار

ذو باطنٍ مثلِ الإقا ح، وظاهر مثل البَهار [٢]

الكمثرى :

وكمثراء بستان شهيّ الطعم والمنظر

له طعم إذا ذيق كماء الورد والسكرْ

كأنه فى شكله، ولونه، وطعمه: قوالب من سكّر

التفاح — قال ابن المعتز :

كأنما التفاح لما بدا يرفُل فى أثوابه الحُمرِ

شهدٌ بماء الورد، مستودَع فى أُكَرٍ من جامد الخمر [١]

كأننا حين نُحيّا به نستنشق النَّدَّ من الجَمرِ [٢]

الخوخ :

كأنما الخوخ على دَوحه وقد بدا أحمرُه العَنْدَمى [٣]

بنادقٌ من ذهب أصفر قد خضّبت أنصافها بالدم

وَخوخةٍ بستان ذكيّ نسيمها من المسك والكافور قد كسَبت نَشرا [٤]

(١) المكاحل هنا اوعية الكحل جمع مكحلة بضم الميم والحاء ٢) الاقاح جمع اقحوان وهو وهو نبت طيب الريح حواليه ورق ابيض ووسطه اصفر ؛ والبهار نبت اصفر ؛ طيب الريح .
(٣) الاكر: جمع اكرة وهى لغة فى الكرة(٤) الند طيب (٥) العندم صبغ احمر (٦) رائحة طيبه

مُلبَّسة ثوبا ، من التّبرِ نصفه مَصوغٌ ، وباقيه كياقوتة حَمرا

المشمش :

ومِشْمِشٍ جاءنا من أعجب العجب أشهى إليّ من اللّذات والطربِ
كأنه وهبوبُ الريح يَنثره بنادقٌ خُرِطت من خالص الذهب

وكأنما الأفلاك من طربٍ به نثرت كواكبها على الأغصان

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر :

حبذا مِشمش على الدوح أضحى ذا شُعاع يستوقف الأبصارا
شجرٌ أخضر لنا جعل الله « تعالى » منهُ كما قال نارا [1]

الرمان :

رُمانة صبَغ الزمان أديمَها فتبسّمت فى ناضر الأغصان
فكأنما هى حقّة من عسجد قد أُودعت خرزاً من المرجان

كأنها حقّة ، فإن فُتحت فصُرّة من فصوص ياقوت

حِقاق كأمثال العقيق تضمّنت فصوص بَلَخش ، فى غِشاء حرير [2]

إذا فُضّ عنه قشرهُ فكأنه فصوص عقيق ، فى حِقاق من الدُّر
فدُرٌّ ، ولكن لم يدنِّسهُ عارض وماء ، ولكن فى مخازنَ من جمر

النخيل والباسق :

كأن النخيل الباسقاتِ وقد بدت لناظرها حسناً قبابُ زبرجد [3]
وقد عُلّقتْ من حولها زينةً لها قناديلُ ياقوتٍ بأمراس عسجد [4]

(١) يشير الى قوله تعالى « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً » (٢) البلخش حجر معدنه بنواحي بلخشان المتاخمة للتركستان واحمره يشبه الياقوت (٣) بسق النخل طال (٤) الامراس الحبال

وقال السّرى الرفاء :

فالنخل من باسق فيه وباسقةٍ يضاحكُ الطَّلعُ فى قِنْوانه الرُّطبا (١)

أضحت شماريخه فى النحر مُطلِعة إما ثُريًّا، وإما مِعصمًا خُضِبا (٢)

تُريك فى الظل عِقيانًا، فإن نظرتْ شمسُ النهار إليها خِلتَها لهبا (٣)

وقال آخر فى البلح الأخضر :

أما ترى النخل قد نثّرت بلحًا جاء بشيراً بدولة الرطب

مكاحلا من زُمرد خُرطت، مقمّعات الرءوس بالذّهبِ (٤)

وفى البلح الأحمر :

أنظر إلى البُسْر إذ تبدّى ولونه قد حكى الشّقيقا (٥)

كأنما خُوصه عليه زبرجد مُثمرٌ عقيقا

البطيخ :

رأيتها فى كف جلاّبها وقد بدت فى غاية الحُسن

كسَلّة خضراء مختومة على الفصوص الحُمر فى القطن

وقال أبو طالب المأمونى :

ومُبْيضة فيها طرائق خضرة كما خضرَ مجرى السيل من صيّب المُزن (٦)

كحُقّة عاج ضُبّبت بزبرجد حوتْ قِطعَ الياقوت فى عِصب القطن (٧)

---

(١) الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصيرا ثمراً اذ كانت انثى؛ فأن كانت ذكراً لم يصر ثمراً بل يؤكل طرياً ، ويترك على النخل اياماً حتى يصير فيه شيء ابيض مثل الدقيق فيلقح به الانثى والقنوان جمع قنو وهو من الثمر كالعنقود من العنب (٢) المعصم موضع السوار او اليد وهو المراد هنا (٣) العقيان الذهب الخالص (٤) مقمعة ذات قمع وهو ما التزق بأعلى التمرة (٥) البسر البلح قبل ان يرطب فاذا انتهى نضجه فرطب والشقيق نبت احمر فيه بقع سوداء (٦) الصيب : المطر والمزن : السحاب او ابيضه (٧) التضبيب: شدة القبض على الشيء لئلا ينفلت اى كأنها محاطة

وقال فى بطيخة صفراء :

وبطيخة مِسْكِيَّة عسلية لها ثوبُ دِيباج وعرفُ مُدام(١)

إذا فُصِّلت للأكل كانت أهلَّة، وإن لم تفصل فهى بدر تِمام

وقال ابن التعاويذى :

ربَّ صفراء أتتنا وهى فى أحسن حُلَّهْ

تعتريها صفرةٌ فى لونها ، من غير عِلَّهْ

حلوةُ الريق ، حلال دمها فى كل مِلَّهْ

نصفها بدر ، وإن قسَّمْتَها فهى أهِلَّهْ

وقال آخر :

ألا فانظروا البطيخ وهو مُشَقَّقٌ وقد حاز فى التَّشقيق كل أنيق

تروه كبلّور بدا فى زمرد مركَّبة فيه فصوص عقيق

العنب — قال ابن المعتز :

كأن عناقيد الكروم وظلَّها كواكب درّ ، فى سماء زبرجد

وقال السرى الرفاء :

والكرْم مشتبك الأفنان ، تُوسِعنا أجناسه فى تساوى شِرْبها عجباً(٢)

فكَرْمة قطَرت أغصانها سَبَجاً ، وكرمة قطرت أغصانها ذهباً(٣)

كأنما الورق المخضرُّ دونهما غيرانُ ، يكسوهما من سُندس حُجُباً

وقال آخر :

كأنما عنقودها . زنجٌ ، جنوا فى سرقهْ

(١) العرف . الريح . (٢) الافنان : الاغصان . والشرب الماء (٣) السبج : خرز اسود .
مخيوط من الزبرجد تمسكها .والعصب جمع عصبة : ما يعصب به اى صرر من القطن

فأصبحت رءوسهم على الذُّرى مُعلَّقة

قصب السكر :

تحكيه سُمر القنا ولكن تراه في جسمه طلاوه [١]
وكلّما زدته عذاباً زادك من ريقه حلاوه

النبق :

وسِدرَة كل يوم من حسنها في فنونِ [٢]
كأنما النبق فيها وقد بدا للعيون
جلاجلٌ من نضار قد عُلقت في الغصون

الجزر : قال ابن المعتز :

أُنظر إلى الجزر الذى يحكى لنا لهب الحريق
كمِذَبة من سندس ولها نِصاب من عقيق

وقال ابن رافع القيروانى :

أُنظر إلى الجزر البديع كأنه في حسنه قضُب من المرجان
أوراقه كزبرجد في لونها ، وقلوبه صِيغت من العِقيان

اللوز الاخضر : قال ظافر الحداد :

كأنما قلوبه من توءم ومفُردِ
جواهرٌ اكنّها الْ أصداف من زبرجد

التين : قال ابن المعتز :

أَنعِمْ بتين طاب طعما ، وا كتسى حسناً ، وقارب منظراً من مَخبر

(١) الطلاوة مثلثه الطاء : الحسن والبهجة . (٢) السدرة : شجرة النبق .

في بَرد ثلج ، في نقا تِبْر ، وفي ريح العبير ، وطيب طعم السكر [١]
يحكى إذا ما صُفّ في أطباقه خِيما ، ضُربن من الحرير الأحمر

الفستق

والقلب ما بين قشريه يلوح لنا كألسُنِ الطير من بين المناقير
زبرجدة خضراء وسط حريرة بحُقة عاج في غِلاف أديم [٢]
زَبرجَدة ملفوفة في حريرة ، مضمّنة دُرًّا مُغشّى بياقوت

النارنج : قال ابن المعتز :

وكأنما النارنج في أغصانه من خالص الذهب الذى لم يُخلَط [٣]
كرة رماها الصّولجان إلى الهوا فتعلّقت في جوّه لم تسقط
وأشجار نارَنج كأن ثمارها حقاق عقيق قد مُلئن من الدر

وقال آخر :

انظر إلى منظر تلهيك بهجته بمثله في البرايا يُضرَب المثلُ
نار تلوح على الأغصان في شجر لا النارُ تطفا، ولا الأغصان تشتعل

وقال أبو الحسن الصقلى :

إذا ميّلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهبًا في صولجان زبرجد

الليمون : قال ابن المعتز :

يا حبذا ليمونةٌ تُحدثُ للنفس الطّربْ
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

(١) العبير اخلاط من الطيب . ونقا : مقصور نقاء .(٢) الاديم : الجلد او احمره ، وهو المراد هنا . (٣) النارنج نوعان : احدهما حامض معروف ، والآخر حلو وهو « البرتقالى » .

القلم — قال « ابن المعتز » : القلم مُجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل استزادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائراً ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يُقبّل بساط سلطان ، أو يفتح نوّار [١] بستان

وقال « علي بن عُبيد » أصمّ يسمع النّجوَى [٢] ، أعيا من باقل ، وأبلغ من سَحبان وائل ، يجهل الشاهد ، ويُخبر الغائب ، ويجعل الكتب بين الإخوان ألسناً ناطقة ، وأعيناً لاحظة ، وربما ضَمّنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة

ومن كلام « أبي حَفص بن بُرد الأندلسى » : ما أعجب شأن القلم يشرب ظلمة ، ويلفظ نوراً ! قد يكون قلم الكاتب أمضى من شَباة [٣] المحاربِ ، القلم سهم ينفذ المقاتل ، وشَفْرَة [٤] تطبح بها المفاصل

وقال « محمود بن أحمد الأصبهانى » :

أخرسُ يُنبيك بإطراقه عن كل ما شئت من الأمر [٥]
يُذرى على قرطاسه دمعةً يُبدى بها السرَّ وما يدرى [٦]
كعاشق أخفى هواه وقد نمّت عليه عَبرةٌ تجرى
تبصره فى كل أحواله عُريانَ يكسو الناس أو يُعرِى
يُرى أسيراً في دواة وقد أطلق أقواماً من الأسر
أخرقُ ، لو لم تبرهِ لم يكن يرشق أقواماً وما يَبرى [٧]
كالبحر إذ يجرى ، وكالليل إذ يَغشى ، وكالصارمِ إذ يفرى

(١) الزهر او الابيض منه (٢) السر (٣) الشباة حد كل شيء (٤) سكين (٥) اطرق ارخى عينيه ينظر الى الارض (٦) يذرى يصب (٧) اخرق احمق ؛ ويبرى يقطع ؛ وكذا يفرى

وقال « أحمد بن عبد ربه » :

يخاطب الغائبَ البعيدَ بما ... يخاطب الشاهدَ الذى حضرا
شَخْتٌ ضئيلٌ ، لفعله خطر ، ... أعظِمْ به فى مُلمِّة خطرا (١)
تمج فَكّاهُ رِيقةً صغُرتْ ... وَخطبها فى القلوب قد كَبِرَا
يُواقع النفسَ منه ما حذِرتْ ... وربما جنبتْ به الحذَرا
مُهفهَفٌ تزدهى به صُحفٌ ... كأنما حُلِّيَتْ به دُرَرا

و « لابن المعتز » فى قلم الوزير « القاسم بن عبيد الله » :

قلمٌ ما أراه ، أم فَلَكٌ يجـ ... ـرى بما شاء « قاسم » ويسير ؟
خاشع فى يديه يَلثَم قرطا ... سا كما قبَّل البساط شكور
ولطيف المعنى ، جليل ، نحيف ، ... وكبير الأفعال وهو صغير !
كم منايا ، وكم عطايا ، وكم حتـ ... ـف وعيش تضم تلك السطور
نَقشت بالدُّجا نهاراً ، فما أد ... رى أخط فيهن أم تصوير !

وقال « أبو تمام » فى قلم « محمد بن عبد الملك الزيات »

لك القلم الأعلى الذى بشَبَاتِهِ ... تُصابُ من الأمر الكُلى والمفاصِل
لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لعابُه ... وأرْىُ الجنى اشتارته أيدٍ عَواسِل (٢)
له رِيقةٌ طَلٌّ ، ولكنَّ وقعها ... بآثاره فى الشرق والغرب وابل (٣)
فصيح إذا استنطقته وهو راكب ، ... وأعجم إن خاطبته وهو راجل ! (٤)
إذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغت ... عليه شِعابُ الفكر وهى حَوافل (٥)

---

(١) شخت . ضامر دقيق ؛ وكذا مهفهف .(٢) الارى العسل : اشتاره اجتناه : العوامل جمع عاملة اى تشتار العسل وتجمعه ٣) الطل اخف المطر : الوابل المطر الشديد الضخم القطر (٤) اعجم . لا يبين كلامه : راجل واقف (٥) الشعاب جمع شعبة : و هي ما عظم من سواقي

أطاعته أطراف القنـا ، وتقوَّضَت لنَجواه تقويضَ الخِيـام الجحافلُ
إذا استغزر الذهنَ الجليَّ وأقبلت أعاليه في القرطاس وهى أسافل (١)
رأيتَ جليلاً شأنُهُ « وهو مُرهَف ضنا» وسميناً خطبُه «وهوناحل» (٢)

وقال « ابن الرومى » :

إن يخدُم القلمَ السيفُ الذى خضعت له الرقاب ، ودانت خوفَه الأُممُ
فالموت — والموت لا شئ يغالبه — ما زال يتبعُ ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للأقلام مـذ بُرِيت أن السـيوف لها مـذ أُرهِفَتْ خَدَم

وقال « المتنبى » :

نحيف الشوَى يعـدو على أمّ رأسـه ويَحفَى فيقوَى عَدْوُه حين يقطعُ (٣)
يمجّ ظـلاماً فى نهارٍ لسـانُه ويُفهم عمن قال ما ليس يسمعُ

وقال « ابن نباته السعدى » :

يَرنو إلى الأفكار غيرَ مُلاحظ ويخاطب القرطاسَ غيرَ محابي
ويعلّم الآدابَ أفهـام الورى وفؤادُه صِفر من الآداب

وقال « مهيار الديلمى » فى وصف الدَّواة والأقلام :

وأمّ بنينَ استبطنَتهم ، فصدرُها غَصيصٌ بهم عند الحِضان كَظيم
يعقّونها بالضّـغط ، وهى عليهم عَطوفٌ بدرّات الرضـاع رَءوم (٤)
يخالُ الأفاعي الرُّقْشَ ما ضَم منهمُ حشاها ، وهم فيهـا أخ وحميم (٥)
فمن ذى لسان مفصح وهو أخرس، ومن بائح بالسرّ وهو كتوم

الاودية والسيـل فى الرمل حوافل : ملأى . (١) استغرزه طلب ما فيـه من مادة غزيرة . (٢) مرهف دقيق مرقق . ضنى مرض مرضاً ملازماً حتى اشرف على الموت . (٣) الشوى الاطراف وجلدة الرأس . (٤) الدرة اللبن . رءوم عطوف (٥) الرقش جمع رقشاء وهى الحية

وقال « أبو الفتح البستى » :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم … وعدّوه مما يكسب المجد والكرمْ
كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة … مدى الدهر أن الله أقسم بالقلمْ !

وقال أعرابى من بنى الحرث بن كعب — يصف الشمس:

مُخبَّأة : أما إذا الليل جنَّها … فتخفى ، وأما بالنهار فتظهرُ (١)
إذا انشقّ عنها ساطع الفجر ، وانجلى … دُجا الليل، وانجاب الحجاب المستَّرُ ، (٢)
وألبس عرض الأرض لوناً كأنه … على الأُفق الشّرقى ثوبٌ معُصفر
تجلّت ، وفيها حين يبدو شعاعها … ولم يجلُ للعين البصيرة مَنظَر
بلونٍ ، كدِرع الزعفران يشوبُهُ … شُعاع تلألأ ، فهو أبيض أصفر
إلى أن علت وأبيضَّ منها اصفرارها … وجالت كما جال المَهيج المسهَّر (٣)
وجلّلت الآفاق ضوءاً يُنيرها … فخرَّ لها صدر الضحا يتسعّر
ترى الظلَّ يُطوى حين تعلو، وتارة … تراه إذا مالت إلى الأرض يُنشر
وتَدنَفُ حتى ما يكاد شعاعها … يَبين إذا غابت لمن يتبصّر (٤)
كما بدأت إذ أشرقت، فى مَغيبها … تعود ، كما عاد الكبير المعمَّر
فأفنت قروناً، وهى فى ذاك لم تزل … تموت وتحيا كل يوم وتُنشر (٥)

وقال الطغرائى يصف طلوع الشمس وغروب البدر :

وكأنما الشمس المنيرة إذ بَدَت … والبدر يجنح للغروب وما غرَب
متحار بان : لِذَا مِجَنٌّ صاغهُ … من فضة، ولذا مِجَنٌّ من ذهب

المنقطة بسواد وبياض والجيم القريب (١) جنها . سترها . (٢) انجاب انكشف (٣) المهيج للفزع (٤) دنفت الشمس دنت للغروب واصفرت (٥) تحيا

وقال ابن خفاجه الأندلسي يصف غروبها في نهر :

وقـد ولّت الشمس مُحْتَثَّةً إلى الغرب ترنو بطرف كحيل [١]

كأن سَـناها على نهره بقايا نَجيع بسيف صقيل [٢]

وقال ابن طاهر الكرخي :

أما ترى الأفق كيف قد ضرب الـ ـغَيْمُ عليـه من مُزنه قُبَبا

وحاجبُ الشمس من رَفَارِفها يُضرم فيهـا بنوره لهبا [٣]

كأنه فضـة مُطرَّقـة أطرافها قد تَطوَّسَت ذهبا [٤]

وقال ابن مكي :

كأن الشمس إذ غربت غريق هوى فى البحر، أو وافى مغاصا

فأتبعها الهـلال على غروب بزورقه ، يريد لهـا خلاصا

وقال عبد العزيز القرطبي :

إنى أرى شمس الأصيل عايلةً ترتاد من نحو المغارب مغربا

مالت لتحجب شخصها فكأنها مدّت على الدنيا بساطًا مذهبا

وقال ابن الرومي :

وقد طفلت شمس الأصيل ونفّضَت على الجانب الغربى وَرْسًا مُذَعذَعا [٥]

ولاحظت النوّار وهى مريضـة وقدوضعت خداً على الارض أضرعا [٦]

كما لحظت عُوَّادَه عـينُ مُدنف توجّع من أوصابه ما توجعا [٧]

---

(١) محتثة مسرعة . ترنو تديم النظر . (٢) سناها ضوءها والنجيع دم يضرب الى السواد (٣) رفارفها اطرافها وجوانبها (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة . وتطوست . تزينت (٥) طفلت الشمس احمرت عنـد الغروب ونفضت نثرت . والورس نبات اصفر والمذعذع المبدد المفرق (٦) ذليلا (٧) الاوصاب والامراض

وقال ابن أفلح من قصيدة :

والشمس خافضة الجناح مُسِفّةٌ ... في الغرب تنساب انسياب الأرقط (١)
أو كالعروس بدت فأُسدل دونها ... جنَبَاتُ سِتر كالجساد مُخطّط (٢)
وأتى الظلام على الضياء كما أتى ... أجلٌ على أمل ، فلم يتأبط

وقال معروف الرصافى :

نزلتْ تجرّ إلى الغروب ذيولا ... صفراء تُشبه عاشقاً متبولا (٣)
تهتزّ بين يدِ المغيب ، كأنها ... صَبٌّ تململ فى الفراش عليلا
ضحكتْ مشارِقها بوجهك بُكرة ... وبكت مغاربها الدماء أصيلا
وغدَت بأقصى الأفق مثلَ عرارة ... عطِشت فأبدت صُفرة وذبولا (٤)
غربت فأبقَت كالشُّواظ عقيبها ... شفقاً بحاشية السماء طويلا (٥)
شفق يرُوع القلب شاحبُ لونه ... كالسيف ضُمّخ بالدما مسلولا
رقّت أعاليه وأسفله الذى ... فى الأفق أشبع عُصفُرًا محلولا

قال ابن المعتز يصف الهلال :

انُظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر
وكأن الهلال نصف سوار ... والثريا كفٌّ تشير إليه
فخ بوَسط السماء مُلقى ... ينتظر الصَّيد للنجوم
انُظر إلى حسن هلال بدا ... يهتِك من أنواره الحِندِسا (٦)
كمِنجلَ قد صِيغ من فضة ... يحصد من زهر الدُّجا نرجِسا

(١) مسفة من أسف الطائر اذا دنا من الأرض فى طيرانه. وحية رقطاء من الرقطة وهى سواد يشوبه نقط بياض او عكسه (٢) الجساد الزعفران (٣) ذاهب العقل (٤) للعرار نبت طيب الريح (٥) الشواظ اللهب لا دخان فيه (٦) يهتك يمزق ومن هنا بمعنى الباء والحندس : الظلمة

يتلو الثريا كفاغر شَرِهٍ يفتح فاه لا كل عنقود (١)

فى ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدّى مثل وَقف العاج (٢)

وقال شاعر :

قلت لما هوت لمغربها الشمـ ـسُ ولاح الهلال للنُّظّار

أقرض الشرقُ ضده الغرب دينا راً فأعطاه الرهنَ نصف سُوار

وقال ابن طباطبا :

وكأنّ الهلال لما تبدّى شَطر طَوق المرآة ذى التّذهيب

أو كقوس قد أحنيت أو كنؤيٍ أو كنون فى مُهْرَق مكتوب (٣)

وقال أبو عاصم البصرى فى الهلال والثريا والزهرة :

رأيت الهلال وقد حلّقتْ نجومُ الثريا لكى تلحقه

فشبّهته وهو فى إثرها وبينهما الزُّهرة المشرقه

بقوسٍ لرامٍ : رَمَى طائراً فأرسل فى إثْره بندقه

وقال في اقتران الثريا بالهلال :

فإذا ما تقارنا قلت طوق من لُجين قد علُقت فيه دُرَّه

وقال ابراهيم بن خفاجة في ذلك أيضاً :

وابن الغزالة فوق النجم منعطف كما تأوّد عُرجون بعُنقود (٤)

وقال الطغرائى :

فكأنه وكأنها في جنبه عُنقودة فى زورق من عَسْجَد

(١) فاغر : فاتح (٢) المحاق: مثلثة الميم آخر الشهر ؛ والوقف سوار من عاج (٣) النؤى الحفير حول الخيمة يمنع السيل . المهرق : الصحيفة « معرب »

وقال أبو الفضل الميكالى :

كأكرة من فضة مجلوّة أوفى عليها صولجان من ذهب

وقال شاعر :

وكأنّ الهلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إكليل (١)

كأنما النجمُ قُرط صِيغ من وَرِق معلّقٌ من هلال الأفق فى أذن (٢).

وقال شرف الدين الحسين :

كأنّ الهلال نزيلَ السماء وقد قارن الزُّهرة النيّره

سوارٌ لحسناء من عسجد على قفله وضعت جوهرَه

وقال البدر البشتكي في الهلال والنجوم حوله :

ذُبالة شمع عوّج الريحُ ضوءها فطار لها بالقُرب بعضُ شرار (٣)

وقال علي بن محمد الكاتب :

بدا مستدِقّ الجانبين كأنه على الأفق الغربى مِخلبُ طائر

ولاح لمَسرَى ليلتين كأنما تفرّق منه الغيمُ عن إثر حافر

وشمّرَ عنه الغيمُ ذيلاً كأنما تكشّف منه عن جناحِ محلّق (٤)

قال:والبدر كالملك الأعلى وأنجمُه جنودُه ، ومبانى قصره الفَلَك

وقال ابن المعتز :

وكأن البدر لما لاح من تحت الثريّا

ملك أقبل فى التّا ج يُفدّى ويحيّا

وقال فى البدر مع المشمس :

حتى رأيت الشمس تتـ لو البدر فى أفق السما

(١) التاج (٢) الورق. الفضة (٣). الذباله الفتيلة (٤)حلق الطائر ارتفع في طيرانه واستدار

فكأنها وكأنه قد حان من خمر وما

والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

وقال السلامى

والبدر فى أفق السما ء كروضة فيها غدير

وقال الشريف العقيلى

والبدر فى كبد السماء كوردة بيضاء تضحك في رياض بنفسَجِ

وقد برز البدر المنير ووجهه كجام لجُين فيه آثار عنبر[1]

سوادك من حيثُ تمسى هلا لاً إلى حيث تكمل بدراً منيراً

نِقاب التُركيةِ أسودُ تُنزِل منه يسيراً يسيراً

وقال سهل بن المرزبان

شبَّهت بدر سمائها لما دنت منه الثُّريا فى قميصٍ سُندسى

ملكاً مَهيباً قاعداً فى روضة حيَّاه بعض الزائرين بنرجس

وقال الوأواء الدمشقى يصف البدر طالعاً من خلال السحاب

والبدر أول ما بدا متلثما يُبدى الضياء لنا بخد مُسْفِر [2]

فكأنما هو خوذة من فضة قد رُكبت فى هامة من عنبر [3]

وقال احمد شوقى بك يصف أبا الهول ويناجيه

أبا الهولِ طال عليك العُصُرْ وبُلّغتَ فى الأرض أقصى العُمُرْ

فيالِدةَ الدّهر لا الدهر شبْ بَ ولا أنت جاوزت حدّ الصغر

(١) الجام اناء من فضة (٢) مضىء مشرق (٣) الخوذة المغفر « زرد ينسج على قدر الرأس » والهامة الرأس .

إلامَ ركوبك متن الرما ... ل لطيّ الأصيل وجوْب السَّحر

تسافر مُنتقلاً في القرو ... ن فأيانَ تُلقى غُبارَ السّفر

أبينك عهدٌ وبين الجبا ... ل تزُولان فى الموْعِد المنتظر

أبا الهول ماذا وراء البقا ... ء اذا ما تطاولَ — غيرُ الضّجر

عجبتُ لِلقمانَ فى حرصه ... على لبد والنُّسور الأُخَر

وشكوى لبيد لطول الحيَا ... ة ولو لم تطل لتشكّى القِصَر

ولو وُجدتْ فيك يا بن الصّفا ... ةِ لحقتَ بصانعك المُقتدر

فان الحياة تفلّ الحديـ ... ـدَ إذا لَبسته وتبلى الحَجر

أبا الهول ما أنت في المُعضلا ... ت لقد ضلت السُّبل فيك الفِكر

تحيّرتِ البَدْوُ ماذا تكو ... نُ وضلّت بوادى الظّنون الحَضَر

فكنت لهم صُورة العنفوا ... نِ وكنت مِثال الحجَى والبَصر

وسِرُّك فى حَجبه كلّما ... أطلّت عليه الظّنون استتر

وما راعهم غيرُ رأس الرّجا ... ل على هَيكلٍ من ذواتِ الظّفر

ولو صوّروا من نواحى الطّبا ... ع توالَوْا عليك سباع الصُّوَر

فيا رُبّ وجهٍ كصافى النّمي ... ر تَشَابهَ حامِلُه والنّمر

أبا الهـول وَيحك لا يُستقا ... لُ مع الدّهر شىءٌ ولا يُحتقر

تهزّأت دهراً بديك الصّبا ... حِ فنقّرَ عينيك فيما نقَر

أسال البياضَ وسلّ السوا ... دَ وأوغَلَ مِنقارُه في الحُفَر

فعُدتَ كأنك ذو المحبسَيْـ ... ـنِ قطيعَ القيام سليبَ البصر

كأنّ الرّمال على جانبيْـ ... ـك وبين يديك ذُنوبُ البشر

كأنك فيها لواء القضا ء على الأرض أو ديدبان القدر

كأنك صاحب رمل يرى خبايا الغيوب خلال السطر

أبا الهول أنتَ نديمُ الزما ن نجيّ الأوان سميرُ العصر

بسطت ذراعيك من آدم ووليتَ وجهك شطر الزمر

تُطِلُّ على عالَم يستهلُ وتوفي على عالَم يحتضر

فعينٌ الى مَن بدا للوجو د وأخرى مشيّعة من غبر

فحدّث فقد يُهتدى بالحديث وخبّر فقدْ يؤتسى بالخبر

ألم تبلُ فرعون في عزّه الى الشمس معتزياً والقمر

ظليل الحضارة في الأوّلين رفيع البناء جليلُ الأثر

يؤسّس في الأرض للغابرينَ ويغرسُ للآخرين الثمر

وراعك ما راعَ من خيل قمبيز ترمى سنابكُها بالشرر

جوارف بالنار تغزو البلادَ وآونةً بالقنا المشتجر

وأبصرتَ اسكندراً في الملا قشيب العُلا في الشباب النضر

تبلّجَ في مصرَ إكليله فلم يعد في الملك عمر الزهر

وشاهدتَ قيصرَ كيف استبدّ وكيف أذلّ بمصرَ القصر

وكيف تجبر أعوانه وساقوا الخلائقَ سوق الحُمُر

وكيف ابتلوا بقليل العديد من الفاتحين كريم النفر

رمى تاجَ قيصر رَميَ الزجاج وفلّ الجموعَ وثَلّ السّرر

فدع كلّ طاغية للزمان فان الزمان يُقيمُ الصعر

رأيت الديانات في نظمها وحين وهى سلكها وانتثر

تُشَادُ البيوت لها كالبرُو ج اذا أخذ الطّرف فيها انحسر
تلاقى أساساً وشمّ الجبا ل كما تَتلاقَى أصولُ الشَّجر
(وإيزيس) خلف مقاصيرها تخطّى الملوك اليها السّتر
تضيء على صفَحات السّما ءِ وتشرُقُ في الأرض منها الحُجَر
وآبيس في نيره العالَمو ن وبعض العقائد نير عسر
تُساس به مُعضلات الأمو ر ويُرجَى النّعيم وتُخشى سقَر
ولا يشعرُ القوم إلا به ولو أخذته المدَى ما شعر
يقلّ أبو المسك عبداً له وإن صاغ أحمدُ فيه الدُّرر
وآنست (موسى) وتابوته ونورُ العصا والوصايَا الغُرر
وعيسى يلمّ رداء الحيا ءِ ومريم تجمعُ ذيلَ الخفر
وعمرو يسوق بمصر الصّحا ب ويزجي الكتاب ويحدو السو
فكيف رأيت الهدى والضّلا ل ودُنيا الملوك وأخرى عُمر
ونبذ المقوقس عهد الفجو ر وأخذ المقوقسُ عهد الفجر
وتبديله ظلمات الضّلا ل بصُبح الهداية لمّا سفَر
وتأليفه القبط والمسلمي ن كما أُلّفت بالوَلاء الأُسر
أبا الهول لو لَم تكن آية لكان وَفاؤك إحدَى العِبر
أطلتَ على الهرمين الوُقو ف كثْاً كالةٍ لا تريمُ الحفر
تُرجّي لبانيهما عودةً وكيف يعودُ الرّميم النَّخر
تجوسُ بعين خِلال الدّيا ر وترمي بأُخرى فضاء النهر
تروم (بمنفيس) بيض الظُّبى وسُمر القَنا والخميس الدَّثِر

ومَهد العلوم الخطير الجَلا ل وعهد الفنون الجليل الخطر
فلا تستبينُ سوى قرية أجَدَّ محاسنها ما اندثر
تكاد لاغراقها فى الجو دِ اذا الأرضُ دارت بها لم تدر
فهل من يُبلّغ عنا الأصو ل بأن الفروع اقتدتْ بالسير
وأنّا خطبنا حسان العلى وسقنا لها الغالى المُدّخر
وأنّا ركبنا غمارَ الأمو رِ وأنّا نزلنا الى المُؤتمر
بكل مبين شديد اللدا دِ وكلّ أريب بعيد النظر
نطالبُ بالحقّ فى أمة جرى دمها دونه وانتشر
ولم تفتخر بأساطيلها ولكن بدستورها تفتخر
فلم يبق غيرك من لم يخفْ ولم يبق غيرك من لم يطر
تحرّكْ أبا الهول هذا الزما نُ تحرّكَ ما فيه حتى الحجر

﴿ وقال أيضاً يصف مصر قديمها وحديثها ﴾

قِفى يا أختَ (يُوشعَ) خبّرينا أحاديثَ القرون الغابرينا (١)
وقُصّى من مصارعهم علينا ومن دُولاتهم ما تعلمينَ
فمثلك من روى الأخبار طرّا ومن نسب القبائل أجمعينا (٢)
نرى لك فى السماء خضيبَ قرن ولا نُحصى على الأرض الطّعينا
مشيتِ على الشباب شواظ نار ودُرت على المشيب رحًى طحونا
تُعينين الموالدَ والمنايا وتَبنين الحياة وتهدمينا
فيالك هرّةً أكلت بنيها وما ولدوا وتنتظرُ الجنينا

(١) الخطاب للشمس وقصة وقوفها للنبي صلى الله عليه وسلم معروفة (٢) نسب القبائل ذكر انسابهم

أأمّ المالكين بنى (أمونٍ) ليهنك أنهم نزعوا (أمونا) [1]
ولدتِ له (المآمين) الدواهى ولم تلدِى له قطّ (الأمينا) [2]
فكانوا الشهبَ حين الأرض ليلٌ وحين الناس جدّ مضلّلينا
مشتْ بمنارهم فى الأرض (روما) ومن أنوارهم قبست (أثينا)
ملوك الدّهر بالوادى أقاموا على (وادى الملوك) محجّبينا
فربّ مصفّد منهم وكانت تساق له الملوك مصفّدينا
تقيّد فى التراب بغير قيدٍ وحلّ على جوانبه رهينا
تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقينا
غدوا يبنون ما يبقي وراحوا وراء الآبدات مخلّدينا
اذا عمدوا لمأثرةٍ أعدّوا لها الاتقانَ والخلُق المتينا
وليس الخلد مرتبةً تلقّى وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى همم كبارٍ اذا ذهبتْ مصادرها بقينا
وسرّ العبقريّة حينَ يسرى فينتظم الصنائعَ والفنونَا
وآثار الرّجال اذا تناهت الى التاريخ خير الحاكمينا
وأخذك من فم الدنيا ثناءً وتركك فى مسامعها طنينا

***

فغالى فى بنيك الصيد غالي فقد حبّ الغلوّ الى بنينا
فشيبٌ قنّعٌ لا خيرَ فيهم وبورك في الشباب الطامحينا
فناجيهم بعرش كان صنواً لعرشك فى شبيبته سنينا [3]

(١) نزع اباه اشبهه (٢) اشارة للخليفتين الأمين والمأمون (٣) سنينك الذي من سنك

وكان العزُّ حِليتَه وكانت قوائمه الكتائبَ والسفينا

وتاج من فرائده (ابن سِيتى) ومن خرزاته (خُوفُو) (ومينا)[1]

علا خَدًّا به صَعَرٌ وأنفاً تَرفّع في الحوادث أن يَدينا

ولستُ بقائل ظلموا وجارُوا على الأجراء أو جلدوا القَطينا[2]

فانَّا لم نوقَّ النقصَ حتى نطالبُ بالكمال الأولينا

وما (البَستيلُ) الاّ بنتُ أمسٍ وكم أكل الحديدُ بها سَجينا[3]

ورُبّة بَيعةٍ عزّت وطالت بناها الناس أمس مسخّرينا[4]

مُشيَّدةٍ لشافي العُمي (عيسى) وكم سَمل القُسوس بها عُيونا

***

أخا (اللُّوردات) مثلك من تحلَّى بحلية آله المتُطوّلينا[5]

لك الأصل الذى نبتت عليه فُروع المجد من (كرنارافونا)

ومالُك لا يعدّ وكلّ مال سَيفنَى أو سَيفني المالكينا

وجدتَ مَذاق كلّ تليدِ مجد فكيف وجدت مجدَ الكاسبينا

نشرتَ صفائحاً لجزتك (مصرٌ) صحائف سُؤدد لا ينطوينا[6]

فان تكُ قد فتحتَ لها كنُوزاً لقد فتحتْ لك الفتح المبينا

فلا (قارون) فوق الأرض إلاّ تمنّى لو رضيتَ به قرينَا

سبيلُ الخُلد كان عليكَ سهلا وعادتُهُ يكدُّ السّالكينا

رأيت تنكُّرا وسمعتَ عتباً فعُذرًا للغِضاب المُحنقينا

---

(١) ابن سيتى رمسيس (٢) القطين الحديد (٣) البستيل سجن في باريس لم تحمل الارض اشد منه هدمته الحرية سنة ١٧٨٩ (٤) البيعة الكنيسة (٥) المخاطب اللورد كارنارفون مكتشف الكنوز (٦) الصفائح حجارة القبور

أبوّتنا وأعظمهم تراثٌ نحاذر أن يؤول لآخرينا
ونأبى أن يحلّ عليه ضيم ويذهب نهبةً للناهبينا
سكتّ لخام حولك كلّ ظنّ ولو سرّحت لم تثر الظنونا
يقول الناس فى سرّ وجهر وما لك حيلةٌ فى المرجفينا
أمن سرق الخليفة وهو حيّ يعفّ عن الملوك مكفّنينا

***

خليليّ اهبطا الوادى وميلاً الى غرف الشموس الغاربينا
وسيرا فى محاجرهم رويداً وطوفا بالمضاجع خاشعينا
وخصّا بالعمار وبالتحايا رفات المجد من (توتنخمينا)[1]
وقبرا كاد من حسن وطيب يضيء حجارة ويضوع طينا
يخال لروعة التاريخ قدّت جنادله العلى من (طور سينا)
وكان نزيله بالملك يدعى فصار يلقب الكنز الثمينا
فثم جلالةٌ قرّت ودامت على مرّ القرون الأربعين
جلال الملك أيام وتمضى ولا يمضى جلال الخالدين
يجوب البرق باسمك كلّ سهل ويخترق البخار به الحزونا
وأقسم كنت فى (لوزان) شغلاً وكنت عجيبة المتفاوضينا
أتعلم أنهم صلفوا وتاهوا وصدّوا الباب عنا موصدينا
ولو كنا نجرّ هناك سيفاً وجدنا عندهم عطفاً ولينا
سيقضي (كرزنٌ) بالأمر عنا وحاجات (الكنانة) ما قضينا

---

(١) العمار الريحان

تعالى اليوم خبّرنا أكانت ... نَواكِ سِنات نَوم أم سنينا
وماذا جُبتَ من ظُلمات ليل ... بعيدَ الصّبح يُنضي المُدلجينا
وهل تبقى النفوس إذا أقامت ... هيا كلها وتبلى ان بلينا
وما تلك القِباب وأين كانت ... وكَيف أضلّ حافرُها القرونا
ممرّدة البناء تخال برجاً ... ببطن الأرض محطوطاً دفينا
تَغطّى بالأثاث فكان قصراً ... وبالصّور العِتاق فكان زُونا (١)
احملت العرش فيه فهل ترجّى ... وتأملُ دولة فى الغابرينا
وهل تلقى المهيمن فوق عرش ... ويلقاه الملا مُترجّلينا
وما بَال الطعام يكاد يقدى ... كما تركتهُ أيدى الصّانعينا (٢)
ولم تك أمس تصبرُ عنهُ يوماً ... فكيف صبرت أحقاباً مئينا
لقد كان الذى حذَر الأوالي ... وخاف بنو زمانك أن يكونا
يحبُّ المرء نبشَ أخيه حيًّا ... وينبشه ولو فى الهالكينا
سُلات من الحفائر قبل يوم ... يسلّ من التّراب الهامدينا
فان تُك عند بعث فيه شكّ ... فان وراءه البعثَ اليقينا
ولو لم يعصموك لكان خيراً ... كفى بالموت مُعتصماً حصينا
يضرّ أخو الحياة وليس شىء ... بضائره اذا صحب المنونا

***

زمان الفرد يا (فرعون) ولّى ... ودالت دولة المُتجبّرينا
وأصبحت الرّعاة بكل أرض ... على حكم الرّعية نازلينا

(١) رامت اقامت (٢) اليمين المبارك (٣) الناظم لا يدين بالصلب ولكنه نظر في هذا التشبيه الى العقيدة المسيحية (٤) الزون معرض الاصنام (٥) الطعام يقدى طابت رائحته

﴿ وقال أيضاً يصف مملكة النحل من قصيدة ﴾

مَملكةٌ مُدبّره بامرأة مؤمَّره
تحملُ فى العُمّال والصـ ـنّاعِ عبءَ السّيطره
فاعجبْ لعُمّال يوَلّو ن عليهم قيصَره
تحكُمهم راهبةٌ ذكّارة مُعْبّره
عاقدةٌ زُنّارها عن ساقها مشمّره
تلثّمت بالأرجوا ن وارتدهُ مِئزره
وارتفعت كأنّها شرارةٌ مُطيّره
ووقعت لم تختلج كأنها مسمّره
مخلوقةٌ ضعيفة من خُلُق مُصوَّره
يا ما أقلَّ مُلكها وما أجلَّ خَطره
قِف سائلِ النحل به بأىّ عقل دَبره
يجبك بالأخلاق وهْ ىَ كالعقول جوهره
تغنِى قُوى الأخلاق ما تغنِى القُوَى المفكّره
ويرفعُ الله بها مَنْ شاء حتى الحشَره
أليس فى مملكة النْ نحل لقومٍ تبصره
مُلك بناه أهلهُ بهمّة ومَجدره
تقتلُ أو تنفى الكسا لى فيه غير مُنذره
تحكم فيه قيصَره فى قومها مُوقره
من الرجال وقيو د حُكمهم مُحرَّره

الملك للأناث في الدْ ... دَستُور لا لِلذّكره

أُنَى ولكن فى جنا ... حَيْهَا لباةٌ مُخْدره

ذائدة عن حوضها ... طاردة مَن كدّره

ما الملك الا فى ذرَا ... الألوية المُنشّره

إن الأمورَ هِمّة ... لَيس الأمورُ ثرثره

مالكةٌ عاملةٌ ... مُصلِحة مُعمّره

وتذهب النحل خِفا ... فًا وتجىء موُقرَهْ

حَوالب الشّمع من اا ... لخمائل المنوّرَه

جوالب المَاذىّ مِن ... زهر الرّياض النيّره

مشدودة جيوبُها ... على الجَني مزرّره

وكل خُرطوم أدَا ... ةُ العسل المقطرَهْ

وكل أنف قانئ ... فيه مِنَ الشهد بُرَه

حتى اذا جاءت به ... جاست خلال الأدُوره

وغيّبتهُ كالسُّلا ... ف فى الدّنان المحضره

فهل رأيت النّحل عن ... أمانة مُقصّره

ما اقترضت من بقلةٍ ... أو استعارت زهرَه

أدّت الى الناس به ... سُكّرة بسُكّرة

﴿ وللشريف الرضى فى وصف السماء والارض والليل والبرق ﴾

سَمَائِي مذهّبَةٌ بالبرُوق ... وَأرضى مفَضّضَةٌ بالحَبَابِ

ورَوْضِي مطَارِفهُ غَضّـةٌ ... تطَرّزُ أطرَافها بالذّهَاب

وَلَيْلٌ تَرَى ٱلْفَجْرَ فِي عِطْفِهِ كَمَا شَابَ بَعْضُ جَنَاحِ الْغُرَابِ
يَغَارُ ٱلظَّلَامُ عَلَى شَمْسِهِ إِلَى انْ يُوَارِيهَا بِٱلْحِجَابِ
وَتَصْقُلُ أَنْجُمَهُ ٱلْعَاصِفَاتُ إِذَا صَدِئَتْ مِنْ عُمُودِ ٱلسَّحَابِ

﴿ وقال البُحترى يصف الغيث ﴾

ذَاتُ ٱرْتِجَازٍ (١) بِحَنِينِ ٱلرَّعْدِ مَجْرُورَةَ ٱلذَّيْلِ صَدُوقُ ٱلْوَعْدِ
مَسْفُوحَةَ ٱلدَّمْعِ لِغَيْرِ وَجْدِ لَهَا نَسِيمٌ كَنَسِيمِ ٱلْوَرْدِ
وَرَنَّةٌ مِثْلُ زَئِيرِ ٱلْأُسْدِ وَلَمْعُ بَرْقٍ كَسُيُوفِ ٱلْهِنْدِ
جَاءَتْ بِهَا رِيحُ ٱلصَّبَا مِنْ نَجْدِ فَٱنْتَثَرَتْ مِثْلَ ٱنْتِثَارِ الْعِقْدِ
فَرَاحَتِ ٱلْأَرْضُ بِعَيْشٍ رَغْدِ مِنْ وَشْيِ أَنْوَارِ ٱلرُّبَى فِي بُرْدِ
كَأَنَّمَا غُدْرَانُهَا فِي ٱلْوَهْدِ يَلْعَبْنَ مِنْ حَبَابِهَا بِٱلنَّرْدِ (٢)

﴿ ومن قصيدة لصفي الدين الحلّي يصف فيها الربيع ﴾

خَلَعَ ٱلرَّبِيعُ عَلَى غُصُونِ ٱلْبَانِ حُلَلاً فَوَاضِلُهَا عَلَى ٱلْكُثْبَانِ
وَنَمَتْ فُرُوعُ ٱلدَّوْحِ حَتَّى صَافَحَتْ كَفَلَ الْكَثِيبِ ذَوَائِبُ ٱلْأَغْصَانِ
وَتَتَوَّجَتْ هَامُ ٱلْغُصُونِ وَضَرَّجَتْ خَدَّ ٱلرِّيَاضِ شَقَائِقُ ٱلنُّعْمَانِ
وَتَنَوَّعَتْ بُسُطُ ٱلرِّيَاضِ فَزَهْرُهَا مُتَبَايِنُ ٱلْأَشْكَالِ وَٱلْأَلْوَانِ
مِنْ أَبْيَضٍ يَقَقٍ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ أَوْ أَزْرَقٍ صَافٍ وَأَحْمَرَ قَانِ
وَٱلظِّلُّ يَسْرِعُ فِي ٱلْخَمَائِلِ خَطْوَهُ وَٱلْغُصْنُ يَخْطِرُ خِطْرَةَ ٱلنَّشْوَانِ
وَكَأَنَّمَا ٱلْأَغْصَانُ سُوقُ رَوَاقِصٍ قَدْ قُيِّدَتْ بِسَلَاسِلِ ٱلرَّيْحَانِ
وَٱلشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ فُرُوعِهَا نَحْوَ ٱلْحَدَائِقِ نَظْرَةَ ٱلْغَيْرَانِ

(١) من ارتجز الرعد اذا دمدم (٢) النرد لعبة تعرف عند العامة بلعب « الطاولة »

وَٱلأَرْضُ تَعْجَبُ كَيْفَ تَضْحَكُ والحيا ... يَبْكِي بِدَمْعٍ دَائِمِ ٱلْهَمَلَانِ
حَتَّى إِذَا ٱفْتَرَّتْ مَبَاسِمُ زَهْرِهَا ... وَبَكَى ٱلسَّحَابُ بِمَدْمَعٍ هَتَّانِ
طَفَحَ ٱلسُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ ... مِنْ عُظْمِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي
فَٱصْرِفْ هُمُومَكَ بِٱلرَّبِيعِ وَفَصْلِهِ ... إِنَّ ٱلرَّبِيعَ هُوَ ٱلشَّبَابُ ٱلثَّانِي

﴿ وله من قصيدة في وصف واد ﴾

تَعَانَقَتِ ٱلأَغْصَانُ فِيهِ فَأَسْبَلَتْ ... عَلَى ٱلرَّوْضِ أَسْتَاراً مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلْخُضْرِ
إِذَا مَا حِبَالُ ٱلشَّمْسِ مِنْهَا تَخَلَّصَتْ ... إِلَى رَوْضِهِ أَلْقَتْ شِرَاكاً مِنَ ٱلتِّبْرِ

﴿ ومن قول ابى الفتح كشاجم في وصف الجمر يعلوه الرماد ﴾

كَأَنَّمَا ٱلْجَمْرُ وَٱلرَّمَادُ وَقَدْ ... كَادَ يُوَارِي مِنْ نَارِهِ ٱلنُّورَا
وَرْدٌ جَنِيُّ ٱلْقِطَافِ أَحْمَرُ قَدْ ... ذَرَّتْ عَلَيْهِ ٱلأَكُفُّ كَافُورَا

﴿ ومن قصيدة لابى الفرج عبد الواحد الببغا في وصف جيش ﴾

قَادَ ٱلْجِيَادَ إِلَى ٱلْجِيَادِ عَوَابِساً ... شُعْثاً (١) وَلَوْلَا بَأْسُهُ لَمْ تَنْقَدِ
فِي جَحْفَلٍ كَٱلسَّيْلِ أَوْ كَٱللَّيْلِ أَوْ ... كَٱلْقَطْرِ صَافَحَ مَوْجَ بَحْرٍ مُزْبِدِ
رَدَّ ٱلظَّلَامَ عَلَى ٱلضُّحَى فَٱسْتَرْجَعَ م ... ٱلإِظْلَامَ مِنْ لَيْلِ ٱلْعَجَاجِ ٱلأَرْبَدِ (١)
وَكَأَنَّمَا نَقَشَتْ حَوَافِرُ خَيْلِهِ ... لِلنَّاظِرِينَ أَهِلَّةً فِي جَلْمَدِ
وَكَأَنَّ طَرْفَ ٱلشَّمْسِ مَطْرُوفٌ وَقَدْ ... جُعِلَ ٱلْغُبَارُ لَهُ مَكَانَ ٱلإِثْمِدِ

﴿ ولابى فرج الغساني في وصف البدر ﴾

وَٱلْبَدْرُ أَوَّلَ مَا بَدَا مُتَلَثِّمَا ... يُبْدِي ٱلضِّيَاءَ لَنَا بِخَدٍّ مُسْفِرِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ خُوذَةٌ (٢) مِنْ فِضَّةٍ ... قَدْ رُكِّبَتْ فِي هَامَةٍ مِنْ عَنْبَرِ

---

(١) الاسود (٢) الخوذة المغفر وهو زرد ينسج من الدرع على قدر يلبس تحت القلنسوة

﴿ وله من قصيدة فى وصف روضة ﴾

مداهنُ يحملن طَلّ[1] النـدى ... فهاتيك تبرٌ وهذى عقيقْ
تنظّمُ أوراقها درّها ... وتنثرُ منها التي لا تطيقْ
يميـلُ النسيمُ بأغصانها ... فبعضٌ نشاوى وبعضٌ مُفيقْ
ويومٍ سِتارتُهُ غيمُهُ ... وقد طرّزت رفرفيها البروقْ
جعلنا البخور دخانًا له ... ومن شرر الراح فيـهِ حريقْ
تظلُّ بهِ الشمسُ محجوبةً ... كأن اصطباحكَ فيـهِ غبوقْ
على شجرات رافعات الذيول ... لماء الجداول منها شهيقْ

﴿ ومن قصيدة للحسن بن على بن وكيع فى وصف روض ﴾

أسفرَ عن بهجتهِ الرّوضُ الأغرّْ ... وابتسمَ الدّوحُ لنا عن الزهرْ
أبدى لنا فصلُ الرّبيعِ منظرًا ... بمثلِهِ تفتتنُ ألبابُ البشرْ
وَشيًا وَلكنْ حاكَهُ صانعهُ ... لا لابتذال اللّبس لكنْ للنّظرْ
عاينهُ طرفُ السماء فانثنى ... عِشقًا لهُ يبكي بأجفانِ المطرْ
فالأرضُ في زيّ عروسٍ فوقها ... من أدمعِ القطرِ نثارٌ من دررْ
وَشيٌ طوَاهُ فى الثّرَى صِوَانُهُ[2] ... حتى إذا ملّ من الطيّ انتشرْ

﴿ وله من قصيدة في وصف الربيع ﴾

أنظرْ إلى زهرِ الرّبيعِ وَما جلتْ ... فيـهِ عليكَ طرائفُ الأنوارِ
أبدتْ لنـا الأمطارُ فيـهِ بدائعًا ... شهدتْ بحكمـةِ مُنزلِ الأمطارِ
ما شئتَ للأزهـارِ في خزائنهِ ... مِنْ درهمٍ بهجٍ ومنْ دينارِ

(١) الطل المطر الضعيف (٢) الصوان الوعاء الذي يصان فيه الشيء

وجواهرٍ لولا تغيُّر حُسنِها جلّتْ عن الأثمانِ والاخطارِ (١)

﴿ وله ايضاً في وصفه ﴾

ألست ترى وشي الرَّبيعِ المُنمنما وما رصّع الرِّبعِيُّ (٢) فيـهِ ونظّما
فقدْ حكتِ الأرضُ السّماء بنورِها فلمْ أدرِ في التشبيـهِ أيُّهما السّما
فخضرتها كالجوّ في حُسْنِ لونِهِ وأنوارُهـا تحكي لعينيكَ أنجُمَ
فَمِنْ نَرْجِسٍ لَما رأى حُسْنَ نَقشِهِ تَدَاخَلَهُ عُجْبٌ بِهِ فَتَبَسَّمَا
وَأَبْدَى على الوردِ الجنيّ تطاوُلا فأظْهَرَ غيظ الوَرْدِ في خدّهِ دَمَا
وَزَهرِ شقيقٍ نازعَ الوَرْدَ فضلَهُ فَزَادَ عليهِ الوَرْدُ فَضلاً وقُدِّمَا
وَظلَّ لِفرْطِ الحزْنِ يلطِمُ خَدَّهُ فأَظْهَرَ فيهِ اللَّطْمُ جَمْراً مضرّما
وَمِن سَوْسنٍ لما رأى الصّبْغ كُلَّهُ على كُلِّ أنوارِ الرِّياض تقسّما
تجلبب منْ زُرْق اليواقيتِ حُلَّةً فأغرب(٣) في الملبُوس مِنهُ وأحكما
وأنوار منثورٍ تخالف شكلها فصار بها شكلُ الرَّبيعِ مُتمّما
جواهرُ لوْ قدْ طال فينا بقاؤها رأيت بها كلَّ الملوكِ مختّما

﴿ وللقاضي محمد بن النعمان في وصف الهلال ﴾

انظرْ إلى حُسْنِ ذا الهلالِ وقدْ بدا لِستّ مَضيْن مِنْ عُمُرِه
وقدْ أطافتْ بِهِ كَوَاكِبُهُ حُسْناً فبيّنتْهُ لمعتبره
مِثْلَ زِنادٍ (٤) قدْ صيغ مِنْ ذهبٍ يقْدحُ ناراً وهُنَّ مِنْ شررِهْ
ثمَّ تولّى يُرِيدُ مغربهُ في شفقِ (٥) الشّمْس وهْي في أثرِهْ

(١) جمع خطر وهو المثل والعديل في العلو (٢) الربعي نسبة الى الربيع والمراد به هنا المطر في الربيع (٣) اغرب اتى بشيء غريب (٤) الزناد جمع زند (٥) الشفق الحمرة في الافق من الغروب الى قريب من العتمة

فخلته غائصاً ببحر دمٍ يقذف بالزائمات من دُرره
فلم أزل ليلتي أراجعهُ لحظي وأبكي للوقت من قِصره
حتى تبدّى الصباحُ منتبهاً قبل انتباه المخمور من سكره

﴿ ومن قصيدة لسليمان بن حسان الصيبي في وصف شمعة ﴾

وَمَجْدُولَةٍ مِثْلُ صَدْرِ الْقَنَا ةِ تَعرَّتْ وَبَاطِنُهَا مُكْتَسِي
لَهَا مُقْلَةٌ هِيَ رُوحٌ لَهَا وَتَاجٌ عَلَى الرَّأْسِ كَالْبُرْنُسِ
إِذَا رَنقَتْ (١) لِنُعَاسٍ عَرَا وَقُطَّتْ مِنَ الرَّأْسِ لَمْ تَنْعَسِ
وَإِنْ غَازَلَتْهَا الصَّبَا حَرَّكَتْ لِسَانًا مِنَ الذَّهَبِ الأَمْلَسِ
وَتُنْتِجُ فِي وَقْتِ تَلْقِيحِهَا ضِيَاءً يُجَلِّي دُجَى الْحِنْدِسِ
فَنَحْنُ مِنَ النُّورِ فِي أَسْعُدٍ وَتِلْكَ مِنَ النَّارِ فِي أَنْحُسِ
تَوَقُّدُهَـــا نُزْهَةٌ لِلْعُيُو نِ وَرُؤْيَتُهَا مُنْيَةُ الأَنْفُسِ
تَكِيدُ الظَّلاَمَ كَمَا كَادَهَا فَتَفْنَى وَتُفْنِيهِ فِي مَجْلِسِ
فَيَا حَامِلَ الْعُودِ حُثَّ الْغِنَا وَيَا حَامِلَ الْكَأْسِ لاَ تَحْبِسِ
وَيَا صَالِحُ (٢) انْعَمْ وَعِشْ سَالِمًا عَلَى الدَّهْرِ فِي عِزِّكَ الأَقْعَسِ (٣)

﴿ ولأبي الحسن العقيلي في وصف الصبح والبرق ﴾

أَلصُّبْحُ يَنْشُرُ فَوْقَ مِسْـــكِ اللَّيْلِ كَافُورَ الضِّيَاءِ
وَالْبَرْقُ يُذْهِبُ مَا تُفَضِّـــضُهُ الْغُيُومُ مِنَ السَّمَاءِ
فَاشْرَبْ عَلَى دِيبَاجِ نَبْـــتٍ قَدْ أَحَاطَ بِشِرْبِ مَاءِ (٤)
فَالْعَيْشُ فِي زَمَنِ الرَّبِيـــعِ رَقِيقُ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ

(١) كدرت (٢) اسم الممدوح (٣) الثابت المنيع (٤) الشرب المورد

﴿ وله أيضاً فى وصف نارنجة ﴾

وَنارَنجة[1] بَيْنَ الرِّيَاضِ نَظَرْتُها عَلَى غُصُنٍ رَطْبٍ كَقَامَةِ أَغْيَدِ
إذا مَيَّلَتْهَا الرِّيحُ مالَتْ كأُكْرَةٍ بَدَتْ ذَهَبًا فى صَوْلَجَانِ زُمُرُّدِ

﴿ ولابن ابى عمرو الطرازى فى وصف نار ﴾

نارٌ جَرَتْ فِى غَابَةٍ تَرْمِى ٱلْعُلَى بِٱلشُّهُبِ
كأَنَّهَا جَيْشُ وَغًى فُرْسَانُهُ مِنْ ذَهَبِ

﴿ ولعلى بن لؤلؤ الكاتب فى وصف الصبح والليل ﴾

رُبَّ صُبْحٍ كَطَلْعَةِ ٱلْوَصْلِ جَلَّى جُنْحَ لَيْلٍ كَطَلْعَةِ ٱلْهِجْرَانِ
زارَ فِى حُلَّةِ ٱلْبُزَاةِ فَوَلَّى ٱللَّيْــــلُ عَنْهُ فِى حُلَّةِ الغِرْبانِ

﴿ ولابى العباس الكندى فى وصف الندى على البحر ﴾

كأَنَّ النَّدَى فى البحرِ بَحْرَانِ مَائِعٌ على مَائِعٍ هذا على ذَاكَ مُطْبَقُ
فهذَا لُجَيْنٌ سَابِحٌ مُتَرَقْرِق[2] وَذَاكَ لُجَيْنٌ فِى ٱلسَّمَاءِ مُعَلَّقُ
إذا أَبْصَرَتْهُ الشَّمْسُ بعد احتجابها بِهِ سَاعَةً أَبْصَرْتَهُ يَتَمَزَّقُ

﴿ وللسرى بن احمد الكندى فى وصف الفجر من قصيدة ﴾

وَرَكَائِبٍ يَخْرُجْنَ من غَلَسِ الدُّجَى مِثْلَ السِّهَامِ مَرَقْنَ[3] مِنْهُ مُرُوقَا
والفجرُ مصقولُ الرِّداءِ كأَنَّهُ جلبابُ خُودٍ أَشْرَبَتْهُ خَلُوقَا[4]

﴿ وله من اخرى في وصف سحابة ﴾

وبِكْرٍ إذا جنبتها الجَنُوبُ حسبت العِشارَ تَؤُمُّ العِشارا[5]

---

(١) النارنجة واحدة النارنج وهو شجرة روقها املس ليس بشديد الخضرة يحمل حملاً مدوراً فى جوفه حامض كحامض الاترج وورده ابيض فى نهاية من طيب الرائحة (٢) متلألىء (٣) خرجن ونفذن من الجانب الآخر (٤) الخود المرأة الحسنة الخلق الشابة والخلوق ضرب من الطيب مائع (٥) البكر السحابة الغزيرة وجنبتها دفعتها والعشار النوق

ترى البرق يبسم مبرًّا بها إذا انتحب الرعدُ فيها جهارا
يُمارضُها فى الهواء النَّسيمُ فينثرُ فى الأرض دُرًّا صغارا
فطوراً يشقُّ جُيُوب الحيا وطوراً يسحُّ الدُّموع الغزارا

﴿ وله من أخرى ﴾

غيومٌ تمسّك أفق السَّما ءِ وبرقٌ يُكتّبهُ بالذَّهب
وخضر الهيثنر فيها النَّدى[1] فريد ندّى[2] ماله من ثقب
فأوراقها مثل نظمِ الحلى وأنهارُها مثلُ بيض القضب
حللتُ بها مع ندامى سلوا عن الجدّ واشتهرُوا باللعب
وأغنتهُمْ عن بديعِ السما ع بدائع ماضمنتهُ الكتب
وأحسنُ شىءٍ ربيعُ الحيا أضيف اليهِ ربيعُ الأدب

﴿ ولابى بكر الخالدى فى وصف الجو وادبار الليل واقبال الفجر ﴾

والجوُّ يسحب منْ عليل هوائهِ ثوباً يجود بطلّهِ المترقرق
حتّى رأينا الليل قوّس ظهره هرماً وأثّر فيهِ شيب المفرق
وكأنَّ ضوء الفجر فى باقى الدُّجى سيفٌ جلاه من اللُّجين المحرق

﴿ ولسعيد بن هاشم الخالدى فى وصف المطر والصبح والليل والبرق ﴾

أما ترى الطلّ كيفَ يلمعُ فى عيُونِ نَوْرٍ تدعُو إلى الطَّربِ
فى كُلِّ عَيْنٍ للطَّلِّ لُؤْلُؤَةٌ كدَمْعَةٍ فى جفُونِ مُنْتَحِبِ
وَالصُّبْحُ قَدْ جُرِّدَتْ صوَارِمُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ همَّ مِنْهُ بالْهَرَبِ
وَالْجَوُّ فى حُلَّةٍ مُمَسَّكَةٍ قَدْ كتَّبَتْهَا الْبُرُوقُ بِالذَّهَبِ

---

(١) الكلأ (٢) الندى ما سقط فى آخر الليل . والفريد الجوهر النفيس والدر

﴿ وللمهلبي الوزير في وصف الربيع ﴾

أَلْوَرْدُ بَيْنَ مُضَمَّخٍ وَمُضَرَّجِ (١) وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُكَلَّلٍ وَمُتَوَّجِ
وَالثلجُ يَهْبِطُ كالنِّثارِ فقمْ بِنَا نَلْتَذَّ بابنةِ كَرْمةٍ لَمْ تُمْزَجِ
طلَعَ البَهارُ ولاحَ نورُ شَقَائقٍ وَبَدَتْ سُطُورُ الوَرْدِ تِلْوَ بنفسجِ
فكأنَّ يومَكَ في غِلالةِ (٢) فِضّةٍ وَالنبتَ مِنْ ذَهَبٍ على فيرُوزَجِ (٣)

﴿ وللقاضي التنوخي ابي القاسم عليّ في وصف طول الليل والفجر ﴾

وَلَيْلَةِ مُشْتَاقٍ كأَنَّ نُجُومَهَا قَدِ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الكَرَى وَهِيَ نُوَّمُ
كأَنَّ عُيُونَ السَّاهِرِينَ لِطُولِهَا إذا شَخَصَتْ لِلأَنْجُمِ الزُّهْرِ أَنْجُمُ
كأنَّ سَوَادَ الليلِ وَالفَجْرُ ضَاحِكٌ يَلُوحُ وَيَخْفَى أَسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

﴿ وله أيضاً في وصف وحشة الليل والنجوم والسماء ﴾

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ كَصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحِشٌ كالثقيلِ تقذَى بِهِ العَيْـنُ وَتَأْبَى حَدِيثَهُ الأَسْمَاعُ
وَكأَنَّ النجُومَ بَيْنَ دُجَاهُ سُنَنٌ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ
وَكأَنَّ السَّمَاءَ خَيْمَةُ وَشْيٍ وَكأَنَّ الجَوْزَاءَ فِيهَا شِرَاعُ

﴿ وله أيضاً في وصف رياض ﴾

وَرِيَاضٍ حَاكَتْ لَهُنَّ الثُّرَيَّا حُلَلاً كانَ غزلُهَا لِلرُّعُودِ
نَثَرَ الغيثُ دُرَّ دَمْعٍ عَلَيها فتحلَّتْ بِمِثْلِ دُرِّ العُقُودِ
أُقْحُوَانٌ مُعَانِقٌ لِشَقِيقٍ كَثُغُورٍ تعضُّ وَرْدَ الخُدُودِ

---

(١) ضمخه بالطيب لطخه به حتى كاد يقطر . وضرجه صبغه بالحمرة (٢) الغلالة شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع ايضاً (٣) الفيروزج حجر كريم

وَعُيُونٌ مِنْ نَرْجِسٍ تَتَرَاءَى كَعُيُونٍ مَوْصُولَةِ التَّسْهِيدِ
وَكَأَنَّ الشَّقِيقَ حِينَ تَبَدَّى ظُلْمَةُ الصُّدْغِ فِي خُدُودِ الْغِيدِ
وَكَأَنَّ النَّدَى عَلَيْهَا دُمُوعٌ فِي جُفُونٍ مَفْجُوعَةٍ بِفَقِيدِ

﴿ وكتب محمد بن عبد الله السلامى الى صديق له يصف النارنج ﴾

أَتَنْشَطُ لِلصَّبُوحِ أَبَا عَلِيٍّ عَلَى حُكْمِ الْمُنَى وَرِضَى الصَّدِيقِ
بِنَهْرٍ لِلرِّيَاحِ عَلَيْهِ دِرْعٌ تَذَهَّبُ بِالْغُرُوبِ وَبِالشُّرُوقِ
إِذَا اصْفَرَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ صَبَّتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ مَاءَ الْخَلُوقِ [(١)]
وَجَمْرٌ شُبَّ فِي الأَغْصَانِ حَتَّى أَضَاعَ الْمَاءَ فِي وَهَجِ الْحَرِيقِ
فَدُهْمُ الْخَيْلِ فِي مَيْدَانِ تِبْرٍ يُصَاغُ لَهَا كُرَاتٌ مِنْ عَقِيقِ

﴿ وكتب اليه فى وصف نهر حوله أشجار الجلنار [(٢)] ﴾

وَنَهْرٍ تَمْرَحُ الأَمْوَاجُ فِيهِ مِرَاحَ الْخَيْلِ فِي رَهَجِ [(٣)] الْغُبَارِ
إِذَا اصْفَرَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ خِلْنَا نَمِيرَ الْمَاءِ يُمْزَجُ بِالْعُقَارِ [(٤)]
كَأَنَّ الْمَاءَ أَرْضٌ مِنْ لُجَيْنٍ مُغَشَّاةٌ صَفَائِحَ مِنْ نُضَارِ
وَأَشْجَارٍ مُحَمَّلَةٍ كُئُوسًا تُضَاحِكُ فِي احْمِرَارٍ وَاخْضِرَارِ
إِذَا أَبْصَرْنَ فِي نَهْرٍ سَمَاءً وَهَبْنَ لَهُ نُجُومَ الْجُلَّنَارِ

﴿ وله من قصيدة فى وصف الرياض والبرق ﴾

نَسَبُ الرِّيَاضِ إِلَى الْغَمَامِ شَرِيفُ وَمَحَلُّهَا عِنْدَ النَّسِيمِ لَطِيفُ
فَاشْرَبْ وَثَقِّلْ وَزْنَ جَامِكَ [(٥)] إِنَّهُ يَوْمٌ عَلَى قَلْبِ الزَّمَانِ خَفِيفُ

---

(١) الخلوق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لان اعظم اجزائه من الزعفران (٢) زهر الرمان (٣) ما اثير من الغبار (٤) الخمر (٥) الجام اناء من فضة

اوماترى طرر (١) البروق توسطت أفقاً كأن المزن (٢) فيه شفوف (٣)
واليوم من خجل الشقيق مضرج خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والارض طرس والرياض سطوره والزهر شكل بينها وحروف

﴿ ولأحمد صفي الدين بن صالح بن ابي الرجال يصف بها روضة صنعاء ﴾

روضة قد صبا لها السعد شوقاً وصفا ليلها وطاب المقيل
جوها سجسج وفيها نسيم كل غصن إلى لقاه يميل
صح سكانها جميعاً من الدا ء وجسم النسيم فيها عليل
إيه يا ماء نهرها العذب صلصل حبذا يا زلال منك الصليل
إيه يا ورقها المرنة غني لحياة النفوس منك الهديل
روض صنعاء فقت طبعاً ووصفاً فكثير الثناء فيك قليل
نهر دافق وجو فتيق زهر فائق وظل ظليل
لست أنسى انتعاش شحرور غصن طرباً والقضيب منه يميل
وعلى رأس دوحة خاطب الور ق ودمع الغصون طلاً يسيل
ولسان الرعود يهتف بالسح ب فكان الخفيف منها الثقيل
وفم السحب باسم عن بروق مستطير شعاعها مستطيل

﴿ ولابن سكرة الهاشمي في وصف روضة ﴾

اما ترى الروضة قد نورت وظاهر الروضة قد أعشبا
كأنما الارض سماء لنا نقطف منها كوكباً كوكبا

(١) الطرر جمع طرة وهي علم الثوب وطرازه (٢) السحاب (٣) جمع شف وهو الثوب الرقيق

﴿ ومن زهرية لابن الراجح الحلى ﴾

نثرت عقود سمائها الا نداء ... بيدِ النسيمِ فللثرى إثراء
وبدت تباشير الربيع كأنما ... نشرت مطارف وشيها صنعاء (١)
والأرض قد زهيت بحلى نباتها ... والجوّ حلة سحبه دكناء (٢)
والرّوض في نشوات سكرته وقد ... طافت عليه الدّيمة الوطفاء
وثنى الحياء عطف الغدير فصفقت ... أطرافهُ وتغنّتِ الورقاء
فكأن أعطاف الغصون منابرٌ ... والوُرقُ فى أوراقها خُطباء

﴿ ومن زهرية لبدر الدين الذهبى ﴾

ترنّح عطفُ البانِ فى الحللِ الخضرِ ... وغنّى بألحان على عودهِ القُمرى (٣)
وراقتْ أزاهيرُ الحدائقِ بالضُّحى ... نواظر أحداق بنوارها النَّضرِ (٤)
وأشرقَ خدُّ الوردِ يبدِى نضارهُ ... وأشرقَ جيدُ الغصن فى لؤلؤ القَطرِ
وباتَ سَقيطُ الطّلِّ فى كلِّ روضةٍ ... ينبّهُ فى أرجائهـا ناعس الزّهر
وما ذهبتْ شمس لأصيلِ عشيّةٍ ... إلى الغربِ حتى أذهبتْ فِضّة النّهرِ
وغنّت قيان الطّير فى كلِّ أيكَةٍ ... وقد راقَ كحلُ الطّلِّ فى مُقَل الغُدرِ
أقامتْ لهـا دوح الأراكِ أرائكا ... وأرختْ لها أوراقَ أستارها الخضْر
وأمسى أصيلُ اليومِ مُلقًى من الضّنى ... على فُرُشِ الأزهارِ فى آخرِ العمرِ
بكتْه حماماتُ الأراكِ وشقّقتْ ... عليه الصّبا أثواب روْضاتها النُّضرِ
فكم من نحيب للحمائم بالضُّحى ... عليه وللأنواء من دمعة تجرى

(١) صنعاء قصبة بلاد اليمن (٢) الدكناء الضارب لونها الى السواد (٣) ضرب من الحمام
(٤) اصله بكسر العين وتسكينها للضرورة

﴿ ولعلي بن احمد الجوهري من قصيدة في وصف الغيث ﴾

زرَّ الصَّباح علينا شملةَ السُّحب (١) ومدَّت الرِّيح منها واهيَ الطُّنُب

تَصكُّ النسيم فِراخَ الغيث فانزعجت ينفضْنَ أجنحةً من عنبر الزَّغَبِ (٢)

﴿ ولابي معمر بن أبي سعيد الاسماعيلي من قصيدة في وصف الثلج ﴾

فرُحْنا وقد باتَ السماء مع الثَّرى وغابَ أديمُ الأرض عنّا فما يُرى

كأنَّ غيومَ الجوّ صُوّاغ فِضّةٍ تواصوْا بردِّ الحلْي عمداً إلى الورى

﴿ ولابي العلاء السروي في وصف روض ﴾

مررنا على الرَّوْض الذي قد تبسَّمَتْ ذُراه وأوْداجُ السَّحائب تُسفَك (٣)

فلم نر شيئاً كان أحسنَ منظراً من الرَّوض يجري دمعُهُ وهو يضحكُ

﴿ وله أيضاً في وصفه من قصيدة ﴾

أما ترى قضُبَ الاشجار قد لبسَتْ أنوارَها تتثنَّى بين جُلاّسِ

منظومةً كسُموطِ الدُّرّ لابسةً حسناً يُبيح دمَ العُنقودِ للحاسي (٤)

وغرَّدتْ خطباء الطَّير ساجعةً على منابر من ورد ومن آسِ

(ولابي الفياض سعد بن احمد الطبري من قصيدة في وصف رياض)

أصَبيحةَ النَّيروز خيرَ صَبيحة حَيَّتْ بها الأنواء والأنوارُ

فبكلِّ شعب روْضةٌ مِعطار تَفترُّ عنها دِيمةٌ مدْرارُ

ماست بها الافنانُ في أسحارها نشْوى فماستْ تحتَها الأشجار

وتبرَّجتْ أزهارُها وتبلَّجتْ فكأنما أزهارُها أبصارُ

(١) زر بمعنى نفض والشملة كساء يشتمل به . وزر شملة السحب كناية عن سقوط المطر (٢) الزغب صغار الشعر (٣) الاوداج جمع ودج وهو عرق في العنق (٤) من حسا الشراب اذا شربه شيئاً بعد شيء و في مهلة

(ولابي قاسم الدينوري في وصف جواد)

وَمُطهَّمٍ طَرْفُ العِنانِ (١) مُعوَّدٍ خوضَ المهالكِ كلَّ يومِ برازِ
وإذا توغَّلَ في ذُرَى مُتَمَنِّعٍ صَعْبٍ بعيدِ العهدِ بالمجتازِ
تركتْ سنابكُهُ بصُمِّ صخورهِ أثرًا يلوحُ كنقشِ صدرِ البازي

﴿ وله في وصف سفرجل وتفاح ورمان واذريون ﴾

بعثتُ إليكَ ضحى المهرَجا نِ بمشوقةِ العَرْفِ والمنظرِ
معطرةٍ صانَها في الحجا لِ مَطارفُ من سندسٍ أخضرِ
وبيضاءَ رائقةٍ غضَّةٍ منقطةِ الوجهِ بالعُصفُرِ
وحُقِّ عقيقٍ ملاهُ المجيـ ـرُ منَ الجوهرِ الرائقِ الأحمرِ
وأقداحِ تبرٍ حشتْ قعرَها يدُ الشمسِ بالمسكِ والعنبرِ
فكنْ ذا قبولٍ لها إنها هدايا مُقلٍّ إلى مُكثِرِ
وعِشْ ما تشاءُ كما تشتهي بعزٍّ يدومُ الى المحشَرِ

﴿ وله في النارنج ﴾

أما ترى شجرَ النارنجِ طالعةً نجومُها في غصونٍ لدْنةٍ ميلِ (٢)
كأنها بينَ أوراقٍ تحفُّ بها زُهرُ المصابيحِ في خُضْرِ القناديلِ

﴿ ولابي الفضل الميكالي في وصف الشقائق ﴾

تصوغُ لنا كفُّ الربيعِ حدائقًا كعقدِ عقيقٍ بينَ سمطِ لآلي
وفيهنَّ أنوارُ الشقائقِ قد حكتْ خدودَ عذارى نُقِّطتْ بغوالي

﴿ وله في اقتران الزهرة والهلال ﴾

أما ترى الزُّهرةَ قدْ لاحتْ لنا تحتَ هلالٍ لونُهُ يحكي اللهبْ

(١) طرف العنان بمعنى خفيف والمطهم البارع الجمال والتام من كل شيء (٢) جمع اميل

كَكُرَةٍ من فضةٍ مجلُوَّةٍ   اوفَى[1] عليها صَوْلجانٌ مِنْ ذهبْ

﴿ وله في الفجر ﴾

أهلاً بفجرٍ قد نَضا ثوبَ الدُّجى   كالسيفِ جُرِّدَ مِنْ سوادِ قِرابِ

﴿ وقال في وصف الثلج الساقط على غصون الشجر ﴾

نَثرَ السَّحابُ على الغُصُونِ ذُرارةً   اهدَتْ لها نَوْراً يرُوقُ ونورَا

شابتْ ذوائبُها فَعَـدْنَ كأنَّها   أجفانُ عينٍ تحملُ الـكافورا

﴿ وقال في الجليد ﴾

رُبَّ جنينٍ مِنْ جنَى نَهرِ   مُهتَّكُ الأستار والضميرِ

سلّتهُ مِنْ رَحِمِ الغديرِ   كأنهُ صحائفُ البلّورِ

أوأكرٌ تجسَّمت من نورِ   اوْقِطعٌ من خالص الكافورِ

لو بقيَت سلكاً على الدُّهورِ   لعطّلتْ قلائدَ النُّحورِ

وأخجلتْ جواهرَ البحُورِ   وسُمِّيتْ ضرائر[2] الثُّغورِ

يا حُسنه في زمنِ الحدورِ   إذ فيضه مثلُ حشا المهجورِ

يُهْدِي إلى الاكبادِ والصُّدورِ   روحاً تحاكي نفثةَ المصدورِ[3]

﴿ ولابي طاهر بن الهاشمي في وصف روضة ﴾

وروضة زارها الندى فغدت   لها من الزهر أنجُمٌ زهرُ

تنشر فيها أيدي الرَّبيعِ لنا   ثوباً من الوشي حاكه القطرُ

كانما شُقَّ من شقائقِها   على رُباها مطارفٌ خضرُ

ثمَّ تبدَّت كأنها حدقٌ   أجفانها من دمائِها حمرُ

---

(١) اشرف (٢) جمع ضرة وهي احدى زوجي الرجل واراد بضرائر الثغور الاسنان
(٣) النفثة ما ينفثه المصدور من فيه

﴿ ولأبى نصر سهل بن المرزبان في وصف البدر ﴾

كم ليلة أحييتها ومؤانسي   طرف الحديث وطيب حث الأكؤس
شبهت بدر سمائها لما دنت   منه الثريا فى قميص سندسى
ملكاً مهيباً قاعداً فى روضة   حياه بعض الزائرين بنرجس

« وللحسن بن احمد البروجردى فى حوض لبعض الرؤساء »

حوض يجود بجوهر متسلسل   ساد الجواهر كلها بنفاسته
لا زال عذباً جارياً بقاء من   هو مثله فى طبعه وسلاسته

« ووصف ابن انيس سيف عمرو بن معدى كرب فقال »

أخضر المتن بين حديه نور   من فرند تحار فيه العيون
أوقدت فيه للصواعق نار   ثم ساطت[1] به الزعاف المنون
فإذا ما سللته بهر الشمـ   ـس ضياء فلم تكد تستبين
فكأن الفرند والرونق الجا   رى فى صفحتيه ماء معين[2]
وكأن المنون نيطت إليه   فهو من كل جانبيه منون
ما يبالى من انتضاه لحرب   أشمال سطت به أم يمين

﴿ وقال ابن عبد ربه فى وصف الرمح والسيف ﴾

بكل رديني كأن سنانه   شهاب بدا فى ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال فى طول متنه   وعادت به الآمال وهى فجائع
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه   فهن لحبات القلوب قوارع
وذى شطب[3] تقضى المنايا لحكمه   وليس لما تقضى المنية دافع

(١) خلطت (٢) جار (٣) جمع شطب وهى طريقة السيف اى الواحدة من الخطوط التى فى نصله

﴿ وقال ايضاً في وصف الحرب ﴾

ومُعترك تهزُّ بهِ المنايا ذُكورَ الهندِ في أيدي ذُكورِ
لوامعُ يبصرُ الأعمى سناها ويَعمى دُونها طرفُ البصير
يحوّمُ حولها عِقبانُ موتٍ تخطّفتِ القلوبَ من الصدور

(ومن قوله فى وصف الحرب وأبطالها)

سيوفٌ يَقيلُ الموتُ تحتَ ظُباتها لها في الكُلى طَعمٌ وبين الكلى شربُ
اذا اصطفّتِ الرّاياتُ حُمراً مُتونها ذوائبها تهفو فيهفو (١) لها القلبُ
ولم تنطقِ الأبطالُ إلاّ بفعلها فألسُنها عُجْمٌ وأفعالُها عُرْبُ
إذا ما التقوا فى مازقٍ وتَعانقوا فلقياهمُ طَعْنٌ وتعنيقهمْ ضربُ

(ولابن قلاقس فى وصف السحاب والبرق والغيث)

سَرى وجبينُ الجوّ بالطّلّ يَرشحُ وثوبُ الغوادى بالبرُوقِ موشَّحُ
وفى طَيّ أبرادِ النّسيمِ خَميلةٌ (٢) بأعطافها نورُ المُنى يتفتّحُ
يضاحك فى مَثنى المعاطف عارضٌ مَدامعهُ فى وجنةِ الرّوض تُسفَحُ
وتورى به كفُّ الصَّبا زندَ بارقٍ شرارتهُ فى فحمةِ اللّيل تقدَحُ

(ومن قصيدة لابى القاسم عبد الصمد بن بابك فى الصاحب)

(يصف له فيها اضرام النار فى بعض غياض طريقه)

وليلةٍ بتُّ أشكو الهمَّ أوّلها وعدتُ آخرَها أستنجدُ الطَّرَبا
فى غيضةٍ (٣) من غياض الحزنِ دانيةٍ مَدّ الظلامُ على أوراقها طُنبا
حتى إذا النارُ طاشتْ فى ذوائبها عاد الزُّمرُّدُ من عيدانها ذَهبا

---

(١) هفت الراية خفقت وهفا القلب ذهب فى اثر الشيء (٢) الخميلة الشجر الكثير الملتف والموضع الكثير الشجر (٣) الغيضة الاجمة ومجتمع الشجر فى مغيض ماء

مرقتُ منها وثغرُ الصبح مُبتسِمٌ إلى أغرَّ يرى المذخورَ ما وهبا
يا أغزر الناسِ أنواءً ومحتلبا وأشرفَ الناس أعراقًا ومُنتسبا
أصبحتُ ذا ثقة بالوفر منكَ وإنْ قال العواذلُ ظنٌّ رُبّما كذبا
فحسنُ ظني بك استوفى مَدى أملى وحسنُ رأيكَ لى لم يبقِ لى أربا

(ومن قصيدة لابى سعيد الرستمي يصف بها دارًا بناها الصاحب بن عباد)

وساميةَ الاعلامِ تلحظُ دونَها سَنا النجمِ فى آفاقها مُتضائِلاَ
نَسخت بها إيوانَ كسرى بن هرمزٍ فأصبحَ فى أرض المدائن عاطلاَ
فلوْ لحظَتْ جناتُ تدمرُ حسنَها درَتْ كيفَ تبْني بعدهنَّ المجادِلا
تناطحُ قرن الشمس من شرفاتها[1] صفوفُ ظِباءٍ فوقهنَّ مَواثِلا
ولو أصبحت دارًا لكَ الأرضُ كلُّها لضاقتْ بمَنْ ينتابُ دارَكَ آملاَ
وأغنَى الورى عن منزلٍ من بنت لهُ معاليهِ فوقَ الشعريَيْن منازلاَ
ولا غروَ أن يستحدِثَ الليثَ بالثرى عرينًا وأنْ يستطرقَ البحرَ ساحلاَ
ولم تعتمدْ دارًا سوى حومةِ الوغى ولاَ خدمًا إلاَّ القنا والقنابلاَ
ووَاللهِ ما أرضَى لكَ الدهرَ خادِمًا ولا البدرَ مُنتابًا ولاَ البحر نائلاَ
ولا الفلكَ الدوار دارًا ولا الورى عبيدًا ولا زُهر النُّجومِ قبائلاَ
فإنَّ الذى يبْنيهِ مثلُكَ خالدٌ وسائرُ ما يبنى الأنامُ إلى بِلَى

﴿ وللخليل مطران بك فى وصف روض ﴾

أيها الرَّوضُ كُنْ لقلبِي سلامًا وملاذًا من الشقاءِ الملازِمْ
زهَرٌ ذابلٌ كأنِّي أراهُ ثملاً من أنفاسِهِ فى الكمائمْ

(١) شرفات البناء مثلثات تبنى متقاربة فى اعلى القصر

وغديرٌ صافٍ أقام سياجاً حولهُ باسقٌ منَ الدَّوحِ قائم
تتناغى بيضٌ من الطير فيهِ سابحاتٌ وتحتها النجم عائم
كيفما سرن فالطريقُ عقودٌ نُظّمت من محاجرٍ ومباسم
حبَّذا البدرُ مؤنساً يتجلَّى كحبيبٍ بعدَ التغيبِ قادِمْ
حبَّذا رسمُهُ البرايا كأبهى ماترى العينُ في صحيفةِ راسِم
حبذا الماءُ والمصابيحُ فيهِ كبنانٍ بزينها بخواتمْ
جنةٌ بانتِ المكارهُ عنها وهي بكرٌ منَ الاذى والمحارِمْ
إنما أهلها طيورٌ حسانٌ إن دعاها الصَّباحُ قامت تنادِمْ
وضياءٌ يموجُ في الماء حتى لتراهُ كأنهُ متلاطم
ومروجٌ مُدبَّجاتٌ كوشيٍ أتقنتْ صُنعهُ حِسانُ المعاصِمْ
وغصونٌ تهزُّها نسماتٌ كمهودٍ تهزُّهنَّ روائِمْ (١)

(وقال البحتري واصفاً صناعة الكتابة والإنشاء)

تفننتَ في الكتابة حتّى عطّلَ الناسَ فنّ عبد الحميدِ
في نظام من البلاغة ما شـ ـكَّ امرؤٌ أنه نظام فريدِ
وبديع كأنه الزّهر الضّا حك في رونق الربيع الجديد
مشرقٍ في جوانب السمع مايُخـ ـلقه عوده على المستفيد
ما أعيرتْ منه بطون القراطيـ ـس وما حملتْ ظهور البريد
حُججٌ تخرس الألدّ بألفا ظ فُرادى كالجوهر المعدود
ومعانٍ لوْ فصّلتها القوافي هجّنتْ شعر جرْوَل ولَبيد

(١) جمع الرائمة وهي الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له

حـ نَ مستعمل الكلام اختياراً ... وتجنّبن ظُلمة التّعقيـد
وركبن اللّفظ القريب فأدركـ ... ـنَ به غاية المراد البعيد
كالعذارى غدون في الحُلل البيـ ... ـض اذا رُحن في الخطوط السُّود

(وقال ابن حمديس الصقلىّ يصف داراً بناها المنصور)

أعمِرْ بقصر الملك ناديك الذى ... أضحى بمجدك بيته معمورا
قصرٌ لو انك قد كحلت بنوره ... أعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتقّ من معنى الجنان نسيمُه ... فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نُسى الصَّبيح مع الفصيح بذكره ... وسما ففاق خورنقاً وسديرا
أبصرته فرأيت أبدع منظر ... ثم انثنيتُ بناظرى محسورا
فظننتُ أنى حالمٌ في جنّة ... لمّا رأيت الملكَ فيه كبيرا
لوْ أنّ بالايوانِ قوبل حُسنهُ ... ما كان شيئاً عنده مذكورا
أعيتْ مصانعه على الفُرس الالى ... رفعوا البناء وأحكموا التّدبيرا
ومضتْ على الرُّوم الدُّهور وما بنوا ... لملوكهم شبهاً له ونظيرا
أذكرْتنا الفرْدوس حين أريْتنا ... غُرفاً رفعْت بناءها وقُصورا
ومُحصّبٌ بالدُّرّ تحسبُ تُرْبهُ ... مِسكاً تضوّع نشرهُ وعبيرا
تستخلفُ الأبصار منه اذا أتى ... صبحاً على غسق الظّلام مُنيرا

(ووصف أعرابى تزوّج امرأتين ما وقع له منهما فقال)

تزوّجتُ اثنتين لفرط جهلى ... بما يشقى به زوجُ اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفاً ... أُنعَّمُ بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تُضحى وتُمسى ... تُداولُ بين أخبث ذئبتين

رضا هذي يُهيّج سُخط هذي فما أعري من احدى السّخطتين
وألقى فى المعيشة كل ضرّ كذاك الضّرّ بين الضّرتين
لهذي ليلةٌ ولتلك أخرى عتابٌ دائمٌ في الليلتين
فان أحببتَ أن تبقى كريمًا من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبًا فان لم تستطعه فضربًا في عراض الجحفلين

(وقال أبو تمّام حبيب بن أوس الطّائى في وصف الربيع)

يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما تريا وُجُوهَ الأرض كيف تُصَوّرُ
تريا نهاراً مُشمِساً قد زانه زهر الرُّبا فكأنّما هوَ مقمرُ
دنيا مَعاشٌ للورى حتى إذا حلّ الرّبيع فإنما هى منظرُ
أضحتْ تصوغ بُطونها لظهورها نَوْراً تكاد له القلوب تَنَوّرُ
من كلّ زاهرةٍ ترقرقَ بالنّدى فكأنها عينٌ لديك تُحَدّرُ

(وقال أبو عبادة البحتريّ يصف قصر المعتز بالله) .

لما كملتَ رويّةً وعزيمةً أعملتَ رأيكَ في ابتناء الكاملِ
وغدوتَ من بين الملوك مُوَفّقاً منهُ لأيمَن حلّة ومنازلِ
ذُعِرَ الحمامُ وقد ترنّم فوقهُ من منظرٍ خطر المزلّةِ هائلِ
رُفِعتْ لمخترقِ الرّياحِ سُموكهُ وزهتْ عجائبُ حسنهِ المتخايلِ
وكأنّ حيطانَ الزّجاج بجوّه لُجُجٌ يَمُجْنَ على جنوب سواحلِ
وكأنّ تفويفَ الرّخامِ اذا التقى تأليفهُ بالمنظر المتقابلِ
حبكُ الغمام رُصِفن بين مُنمّرٍ ومُسيّرٍ ومقاربٍ ومشاكلِ
لبستْ من الذّهب الصقيلِ سُقوفهُ نوراً يضئُ على الظّلامِ الحافلِ

فترى العيونَ يجُلن في ذي رونقٍ	مُتلهّبِ العالي أنيقِ السّافلِ
وكأنّما نشرتْ على بُستانهِ	سِيَرَاءَ وشي اليُمْنة المتواصلِ
أغنتهُ دِجلة إذ تلاحقَ فيضُها	عن صَوْبِ منسحِبِ الرَّباب الماطلِ
وتنفّست فيهِ الصَّبا فتعطّفتْ	أشجارُهُ من حُوَّلٍ وحواملِ

(وقال المتنبي في وصف جواد)

ويومٍ كليلِ العاشقين كَمِنتهُ	أراقبُ فيهِ الشّمسَ أيّان تغربُ
وعيني إلى أذنَي أغرَّ كأنّه	من الليل باقٍ بين عينيهِ كوكبُ
له فضلةٌ من جسمهِ في إهابه	تجيء على صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ
شققتُ بهِ الظلماءَ أُدني عنانهُ	فيطغَى وأرخيهِ مراراً فيلعبُ
وأصرعُ أيَّ الوحشِ قفّيتهُ بهِ	وأنزل عنهُ مثلَهُ حين أركبُ
وما الخيل إلاّ كالصّديق قليلةٌ	وإن كثرتْ في عينِ مَن لا يجرِّبُ
إذا لم تشاهدْ غير حسن شياتها	وأعضائها فالحسنُ عنك مغيَّبُ

(وقال صفيّ الدّين الحلّي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ في وصف الربيع)

ورد الرَّبيعُ فمرحباً بوُرُودِه	وَبنورِ بهجتهِ ونَورِ وُرُودِهِ
وَبحُسْن منظرهِ وطِيبِ نَسيمِهِ	وَأنيق مَلبسهِ وَوَشي بُرودهِ
فصلٌ إذا افتخرَ الزّمانُ فإنّهُ	إنسانُ مُقلتِه وَبَيْتُ قصيدِه
يغْنى المزَاج عن العِلاج نَسيمُهُ	باللّطفِ عِندَ هبُوبهِ وَرُكودِه
يا حبّذا أزهارُهُ وثمارُهُ	ونباتُ ناجمِه وحَبُّ حَصيدِهِ
وَالغُصنُ قدْ كُسيَ الغلائلَ بعْدما	أخذَتْ يدا كانُون في تجريدهِ
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى	ماءُ الشّبيبةِ في منابتِ عودِهِ

والوردُ فى أعلى الغصـون كأنّهُ ملِكٌ تحِفُّ بهِ سراةُ جُنوده
وانظر لنرجسِهِ الجنيّ كأنّهُ طرفٌ تَنبَّهَ بعـد طول هُجوده
وانظُر إلى المنثور فى منظومـه مُتنوّعاً بفصـولِهِ وعقوده

« وقال أيضاً في وصف حديقة »

وأطلق الطّيرُ فيها سجع منطقِهِ ما بين مختلفٍ منه ومتفق
والظّلُّ يسرقُ بين الدَّوح خطوتهُ وللمياهِ دبيبٌ غيرُ مسترق
وقد بدا الوردُ مُفترًّا مباسِمهُ والنرجس الغض فيها شاخص الحدق
والسُّحبُ تَبكي وثغر البرق مبتسمٌ والطيرُ تسجع من تيهٍ ومن أنق
فالطير في طربٍ والسّحب في حرب والماء فى هرب والغصن في قلق

« وقال احمد شوقى بك فى وصف الطبيعة »

تلك الطّبيعة قِف بنا يا سارى حتى أُريك بديع صنعِ البارى
الأرض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثار
ولقد تمرّ على الغدير تخاله والنبت مرآةً زهت بأطار
حُلو التّسلسل موجه وخريره كأنامل مرّت على أوتار
ينساب فى مخضلّة مبتلّة منسوجة من سندس ونضار
وترى السماء ضحًى وفى جنح الدجى منشقّة عن أنهرٍ وبحار
في كل ناحية سلكت ومذهبٍ جبلان من صخرٍ وماء جار

« وقال محمد حافظ بك ابراهيم يصف النيل »

نظرت للنيل فاهتزّت جوانبه وفاض بالخير فى سهل ووديان
يجرى على قدر في كل منحدر لم يجفُ أرضاً ولم يعمد لطغيان

كأنه ورجال الرّيّ تحرسه ملكٌ سار فى جند وأعوانِ
قد كان يشكو ضياعاً مذجرى طلقاً حتى أقمتَ له خزّان أسوان

« وقال ايضاً عن لسان حال اللغة العربية واصفاً لها »

رجعت لنفسى فاتّهمت حصاتى وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقمٍ فى الشباب وليتنى عقمت فلم أجزع لقول عُداتى
ولدت ولما لم أجد لعرائسى رجالاً وأكفاء وأدت بناتى
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آيٍ به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتى
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى ومنكم وان عزّ الدواء أُساتى
فلا تكلونى للزمان فاننى أخاف عليكم أن تحين وفاتى
أرى لرجال الغرب عزّاً ومنعة وكم عزّ أقوامٌ بعزّ لغاتِ
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنّناً فيا ليتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادى بوأدى فى ربيع حياتى
ولو تزجرون الطير يوماً علمتمُ بما تحته من عثرةٍ وشتات
سقى الله فى بطن الجزيرة أعظماً يعزّ عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادى فى البلى وحفظته لهنّ بقلبٍ دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرقٌ حياء بتلك الأعظم النّخرات
أرى كلّ يومٍ بالجرائد مزلقاً من القبر يدنينى بغير أناة
وأسمع للكتاب فى مصر ضجةً فأعلم أن الصائحين نُعاتى

أيهجرني قومي عفا الله عنهمُ الى لغة لم تتصل برواتي
سَرت لوثة الأعجام فيها كما سرى لُعاب الأفاعي في مسيل فُرات
فجاءت كثوب ضمّ سبعين رقعة مشكلة الالوان مختلفات
الى معشر الكتاب والجمع حافلٌ بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإما حياةٌ تبعث الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رُفاتي
وإما مماتٌ لا قيامة بعده مماتٌ لعَمري لم يقس بممات

« وقال شاعر العراق معروف الرصافي واصفاً قطار البخار »

وقاطرةٍ ترمي الفضا بدخانها وتملأ صدر الأرض في سيرها رُعبا
تمشّت بنا ليلاً تجرّ وراءها قطاراً كصفّ الدّوح تسحبه سحبا
فطوراً كعصف الرّيح تجري شديدةً وطوراً رُخاء كالنسيم اذا هب
تساوي لديها السّهل والصّعب في السُّرى فما استسهلت سهلاً ولا استصعبت صعبا
تدكّ متون الحزن دكّا وانها لتنهب سهل الأرض في سيرها نهبا
تمرّ بها العالي فتعلو تسنّماً ويعترض الوادي فتجتازه وثبا
طوت بالمسير الأرض حتى كأنّها تسابق قُرص الشّمس أن تدرك الغُربا
هو العلم يعلو بالحياة سعادةً ويجعلها كالعلم محمودة العقبى

« وقال ابن حمديس الأندلسي في وصف بركة عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتها أسود قاذفة بالمياه »

وضراغمٍ سكنت عرين رآسة تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشّى النُّضار جسومها وأذاب في أفواهها البلورا
اسدٌ كأن سُكونها متحرّك في النّفس لو وجدت هناك مُثيرا

وتذكّرت فتكاتها فكأنّما أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشّمس تجلو لونها ناراً وألسُنها اللّواحس نورا
فكأنما سلت سُيوف جداول ذابت بلا نارٍ فعُدن غديرا
وكأنما نسج النسيمُ لمائه دِرعًا فقدّر سردها تقديرا

***

وبديعة الثّمرات تعبُرُ نحوها عيناىَ بحر عجائبٍ مسحوراً
شجريّةٌ ذهبيّةٌ نزعت إلى سحرٍ يُؤثّرُ فى النّهي تأثيرا
قد سُرّجتْ أغصانُها فكأنما قبضتْ بهنّ من الفضاء طيورا
وكأنمـا تأبَى لوقعِ طيرُها أن تَستقلّ بنهضها وتَطـيرا
من كلّ واقعة ترى مِنقارَها ماءً كسَلسال اللُجين نميرا
خُرْسٌ تَعُدُّ من الفِصاح فان شَدَت جعلَتْ تغرّد بالمياه صَفيرا
وكأنمـا فى كلّ غصنٍ فضّةٌ لانَتْ فأرسلَ خيطها مجرُورا
وتريك في الصّهريج موقعَ قَطْرِها فوقَ الزَّبرْجَد لؤلؤاً منثورا

***

ضحِكتْ محاسنُه اليك كأنّما جُعِلَتْ لها زُهرُ النُّجوم ثُغُورا
ومُصفّح الأبواب تبراً نظرُوا بالنّقش فوق شكوله تنظيرا
وإذا نظرْتَ إلى غرائب سقفه أبصرْتَ رَوْضاً فى السّماء نضيرا
وَضعَتْ به صُنّاعُها أقلامها فأرَتْك كلَّ طريدة تصويرا
وكأنمـا الشّمس فيه لِيقةٌ مشقوا بها التزويق والتّشجيرا
وكأنمـا اللازوَرْدُ فيه مُخرِّمٌ بالخطّ فى وَرق السّماء سطورا

﴿ وقال المرحوم محمود باشا سامى البارودى يصف حرب سكان جزيرة اقريطش « كريد » حين خرجوا عن الطاعة سنة ١٢٨٢ هـ ويتشوق إلى مصر ﴾

أخذَ الكرَى بمَعاقِد الأجفان وهفَا السُّرَى بأعنّة الفرْسان
والليلُ منشُور الذوائب ضارب فوْق المَتالِع والرُّبى بجِرانِ
لا تستبين العين في ظلمائه إلا اشتعالَ أسنّة المرّان
تَسرى به ما بين لُجّة فِتْنة تَسْمو غواربُها على الطوفان
فى كل مرْبأة وكلّ ثَنيّة تهدار سامِرَة وعزْف قِيَان
تستنّ عادِيَة ويَصهَل أجرد وتصيح أجراسٌ ويهتِفُ عان
قومٌ أبى الشيطان إلا خسْرهم فتسلّلوا من طاعة السلطان
مَلؤا الفضاء فما يَبينُ لناظر غيرُ التماع البيض والخُرْصان
فالبدرُ أكدرُ والسماء مريضة والبحرُ أشكلُ والرّماحُ دَوَان
والخيل واقفةٌ على أرْسانها لطِرَاد يوْم كريهة ورِهان
وضعوا السِّلاح إلى الصباح وأقبلوا يتكلّمون بألسُن النّيران
حتى اذا ما الصُّبحُ أسفرَ وارتمتْ عَيناىَ بين رُبًى وبين مجان
فاذا الجبال أسنّة واذا الوِها دُ أعنّة والماء أحمرُ قَان
فتوجّست فَرْطَ الرّكاب ولم تكن لتَهابَ فامتنَعت على الأرْسان
نزعتْ فرجَّعت الحنين وانما تحنانها شَجَنٌ من الأشجان
ذكرَت مواردَها بمصر وأين من ماء بمصرَ منازلُ الرُّومان
والنّفس لاهيةٌ وان هى صادَفتْ خلفًا بأوّل صاحب ومكان
فسقى السِّماكُ محلّةً ومَقامةً فى مصرَ كلّ مُرِنّة مِرنان

حتى تعودَ الأرضَ بعدَ ذُبولها ... شتّى النماء كثيرةَ الالوان
بلدٌ خلعتُ بها عذارَ شبيبتي ... وطرحتُ في يُمْنى الغرامِ عناني
فصعيدُها أحوى النباتِ وسرحُها ... ألمى الظلال وزهرُها متداني
فارقتها طلبا لما هو كائن ... والمرءُ طوعُ تقلّب الازمان
حمل الزمان على ما لم أجنه ... إن الأماثل عُرضة الحدثان
نقموا عليّ وقد فتكتُ شجاعتي ... إن الشجاعة حلية الفتيان
فليهنأ الدهر الغيور برحلتي ... عن مصر وليهدأ صروف زماني
فلئن رجعت وسوف أرجع واثقا ... بالله أعلمتُ الزمان مكاني
صادقت بعض القوم حتى خانني ... وحفظت منه مغيبه فرماني
زعم النصيحة بعد أنْ بلغتْ به ... غِشا وجازى الحقَّ بالبهتان
فليجر بعدُ كما أراد بنفسه ... إن الشقيَّ مطيّة الشيطان
وكذا اللئيم اذا أصاب كرامةً ... عادى الصديق ومال بالاخوان
كل امرىء يجرى على أعراقه ... والطبع ليس يحول في الإنسان
فعلام يلتمس العدو مساءتي ... من بعد ما عرف الخلائق شاني
أنا لا أذِلُّ وانما يزعُ الفتى ... فقدُ الرجاء وقلّة الإخوان
فليعلمنّ أخو الجهالة قصره ... عنّي وان سبقت به قدمان
فلربما رجح الخسيس من الحصى ... بالدرّ عند تراجح الميزان
شرف خُصصت به وأخطأ حاسدي ... مَساءته فهذى به وقلاني

وقال السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطاراً بخارياً »

نظر الحكيم صفاته فتحيّرا ... شكلاً كطود بالبخار مسيّرا

دوماً يحن الى ديار أصوله ... بحديد قلب باللهيب تسعّرا
ويظلّ يبكى والدموع تزيده ... وجداً فيجرى فى الفضاء تستّرا
تلقاه حال السير أفعى تلتوى ... أو فارس الهيجا أثار العثيرا
أو أكرة أرسلتها ترمى بها ... غرضاً فجلّت أن ترى حال السّرى
أو سبع غابٍ قد أحسّ بصائد ... فى غابه فعدا عليه وزمجرا
فكأنه المديون جاء غريمه ... فانسلّ منه وغاب عن تلك القرى
أو أنه شهبٌ هوت من أفقها ... أو قبّة المنطاد تنبذ بالعرا
لاعجب للنيران اذ يمشى بها ... فمن اللظى تجرى الورى كي تحشرا

﴿ وقال أحمد بك شوقى يصف الجسر الواصل بين ضفتي البسفور ﴾

أميرَ المؤمنين رأيت جسراً ... أمرّ على الصراط ولا عليه
له خشب يجوع السوس فيه ... وتمضى الفأر لا تأوى اليه
ولا يتكلّف المنشار فيه ... سوى مرّ الفطيم بساعديه
ويبلى نعل من يمشى عليه ... وقبل النعل يدمى أخمصيه
وكم قد جاهد الحيوان فيه ... وخلّف فى الهزيمة حافريه
وأسمج منه فى عينى جباة ... تراهم وسطه وبجانبيه
إذا لاقيت واحدهم تصدّى ... كعفريت يشير براحتيه
ويمشى (الصدر) فيه كلّ يوم ... بموكبه السنى وحارسيه
ولكن لا يمرّ عليه إلاّ ... كما مرّت يداه بعارضيه
ومن عجب هو الجسر المعلّى ... على (البسفور) يجمع شاطئيه
يفيد حكومة السلطان مالاً ... ويعطيها الغنى من معدنيه

بجود العالمون عليه هذا بعشرته وذاك بعشرتيه
وغاية أمره أنا سمعنا لسان الحال ينشدنا لديه
(أليس من العجائب ان مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه)
(وتؤخذ باسمه الدّنيا جميعاً وما من ذاك شئٌ فى يديه)

﴿وقال حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٩١٩ م يصف حريق عابدين﴾

وافى يُقبِّلُ راحتيك العامُ وحنتْ اليك رؤوسها الأيامُ
والدّهر أقسم لا يجئُ بغير ما ترضى وكم برّت له أقسامُ
فاقبل معاذير الزّمان فطالما قبلت معاذرَ المُنيب كرامُ
واغفر جنايته على القصر الذى لم تحوِ مصر نظيره والشام
شبّتْ به النيران فارتاعت لها مُهج الأنام وهالها استعظام
لولا الدّخان أحاط حول لهيبها ما شكّ فردٌ أنها أعلام
أمرٌ به نفذ القضاء وليس فى أحكامه نقضٌ ولا إبرام
بل حكمةٌ شاء الإله بيانها لعباده ليذيع الاستسلام
حتى يروا ان الملوك وان علوا قدراً تسير عليهم الأحكام
فاذا اقتدى بهم الرّعيّة أحسنوا صبراً وخفّت عنهم الآلام

عينُ السّماء لعابدينَ تطلعت حسَداً عليك وللعيون سهام
وتشوّق القصر الكريم لاهله والشّوق فى قلب المحبّ ضرام
لم يستطع صبراً على طول النوى والصبر فى شرع الغرام حرام
فتصعّدت زفراتهُ وتأججت جمراته والصبّ كيف يُلام
لولا الدموع من المطافئ ما انقضى منهُ الهيام ولم يُبلّ اوام

خَرقت طباقَ الجوّ إلاّ أنّها بُرْدٌ قُصارى أمرها وسلام
هذا — وكم من نعمةٍ فى نقمة طوِيَتْ فلم تفطن لها الأفهام

﴿ وقال يصف ابتهاج الأمة بالأمير ﴾

طاروا سروراً من شهود أميرهم فكأنّهم حول القطار حَمامُ
يتسابقون إلى اجتلاء سُمُوّه وبهم زفير نحوه وهُيام
لو لم تكن نارُ القطار لجرّه وَجدٌ بجيش بصدرهم وَغرام
فى كل رستاق وكل مدينة شوقًا اليك تجمّعٌ وزحام
من كل فجّ ينسلون فأترعت بهم الوهاد وماجت الآكام
والنور أمسى أبحراً غرق الدجى فيها ومات بلجّها الاظلام
فكأنّ وجه الأرض وجهاً بلجٌ بين الكواكب والغمام لثام
والناس من كل الجوانب هتّف عِشْ ياعزيز يحُوطك الإعظام

﴿ وقال حافظ بك ابراهيم يصف خزان أسوان ويمدح الحضرة الخديوية ﴾

أخزّان مِصرٍ أنتَ أم هرَمَا مصر أجلُّ وأسمى فى المكانة والقَدر
أعدتَ لنا مجدَ القرُون التى مضت وَجدّدتَ من عَهدِ الفَراعنَةِ الغُر
وهيهاتَ ما أهرامُ مصر وان سمت بأرفعَ رأساً من حضيضِكَ لو تدرى
وليس سَنَانُ بنُ المُشلّلِ خالِداً بأنبهَ من «عباسٍ» عصرِكَ فى الذّكر
وما قَطَراتُ السّحب كالدُّرّ تنهمى بألطفَ وقعًا من عقيقِك اذ يجرى
وما أنتَ خزّانُ المياهِ وطميها وإبليزها بل خازنُ الدرّ والتّبْر
تدَفقتَ بالخيرات من كلّ جانب وجمّعتَ أقطارَ المنافعِ فى قطْر
فقل للغوادى والرّوائح تنجلى وفى غير مصرٍ فلتَسِحَّ على قفر

إذا ما جرت أمواهُها دُونَ حاجةٍ　　وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضَربْت على آثار مصر ولم يكن　　ليطْمِسَها لولا جلَالك من إثْر
ألا فلتَسُدْ مِصرٌ على كلّ بُقعةٍ　　به ولْيُطاول قُطرُها مسقَطَ القَطر
بناءُ من الدّهر أستعار بقاءَهُ　　وأقسم ألّا يُستَرَدّ من الدّهر

الباب الخامس

فى الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات — قال النّابغة الذ بيانى

يا دارَ مَيّة بالعلياءِ فالسّند　　أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأبدِ (١)
وَقفتُ فيها أُصَيلالاً أُسائلُها　　عيّتْ جوابًا وما بالرّبْع من أحدِ (٢)
إلا أواريَّ لأْيًا ما أبيّنُها　　والنُّؤْى كالحوضِ بالمظلومة الجلَد (٣)
رُدَّتْ عليه أقاصيهِ ولبّده　　ضربُ الوَليدة بالمِسْحاةِ فى الثّأَد (٤)
خلّتْ سبيلَ أتيٍّ كان يحبسهُ　　ورفّعتْهُ الى السَّجفَيْن فالنّضَد (٥)

---

(١) العلياء المكان العالى ؛ والسند محركة ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح واقوت الدار خلت من السكان والابد الزمان الماضى (٢) اصل اصيلا اصيلانا بالنون تصغير اصلان جمع اصيل وهو العشى ابدلت النون لا ما وعيت اى حصرت وعجزت عن الجواب (٣) اوارى منصوب على انه مستثنى منقطع وهو جمع آري بمعنى الآخية والآخيه كآنية الوتد الذي فى رأسه حلقة يدق فى الحائط او يدفن فى الارض لتربط فيه الدواب ولأْياً ما أى بعد جهد ما انظرها والنؤى الحفير حول الخباء او الخيمة يمنع السيل والمظلومة الارض التى حفر فيها حوض وليست بموضع حفر كان حفر الحوض فيها مع انها ليست بموضعه ظلم لها والجلد الارض الصلبة المستوية المتن (٤) ردت بالبناء للمجهول ولبده الصق بعضه ببعض والمسحاة هى آلة يجرف بها الطين الثأد الطين (٥) الآتي الجدول الذي تؤتيه الى ارضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود الى النؤى والسجفين الستارتان اللتان يلقان على الباب او الشباك والمراد بهما هنا اللتان يلقان على الباب والنضد متاع البيت المنظم

أضحتْ خلاءً وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذى أخنَى على لُبَد [1]

﴿ وقال المُغيرة بن حبناء ﴾

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ... ولا تك فى كل الأمور تعاتبهْ

فانك لن تلقى أخاك مُهذباً ... وأىُّ امرئ ينجو من العيب صاحبه

أخوك الذى لا ينقض النأى عهده ... ولا عند صرف الدهر يَزْوَرُّ جانبه

وليس الذى يلقاك فى البشر والرضا ... وان غبتَ عنه لسعتك عقاربه

﴿ وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ ﻫ ﴾

أقلِل عتابك فالبقاء قليلُ ... والدهر يعدلُ مرةً ويميلُ

لم أبكِ من زمن ذممت صروفَه ... إلا بكيتُ عليه حين يزُول

ولكلّ نائبةٍ ألمتْ فرْجةٌ ... ولكلّ حال أقبلتْ تحويل

والمُنتمون الى الصفاء جماعةٌ ... إن حصّلوا أفناهمُ التحصيل

وأجلُّ أسباب المنيّة والردى ... يومٌ سيقطعُ بيننا ويحول

فلئن سبقت لتفجعنّ بصاحب ... حبلُ الصفاء بحبله موْصول

لعلّ أيامَ البقاء قليلةٌ ... فعلامَ يكثر عتبنا ويطول

﴿ وقال شاعر الحجاز المُخضرمى مَعْن بن أُوس المُزَنىّ المتوفى سنة ٢٩ ﻫ ﴾

لَعمرُك ما أدرى وإنى لأوجَلُ ... على أيّنا تَعدُو المنيّة أوّلُ

وإنى أخوك الدائم العهد لم أخُن ... إن ابزاك خَصم أو نَبا بك منزلُ

أُحارب من حاربتَ من ذى عداوة ... وأحبِس مالى إن غَرِمتَ فأعقلُ

---

(١) احتملوا ذهبوا من دار الى اخرى واخنى عليها أهلكها يقال ان لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نسور كلما هلك نسر خلفه نسر آخر وكان آخرها لبد على وزن صرد

وإنى على أشياء منك تُريبُني قديمًا لذُو صَفحٍ على ذاك مجملُ
ستقطع فى الدُّنيا إذا ما قطعتنى يمينك فانظر أىَّ كفٍّ تبدّلُ
اذا أنت لم تُنصِف أخاك وجدتَه على طرَفِ الهجران إن كان يعقلُ
ويركَب حدَّ السّيف من أن تَضيمه إذا لم يكن عن شفرة السّيف مزحَلُ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظنّتي وبدّل سوءًا بالذى كنتُ أفعَل
قلَبتُ له ظهر المِجَنّ فلم أدُم على ذاك إلا رَيثما أتحوّل
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخرَ الدَّهر تُقبِل

﴿ وقال بهاء الدين زهير معتذراً لتأخيره عن لقاء بعض أصحابه ﴾

على الطائر الميمون يا خيرَ قادِم وأهلاً وسهلاً بالعلا والمكارم
قدمتَ بحمد الله أكرم مقدم مدى الدّهر يبقى ذكره فى المواسم
قدومًا به الدّنيا أضاءت وأشرقت ببشرِ وُجوهٍ أو بضوء مباسم
فيا حسنَ ركبٍ جئت فيه مسلّمًا ويا طيب ما أهدته أيدى الرّواسم
أمولاى سامحنى فانك أهله وإن لم تسامحنى فما أنت ظالمى
ووالله ما حالت عهودُ مودّتى وتلك يمين لست فيها بآثم
مقيمٌ ، وقلبى فى رحالك سائر لعلّك ترضاه لبعض المواسم
ولو كنتَ عنه سائلاً لوجدته على بابك الميمون أوّل قادم
وإلا فسل عنه ركابك فى الدُّجى لقد برئت من لثمه للمياسم

﴿ وقال محمد بن زُرَيق البغدادى نادماً على الإفراط فى طلب الدنيا ﴾
« وكان قصد الأندلس فى طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه »

لا تعذُليه فانّ العذلَ يُولعه قد قلت حقًّا ولكن ليس يَسمعه

جاوَزْتِ فى لَوْمِهِ حدًّا أضَرَّ به ... من حيث قدَّرْتِ أنَّ اللَّوْم يَنفعهَ
فاستعملي الرِّفْقَ فى تأنيبه بدلاً ... من عُنْفه فهو مُضنَي القلب مُوجَعُهُ
قد كان مُضطلِعًا بالخَطْب يَحْمله ... فضُيِّقَتِ بخطوب البَين أضلُعُهُ
يكفيه من لوْعة التفْنيد أنّ له ... من النَّوى كلّ يوم ما يُرَوِّعه
ما آبَ من سَفرٍ إلا وأزعَجَه ... رأىٌ إلى سفرٍ بالعزم يَجْمَعُهُ
كأنّما هو من حِلّ ومُرْتَحَل ... مُوكلٌ بفضاء الارض يَذرعه
اذا الزّمانُ أراه فى الرّحيل غِنًى ... ولو الى السِّنْد أضحى وهو يُزْمِعهُ
تأبى المَطامِع إلا أن تُجَشِّمه ... للرِّزْق كَدًّا وكم ممن يُودِّعه

وما مُجاهدةُ الأنسان تُوصِلهُ ... رزقًا ولا دَعَةُ الأنسان تَقْطَعُهُ
واللهُ قسَّم بينَ الخلق رِزقَهُمُ ... لم يَخلق اللهُ مخلوقًا يُضيِّعه
لكنهم مُلئوا حِرصًا فلستَ تَرى ... مُسْتَرْزقًا وسوى الغايات يُقْنِعُهُ
والسَّعى فى الرزق والأرزاقُ قدقسِمت ... بَغْىٌ ألا إنّ بَغْيَ المرء يَصْرَعه
والدّهر يُعطى الفتى ماليس يطلُبُهُ ... يومًا ويمنعهُ من حيث يُطمِعهُ
أستودع الله فى بَغْداد لى قمرا ... بالكَرْخ من فلكِ الأزرار مطْلَعُهُ
ودَّعتُهُ وبوُدّى لو يُودِّعُنى ... صَفْو الحياة وانى لا أُودّعه
وكم تشفّع أني لا أفارقه ... وللضرورات حالٌ لا تُشَفِّعه
وكم تَشبّث بى يومَ الرّحيل ضُحًى ... وأدمُعى مُسْتَهِلّات وأدمعه
لا أكْذبُ اللهَ ثوبُ العُذْرِ مُنخرِق ... عنّى بفرقته لكن أُرَقّعه
أني أُوَسّع عُذرى فى جنايته ... بالبَيْن عنه وقلبى لا يُوسّعه
أُعطيتُ مُلكًا فلم أحسِنْ سياسته ... كذاك من لا يَسُوس المُلك يُخلعه

ومَن غدا لابساً ثوب النّعيم بلا شُكرِ الإلـه فعنهُ اللهُ ينزعهُ

*
* *

اعتَضتُ عن وجه خِلّي بعد فرقته كأساً أُجرَّعُ منها ما أُجرّعهُ
كم قائلٍ لىَ ذنبُ البَين قلتُ له الذّنب والله ذنبي لستُ أدفعه
هلاّ أقمتُ فكان الرُّشد أجمعه لو أنني يومَ بانَ الرُّشدُ أتبعهُ
إني لأقطع أيّامى وأُنفِدُها بحسرةٍ منه في قلبي تُقطّعه
بمن اذا هجع النوّام بتُّ لهُ بلوعةٍ منهُ ليلى لستُ أهجعهُ
لا يطمئنُّ لجنبي مضجعٌ وكذا لا يطمئنّ له مُذ بِنْتُ مضجعهُ
ما كنتُ أحسبُ أنّ الدّهر يفجعني به ولا أنّ بى الأيامُ تفجعه
حتى جرى الدّهر فيما بيننا بيَدِ عَسْراء تمنعنى حظّى وتمنعهُ

*
* *

باللهِ يا منزل القصف الذى دَرَست آثارهُ وعفتْ مذ غبتُ أربعُهُ
هل الزّمان مُعيدٌ فيك لذّتنا ؟ أم الليالى التي أمضتهُ ترجعهُ
فى ذمّة الله مَن أصبحتَ منزلَه وجادَ غيثٌ على مَغناكَ يمرعهُ
مَنْ عنده لىَ عهدٌ لا يُضيّعهُ كما لهُ عهدُ صدقٍ لا أُضيّعه
ومن يُصَدّع قلبى ذِكرُه واذا جرى على قلبه ذكرى يُصدّعه
لأصبرَنّ لدهرٍ لا يمتّعنى بهِ ولا بىَ فى حالٍ يُمتّعه
علما بأنّ اصطبارى مُعقِب فرجا وأضيقُ الأمرِ إن فكّرتَ أوسعه
علّ الليالى التى أضنت بفرقتنا جسمى ستجمعنى يوماً وتجمعه
وإن تنل أحداً منّا منيّتهُ فما الذى بقضاء الله يصنعه

﴿ وقال حافظ بك ابراهيم « بين اليقظة والمنام » في استعطاف الزمان ﴾

أشرقْ فَدَتْكَ مشارقُ الإِصباحِ وأَمِطْ لثامك عن نهار ضَاحِ

بوركتَ يا يومَ الخلاصِ ولا وَنَتْ عنكَ السُّعودُ بغدوة ورواحِ

باللهِ كنْ يُمنا وكنْ بُشري لنا في ردِّ مُغْتربٍ وفكِّ سَراحِ

أقبلتَ والأيامُ حولكَ مثَّلٌ صفَّين تخطرُ خَطرةَ الميَّاحِ

وخرجتَ من حُجُبِ الغُيوبِ مُحجَّلا في كلِّ لحظ منك ألفُ صباحِ

لو صحَّ في هذا الوجودِ تناسُخٌ لرأيتُ فيكَ تنَاسُخَ الأرواحِ

ولكنتَ يومَ « اللابرنت » بعينهِ في عزةٍ وجلالة وسَماحِ

يومٌ يُريك جلالُهُ ورُواؤهُ في الحسن قدرةَ فالق الإِصباحِ

خلعتْ عليهِ الشمسُ حُلَّة عسجدٍ وحباه آذارٌ أرقَّ وشاحِ

اللهُ أثبته لنا في لوحهِ أبدَ الابيدِ فما له من ماحِ

حيّيهِ عنَّا يا أزاهرُ واملئي أرجاءَهُ بأريجك الفيّاحِ

وانفحهُ عنا يا ربيعُ بكلِّ ما أطلعتَ من رَنْد ونَوْر اقاحِ

للنيلِ مجدٌ في الزَّمانِ مؤَثَّلٌ من عهدِ « آمون » وعهدِ « فُتَاح »

فَسلَ العُصُورَ بِهِ وسلْ آثارَهُ في مصرَ كم شهدتْ من السيَّاحِ

قدْ قالَ عُمْروٌ في ثَراها آيةً مأثورةً نقِشَتْ على الألواحِ

بيناثَراهُ لآلئاً وكأنما نُثرتْ بتُربتِهِ عقودُ ملِاحِ

واذا بِهِ للنــاظرين زُمرُّد يَشفيك أخضرُهُ من الأتراحِ

واذا بهِ مسكٌ تشقُّ سوادَهُ شقَّ الاديمِ محـارثُ الفلاَّحِ

قُم يا ابنَ مصرَ فأنت حرٌّ واستعِدْ مجدَ الجُدُود ولا تَعُدْ لمِزَاحِ

شمّرْ وكافحْ فى الحياةِ فهذهِ ... دنياكَ دارُ تناحرٍ وكفاحِ
وانهل مع النُّهّالِ من عذبِ الحيا ... فاذا رنقا فامتحْ مع المُتّاحِ
واذا ألحَّ عليك خطبٌ لا تَهِن ... واضربْ على الإلحاحِ بالإلحاحِ
وخُضِ الحياةَ وان تلاطمَ موجُها ... خوضَ البحارِ رياضةُ السبّاحِ
واجعل عِيانكَ قبلَ خطوكَ رائداً ... لا تحسبنَّ الغمرَ كالضحضاحِ

واذا احتوتك محلّةٌ وتنكّرت ... لك فاعدُها وانزحْ مع النزّاحِ
فى البحرِ لا تثنيك نارُ بوارجٍ ... في البرّ لا يلويك غابُ رماحِ
وانظرْ الى الغربيّ كيف سمتْ به ... بين الشعوب طبيعةُ الكدّاحِ
واللهِ ما بلغتْ بنو الغربِ المُنى ... إلاّ بنيّاتٍ هناك صِحاحِ
ركبوا البحارَ وقد تجمّدَ ماؤها ... والجوّ بين تناوُحِ الأرواحِ
والبرَّ مصهورَ الحصى متأجّجاً ... يرمى بنزّاعِ الشوى أوّاحِ
يلقى فتيُّهمُ الزمانَ بهمّةٍ ... عجبٍ ووجهٍ فى الخطوبِ وقاحِ
ويشقُّ أجوازَ القفارِ مغامراً ... وعرُ الطريقِ لديهِ كالصحصاحِ
وابن الكنانةِ في الكنانةِ راكدٌ ... يرنو بعينٍ غيرِ ذاتِ طِماحِ
لا يستغلُّ ، كما علمتَ ، ذكاءهُ ... وذكاؤهُ كالخاطفِ اللمّاحِ
أمسى كماءِ النهرِ ضاعَ فُراتُهُ ... فى البحرِ بين أُجاجِهِ المُنداحِ
فانهضْ ودعْ شكوى الزمانِ ولا تنُحْ ... فى فادحِ البؤسى مع الأنواحِ
وارحلْ لمصرَ برأسِ مالكَ عزّةً ... إنّ الذكاءَ حُبالةُ الارباحِ
وإذا رُزقتَ رياسةً فانسجْ لها ... بُردينِ من حزمٍ ومن إسجاحِ
واشربْ من الماءِ القراحِ مُنعّماً ... فلكمْ وردتَ الماءَ غيرَ قراحِ

الباب السادس

﴿ فى التهانى والتهادى والاغراء — قال أبو الطيب المتنبى ﴾

المجد عُوفِىَ إذ عُوفيتَ والكرمُ ... وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
صحّتْ بصِحّتك الغاراتُ وابتهجت ... بها المكارمُ وانهلّت بها الديَمُ
وراجع الشمسَ نورٌ كان فارقها ... كأنّما فقدُه فى جسمها سقَمُ
ولاحَ برقُك لى منْ عارضَىْ ملك ... ما يسقطُ الغيثُ إلا حين يبتسمُ
يُسْمى الحُسام وليست مشابهة ... وكيفَ يَشْتَبِه المخدوم والخدم
تفرّدَ العُرْبُ في الدُّنيا بمحتِدِه ... وشاركَ العُربَ في إحسانه العجمُ
وأخلصَ اللهُ للاسلام نُصْرَته ... وإن تقلّبَ فى آلائه الاممُ
وما أخصُّك فى بُرْء بتهنئة ... اذا سلِمتَ فكلّ الناس قد سلموا

﴿ وقال الصّاحب بن عبّاد ﴾

هذى المكارم والعلياء تفتخرُ ... بيوم مأثرة ساعاته غُررُ
يومٌ تبسّم عنه الدّهر واجتمعت ... له السّعود وأغضت دونه الغِيرِ
حتى كأنا نرى فى كل مُلتفت ... روضاً تفتّحَ فى أثنائه الزّهر
لما تجلى عن الآمال مُشْرِقةً ... قالَ العلى بك أستعلى وأقتدر
وافى على غير ميعادٍ يُبشّرنا ... بأن ستتبعه أمثالهُ الأُخر
أهنا المسرّات ما جاءت مفاجأةً ... وما تناجى بها الألفاظ والفكرُ
لو أن بشرى تلقّتها بموردها ... لأقبلت نحوها الأرواح تبتدر
وما تعنّف من يَسخو بمهجته ... فإنّ يومك هذا وحده عُمُرُ

فما غدوت وما للعين منقلبٌ ... إلا الى منظر يبهى ويختبر
ثنت مهابتك الأبصار حاسرة ... حتى تبيّن فى ألحاظها خزر (١)
اذا تأملتهم غضوا وإن نظروا ... خلال ذاك فأدنى لفتة نظروا
فى ملبس ما رأته عين معترض ... فشكٌ فى أنه أخلاقك الزُّهر
ألبسته منك نوراً يستضاء به ... كما أضاء ضواحى مزنه القمر (٢)
وقد تقلدت عضباً أنت مضربه ... وعنك يأخذ ما يأتى وما يذر
ما زال يزداد من إشراق غرته ... زهراً ويشرق فيه التيه والأشر (٣)
والشمس تحسد طرفاً أنت راكبه ... حتى تكاد من الأفلاك تنحدر
حتى لقد خلت أن الشمس أزعجها ... شوقاً وظلت على عطفيه تنتثر

﴿ وقال أبو أذينة يغرى الأسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاً له ﴾

ما كلُّ يوم ينالُ المرء ما طلبا ... ولا يُسوِّغهُ المقدارُ ما وهبا
وأحزمُ الناسِ مَنْ إن فرصة عرضت ... لم يجعل السببَ الموصول منقضبا
وأنصفُ الناس فى كل المواطن مَنْ ... سقى المعادين بالكاس الذى شربا
وليس يظلمهم مَنْ راح يضربهم ... بحدّ سيفٍ بهِ مَنْ قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرُمَةٌ ... منْ قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلتَ عمراً وتستبقى يزيدَ لقد ... رأيتَ رأياً يجرُّ الويلَ والحربا
لا تقطعَنْ ذَنَب الأفعى وترسلها ... إن كنتَ شهماً فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جُزُراً ... وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا

(١) الخزر ضيق العين وصغرها (٢) المزن السحاب أو ابيض ويقال للهلال بن مزنة وهو القطعة من المزن لخروجه منها (٣) الاشر بفتح الشين المرح والاختيال

إن تَعفُ عنهم يقول الناس كلهم ... لم يعفُ حلماً ولكن عفوه رَهَبا

همُ أهلّة غسّان ومجدهمُ ... عال فإن حاولوا مُلكا فلا عجبا

وعرّضوا بفداء واصفين لنا ... خيلاً وابلاً تَرُوقُ العُجم والعرَبا

أيجلبُون دماً منّا ونحلبُهم ... رسلاً ، لقد شرفونا فى الورى حلَبا

﴿ وقال صفىّ الدّين الحلّي يحرّض السلطان الملك الصالح ﴾

(على الاحتراز من المغول ومنافرتهم عند اقبالهم و يهنيه بعيد النحر)

لا يمتطى المجدَ مَنْ لم يركَبِ الخطرا ... ولا ينال العلاَ من قدّم الحذَرَا

ومن أراد العلاَ عفواً بلاَ تعب ... قضى ولم يقضِ من ادراكها وطَرا

لا بُدّ للشّهد من نحل يمنّعهُ ... لا يجتنى النّفعَ من لم يحملِ الضّررا

لا يُبلغ السّؤل الا بعد مؤلمة ... ولا يتمّ المنى الاّ لمن صبرا

وأحزم الناس مَنْ لو مات من ظماء ... لا يقربُ الوردَ حتى يعرف الصدرا

وأغزرُ الناسِ عقلاً مَن اذا نظرت ... عيناه أمراً غدا بالغير معتبرَا

فقد يقال عِثارُ الرّجل ان عثرت ... ولا يقال عِثار الرّأى ان عثرا

من دبّر العيش بالآراء دام له ... صفواً وجاء اليهِ الخطبُ مُعتذراً

يَهونُ بالرّأى ما يجرى القضاء به ... من أخطأ الرّأى لا يستذنبُ القدرا

مَن فاته العزُّ بالأقلام أدركه ... بالبيض يقدح من أطرافها الشّررا

بكلّ أبيضَ قد أجرى الفرِندَ به ... ماء الرّدَى فلو استقطرتهُ قَطَرا

خاض العجاجة عُرياناً فما انقشعت ... حتى أتى بدم الأبطال مؤتزرا

لا يَحسُنُ الحلمُ الا فى مواطنه ... ولا يليق الوفا الّا لمن شكرا

ولا ينال العلى الاّ فتى شرُفَتْ ... خِلاَلهُ فأطاع الدّهرُ ما أمرا

كالصّالح الملكِ المرهُوبِ سطوتُه ... فلو توعّد قلب الدهر لانفطَرا
لما رأى الشّرَّ قد أبدى نواجذَه ... والغَدْرَ عن نابه للحرب قد كَشَرَا
رَأى القِسِيّ إناثًا عن حقيقتها ... فعافها واستشارَ الصّارِمِ الذّكرا
فجرّدَ العزمَ مِنْ قَبل الصّفاح لها ... مَلْكٌ عن البيض يستغنى بما شهرا
يكاد يُقرأُ مِنْ عُنوان هِمّتِه ... ما فى صحائِف ظهر الغَيبِ قَد سُطرا
كالبحر والدهر فى يَومى نَدًى ورَدًى ... واللّيثِ والغَيث فى يَومى وَغى وقِرَى
ما جاد للنّاس إلاّ قَبل ما سألوا ... ولا عفا قطُّ إلاّ بعد ما قدَرا
لامُوه في بَذله الأموال قلت لهم ... هل تقدِر السُّحبُ ألاّ تُرسِلَ المطرا
إذا غدا الغُصنُ غَضّاً من مَنابته ... من شاء فليَجن من أفنانِه الثّمرَا
من آل أرتق المشهور ذكرُهم ... اذ كان كالمسك إن أخفَيتَهُ ظهرا
الحاملينَ من الخطّيّ أطوله ... والناقلين من الأسياف ما قصَرا
لم يرحلوا عن حِمى أرض اذا نزلوا ... الاّ وأبقوا بها من جُودهم أثرا
تَبقى صنائعهم فى الأرض بعدهمُ ... والغيثُ ان سار أبقى بعده الزّهرَا
لله درُّ سما الشّهباء مِن فَلَكٍ ... وكلّما غاب نجمٌ أطلعت قَمرا
يا أيّها الملك البانى لدولته ... ذكراً طوى ذكر أهل الأرض وانتشَرا
كانت عداك لها دستٌ فقد صدعت ... حَصاةُ جدّك ذاك الدّستَ فانكسرا
فأوقعْ اذا غدروا سوْطَ العذاب بهم ... يَظلّ يخشاك صَرفُ الدّهر ان غدرا
ظنّوا تأنّيك من عجز وما علموا ... أنّ التانيَ فيهم يُعقب الظّفَرا
أحسنْتَهُم فَبغَوا جهلا وما اعترفوا ... بصُنعكم ومَن جَحد النُّعمى فقد كفرا
واسعَد بعيدك ذا الاضحى وضَحّ به ... وصِلْ وَصَلِّ لربّ العرش مؤتمرا

وانحرْ عِداكَ فبالإنعام ما انصلحوا ان كان غيرك للأنعام قد نحرا

﴿ وقال المرحوم عبدالله باشا فكرى يهنئ الخديوى توفيق بتولية مصر ﴾

اليومَ يستقبل الآمالَ راجيها وينجلى عن سماء العزّ داجيها

وتزدهى مصرُ والنيل السّعيد بها والمُلك والدّين والدُّنيا وما فيها

قد أطلع الله فى سعد السّعود سنى بدرٌ بلألائه ابيضتْ ليـاليها

ذو همّة دون أدنى شأوها قصرت غايات مَن رام فى أمرٍ يُدانيها

وراحة لو تحاكيها السّحائبُ فى فيض النّدى هطَلَت تِبراً غواديها

ورأفة بعباد الله كافلة بخير ما حـدّثتْ نفساً أمانيها

تَربو على وصف مُطريه محاسنُه وهل يَعُدّ نجومَ الأُفق راعيها

توفيق مصر ومولاها ومَوئلها وركنهـا ومُفدّاها وفاديها

وغصنها النّضر أنمتـه منابتها من دوحة أينعت فيهـا مجانيها

خديوها ابن خديويها ابن فارسها أميرها البَطل الشّهم ابن واليها

لله يومٌ جـلا عن نور غرّته كالشّمس مزّق بُردالغيم ضاحيها

يسير فى مصر والبشرى تسابقه من حيث سار وتسرى فى نواحيها

فلتفتخر مصر إعجاباً بحاضرها على محـاسن ماضـيها وآتيهـا

هذا الذى كانت الآمال ترقبُ دهراً وتعتـدُّه أقصى مراميها

ما زال فى قلب مصرا من محبّته سرٌّ تبوح بهِ نجوى أهاليها

تصبو له وأمانيهـا تطاوعها فى حبّـهِ ولياليهـا تعاصـيها

وترتجيه من الرّحمن سائلة حتى استُجيب بما ترجوه داعيها

فالحمد لله شكراناً لأنعمه فالشـكر حافظ نُعماه وواقيها

﴿ وقال مؤلف هذا الكتاب مهنئاً صديقه المرحوم الشيخ علي يوسف بك ﴾
(صاحب جريدة المؤيد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من أوروبا)

(عليٌّ) القدرِ ذو الشرَفِ المؤيدْ	شديدُ العزمِ (يوسفُ) قد تفردْ
وَحيدُ الفضلِ والعلياءُ تشهدْ	رَفيعُ المجدِ فى عزٍّ وَسؤددْ
شريفُ النفسِ محمودُ السجايا	عَريقُ الأصل فى المعروف أوحد
همامٌ ما لهُ أبداً مثيلٌ	بليغُ النطقِ فى الكُتَّابِ مفردْ
مُحبٌّ العدلَ مشكور المساعى	عليمٌ بالسياسةِ بل (مؤيدْ)
قويُّ البأس بسام الثنايا	سَعيد الجدِّ ذو قدرٍ مُمَجدْ
فمن يكُ راقياً شرف المعالى	كمثلك فى الورى لا شكَّ يحمد
وكيفَ وأنت أعظم من تصدّى	لتأييد الصحافةِ (بالمؤيد)
وكيف وأنت أفوق كل رامٍ	بسهمٍ للكتابةِ قد تجردْ
وليس الشمس تخفى عن عيونٍ	سِوَى أن كان صاحبهنّ أرمدْ
وان البدرَ بالأنوار زاهٍ	ويأبى الله الا أن تؤيدْ
فسبحانَ الذى أسرى (علياً)	الى التأميز والسَّنن المُنَضد
تُهنيكَ المناصبَ كلَّ وقت	وتخدمك السعادة ما تجدد
فدُم يا سيدي بدراً منيراً	وحصناً للمعالى قد تشيد
وهاكَ من المُحبِّ قصيد شعرٍ	تُشيرُ الى وفائى بل وتشهدْ
تفاخرُ مصرُ أهل الشرق فيها	تقول الهاشميُّ شدا وأنشد

﴿ وقال محمد حافظ بك ابراهيم مهنئاً أبناء وطنه بالعام الهجرى ﴾

أهلاً بنابتةِ البلادِ ومَرْحباً جددتمُ العهد الذى قد أُخلقا
لا تيأسوا أن تستردُّوا مجدكم فلرُبَّ مغلوب هوَى ثمَّ ارْتقى
مدَّتْ لهُ الآمال فى أفلاكها خيط الرَّجاء الى العُلا فتسلقَّ
فتجشَّموا للمجد كلَّ عظيمةٍ انى رأيتُ المجدَ صعبَ المُرْتقى
من رامَ وصلَ الشمس حاكَ خيوطها سبباً الى آماله وتعلَّقا
عار على ابن النيل سبَّاق الورى مهما تغلَّبَ دهرهُ أن يُسبقا
أوَ كُلّما قالوا تجمَّعَ شملهُ لعبَ الخِلاَف بجمْعِنا فتفرَّقا
فتدفقوا حُججاً وخوضوا نيلكم فلَـكم أفاضَ عليكمْ وتدفَّقا
حملوا علينا بالزمان وصرفهِ فتأنقوا فى سلبنا وتأنقا
فتعلّموا فالعلم مفتاح العُلاَ لم يُبق باباً للسعادة مُغلقَا
ثم استمدُّوا منهُ كل قوَاكمُ أنّ القوىَّ بكلّ أرضٍ يُتَّقى
وابنوا حوالى حوضكم منْ يقظةٍ سوراً وخطوا من حذارٍ خندقاً
وزنوا الكلام وسدّدوه فانهم خبؤا لكم فى كل حرف مزلقا
وامشوا على حذَرٍ فان طريقكم وَعْرٌ أطاف بهِ الهلاكَ وحلّقَا
نصبوا لكم فيه الفخاخَ وأرصدُوا للسالكين بكل فجٍّ موبقا
الموتُ فى غشيانه وطُروقه والموُت كل الموت ألاّ يطرقَا
فتحيَّنوا فُرَصُ الحياة ثمينَه وتعجّلوها بالعزائم والرّقَى
أو فاخلقوها قادرين فإنما فُرَصُ الحياة خليقة أن تخلقا

الباب السابع فى المراثى

﴿ قال المُهلهل التّغلبى يرثى أخاهُ كليبًا وهو جاهلى توفى سنة ٥٣١ م ﴾

أهاجَ قذَاء عينىَ الادِّكارُ ؟ هدُوءًا فالدموع لها انهمارُ
وصار الليل مُشتملاً علينا كأنّ الليلَ ليسَ لهُ نهار
وبتُّ أراقِب الجوزاء حتى تقاربَ من أوائلها انحدار
أصرِّف مُقلتى فى إثْرِ قوم تباينت البلادُ بهم فغاروا
وأبكى والنّجومُ مُطلّعات كأن لم تحوِها عنّى البحارُ
على من لو نُعيت وكان حيًّا لقَاد الخيلَ يحجبُها الغُبار

***

دَعوتك يا كليب فلم تجبنى وكيف يجيبُنى البلَد القِفار ؟
أجبنى يا كُليب خلاك ذمّ ضَنينات النفوس لها مَزَار
أجبنى يا كُليب خلاك ذمٌّ لقد فُجعت بفارسها نِزَار
سقاك الغيث إنك كنت غيثًا ويُسْرًا حين يُلتمس اليَسار
أبَتْ عيناىَ بعدك أن تَكُفّا كأنّ غضا القَتاد لها شِفار
وإنك كنتَ تحلُمُ عن رجال وتعفو عنهمُ ولكَ اقتدار
وتمنعُ أن يَمَسَّهُمُ لسانٌ مخافة من يجير ولا يُجار
وكنت أعُدّ قربى منك ربحًا اذا ما عدّت الرّبحَ التّجار
فلا تَبعُد فكلٌّ سوف يلقى شعوبًا يَستدير بها المَدار
يعيش المرء عند بنى أبيه ويوشِك أن يصير بحيث صاروا
أرى طول الحياة وقد تولّى كما قد يُسلب الشئ المُعار

كأنّي إذ نعى النّاعي كليباً تطاير بين جنبيّ الشّرار
فدُرت وقد غشى بصري عليه كما دارت بشاربها العقّار
سألتُ الحيّ أين دفنتموه فقالوا لي بأقصى الحيّ دار
فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النّوم وامتنع القرَار
وحادت ناقتى عن ظلّ قبرٍ ثوى فيهِ المكارم والفخر
لدى أوطان أروع لم يَشِنْهُ ولم يحدث له في الناس عار
أتغدو يا كليب معى إذا ما جبان القوم أنجاه الفرار
أتغدو يا كليب معى إذا ما حلوق القوم يَشحذُها الشّفار
أقول لتغلب والعز فيها أثيرُها لذلكم انتصار
تتابعَ اخوتى ومضَوا لأمر عليه تتابع القوم الحِسار
خُذِ العهدالأكيدعليّ عمْرِى بتركى كلّ ماحوت الدّيار
ولستُ بخالعٍ درعى وسيفى إلى أن يخلع الليلَ النّهارُ

﴿ وقال صفيّ الدّين الحِلّي يرثي غريقاً ﴾

أصفيحُ ماء أم أديمُ سماء فيهِ تغُور كواكب الجوزاء
ما كنت أعلَم قبل موتك مُوقناً أن البدورَ غرُوبها في الماء
ولقد عجبت وقد هويتَ بلجّة تجرى على رِسْلٍ بغير حَياء
لو لم يُشقّ لك العباب وطالما أشبهتَ موسى باليد البيضاء
أنِفَ العلاء عليك من لمس الثّرى وحلول باطن حفرة ظلماء
وأجلّ جسمك أن يغيّر لطفه عفن الثّرى وتكاثف الارجاء
فأحلّه جدثاً طهوراً مشبهاً أخلاقه في رقّة وصفاء

ما ذاك بِدعاً أن يضمّ صفاؤه ... نوراً يضنّ به على الغبراء
فالبحر أولى في القياس من الثرى ... بجوار تلك الدرّة الغرّاء

﴿ وقال أيضاً يرثي الملك ناصر الدين عمر ﴾

بكى عليك الحُسام والقلَمُ ... وانفجع العلمُ فيك والعلَمُ
وضجّتِ الأرضُ فالعبادُ بها ... لاطِمة والبلادُ تلتطمُ
تُظهِر أحزانها على مَلِك ... تُجلّ ملوك الورى له خدَمُ
أبلَجَ غضّ الشبابِ مُقتبَل الـ ... ـعُمر ولكنْ مجدُه هرِمُ
محكّمٍ فى الوري وآمله ... يحكمُ فى ماله ويحتكم
يجتمع المجدُ والثناء له ... وماله في الوُفود يُقتسم
قد سئِمتْ جودَه الأنامُ ولا ... يلقاه من بذله النّدي سأمُ
ما عُرِفت منه لا ولا نَعم ... بل دونهنّ الآلاء والنّعمُ
ألواهبُ الألفَ وهو مبتسمٌ ... والقاتل الألفَ وهو مُقتحِم
مبتسم والكُماةُ عابسة ... وعابسٌ والسُّيوف تبتسم
لم يعلم العالَمون ما فقدُوا ... منه ولا الأقربون ما عدِموا
ما فقدُ فرد من الأنام كمَن ... إن مات ماتت لفقده أُمَم
يا طالبَ الجُود قد قُضِي عمَرُ ... فكلّ جود وُجُودُه عدَمُ
فالناسُ كالعين إن نقدتَهمُ ... تفاوَتتْ عند نقدك القِيَمُ
مضى الذي كان للأنام أباً ... فاليومَ كلُّ الأنام قد يَتِموا
وحلّ داراً ضاقت بساكنها ... ودون أدنى دياره إرَم

﴿ وقال أبو الحسن التّهامى يرثى صغيراً له ويفتخر بفضله ويشكو زمانه وحاسديه ﴾

حكمُ المنية فى البرية جار ... ما هذه الدّنيا بدار قرار
بَيْنا يُرَى الإنسانُ فيها مخبرًا ... حتى يُرَى خبراً من الأخبار
طُبِعت على كَدَرٍ وأنتَ تريدُها ... صفواً من الأقذار والأكدار
ومكلّف الأيامِ ضد طباعها ... مُتطلّب في الماء جَذْوَة نار
واذا رجوتَ المستحيلَ فانما ... تَبْنى الرّجاء على شفير هار
فالعيشُ نومٌ والمنية يقظةٌ ... والمرء بينهما خيالٌ سار
فاقضوا مآربكم عِجالاً إنما ... أعماركم سفرٌ من الأسفار
وتراكضوا خيل الشّباب وبادِروا ... أن تُستَرَد فانهنّ عوَار
فالدّهر يُخدَع بالمنى ويغصّ ان ... هنّا ويهدِمُ ما بَنى ببوَار
ليس الزمان وان حَرَصت مسالمًا ... خُلُقُ الزّمان عداوة الأحرار
إنى وُتِرتُ بصارمٍ ذى رونَقٍ ... أعدَدْتُه لطلابةِ الأوتار
والنّفس ان رضيت بذلك أو أبتْ ... مُنقَادةٌ بأزمّةِ المقدار
أثنى عليهِ بأثرهِ ولوَ انهُ ... لم يُغتَبطْ اثنيتُ بالآثار
يا كوكبا ما كانَ أقصرَ عمرَهُ ... وكذاك عمرُ كواكب الاسحار
وهلالُ أيام مضى لم يستَدر ... بدراً ولم يُمهَل لوقتِ سِرَار
عجلَ الخُسوفُ عليه قبل أوانه ... فمحاهُ قبل مَظِنّةِ الإبدار
واستُلّ من أترابهِ ولِدَاتِهِ ... كالمُقلةِ استُلّت من الأشفار
فكأنّ قلبى قبرُه وكأنّهُ ... في طيّهِ سِرٌّ من الأسرار
ان يُغتَبط صِغراً فربّ مُقَمّم ... يبدو ضئيلَ الشخص للنظّار

إن الكواكب في عُلوّ محلّها	لتُرَى صغاراً وهي غير صغار
ولدُ المعزى بعضُهُ فاذا مضى	بعضُ الفتى فالكلّ في الآثار
أبكيهِ ثم أقولُ معتذراً لهُ	وُفّقت حين تركتَ ألأمَ دار
جاورتُ أعدائي وجاوَرَ ربّهُ	شتّانَ بين جِوارهِ وجواري
أشكو بِعادكَ لي وأنت بموضعٍ	لولا الرّدى لسمعتَ فيه مزاري
والشّرقُ نحو الغرب أقربُ شُقّةً	من بُعدِ تلك الخمسة الأشبار
هيهات قد عَلِقتكَ أسباب الرّدى	واغتالَ عمركَ قاطعُ الاعمار
ولقد جريتَ كما جريتُ لغايةٍ	فبلغتَها وأبوكَ في المِضمار
فاذا نطقتُ فأنت أوّلُ منطقي	واذا سكتُّ فأنت في أضماري
أُخفي من البُرحاء ناراً مثل ما	يُخفي من النار الزّناد الواري
وأخفّض الزّفرات وهي صواعد	وأكفكفُ العبرات وهي جوار
وشهابُ نار الحزنِ انْ طاوعتهُ	أورَى وإن عاصيتهُ مُتَوارِي
وأكُفُّ نيرانَ الأسى ولربما	غُلِبَ التّصبّرُ فارتمتْ بشرار
ثوبُ الرّياء يَشِفُّ عمّا تحتَه	واذا التحفتَ به فانك عار
قصرَتْ جفوني أم تباعدَ بينَها	أم صُوِّرتْ عيني بلا أشفار
جَفَت الكرَى حتى كأنّ غِرارَه	عند اغتماض العين وخزُ غِرار
ولو استزارت رَقْدَةً لَطحا بها	ما بين أجفاني من التيّار
أُحيي الليالي التّمّ وهي تُميتني	ويُميتُهنّ تبلّج الأسحار
حتى رأيت الصّبح تَهتِك كفّهُ	بالضّوء رفرفَ خيمةٍ كالقار
والصّبح قد غمرَ النّجوم كأنّه	سَيلٌ طَغَى فطفا على النُّوّار

لو كنتَ تمنع خاض دونك فتيةٌ ... منّا بحارَ عوامل وشِفار
ودَحَوا فُوَيق الارض أرضًا من دَم ... ثم انثنوا فبنوا سماء غُبار
قومٌ إذا لبسوا الدُّروع حَسِبتَها ... خلجًا تمدُّ بها أكُفٌّ بحار
لو شرَّعوا أيمانهم في طولها ... طعنوا بها عِوَض القَنا الخطَّار
جنبوا الجياد الى المَطيّ وراوَحوا ... بين السُّروج هناك والأكوار
وكأنما مَلَؤا عِيابَ دُروعهم ... وغمُود أنصلِهم سَرابَ قِفار
وكأنما صَنِعُ السَّوابغِ عزَّه ... ماء الحديد فصاغ ماء قرار
زَرَدًا فأحكم كلَّ موصل حَلْقة ... بحبابةٍ في موضع المِسمار
فتسرْبلوا بمُتون ماء جامدٍ ... وتقنَّعوا بحَبابِ ماءٍ جار
أُسْدٌ ولكن يُؤْثِرون بزادهم ... والأُسدُ ليس تدينُ بالإيثار
يتزيَّنُ النَّادي بحُسْن وُجوههم ... كتزيُّن الهالات بالأقمار
يتعطَّفون على المُجاور فيهمُ ... بالمُنْفِسات تعطُّفَ الآظار
من كلّ مَن جعل الظُّبى أنصارَه ... وكرُمْنَ واستغنَى عن الأنصار
واذا هو اعتقلَ القناة حَسِبتَها ... صِلًّا تأبَّطَه هِزَبْرٌ ضار
والليث ان ثاوَرتَه لم يَعتمد ... الا على الأنياب والأظفار
زَرَدُ الدِّلاص من الطِّعان بِريحه ... في الجحفَل المتضايق الجرَّار
ما بين ثوب بالدِّماء مُضمَّخٍ ... زَلِقٍ ونَقْعٍ بالطِّراد مُثار
والهُونُ في ظلّ الهُوَيْنا كامنٌ ... وجلالة الأخطار في الإخطار
تندَى أسِرَّة وجهه ويمينُه ... في حالة الإعسار والإيسار
ويَمُدُّ نحو المكرُمات أناملاً ... للرِّزق في أثنائهنَّ مَجار

يَحوِى المَعالىَ كاسِباً أو غالباً | أبداً يُدارَى دونَها ويُدَارِى
قدلاح فى ليل الشّباب كواكب | إن أُمهلت آلت إلى الإسفار
وتلهّبُ الأحشاء شيّب مفرِقى | هذا الضّياء شُواظ تلك النار
شاب القَذَال وكلُّ غصن صائرٌ | فَيْنانُه الأحوى إلى الإزهار
والشّبه مُنجذِبٌ فَلِم بيضُ الدُّمَى | عن بيض مَفرِقه ذوات نِفار
وتَوَدّ لو جعلت سوادَ قلوبها | وسواد أعيُنها خضابَ عِذار
لاتنفرُ الظّبيات عنه فقد رأت | كيف اختلاف النّبتِ فى الأطوار
شيئاَن ينقشعان أوّلَ وهلة | ظلّ الشباب وخُلّة الاشرار
لاحبذا الشيبُ الوفىّ وحبذا | ظلُّ الشّباب الخائن الغدّار
وطرى من الدّنيا الشّباب ورَوقهُ | فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى
قصُرَت مسافته وما حسناته | عنـدى ولا آلاؤه بقِصار
نزداد همّاً كلّما ازددنا غِنى | والفقر كلُّ الفقر فى الإكثار
مازَاد فوقَ الزّاد خُلّف ضائعاً | في حادث أو وارث أو عار
إنى لأرحم حاسِدِىّ لحَرّ ما | ضمنتْ صدورهمُ من الأوغار
نظَرُوا صَنيع الله بى فعيونهم | فى جنّـة وَقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رمت كتم فضائلى | فـكأنما برقعتُ وجهَ نهار
وسترتها بتواضُعى فتطلّعت | أعناقها تعـلو على الأسـتار
ومن الرجال مَعالمٌ ومَجاهِل | ومن النُّجوم غوامضٌ ودرارى
والناس مشتبهون فى إيرادهم | وتفاضل الأقوام فى الإصدار
عمرى لقد أوطأتهم طرُق العلا | عَمُوا فلم يقفوا على آثارى

لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا　　وعمى البصائر من عمى الأبصار
هلاّ سعوا سعي الكرام فأدركوا　　أو سلّموا لمواقع الأقدار
وفشت خيانات الثقات وغيرهم　　حتى اتّهمنا رؤية الأبصار
ولربما اعتضدَ الحليم بجاهل　　لا خير في يُمنى بغير يَسار

﴿ ولأبي البقاء صالح بن شريف الرُّندى المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثي الأندلس ﴾

لكلّ شيء اذا ما تمّ نقصانُ　　فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دُوَل　　مَن سرّه زَمنٌ ساءَتهُ أزمان
وهذه الدّار لا تبقي على أحد　　ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمزّق الدّهر حتماً كل سابغةٍ　　اذا انبتْ مشْرَفيات وخرْصانُ
وينتضي كلَّ سَيفٍ للفناء ولو　　كان ابن ذي يَزنٍ والغِمد غُمْدَان
أين الملوك ذَووا التّيجان من يَمن　　وأين منهم أكاليلٌ وتيجان
وأين ما شاده شدّاد في إرَم　　وأين ما ساسه في الفُرْس ساسان
وأين ما حازه قارُونُ من ذَهَب　　وأين عادٌ وشدّاد وقحطَان
أتى على الكلّ أمرٌ لا مَرَدَّ له　　حتى قَضَوْا فكأنّ القومَ ما كانُوا
وصار ما كان من مُلْك ومن مَلِكٍ　　كما حكى عن خَيال الطّيف وَسْنانُ
دارَ الزّمانُ على دارَا وقاتِلِه　　وأمّ كِسْرَى فما آواه إيوَان
كأنما الصّعْب لم يَسهُل له سببٌ　　يوماً ولا مَلك الدُّنيا سُليمان
فجائعُ الدّهر أنواعٌ منوَّعة　　وللزّمان مَسرّاتٌ وأحزان
وللحوادث سُلوانٌ يُسهّلها　　وما لِما حلَّ بالاسلام سُلوَان
دَهَى الجزيرةَ أمرٌ لا عزَاء له　　هوَى له أُحدٌ وانهدّ ثهلَان

أصابها العين في الإسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية ... وأين شاطبة أم أين جيان

وأين قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما ... عسي البقاء اذا لم تبق أركان

تبكى الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الأسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر ترثى وهى عيدان

***

يا غافلاً وله فى الدهر موعظة ... ان كنت فى سنة فالدهر يقظان

وماشياً مرحاً يلهيه موطنه ... أبعد حمص تغر المرء أوطان

تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها من طوال الدهر نسيان

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها فى مجال السبق عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها فى ظلام النقع نيران

وراتعين وراء البحر فى دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان

أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوان

ألا نفوس أبيات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان

يا من لِذِلّةِ قومٍ بعد عزِّهم أحال حالَهمُ جَورٌ وطُغيان
بالأمس كانوا ملوكاً فى منازلهم واليومَ هم فى بلاد الكفر عُبْدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهمُ فى ثياب الذُلِّ ألوان
ولو رأيت بُكاهم عند بيعهمُ لهالَكَ الأمرُ واستهوتك أحزان
يا رُبَّ أمٍّ وطِفلٍ حِيل بينهما كما تُفَرَّقُ أرواح وأبدان
وطفلةٍ مثل حسن الشمس إذ طلعتْ كأنّما هي ياقوت ومَرْجان
يقودُها العِلْج للمكروه مُكرَهةً والعين باكيةٌ والقلب حيران
لمثل هذا يَذُوب القلب من كمد ان كان في القلب إسلام وإيمان

﴿ وقال أبو الطيّب المتنبي يرثى أبا شجاع فاتِكا ﴾

الحزن يُقلقُ والتجمُّل يَردَعُ والدَّمعُ بينهما عَصِيٌّ طيِّع
يتنازَعان دُموعَ عينِ مُسَهَّدٍ هذا يجيء بها وهذا يَرجع
النَّوم بعد أبى شُجاع نافرٌ والليلُ مُعْيٍ والكواكب ظُلَّع
إنى لأجبُن من فراق أحبَّتى وتحِسُّ نفسى بالحِمام فأشجعُ
ويَزيدنى غَضَبُ الأعادى قسوةً ويُلِمّ بى عَتْب الصديق فأجزع
تصفو الحياةُ لجاهل أو غافل عمّا مَضى منها وما يُتَوَقَّع
ولِمَن يُغالطُ فى الحقائق نفسَهُ ويَسومها طَلَب المُحال فتَطمَع
أين الذى الهرَمان من بُنيانه ما قومُهُ ما يومُهُ ما المَصْرع
تَتَخلَّفُ الآثار عن أصحابها حيناً ويُدركها الفَناء فتتبَع

﴿ وقال عبد المجيد بن عبدون الفهري المتوفى سنة ٥٢٠ هـ راثياً ملوك ﴾
« بني الأفطس من قصيدة ممتعة في التاريخ والادب »

الدَّهر يَفجعُ بعد العين بالأثر ... فما البُكاء على الأشباح والصُّوَر
أَنهاكَ انهاكَ لا أَنهاكَ واحدةً ... عن نَومة بين نَاب اللَّيث والظُّفر
فالدَّهر حربٌ وإن أبدى مُسالمةً ... فالبِيضُ والسُّمرُ مثلُ البِيض والسُّمر
ولا هَوادةَ بين الرأس تأخذه ... يدُ الضِّراب و بين الصَّارم الذكر
فلا يُغرَّنْك من دُنياك نومتُها ... فما صناعة عينيها سوى السَّهر
فبالليالي أقال الله عثرتنا ... من الليالي وغالتها يد الغير
في كل حين لنا في كل جارحة ... منا جراح وان زاغت عن البصر
تسر بالشيء لكن كي تغرَّ به ... كالايم ثار الى الجاني من الزهر
كم دولةٍ وُليت بالنصر خدمتها ... لم تُبق منها وسل دُنياك عن خَبر

﴿ وقال أبو ذُؤيب يرثي أولاده ﴾

أمنَ المنون وريبها تتوجَّعُ ... والدَّهر ليس بمُعتِبٍ مَنْ يجزَع
قالت أمامة ما لجسمك شاحباً ... مُنذ ابتُذِلت ومثل مالك ينفعُ
ولقد حرصتُ بأن أُدافع عنهمُ ... واذا المنيةُ أقبلتْ لا تُدفعُ
واذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيتَ كلَّ تميمة لا تَنفعُ
فالعين بعدهمُ كأن جفونها ... كُحِلتْ بشَوْكٍ فهي عورٌ تدمعُ
وتجلدي للشامتين اريهمُ ... أني لريب الدَّهر لا أتضعضع
حتى كأني للحوادث مَرْوةٌ ... بصفَا المشقر كلَّ يوم تُقرَع
لا بُدَّ من تلفٍ مُقيم فانتظرْ ... أبِأَرض قومك أم بأُخري المَضجع

ولقد أرَى أن البكاءَ سفاهةٌ ولسوف يُولَع بالبكا مَنْ يُفجَع

وليأتينّ عليك يوما مرّة يبكي عليك مُقَنَّعًا لا تسمع

فلئنْ بهم فجَعَ الزّمان وريبُه انى بأهل مودّتى لمفجّع

والنّفس راغبة اذا رغّبتها واذا تُرَدُّ الى قليل تقنع

﴿وقال أبو الحسن الانبارى المتوفى سنة ٣٢٨هـ يرثى أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قتل وصلب — وهى من أعظم المراثى ولم يسمع بمثلها فى مصلوب حتى ان عضد الدولة الذى صلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه﴾

عُلوٌّ فى الحياةِ وفى المماتِ لَحَقٌّ أنتَ إحدَى المُعجزَاتِ

كأنّ النّاس حولَك حين قامُوا وُفودُ نَداك أيام الصِّلاتِ

كأنّكَ قائمٌ فيهمْ خطيباً وكلُّهمُ قيامٌ للصلاةِ

مددتَ يديكَ نحوهُمُ احتفاءً كمَدّهما إليهمْ بالهِبَاتِ

ولمّا ضاقَ بطنُ الأرضِ عن أنْ يضُمَّ عُلاكَ منْ بعدِ الوفاةِ

أصارُوا الجوَّ قبرَكَ واستعاضوا عنِ الأكفانِ ثوبَ السّافياتِ

لعُظْمِكَ في النّفوس تبيتُ تُرعَى بحُرّاسٍ وحُفّاظٍ ثِقاتِ

وتُوقَدُ حولَكَ النّيرانُ ليلاً كذلكَ كُنْتَ أيامَ الحياةِ

ركبتَ مَطيّةً منْ قبلُ زيدٌ علاها فى السّنينَ الماضياتِ

وتلكَ قضيّةٌ فيها تأسٍّ تُباعدُ عنك تعييرَ العُداةِ

ولم أرَ قبل جذعكَ قطُّ جذعاً تمكّنَ منْ عناقِ المكرُماتِ

أسأتَ إلى النّوائبِ فاستثارتْ فأنتَ قتيلُ ثأرِ النائباتِ

وكنتَ تجيرُنا من صرفِ دهرٍ فعاد مطالباً لك بالتِّراتِ

وصيّرَ دهرُكَ الاحسانَ فيهِ | إلينا من عظيم السيئاتِ
وكُنتَ لمعشرٍ سعداً فلمّا | مضيتَ تفرّقوا بالمنحساتِ
غليلٌ باطنٌ لك فى فؤادى | يخفّفُ بالدُّموعِ الجارياتِ
ولو أنى قدرتُ على قيامٍ | بفرضك والحقوقِ الواجباتِ
ملأتُ الأرضَ من نظم القوافى | ونُحتُ بها خلافَ النائحاتِ
ولكنّى أُصبّرُ عنك نفسى | مخافةَ أنْ أعدّ من الجُناةِ
ومالك تربةٌ فأقولُ تُسقى | لأنك نُصبَ هطلِ الهاطلاتِ
عليك تحيةُ الرّحمٰن تترى | برحماتٍ غوادٍ رائحاتِ

﴿ وقال بهاء الدين زُهير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ﴾

أراكَ هجرتنى هجراً طويلا | وما عوّدتنى من قبلُ ذاكا
عهدتُك لا تطيق الصّبر عنّى | وتعصى فى ودادى مَن نهاكا
فكيفَ تغيّرتْ تلك السّجايا | ومن هذا الذى عنّى ثناكا
فلا واللهِ ما حاولتَ غدراً | فكلُّ النّاس يغدرُ ما خلاكا
وما فارقتنى طوعاً ولكن | دهاك من المنيّة ما دهاكا
فيامَن غابَ عنّي وهو رُوحى | وكيفَ أطيقُ من رُوحى انفكاكا
يعزُّ علىّ حين أدير عينى | أفتّشُ فى مكانك لا أراكا
ختمتُ على ودادك في ضميرى | وليس يزال مختوماً هُناك
[illegible]وا أسفى لجسمك كيف يبلَى | ويذهبُ بعدَ بهجته سناك
[illegible]قبرَ الحبيب وددتُ أنّى | حملت ولو على عينى ثراكا
ولا زال السّلام عليك منّى | يُزفّ على النّسيم الى ذراكا

﴿ وقالت السيدة تُماضِرُ الخنساء المتوفاة سنة ٢٤ هـ ﴾

قذًى بعَينك أم بالعين عُوّارُ ... أم أقفرتْ اذ خلَت من أهلها الدّار

كأنّ عيني لذكراهُ اذا خطرت ... فيضٌ يَسيلُ على الخدّين مدرارُ

تَبكى خُناسٌ على صخرٍ وحقّ لها ... إذ رَابَها الدّهر إنّ الدّهر ضَرّارُ

لا بدّ من ميتةٍ فى صرفها عِبرٌ ... والدّهر فى صرفه حَولٌ وأطوارُ

يا صخرُ وَرّادَ ماءٍ قد تواردهُ ... أهل الموارد ما فى وِرْدِهِ عارُ

وإنّ صخراً لحامِينا وسيّدنا ... وإنّ صخراً اذا نَشتو لنحّارُ

وإنّ صخراً لتأتمّ الهُداة بهِ ... كأنّهُ عَلَمٌ فى رأسه نارُ

لم تَرهُ جارةٌ يمشى بساحتها ... لرِيبة حين يُخلى بَيتَهُ الجارُ

مثل الرُّدينيّ لم تَنفَد شبيبتهُ ... كأنّه تحت طَيّ البُرْدِ أسوَارُ

طَلقُ اليدينِ بفعل الخير مُعتمدٌ ... ضَخمُ الدّسيعة بالخيرات أمّارُ

حمّالُ ألوِيَة هبّاط أوْدِيَة ... شَهّاد أندِيَة للجيش جرّارُ

﴿ وقالت أعرابية ترثى ابنها ﴾

أيا ولدى قد زَاد قلبى تَلهُّبا ... وقد حرّقت منّي الشُّؤون المدامعُ

وقد أضرمت نارُ المصيبةِ شُعلَةً ... وقد حَميت منّى الحَشا والاضالعُ

وأسأل عنك الرّكب هل يُخبرُونَنى ... بحالك كيْمَا تستكنّ المضاجع

فلم يكُ فيهم مُخبرٌ عنك صادقٌ ... ولا فيهم مَن قال إنّك راجع

فياولدى مُذ غِبت كَدّرْتَ عيشتى ... فقلبىَ مَصدُوع وطرفىَ دَامِع

وفكرىَ مسقومٌ وعقلىَ ذاهبٌ ... ودمعىَ مسفوحٌ ودارى بلاقع

﴿ وقالت ليلى الاخيلية المتوفّاة سنة ٨٠ هـ ﴾

لعمرُك ما بالموت عارٌ على الفتى ... اذا لم تُصبه فى الحَياة المعايرُ

وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالماً ... بأخلد ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً ... فلا بد يوماً أن يري وهو صابر

وليس لذى عيش عن الموت مقصر ... وليس على الايام والدهر غابر

ولا الحي مما يحدث الدهر معتب ... ولا الميت ان لم يصبر الحيّ ناشرُ

وكل شباب أو جديد الى بلًى ... وكل امرئ يوماً الى الله صائر

﴿ وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ﴾

إن سال من غرب العيون بحور ... فالدهر باغ والزمانُ غدورُ

فلكلّ عين حقّ مدرار الدما ... ولكل قلب لوعةٌ وثبورُ

سُتر السنا وتحجّبت شمس الضحى ... وتغيبت بعد الشروق بدُور

ومضى الذى أهوى وجرّعنى الأسا ... وغدت بقلبى جذوة وسعير

يا ليتهُ لمّا نوى عهد النوى ... وافى العيون من الظلام نذير

ناهيك ما فعلتْ بماء حشاشتى ... نارٌ لها بين الضلوع زفير

لو بثّ حزنى فى الورى لم يلتفت ... لمصاب قيس والمصاب كبير

طافتْ بشهر الصوم كاسات الردى ... سحراً وأكوابُ الدموع تدُور

فتناولتْ منها ابنتى فتغيرتْ ... وجناتُ خدّ شانها التغيير

فذوت أزاهير الحياة بروضها ... وانقدّ منها مائسٌ ونضير

لبستْ ثيابَ السقم فى صغرٍ وقد ... ذاقتْ شراب الموت وهو مرير

جاء الطبيب ضحىً وبشّر بالشفا ... ان الطبيب بطبّه مغرور

وصف التجرّع وهو يزعم أنهُ ... بالبُرء من كل السقام بشير

فتنفستْ للحزن قائلةٌ له ... عجّلْ ببُرئى حيثُ أنتَ خبير

وارْحم شبابى إن والدتى غدتْ ثَكْلَى يشير لها الجوَى وتُشِير
وارأف بعين حرّمت طيب الكرَى تشكو السُّهاد وفى الجفُون فتُور
لمّا رأتْ يأْس الطبيب وعجزه قالت ودَمعُ المُقلتين غزير
أُمّاه قد كلّ الطبيبُ وفاتنى مما أُؤمّلُ فى الحياة نَصير
لو جاء عرّاف اليمامة يبتغى بُرئى لردّ الطّرف وهو حسير
ياروع روحى حلّها نزعُ الضّنا عمّا قليل ورُقها ستطيرُ
أُمّاه قد عزّ اللقاء وفى غدٍ سترين نعشى كالعرُوس يسيرُ
وسينتهى المسعى الى اللّحد الذى هو منزلى وله الجمُوع تصيرُ
قولى لربّ اللّحد رِفقًا بابنتى جاءت عرُوسًا ساقها التّقدير
وتجلّدى بإزاء لحدى برْهةً فتراكِ رُوحٌ راعها المقدُور
أُمّاه قد سَلَفتْ لنا أُمنيّة ياحسنها لو ساقها التيسير
كانت كأحلامٍ مضتْ وتخلّفتْ مذْ بان يوْم البَين وهو عسير
عُودى الى ربعٍ خلاَ ومآثر قد خلّفتْ عنّى لها تأثير
صُونى جهاز العرس تذكاراً فلى قد كان منه الى الزّفاف سُرُور
جرت مَصائب فُرقتى لك بعدَ ذا لبس السّواد ونفّذ المسطور
والقبر صار لغُصن قدّى رَوضةً ريحانها عند المزار زُهور
أُمّاه لا تنسى بحقّ بنوّتى قبرى لئلا يحزن المقبور
ورجاء عفْو أو تلاوة مُنزَل فسوَاكِ مَنْ لى بالحنين يزُور
فلعلّما أحظى برحمة خالق هو راحمٌ برٌّ بنا وغفور
فأجبتها والدّمع يحبسُ منطقى والدّهر من بعد الجوار يجور

بنتاه يا كبدى ولوعة مهجتى ... قد زال صفوٌ شأنه التكدير
لاتوصى ثكلى قدأذاب فؤادها ... حزنٌ عليك وحسرةٌ وزفير
قسماً بغضّ نواظرى وتلهفى ... مذ غاب إنسانٌ وفارقَ نور
وبقُبلنى ثغراً تقضّى نحبه ... فحُرمتُ طيبَ شذاه وهو عطير
والله لا أسلو التلاوة والدُّعا ... ما غرّدتْ فوقَ الغصون طيور
كلاّ ولا أنسى زفير توجّعى ... والقدّ منك لدى الثرى مدثور
إنى ألِفْتُ الحزْن حتى أنّني ... لو غاب عنّي ساءنى التأخير
قد كنتُ لاأرضَى التباعد بُرهةً ... كيف التّصبّر والبعاد دهور
أبكيك حتى نلتقى في جنّة ... برِياض خُلد زيّنتها الحور
إن قيل عائشة أقول لقد فنى ... عيشي وصبرى والإله خبير
ولَهي على «توحيدة» الحُسن التى ... قد غاب بدرُ جمالها المستور
قلبى وجفنى واللّسان وخالقى ... راض وباك شاكرٌ وغفور
مُتّعتِ بالرّضوان فى خلد الرّضا ... ما ازّينتْ لك غرْفة وقصور
وسمعت قول الحقّ للقوم ادخلوا ... دار السّلام فسعيكم مشكور
هـذا النّعيم به الأحبّة تلتقى ... لا عيشَ إلا عيشهُ المبرُور

﴿ وقالت المرحومة ملك حفني ناصف ترْثى عائشة هانم تيمور ﴾

ألا يا موتُ ويْحكَ لم تراع ... حقُوقاً للطّرُوس ولا اليَرَاع
تركتَ الكُتْب باكيةً بكاءً ... يُشيبُ الطفل فى عهد الرضاع
ولم تهَبِ الفضائلَ والمعالى ... وطول السّعى في خير المساعى
ولم يمنعك مما رُمتَ نثرٌ ... ولا شِعرٌ ولا حُسنُ ابتِداع

نَراكَ تجودُ بالأرزاءِ حتى عَدَدنا البخلَ من كرَم الطّباع
فذُبْ ياقلبُ لاتكُ فى جمُود وزِدْ يا دمع لاتكُ فى امتناع
ولا تبخل علىّ وكن جموماً فكنز العلم أمسى فى ضياع
سَتبقَى بعد عائشةٍ حيارَى كسِربٍ فى الفَلاةِ بغير رَاع
لقد فُقِدَت ولم تَفقِد علاها وهل شمسٌ تغيب بلاشُعاع
هى الدُّرّ المصون ببطن أرض وقد كانت كذلك فى قناع
هى البحرُ الخِضمّ وما سمعنا بأن البحرَ يُدفن فى التّلاع
وكانت للمكارم خيرَ عون وللخيرات كانت خيرَ داع
لها القِدحُ المُعلّى في العوالى وفى نشر المعارف طول باع
فيا شمسَ المحامد غِبتِ عنّا وخلّفتِ البكاءَ لكل ناع
ويا خيرَ النساء بلا خلاف وقدْتِنا بلا أدنى نزاع
لقد أحييتِ ذكر نساء مصر وجَدّدتِ العُلا بعد انقطاع
وشِدتِ صُروحَ طُهر باذخات مُحَصّنةٍ كتحصين القِلاَع

﴿ وقال المرحوم حفني بك ناصف راثيًا عبد الله باشا فكرى ﴾

لِيَدّعِ المُدّعونَ العلم والادبا فقد تغيّبَ عبدُ الله واحتجَبا
وليَنتَسِب أدعياء الفضل كيف قضت آراؤهم اذا قضَى من يَحفظُ النّسبا
وليفخَرِ اليوم قومٌ باليَرَاع ولا خوفٌ عليهم فمن يخشونه ذهبا
وليَرْقَ مَن شاءَ أعواد المَنابرِ إذ مات الذى يتّقيهِ كلّ من خطَبا
لو عاش لم يطرُق الأسماع ذِكرُهمُ فى طَلعة الشّمس من ذا يُبصرُ الشُّهُبا
فليسمُ مَن شاء بالإنشاء لاعجبٌ مَضى الذى كانَ من آياته عَجبا

طودٌ من الفضل من بعد الرسوخ هوى ... وكوكب بعد أن أبدي الهدى غربا
أجلْ فقد مات عبدُ الله وا أسفا ... وا وحشتْ مصرُ من فكرى فواحربا
فكلّ نفس لمعناه شكتْ وبكتْ ... وكلُّ فكرٍ بفكرى ماجَ واضطربا
قضى الحياة ونصرُ الحقّ ديدنُه ... لا ينثنى رهبًا عنه ولا رغبا
لا كان عيدٌ رأينا صفوه كدراً ... بفقده وانثنتْ راحاتُه تعبا
سارت جنازتهُ والعلم فى جزع ... والفضلُ يندبُهُ فى ضمن من ندبا

﴿ وقال أحمد بك شوقى يرثى مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ﴾

أَلمشرقان عليك ينتحبانِ ... قاصيهما فى مأتم والدّاني
يا خادمَ الإسلام أجر مجاهد ... فى الله من خُلد ومن رضوان
الله يشهد أنّ موتك بالحجا ... والجدّ والإقدام والعرفان
إن كان للأخلاق ركن قائم ... فى هذه الدنيا فأنتَ البانى
بالله فتّش عن فؤادك فى الثرى ... هل فيه آمالٌ وفيه أمانى
وُجدانك الحى المقيم على المدى ... ولرُبّ حىّ ميّت الوجدان
الناسُ جار فى الحياة لغاية ... ومضلَّلٌ يجرى بغير عنان
والخلد فى الدّنيا وليس بهيّن ... عليا المراتب لم تتح لجبان
فلو انّ رسل الله قد جُبنوا لما ... ماتوا علي دين ولا إيمان
المجد والشرف الرّفيع صحيفةٌ ... جُعلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحبُّ من طول الحياة بذلّة ... قصرٌ يُريك تقاصرَ الأقران

دقّات قلب المرء قائلة له ... إنّ الحياة دقائقٌ وثوانى
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذّكر للانسان عُمرٌ ثاني

للمرء فى الدّنيا وجمّ شؤونها | ما شاء من ربح ومن خسران
فهى الفضاء لراغبٍ متطلّع | وهى المضيق لمؤثرِ السّلوان
النّاس غادٍ فى الشقاء ورائح | يشقى له الرّحماء وهو الهاني
ومنعّم لم يلقَ إلاّ لذّة | فى طيّها شجنٌ من الأشجان
فاصبر على نِعم الحياة وبؤسها | نعمُ الحياة وبؤسُها سِيّان
ياطاهر الغدوات والرّوحات والـ | خطرات والأسرار والإعلان
هل قامَ قبلك فى المدائن فاتحًا | غازٍ بغير مهنّد وسنان
يدعو الى العلم الشّريف وعنده | انّ العلوم دعائم العمران
لفّوك فى علَم البلاد منكّسًا | جزع الهلالُ على فتى الفتيان
ما احمر من خجلٍ ولا من رتبة | لكنّما يبكى بدمعٍ قانى
يزجون نعشك فى السّناء وفى السّنا | فكأنّما فى نعشك القمران
وكأنه نعش (الحسين بكربلا) | يختال بين بكى وبين حنان
فى ذمّة الله الكريم وبرّه | ما ضمّ من عرف ومن احسان
(ومشى جلال الموت وهو حقيقةٌ | وجلالك المصدوق يلتقيان)
شقّتْ لمنظرك الجيوبَ عقائلٌ | وبكتك بالدّمع الهتون غوانى
والخلق حولك خاشعون كعهدهم | اذ ينصتون لخطبة وبيان
يتساءلون بأىّ قلب ترتقى | بعد المنابر أم بأىّ لسان
فلو ان أوطانًا تصوّر هيكلا | دفنوكَ بين جوانح الأوطان
أو كان يحمل فى الجوارح ميّت | حملوكَ فى الأسماع والأجفان
أو صيغ من غرر الفضائل والعُلى | كفنٌ لبستَ أحاسن الأكفان

أو كان للذّكر الحكيم بتيّة لم تأت بعدُ رُثيتَ فى القرآن

يا صَبَّ مصر ويا شهيدَ غرامها هذا ثرى مصر فنم بأمان

اخلع على مصرٍ شبابك عاليًا والبس شباب الحُور والولدان

فلعلَّ مصراً من شبابك ترتدِي مجداً تتيهُ بهِ على البلدان

فلو أنّ بالهرَمين من عزماته بعض المضاء تحرّكَ الهرَمان

علّمتَ شبّان المدائن والقرَى كيف الحَياة تكونُ فى الشّبان

مصرُ الأسيفةُ ريفها وصَعيدها قبرٌ أبرُّ على عظامك حانى

أقسمت أنك في التّراب طهارة ملك يهابُ سؤاله الملكان

﴿ وقال ابن هانىء الأندلسى يرثى ابراهيم بن جعفر بن علىّ ﴾

وهبَ الدّهر نفيساً فاسترَدْ ربّما جادَ بخيلٌ فحسد

خَاب مَنْ يرجُو زمانًا دائمًا تُعرف البأساء منه والنّكدْ

فلقد أذكر منْ كان سهَا ولقد نبّه مَنْ كان رَقد

قُلْ لمَنْ شاء يقل ما شاءه إنّ خَصمى فى حيَاتى لألد

منتضٍ نصلاً إذا شاء مضَى رَائشٌ سهماً إذا شاء قصَدْ

ماتَ مَنْ لو عاش فى سِربالهِ غلبَ النّور عليه فاتقد

إنما كان شهابًا ثاقبًا صعق اللّيل له ثم خمَد

لا رجاء فى خُلود كلّنا واردُ الماء الذى كان ورد

﴿ وقال شاعر النيل احمد بك شوقى راثيًا ﴾

خُلقنا للحياة وللممات ومن هذين كلّ الحادثاتِ

ومن يولد يعش ويمُت كأن لم يمرّ خياله بالكائنات

وَمهدُ المرء في أيدي الرّواقي كنعش المرء بين النائحات
وما سلم الوليد من اشتكاء فهل يخلو المعمّر من أذاة
هي الدنيا قِتالٌ نحن فيه مقاصد للحسام وللقَناة
وكل الناس مدفوع اليه كما دُفع الجَبان إلى الثّبات
نُروّع ما نروّع ثم نُرْمَى بسهم من يد المقدور آتِ

﴿ وقال محمد بك حافظ ابراهيم راثياً الامام الشيخ محمد عبده ﴾

سلامٌ على الإسلام بعد مُحَمّدٍ سلامٌ على أيّامه النّضراتِ
علَى الدّينِ والدُّنيا على العِلمِ والحِجَى على البرّ والتّقوى على الحسنات
لقد كنتُ أَخشى عاديَ الموت قبله فأصبحتُ أخشى أن تطول حَياتي
فوَالهفي والقبرُ بيني وبينه على نظرةٍ من تِلكمُ النظراتِ
وقفتُ عليه حاسِرَ الرأس خاشعاً كأنّي حيال القبر في عرَفاتِ
أبَنْتَ لنا التنزيلَ حكماً وحِكمة وفرّقتَ بين النور والظّلمات
ووفّقتَ بين الدّين والعلم والحِجى فأطلعت نوراً من ثلاث جهات
وقفتَ (لها نوتُو ورِينانَ) وقفة أمدّك فيها الروح بالنّفحاتِ
وخِفتَ مقام الله في كل موقفٍ فخافك أَهل الشكّ والنّزعاتِ
وأرصدت للباغي على دين أحمد شَباة يراعٍ ساحر النفثاتِ

مشى نعشه يختال عُجباً بربه ويخطر بين اللّمس والقُبلات
بكى الشرق فارتجّتْ له الأَرض رجّة وضاقت عيون الكون بالعبراتِ
بكى عالَمُ الإِسلام عالِمَ عصره سراج الدّياجى هادم الشبهاتِ
فياويح للشورَى إذا جدّ جدّها وطاشت بها الآراء مشتجِراتِ

ويا ويح للفُتيا إذا قيل مَنْ لها ... ويا ويح للخيرات والصّدقات
بكينا على فرد وإن بكاءنا ... على أنفس لله منقطعات
تعهدها فضل الأمام وحاطها ... بأحسانه والدّهر غير مُؤاتي

الباب الثامن في الحكم والنصائح

قال عَبِيد بن الأبرص

كفى زاجراً للمرء أيّامُ دَهرِهِ ... تروح له بالواعظاتِ وتغتدى
إذا أنت طالبت الرجالَ نوالَهم ... فعِفّ ولا تطلب بجهد فتنكد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته ... من اليوم سُؤْلاً أن يسرّك فى غد
ولا تقعدن عن سعى ماقد ورثته ... وما استطعت من خير لنفسك فازدد
إذا ما رأيت الشرّ يبعث أهله ... وقام جناة الشرّ بالشرّ فاقعد
و بالعدل فانطق ان نطقت ولا تجُرْ ... وذا الذمّ فاذمُمْه وذا الحمد فاحمد
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى
ولا أبتغى ودّ امرئ قلّ خيره ... وما أنا عن وصل الصديق بأحيد
اذا أنت حمّلت الخؤون أمانة ... فانك قد أسندتها شرّ مسنَد
ولاتظهرن ودّ امرئ قبل خُبْره ... وبعد بلاء المرء فاذم أو احمَدِ

وقال أبو بكر محمد بن الحسين بن دُرَيد الأَزْدى المتوفى سنة ٣٢١ هـ

يا ظَبيَةً أشبهَ شيء بالمَهَا ... تَرْعَى الخزَامى بين أشجارِ النَّقا(١)

(١) الظبية الانثى من الغزلان . المها جمع مهاة وهى الانثى من البقر الوحشى الخزامى نبت معروف طيب الرائحة . النقا اسم موضع

إِما تَرَىْ رأسِيَ حاكَى لَوْنُهُ ... طرَّةَ صُبحٍ تحتَ أَذيالِ الدُّجى (١)

واشتعلَ المُبيَضُّ فى مُسْوَدِّه ... مثلَ اشتِعالِ النّارِ فى جَزْلِ الغَضى (٢)

فكانَ كالليلِ البَهيمِ حلَّ فى ... أَرْجائِهِ ضَوْءُ صَباحٍ فانجلى (٣)

وغاضَ ماءُ شِرَّتى دَهرٌ رَمى ... خواطِرَ القلبِ بتَبريحِ الجَوَى (٤)

وآضَ رَوْضُ اللّهوِ يَبْساً ذاوِياً ... من بعدِ ما قد كانَ مَجّاجَ الثّرَى (٥)

وضَرَّمَ النّأْىُ المُشِتُّ جَذْوَةً ... ما تأْتلِى تَسْفَعُ أثناءَ الحَشَى (٦)

واتّخذَ التّسهيدُ عينى مألَفاً ... لمّا جفا أجفانَها طَيْفُ الكَرَى (٧)

فكلُّ ما لاقيتُهُ مُغْتَفَرٌ ... فى جَنْبِ ما أسأرَهُ شَحْطُ النّوَى (٨)

لو لابَسَ الصّخرَ الأَصَمَّ بعضُ ما ... يلقاهُ قلبى فَضَّ أصلادَ الصّفَا (٩)

إذا ذَوَى الغصنُ الرطيبُ فاعلَمَنْ ... أنّ قُصاراهُ نفادٌ وتَوَى (١٠)

---

(١) اما اصلها ان مافان شرطية وما زائدة ترى اصلها ترين وترى فعل الشرط وجوابه قوله فيما بعد فكان ما الخ . حاكى اشبه . طرة صبح يعنى وجه صبح وطرة كل شىء حافته وجانبه . اذيال جمع ذيل وهو الطرف . الدجى جمع دجية وهى الظلمة (٢) اشتعل فشا وانتشر ، جزل ما غلظ من الحطب . الغضى جمع غضاة وهى نوع من الشجر يدق جمره طويلا (٣) فكان كالليل البهيم كناية عن المظلم جداً . والبهيم هو الاسود الذي لا ضوء فيه . حل نزل ارجائه جمع رجا بالقصر الطرف . فانجلى فانكشف وظهر (٤) غاض نقص او ذهب . الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب . التبريح البلوغ فى المشقة الى غايتها . الجوى سقم فى الجوف من طول المرض (٥) آض رجع . يبساً يابساً . ذاوياً ذابلاً . مجاج من قولهم مج الغصن الماء اذا القاه . الثرى بالقصر التراب الندي وبالمد الغنى والسعة (٦) ضرم اشعل واوقد . النأى البعد . المشت المفرق . جذوة هى الجمرة العظيمه ما تأتلى ما تقصر تسفع تحرق وتهلك . اثناء الحشى يعنى ما رق من البطن واراد به القلب والجوف (٧) التسهيد والسهاد السهر وهو عدم النوم . مألفاً صاحباً والمألوف هو الموضع الذى تقع فيه الألفة اى الاجتماع والصحبة . جفا هجر . الاجفان اغطية العيون واحدها جفن . الطيف ما يراه الانسان من خيال المحبوب . الكرى النوم (٨) مغتفر متجاوز عنه . اسأره ابقاه . شحط البعد النوى البعاد (٩) لابس خالط الاصم الصلب . فض كسر . واصل الانفضاض التفرق اصلاد جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة . الصفا الصخر الصلاب جمع صفاة والمذكر صفوان (١٠) ذوى

شَجِيتُ لا بَلْ أجرَضَتنى غُصَّةٌ — عُنودُها أقتَلُ لى منَ الشَّجَى (١)

إنْ يَحمِ عن عينِ البُكا تجلُّدى — فالقلبُ موقوفٌ على سُبْلِ البُكا (٢)

لو كانت الأحلامُ ناجَتني بما — ألقاهُ يَقظانَ لأصماني الرَّدى (٣)

منزلةٌ ما خِلتُها يرضى بها — لنفسه ذو أدبٍ ولا حِجا (٤)

شيمُ سحابٍ خُلَّبٍ بارقُهُ — وموقِفٌ بين ارتجاءٍ ومُنى (٥)

فى كلّ يومٍ منزلٌ مُستَوبَلٌ — يَشتَفُّ ماءَ مُهجَتى أو مُجتَوى (٦)

ما خِلتُ أنَّ الدَّهرَ يَثنيني على — ضَرّاءَ لا يَرضى بها ضَبُّ الكُدَى (٧)

أُرَمِّقُ العيشَ على بَرْضٍ فانْ — رُمتُ ارتِشافاً رُمتُ صَعبَ المُنتَسَى (٨)

أُراجِعٌ لى الدَّهرُ حولاً كاملاً — الى الذى عوّد أم لا يُرتَجى

يا دهرُ إن لم تكُ عُتبى فاتّئِدْ — فإنَّ إرْوادَكَ والعُتبى سَوى (٩)

رفّهْ علىَّ طالما أنصَبتَنى — واستَبقِ بعضَ ماءِ غُصنٍ مُلتَحى (١٠)

جف وذبل . الرطيب الناعم الرطب . قصاراه آخر امره وغايته. نفاد فناء وذهاب . وتوى بالتاء الهلاك (١) شجيت حزنت او غصصت والغصص الاختناق باللقمة يقال شجيت بالعظم اى اختنقت به . اجرضتنى خنقتنى غصة الموت والجرض هو الاختناق بالريق عنودها معارضتها (٢) ان حرف شرط يحم فعل الشرط يمنع تجلدي تصبرى فالقلب جواب الشرط سبل الطرق واحدها سبيل وعنى بذلك الهوى الذي يأتي البكاء من اجله وسببه (٣) الاحلام جمع حلم وهو ما يراه الانسان فى منامه ناجتنى اخبرتنى لاصماني لقتلنى مكاني بلا تأخير. الردى الهلاك (٤) منزلة درجة . ما خلتها ما حسبتها ادب ظرف الحجا العقل (٥) شيم النظر الى البرق خاصة خلب الذى لا ماء فيه ارتجاء امل منى بالضم جمع منية وهى المطلوب (٦) مستوبل ومجتوى يقال اجتويت البلاد اذا كرهتها وان كانت موافقة لك واستوبلتها اذا لم توافقك وان كنت غير كاره لها يشتف يستقصى (٧) يثنينى يعطفنى ضراء الصخرة الصماء الكدى بالضم جمع كدية وهى ما ارتفع من الصخور (٨) ارمق العيش اعطى منه بقدر ما يسد رمق . برض العطاء القليل . الارتشاف ان يستقصى شرب ما فى الاناء المنتسى المطلب البعيد (٩) العتبى الرضى . فاتئد ارفق . الارواد الرفق . سوى مثل (١٠) رفه وسع انصبتنى اتعبتنى . استبق ابق . ملتحى الذاهب لحاه اى قشره الظاهر

لا تحسبنْ يا دهر أنى ضارعٌ ... لِنكبةٍ تعرُقُني عَرْقَ المدى (١)

مارستَ من لو هوتِ الأفلاكُ من ... جوانبِ الجوّ عليه ما شكا (٢)

لكنها نفثةُ مصدُورٍ اذا ... جاش لغامٌ من نواحيها غَما (٣)

رضيتُ قسْراً وعلى القسْرِ رِضَى ... من كان ذا سخْطٍ على صرْفِ القضا (٤)

إن الجديدين إذا ما استوْليا ... على جديدٍ أدْنياه للبِلى (٥)

ما كنتُ أدرِى والزّمان مُولعٌ ... بشَتّ مَلْمومٍ وتَنكيث قوى (٦)

إنّ القضاءَ قاذِفى فى هُوّةٍ ... لا تَستَبِلُّ نفس من فيها هوى (٧)

فانْ عثُرتُ بعدها إن وألتْ ... نفسىَ من هاتا فقولا لا لَعا (٨)

وإن تكنْ مُدّتها موصولةً ... بالحتْفِ سلّطتُ الأُسى على الأَسا (٩)

إنّ امرءَ القيسِ جرى الى مَدى ... فاعتَاقَه حِمامُهُ دُونَ المدَى (١٠)

---

(١) ضارع ذليل خاضع خاشع (لنكبة) لمصيبة وشدة . تعرقنى تزيل لحمى عن عضمى • المدى بالضم جمع مدية وهى السكين (٢) مارست بتاء الخطاب عالجت . هوت سقطت . الافلاك جمع فلك وهى التى تجرى فيها الشمس والقمر والنجوم . جوانب الاطراف. الجو الفضاء الذى بين السماء والارض (٣) لكنها الضمير فيها كناية عن هذه القصيدة التى قالها . النفثة ما يلقيه الرجل من فيه اذا بصق . مصدور الذى يشتكى صدره . جاش علا وارتفع اللغام الزبد وهو ما يلقيه البعير من فيه . نواحيها جوانبها غما سقط • (٤) القسر القهر السخط الغضب (٥) الجديدين الليل والنهار . استوليا غلبا وملكا ادنياه قرباه . للبلى الاخلاق (٦) ماكنت ادرى ما كنت اعلم وجاء بالمعمول فى البيت الذى بعده وهو ان القضاء الخ والزمان الواو للحال . مولع ملازم ومغرى به : بشت بتفريق . ملموم مجموع . التنكيث النقض . قوى جمع قوة (٧) قاذفى رام بي هوة الحفرة التى يتسع اسفلها ويضيق اعلاها . لا تستبل لا تبرأ ولا تفيق . هوى سقط (٨) عثرت زلت والت نجت وخاصت . هاتا عائد على العثرة المضمرة الذى دل عليها قوله فان عثرت لا لعا لا نجا دعاء للعاثر بعدم السلامة (٩) ضمير مدتها عائد على النكبة . بالحتف بالموت . الاسى بضم الهمزة جمع اسوة وهى التعزية والتأسى الاسا بفتح الهمزة الحزن (١٠) امرؤ القيس معلوم كان هو طريد ابيه لقوله الشعر خلاصة قصته ان بنى اسد قتلت اباه وكان ملكاً عليهم فبعد عناه توجه الى قيصر ملك الروم واستنجده على قتلة ابيه فوعده وكان قد تعشق ابنة قيصر فخضر احد اعدائه من بنى اسد واخبر قيصر بعشقه لها فكره ذلك وكره اذ يقتله او يخذله بعد

وخامرتْ نفسُ أبي الجَبْرِ الجوى حتى حواه الحَتْفُ فيمن قد حوى (١)

وابنُ الأشجِّ القيلُ ساق نفسه الى الرَّدى حِذَارَ إشمات العِدى (٢)

واخترم الوضّاح من دون التى أمّلها سيفُ الحِمامِ المُنتَضَى (٣)

فقد سما قبلي يزيدُ طالباً شأوَ العلا فما وهَى ولا وَنَى (٤)

فاعترضَتْ دون الذى رام وقد جدّ به الجِدُّ اللُّهيمُ الأُربَى (٥)

هل أنا بِدْعٌ من عرانينَ عُلاً جار عليهم صرف دهر واعتدى (٦)

فإن أنالتني المقاديرُ الذى أَكِيدُه لم آلُ في رأب الثَّأَى (٧)

وقد سما عمرو الى أوتاره فاحتطَّ منها كلَّ عالى المُستَمَى (٨)

ما وعده أرسل معه عسكراً ثم اردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات . مدى الغاية . فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه : حمامه بكسر الحاء موته . (١) خامرت خالطت . ابو الجبر من ملوك كندة . خلاصة قصته انه تألبت قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشاً من اساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فرض وعندها طلبوا الاذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذى نشأ من السم . الجوى داء فى الجوف . حواه حازه . الحتف الموت (٢) ابن الاشج هو عبد الرحمن بن الاشعث — خلاصة قصته انه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج عليه ثم هرب الى ريتقل ملك الترك فبذل الحجاج الى ريتقل مالا فسلمه الى اعوان الحجاج وكان فى الطريق مقيداً معه رجل من بنى تميم على سطح برج فرمى بنفسه من اعلى البرج فمات هو والتميمي وحمل رأسه الى الحجاج . القيل الملك دون الملك الاعظم . الردى الهلاك . حذار خوف (٣) اخترم اهلك واقتطع . الوضاح يعنى به جذيمة الابرش وكان قتل ابا الزباء فبعد مدة خطبته لنفسها فلما حضر قتلته فى قصة طويلة . امل فاعله يعود على الوضاح وفاعل اخترم سيف الحمام الموت ؛ المنتضى المسلول (٤) سما علا يزيد بن المهلب وخلاصة قصته انه خرج على بنى امية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فدست بنو امية رجلاً من كلب فقتله واستتب الامر لهم . شأو الغاية . العلا الشرف . فما وهى فما ضعف ولا ونى ولا فتر (٥) فاعترضت عارضت رام طلب . جد بالفتح اسرع . الجد بالكسر الحزم . اللهيم بالتصغير الاربى اسمان من اسماء الداهية وهما فاعل اعترضت (٦) بدع الذى يكون اول من كل امر . عرانين الاشراف واحدها عرنين وهو الانف . جار عدل عن الحق . اعتدى ظلم (٧) انالتنى اعطتنى . المقادير جمع مقدار وهو القدر اكيده اطلبه . واحتال عليه ؛ لم آل لم اقصر . رأب الاصلاح . الثأى الفاسد (٨) سما علا اوتار جمع وتر وهو طلب الدم فاحتط ؛ فانزل المستمى المكان العالى المرتفع ؛ الزباء اسم امرأة

فاستنزل الزبّاء قسراً وهي من عقاب لوح الجوّ أعلى منتمى
وسيفٌ استعلت به همّتهُ حتى رمى أبعد شأو المرتمى (١)
فجرّع الأحبوش سمّاً ناقعاً واحتلّ من غمدان محراب الدّمى
ثم ابن هند باشرت نيرانُه يوم أوارات تميماً بالصلا (٢)
ما اعتنّ لى يأس يناجي همّتي إلا تحدّاهُ رجاء فاكتمى (٣)
أليّة باليعملات يرتمى بها النّجاء بين أجواز الفلا (٤)
خُوص كأشباح الحنايا ضُمّرٍ يرعفن بالأمشاج من جذب البُرى (٥)

قسراً بالسين القهر والغلبة . عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان لوح الهواء الذي بين السماء والارض ؛ منتمى . موضع مرتفع اليه وخلاصة قصة الزباء وعمرو ان الزباء لما قتلت جذيمة الابرش قعد عمرو بن اخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لخاله وكان وقت قتل خاله نجا على فرس تسمى العصا فطلب قصير ان يجدع عمرو انفه واذنيه دهاء منه لاخذ ثار خاله فرحل قصير الى الزباء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء اتى بالرجال مدججة بالسلاح فى جوالق على ظهور الجمال فهربت الزباء الى نفق لها لتهرب منه فرأت عمراً على باب النفق فمصت خاتماً مسموماً كان بيدها وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو وماتت مكانها فاستولى على ملكها (١) سيف يعنى به سيف بن ذى يزن ملك اليمنى . استعلت علت . شأو الغاية . المرتمى موضع المرى وهو الذى يقال له الغرض والهداف والقرطاس ؛ فجرع فسقى والجرع القليل من الماء ؛ الاحبوش ملك الحبش ؛ ناقعاً بالغاً ؛ احتل نزل بالمكان ؛ غمدان موضع بصنعاء اليمن محراب ههنا غرفة بصنعاء ؛ الدما الصور جمع دمية — خلاصة قصة الحبش ان الملك سيفا ؛ لما غلبت عليه الحبشة استعان بهرمز احد الاكاسرة فأرسل معه جيشاً من المسجونين ورأس عليه وزيراً من الاساورة المتقدمين فأجلوا الاحباش عن اليمن وملكوا سيفاً فى قصة طويلة (٢) ابن هند هو عمرو عم النعمان بن المنذر وكان له اخ مسترضع من بنى تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمر المذكور ان يقتل من بنى تميم مائة فأجج ناراً والقى فيها واحداً واحداً منهم الى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة اذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى فى النار تماماً للمائة ؛ باشرت خالطت.يوم اوارت يوم معروف من ايام العرب . اوارات اسم موضع ؛ تميما قبيلة ؛ الصلا بالفتح وهج النار (٣) ما اعتن ما اعترض ؛ تحداه اعتمده وقصده فاكتمى استتر وتغطى (٤) الية قسما باليعملات جمع يعملة وهى الناقة الصلبة الشديدة ؛ النجاء السرعة ؛ اجواز جمع جوز وجوز كل شىء وسطه ؛ والفلا جمع فلاة وهى الصحراء (٥) خوص

يَرْسُبْنَ في بحر الدُّجى وبالضُّحى ... يطفُون في الآلِ اذا الآلُ طفا (١)

أخفافهنّ مِنْ حفًا ومن وجًى ... مرثومةٌ تخضِبُ مُبْيَضَّ الحصا (٢)

يحملْن كلَّ شاحبٍ مُحقَوقِفٍ ... من طول تدْآب الغدوّ والسُّرى (٣)

بارٍّ برى طولُ الطّوى جثمانَه ... فهو كقِدْحِ النَّبْعِ محنيّ القرا (٤)

يَنوِي التي فَضَّلَها ربّ العلى ... لمّا دحا تُرْبتها على البُنَى (٥)

حتى إذا قابلها استعْبَرَ لا ... يملك دمع العين من حيث جري (٦)

ثُمَّتَ طاف وانْثَنَى مُسْتلمًا ... ثُمَّتَ جاءَ المَرْوتين فسعى (٧)

وأوجب الحَجَّ وثنّى عُمْرةً ... من بعد ما عجَّ ولبّى ودعا (٨)

ثُمَّتَ راح في المُلبّين إلى ... حيث تحجّي المأزِمانِ ومِنى (٩)

الابل الغائرة العيون من الهزال . والاشباح الاشخاص جمع شبح . والحنايا جمع حنية والحنية القوس وضمر جمع ضامر وهو المهزول . ويرعفن يسلن مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الانف والامشاج الاخلاط جمع مشج وهو ما يسيل من الانوف . ومن جذب من سوق والبرى جمع برة وهى الحلقة التى تكون فى انف البعير (١) يرسبن يغبن والرسوب الخوض فى الماء والمغيب فيه . والدجى جمع دجية وهى الظلمة ويطفون يعلون . والآل ما يرى كالماء عند ما ترتفع الشمس . والسراب انما يكون فى انتصاف النهار كانه ماء وليس بماء . وطفا ارتفع (٢) اخفافهن جمع خف للابل بمنزلة الحوافر للخيل . وحفا مقصور هو رقة اخفاف الابل من كثرة المشى . ووجي وجع فى الرجل يصيبها من الحفا ومرثومة مشقوقة من الحجارة . وتخضب تصبغ (٣) شاحب متغير اللون من السفر وغيره . ومحقوقف معوج . وتدأب مداومة والسرى سير الليل (٤) بار مطيع والجمع ابرار نعت للشاحب وبرى من برى القلم وهو اضعافه وترقيقه والطوى الجوع وجثمانه جسمه وقدح عود صلب تعمل منه السهام والنبع شجر تعمل منه القسى واحدها نبعة ومحنى معوج القرا الظهر (٥) ينوى يقصد والتى فضلها رب العلى يعنى مكة . ودحا بسط والبنى جمع بنية وهو الشىء المبنى (٦) استعبر بكى وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة (٧) ثمت هى ثم زيدت عليها تاء التأنيث . وانثنى انعطف . ومستلماً ماسا الحجر الاسود بيده او بفمه : والمروتين المراد بهما الصفا والمروة . فسعى فمشى (٨) اوجب الحج الزمه نفسه وثنى عمرة الزم نفسه مع الحج عمرة ؛ عج رفع صوته بالدعاء والتلبية (٩) راح خرج بالرواح وهو الخروج بالعشى ؛ الملبين جمع ملب وهو المجيب بالتلبية : تحجى أقام ؛ المأزمان جبلان بين مزدلفة

ثمّ أتى التّعريف يقرو مُخْبِتاً ... مواقِفًا بين الآل فالنَّقا (١)

واستأنف السّبع وسبعاً بعدها ... والسّعي ما بين العِقاب والصُّوي (٢)

وراح للتَّوْديع فيمن راح قد ... أحرزَ أجراً وقلَى هُجْر اللَّغَا (٣)

بذاك أمْ بالخَيلِ تَعْدُ المرطَى ... ناشزة أكتادُها قُبَّ الكُلى (٤)

شُعْثًا تَعادَى كسراحينِ الغَضا ... مَيْلَ الحَماليق يُبارين الشَّبا (٥)

يَحْمِلْن كلَّ شمَّرِيّ باسل ... شهم الجَنان خائضٍ غَمْرَ الوَغى (٦)

يَغْشَى صَلاَ الحرْبِ بحدَّيْهِ اذا ... كان لظى الحربِ كَرِيه المُصْطلى (٧)

أوْ مثّل الحتْفُ لهُ قِرْنًا لَمَا ... صدّته عنهُ هيبة ولا انثَنَى (٨)

ولوْ حَمَى المِقدار عنهُ مُهجة ... لَرامهَا أو يستبيح ما حَمى (٩)

تَغدُو المنايا طائعاتٍ أمْرهُ ... ترضى الذى يَرْضى وتأبى ما أبى (١٠)

ومنى ؛ ومنى محل رمى الجمار بمكة (١) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج يقرو يتتبع المواضع ؛ مخبتاً متواضعاً مخلصاً لله تعالى ؛ الآل موضع بعرفات ، النقا الرمل (٢) استأنف ابتدأ ؛ السبع رمى الجمار السبع سبعاً اراد الثانية التى تلى الاولى ؛ السعى المشى العقاب جمع عقبة ؛ الصوى الكدى تقدمت جمع صوة (٣) راح للتوديع التوديع البيت الحرام كما يفعل الحجاج بأن يطوف به سبعاً ويسعى بين الصفا والمروة . احرز اجراً ملكه واصابه قلى ابغض . هجر بضم الهاء القبيح من الكلام . اللغا الباطل من الكلام (٤) اقسم بذاك ام بالخيل تعدو تجرى المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه . وناشزة مرتفعة ومنه قولهم قعدت على نشز من الارض اى مرتفع. واكتادها جمع كتد وهو العظم الذي يكون فى رأس الكتف وقب ضامرة . والكلى جمع كلوة (٥) شعثاً مغبرين يعنى مقربين من الله تعالى . تعادى اصله تتعادى تسابق . سراحين ذئاب الواحد سرحان . الغضا شجر يدوم جمره . ميل الحماليق مائلة العيون . يبارين يعارضن . الشبا جمع شباة وشباة كل شىء حده يريد بها هنا اطراف الرماح (٦) يحملن اى الخيل . شمرى مأخوذ من التشمير. باسل شجاع . شهم الجنان حديد القلب. خائض داخل غمر الماء الكثير . الوغى صيحة الناس فى الحرب (٧) يغشى يدخل . صلا حر النار كلظى (٨) مثل صور. الحتف الهلاك قرنا الذى يقارنك فى بطش او قتال او علم . صدته منعته هيبة مخافة ، انثنى رجع (٩) حمى منع . المقدار القدر . مهجة النفس . لرامها لطلبها او بمعنى حتى . يستبيح يدرك ذلك الشىء نافذاً امره فيه منصوبة بأن مضمرة بعد أو (١٠) تغدو تأتى بالغدوة

بل قَسَمًا بالشمّ مِنْ يَعْرُبَ هل ... لِمُقْسِمٍ مِنْ بعد هذا منتهى (١)

هُمُ الاولى ان فَخَرُوا قال العُلا ... بِفِي أمرىءٍ فاخرَكُمْ عفرُ البَرَا (٢)

هُمُ الا ولى أجرَوْا ينابيع النَّدى ... هاميةً لِمَنْ عرَا أو اعتفى (٣)

هُمُ الذين دَوَّخُوا من انتخى ... وَقَوَّموا مِنْ صَعَرٍ وَمِنْ صَغَا (٤)

هُمُ الذين جَرَّعوا فما حَلَوا ... أفاوقَ الضَّيْمِ مُمَرَّاةَ الحسَا (٥)

أزَالُ حشْوَ نِثْرةٍ موْضونَة ... حتى أُوارَى بين أثناء الحُثَى (٦)

وصاحبٌ صارمٌ في متْنه ... مِثْلُ مدبِّ النَّمل يعلو في الرُّبى (٧)

أبيض كالملح اذا انْتضيْتهُ ... لم يلاق شيئًا حدُّهُ إلاّ فرَى (٨)

كأنَّ بين عيره وغرْبهِ ... مُفْتأداً تأكّلتْ فيه الجُذى (٩)

يُرِى المنونَ حين تقفو إثرَهُ ... في ظُلَمِ الأكبادِ سُبُلاً لا تُرى (١٠)

---

(١) قسما يميناً بالشم بالطوال او اشراف الناس ؛ يعرب قبيلة من العرب تنسب الى يعرب بن يشحب بن قحطان ؛ لمقسم لحالف ؛منتهى الغاية (٢) الاولى بمعنى هؤلاء العلا الفخر والرفعة بفي امرىء اى بفمه ؛ عفر وجه الارض ؛ البرى التراب (٣)ينابيع جمع ينبوع ؛ الندى الجودوالكرم ؛هامية سائلة ؛ عرا قصدوتعرض للطلب؛ او اعتفى او طلب من غير تعرض (٤) دوخوا اذلوا ؛ انتخى تكبر ؛ صعر تكبر ايضاً واصل الصعر الميل وهو ان يميل الانسان من التكبر ؛ صغا الميل (٥) جرعوا سقوا ؛ ما حلوا خاصدوا ؛ افاوق هو شرب مقطع نفس بعد نفس ؛ الضيم الذل ؛ ممراة مدرة ؛ الحسا جمع حسوة وهو اخذك الشيء بفمك متجرعاً له قليلاً قليلاً (٦) ازال جواب القسم محذوف منه لا ؛ حشو ما ادخل في جوفه فكأنه صار حشواً اذا لبسها ؛ نثرة درع واسع ؛ موضونة محكمة النسج. اوارى اغطى أثناء جمع ثنا وهو ما تثنى منها اى تراكب على بعض ؛ الحثى جمع حثوة وهو الثوب المتجمع (٧) صاحبي يعنى سيفه وفرسه ؛ صارم قاطع ؛ في متنه الجار والمجرور خبر مقدم لقوله مثل والجملة صفة لصارم ؛ ومتنه اى ظهره ؛ مدب النمل ودبيبه مشيه يريد فرند السيف يعلو يرتفع والربى جمع ربوة وهى ما ارتفع من الارض (٨) انتضيته جردته من غمده ؛ فرى قطع (٩) العير هنا الموضع الناتىء فى وسط السيف ؛ الغرب الحد يعنى حد السيف ؛ مفتأداً موضع النار تأكلت اكل بعضها بعضاً الجذى جمع جذوة وهى الجمرة [illegible] (١٠) المنون المنية تقفو تتبع

إذا هوَى فى جُثّةٍ غادرها من بعدما كانت خساً وهىَ زكا (١)
ومُشرفُ الأقطار خاظٍ نحضُهُ حابى القصيرى جُرشُعٍ عَرْدُ النَّسى (٢)
قَريبُ ما بين القَطاةِ والمَطا بَعيدُ ما بين القَذالِ والصلاَ (٣)
سامِى التَّليلِ فى دَسيعٍ مُفعَمٍ رحب اللبانِ فى أمينات العُجَى (٤)
رُكِبْنَ في حَوَاشبٍ مكتنّةٍ إلى نُسُور مثل ملفوظ النوَى (٥)
يَرْضَخُ بالبيدِ الحصى فان رقى الى الرُّبى أوْرَى بها نارَ الحبا (٦)
يُديرُ إعْليطَيْن فى مَلْمومةٍ الى لَمُوحَين بألحاظ اللأى (٧)
مُدَاخلُ الخلْقِ رَحيبٌ شجْرُهُ مُخْلَوْلِقُ الصَّهْوَةِ مُمْسُودُ وَأى (٨)

سبلاً طرقاً يريد ان هذا السيف دليل المنية فهو يريها طرق الموت وهـذا من رقيق الشعر (١) هوى وقع ؛ فى بمعنى على ؛ جثة الجسد ؛ غادرها تركها ؛ خسا فردا ؛ زكا الزوج يعنى به انه اذا وقع هذا السيف على جسد جعله قطعتين بعد ان كانت قطعة واحدة (٢) مشرف مرتفع عال ؛ الاقطار النواحى ؛ خاظ غليظ ؛ النحض اللحم ؛ حابي مرتفع ؛ القصيرى ضلع فى الجنب وهى الضلع السفلى ؛ جرشع غليظ الاضلاع او الضخم الصدر وهو محمود فى الخيل عرد الشديد من كل شيء , النسى عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهى الى الرسغ (٣) القطاة مكان الردف والمطا الظهر كله سمى بذلك لانه يمطى اى يركب والقذال من رأس الفرس معقد عذاره اى حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الاذنين والعذار وهو اللجام : الصلا العجز وهو آخر الوركين (٤) سامى هو العالى المرتفع والتليل العنق ؛ دسيع مغرز العنق فى الظهر ؛ مفعم ممتلىء رحب الواسع : اللبان الصدر امينات القويات الصحاح المسالمات الصلاب ؛ العجى جمع عجاية وهى عصب مركب به شيء كفص الخاتم (٥) ركبن يعنى العجى . حواشب جمع حوشب وهو عظم فى باطن الحافر ؛ مكتنة مستورة او مكتنزة ؛ نسور جمع نسر وهى لحمة ناتئة يابسة فى باطن الحافر شبهها بالنواة لصلابتها ؛ ملفوظ النوى ما لفظه منه اى رمى به وطرح والنوى جمع نواة وهى التى داخل التمرة (٦) يرضخ يكسر ؛ البيد جمع بيداء وهى القفر ؛ رقى ارتفع ; الربى جمع ربوة أورى اوقد بها ؛ الحبا دابة تضيء بالليل اسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر (٧) الاغليط وعاء ثمر المرخ شبه اذنى الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقلى الرطب تشبه آذان الخيل ؛ وملمومة هى الهامة المجتمعة المستوية واللموحين العينان ؛ والحاظ نظرات جمع لحظة ؛ واللأى الثور الوحشى والانثى لآة (٨) مداخل الخلق مجموع الخلق ؛ رحيب واسع ؛ شجر هو مجتمع عظم

لا صَككٌ يَشينهُ ولا فجاً ... ولا دَخيسٌ واهِنٌ ولا شَطَا (١)

يَجْرِى فتكبُو الرِّيحُ فى غاياتِهِ ... حَسْرَى تلوذُ بِجَرَاثِيمِ السَّحَا (٢)

لو اعتسفْتَ الأرض فوق متْنِهِ ... يجُوبها ماخِفْتَ أن يشكو الوجَى (٣)

تَظنُّهُ وهو يُرى مُحتَجباً ... عن العيون إن دأى أو إن ردى (٤)

إذَا اجْتَهدْتَ نظراً فى إثْرِهِ ... قلْتَ سَنًا أوْمضَ أو برْقٌ خفا (٥)

كأنَّما الجوزاء فى أرْساغِهِ ... والنَّجْم فى جَبْهتِهِ إذَا بدا (٦)

هُما عِتادِى الكافيانِ فقْدَ منْ ... أعْددْتُهُ فَلْينْأ عنّى منْ نأى (٧)

فإنْ سمِعْتَ برحًى منصوبة ... للْحرْب فاعلمْ أنّني قُطب الرَّحى (٨)

وان رأيْت نار حرْبٍ تلتَظِي ... فاعلم بأنّى مُسْعِرٌ ذاكَ اللَّظى (٩)

خيرُ النفوس السّائلاتُ جَهْرَةً ... على ظُباتِ المُرْهفاتِ والقَنا (١٠)

انَّ العِراق لَم أُفارِقْ أهله ... عنْ شَنَآنٍ صَدّنى ولا قِلَى (١١)

اللحين ؛ مخلولق املس ؛ الصهوة من الفرس موضع السرج ؛ ممسود مفتول ؛ واى الصلب الشديد او هو السريع من الخيل (١) الصكك احتكاك العرقوبين احدهما بالآخر ؛ يشينه يعيبه فجا تباعد ما بين العرقوبين كثيراً وهو الفجج ايضاً والفجا ايضاً تشقق العصب وانتشاره لفساده وهو عيب ؛ دخيس تراكم اللحم على حافر الفرس ؛ واهن ضعيف ؛ شطا عظم لاصق بالذراع (٢) فتكبو فتعثر ؛ غايات جمع غاية وهى منتهى جريه ؛ حسري منكشفة تلوذ تلجأ جراثيم جمع جرثومة وهو التراب الذى يجتمع فى اصول الشجر ؛ السحا ضرب من الشجر (٣) اعتسفت الارض قطعتها باعتساف منك اى على غير هدى متنه ظهره ؛ يجوبها يقطعها ويخرقها ؛ الوجى ان يبلغ الوجع الى باطن الرسغ (٤) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأياً وردى يردى ردياً اذا جري جرياً سريعاً (٥) سنا الضوء اومض اضاء اي لمع لمعاً خفيفاً ؛ الخفو لمع البرق فى نواحى الغيم (٦) الجوزاء نجم معروف وهو التوأمان وارساغ جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوظيف من كل دابة ؛ والنجم هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيله وبدا ظهر (٧) العتاد ما يتخذ عدة للدهر ؛ فلينأ فليبعد من نأى اذا بعد (٨) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة اهلها اذا تعاركوا ؛ قطب الحديدة او الخشبة التى تدور عليها (٩) تلتظى تشتعل مسعر موقد ؛ اللظى اللهب (١٠) جهرة عياناً ؛ وظباة جمع ظبية كثبة حد السيف والمرهفات السيوف الرقاق القنا الرماح واحدها قناة (١١) العراق قطر معروف على شاطىء دجلة والفرات

ولا آطّبى عينى مُـذ فارقتُهمْ ... شيء يروق العين من هذا الورى [1]

هُم الشّناخيبُ المُنيفاتُ الذرا ... والناس أدحالٌ سواهُم وهُوى [2]

هُمُ البُحور زاخرٌ آدِيُّها ... والناس ضَحضَاحٌ ثِعابٌ وأضَى [3]

انْ كنتُ أبصرتُ لهم من بعدهم ... مِثلاً فأغضيتُ على وخزِ السفا [4]

حاشا الاميرَيْن اللذين أوْفَدا ... عليَّ ظِلاً من نعيمٍ قد ضفا [5]

هما اللّذان أثبتا لِي أملاً ... قد وقف اليأسُ به على شفا [6]

تلافَيَا العَيْش الذى رنّقهُ ... صرفُ الزّمان فاستساغَ وصفا [7]

وأجْرَيا ماءَ الحَيا لِى رغداً ... فاهتزَّ غُصني بعدما كان ذَوى [8]

هما اللّذانِ سمَوا بِناظرى ... من بعد إغضائى على لَذْعِ القذَى [9]

هما اللّذان عمَّرا لى جانباً ... من الرّجاءِ كانَ قِدْماً قَدْ عفا [10]

وقلّدانى مِنّةً لوْ قُرِنَتْ ... بشكر أهل الأرض عنّي ما وَفى [11]

وشنآن بغض وصدني منعني وصرفني ؛ والقلى البغض (١) اطبي استمال ؛ ويروق يعجب (٢) الشناخيب اطراف الجبال واحدها شنخوب ؛ والمنيفات المرتفعات الطوال وهي الشواهق ; والذرا جمع ذروة وهي اعالى الجبال ؛ وادحال جمع دحل وهي الحفير الغامض من الارض يتسع اسفله ويضيق اعلاه ؛ وهوى جمع هوة بمعنى الدحل ٣) زاخر الماء الكثير الفائض والآدي الموج وضحضاح الماء القليل ؛ وثعاب جمع ثعب وهو الموضع المطمئن فى اعلى الجبال يستنقع فيه ماء المطر أضى جمع أضاة وهى الغدران الصغار يعني انهم البحور والناس ضحضاح اي ماء قليل (٤) اغضيت صبرت على المكروه وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة ؛ السفا شوك شجر يوجد فى البادية يدعى البهمى (٥) اوفدا ارسلا ضفا كثر من قولهم ضفا ذيل الفرس اذا كثر وطال (٦) شفا الشيء طرفه وحرفه (٧) تلافياً تداركا ؛ رنقه كدره والرنق الماء الكدر ؛ صرف الزمان تقلبه من حال الى حال استساغ سلس فى الحلق وطاب (٨) الحيا مقصور الغيث والخصب رغدا السعة فى العيش ؛ فاهتز غصني طال واصل الهز التحريك ؛ ذوي ذبل (٩) سموا بناظرى رفع ناظرى والباء للتعدية ؛ اغضائي تغافلى ؛ لذع حرقة ؛ القذى ما يقع فى العين (١٠) قدماً قديماً ؛ عفا درس (١١) وقلداني منة اى جعلاها فى عنق وهو موضع القلادة ؛ منة نعمة وجمعها منن

بالعُشر مِن مِعْشارها وكانَ كالـ حَسْوَةِ في آذِيِّ بَحْرٍ قد طَمى (١)
إنّ ابن مِيكال الأميرَ انتاشني من بعدما قد كنتُ كالشيء اللقا (٢)
ومدَّ ضَبعيَّ أبو العبّاس من بعدِ انقباضِ الذَّرعِ والباعِ الوَزَى (٣)
ذاكَ الذي ما زال يسمو للعُلا بفعله حتى علا فوق العُلا (٤)
لو كان يَرقى أحدٌ بجُوده ومجده الى السّماء لارتقى (٥)
ما إنْ أتى بحرَ نَداه مُعتَفٍ على أُوارى عَلَمٍ إلا ارتوى (٦)
نفسي الفِداءُ لأميرَيَّ ومَنْ تحت السماء لأميرَيَّ الفِدا
لازال شُكري لهما مُواصِلاً لَفظي أو يَعتاقني صَرْفُ المُنى (٧)
إن الأُولى فارَقْتُ من غيرِ قِلًى ما زاغَ قلبي عنهمُ وما هَفا (٨)
لكنْ لي عزماً اذا امتطيتُهُ لمُبهَمِ الخطبِ فآهُ فانفأى (٩)
ولو أشاءُ ضمَّ قُطْرَيْهِ الصِّبا عليَّ في ظِلِّ نَعيمٍ وغِنى (١٠)
ولا عَبِثَتْ بي غادةٌ وَهنانَةٌ تُضني وفي تَرشافِها بُرءُ الضَّنى (١١)

قرنت قيست ؛ ما وفى ما قام ولا عدل شكرهم (١) الحسوة الجرعة مما يشرب ؛ آذي الموج طمى امتلأ وارتفع (٢) ابن ميكال وهو عبد الله بن محمد بن ميكال وهو فارسي من امراء فارس انتاشني نعشني واللقا الشيء المطروح (٣) ضبعي عضدي ؛ وابو العباس هو اسماعيل بن عبد الله المتقدم فمدح الاب والابن والذرع والذراع واحد ؛ والباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والكرم ؛ والوزى القصير (٤) يسمو يرتفع (٥) يرقى يرتفع (٦) الندى الكرم ؛ معتفي طالب الرفد ؛ اواري حرارة الشمس والنار علم جبل صغير ؛ ارتوى اكتفى من الماء وغيره

(٧) او يعتاقني ؛ او يصرفني واو بمعنى حتى ؛ وصرف التقلب ؛ والمنى بفتح الميم مقصور المقدر (٨) من غير قلى من غير بغض ؛ ما زاغ ما مال ؛ ولا هفا ولا زل (٩) عزما عقدا على فعل امر ؛ امتطيته ركبته ؛ المبهم من الامور المغلق فاه شقه (١٠) ضم قطريه جمع ناحيتيه ؛ نعيم ما امتد عليه منه والنعيم ضد البؤس وهو طيب العيش وسعته (١١) لاعبتني من اللعب ومعناه مازحتني ؛ غادة الفتاة الناعمة ؛ وهنانة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة الحديث ؛ تضني تسقم والضنى الهزال من المرض الترشاف المص او فوقه ؛ برء الضنى ذهاب السقم اي هي تضني وفي

تَفْرِي بسيفٍ لَحظِها ان نظرتْ ... نظرَةَ غضبي منكَ أَثناءَ الحشا (١)

في خدِّها روضٌ من الوردِ على النِّسـ ... ـرينِ بالألحاظِ منها يُجتنى (٢)

لو ناجَتِ الأعصَمَ لانحطَّ لها ... طوعَ القيادِ في شماريخِ الذُّرا (٣)

أو صابَتِ القانتَ في مُخلَوْلقٍ ... مُستصعَبِ المسلَكِ وعرِ المُرتقى (٤)

ألهاهُ عن تَسبيحِهِ ودِينِهِ ... تأنيسُها حتى تَراهُ قد صبا (٥)

كأنَّما الصهباءُ مقطوبٌ بها ... ماءُ جنى وردٍ إذا الليلُ عسا (٦)

يَمتاحهُ راشفُ بَرْدِ ريقِها ... بين بياضِ الظَّلْمِ منها واللَّمى (٧)

سقّى العقيقَ فالحزيزَ فالملا ... إلى النَّحيتِ فالقُرَيّاتِ الدُّنا (٨)

فالمِرْبدِ الأعلى الذي تلقى به ... مصارعَ الأُسْدِ بألحاظِ المها (٩)

محلَّ كلِّ مُقرمٍ سمتْ به ... مآثرُ الآباءِ في فرعِ العلا (١٠)

من الأُلى جوهرُهُمْ إذا اعتزَوا ... من جوهرٍ منهُ النبيُّ المصطفى (١١)

تقبيلها البرء من السقم (١) تفري تقطع؛ اللحظ النظر ؛ غضبى مغتاظة ؛ اثناء الحشا ما انثنى منها اي ما انعطف والحشا الكبد وما اتصل بها (٢) النسرين النور الابيض ؛ الالحاظ النظرات جمع لحظة ؛ يجتنى يقتطف (٣) ناجت كلمت ؛ الاعصم الوعل الذي في احدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وسائر بدنه اسود او احمر ؛ لانحط لنزل ؛ القياد التذلل ؛ شماريخ رؤس الجبال واحدها شمراخ ؛ الذرى اعالى الجبال واحدها ذروة (٤) صابت صادفت القانت القائم بالعبادة مخلولق الجبل الاملس مستصعب صعب ؛ وعر الصعب والمرتقى المصعد (٥) الهاه شغله ؛ تأنيسها انسها وحديثها ؛ صبا مال ولها (٦) الصهباء الخمرة مقطوب ممزوج ؛ ماء جنى ورد اي ما اخذ من الورد طرياً ؛ عسا الليل اظلم (٧) يمتاحه يستقيه ؛ راشف المتناول الشراب بشفتيه ؛ الظلم بفتح الظاء الاسنان البيض حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد ؛ اللمى سمرة الشفتين (٨) العقيق والحزيز والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها القريات جمع قرية مصغرة ؛ الدنا جمع دنيا مؤنث ادنى بمعنى القريب (٩) المربد موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء ؛ مصارع الاسد مواضع سقوطها عند الموت واراد بالاسد الرجال واراد انهم صرعوا بألحاظ المها اي قتلتهم الحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهي البقر الوحشي الواحدة مهاء والحاظ نظرات (١٠) مقرم السيد الكريم واصله فحل الابل ومآثر جمع مأثرة الصنيعة الحسنة وفرع كل شيء اعلاه (١١) من الاولى من الذين ؛ وجوهرهم اصلهم واذا اعتزوا اذا انتسبوا ؛ والمصطفى المختار

صلى عليهِ الله ما جَنَّ الدُّجى ... وماجرت فى فلكٍ شمس الضحى (١)

جَوْنٌ أعارتهُ الجنُوبُ جانبِاً ... منها وواصتْ صَوْبهُ يدُ الصَّبا (٢)

نأى يمانياً فلمَّا انتشرتْ ... أحضانُهُ وامتدَّ كسراهُ غطا (٣)

فجلَّل الأفق فكلُّ جانبٍ ... منها كأنْ من قُطرِهِ المُزْن حبا (٤)

وطبَّق الأرض فكل بُقعةٍ ... منها تقولُ الغيثُ فى هاتا ثوى (٥)

إذا خبتْ بُرُوقهُ عنَّتْ لها ... ريحُ الصَّبا تُشبُّ منها ما خَبا (٦)

وانْ ونتْ رُعودُهُ حدا بها ... راعِي الجنُوبِ فحدتْ كما حدا (٧)

كأنَّ فى أحضانِهِ وبَرْكِهِ ... بَرْكاً تداعى بين سَجْرٍ ووحي (٨)

لم ترَ كالمُزْنِ سَواماً بُهلاً ... تحسبُها مَرْعيةً وهي سُدا (٩)

تقولُ للأجْرازِ لمَّا استوْسقتْ ... بِسَوْقِهِ ثِقِي برِيٍّ وَحيا (١٠)

صلى الله عليه وسلم (١) جن الدجى اظلم وستر ؛ والدجى الظلمة (٢) جون فاعل سقى المتقدمة وهى هنا السحاب الاسود وتأتي للابيض ضده وأغارت انزلت والجنوب الريح القبلية تجيء بالمطر وواصت واصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح الشرقية (٣) نأي يمانياً اي طلع من ناحية اليمن يريد الغنم وانتشرت كثرت واحضانه نواحيه واصل الحضن ما دون الابط الى الكشح وكسراه تثنية كسر وهو طنب الخبا وانما كنى بالكسرين عن اذيال السحاب ويريد ان السحاب جرت على الارض اذيالها وغطا ارتفع او انبسط (٤) فجلل فغطى والافق الناحية وجمعها آفاق من قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه اقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحبا امتلأ ودنا يريد السحاب (٥) طبق الارض غطى الارض ؛ فكل بقعة فكل مكان وفى هاتا فى هذه وثوي اقام (٦) خبت بروقه اي خمدت وسكنت وعنت عرضت وتشب توقد (٧) وان ونت ضعفت وفترت ؛ وحدا بها ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذي يسوق الابل بالغناء ؛ وراعى الذي يرعى الابل اي يحفظها والجنوب الريح القبلية ؛ فحدت فساقت ؛ كما حدا كما ساق (٨) كأن فى احضانه فى نواحى هـذا الافق فالضمير عائد على الافق او على السحاب وهو احسن والبرك الاول الصدر والثاني الابل ؛ وتداعى تتداعى والتداعي هو ان يدعو بعضها بعضاً ؛ وسجر حنين وهو طلب الناقة الى ولدها وهو صوت شجي ؛ ووحى الصوت (٩) المزن السحاب وسواماً بلا راعية وبهلا هى التى لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من البانها ؛ وسدي المهملة التى لا راعى لها (١٠) الاجراز جمع جرز وهى الارض الصلبة التى لم يصبها المطر واستوسقت حملت ما يكفيها

فأوسعَ الأحداب سَيْباً مُحْسِباً وطبّق البُطنان بالماءِ الرِّوَى [١]

كأنما البَيْداءُ غِبَّ صَوْبِهِ بحرٌ طَمَا تيارُهُ ثمّ سَجا [٢]

ذاك الجدا لا زال مخصوصاً بهِ قوم همُ للأرض غيثٌ وجدا [٣]

لستُ إذا ما بَهَظتْني غَمْرةٌ ممن يقول بلغ السَّيلُ الزُّبى [٤]

وان ثوتْ تحت ضلوعي زَفْرةٌ تملأُ ما بين الرَّجا الى الرَّجا [٥]

نَهْنَهْتُها مَكظومةً حتى يُرى مُخْضَوْضِعاً منها الذي كان طَغا [٦]

ولا أقول ان عرتْني نَكبةٌ قولَ القَنُوطِ انقدَّ في البطن السَّلا [٧]

قد مارَستْ مِنّي الخطوبُ مارساً يُساوِرُ الهَوْلَ اذا الهَوْلُ علا [٨]

لِيَ ٱلتواءٌ إنْ مُعادِيّ ٱلتوى وليَ استواءٌ انْ مُوالِيّ استوى [٩]

طَعْمِي شَرِيٌّ للعـدُوّ تارةً والرَّاحُ والأَرْيُ لمن ودّي ابتغى [١٠]

لَدْنٌ اذا لُويِنْتُ سَهْلٌ مَعْطِفي أَلْوَى اذا خُوشِنْتُ مَرهوبُ الشَّذا [١١]

من الماء وثق بري اطمئنى بري اي بشم من الماء وحيا خصب (١) الاحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض وغلظ وسيباً غطاء ؛ محسباً كافياً وطبق غطى والبطنان جمع بطن وهو الغامض من الارض والروي الماء الكثير (٢) البيداء القفر وغب صوبه عقب مطره وانتصب غب على الظرف والصوب نزول المطر وطما ارتفع وتياره موجه وسجا سكن (٣) الجدا الاول النائل والعطاء والذي فى آخر البيت يحتمل أن يكون أراد به الجداء بالمد وهو الغناء ثم قصره لضرورة الشعر ويحتمل ان يكون المراد به المعنى الاول (٤) بهظتنى شقت على غمرة هى الكربة والشدة واحدة الغمرات الزبي جمع زبية وهى حفرة تحفر للاسد فى المكان العالى من الارض وليس يبلغها الا سيل عظيم وهو مثل تضربه العرب اذا اشتد بأحدهم الامر (٥) ثوت اقامت ؛ زفرة هى ترجيع الصوت بالبكاء الرجا الجانب (٦) نهنهتها اكففتها وزجرتها مكظومة متجرعة مخضوضعاً متذللا طغا كثر او تكبر (٧) عرتنى اصابتنى ؛ نكبة مصيبة ؛ القنوط اليائس ؛ انقد انقطع السلا بفتح السين المشيمة التى تتعلق بالولد وتسقط معه (٨) مارست عاركت وضاربت الخطوب الامور ؛ مارساً شديداً ؛ يساور الهول يغالبه ويطاوله والهول الشدة ؛ علا ارتفع (٩) التواء انعواج ؛ معادى العدو ؛ الموالى الصديق الذي يوالى ؛ استوى اعتدل (١٠) شري حنظل الارى العسل الابيض ؛ ابتغى طلب (١١) لدن لين ؛ لوينت اخذت باللين

يَعتَصِمُ الحِلْمُ بجَنْبَي حَبْوَتي إذا رياحُ الطَّيْشِ طارَتْ بالحُبا (١)

لا يَطبِيني طَمَعٌ مُدَنِّسٌ إذا استمالَ طمعٌ أو اطَّبى (٢)

وقد علتْ بي رُتَبًا تجاربي أشفَينَ بي منها على سُبْلِ النُّهى (٣)

إن امرؤٌ خيف لإفراط الأذى لم يُخْشَ مني نَزَقٌ ولا أذى (٤)

من غير ما وهنٍ ولكنّي امرؤٌ أصونُ عرضًا لم يُدنّسهُ الطَّخا (٥)

وصَونُ عِرضِ المرءِ أن يَبذُلَ ما ضَنَّ به ممّا حواهُ وانتقى (٦)

والحمد خير ما اتَّخذتَ عُدَّةً وأنفس الأذخارِ من بعد التقى (٧)

وكلُّ قَرْنٍ ناجمٍ في زَمَنٍ فهو شبيهُ زمنٍ فيه بدا (٨)

والناس كالنَّبْت فمنهمْ رائقٌ غَضٌّ نَضيرٌ عُودُه مُرُّ الجَنى (٩)

ومنهُ ما تقتحِمُ العين فان ذُقتَ جَناهُ انساغَ عَذْبًا في اللَّها (١٠)

يُقوِّمُ الشارخُ مِنْ زَيغانِهِ فيَستوي ما انعاجَ منهُ وانحنَى (١١)

والشيخ إن قوَّمتَهُ مِنْ زَيغِهِ لم يُقِمِ التثقيفُ منه ما التوَى (١٢)

وضده ؛ معطى رجوعى الوي شديد الخصومة ' خوشنت اخذت بالخشونة وهى الصعوبة او صرعت مرهوب مخوف والشدا الحدة او الاذى (١) يعتصم يتمسك ؛ بجنبي بناحيتي ؛ حبوتي شد الازار على الركبتين والظهر : الطيش خفة العقل : بالحبا جمع حبوة (٢) لا يطبيني لا يستميلني ؛ مدنس موسخ اذا استمال قاد وجذب : اطبى استمال ايضاً (٣) تجاربي جمع تجربة الاختبار ' اشفين بي اشرفن بي ؛ النهى العقول (٤) الافراط ان يبلغ الامر فوق حده نزق خفة (٥) وهن ضعف ؛ لم يدنسه لم يوسخه والطخا العيب (٦) انتقى اختار (٧) عدة عمدة والاذخار جمع ذخر وهو المخبوء (٨) وكل قرن اي وكل امة وناجم مرتفع (٩) رائق معجب وغض الطري الاخضر الناعم وكذلك النضير والجنى ما قطف من الثمر (١٠) تقتحم العين تتركه كرهاً له وتعدوه الى غيره وجناه ما اجتني منه وانساغ سهل بلعه وعذباً حلواً واللها جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة بأصل الحنك (١١) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرخ الشباب اوله ؛ زيغانه يقال زاغ الشيء اذا مال انعاج انعطف انحنى مثله (١٢) من زيغه من ميله لم يقم اي يقوم ؛ التثقيف التقويم ؛ ما التوى ما انعوج

كذلك الغُصن يَسيرٌ عطفُهُ ... لَدْنًا شديدٌ غَمزُهُ إذا عَسا (١)

من ظَلَمَ الناس تحاموْا ظُلْمَهُ ... وَعزَّ عنهم جانباهُ وٱحتَمَي (٢)

وهم لمن لانَ لهم جانبُهُ ... أظلمُ من حيّاتِ أنباثِ السَّفا (٣)

عَبيدُ ذى المال وان لم يطمَعوا ... مِنْ غمره فى جُرْعةٍ تَشفى الصدَى (٤)

وهم لمنْ أملَقَ أعداءٌ وإنْ ... شاركَهم فيما أفاد وحَوى (٥)

عاجَمْتُ أيّامىْ وما الغِرُّ كمن ... تأزَّرَ الدَّهرُ عليهِ وٱعتَدَى (٦)

لا يَرْفَعُ ٱللبُّ بلا جدٍّ ولا ... يحُطُّكَ الجهل إذا ٱلجدُّ علاَ (٧)

مَنْ لم يَعِظْهُ الدَّهر لم ينفعه ما ... رَاحَ به الواعظ يوما أو غدَا (٨)

من لم تُفِدْهُ عِبَرًا أيّامُهُ ... كان العَمى أوْلى به من الهُدَى (٩)

مَنْ قاس ما لم يَره بما يَرى ... أراهُ ما يدنو اليه ما نأى (١٠)

منْ ملَّكَ الحرصَ القِيادَ لم يَزل ... يَكرَعُ منْ ماءٍ منَ الذُّلّ صَرَى (١١)

مَنْ عارض الأطماع باليأس رَنَتْ ... اليه عينُ العزّ منْ حيثُ رَنا (١٢)

مَنْ عطفَ النَّفس على مَكروهِها ... كان الغِنَى قرينهُ حيثُ انتوَى (١٣)

---

(١) لدنا لينا الغمز التقويم : عسا صلب (٢) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ؛ عز عنهم امتنع عنهم والعزة القوة والشدة ؛ إحتمى امتنع (٣) لان ضعف وسهل . الانباث التراب المستخرج من البئر ؛ السفا ما تسفه الريح (٤) الغمر الماء الكثير ؛ الجرعة القليل من الماء ؛ تشفى تبرأ ؛ الصدا العطش (٥) املق افتقر (٦) عاجت ايامى ما ضغتها واختبرتها ؛ الغر الذى لم يجرب الامور تأزر من الآزار (٧) لا يرفع اللب من الرفعة اى لا تعلو منزلته واللب العقل وجه الباب؛ الجد بالفتح الحظ والبخت (٨) راح اتي بالعشى ؛ غداً اتى بالغدو (٩) من لم تفده اى تكسبه ؛ عبراً جمع عبرة وهى التذكرة (١٠) من قاس من مثل ؛ واراه ما يدنو اي ما يقرب؛ ما نأى ما بعد (١١) القياد الطاعة ؛ يكرع يشرب بفيه بدون آلة ؛ صرى الماء الدائم الذي قد طال مكثه جمع صراة (١٢) الاطماع جمع طمع ؛ واليأس انقطاع الرجاء ورنت نظرت (١٣) عطف امال ورد وقرينه صاحبه ؛ وحيث انتوى اى حيث نوى من النية بمعنى القصد وقيل من النوى وهو الـ

من لم يقف عنـد انتهاء قَدْرِهِ ... تَقَاصرَتْ عنه فَسِيحاتُ الخُطا (١)

مَنْ ضَيَّعَ الحزم جنى لنفسه ... ندامةً أَلْذَعَ من سفع الذَّكا (٢)

مَنْ ناط بالعُجْبِ عُرَى أخلاقه ... نيطتْ عُرى المقْتِ إلى تلك العرى (٣)

مَنْ طـالَ فوقَ مُنْتهى بَسْطتِهِ ... أَعْجزَهُ نيلُ الدُّنى بَلْهَ القصا (٤)

من رام ما يعجزُ عنـهُ طوقُهُ ... ملعبْءِ يوماً آض مجزولَ المطا (٥)

والناس ألفٌ منهمُ كواحد ... وواحدٌ كالالف ان أمرٌ عنى (٦)

وللفتى من مالهِ ما قدَّمَتْ ... يداهُ قبـل موتهِ لا ما اقْتنى (٧)

وإنما المرء حديثٌ بعـدهُ ... فكن حديثاً حَسَناً لمن وَعى (٨)

إنّي حَلبْتُ الدَّهر شَطْريْهِ فقـد ... أمرَّ لي حيناً وأحياناً حلا (٩)

وفرَّ عن تجربة نابي فَقُلْ ... في بازلٍ راضَ الخطوبَ وامتَطى (١٠)

والنـاس للموتِ خلاً يلُسُّهُمْ ... وقلَّ ما يبقى على اللسِّ الخلا (١١)

عجبت مِنْ مُستيقِن أنّ الرّدى ... إذا أتاه لا يُداوى بالرُّقى (١٢)

---

(١) تقاصرت قصرت وفسيحات واسعات والخطا جمع خطوة (٢) الحزم الاحتراس بالافعال ندامة حسرة ؛ الذع اشد حرقة : سفع الاحراق ؛ الذكا التهاب النار (٣) ناط علق والصق ؛ عري جمع عروة وهي ما يتمسك به . اخلاقه طبائعه ؛ نيطت علقت . المقت اشد الغضب (٤) من طال من ارتفع . البسطة الفضيلة . اعجزه اضعفه نيل ادراك . الدني جمع الدنيا وهي الشيء القريب بله بمعنى غير اودع القصا جمع القصوة وهو الشيء البعيد (٥) رام طلب . ما يعجز عنه ما يقصر عنه . طوقه طاقته . ملعبء اصله من العبء وهو الثقل وجه اعباء . آض رجع . مجزول مقطوع المطا الظهر (٦) عنى قصد او لزم (٧) اقتنى اكتسب (٨) لمن وعى لمن حفظ (٩) حلبت الدهر جربته شطريه نصفيه . واراد بشطريه اول زمانه وآخره او نعيمه وبؤسه (١٠) وفر عن تجربة نابي اي كشف عن امره وهذا مأخوذ من قولهم فر عن الدابة اذ فتح فاها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها . بازل من الابل التى اتت عليه تسعة اعوام راض الخطوب اذ لها . امتطى الدابة ركبها (١١) الخلا الحشيش الرطب . يلسهم يأكلهم (١٢) مستيقن عالم . الردي الهلاك الرقي جمع رقية التحويطة من العداوة والحسد

وهو من الغَفْلةِ فى أُهْوِيّةٍ   كخابطٍ بين ظَلَام وعشَا (١)

نحن ولا كُفران لله كما   قد قيل للسّاربِ أُخلَى فارْتعي (٢)

إذا أحسّ نبأةً رِيعَ وإنْ   تطَامَنَتْ عنـه تَمادَى ولهَا (٣)

كَثُلَّةٍ رِيعت لليْثٍ فانزَوت   حتى اذا غاب اطْمأنّت إنْ مضى (٤)

نهـالُ للسّبْرِ الذى يرُوعنا   ونَرْتعِي فى غفلةٍ اذا انقَضى (٥)

إن الشّقاءَ بالشّقيّ مُولعٌ   لا يملِكُ الرّدَّ له اذا أتى (٦)

واللّومُ للحرّ مُقيمٌ رادعٌ   والعبْدُ لا يردعُهُ إلاّ العصـا (٧)

وآفة العقـل الهوى فمن علا   على هواهُ عقله فقد نجـا (٨)

كم من أخٍ مسْخُوطة أخلاقه   أصفيْتُهُ الوُدَّ لخُلق مُرْتضى (٩)

اذا بلوتَ السّيف محموداً فلا   تذْممه يوماً أن تراه قد نبا (١٠)

والطِرْفُ يجْتازُ المَدَى وربّما   عنّ لمِعْداهُ عِثارٌ فكبا (١١)

منْ لك بالمُهذّبِ النّدْبِ الذى   لايجدُ العيبُ اليهِ مُختطي (١٢)

---

(١) الاهوية الغامض من الارض . الخابط الذي يمشى ليلاً بغير مصباح العشا ضعف فى البصر (٢) كفران والكفر واحد واصل الكفر التغطية . السارب الظاهر بماله من الماشية وكل متصرف فى حوائجه فهو سارب اي ذاهب . اخلى يقال اخلى الله الماشية انبت لها الحشيش (٣) احس يعني السارب اي علم . نبأة الصوت الخفى . ريع فزع (٤) ثلة بالفتح الجماعة من الغنم وبالضم الجماعة من الناس والمراد الاول . ريعت فزعت . انزوت انقبضت اطمأنت هدأت وسكنت (٥) نهال نفزع يروعنا يفزعنا . نرتعى نرعى . انقضى ذهب (٦) مولع المغرم بالشيء . لا يملك الرد اي لا يملك الدفع والصرف (٧) اللوم بالفتح من الملامة وهى العتاب مقيم مصلح . رادع كاف (٨) آفة العقل مضرته ومفسدته . الهوى الشهوة . علا ارتفع (٩) مسخوطة من السخط وهو ضد الرضا . أخلاقه طبائعه . أصفيته الود أخلصت له الود . مرتضى مستحسن (١٠) بلوت اختبرت. نبا ارتفع عن المضروب ولم يقطع فيه شيئاً (١١) الطرف بالكسر الكريم من الخيل . يجتاز يجوز . المدى الغاية . عن عرض . لمعداه لجريه عثار مصدر عثر يعثر عثاراً . اذا كبا أى سقط لوجهه (١٢) المهذب العاقل الظريف الندب الرجل الخفيف فى

اذا تصفَّحْت أمور الناس لم ... تُلْفِ امرأً حاز الكمال فاكتفى (١)

عوِّلْ على الصبْر الجميل انه ... أمنعُ ما لاذ به أولوا الحِجا (٢)

وعطِّفِ النفس على سُبْلِ الأسى ... اذا استفزَّ القلبَ تبريحُ الجوَى (٣)

والدَّهر يكبو بالفتى وتارة ... ينْهضُهُ منْ غثْرةٍ إذا كبا (٤)

لا تعجبنْ من هالكٍ كيف هوى ... بل فاعجبنْ من سالمٍ كيف نجا (٥)

إنَّ نجوم المجدِ أمْستْ افَّلا ... وظلُّهُ القالِصُ أضحى قد أزَى (٦)

إلا بقايا منْ أناسٍ بهم ... إلى سبيلِ المكْرُماتِ يُقْتدى (٧)

اذا الأحاديث انتضتْ أنباءَهُم ... كانت كنشر الرَّوض غاداهُ السَّدى (٨)

لا يسمع السَّامع فى مجالسهم ... هُجراً اذا جالسهم ولا خَنَا (٩)

ما أنعم العيشة لو أن الفتى ... يقبل منه الموتُ أسْناءَ الرُّشا (١٠)

أو لو تحلَّى بالشَّباب عمرُهُ ... لم يستلبْهُ الشَّيبُ هاتيك الحُلي (١١)

هيهات مهما يُستْعرْ مُسترجعٌ ... وفى خطوب الدَّهر للناس أُسي (١٢)

وفِتيةٍ سامرهم طَيفُ الكرى ... فسامروا النَّوم وهم غِيد الطّلى (١٣)

---

(١) تصفحت نظرت واستقصيت . لم تلف لم تجد . اكتفى أى اجتزأ به (٢) عول على الصبر أى أرجع اليه واعتمد عليه . أمنع أحمى وأقوى . الحجا العقل (٣) الاسا التصبر . استفز استخف . تبريح شده . الجوى فساد الجوف (٤) يكبو يعثر (٥) هوى سقط (٦) أفلا غائبات . القالص المرتفع وفرس قالص طويل القوائم ـ اذا تصر ونقص (٧) يقتدى يتبع فعلهم (٨) انتضت أظهرت من نضا الشيء اذا اظهر . الانباء الاخبار . النشر الرائحة الطيبة . الروض الموضع الذى يكون فيه ضروب من النبات . غاداه باكره . السدى الندى في هذا الموضع وهو المطر (٩) هجراً يضم الهاء القبيح من القول وكذا الخنا أيضا (١٠) العيشة الحياة . أسناء الرشا أرفعها وأعلاها والرشا جمع رشوة وهي العطية التي يحابى بها الانسان (١١) تحلى بالشباب لبسه وتزيا به . لم يستلبه لم يجرده . الحلى جمع حلية (١٢) هيهات بمعنى ما أبعد مسترجع مردود . أسى جمع أسوة وهي ما يتأسى به الانسان مما نزل بغيره (١٣) سامرهم حادثهم ليلا . غيد جمع أغيد وهو الناعم . الطلى الاعناق

والليل مُلْقٍ بالموامي بركَهُ	والعيس يُنْبِثْنَ أفاحيص القطا (١)
بحيث لا تهدى لسمعٍ نبأة	إلا نئيم البوم أو صوت الصدى (٢)
شايعتهم على السرى حتى إذا	مالت أداة الرحل بالجبس الدوى (٣)
قلت لهم إن الهوينا غبّها	وهن فجدّوا تحمدوا غبّ السرى (٤)
ومُوحِشِ الأقطار طامٍ ماؤهُ	مُدعثرِ الأعضادِ مَزْوم الجبا (٥)
كأنما الريشُ على أرجائه	زُرْقُ نصالٍ أُرْهِفت لِتُمْتَهي (٦)
وردتهُ والذئبُ يعوي حولهُ	مُستَكُّ سمّ السمع من طول الطوى (٧)
ومُنْتَجٍ أمُّ أبيه أمُّهُ	لم يتخوّن جسمهُ مسُّ الضوى (٨)
أفرشتهُ بنتَ أخيه فانثنت	عن ولدٍ يُورى بهِ ويُشْتَوى (٩)
ومرقبٍ مُخْلَوْلَقٍ أرجاؤهُ	مُستصعبِ المسلكِ وعرِ المرتقى (١٠)

(١) الموامي جمع موماة وهي القفر . البرك الصدر . العيس الابيض من الابل . ينبثن يخرجن : أفاحيص القطا أوكارها واحدها أفحوص (٢) نبأة الصوت الخفى نئيم البوم صوته والبوم الهام . الصدى ذكر الهام (٣) شايعتهم تابعتهم على رأيهم في سير الليل . أداة الرحل حوائج الرحل . الجبس الرجل الثقيل . الدوى الأحمق (٤) وهن ضعف . فجدوا فاجتهدوا (٥) موحش الاقطار يعنى به بئراً أوحوضاً والموحش ضد المؤنس والاقطار النواحى . طام مرتفع . مدعثر مهدوم . الاعضاد ما حواليه من صفائح الحجارة التي تعضده . الجبا بفتح الجيم ما حول البئر او الحوض (٦) أرجائه نواحيه زرق نصال بيض نصال . ارهفت رققت . تمتهي تسقى بالماء (٧) وردته يعني وردت هذا الماء والهاء عائد على الماء في قوله طام ماؤه . يعوي يصيح من الجوع . مستك ضيق سم السمع . والاستكاك الصمم سم الثقب . والطوى الجوع . وايضاً خمص البطن وهو ضموره (٨) ومنتج يريد رب غصن منتج اي مولود . ام ابيه ام امه . يريد غصناً قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة ام الفرع والفرع جعله للغصن بمنزلة الاب على الاستعارة والشجرة ام الفرع وام الغصن لانها منها فصارت اماً لابيه واماً له . لم يتخون لم يتعاهد . الضوى الهزال (٩) افرشته بنت اخيه حككت به غصناً آخر . وعن ولد يريد عن شرار . ويوري يشعل . يشتوى اي يشتوي به يقال شويت اللحم واشتويته (١٠) مرقب الموضع العالى الذي ينظر منه الى بعد ومخلولق املس . وارجاؤه نواحيه . ومستصعب صعب . والمسلك الطريق

والشّخص فى الآل يُرى لناظر ترمقهُ حيناً وحيناً لا يُرى (١)
أوفيتُ والشّمس تمجُّ رِيقها والظلّ من تحت الحِذاء محتذى (٢)
وطارقٍ يُؤنِسهُ الذّئبُ اذا تضورَ الذّئبُ عِشاء وانْضوى (٣)
آوَى الى نارىَ وهىَ مألفٌ يدعو العُفاة ضوؤها الى القرَى (٤)
لله ما طيفُ خيال زائرٍ تزُفّه للقلب أحلام الرُّؤى (٥)
يجوبُ أجواز الفلا محتقراً هَولَ دُجى الّليل اذا اللّيل انبرى (٦)
سائلهُ ان أفصح عن أنبائهِ أنّى تسدّى الليل أم أنّى اهتدَى (٧)
أو كان يدرِى قبلها ما فارسٌ وما موَامِيها القِفارُ والقُرَى (٨)
وسائلى بمُزعجى فى وَطنى ما ضاق بى جنابُهُ ولا نبَا (٩)
قلتُ القضاء مالكٌ أمرَ الفتى من حيث لا يدرى ومن حيث درى
لا تسأ لَنّى واسأل المقدارَ هل يَعصمُ منه وَزَرٌ ومُزدرَى (١٠)

(١) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعد . والآل السراب . وترمقه تنظره . وحيناً وقتاً (٢) اوفيت اتيت ووصلت اى اليه وتمج تلقى . وريقها لعابها ولعاب الشمس انما يكون فى وقت الظهيرة وهو مثل نسج العنكبوت يتراءى فى الشمس . والحذاء النعل ومحتذى ملصق (٣) وطارق الذى يجىء بالليل . وتضور صاح من الجوع (٤) اوى الى نارى انضم الى نارى ومألف الموضع الذى يجتمع فيه الاحباب والعفاة الفقراء (٥) لله ما طيف اللام فى هذا بمعنى التعجب وما زائدة . والطيف ما يراه النائم فى صورة محبوبه . خيال الشخص الذى يتخيل لك وتزفه تحمله (٦) يجوب يقطع واجواز اوساط والفلا جمع فلاة وهى القفر من الارض . ودجى جمع دجية وهى الظلمة وانبرى اعترض (٧) سائله يعنى الخيال . وعن انبائه يعنى عن اخباره وان افصح اى ان ابان. وانى كيف تسدى قطع الليل بالسير . وام انى اهتدى معناه من اين اهتدي (٨) او كان يدرى قبلها يريد قبل هذه الدروة ، ومافارس يريد فارس ، والموامى واحدها موماة وهى الارض المقفرة (٩) بمزعجى بمزيلى ومخرجى والباء بمعنى عن فكانه قال وسائلى عن مزعجى . الجناب بفتح الجيم الناحية ولا نبا ولا ضاق (١٠) لا تسألنى يخاطب السائل الذى حكى عنه سؤاله عن انزعاجه عن وطنه ، والمقدار القدر ، يعصم يمنع ، وزر الجبل المنيع والملجأ مزدرى محتقر

لا بُدّ أن يلقَى امرُؤٌ ما خَطّه ذو العرش مما هو لاقٍ ووَحى (١)

لا غَرْوَ إن لَجّ زَمان جائرٌ فاعترَق العظم المُمِخّ وانتَقى (٢)

فقد ترَى القاحِلَ مُخْضرًّا وقد تَلقَى أخا الإقتارِ يوماً قد نما (٣)

يا هُؤَلِيّا هلْ نَشَدْتُنَّ لنا ناقِبَة البُرْقُع عن عَيْنَيْ طَلاَ (٤)

ما أنصفَتْ أُم الصَّبِيَّيْنِ التى أصبَتْ أخا الحِلْمِ ولما يُصطَبَى (٥)

استَحْيِ بيضاً بين أفوادِكَ أن يَقتادَكَ البيضُ اقتِيادَ المُهتَدَى (٦)

هيهات ما أشنَعَ هاتا زَلّةً أطرَبًا بَعدَ المَشيبِ والجَلاَ (٧)

يارُبَ ليل جمَعَتْ قطرَيْهِ لى بنتُ ثمانينَ عَرُوساً تُجتَلَى (٨)

لم يَملِكِ الماء عليها أمرَها ولم يُدَنِّسها الضِرَام المُحتَضَى (٩)

حيناً هى الدّاء وأحيانًا بهـا من دائها اذا يَهيجُ يُشتفَى

قد صانَها الخَمّارُ لمّا اختارَها ضِنًّا بها على سِواها واختَبَى (١٠)

---

(١) ووحى معطوف على خطه ومعنى وحى كتب (٢) لا غرو لا عجب . لج عرض فاعترق العظم اى ازال عنه اللحم . الممخ الذي فيه المخ . انتقى استخرج منه النقى وهو المخ (٣) القاحل اليابس . اخا الاقتار المقل من انال نما زاد واستغنى (٤) يا هؤليا تصغير هؤلاء نشدتن طلبتن . ناقبة البرقع اى المتقنع به . طلا بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية (٥) ما انصفت ام الصبيين هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل . والصبيان ما يتخايل فى بؤبؤ العين . اصبت اخا الحلم اى رددته الى الصبا وهو اللهو والحلم والعقل . ولما يصطبى اى لم يرد الى الصبا ؛ فلما أخت لم النافية (٦) استحى فعل امر من الاستحياء بمعنى الحياء ؛ بيضاً شيباً بين افوادك جمع فود والفودان جانبا الرأس اى ناحيتاه من يمين وشمال ويقتادك يقودك البيض الثانية النساء ؛ المهتدى الاسير (٧) هيهات كلمة تبعيد هاتا اشارة للمؤنث ؛ زلة خطيئة وسقطة ؛ الجلا بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم الرأس (٨) جمت قطريه اى جانبيه اول الليل وآخره ؛ بنت ثمانين هنا الخمر وانما سماها بنت ثمانين لانه من شربها اوجبت عليه ثمانين جلدة تجتلى تجلى من جلوت العروس وهو اظهارها (٩) لم يملك الماء عليها امرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتها ولم يدنسها اى ولم يغيرها ؛ الضرام الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ المحتضى العود الذى تحرك به النار (١٠) صانها حفظها ؛ ضنا بخلاً ؛ اختبى ستر

فهي تُرَى من طولِ عهدٍ ان بَدتْ … فى كاسِها لأعيُن الناس كَلاً (١)

كأنَّ قرْن الشمس فى ذُرُورِها … بفيهِ بهافى الصَّحن والكاس اقتدى (٢)

نازَعتُها أروَعَ لاتَسطو على … نديمهِ شِرَّتُهُ إذا انتشَى (٣)

كأن نَور الرّوض نظْمُ لفظه … مُرْتجلاً أو منشِداً أو إن شدا (٤)

من كلّ ما نال الفتى قد نلتُه … والمرءُ يبقى بعده حُسن الثّنا (٥)

فإن أمُت فقد تناهت لذّتى … وكلُّ شىء بلغ الحدَّ انتهى (٦)

وإن أعِش صاحبتُ دهرى عالِماً … بما انطوى من صَرفِهِ وما انتشى (٧)

حاشا لِما أساره فى الحِجا … والحِلْم أن أتْبع رُوّاد الخنا (٨)

أو أن أرى لنكبة مُختضِعاً … أو لابتهاجٍ فرِحاً ومُزْدهى (٩)

﴿ وقال المُثقب العبدِىّ الجاهلى المتوفى سنة ٥٨٧ م من قصيدة ﴾

لا تقولنّ اذا ما لم تُرِدْ … أن تُتِمّ الوعد في شىء (نعم)

حَسن قول (نعم) من بعد (لا) … وقبيحٌ قول (لا) بعد (نعم)

إن (لا) بعد (نعم) فاحشةٌ … فبلا فابدأ إذا خِفت الندم

واذا قلت نعم فاصبر لها … بنجاز الوعد إن الخُلفَ ذم

---

(١) كلا عمى يعنى انه يعمى من نظر اليها فكيف من شربها (٢) قرن الشمس شعاعها ؛ ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس اذا طلعت والصحن القدح الكبير الواسع ؛ والكاس القدح اذا كان فيه خمر ؛ اقتدى اتبع اثره (٣) نازعتها ناولتها وادرتها ؛ اروع الحسن المنظر الجيل ؛ لا تسطو لا تعدو ؛ النديم الصاحب ؛ الشرة الحدة ؛ انتشى سكر (٤) نور الروض زهر الروض ؛ مرتجلا الذى يأتي بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد ؛ وشدا غنى ومنه الشادى (٥) الثنا المراد به هنا الثناء وهو فى الاصل اعم للخير والشر (٦) تناهت لذتي بلغت النهاية ؛ الحد هو الشيء الذى لا يتجاوزه (٧) انطوى استتر ؛ انتشى ظهر (٨) حاشا كلمة تبرئة ؛ اسأره ابقاه الحجا العقل ؛ الحلم التغافل عن كل مكروه يقابل به ويواجه ؛ رواد جمع رائد ورائد القوم رسولهم الخنا الفحش فى النطق (٩) مختضعاً متذللا ؛ الابتهاج السرور مزدهى المستخف وقيل المعجب

أكرِمِ الجار وراعِ حقَّه إن عِرفان الفتى الحقَّ كرم
لا ترانى راتعاً مِن مجلس في لحوم الناس كالسَّبع الضَّرِم
ان شرَّ الناس من يمدحُنى حين يلقانى وان غِبت شَتَم
وكلامٍ سيِّءٍ قد وقِرت عنه أذناى وما بى من صَمَم
ولبعضُ الصفح والأعراض عن ذِي الخنا أبقى وان كان ظَلَم

﴿ وقال الأفوه الأودِى الجاهلى المتوفى سنة ٥٧٠ م ﴾

البيت لا يُبتنى الا على عَمد ولا عِماد اذا لم ترسُ أوتاد
فان تجمَّع أوتاد وأعمدة يوماً فقد بلغوا الأمر الذى كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سَراة لهم ولا سَراة اذا جهَّالهم سادوا
تُهدى الامور بأهل الرأى ما صلُحت فان تولّت فبالأشرار تنقاد
اذا تولى سَراة الناس أمرهم نما على ذاك أمر القوم فازدادوا
كيف الرشاد اذا ما كنت فى بقر لهم عن الرّشد أغلال وأقياد
أعطوا غواتهمُ جهلاً مقادتهم فكلهم فى حبال الغىّ مُنقـاد

﴿ وقال الأمام على كرم الله وجهه ﴾

أمَا والله إن الظُّلم شُومٌ ولا زال المُسيء هو الظّلومُ
الى الدَّيان يوم الدّين نَمضِي وعنـد الله تجتمع الخُصوم
ستعلم فى الحساب اذا التقينـا غداً عنـد المليك مَن الملوم
ستنقطع اللّذاذَةُ عن اناسٍ من الدُّنيـا وتنقطع الهموم
لأمرٍ مّا تصرّمت الليـالى لأمرٍ مّا تحرّكت النّجوم
سلِ الأيّام عن أمم تقضّتْ ستُنبيك المعالم والرُّسوم

تروم الخلد في دار الدّنايا　　فكم قد رام غيرك ما تروم
تنام ولم تنم عنك المنايا　　تنبّه للمنيّة يا نؤوم
لهوت عن الفناء وأنت تفنى　　فما شيء من الدّنيا يدوم
تموت غداً وأنت قرير عين　　من الشّهوات في لجج تعوم

﴿ وقال أيضاً ﴾

عليك ببرّ الوالدين كليهما　　وبرّ ذوي القربى وبرّ الأباعد
ولا تصحبن الاّ تقيّاً مهذّباً　　عفيفاً ذكيّاً منجزاً للمواعد
وقارن اذا قارنت حرّاً مؤدّباً　　فتى من بني الأحرار زين المشاهد
وكفّ الأذى واحفظ لسانك واتّق　　فديتك في ودّ الخليل المساعد
ونافس ببذل المال في طلب العلى　　بهمّة محمود الخلائق ماجد
وكن واثقاً بالله في كل حادث　　يصنك مدى الأيام من شر حاسد
وبالله فاستعصم ولا ترج غيره　　ولا تك في النّعماء عنه بجاحد
وغضّ عن المكروه طرفك واجتنب　　أذى الجار واستمسك بحبل المحامد
ولا تبن في الدّنيا بناء مؤمّل　　خلوداً فما حيّ عليها بخالد

﴿ وقال أيضاً ﴾

قدّم لنفسك في الحياة تزوّداً　　فلقد تفارقها وأنت مودّع
واهتمّ للسّفر القريب فانه　　أنأى من السّفر البعيد وأشنع
واجعل تزوّدك المخافة والتّقى　　فلعلّ حتفك في مسائك أسرع
واقنع بقوتك فالقناعة هو الغنى　　والفقر مقرون بمن لا يقنع
واحذر مصاحبة اللّئام فانهم　　منعوك صفو ودادهم وتصنّعوا

أهلُ المودّة ما أنلتَهمُ الرضا ... وإذا منعتَ فسَمُّهم لك مُنقع
لا تُفشِ سراً ما استطعتَ إلى امرئ ... يُفشي اليك سرائراً يَستودع
فكما تراه بسرِّ غيرك صانعاً ... فكذا بسرّك لا محالة يَصنع
لا تبدأنّ بمنطق في مجلس ... قبل السؤال فان ذلك يَشنُع
فالصمتُ يُحسِنُ كلَّ ظنٍّ بالفتى ... ولعلّه خَرِقٌ سفيهٌ أرقع
ودَعِ المُزاحَ فرُبَّ لفظةِ مازحٍ ... جلبتْ اليك بلابلاً لا تُدفع
وحفاظَ جارٍ لا تُضِعْهُ فانه ... لا يبلُغُ الشرفَ الجسيمَ مُضيِّع
واذا استقالك ذو الإساءةِ عثرةً ... فأقِلْهُ إن ثواب ذلك أوسع
واذا ائتُمنتَ على السرائر فاخفِها ... واستُرْ عيوب أخيك حين تَطلّع
لا تجزعنّ من الحوادث إنما ... خَرِقُ الرجال على الحوادث يجزع
وأطعْ أباك بكلّ ما أوصى به ... إنّ المُطيع أباه لا يَتضعضعُ

﴿ وقال أيضاً ﴾

صُنِ النفس واحملها على ما يزينُها ... تعِشْ سالماً والقولُ فيك جميلُ
ولا تُرِيَنَّ الناسَ إلا تجمُّلاً ... نبا بِكَ دهرٌ أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غدٍ ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعزُّ غنيُّ النفس ان قلّ مالُهُ ... ويَفنى غنيُّ المال وهو ذليل
ولا خير في وُدّ امرئ متلوّنٍ ... اذا الريح مالت مال حيث تميل
جوادٌ اذا استغنيت عن أخذِ مالهِ ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدُّهم ... ولكنّهم في النائبات قليل

﴿ وقال عبد الله بن جعفر الطالبي المتوفي سنة ٨٠ هـ ﴾

اذا كُنتَ في حاجةٍ مُرسِلاً ... فأرسلْ حكيماً ولا تُوصِهِ
وانْ بابُ أمرٍ عليك التوى ... فشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِهِ
وانْ ناصحٌ مِنكَ يوماً دَنا ... فلا تَنْأَ عنهُ ولا تُقْصِهِ
وذا الحقّ لا تَنْتَقِصْ حقَّهُ ... فانّ القطيعةَ في نَقْصِهِ
ولا تذكر الدّهرَ في مجلسٍ ... حَديثاً اذا أنتَ لم تُحصِهِ
ونُصَّ الحديثَ الى أهلِهِ ... فانّ الأمانةَ في نصّهِ
وكم من فتًى عازبٍ لُبُّهُ ... وقد تَعجبُ العَينُ من شخصِهِ
وآخَرَ تحسَبُهُ أنوَكا ... ويأتيكَ بالأمرِ من فصّهِ

﴿ وقال أبو الأسود الدؤلي ﴾

حسدُوا الفتى اذ لم ينالوا سعيَه ... فالقوم أعداءٌ له وخصومُ
وترَى اللبيبَ مُحسَّداً لم يجترِم ... شتْمَ الرّجال وعِرضُهُ مَشتُوم
وكذاكَ من عظُمتْ عليه نِعمةٌ ... حُسّادُه سيفٌ عليه صَرُوم
فاترُكْ مجاراة السّفيه فانها ... نَدَمٌ وغِبٌّ بعد ذاك وخيم
فاذا جريتَ مع السّفيه كما جرَى ... فكِلاكما في جرْيه مذموم
واذا عتبتَ على السّفيه ولُمتَهُ ... في مثل ما تأتى فأنت ظَلوم
يأيُّها الرّجلُ المعلّم غيره ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصفُ الدّواءَ لذي السّقام وذي الضّنَى ... كيما يَصحُّ به وأنت سقيم
وأراكَ تُصلحُ بالرّشاد عقولَنا ... أبداً وأنت من الرّشاد عقيم
لا تَنه عن خُلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك اذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فاذا انتهتْ عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبلُ ما وعظتَ ويُقتدَى ... بالعلم منك وينفع التّعليم
لا تَكْلِمَنْ عِرْضَ ابن عمّك ظالمًا ... فاذا فعلتَ فعِرْضُك المكلوم
وحريمه أيضًا حريمك فاحمِهِ ... كيلا يُباع لديك منه حريم
واذا اقتصصت من ابن عمّك كلمةً ... فكُلومُهُ لك ان عقلتَ كُلُوم
واذا طلبتَ الى كريم حاجةً ... فلقاؤه يكفيك والتّسليم
فاذا رآك مُسلّمًا ذكر الذي ... كلّمتَهُ فكأنه ملزوم
ورَأى عواقب حمْدِ ذاك وذمّه ... للمرءِ تبقى والعظام رميم
فارجُ الكريم وان رأيتَ جفاءَه ... فالعتب منه والكريم كريم
ان كنتَ مضطرًّا والا فاتخذْ ... نفقًا كأنك خائفٌ مهزُوم
واتركه واحذَر أن تمرّ ببابه ... دهراً وعرضك ان فعلتَ سليم
فالناس قد صاروا بهائمَ كلُّهم ... ومن البهائم قائلٌ وزعيم
عُميٌ وبكمٌ ليس يُرجى نفعهم ... وزعيمهم في النّائبات مُليم
واذا طلبتَ الى لئيم حاجة ... فألِحّ في رِفقٍ وأنت مُديم
والزَم قُبالةَ بيتِهِ وفِنائه ... بأشدّ ما لزِمَ الغريمَ غريمُ
وعجبتُ للدّنيا ورغبة أهلها ... والرّزقُ فيما بينهم مقسوم
والأحمق المرزوقُ أعجبُ مَن أرى ... من أهلها والعاقلُ المحروم
ثم انقضى عجبي لِعلمي أنّه ... رِزقٌ موافٍ وقتهُ معلومُ

﴿ وقال العباس بن مرداس المتوفي سنة ١٦ هـ ﴾

ترى الرجلَ النّحيف فتزدَريه ... وفي أثوابه أسدٌ مزيرُ

ويُعجبك الطّرير فتبتليه فيُخاف ظنّك الرّجل الطرير
فما عِظَمُ الرّجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرمٌ وخير
بغاثُ الطّير أكثرها فِراخاً وأمّ الصقر مِقلاتٌ نزور
ضِعافُ الطّير أطولها جسوماً ولم تَطُل البُزَاة ولا الصقُور
لقد عظُم البعير بغير لُبّ فلم يستغن بالعِظَم البعير
يُصَرّفه الصّبيّ بكلّ وجهٍ ويحبسه على الخسف الجرير
فان أكُ فى شِراركُم قليلاً فانى فى خيارِكُم كثير

﴿ وقال الامام الشافعى رضى الله عنه ﴾

دَع الأيّام تفعل ما تشاء وطِب نفساً اذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة اللّيالى فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جَلداً وشيمتك السّماحة والسّخاء
يغطّي بالسّماحة كلّ عيب وكم عيب يغطّيه السّخاء
ولا حزنٌ يدوم ولا سرور ولا بؤسٌ عليك ولا رخاء
ولا تُرِيَ الأعادى قط ذُلاً فانّ شماتة الأعدا بلاء
ولا ترجُ السّماحة من بخيل فما فى النار للظّمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنّى وليس يزيد في الرّزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنتَ ومالكُ الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرضٌ تقيهِ ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن اذا نزل القضا ضاق الفضاء
دَع الأيام تغدر كلّ حين ولا يغني عن الموت الدواء

﴿ وقال عبدة بن الطيب المتوفى سنة ٣٩ هـ ﴾

أبَنِيَّ إنى قد كبِرتُ ورابنى بصرى وفىَّ لمَنظرٌ مُستَمتَعُ
أُوصيكمُ بتُقى الإلٰه فإنّه يُعطى الرّغائب من يشاء ويمنع
وبِرّ والدكم وطاعة أمره إنّ الابَرّ من البنين الأطوعُ
إنّ الكبير اذا عصاهُ أهله ضاقت يداهُ بأمره ما يصنع
ودَعُوا الضّغائنَ لا تكن من شأنكم أنّ الضغائن للقرابة توضِع
يُزجي عقاربه ليبعث بينكم حربًا كما بعث العُرُوقَ الأخدَع
إنّ الذين تَرَوْنَهُم إخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تُصرَعوا
واذا مضيتُ الى سبيلى فابعثوا رجلاً له قلب حديد أصمع
إنّ الحوادث تَختَرِمْنَ وانما عمرُ الفتى فى أهله مُستَودَع
يسعى ويَجمعُ جاهداً مُستهتِراً جدًّا وليس بآكلٍ ما يجمع

﴿ وقال قَيسُ بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م من قصيدة ﴾

وما بعض الإقامة فى دِيار يُهانُ بها الفتى إلا بلاء
وبعضُ خلائق الأقوام داء كداء البطنِ ليس له دواء
يُريدُ المرء أن يُعطى مُناهُ ويأبى الله إلاّ ما يشاء
وكلُّ شديدة نزلت بقوم سيأتى بعدَ شِدّتها رَخاء
ولا يُعطى الحريص غِنًى لحرص وقد ينمي على الجود الثَّراء
غنيُّ النّفس ما عمِرَتْ غنيٌّ وفقرُ النّفسِ ما عَمِرَتْ شقاء
وليس بنافعٍ ذا البُخلِ مالٌ ولا مُزرٍ بصاحبه السّخاء
وبعض الداء ملتمسٌ شفاء وداء النوك ليس له شفاء

وبعض القول ليس له عِناجٌ كمحض الماء ليس له إناء
ولم أر كامرئ يدنو لخسفٍ له في الأرض سيرٌ واستواء
يصوغ لك اللسان على هواهُ ويفضحُ أكثرَ القيلِ البلاء
ألا مَن مبلغ الشعراء عني فلا ظلم لديّ ولا ابتداء
ولستُ بغائظٍ إلا أكفاء ظلماً وعندي للسليمات اجتراء

﴿ وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ﴾

المرء يجمعُ والزمانُ يُفرّقُ ويظلّ يرقع والخطوب تمزّقُ
ولأن يُعادِي عاقلا خيرٌ له من أن يكون له صديقٌ أحمق
فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقا ان الصديق على الصديق مصدّق
وزن الكلام اذا نطقتَ فانما يُبدي عقولَ ذوي العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت أخلاقهم مَنْ يُستشار إذا استُشير فيُطرِق
حتى يحُلّ بكلّ وادٍ قلبه فيرى و يعرف مايقول فينطِق
لا ألفينّك ثاويا في غُربةٍ إنّ الغريب بكلّ سهم يُرشَق
ما الناس إلا عاملان فعامل قد مات من عطش وآخر يغرق
والناسُ في طلب المعاش وإنّما بالجدِّ يُرزق منهمُ مَنْ يُرزق
لو يُرزقون الناسُ حسبَ عقولهم ألفيتَ أكثرَ من ترى يتصدّق
لكنه فضل المليك عليهم هـذا عليه مُوَسَّعٌ ومُضيَّق
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا ورأيت دمع نوائحٍ يترقرق
سكتَ الذي تبع العروس مبهتا ورأيت من تبع الجنازة ينطِق
وإذا امرؤٌ لسعته أفعى مرّة تركته حينَ يجرُّ حبل يفرق

بَ الذين اذا يقولوا يكذبوا ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

﴿ وقال أيضاً ﴾

صرمت حبالك بعد وصلك زينبُ والدهر فيه تصرمٌ وتقلبُ
وكذاك وصلُ الغانيات فانهُ آلٌ بِلقعةٍ وبرقٌ خُلَّبُ
فدعِ الصبا فلقد عداك زمانه واجهدْ فعمرك مرّ منه الأطيبُ
ذهب الشباب فما له من عودةٍ وأتى المشيب فأين منهُ المهرب
دَع عنك ما قد فات في زمن الصبا واذكرْ ذنوبك وابكها يا مُذنِب
واخشَ مناقشة الحساب فانه لا بدّ يُحصَى ما جَنيتَ ويكتب
والليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيهِ تُعَدُّ وتحسَب
لم ينسَهُ الملكان حين نسيتهُ بل أثبتاه وأنت لاه تلعَب
والروح فيك وديعة أودِعتَها ستردُّها بالرغمِ منك وتُسلَبُ
وغرور دُنياك التي تَسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب
وجميع ما حصلته وجمعته حقًا يقينًا بعد موتك يُنهب
تبًا لدار لا يدوم نعيمها ومَشيدها عمّا قليل يخرَب
فاسمع هُديتَ نصائحًا أولاكها برٌّ نصوح للأنام مجرّب
أهدى النصيحة فاتعظ بمقاله فهو التقيُّ اللوذعيُّ الادرب
لا تأمنِ الدهرَ الخؤون لانه ما زال قِدمًا للرجال يُهذّب
وكذلك الايام في غصّاتها مَضضٌ يذلُّ له الاعزّ الانجب
ويفوز بالمال الحقيرُ مكانةً فتراه يُرجَى ما لديه ويُرغب
ويُسَرُّ بالترحيب عند قدومه ويُقامُ عند سلامه ويُقرَّب

فاقنعْ ففي بعض القناعة راحة ... ولقد كُسِي ثوبَ المذلّة أشعب

لا تحرصَنْ فالحرص ليس بزائدٍ ... في الرزق بل يُشقي الحريص ويُتعب

كم عاجزٍ في الناس يأتي رزقهُ ... رغداً ويُحرَمُ كيّس ويُخيَّب

فعليك تقوى اللهِ فالزمها تفزْ ... إن التقيَّ هو البهيُّ الأهيب

واعملْ بطاعته تنلْ منه الرّضا ... إن المطيع لربّه لمقرّب

أدّ الامانة والخيانة فاجتنب ... واعدلْ ولا تظلمْ يطيبُ المكسبُ

واحذر من المظلوم سهماً صائباً ... واعلم بأن دعاءَه لا يُحجب

واخفضْ جناحك للاقارب كلّهم ... بتذلّلٍ واسمح لهم إن أذنبوا

واذا بليتَ بنكبة فاصبرْ لها ... من ذا رأيتَ مسلَّماً لا يُنكب

واذا أصابك في زمانك شدّةٌ ... وأصابك الخطبُ الكريهُ الاصعب

فادعُ لربّك إنه أدنى لِمَنْ ... يدعوه من حبلِ الوريدِ وأقرب

واحذر مؤاخاة الدّنيّ لانه ... يعدي كما يعدي الصّحيحَ الاجرب

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً ... إن القرينَ إلى المقارن يُنسَبُ

ودع الكذوب ولا يكن لك صاحبا ... إن الكذوب لبئس خِلاً يُصحَبُ

وذرِ الحقودَ وإن تقادم عهدُه ... فالحقدُ باقٍ في الصُّدُور مُغيَّب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللّسان ويعطَب

وزن الكلام إذا نطقتَ ولا تكن ... ثرثارةً في كلّ نادٍ تخطب

والسّر فاكتمه ولا تنطق به ... فهو الاسيرُ لديك اذ لا يَنشَبُ

واحرص على حفظ القلوب من الأذى ... فرُجوعُها بعد التّنافُر يصعُب

إن القلوب إذا تنافر وُدها ... شِبْهُ الزّجاجة كَسرُها لا يُشعَب

واحذر عدوّك إذ تراه باسماً | فالليث يبدو نابه إذ يغضب
واذا الصّديق رأيته متملقاً | فهو العدوّ وحقّه يتجنب
لا خير فى ودّ امرىء متملق | حلو اللّسان وقلبه يتلهّب
يعطيك من طرف اللّسان حلاوة | ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثق | واذا توارى عنك فهو العقرب
واذا رأيت الرّزق ضاق ببلدة | وخشيت فيها أن يضيق المكسب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا | طولاً وعرضا شرقها والمغرب

﴿ وقال أبو الفتح البُستي المتوفى سنة ١١٢٢ هـ ﴾

زيادة المرء فى دنياه نقصان | وربحه غير محض الخير خسران
وكلّ وجدان حظّ لا ثبات له | فانّ معناه فى التّحقيق فقدان
يا عامراً لخراب الدّهر مجتهداً | باللهِ هلْ لخرابِ العمر عمران
ويا حريصاً على الاموال تجمعها | أنسيتَ أن سرور المال أحزان
دع الفؤاد عن الدّنيا وزينتها | فصفوها كدر والوصل هجران
وأرعِ سمعك أمثالاً افصلها | كما يفصّل ياقوت ومرجان
أحسن الى الناس تستعبدْ قلوبهم | فطالما استعبدَ الإنسان احسان
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته | أتطلب الرّبح ممّا فيه خسران
أقبل على النّفس واستكمل فضائلها | فأنت بالنّفس لا بالجسم انسان
وكن علَى الدّهرِ معوانًا لذِى أملٍ | يرجو نداك فان الحرّ معوان
واشددْ يديك بحبل الله معتصماً | فانه الركنُ ان خانتك أركان
مَنْ يتّقِ الله يحمَد فى عواقبه | ويكفه شرّ من عزّوا ومن هانوا

مَن استعان بغير الله فى طَلب فانّ ناصره عجزٌ وخذْلان
مَنْ كان للخير منّاعًا فليس له على الحقيقة اخوانٌ وأخدان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة اليه والمال للإِنسان فتّان
من سالم النّاس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قرير العين جذلان
من كان للعقل سلطان عليه غدا وما على نفسه للحرص سلطان
منْ مدّ طرفًا بفرطِ الجهل نحوهوى أغضى على الحقّ يومًا وهو خزْيان
من استشار صُرُوف الدهر قام له على حقيقة طَبع الدهر بُرهان
من يَزْرع الشرّ يَحصُد فى عواقبه ندامة ولحصد الزَّرع إبَّانُ
من أستَنام الى الاشرار نام وفى قميصه منهمُ صِلٌّ وثُعبان
كن ريّق البشر ان الحرّ همّته صحيفةٌ وعليها البشرُ عنُوان
و رافقِ الرّفق فى كل الامور فلم يَندم رفيقٌ ولم يَذمُمْهُ انسان
ولا يغرّنْكَ حظٌّ جرّه خَرقٌ فالخرقُ هدمٌ ورِفق المرءِ بُنيان
أحسن إذا كان إمكانٌ ومقدُرة فلن يدوم على الإِحسان إمكان
فالروضُ يزدان بالانوار فاغِمه والحرُّ بالعدل والإِحسان يزدان
صُنْ حرّ وجهكَ لاتَهتِكْ غِلا لَتَه فـكلُّ حرّ لحُرّ الوجهِ صوّان
دعِ التّـكاسل فى الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيراتِ كَسلان
لاظِلّ للمرءِ يعرَى من نُهى وتُقى وان أظلّتـهُ أوراق وأفنان
والناس أعوانُ من والتهُ دَولته وهم عليـه اذا عادتهُ أعوان
سحبانُ مِن غيرِ مال باقلٌ حَصِرٌ وباقلٌ فى ثَرَاءِ المـال سَحْبان
لاتودِعِ السّرّ وشّاءً بهِ مذِلاً فما رَعى غنماً فى الدّوّ سِرحان

لا تحسبِ الناس طبعاً واحداً فلهم غرائزٌ لستَ تُحصيهن ألوانُ
ما كلّ ماء كصدّاء لوارده نعم ولا كلُّ نبتٍ فهو سعدانْ
لا تخدِشنّ بمَطلٍ وجهَ عارفة فالبرُّ يخدشُهُ مَطلٌ وليّان
لا تستشر غيرَ ندب حازمٍ يقظ قد استوى فيه اسرارٌ واعلان
فللتدابيرِ فُرسانٌ اذا ركضُوا فيها أبرُّوا كما للحرب فُرسان
وللأمور مواقيتٌ مُقدَّرَة وكلّ أمرٍ له حدٌّ وميزان
فلا تكن عجلاً فى الأمر تطلبه فليس يُحمَدُ قبلَ النضج بُحرَان
كفى من العيش ما قد سدّ من عوَزٍ ففيه للحرّ قُنيانٌ وغُنيان
وذُو القناعةِ راضٍ من معيشته وصاحبُ الحرصِ ان أثرى فغضبان
حَسْبُ الفتى عقله خِلاًّ يُعاشِرُهُ اذا تحاماه إخوانٌ وخُلاَّن
هما رضيعا لبان حِكمةٌ وتُقى وساكنا وطن مالٌ وطُغيان
اذا نبا بكريم مَوطنٌ فله وراءهُ فى بسيط الأرض أوطان
يا ظالماً فرحاً بالعزّ ساعدَه إن كنت فى سِنَةٍ فالدّهر يقظان
ما استمرأَ الظلمَ لو أنصفت آكلُه وهل يلذُّ مَذاقَ المرء خُطبان
يا أيُّها العالم المرضيُّ سيرتُهُ أبشر فأنت بغير الماء ريّان
ويا أخا الجهل لو أصبحت فى لُجَجٍ فأنت ما بينها لا شكَّ ظمآن
لا تحسبَنَّ سروراً دائماً أبداً من سرّهُ زمَن ساءته أزمان
يا رافلاً فى الشباب الوحفِ مُنتشياً من كأسه هل أصاب الرُّشد نشوان
لا تغترر بشبابٍ رائقٍ خَضِل فكم تقدّم قبل الشيب شُبّان
ويا أخا الشَّيب لو ناصحت نفسك لم يكن لمثلك فى الإسراف إمعان

هَب الشَّبيبة تُبلى عُذرَ صاحبها ... ما عُذرُ أشيب يستهويه شيطان
وكلُّ كسرٍ فإنَّ الدِّين يجبُرُه ... وما لكسر قناة الدِّين جبرانُ

﴿ وقال ابن أبي بكر المقرى المتوفى سنة ١٠٠١ هـ ﴾

زيادة القول تحكي النقص في العمل ... ومنطق المرء قد يهديه للزَّلَلِ
إنّ اللسان صغيرٌ جرمهُ وله ... جرمٌ كبيرٌ كما قد قيل في المثل
عقلُ الفتى ليس يغني عن مشاورةٍ ... كحدَّة السيف لا تغنى عن البطل
إن المشاور إمَّا صائبٌ غرضاً ... أو مخطئٌ غيرُ منسوب الى الخطل
لا تحقر الرَّأيَ يأتيك الحقير به ... فالنحلُ وهو ذبابٌ طائر العسل
ولا يَغرَّنك وُدٌّ من أخي أملٍ ... حتى تُجرِّبَهُ في غَيبةِ الامل
لا تجزعنَّ لخطب ما به حِيَلٌ ... تغنى وإلاَّ فلا تعجز عن الحيل
وقدرُ شكر الفتى لله نعمته ... كقدرِ صبرِ الفتى للحادث الجلل
وإنّ أخوف تهيجٍ ما خشيت به ... ذهاب حُرِّيَّةٍ أو مُرتضى عمل
لا تفرحنّ بسقطات الرِّجال ولا ... تهزأ بغيرك واحذر صولة الدُّول

أحقّ شيء بردٍّ ما تخالفه ... شهادةُ الدِّين فافهم صنعة الجدل
وقيمةُ المرء ما قد كان يحسنهُ ... فاطلب لنفسك ما تعلو به وصل
وكلُّ علم جناه ممكنٌ أبداً ... إلاّ إذا اعتصم الانسانُ بالكسل
والمال صُنْهُ وورِّثْهُ العدوّ ولا ... تحتج حياتك للإخوان في الاكل
فخير مال الفتى مال يصون به ... عرضاً وينفقهُ في أشرف السُّبل
وأفضل البرّ مالاَ منَّ يتبعهُ ... ولا تقدّمه شيءٌ من المَطل
فانما الجود بذلٌ لم تكلف به ... صنْعاً ولم تنتظر فيه جزاً رجل

إن الصنائع أطواق اذا شُكرت ... وإن كفرت فأغلال لمنتحل

وإن عندى الخطا أفضل من ... إصابةٍ حصلتْ بالمنع والبُخل

خير من الخير مسديهِ اليك كما ... شرٌّ من الشرّ أهل المطْل والدَّخل

ظواهرُ العتب للأخوان أيسرُ من ... بواطن الحقدِ في التّسديد للخلل

***

دع الجموحَ وسامحهُ تغيظهُ ولا ... تَصحَب سوى السّمح واحذر سقطة العجل

والقَ الأحبّة والإخوان إن قطعوا ... حبلَ الوداد بحبل منك مُتّصل

فأعجزُ النّاس حرٌّ ضاع من يده ... صديق وِدّ فلم يردده بالحيَل

من يَقْظةٍ بالفتى إظهارُ غفلته ... مع التّحفُّظ من غدْرٍ ومن ختَل

وكن مع الخلق ما كانوا لخالقهم ... واحذر معاشرةَ الأوغاد والسّفل

واخش الذى عند إكرام اللّئيم كما ... تخشى الذى إن أهنت الحرّ ذا النّبَل

واصبر لواحدة تأمَنْ توابعها ... فربما كانت الصُّغرى من الأول

ولا يغرّنك من مرقًى سهولتهُ ... فربما ضِقتَ ذرعاً منه فى النُّزُل

***

من المروءة تركُ المرء شهوتَهُ ... فانظُر لأيّهما آثرت فاحتمل

شرُّ الورى من بعيب الناس مشتغل ... مثلُ الذُّباب يُراعى موضعَ العِلَل

لو كنت كالرّمح فى الأعمال معتدلا ... لقالت الناسُ هذا غيرُ معتدل

يا ظالمًا جار فيمن لا نصيرَ له ... الا المهيمنُ لا تغترّ بالمَهَل

غداً تموتُ ويقضى الله بينكما ... بحُكمه الحقّ لا بالزّيغ والمَيل

وإن أولى الملا بالعفو أقدرُهم ... على العقوبة إن يظفرْ بذى زَلَل

﴿ وقال تقي الدين أبو بكر بن حجّة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ﴾

« أرجوزة استخلصها من كتاب الصادح والباغم »

العيشُ بالرزق وبالتقدير ... وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس مَن تُسعِدُه الأقدار ... وفعلُه جميعُه إدبار
مَن عرَف الله أزالَ التّهمهْ ... وقال كلُّ فعلِهِ للحكمه
من أنكرَ القضاءَ فهو مُشرِكُ ... ان القضاءَ بالعباد أملَكُ
ونحن لا نُشْرِكُ بالله ولا ... نَقْنَط من رحمته اذ نُبتَلَى
عارٌ علينا وقبيحٌ ذِكْرِ ... أن نجعل الكفرَ مكانَ الشكر
وليس فى العالَمِ ظلمٌ جارى ... اذ كان مايجرى بأمرِ البارى

وأسعدُ العالَمِ عند الله ... مَن ساعَدَ الناسَ بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا ... أغاثهُ الله اذا أُخيفا
إنّ العظيمَ يدفع العظيما ... كما الجسيم يحمل الجسيما
فانّ من خلائق الكرام ... رحمةَ ذي البلاء والأسقامِ
وانّ من شرائط العلا ... العطفَ فى البؤس على العدو
قد قضت العقول أنّ الشفقه ... على الصديق والعدوّ صدقه
وقد علمْتَ واللبيب يعلم ... بالطبع لا يُرحَم من لا يَرحَم
فالمرءُ لا يدرى متى يُمتَحن ... فانه فى دهره مرتهن
وان نجا اليومَ فما ينجو غدا ... لا يأمن الآفات الاذو الرّدى
لا تغترر بالخفض والسلامه ... فانما الحياة كالمُدام
والعُمرُ مثلُ الكأسِ والدّهرُ القدر ... والصفوُ لا بُدّ له من الكدر

وكلُّ إِنسانٍ فلا بُدَّ لهُ من صاحب يَحمِلِ ما أثقلَهُ

جَهدُ البلاء صُحبة الاضداد فانها كَيٌّ على الفؤاد
أعظمِ ما يلقَى الفتى مِن جَهدِ أن يُبتَلَى فى جِنسِهِ بالضِّدّ
فانما الرّجال بالإِخوانِ واليد بالساعد والبَنَان
لا يَحقِر الصُّحبةَ الا جاهل أو مارقٌ عن الرّشاد غافل
صُحبةُ يومٍ نَسبٌ قريب وذِمَّةٌ يحفظُها اللبيب
ومُوجب الصّداقة المساعده ومُقتضى المودَّة المُعاضده
لا سيّما فى النوب الشدائد والمِحن العظيمة الأوابد
فالمرءُ يحيى أبداً أخاه وهو إِذا ما عدّ من أعداه
إِن من عاشَر قوماً يوما ينصرهم ولا يخاف لَوما
وإِن من حارب من لا يقوى لَحربه جَر اليه البلوى
فحارب الاكفاء والأقرانا فالمرءُ لا يحارب السلطانا
واقنَع اذا حاربت بالسلامه واحذَر فعالا توجب النّدامه
فالتاجر الكيّس فى التجاره من خاف فى مَتجره الخَساره
يَجهد فى تحصيل رأس ماله ثم يروم الرّبح باحتياله
وان رأيت النّصر قد لاح لكا فلا تقصر واحترِز أن تَهلِكا
واسبق الى الأجود سَبقَ الناقدِ فسبقُك الخَصم من المكايد

وانتهزِ الفرصة إِن الفرصه تصير إِن لم تَنتهِزْها غُصّه
كم بطر الغالِب يوماً فترك عنه التوقّي واستهان فهلك
ومن أضاع جُندَه فى السّلم لم يحفَظوه فى لقاء الخصم

وإن من لا يحفظ القلوبا يُخذل حين يَشهد الحروبا

والجُندلا يَرعون مَنْ أضاعهم كلاّ ولا يحمون مَن أجاعهم

وأضعفُ الملوك طُرًّا عقدا مَنْ غرَّهُ السلم فأقصى الجُندا

والحزم والتدبيرُ رُوح العزم لا خيرَ فى عزم بغير حزم

والحزم كلّ الحزم في المُطاولة والصبرلا فى سُرعة المزاولة

وفى الخُطوب تَظهر الجواهرُ ما غَلَبَ الأيامَ الاّ الصابر

لا تيأسَنْ من فَرَج ولُطف وقُوّة تَظهرُ بعدَ ضَعف

فرُبّما جاءك بعد اليأس رَوْحٌ بلا كَدٍّ ولا التماس

فى لمحة الطرف بُكاء وضَحِكْ وناجذٌ بادٍ ودمع يَنْسفِك

ينال بالرِّفق وبالتأنّى ما لم تَنَلْ بالحرص والتعنّي

ما أحسنَ الثباتَ والتّجلُّدا وأقبح الحَيرة والتّبلُّدا

ليس الفتى الا الذى ان طَرَقه خَطبٌ تلقّاه بصبر وثقه

اذا الرّزايا أقبلت ولم تقف فثَمَّ أحوالُ الرّجال تختلف

وكم لَقيتُ لذَّةً فى زمنى فأصبرُ الآن لهذى المِحَن

فالموتُ لا يكون الا مرّه والموتُ أحلى من حياة مُرّه

انى من الموت على يقين فأجهدُ الآن لما يَقينى

صبراً على أهوالها ولا ضجَرْ وربّما فازَ الفتى اذا صبَرْ

لا يجزَع الحُرّ من المصائب كلاّ ولا يَخضَع للنّوائب

فالحُرُّ للعبء الثقيل يحملُ والصبْرُ عند النّائبات يَجمل

لكل شىء مُدّةٌ وتنقضى ما غلبَ الأيامَ الا من رضى

قد صَدَق القائلُ فى الكلام ليس النُّهَى بعِظَم العظام

لا خيرَ في جَسامة الأجسام بل هو فى العقول والأفهام

فالخيل للحرب وللجمَال والإبل للحمل وللترحال

لا تحتقر شيئاً صغيراً يحتقرْ فربما أسالت الدمَ الإبَرْ

لا تُحرج الخَصم ففى إحراجه جميعُ ما تكرَه من لجَاجِه

لا تطلب الفائتَ باللجاج وكنْ إذا كويتَ ذا إنضاج

فعاجز مَنْ ترَكَ الموجودا طَمَاعةً وطلبَ المفقودا

وفتّش الأمور عن أسرارها كم نكتة جاءتك مع إظهارها

لزِمتَ للجهل قبيحَ الظاهرِ وما نظرْت حسن السَّرائر

ليس يضُرُّ البدر فى سنَاه أن الضرير قطُّ لا يراه

كم حِكمة أضحت بها المحافِل نافقةً وأنت عنها غافل

ويغفلون عن خفى الحكمه ولو رأوها لأزالوا التهمه

كم حسن ظاهرُه قبيحُ وسَمِج عنوانُه مليح

والحقّ قد تعلمُه ثقيلُ أبوْهُ إلا نفرٌ قليلُ

فالعاقل الكامل فى الرّجال لا ينثني لزُخرُف المقال

إن العدوّ قولُه مردُودُ وقلّما يُصدَّق الحسود

لا تقبلُ الدّعوى بغير شاهد لا سيما إن كان من معاند

أيؤخذ البرِىء بالسقيم والرَّجلُ المحسن باللئيم

كذاك منْ يستنصح الأعادى يردُونَه بالغشّ والفساد

إنَّ أكلَّ من ترى أذهانا من حسِب الإساءة الإحسانا

فادْفع اساءَة العِدى بالحسنى ولا تخَلْ يُسراكَ مثْلَ اليُمنى
وللرجال فاعلَمنْ مَكايدُ وخِدعٌ مُنكَرةٌ شدائدُ
فالنَّدْب لا يَخضع للشّدائد قطّ ولا يغتاظ بالمكائد
فَرقِّع الخَرْق بلطف واجتهد وامكر اذا لم ينفع الصّدْقُ وكِد
فهكذا الحازم اذْ يَكيدُ يبلغ فيْ الأعداء ما يُريد
وهو برىء منهم في الظاهر وغيرُه مُختضبُ الاظافر
والشهمُ من يُصلِحُ أمر نفسه ولو بقتلِ وُلده وعِرْسه
فإِن منْ يقصدُ قلْع ضِرْسه لم يعتمِدْ الاّ صلاَح نفسه
وإن من خَصّ اللئيم بالندى وَجدْتَه كمن يُرَبّي أسَدا
وليس في طَبْع اللئيم شُكر وليس في أصل الدّنىء نَضر
وان من ألزَمهُ وكلّفَه ضِدَّ الذى فى طبعه ما أنصفَه
كذاكَ من يصطَنع الجهّالا ويُؤثِر الأرذال والأنذالا
لو أنكم أفاضلٌ أحرارُ ما ظَهرتْ بينكم الأسرار

ان الأُصول تجذِب الفرُوعا والعرْق دساسٌ اذا أُضيعا
ما طاب فرعٌ أصله خبيثُ ولاَ زَكا من مَجدُهُ حديث
قد يُدْركون رُتَباً فى الدُّنيا ويبلغون وطَراً من بُغْيا
لكنهم لا يبلغون في الكرم مبلَغ من كان له فيها قِدَم
وكلّ من تماثلَتْ أطرافهُ فى طيبها وكرُمتْ أسلافه
كان خليقاً بالعلى وبالكرم وبرعتْ فى أصله حُسْنُ الشيَمْ
لولا بَنو آدم بين العالَمِ ما بان للعقول فضل العالِمِ

فواحدٌ يُعطيك فضلاً وكرم ... فذاك من يكفره فقد ظَلَم
وواحدٌ يُعطيك للمُصانَعه ... أو حاجةٍ له اليك واقعه
لا تَشْرهنْ إلى حُطامٍ عاجلِ ... كم أكلةٍ أوْدت بنفس الآكل
واحذَرْ أخيّ يا فتى من الشَّره ... وقِسْ بما رأيته ما لم تَره
فليس من عَقْل الفتى أو كرمه ... إفسادُ شخص كاملٍ لقرمِهِ
فالبغْيُ داءٌ ما له دواء ... ليس لِملكٍ معه بقَاء
لا تُعطينْ شيئاً بغير فائده ... فانها من السَّجايا الفاسده

﴿ وللامام على الرضا المتوفى سنة ٧٧ هـ ﴾

واعجباً للمرء فى ذاته ... يجرُّ ذَيل التّيه فى خَطْرته
تَزجره الوعظ فلا ينتهى ... كأنه الميت فى سكرته
يبـــارز الله بعِصيـانه ... جَهراً ولا يخْشاه فى خَلوته
وان يقع فى شدّة يبتهل ... فان نجا عاد الى عادته
ارغب لمولاك وكن راشداً ... واعلم بأن العز في خدمته
واتل كتاب الله تهدى به ... واتبع الشرع على سُنته
لا تحرصَن فالحرص يُزْرِى بالفتى ... ويذهب الرّونق من بهجته
والحظُّ لا تجلبه حيـلةٌ ... كيف يخاف المرء من فوته
ما فاتكَ اليومَ سيأتى غدَا ... مافى الذى قدِّر من حِيلته
قَضاؤه المحتومُ فى خَلْقه ... وحُكْمُهُ النّافذُ معْ قدرته
والرّزقُ مَضمُون على واحـد ... مفاتحُ الأشياء فى قبضَته
قد يُرزقُ العاجزُ مع عجزه ... ويُحرمُ الكيّس مع فِطنته

لا تَنْهر المسكين يوماً أتى فقد نَهاك الله عن نهرته
ان عضّك الدّهر فكن صابراً على الذى نالك مِنْ عَضّته
أو مسّك الضرُّ فلا تشتكى الاّ لمَنْ تطمَع فى رحمته

* * *

لسانَك احفظه وصُنْ نطقه واحذر على نفسك من عثرته
فالصّمت زينٌ ووقارٌ وقد يؤْتَى على الانسان من لفظته
من أطلقَ القولَ بلا مُهلة لا شكّ أن يعثُر في عجلته
من لزم الصمت نجا سالماً لا يندمُ المرء على سكتته
من أظهرَ الناس على سرّه يستوجبُ الكىّ على مُقلته
من مازحَ الناسَ استخفّوا به وكان مذموماً على مزحته
كُنْ عن جميع الناس فى مَعزِل قد يَسلم المعزُول فى عزلته

* * *

مَنْ جعل الخمرَ شفاءً له فلا شَفاهُ الله مِنْ علّته
منْ نازع الأقيالَ فى أمرهم باتَ بعيد الرأس عن جثّته
من لاعب الثّعبان فى كفّه هيهات أن يسلَم من لسْعته
من عاشر الأحمقَ فى حاله كان هو الأحمقَ فى عِشرته
لا تَصحبَ النّذل فتردى به لا خير فى النّذل ولا صُحبته
من أعتراك الشّكُّ فى جنسه وحاله فانظرْ الى شِيمتَه
من غرس الحنظَل لا يرتجى أن يجتني السُّكر من غرسته
من جعلَ الحقّ له ناصراً أيّده الله على نُصرته
واقْنعْ بمـا أعطاكَ من فضله واشكر لمُوليك على نِعمته

﴿ وقال ابو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ ﴾

أنلهُو وأيّامنا تذهبُ ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ
عَجبتُ لذى لعبٍ قد لهَا عجبتُ وما لىَ لا أعجبُ
أيَلهو ويلعبُ مَنْ نفسهُ تموتُ ومنزله يَخرَبُ
نرَى كلّ ما ساءَنا دائماً على كلّ ما سرّنا يغلب
نرى الليل يطلبنا والنّهار ولم ندر أيّهما أطلب
أحاطَ الجديدان جمعاً بنا فليس لنا عنهما مَهْرَب
وكلٌّ له مُدَّةٌ تنقضى وكلٌّ له أثرٌ يُكتب

﴿ وقال صلاح الدين الصّفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ﴾

الجَدُّ فى الجِدّ والحِرمان في الكسَل فانصبْ تُصِبْ عن قريبٍ غاية الأمل
واصبِرْ على كلّ ما يأتي الزّمان به صبرَ الحُسام بكفّ الدّارِعِ البطَلِ
وجانب الحِرْص والأطماع تحظَ بما ترجو من العزّ والتأييد فى عَجل
ولا تكونَنْ على ما فات ذا حزَنٍ ولا تُظلّ بما أُوتيتَ ذا جذَل
واستشعر الحلمَ فى كلّ الأمور ولا تُسرع ببادرةٍ يوماً الى رجُل
وإن بُليتَ بشخصٍ لا خلاقَ له فكن كأنك لم تسمَع ولم يقُل
ولا تُمار سفيهاً في محاوَرة ولا حليماً لكى تُقصَى عن الزّلل
ولا يغرُّك من يُبدى بشاشته اليك خَدْعاً فان السّمّ فى العسل
وإن أردت نجاحاً فى كلّ آونة فاكتم أمورك عن حاف ومنتعل
إن الفتى من بماضى الحزْم متّصف وما تعوَّد نقصَ القول والعَمل
ولا يقيمْ بأرض طاب مسكَنُها حتى يقُدّ أديمَ السّهل والجبل

ولا يُضيع ساعات الزّمان فان يعود ما فات من أيامه الأُوَل
ولا يراقب إلا مَن يراقبه ولا يُصاحبُ إلاَّ كلَّ ذى نُبَل
ولا يَعُدّ عيوبًا للورَى أبداً بل يعتنى بالذى فيه من الخَلل
ولا يظنّ بهم سوءاً ولا حَسَنًا بل التّجاربُ تَهديه على مهل
ولا يُؤمّلُ آمالاً بصُبحِ غدٍ الا على وجَلٍ من وثبة الأجل
ولا يصدّ عن التّقوَى بصيرَته لأنها للمعالى أوضحُ السُّبل
فمن تكن حُلّةُ التّقوَى ملابسَهُ لم يَخش في دهره يوماً من العَطَل
مَن لم تفِده صروف الدّهر تجربةً فيما يحاوِل فليسكن مع الهَمَل
مَن سالمته اللّيالى فليثقْ عجِلاً منها بحرب عدوٍّ جاءَ بالحِيَل
مَنْ ضيّع الحزمَ لم يَظفرْ بحاجته ومَن رَمى بسهام العُجب لم يَنَل
من جاد ساد وأحيا العالَمون له بديعَ حمدٍ بمدح الفعل متّصل
من رام نَيلَ العلى بالمال يجمعهُ مِن غيرِ حلٍّ بُلى من جهله وَبلِي
من لم يصن نفسه ساءت خليقته بكلّ طبع ردىء غير منتقل
من جالس الوَغدَ والحمقَى جنى ندمًا لنفسه ورُمى بالحادث الجلل
فخذْ مقالَ خبيرٍ قد حوَى حِكماً إذ صُغتُهُ بعدَ طولِ الخُبر فى عملى

﴿ وقال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ ﴾

مَن ضيّع الحزمَ فى أفعاله نَدِما وظلّ مُكتئبًا والقلبُ قد سقِما
ما المرء إلا الذى طابتْ فضائلهُ والدّينُ زَينٌ يزين العاقل الفهما
والعلم أنفس شىء أنت ذاخره فلا تكن جاهلاً تستورث النّدَما
تعلّم العلم واجلس فى مجالسه ما خاب قطّ لبيبٌ جالس العلمَ

والوالدين فأكرم تنج من ضرر ولا تكن نكداً تستوجب النقما
ولازم الصمت لا تنطق بفاحشة وأكرم الجار لا تهتك له حرما
واحذر من المزح كم فى المزح من خطر كم من صديقين بعد المزح فاختصما
وصبّر النفس وارشدها إذا جهلت وإن حضرت طعاما لا تكن نهما
آس اللهيف اذا ما كنت مقتدراً على الزمان وكن للخير مقتسما
وصن نفسك عن لهو وعن مرح وان حضرت مقاماً كنت فيه سما

﴿ وقال عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مخاطباً ولده ﴾

إعتزل ذكر الاغانى والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكر لأيام الصبا فلأيام الصبا نجم أفل
واترك الغادة لا تحفل بها تمس فى عز رفيع وتجل
وافتكر فى منتهى حسن الذى أنت تهواه تجد أمراً جلل
واهجر الخمرة إن كنت فتى كيف يسعى فى جنون من عقل
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرىء إلا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلا انما من يتقى الله البطل
كتب الموت على الخلق فكم فل من جيش وأفنى من دول
أين نمرود وكنعان ومن ملك الارض وولى وعزل
أين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل ولم تغن القلل
أين أرباب الحجى أهل النهى أين أهل العلم والقوم الأول
سيعيد الله كلاً منهم وسيجزى فاعلاً ما قد فعل
يا بنى اسمع وصايا جمعت حكماً خصت بها خير الملل

اطلُبِ العلمَ ولا تكسَلْ فما … أبعدَ الخيرَ على أهل الكسل

واحتفِلْ للفقه فى الدّين ولا … تشتغلْ عنه بمالٍ وخوَل

واهجرِ النّوْمَ وحصّله فمن … يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بذل

لا تقل قد ذهبت أربابه … كلُّ من سار على الدّربِ وصل

فى ازدياد العلم إرغامُ العِدَا … وجمال العلم إصلاحُ العمل

جمّلِ المنطق بالنحو فمن … يُحرَمِ الإعراب بالنُّطقِ اختبَل

انظِمِ الشّعر ولازم مذهبى … فى اطّراحِ الرِّفدِ لا تبغِ النّحل

فهو عنوانٌ على الفضل وما … أحسنَ الشّعر اذا لم يُبتذَل

أنا لا أختار تقبيلَ يدٍ … قَطعُها أجملُ من تلك القُبَل

مُلكُ كِسرى عنه تغنى كِسرةٌ … وعن البحر اجتزاءٌ بالوَشَل

اطرَحِ الدُّنيا فمن عاداتها … تخفِضُ العالى وتُعلى مَنْ سفَل

عيشةُ الرّاغبِ فى تحصيلها … عيشةُ الجاهل فيها أو أقل

كم جهولٍ بات فيها مُكثِراً … وعليمٍ بات منها فى عِلَل

كم شُجاعٍ لم ينَلْ فيها المُنى … وجبانٍ نال غاياتِ الأمل

فاتركِ الحيلة فيها واتّكل … انما الحيلة فى ترك الحِيَل

لا تقلْ أصلى وفصلى أبداً … إنما أصل الفتى ما قد حصل

قد يسود المرء من دون أبٍ … وبحسنِ السَّبكِ قد يُنفى الدَّغل

إنما الورد من الشوك وما … يَنبتُ النرجس الاّ من بصل

قيمة الإنسان ما يُحسِنُه … أكثرَ الإنسانُ منه أم أقل

بين تبذيرٍ وبخلٍ رُتبةٌ … وكلا هذين إن زادَ قتل

لَيس يخلو المرءُ من ضِدٍّ ولو ... حاول العُزلةَ فى رأس الجبل
دارِ جارَ السوءِ بالصبرِ وإن ... لم تجد صبراً فما أحلى النّقل
جانبِ السّلطانَ واحذَر بطشَهُ ... لا تُعاند من إذا قال فعل
لا تلِ الأحكام ان هم سألوا ... رَغبَةً فيك وخالفْ مَنْ عذل
ان نصفَ الناس أعداءٌ لمَنْ ... وَلِىَ الأحكام هذا إن عدَل
قَصِرِ الآمال فى الدُّنيا تَفُزْ ... فدليل العقل تقصيرُ الأمل
غِبْ وزُرْ غِبّاً تزِد حُبّاً فمن ... أكثرَ التّرْدادَ أقصاهُ المَلل
لا يَضُرُّ الفضلَ اقلالٌ كما ... لا يضُرُّ الشمسَ اطباقُ الطّفل
خُذْ بنصلِ السّيفِ واتركْ غِمْدَهُ ... واعتبِر فضلَ الفتى دُونَ الحُلل
حبّك الاوطان عجزٌ ظاهرٌ ... فاغترِب تلقَ عن الأهل بدل
فبِمُكثِ الماءِ يبقى آسِناً ... وسُرَى البدرِ به البدرُ اكتمل

﴿ وقال العَميد أبو اسماعيل الطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ (١) ﴾

أصالَةُ الرّأيِ صانَتنِي عنِ الخَطَلِ ... وحِليَةُ الفَضلِ زانَتنى لَدى العَطَلِ (٢)
مَجْدِي أخيراً ومجدِى أوّلاً شَرَعٌ ... والشّمسُ رَأْدَ الضّحى كالشّمسِ فى الطّفَلِ (٣)
فِيمَ الإقامَةُ بالزّوْراءِ لا سكَنِى ... بها ولا ناقتى فيها ولا جَمَلِى (٤)

---

(١) هو العميد ابو اسماعيل الحسين بن على الملقب مؤيد الدين المشهور بالطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هجرية (٢) صانتني حفظتني . والخطل الخطأ (المعنى) جودة عقلى حفظتنى من الخطا فى قولى وفعلى . وصفة زيادتي فى العلم والادب حسنتنى عند الخلو من الامارة (٣) مجد شرف وشرع سواء . ورأد الوقت الذي فويقه الضحى . والطفل الوقت الذى بعد العصر وقبل الغروب (المعنى) شرفى وقت تجردى من الامرة وشرفى وقت تسربلى بهما سواء كالشمس فى كون ضوءها او ارتفاعها لم ينقص منه شيء فى هذين الوقتين المختلفين ، يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الازمان (٤) الزوراء اسم لبغداد . وناء بعيد . وصفر خالى وعرى جرد . ومتناه جانباه والخلل

نَاءٍ عن الاهل صِفرُ الكفِّ مُنفرِدٌ ... كالسَّيفِ عُرِّيَ مَتناهُ عن الخِلَلِ

فلا صديقَ اليهِ مُشتكَى حَزَني ... ولا أنيسَ اليهِ مُنتهى جَذَلي [1]

طالَ اغترابي حتى حَنَّ راحلَتي ... ورَحلُها وقَرَا العَسَّالةِ الذُّبُلِ [2]

وضَجَّ مِن لَغَبٍ نِضوي وعَجَّ لِمَا ... ألقى رِكابي ولَجَّ الرَّكبُ في عَذَلي [3]

أُريدُ بَسطَةَ كفٍّ أستعينُ بها ... على قَضاءِ حُقُوقٍ للعلى قِبَلي

والدَّهرُ يَعكِسُ آمالي ويُقنِعُني ... مِن الغَنيمةِ بعد الكَدِّ بالقَفَلِ [4]

وذي شَطاطٍ كصَدرِ الرُّمحِ مُعتقِلٍ ... بمِثلِهِ غيرِ هيَّابٍ ولا وَكِلِ [5]

حُلوِ الفكاهةِ مُرِّ الجِدِّ قد مُزِجَت ... بشِدَّةِ البأسِ منه رِقَّةُ الغَزَلِ [6]

كسوة غمد السيف (المعنى) لاى شيء مكثي ببغداد مبتوت العلائق بعيداً فيها عن اقاربي فقيراً وحيداً رث المنظر كالسيف تجرد جانباً غمده من البطانة التي يتحليان بها (١) الجذل السرور (المعنى) اعتزلني الناس ببغداد فلم يأو الى بها حبيب ابث اليه كدرى من جور الزمان فيفرجه عني ويساعدني على صرفه ولا سمير اوصل اليه فرحي فيزيد سروري ويدفع وحشتي (٢) حن مال . والراحلة ما يرحل عليه من الابل مذكراً كان او مؤنثا . والرحل العدة التي يركب عليها وقرا ظهره . والعسالة الاهتزاز والذبل الجافة (المعنى) امتد بعدى عن وطني بموالاتي السفر الى ان مالت ناقتي للرجوع الى وطنها وحن القتب لشدة تأثره بالرياح (٣) ضج صوت . واللغب التعب نضوى اى منضو بمعنى مهزول وعج صوت . ولج تمادى . والعذل اللوم (المعنى) امتد بعدى حتى صوت من اجل تعبه ركوبتي وصوت لمثل ما اصادف من تعب السفر بل اصحابي الذين معي فيه وتمادوا فى لومى على هـذا السفر الذى امتد ولم ينته الاطلب بامتداد بعدى عن وطني ثروة اتساعد بسببها على اداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتى (٤) يعكس يرد . ويقنعني يرضيني والكد التعب . والقفل الرجوع (المعنى) والزمن يرد على ما ارجوه ويجعلنى بعد التعب فى السفر والتغرب راضياً بالرجوع بدل الغنيمة التى هى مطمح نظرى في تكبد المصاعب (٥) شطاط اعتدال القامة ومعتقل قابض . وهياب خواف ووكل عاجز (المعنى) ورب صاحب اعتدال قامة كاعتدال صدر لرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز من شيء من شؤونه . التفت الى وصف صاحب له بهذه الاوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من الالتفات من فن الى آخر تنشيطاً للسامع (٦) مزجت خلطت . والبأس الشجاعة . ورقة الغزل لطف الكلام (المعنى) يصف صاحبه ايضا بأنه قد ركب فيه لطف المزح بقوة الشجاعة (يضع كلا منهما فى موضعه)

طَرَدتُ سَرْحَ الكَرى عن وِرْدِ مُقلَتِهِ ... والليل أغرى سَوامَ النومِ بالمُقَلِ (١)

والرَّكبُ ميلٌ على الاكوارِ من طربٍ ... صاحٍ وآخرُ من خمرِ الكرى ثَمِلُ (٢)

فقلتُ أدعوكَ للجُلّى لِتَنصُرَني ... وأنتَ تخذُلُني في الحادثِ الجَلَلِ (٣)

تنامُ عنّي وعينُ النجمِ ساهرةٌ ... وتَستحيلُ وصِبغُ الليلِ لم يَحُلِ (٤)

فهل تُعينُ على غَيٍّ هَمَمتُ به ... والغَيُّ يَزجُرُ أحياناً عن الفَشَلِ (٥)

إني أريدُ طُروقَ الحيِّ من إضَمٍ ... وقد حَماهُ رُماةٌ من بني ثُعَلِ (٦)

يَحمُونَ بالبيضِ والسُّمْرِ اللِّدانِ به ... سُودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلْيِ والحُلَلِ (٧)

فسِرْ بنا في ذِمامِ الليلِ مُعتَسِفاً ... فنفحةُ الطِّيبِ تَهدينا الى الحِلَلِ (٨)

فالحِبُّ حيثُ العِدا والأُسْدُ رابضةٌ ... حَوْلَ الكِناسِ لها غابٌ من الأَسَلِ (٩)

---

(١) طردت ابعدت . وسرح وثبات . والكرى النوم والورد الوصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسواد والبياض واغرى اولع . وسوام وثبات (المعنى) ابعدت عن رفيقي وثبات النوم عن وصولها عينه والليل اولع وثبات النوم بالعيون (٢) ميل منحني . وطرب نشط وثمل سكران (المعنى) واصحابي منحنون على رحالهم — فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم ؛ وفريق آخر ثمل متثاقل من تغلبه عليه (٣) الجلى الامر العظيم . وتخذلني تتركني . والحادث الجلل الحقير (المعنى) فقلت له موبخاً أأطلبك للامر العظيم لتساعدني عليه وانت تترك نصرتي في الامر الحقير مع ان النفوس الكريمة مجبولة على تحقيق ما يرجى فيها (٤) تستحيل تتحول . وصبغ ظلام ويحل ينتقل (٥) غي ضلال . ويزجر يمنع (المعنى) قد غفرت ما حصل من تقصيرك في شأني بنومك فهل تساعدني على ضلال اردته ولا تخش عقباه بالذم على فعله (٦) الطروق المجيء ليلاً والحي القبيلة . واضم اسم جبل وحماه منعه . ورماة كسعاة خفراء . وثعل قبيلة من طيء (المعنى) اني ارغب النزول بالقبيلة المعهودة ليلاً من طريق هذا الجبل وقد منعها ممن يسطو عليها رجال يجيدون رمي النبال من ابناء قبيلة سعد (٧) البيض السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة . والغدائر الضفائر من الشعر ؛ والحلي ما تتحلى به المرأة ؛ والحلل الثياب المزركشة (المعنى) يمنع هؤلاء الرماة في الحي بالسيوف والرماح اللينة نساء سود الضفائر متحليات بالذهب الاحمر وملابس الحرير الحمراء (٨) زمام كفالة ؛ ومعتسفاً متكلفاً طريقاً غير مألوف ؛ والحلل بيوت القوم التي يحلونها (المعنى) اذهب بنا في ضمانة الليل غير سالك طريقاً مألوفاً خشية من قطاع الطريق ولا تخش الضلال في الوصول الى الحي فان رائحة طيبة تدلنا عليه (٩) الحب المحبوب

نؤمٌ ناشئةً بالجِزْعِ قد سُقيتْ ... نِصالها بمِياه الغُنْجِ والكَحَلِ (١)
قد زادَ طيبَ أحاديثِ الكرامِ بها ... ما بالكرائمِ من جُبْنٍ ومن بخلِ
تبيتُ نارُ الهوَى منهنّ فى كبِدٍ ... حرَّى ونارُ القِرَى منهم على القُلَلِ (٢)
يقتلنَ أنضاءَ حُبٍّ لا حَراكَ بهم ... وينحرُونَ كرامَ الخيلِ والإبلِ (٣)
يُشفَى لديغُ العَوالى فى بيوتِهمُ ... بنَهْلةٍ من غديرِ الخمرِ والعَسَلِ (٤)
لعلّ إلمامةً بالجِزْعِ ثانيةً ... يدِبُّ منها نَسيمُ البُرْءِ فى عِلَلى (٥)
لا أكرَهُ الطعْنةَ النّجلاءَ قد شُفِعتْ ... برَشْقةٍ من نِبالِ الأعيُنِ النُّجُلِ (٦)
ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ تُسعِدُنى ... باللَّمحِ من خَلَلِ الأستارِ والكِلَلِ (٧)
ولا أخلّ بغزلانٍ تغازلنى ... ولو دَهتنى أسودُ الغِيلِ بالغِيَلِ (٨)

ورابضة واقفة ؛ والكناس بيت الظبي ؛ والغاب شجر يسمى بالاسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الاسود (المعنى) المحبوب فى مكان به الرقباء ورجال الحى مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها على من يقرب منه (١) نؤم نقصد والجزع منعطف الوادى ؛ والنصال السيوف والغنج حسن شكل العيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة (المعنى) نقصد بسيرنا قبيلة تربت فى منعطف الوادى قد اعطيت عيونها حسن الشكل والكحل (٢) القرى الكرم والقلل جمع قلة اعلى الجبل (المعنى) يمكث طول الليل وجد الحب من كرائم هذه القبيلة ملتهبا فى كبد محبهن الحارة بسببه وتمكث نار الاكرام ملتهبة على اعالى الجبال ليهتدى بها الضال فى الليل (٣) ان نساء هذه القبيله يقتلن ببراعة جمالهن عشاقهن حتى اعدم حركتهم عشقهم لهن ؛ ورجالها بفرط كرمهم يذبحون جياد الافراس والجمال لضيوفهن (٤) اى يبرأ من قتل فى حبهن بأول شربة من ريق ثغرهن (٥) المامة نزولا ويدب يسرى (٦) اكره ابغض ؛ والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح ؛ وشفعت قرنت ورشقة رمية ؛ ونبال السهام ؛ المراد بها هنا اللحاظ ؛ والنجل الواسعات (المعنى) لا ابغض الوخذة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الاعين الواسعات لنسائها (٧) الصفاح السيوف ؛ وخلل الثقب الخفيف النافذ فى الشىء والكلل ستر يخاط به شبه الناموسية (المعنى) ولا اخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لى بخفيف نظرى لها من ثقوب استار بيوتهن وحجراتهن (٨) اى لا اترك النظر من خلل الاستار الى نساء هذه القبيلة التى تحادثنى ولو اصابتنى شجعانها باهلاكها فجأة

حُبُّ السلامة يَثني عزمَ صاحبهِ عن المعالى ويغرى المرءَ بالكسل (١)

فان جنحتَ اليه فاتخذ نفقًا فى الأرض أو سُلمًا فى الجوّ فاعتزل (٢)

ودع غمار العُلى للمقدمين على ركوبها واقتنع منهنَّ بالبلَل (٣)

يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة والعزُّ عند رسيم الأينق الذُّلُل (٤)

فادرأ بها في نحور البيد جافلة معارضات مثانى اللُّجم بالجُدل (٥)

إن العلى حدَّثتنى وهى صادقةٌ فيما تحدّث أن العز فى النُّقَل (٦)

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منًى لم تبرح الشمس يومًا دارة الحَمَل

أهبت بالحظ لو ناديت مستمِعًا والحظ عنّى بالجهال فى شغل

لعله إن بدا فضلى ونقصهم لعينه نام عنهم أو تنبه لى

أعلّل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

لم أرتضِ العيش والأيام مقبلةٌ فكيف أرضى وقد ولّت على عجل

غالى بنفسى عرفانى بقيمتها فصنتها عن رخيص القدر مبتذَل

وعادة السيف أن يزهى بجوهره وليس يعمل الا فى يدىْ بطَل

ما كنت أوثر أن يمتدَّ بى زمنى حتى أرى دولة الأوغاد والسفَل

تقدَّمتنى أناسٌ كان شوطهم وراء خطوي لو أمشي على مهَل

هذا جزاء امرىء أقرانه درجوا من قبله فتمنّى فسحةَ الاجل

---

(١) اى الرغبة فى النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتوامه بالتثاقل والفتور عنها (٢) النفق كجبل سرب فى الارض له منفذ من مكان آخر (المعنى) فان ملت الى حب السلامة فاجعل لك سرباً فى الارض تسكنه او سلماً ترق عليه فى الجو فتسكن (٣) غمار كثير والبلل القليل (٤) رسيم سرعة ، والاينق الذلل اى الابل المروضة التى ليست بجموحة (٥) ادفع بهذه الاينق فى اوائل الصحارى ، مسرعة متقابلات بأزمتها اعنة الخيل التى تصحبها فى السير أى غير متأخرة عنها فيه (٦) النقل التحول والانتقال

فان علانى من دونى فلا عجبٌ ... لى أسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحل

فاصبرْ لها غير محتال ولا ضَجرٍ ... فى حادث الدّهر ما يغنى عن الحِيَل

أعدى عدوّك أدنى من وثقت به ... فحاذِرِ النّاس واصحبهم على دَخَل

فانّما رُجل الدُّنيا وواحِدها ... من لا يعوّل فى الدُّنيا على رجل

وحسن ظنّك بالايام معجزةٌ ... فظنّ شرًّا وكن منها على وجل

غاض الوفاء وفاض الغَدْر وانفرجت ... مسافة الخُلْفِ بين القوْل والعمل

وشانَ صدقَك عند الناس كذبُهم ... وهلْ يُطابَق معوَجٌّ بمعتدِل

ان كان ينجع شىء فى ثباتهم ... على العهود فَسبْق السَّيفِ للعَذَل

يا وارداً سؤْر عيش كلّه كدرٌ ... أنفقْت صَفوك فى أيامك الاول

فيم اقتحامك لجّ البحر تركبهُ ... وأنت تكفيك منهُ مصة الوشل

مُلك القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه الى الانصارِ والخَوَل

ترجو البقاء بدار لا ثبات بها ... فهل سمعت بظلّ غير منتقل

ويا خبيراً على الاسرارِ مطلعًا ... أصْمتْ ففي الصّمت منْجاةٌ من الزلل

قدْ رشّحوك لامر إن فطنْت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

﴿ وقال المرحوم عبد الله باشا فكرى يخاطب نجله أمين باشا ﴾

إذا نام غِرٌّ فى دُجى الخطب فاسهر ... وقم للمعالى والعوالى وشمّر

وخلّ أحاديث الامانى فانها ... علالة نفس العاجزِ المتحير

وسارعْ إلى ما رمت ما دمت قادراً ... عليه فإن لم تبصرْ النّجحُ فاصْبِر

ولا تأت أمراً لا ترجّى تمامه ... ولا مورِداً ما لم تجد حُسن مصْدر

وأكثِرْ من الشُّورَى فانك ان تُصِب ... تجدْ مادحًا أو تخْطِئِ الرّأى تُعذَر

ولا تَستَشِرْ فى الأمرِ غيرَ مُجرِّبٍ لامثاله أو حازمٍ مُتَبصّر
ولا تبغِ رأيًا من خؤُونٍ مُخادعٍ ولا جاهلٍ غِرٍّ قليلِ التّدبُّر
فمن يتّبعْ فى الخَطْب خِدْعة خائن يَعضّ بَنانَ النّادم المتحَسّر
وَمن يتّبعْ في أمره رأىَ جاهلٍ يقُدْه إلى أمرٍ من الغيّ مُنكر
ولا تصْغَ فى ودّ الصديق لكاذب نَموم وان يَعرضْ لك الشك فاخبر
ولا تغترِرْ تَندمْ ولا تكُ طامعًا تُذلّ ولا تحقِرْ سِوَاك تُحقَر
وعوّد مقالَ الصدق نفسكَ وارضه تصدّق ولا تركن إلى قول مفترى
ودَعْ عنك إسراف العطاء ولايكن لكفّيك فى الانفاق امساكَ مُقتر
ولا تقفُ زلاّت الرّجال تَعدّها فلستَ على هذا الوَرَى بمُسَيطر
ولا تتعرّض لاعتراض عليهم دَع الخلْقَ للخلاّق تسلمْ وتُؤْجر

﴿ وقال عبد القَيس بن خفّاف البرجمى المتوفى سنة ٥١ هـ ﴾

أبُنَيّ إن أباك كاربُ يومه فاذا دُعيتَ إلى المكارمِ فاعجل
أُوصيك إيصاء امرىءٍ لك ناصحٍ طَبِنٍ بريَب الدّهر غير مغفّل
اللهَ فاتّقِه وأوف بنَذْره واذا حلَفتَ مُماريًا فتحلّل
والضّيفَ أكرِمْهُ فان مَبيتَه حقٌّ ولا تكُ لعنةً للنُّزّل
واعلم بأن الضّيفَ مُخبِرُ أهله بمبيتِ ليلته وان لم يُسأل
ودعِ القوارص للصّديق وغيره كيلا يرَوْك من اللّئام العُذّل
وصِل المُواصلَ ماصفالك وُدّه واجذُذْ حبالَ الخائن المتبدّد
واحذَر محلّ السُّوء لا تحلُل به واذا نَبا بك منزل فتحوّل
واستأن تَظفر فى أمورك كلّها واذا عزمتَ على الهدَى فتوكّل

واستغن ما أغناكَ ربكَ بالغِنَى　　واذا تصبك خصاصة فتحمّل
واذا افتقرتَ فلا تكن متخشعًا　　ترجو الفواضل عند غير المُفضِل
واذا تشاجرَ فى فؤادك مرّة　　أمران فاعمد للأعفّ الأجمل
واذا هممتَ بأمر سوء فاتّئد　　واذا هممتَ بأمر خير فاعجَل

﴿ وقال فقيد اللغة الشيخ ناصيف اليازجى ﴾

دَع يومَ أمسٍ وخُذْ فى شأن يوم غَدٍ　　واعددْ لنفسك فيه أفضل العُددِ
واقنعْ بما قسم الله الكريم ولا　　تبْسُط يديك لنيل الرّزق من أحد
والبسْ لكلّ زمانٍ بُرْدَةً حضرَت　　حتى تحاكَ لك الأخرَى من البُرد
ودُرْ مع الدّهر وانظرْ فى عواقبه　　حِذار أن تُبتلى عَيناك بالرّمد
متى ترَى الكلب فى أيام دولته　　فاجعل لرجْليْك أطواقًا من الزّرد
واعلم بأن عليك العار تلبسهُ　　من عضّة الكلب لا من عضّة الأسد
لا تأمل الخيرَ من ذى نعمةٍ حدثَتْ　　فهو الحريصُ على أثوابه الجُدَد

﴿ وقال السيد على أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ ﻫ ﴾

بقدْر الرّأى تُعتبَرُ الرّجالُ　　وبالآمال يُنتظَرُ المآلُ
وإفراطُ البليغِ اذا تمادَى　　على حالٍ يُخالطهُ ابتذال
وامساكُ الأديب يفيد علمًا　　بأحوال الغبيّ كما يقال
ومَنْ عرَف الحقائق مات غمًّا　　وإن طَلبَ الإقالةَ لا يُقال
وبالإقدام يَسهلُ كلُّ صعب　　وبالتمويه يتّسع المجال
وبالتّحقيق تتّضحُ الخفايا　　وعند الشّكّ يُنتظر الهلال
ومَنْ لم يتّئدْ فى كلّ أمرٍ　　تخطّاه التّدارُك والمنال

وهضمُ النّفس أقبحُ كلّ شيء على حرّ له فيها كمال
ومَنْ لزِمَ القناعة نالَ عزًّا وهل بالذُّلّ منقبةٌ تُنال

﴿ وقال مؤلف هذا الكتاب معارضاً لامية الطغرائي ﴾

عليك بالصّبر والإخلاص فى العمل ولازم الخيرَ فى حِلّ ومُرْتحل
وجانبِ الشرَّ واعلمْ أن صاحبه لا بدّ يجزاه فى سهل وفى جَبل
واثبُتْ ثبات الرّواسي الشّامخات ولا تركنْ الى فشل في ساعة الوَهل
وكن كرَضْوَى لما يعروك من نُوَب ولا تكن جازمًا فى الحادث الجلل
واصبرْ على مضضِ الأيام مُحتمِلاً ففيه قرعٌ لباب النّجح والأمل
تأنَّ مُتئِداً فيما تروم ولا تعجل وان خُلِقَ الإنسان من عجل
لا تطلب العزّ فى دار وُلِدت بها فالعزُّ عند رسيم الأينق الذلل
شمّرْ وجدَّ لأمر أنت طالبه إذ لا تنال المعالى قط بالكسل
واحذر مساويَ أخلاق تشان بها وأسوء السوء سوء الخُلْق والبخل
واخفض جناحك للمولى وجُدّ ونل ما أسمج الكِبر والإمساك بالرّجل
لا تسأل النذل واقصد ماجداً حدبًا فى طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحل
نوّر بلقياك من تلقى نواظره ولا تكن كالقذى فى الاعيُنِ النُّجل
ولا تجادِل جهُولاً ليس يفهمُ ما تقولُ فالشرّ كلُّ الشّرّ فى الجدل
ولا تكن لنزُول الخطب مُضْطربًا فى حادثِ الدّهر ما يُغنى عن الحِيل
الجود أحسنُ ما أُوليت من خُلق والعفو أنفى لداء الضغن والدَّخل
والحلمُ ملحُ فسادِ الامر يُصلِحهُ والبذلُ خير فِعال الماجد البطل
لا تقتحِم غمراتِ البحر مُرتكبًا وأنت يكفيك منه مَصّة الوشل

ولا تعاشر سوى حزم أخا ثقة | وارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل
لا تنخدع لصديق يدّعي ملقاً | فحاذر الناس واصحبهم على دخل
لا تأمنن أحداً واحذر مكائدهم | وظنّ شرًّا وكن منهم على وجل
لا تغرّنّك الدّنيا بزهرتها | فهل سمعت بظلّ غير منتقل
إن الغنىّ غنىُّ النفس فى كرم | بالطبع لا باقتناء الشاء والإبل
انّ الصنيعة للأنذال تفسدهم | كما تضرّ رياح الورد بالجعل
مرارة النصح تحلو لى مضاضتها | وربّما صحّت الأجسام بالعلل
دع التّكلّف لا يجديك منفعة | ليس التّكحّل فى العينين كالكحل
أرى الرّعاة رعاء الشّاء فى ترف | فى أخفض العيش بين الخيل والخول
وسادةُ العصر قد ألقوا مقالدهم | إلى الطّغاة شرار الناس والسّفل
تحكّموا فى قضايا الناس واحتكموا | وحكّموا كلّ ذى جهل أخى خبل
من كلّ غرّ جهول لا يرى رشداً | كباقل مثلاً فى العيّ والخطل
تعساً لشرّ زمان ظلّ طوع يد الـ | ـلئام يسقيهم علاًّ على نهل
ألقبضُ والبسطُ فى أيدى ذوى شطط | من كلّ سكرانَ من خمر الهوى ثمل
تسطو الكلابُ على أسد الشّرى سفها | والباز الاشهب يخشى صولة الحجل
والقرد يضحك من نمر على هزؤ | والكلبُ يوعد ليثَ الغيل بالغيل
نالَ المرامَ علوجٌ لا خلاقَ لهم | فوق المؤمّل من شبّ ومكتهل
أملى لهم دهرهم فاستمهلوا أمداً | مرخىً لهم فى مروج العيش والطول
شرُّ العصور زمانٌ يستمد به | خبٌّ لئيم غدا فى الشرّ كالثمل
لا يعلم الرّشد من غيّ وليس له | سوى الشرارة فى قول وفى عمل

يشكو الطَّوى كل ذى فَضل وذى أرب ... وسوقة الناس فى خفض وفى جدل

ناهيك من غمّة غمّاء ما سمِعت ... بمثلها أذُن في الأعصُر الأوَل

أشدُّ بها أزمة ، اللهُ يفرجها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فُسحةُ الأمل

مالى وللبلدة الحمقاء أسكنُها ... مساكننا لذَوى خَرْق أولى حيل

وليس لى ناقةٌ فيها ولا جَملٌ ... وليس لى ثمّ من نور ولا حَمَل

لا يستقيمُ وفاقٌ لى بمثلهم ... وهلْ يُطابق معوجّ بمُعتدل

قد ذُقتهم وبلوت الحال عندهمُ ... فما حَصلت على صاب ولا عَسل

لَيسوا كراماً ولكن من مكارمهم ... ما بالكرائم من جُبْن ومن بَخل

إنى ابتُليتُ بأخلاق فوَصلهمُ ... وعدٌ ومُطل وارجاء على مَلل

لا يفعلون اذا قالوا فقد بَعُدت ... مسافة الخُلف بين القول والعَمل

أضحت مواعيدُ عُرقوب لهم مثلا ... وما موَاعيدُهم الاّ على دَخلِ

أخلاقُهم صحّ الجازاً لموعدهم ... اذ كان وعدُهم كذباً من الخَجل

أشكو الزّمان وأهليه وأمقتهم ... إذ سوء أفعالهم أوفى على القلل

ساءتْ سريرتهم حالت طَريقتهم ... زاغت بَصيرتهم عن أقوَم السُّبُل

عِلمٌ بلا عَمل حُكم بلا حِكَم ... ظُلمٌ على عجل وعدٌ على مهَل

الإفكُ والزُّورُ والبُهتانُ عندهمُ ... والسَّعىُ فى الأرض بالافساد والخَلل

الكذبُ مُستحسنٌ والصّدْق عندهمُ ... مُستَهجنٌ من صِفاتِ العاجز الوكل

أهنى الطّعامَ لحومُ الناس عندهمُ ... ألَذّ فيها لديهم شَربة العَسل

نَكثُ العُهود سجاياهُم ودأبهمُ ... خلف الوُعُود وذا من أسوإ الثقل

انّ السّعاية فى التّضريب أحسنُ من ... ضرْب من الحِذق والعرفان فى الزّجل

يا دهرُ مالكَ والأحرار تقهرُهمُ تذلّ كلّ كريم الأصل مُقتبل

حتى متى يا زمانَ السُّوءِ تفعل ما تشيب فيه النّواصى غير مُحتمل

تؤخّر « الفاعلَ المرفوعَ تحفظه مقدّماً لمفاعيلٍ على البدَل

وساقة الجيش قد أضحت مقدّمة مثل التّليل غدا فى مؤخر الكفل

فلستُ أحفظُ فى ذى الدهر من أسف أطال أيام عُمرى أو دنا أجلى

واهاً لقلبيَ يوم البَيْن إذ ظعنوا فالعينُ فى لُجَجٍ والقلب فى شُغل

كيف التّصبّر من نارىْ نوىً وجوًى وفى الحشا أنكاه جُرح غير مُندمل

فقد فقدتُ الألى كانتْ بهجتهم نورُ النّواظر فى الاحداق والمُقل

لم أكتحلْ بقرار بعد ما ارتحلوا ولا ابتغيتُ لهم في الناس من بَدل

لم يُبق لى الدّهر بعد البَين من جَلَد ما أستطيعُ به تَوديع مُرتحل

ولا من الغمض ما أقرى الخيال به ولا من الدّمع ما أبكى على طلَل

قَلْبى على لَهب والجسمُ فى نَصَب والرُّوحُ فى وَصَب واللبّ فى ذهل

حسبى الغَرامُ حليفٌ والجَوى أبداً مُنادماً وسميرٌ غيرُ منفصل

خُذها محبّرة غيداء غانية أتتْ على عجل كالقابس العجل

جاءت من (الهاشمى) لا تَبتغى مهرًا من خاطب لبنات النّظم فى عطل

﴿ وقال محمد اليمنى الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ﴾

ولا تحتقر كيدَ الضّعيفِ فربّما تموتُ الأفاعي من سُمُومِ العقارِبِ

وقد هَدّ قِدْماً عَرْشَ بلقيسَ هُدْهُدٌ وخرّبَ حفرُ الفأرِ سدَّ مأربِ

إذا كانَ رأسَ المالِ عُمرُكَ فاحترزْ عليهِ من الإنفاق فى غيرِ واجبِ

فبين اختلافِ اللّيلِ والصّبحِ معركٌ يكرُّ علينا جيشُه بالعجائب

وما راعني غدرُ الشبابِ لأنني أنستُ بهذا الخلقِ من كلِّ صاحب
وغدرُ الفتى في عهدِه ووفائِه وغدرُ المواضي نبوُّ المضاربِ

وقال مهذب الدين المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

واذا الكريمُ رأي الخمولَ نزيلَهُ في منزلٍ فالحزمُ أن يترحَّلا
كالبدرِ لما أنْ تضاءلَ جدَّ في طلبِ الكمالِ فحازهُ متنقِّلا
سفهاً لحلمكَ انْ رضيتَ بمشربٍ رنْقٍ ورزقُ اللهِ قد ملأ الملا
ساهمتَ عيسكَ مرَّ عيشكَ قاعداً أفلا فليتَ بهنَّ ناصيةَ الفلا
فارقْ ترُقْ كالسيفِ سلَّ فبانَ في متنيهِ ما أخفى القرابُ وأخملا
لا تحسبنَّ ذهابَ نفسِك ميتةً ما الموتُ إلا أن تعيشَ مذلّلا
للقفرِ لا للفقرِ هبْها إنما مغناكَ ما أغناكَ أن تتوسلا
لا ترضَ منْ دنياكَ ما أدناكَ منْ دنسٍ وكنْ طيفاً جلا ثمَّ انجلى
وصلِ الهجيرَ بهجرِ قومٍ كلّما أمطرتَهمْ شهداً جنوْا لكَ حنظلا
أنا منْ اذا ما الدهرُ همَّ بخفضِهِ سامتهُ همّتُهُ السِّماكَ الاعزلا

وقال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ

سامحْ أخاكَ اذا خلطْ منهُ الإصابةَ بالغلطْ
وتجافَ عن تعنيفِهِ إنْ زاغَ يوماً أو قسطْ
واحفظ صنيعَكَ عندهُ شكرَ الصنيعةَ أو غمطْ
وأطعهُ إنْ عاصى وهُنْ إنْ عزَّ وادنُ إذا شحطْ
واقْنَ الوفاءَ ولوْ أخـ لَّ بما اشترطتَ وما اشترطْ
واعلمْ بأنكَ انْ طلبـ تَ مهذَّباً رمتَ الشططْ
مَنْ ذا الذي ما ساءَ قطْ ومَنْ له الحسنى فقطْ

﴿ وقال أيضاً ﴾

اسمعْ اخَيَّ وصيّةً من ناصحٍ ما شابَ مَحْضَ النُّصحَ منه بِغِشّه

لا تعجلنْ بقضيةٍ مبتوتةٍ فى مَدحِ مَنْ لم تبلهُ أو خَدْشه

وقِفِ القضيَّةَ فيه حتى تجتلى وصفَيه فى حالى رِضاهُ وبطشِهِ

فهناكَ إن تَرَ ما يَشينُ فوارِه كرماً وإنْ تَرَ ما يَزينُ فأفشِهِ

واعلم بأنّ التِّبرَ فى عِرقِ الثرى خافٍ إلى أن يُستثار بنَبْشِهِ

وفضيلَةُ الدِّينارِ يظهرُ سرُّها من حَكّهِ لاَ مِنْ ملاَحةِ نَقْشه

ومن الغَباوةِ أن تُعظِّمَ جاهلاً لصِقالِ مَلْبسه ورَوْنقِ رَقْشه

أو أن تُهينَ مُهذّباً فى نَفْسه لِدُرُوس بزّتِهِ ورِثّةِ فَرْشه

﴿ الباب التاسع فى العلم ﴾

(قال مؤيد الدين الأصبهانى المعروف بالطّغرائي المتوفي سنة ٥١٣ ﻫ)

من قاسَ بالعلم الثّراء فانه فى حكمه أعمى البصيرةِ كاذبُ

ألعلم تخدُمُه بنفسك دائماً والمال يخدُمُ عنك فيه نائب

والمال يُسلَبُ أو يَبيدُ لحادِث والعلم لا يخشى عليه سالب

والعلم نقش فى فؤادك راسخ والمال ظلٌّ عن فنائك ذاهب

هذا على الانفاق يَغزُو فَيْضُهُ أبداً وذلك حين تنفقُ ناضِب

العلمُ أشرَفُ شىءٍ قاله رجلٌ من لم يكن فيه علم لم يكن رَجُلاَ

تعلّم العلم واعمل يا أُخَيَّ به فالعلم زَيْنٌ لمن بالعلم قد عَملا

العلم مُبلغ قوْم ذِرْوَةَ الشّرف وصاحبُ العلم محفوظ من التّلف

يا صاحبَ العلم مهلاً لا تُدَنِّسه بالموبِقات فما للعلم من خَلَف

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

لو كان نور العلم يدرك بالمنى ما كان يبقى في البرية جاهل
إجهد ولا تكسل ولا تك غافلاً فندامة العقبى لمن يتكاسل

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم دون القبور قبور
وإن آمرأ لم يحيي بالعلم قلبه فليس له حتى النشور نشور

لكل مجد في الورى نفع فاضل وليس يفيد العلم من دون عامل
يسابق بعض الناس بعضاً بجدهم وما كل كر بالهوى كر باسل
اذا لم يكن نفع لذي العلم والحجا فما هو بين الناس إلا كجاهل
كذاك إذا لم ينفع المرء غيره يعد كشوك بين زهر الخمائل

ياساعياً وطلاب المال همته إني أراك ضعيف العقل والدين
عليك بالعلم لا تطلب له بدلاً واعلم بأنك فيه غير مغبون
ألعلم يجدي ويبقى للفتى أبداً والمال يفنى وان أجدي إلى حين
هذاك عز وذا ذل لصاحبه ما زال بالبعد بين العز والهون

العلم زين وتشريف لصاحبه فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيد بطل آباؤه نجب كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدب نال المعالي بالآداب والرتبا
العلم كنز وذخر لا فناء له نعم القرين اذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبداً ولا يحاذر منه الفوت والسلبا

ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلنّ به دُرًا ولا ذَهبا

بالعلم والعقل لا بالمال والذّهب يزداد رفع الفتى قَدْرًا بلا طلبِ
فالعلم طوق النُّهى يَزْهو به شرفًا والجهل قيدٌ له يَبليه باللّعب
كم يَرفع العلم أشخاصًا الى رُتَب ويخفض الجهل أشرافًا بلا أدب
ألعلمُ كنزٌ فلا تَفنى ذخائره والمرء ما زاد علمًا زاد بالرُّتب
فالعلم فاطلبْ لكى يجديك جوهره كالقوت للجسم لاتطلبْ غنى الذّهب

ألعلم زينٌ فكن للعلم مكتسبًا وكن له طالبًا ما عِشْت مُقتَبِسًا
اركن اليه وثقْ بالله واغنَ به وكن حليمًا رَزين العقل مُحترسا
وكن فتيً سالكًا محض التقي ورعًا للدّين مُغتنمًا فى العلم مُنغمسا
فمن تخلّق بالآداب ظلّ بها رئيس قوم اذا ما فارق الرُّؤسا

ألناس من جهة التّمثال أكفاء أبوهمُ آدمُ والأمُّ حوّاء
فان يكن لهم فى أصلهم شرفٌ يُفاخرون به فالطّين والماء
ما الفخرُ إلا لأهل العلم انّهمو على الهدَى لمن استهدى أدِلاّء
وقدرُ كلّ امرىء ما كان يُحسنُه والجاهلون لاهل العلم أعداء
وان أتيت بجود فى ذَوي نَسب فانّ نسبتنا جُودٌ وعلياء
ففزْ بعلم تعش حيًّا به أبدًا الناسُ موتى وأهلُ العلم أحياء

ألعلم يغرِسُ كلّ فضلٍ فاجتهد ألاّ يفوتَك فضلُ ذاك المَغرِسِ
واعلم بأن العلم ليس ينالهُ مَن همّه فى مَطعم أو مَلبس
ألا أخو العلم الذى يزهُو به فى حالتيه عاريًا أو مُكتسى
فاجعل لنفسك منه حظًا وافراً واهجرْ له طيبَ الرُّقاد وعبّس

فلعلّ يوماً ان حضرت بمجلس كنتَ الرّئيسَ وفخر ذاك المجلس

الباب العاشر فى العقل

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان
ولربما طعنَ الفتى أقرانه بالرّأى قبلَ تطاعُن الاقران

ألم تر أنّ العقلَ زينٌ لاهله ولكن تمام العقل طولُ التّجارب

يقول لك العقل الذى زين الفتى اذا لم تكن تقدِر عدوّك داره
ولاقِهِ بالتّرحيب والبشر والقِرَى وبارك له ما دُمتَ تحت اقتداره
وقبّل يدَ الجانى التى لستَ قادراً على قطعها وراقب سقوطَ جداره

العقل حلة فخر من تسربلها كانت له نسباً تغنى عن النسب
والعقل أفضلُ ما فى الناس كلهم بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

وأفضل قسم الله المرء عقله فليس من الخيرات شىء يقاربه
يَعيش الفتى بالعقل فى الناس أنه على العقل يجرى علمهُ وتجاربه
يَشين الفتى فى الناس قلّة عقلهِ وان كرمت أعراقُه ومناسبه
اذا أكمل الرّحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ما وهب الله لامرىء هبةً أشرف من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما فان فقدَ الحياة أجمل به

يعدُّ رفيع القوم مَن كان عاقلاً وان لم يكن فى قومه بحسيبِ
وان حلّ أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقلٌ فى بلدة بغريب

ومن كان ذا مال ولم يك عاقلاً فذاك حمار حملوه من التبرِ

أرى العقل مرآةَ الطبيعة إذ به نرى صُوَر الاشياء في عالم الفكر

ذو العقل في معترك الاقدار مُقتَدِرٌ لكنّ ذا الجهل مغلوبٌ ومغلول

وعقل ذي الحزم مرآة الامور بها يرى الحقائق ، والمجهول مجهولُ

وعقولُ الأنام لو تستوي لم يك فرقٌ بين الغبيّ والنّبيه

محوّر الارض لو غدا مستقيماً لتساوى النّهار والليل فيه

﴿ الباب الحادى عشر في الادب ﴾

﴿ قال أبو تمام ﴾

إذا جاريتَ في خُلُقٍ دنيئاً فأنتَ ومن تجاريه سَواء

رأيتَ الحُرَّ يجتنبُ المخازي ويحميه عن الغدر الوفاء

وما من شدّة الاّ سيأتى لها من بعد شِدّتها رخاء

لقد جرّبت هذا الدّهر حتى أفادتني التّجارِب والعناء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العُود ما بقيَ اللّحاء

فلا والله ما في العيش خيرٌ ولا الدّنيا اذا ذهب الحياء

اذا لم تخش عاقبة الّليالى ولم تستح فاصنع ما تشاء

(وقال ايضاً)

سأصرفُ وجهي عن بلاد غدا بها لسانيَ معقولاً وقلبيَ مُقفَلا

وان صريح الحزم والرأى لامرىء إذا بلغته الشمسُ أن يتحوّلا

(وقال ابو فراس الحمداني)

لا أشترى بعد التّجارِب صاحباً الاّ وددت بأنني لم أشره

وتركتُ حُلوالعيش لم أحفل به لمّا رأيتُ أعزّه في مُرّه
والمرء ليس بغانمٍ في أرضهِ كالصقْر ليس بصائدٍ في وَكْره

(وقال أبو العَلاء المَعرّى)

لَئِن قَدَرتَ فلا تفعلْ سوى حَسنٍ بين الأنام وجانبْ كلّ ما قبُحا
فكم شيوخٍ غَدوا بيضاً مفَارقُهم يُسبحُون وباتوا في الخنَا سَبْحا
وليس عندهمَ دينٌ ولا نسكٌ فلا تغرّك أيدٍ تحمل السُّبَحا
لو تَعقلُ الأرض ودّت أنها صفرَت منهم فلم يَر فيها ناظرٌ شبَحا

(وقال الطغرائى)

جامِلْ عدوّك ما استطعتَ فانهُ بالرّفق يطمعُ في صَلاح الفاسِد
واحذر حسودك مااستطعتَ فانهُ إن نمتَ عنهُ فليس عنك براقد
ان الحسود وان أراد تودّدًا منه أضرّ من العدوّ الحاقد
ولربما رضي العدوّ اذا رأى منكَ الجميل فصار غير مُعاند
ورضا الحسُود زوالُ نعمتك التى أُوتيتَها من طارفٍ أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره ترمى حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكل نفسها حتى تعود الى الرّماد الهامد
تضفُو على المحسود نعمة ربّه ويذوب من كَمدٍ فؤاد الحاسد

(وقال ابن الرومى)

عدوّك من صديقك مستفَادٌ فلا تستكثرنّ من الصّحاب
فان الدّاء أكثر ما تراه يحول من الطعام أو الشراب
اذا انقلبَ الصديق غَدَا عدوًّا مبيناً والامور الى انقِلاب

ولو كان الكثير يَطيب كانت　　مصاحبة الكثيرِ من الصّواب

﴿ وقال فى الانفرادِ والوحدة ﴾

ذُقت الطُّعومَ فما التذذت براحة　　من صُحبة الأخيار والأشرار
أما الصديق فلا أحبُّ لِقاءه　　حَذرَ القِلى وكَراهة الاعوار
وأرى العدُوّ قذَى فأكره قُربه　　فهجرت هذا الخلق عن اعذار
من جور اخوان الزمانِ سرورهم　　بتفاضُل الأحوال والأخطار
لو أن اخوان الصفّاء تناءفوا　　لم يفرحوا بتفاضل الأعمار
أأحبّ قوماً لم يُحبّوا ربّهم　　الا لِفردوس لديه ونارِ

﴿ وقال المتنبى ﴾

اذا غامرتَ فى شرف مَرومِ　　فلا تقنع بما دون النُّجوم
فطعم الموت في أمر حقير　　كطعم الموت فى أمر عظيم
يرى الجبناء أنَّ العجز عقل　　وتلك خديعة الطّبع اللئيم
وكلّ شجاعة فى المرء تُغنى　　ولا مثل الشجاعة فى الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً　　وآفته من الفهم السقيم

﴿ وقال بشّار بن بُرد ﴾

خيرُ اخوانك المُشارك فى المُرْ　　رِ وأين الشَّريك فى المرّ أينا
الذى إن شهدتَ سرّك فى الحيـ　　ـى وإن غبتَ كان أُذناً وعينا
مثل سرّ الياقوت إن مَسّه النّا　　ر جلاه البلاء فازداد زَيناً
أنتَ فى معشر إذا غبتَ عنهم　　بدّلوا كلّ ما يزينك شينا
وإذا ما رأوْك قالوا جميعاً　　أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى لِلأنام وُدًّا صحيحاً　　عاد كلّ الورَاء زُوراً ومَيناً

﴿ وقال أبو العتاهية ﴾

خيرُ أيامِ الفتى يومٌ نفعْ ... واصْطِناعُ الخيرِ أبقى ما صنع
ما ينال الخيرُ بالشرّ ولا ... يحصد الزّارعِ الا ما زرع
خُذ من الدنيا الذي درّت به ... واسلُ عما بانَ منها وانقطع
إنما الدُّنيا متاعٌ زائلٌ ... فاقتصد فيه وخُذْ منه ودَع
وارضَ للناس بما ترضَى به ... واتّبع الحقَّ فنِعم المُتّبع

كن ابن من شئت واكتسب أدبًا ... يغنيك محمودُه عن النّسب
إن الفتى مَن يقول هاأنذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

لكلّ شيءٍ زينةٌ في الوَرى ... وزينة المرءِ تمام الادب
قد يَشرُف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيعَ النّسب

﴿ وأنشد ابو عبد الله نفطويه لنفسه ﴾

أراني أنسى ما تعلّمت في الكِبرْ ... ولست بناسٍ ما تعلّمت في الصغرْ
وَمَا العلم الا بالتعلّم في الصِّبا ... وما الحلم الا بالتّحلّم في الكبرْ
وَلَوْ فُلِقَ القلبُ المُعلَّمُ في الصِّبا ... لأُلفِيَ فيهِ العلمُ كالنّقشِ في الحجرْ
وما العِلمُ بعدَ الشّيبِ إلاّ تعسُّفٌ ... إذا كلَّ قلبُ المرءِ والسّمعُ والبَصَرْ
وما المرء إلاّ اثنانِ : عقلٌ ومنطقٌ ... فمنْ فاتهُ هذا وَهذا فقدْ دمَرْ (١)

﴿ ومما ينشدُ خلَف الاحمر (٢) ﴾

خيرُ ما ورّثَ الرِّجالُ بنيهمْ ... أدَبٌ صالحٌ وحُسْنُ ثناء
هُوَ خيرٌ منَ الدَّنانيرِ والأوْ (٣) ... رَاقِ في يَوْمِ شِدّة ورخاء

(١) أي هلك (٢) كان راوية للشعر والأدب وشيخاً من شيوخ النحويين البصريين توفي سنة ١٨٠ هـ (٣) جمع ورق مثلثة وهي الدراهم المضروبة من الفضة

تلك تغنى والدينُ والأدبُ الصا | لحُ لا يغنيان حتى اللقاء (١)
إنْ تأدبتَ يا بُنيَّ صغيرا | كُنْتَ يوماً تُعدُّ في الكبراء
واذا ما أضعتَ نفسكَ ألفيـ (٢) | تَ كبيراً (٣) في زُمرةِ الغوغاء
ليس عطفي للعود إن كان رطباً | وإذا كانَ يابساً بسواء

﴿ ومن شعر المنصور الفقيه ﴾

أيُّها الطالبُ الحريصُ تعلَّمْ | إن للحقِّ مذهباً قدْ ضللته
ليس يُجدي عليكَ علمكَ إنْ لمْ | تكُ مستعملاً لما قدْ علمته
قد لعمري اغتربتَ في طلب العلـ | ـمِ وحاولتَ جمعهُ فجمعته
ولقيتَ الرجالَ فيه وزاحمـ | ـتَ عليه الجميعَ حتى سمعته
ثمَّ ضيَّعتَ أو نسيتَ، وما ينـ | ـفعُ علمٌ نسيتهُ أو أضعته
وسواءٌ عليكَ علمكَ إنْ لمْ | يُجدِ نفعاً عليكَ أمْ ما جهلته
كمْ إلى كمْ تخادعُ النفسَ جهلاً | ثمَّ تجري خلافَ ما قدْ عرفته
تصفُ الحقَّ والطريقَ إليهِ | فإذا ما عملتَ خالفتَ سمته

﴿ وقال محمود سامي باشا البارودي ﴾

بادر الفُرصة واحذر فوتها | فبلوغ العزّ في نيل الفُرصْ
واغتنم عُمرك إبّان الصبا | فهو ان زاد مع الشيب نقصْ
وابتدر مسعاك واعلم أن من | بادر الصيد مع الفجر قنصْ
واجتنبْ كلَّ غبيٍّ مائق | فهوَ كالعير (٤) اذا جدَّ قمصْ
إنما الجاهلُ في العين قذىً | حيثما كانَ، وفي الصدر غُصصْ

(١) يوم اللقاء أي لقاء الله وهو يوم القيامة (٢) أي وجدت (٣) نصب على الحال
(٤) الحمار

واختبر من شئت تعرفه فما يعرف الأخلاق إلا من فحص
ان ذا الحاجة إن لم يغترب عن حماه مثل طير في قفص

﴿ وقال أبو اسحاق إبراهيم الغزى[1] ﴾

فاجعل كراك[2] إذا اعتزمت سهادا[3] بمسيره نقص الهلال ، وزادا
لم تفضل الاغمادا لولا انصلات[4] البيض[5] من أغمادها[6] مشحوذة
لولا منافعه لكان جمادا وفضيلة الحيوان في حركاته
خذ الشبيبة للمسافة زادا ما العمر الا راحل ، وأظنه آت
وتوق فرط جماحه المعتادا لا تخدعن عن اللسان لجامه
مثنى ، وجارحة الكلام فرادى فالله خص الاسماع بآلة

﴿ وقال أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي[7] ﴾

حاول جسيمات الأمور ، ولا تقل ان المحامد والعلا ارزاق
وارغب بنفسك[8] أن تكون مقصراً عن غاية فيها الطلاب سباق
لا تشفقن[9] فان يومك ان أتى ميقاته لم ينفع الاشفاق
واذا عجزت عن العدو فداره وامزج له ان المزاج وفاق
فالنار بالماء الذي هو ضدها تعطي النضاج ، وطبعها الاحراق

---

(١) هو ابراهيم بن يحيي بن عثمان الكلبي شاعر مجيد صاحب مطولات ، وله ديوان اختاره لنفسه ، ولد بغزة سنة ٤٤١ هـ وتصرفت به الأحوال فذهب الى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة ٥٢٤ هـ (٢) الكرى النوم (٣) السهاد السهر (٤) تجرد (٥) السيوف (٦) جمع غمد وهو قراب السيف (٧) هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر المشهور بابن نباته ، وينسب الى سعد تميم ، وعد في شعراء سيف الدولة الحمداني ، وله ديوان حافل توفي سنة ٤٠٥ هـ ببغداد . وهو القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الاسباب والموت واحد

(٨) صن نفسك (٩) لا تخفن.

عوّد بنيك على الآداب في الصغر ... كيما تقرّ بهم عيناك في الكبر
فانما مثل الآداب تجمعها ... في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ... ولا يخاف عليها حادث الغير
ان الاديب اذا زلّت به قدمٌ ... يهوي على فرش الديباج والسُّرر
الناس صنفان ذو علم ومستمعٌ ... واعٍ وسائرهم كاللغو والعكر

مَن لم يكن عقله مؤدبه ... لم يغنه واعظٌ من النسب
كم من وضيع الأصول في أمم ... قد سوّدوه بالعقل والادب

لا تيأسنّ اذا ما كنتَ ذا أدبٍ ... على خمولك أن ترقى الى الفلك
فبينما الذهبُ الابريز مختلطٌ ... بالترب اذ صار اكليلاً على الملك

السبع سبعٌ ولو كلّت مخالبهُ ... والكلب كلبٌ ولو بين السباع رُبي
وهكذا الذهب الابريز خالطه ... صفر النحاس وكان الفضلُ للذهب
لا يعجبنّك أثوابٌ على رجل ... دَع عنك أثوابه وانظر الى الأدب
فالعود لو لم تفح منه روائحُه ... لم يفرِق الناسُ بين العود والحطب
وليس يسودُ المرء الا بنفسه ... وان عدّ آباءً كراماً ذوي حسَب
اذا العودُ لم يثمر ولو كان شعبة ... من المثمرات اعتدّه الناس من حطب

قد ينفع الادبُ الاحداثَ من صغر ... وليس ينفعُ بعد الشيبة الادبُ
ان الغصون اذا قوّمتها اعتدلت ... ولن تلين اذا قوّمتها الخشب

﴿ الباب الثاني عشر في الصبر والتأني ﴾

تصبّر ففي اللأواء قد يحمدُ الصبر ... ولولا صروفُ الدهر لم يعرف الحرّ
وانّ الذي أبلى هو العون فانتدب ... جميل الرضا يبقى لك الذكر والاجر
وثق بالذي أعطي ولا تك جازعاً ... فليس بحزم أن يروّعك الضر

فلا نِعمٌ تبقى ولا نِقمٌ ولا يدوم كلا الحالين عسرٌ ولا يسر
تقلَّب هذا الامر ليس بدائم لديه مع الايام حُلوٌ ولا مُر

اصبر على مضض الادلاج في السَّحر وفي الرَّواح الى الطاعات في البكر
انى رأيت وفي الايام تجربة للصَّبر عاقبة محمودة الاثر
وقلَّ من جدَّ فى أمر يؤمِّله واستصحب الصَّبر الا فاز بالظفر

ان الامور اذا اشتدت مسالكها فالصَّبر يفتح كلَّ ما ارتجا
لا تيأسنَّ وان طالت مطالبةٌ اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

عليك باظهار التجلّد للعدى ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الرَّيحان يشمم ناضراً ويطرح فى البيدا اذا ما تغيَّرا

صبراً على نُوب الزما ن وإن أبى القلبُ الجريحُ
فلكلّ شيء آخرٌ إما جميلٌ أو قبيحُ

الدَّهر أدَّبني والصَّبر ربّاني والقوت أقنعني والياس أغناني
وحنكتني من الأيام تجربةٌ حتى نهيتُ الذى قد كان ينهاني

إني رأيتُ الصَّبر خير معوّل فى النَّائبات لمن أراد معوّلا
ورأيتُ أسباب القناعة أكّدت بعُرى الغنى فجعلتها لى معقِلا
فاذا نبا بى منزلٌ جاوزتُه وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شيءٌ عليَّ تركته فيكون أرخص مايكون اذا غلا

اذا ما أتاك الدَّهر يوماً بنكبةٍ فأفرغ لها صبراً وأوسع لها صدرا
فان تصاريف الزَّمان عجيبةٌ فيوماً ترى يُسراً ويوماً ترى عُسرا

على قدْر فضل المرء تأتى خطوبُهُ ويُحمدُ منه الصبر مما يُصيبه
فمن قلّ فيما يتقيه اصطباره لقد قلّ فيما يرتجيه نصيبه

إصبر قليلاً فبعدَ العُسر تيسيرُ وكلّ وقتٍ له أمرٌ وتدبيرُ
وللمُهيمن فى حالتنا نظرٌ وفوقَ تدبيرنا لله تدبير

إصبرْ ففى الصّبر خيرٌ لو علمتَ به لكنتَ باركتَ شكراً صاحب النّ
واعلم بأنك إن لم تصطبرْ كرَمًا صبرْتَ قهراً على ما خطّ بالقلم

كن حليماً اذا بُليتَ بغيظ وصبوراً اذا أتتك مُصيبه
فالليالى من الزّمان حَبالَى مُثقلاتٍ يَلِدْن كل عجيبه

تصبّرْ أيها العبدُ اللّبيب لعلّك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهتْ يكون وراءها فرَجٌ قريب

أياصاحبي إن رُمت أن تكسبَ العُلا وترقَى الى العَلياء غيرَ مُزاحم
عليك بحُسْن الصّبر فى كلّ حالة فما صابرٌ فيما يرومُ بنادم

بَنى الله للأخيار بيتًا سماؤه همومٌ وأحزانٌ وحيطانُه الضرُّ
وأدخلَهم فيه وأغلَق بابَه وقال لهم مِفتاح بابِكم الصّبرُ

إصبرْ قليلاً وكن بالله مُعتصماً لا تعجلنّ فانّ العَجزَ بالعَجَل
الصّبر مثل اسمه في كلّ نائبةٍ لكن عواقبه أحلى من العسل

اذا جرَحتْ مساويهم فؤادى صبرْتُ على الإساءة وانطوَيتُ
وجئتُ اليهمُ طَلْقَ المُحيا كأنى لا سمعتُ ولا رأيتُ

تأنّ ولا تضقْ للامر ذَرعاً فكم بالنّجح يظفر مَنْ تأنّى

تأنّ فالمرء إن تأنى أدرك لا شكّ ما تمنّي
تأنّ ولا تعجلْ بلومك صاحباً لعلّ له عُذراً وأنتَ تلومُ

الباب الثالث عشر في الصدق

الصّدق عزٌّ فلا تعدلْ عن الصّدق واحذر من الكذب المذموم في الخُلُق

عليك بالصّدق ولو أنه أحرقك الصّدقُ بنار الوَعيد

عليك بالصّدق في كلّ الامور ولا تكذب فأقبح ما يُزْرى بك الكذب

ما أحسنَ الصّدقَ في الدّنيا لقائله وأقبح الكذبَ عند الله والناس

الباب الرابع عشر في الكذب

لي حيلة فيمن ينمْ مُ وليس في الكذّاب حيلَه
مَن كان يخلق ما يقو لُ فحيلتي فيه قليلَه

نعم نعم انّما النمامُ ذو ضرَر لكنّما الكاذب الجاني أشدّ ضرَرْ
أخو النميمة إن يَسمعْ يَنِمّ ومن يكذب يقل ما يشا قولاً بغير أثر
لذاك لي حيلةٌ في مَن ينمّ وما لي حيلةٌ في كذوب مل‍ؤه شَرَرَ

لي حيلةٌ في من ينمُّ فانّني أطوي حديثي دونَه وخطابي
لكنّما الكذّاب يخلُق قولَه ما حيلتي في المُفترى الكذّاب

لا يكذب المرء إلا من مَهانتهِ أو فعله السُّوء أو من قِلّة الأدب
لبعض جيفةِ كلبٍ خيرُ رائحة من كذبة المرء في جدّ وفي لعب

إياك من كَذِب الكذُوب وإفكه فلرُبّما مزَج اليقين بشكه
ولرُبّما كذب امرؤٌ بكلامه وبصمته وبُكائه وبضحكه

اذاعُرِفَ الإنسانُ بالكذب لم يزل لدى الناس كذّابا ولو كان صادقا
فان قال لم تصغ له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقا

الباب الخامس عشر فى التواضع

ان شئت أن تبنى بناءً شامخا يلزم لذا البنيان أُسٌّ راسخُ
ان البناء هو الكمالُ وأسه الـ ـصَّخرىُّ فهو الإتّضاعُ الباذخُ

تواضعْ لرَبٍّ العرش عَلَّكَ تُرفعُ فما خابَ عبدٌ للمُهيمن يَخضعُ

تواضع تكُنْ كالنَّجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدُّخان يعلو بنفسه الى طَبقات الجوّ وهو وَضيع

إذا شئت أن تَزداد قدراً ورِفعة فلِن وتواضعْ واتركُ الكِبرَ والعُجبا

تواضع اذا ما نِلتَ فى الناس رِفعة فانّ رَفيعَ القوْم من يتواضع

تواضعْ اذا ما كان قدْرُكَ عالياً فانّ اتضاعَ المرء من شِيَم العقل

الباب السادس عشر فى الكرم والكرماء

ونكرمُ ضيفنا ما دام فينا ونُتبعُهُ الكرامةَ حيثُ مالا

فتى كملت خيراتُه غيرَ أنه جوادٌ فما يُبقى من المال باقيا

انّ الكِرامَ اذا ما أيسرُوا ذكروا مَن كان يألفُهم فى المنزل الخشِنِ

أبى الجُود فى الدُّنيا سِواكَ لأنه تفرّع من جُود وأنتَ أبو الجُود
وأضدادكَ الوادى لهم سالَ واستوتْ سفينةُ بحر العلم منكَ على الجُودى

إن الكريمَ الذى لا مالَ فى يده مثل الشُّجاع الذى فى كفّه شَلَلُ
والمال مثل الحصى ما دام فى يدنا فليسَ ينفع إلاّ حين ينتقل

لا تَرَانى مُصافِحاً كفَّ يحيى إننى ان فعلتُ ضيَّعت مالى
لو يمسّ البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النّوال

لو أشبهتك بحار الأرض فى كرم لأصبح الدُّرّ مَطروحاً على الطُّرُق
أو أشبه الغيثُ جُوداً منك مُنْهَمِلاً لم ينجُ فى الأرض مخلوقٌ من الغَرق

مَن قاسَ جَدْواك بالغمام فما أنصفَ فى الحُكم بين شكلين
أنت اذا جُدْت ضاحكٌ أبداً وهو اذا جادَ دامعُ العين

مانَوالُ الغمام وَقْت ربيعٍ كنوال الأمير وقْت سَخاء
فَنوالُ الامير بَدْرَةُ مال ونَوالُ الغمام قَطْرةُ ماء

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يُفنى البخيلُ بجمع المال مُدّته وللحوادث والأيّام ما يَدَعُ
كدُودة القزّ ما تبنيه يَهدمها وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

ان هذا الفتى يصُون رغيفاً ما اليه من ناظر من سبيل
فى جراب فى جوف تابوت موسى والمفاتيح عند ميكائيل

شرابك مخْتُوم وخُبزك لا يرى ولحمك بين الفرقدين معلّق
نديمك عطشان وضيفك جائعٌ وكلبك نبّاح وبابك مُغلق

نوالك دُونه شوْك القتاد وخُبزك كالثُّريّا فى البعاد
ولو أبصرتَ ضيفاً فى منامٍ لحرّمت الرُّقاد على العباد

قد شاب رأسى ورأس الدّهر لم يَشِب إنّ الحريصَ على الدّنيا لفى تَعب
وذى حرص تراه يَلُمّ وفراً لوارثه ويدفع عن حِماهُ

ككلب الصيّد يمسك وهو طاو فريسته ليأكلها سواه

حسبي بعلمي إن نفع ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

أصبحت أجوع خلق الله كلهم وأفزع الناس من خبز اذا وضعا
خبز البخيل لمكتوب عليه ألا لا بارك الله فى ضيف اذا شبعا
إني أحذركم من خبز صاحبنا فقد ترون اليوم بحلقى ما صنعا

إياك والحرص إن الحرص متعبة فان فعلت فراع القصد فى الطلب
قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم المرء ذو الأسفار والتعب
فاز جرفؤادك عن حرص وعن نصب فما وحقك يأتى الرزق بالنصب

اذا كسر الرغيف بكى عليه بكا الخنساء إذ فجعت بصخر
ودون رغيفه قلع الثنايا وضرب مثل وقعة يوم بدر

تغير إذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت فى عرض المقال
عليّ اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

رغيف فى الحجاب عليه قفل وحراس وأبواب منيعة
رأى فى بيته ضيف رغيفا فقال لضيفه هذا وديعه

ويظهر عيب المرء فى الناس بخله ويستره عنهم جميعا سخاؤه

رأى الضيف مكتوبا على باب داره فصحفه ضيفا فقام إلى السيف
فقلنا له خيرا فظن بأننا نقول له خبزا فمات من الخوف

﴿ وقال أبو محمد اسحاق الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ فى ذم البخل ﴾

وَآمرةٍ بالبُخل قلت لها اقصرى ... فليس إلى ما تأمُرِينَ سبيلُ

أرى النّاسَ خُلّانَ الجَوادِ ولا أرى ... بخيلاً له فى العالمينَ خليل

وانى رأيتُ البُخل يُزرى بأهله ... فأكرمتُ نفسى أن يقال بخيل

ومن خير حالات الفتى لو علمته ... إذا نال شيئاً أن يكون ينيل

عَطائى عطاء المُكثرين تجمّلا ... ومالى كما قد تعلمين قليل

وكيف أخاف الفقر أو أُحرَمُ الغنى ... ورأىُ أمير المؤمنينَ جميل

الباب الثامن عشر فى وصف الدنيا

أيامَن عاشَ فى الدُّنيا طويلا ... وأفنى العُمرَ فى قيلٍ وقالِ

وأتعبَ نفسهَ فى ما سيفنى ... وجمعٍ من حرامٍ أو حلال

هَبِ الدُّنيا تقاد اليك عفواً ... أليس مصيرُ ذاك إلى انتقال

إنّ لله عِباداً فُطَنا ... طلّقوا الدُّنيا وعافوا الفتنا

فكّرُوا فيها فلما عَلِموا ... أنها ليست لحىّ وطنا

جعلوها لُجّة واتّخذُوا ... صالح الأعمال فيها سُفنُا

عجبتُ المرء فى دنياه تطمعه ... فى العيش والاجلُ المحتُوم يقطعُه

يُمسى ويُصبح فى عَشْواء يَخبطها ... أعمى البَصيرة والآمال تخدعُه

يغترّ بالدّهر مَسروراً بصُحْبته ... وقد تيقّن أن الدّهر يَصرعهُ

ويجمع المالَ حِرصاً لا يُفارقه ... وقد دَرَى أنّه للغير يجمعه

تراه يَشفَقُ مِنْ تصييع دِرْهمه ... وليس يَشفق من دِينٍ يُضيّعه

وأسوأُ الناس تدْبيراً لعاقبة ... من أنفقَ العُمر فى ما ليس ينفعهُ

ألا إنما الدُّنيا كأَحلام نائم   وما خيرُ عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما نلتَ بالأمر لذّة   فأفنيتها هل أنت الاّ كحالم
فمن غافلٍ عنه وليس بغافلٍ   ومن نائمٍ عنه وليس بنائم

ومن يذُق الدُّنيا فإنى طعمتها   وسيقَ الينا عَذْبُها وعذابها
فلَم أرها إلاّ غُروراً وباطلاً   كما لاحَ فى ظَهر الفَلاة سَرابها
وما هى إلاّ جيفةٌ مستحيلة   عليها كلاب همّهن اجتذابُها
فان تجتنبها كنت سِلْماً لأهلها   وان تجتذبها نازعتك كلابها
فَدَعْ عنك فضلاتِ الأمور فانها   حرامٌ على نفس التقىّ ارتكابها

ومن يَحمد الدنيا لشىءٍ يسرّه   فسوف لعَمرى عن قليلٍ يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة   وان أقبلت كانت كثيراً همُومها

هى الدُّنيا تقولُ بملءِ فيها   حذَارِ حذَارِ من بطشى وفتكى
فلا يَغرُركمو منّى ابتسامٌ   فقَولى مُضحكٌ والفعل مُبكى

سألتُ عن الدُّنيا الدّنية قيل لى   هى الدّار فيها الدّائرات تدور
اذا أضحكت أبكتْ وان أحسنت أسَت   وان أعدلت يوماً فسوف تجور

ياخاطبَ الدُّنيا الدَّنيّة إنها   شَرَكُ الرَّدَى وقرارة الأكدار
دارٌ متى ما أضحكتْ فى يومها   أبكتْ غداً تبًّا لها من دار

الباب التاسع عشر فى السر

ولستُ بمُبْدٍ للرّجال سريرتى   ولا أنا عن أسرارهم بسؤول
لا يكتم السرَّ الا كلّ ذى ثقة   والسرّ عند خيار النّاس مكتوم
فالسرّ عندىَ في بيت له غلقٌ   ضاعت مفاتيحه والبابُ مختوم

صُنِ السّرّ عن كل مستخبرٍ وحاذِرْ فما الرّأى الا الحَذر
أسيرُكَ سِرّكَ ان صُنْتَهُ وأنتَ أسيرٌ له أن ظَهر

كلّ علمٍ ليس فى القرطاس ضاع كلّ سِرّ جاوَزَ الإثنين شاع

اذا لم يكن فى الورَى صاحبٌ وفيه ثلاثُ خِصال حَميده
وفاءٌ وسرٌّ وحفظُ الولا فصُحبته قطّ ليست مُفيده

عليك بكتم السّرّ فى كل حالةٍ فقد جاء فى الأخبار من ألف حُجّة
اذا دَخل اثنان الحديث فسرّه يشيعُ وصمتُ المرء أعظمُ حِكمة

الباب العشرون فى اللسان

لا يُعجبنّك من خطيبٍ خُطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاَ
إنّ الكلامَ لفى الفؤاد وانما جُعل اللّسان على الفؤاد دليلا

يُصاب الفتى من عَثرة بلسانه وليس يُصاب المرء من عثرة الرّجل
فعثرَته فى القول تُذهب رأسه وعثرته بالرّجل تبرَا على مَهل

احفظْ لسانك أيها الإنسانُ لا يلدغنّك أنه ثعبانُ
كم فى المقابر من قَتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

الصّمت زَينٌ والسّكوت سلامة فاذا نطقتَ فلا تكن مِكثارا
فاذا نَدِمت على سكوتك مرّة فلتندَمنّ على الكلام مرارا

إن القليلَ من الكلام بأهله حَسنٌ وان كثيرَه مَمقوتُ
ما زلّ ذو صَمت وما من مُكثر الاّ يزلّ وما يُعابُ صَموتُ
ان كان يَنطقُ ناطقٌ من فِضّة فالصّمت دُرٌّ زانه الياقوت

احفظ لسانَك واستعِذْ من شرّه · إنّ اللّسان هو العدوّ الكاشحُ
وزِنِ الكلامَ اذا نطقتَ بمجلسٍ · فاذا استوَى فهناك حلمك راجحُ
والصّمت من سعد السّعود بمطلع · تحيا به والنّطق سَعدٌ رابح

عوّد لسانَك قولَ الخير تنجُ به · من زلّة اللّفظ أو من زلّة القدَم
واحذرْ لسانَك من خلّ تُنادِمُه · إنّ النّديمَ لمُشتقٌ من النّدَم

الباب الحادى والعشرون فى المعاشرة

قال الامام الشافعى رضى الله عنه

اذا المرء لا يَرعاك إلا تكلّفًا · فدَعْهُ ولا تُكثِرْ عليه التأسّفا
ففى النّاس أبدالٌ وفى التّرك راحة · وفى القلب صبر للحبيب ولو جفَا
فما كلّ مَن تهواهُ يهواكَ قلبُه · ولا كلُّ من صافيتَه لك قد صفا
اذا لم يكن صفوُ الوداد طبيعةً · فلا خيرَ فى ودّ يجيء تكلّفا
ولا خيرَ فى خلّ يخون خليله · ويلقاه من بعد المودّة بالجفا
ويُنكرُ عيشاً قد تقادَم عهده · ويُظهر سرًّا كان بالأمس قد خفَا
سلامٌ على الدّنيا اذا لم يكن بها · صَديقٌ صَدوقٌ صادقُ الوعدِ مُنْصِفِا

صافِ الكرامَ فخيرُ مَنْ صافيتَهُ · مَن كان ذا أدب وكان ظَريفا
واحذرْ مؤاخاة اللّئيم فانه · يُبدى القَبيحَ ويُنكرُ المعرُوفا
إن الكريمَ وإن تَضعضعَ حاله · فالخلقُ منه لا يَزال شريفا
والنّاس مثل دراهم قلبتَها · فأصبتَ منها فضّةً وزُيوفا

وما المرء الا حيثُ يجعلُ نفسه · فأبصِرْ بعين منك أمراً فيُعتمدْ
وان يَصحبَ الإنسانُ إلانظيرَه · وإن لم يكونا من قبيل ولا بَلَد

وما الغيُّ إلا أن تصاحب غاوياً ‏ ‏ وما الرُّشد إلا أن تصاحب مرتشد

أخو الفسق لا يغرُرك منه تودُّد ‏ ‏ فكلُّ حبال الفاسقين مهين

وصاحب اذا ما كنت يوماً مُصاحباً ‏ ‏ أخا ثقة بالغيب منك أمين

اجعلْ قرينك من رضيت فِعاله ‏ ‏ واحذَرْ مقارنة اللئيم الشائن

كم من قرين شائن لقرينه ‏ ‏ ومُهجّن منه لكلّ محاسن

وعينك إن أبدت اليكَ مساوياً ‏ ‏ من النّاس قل يا عينُ للناس أعينُ

وعاشرْ بمعروف وكن متودِّداً ‏ ‏ ولا تلقَ إلا بالّتي هي أحسنُ

﴿ الباب الثاني والعشرون في القناعة ﴾

وأكلُ كُسيرة في جنب بيتي ‏ ‏ أحبُّ اليّ منْ أكل الرغيف

ولُبسُ عباءة وتقرُّ عيني ‏ ‏ أحبُّ اليَّ من لُبس الشفوف

هي القناعةُ فالزَمْها تعِش مَلكاً ‏ ‏ لو لم يكن منك الا راحةُ البدنِ

وانظُرْ لمنْ مَلك الدُّنيا بأجمعها ‏ ‏ هل راحَ منها بغير القُطن والكَفن

قَنعتُ بالقوت من زماني ‏ ‏ وصُنت نفسي عن الهوان

خوْفاً من الناس أن يقولوا ‏ ‏ فضلُ فلان على فلان

من كنتُ عن ماله غنياً ‏ ‏ فلا أُبالي إذا جفاني

ومن رآني بعين نقص ‏ ‏ رأيتُهُ بالّتي رآني

ومن رآني بعين تمّ ‏ ‏ رأيته كامل المعاني

اذا المرء عوفي في جسمه ‏ ‏ وملّكه الله قلباً قنوعا

وألقى المطامعَ عن نفسه ‏ ‏ فذاك الغني ولو مات جوعا

النفس تجزَعُ أن تكونَ فقيرةً ‏ ‏ والفقرُ خير من غِنًى يطغيها

وغنى النفوس هو الكفاف فان أبت ... فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

إن القنوع نفيس النفس راشدها ... وهو الغنى الذى يحيا بلا نصب

وذو المطامع مغرور ومفتقر ... ولو حوى ملك سلطان وعلم نبى

أفادتنى القناعة كل عز ... وهل عز أعز من القناعه

ولقد طلبت رضا البرية جاهداً ... فاذا رضاهم غاية لا تدرك

وأرى القناعة للفتى كنزاً له ... والبر أفضل ما به يتمسك

الباب الثالث والعشرون فى الحسد

تخلق الناس بالأدناس واعتمدوا ... من الصفات الدها والمكر والحسدا

كرهت منظرهم من سوء مخبرهم ... فقد تعاميت حتى لا أرى أحدا

اصبر على كيد الحسو ... د فان صبرك قاتله

كالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

دع الحسود وما يلقاه من كمد ... يكفيك منه لهيب النار فى كبده

ان لمت ذا حسد نفثت كربته ... وان سكت فقد عذبته بيده

أيا حاسداً لى على نعمتى ... أتدرى على من أسأت الادب

أسأت على الله فى حكمه ... لأنك لم ترض لى ما وهب

فأخزاك ربى بأن زادنى ... وسد عليك وجوه الطلب

ان شئت قتل الحاسدين تعمداً ... من غير مادية عليك ولا قود

وبغير سم قاتل وصوارم ... وعقاب رب ليس يغفل عن أحد

عظم تجاه عيونهم محسودهم ... فتراهمو موتى النفوس مع الجسد

ذوب المعادن باللظى لكنما ... ذوب الحسود بحر نيران الحسد

﴿ الباب الرابع والعشرون في الحلم ﴾

ألا إنّ حلم المرء أكرمُ نِسبة ... تَسامَى بها عند الفخار حليم
فيارب هبْ لى منك حِلماً فاننى ... أرى الحِلم لم يندم عليه كريم

أحبُّ مكارمَ الأخلاقِ جُهدى ... وأكرُه أن أعيب وأن أعابا
وأصفحُ عن سبابِ الناس حلماً ... وشرُّ الناس من يَهوى السِّبابا
ومن هـاب الرّجالَ تهيّبوه ... ومن حقّر الرّجال فلن يُهـابا

ولا خيرَ فى حِلم اذا لم يكن له ... بَوادرُ تحمى صفوه أن يكدّرا
ولا خيرَ فى جهلٍ اذا لم يكن له ... حليمٌ اذا ما أوردَ الامر أصدَرا

اذا كنتُ محتاجاً الى الحِلم اننى ... الى الجهل فى بعض الاحايين أحوجُ
ولى فرسٌ للحلم بالحلم ملجمٌ ... ولى فرسٌ للجهل بالجهل مُسْرَجُ
فمن شاءَ تقويمى فإني مقوَّمٌ ... ومَن شاءَ تَعويجى فانى مُعوّج
وماكنتُ أرضى الجهل خِدْناً وصاحباً ... ولكننى أرضى به حين أُحْرَجُ

اذا كنت بين الحلم والجَهل ناشئاً ... وخُيِّرت أنّى شئتَ فالحلمُ أفضل
ولكن اذا أنصفتَ مَن ليس مُنصفاً ... ولم يرض منك الحلمَ فالجهلُ أمثل

﴿ وقال الامام الشافعى رضى الله عنه ﴾

وعَينُ الرّضا عن كلّ عيبٍ كَليلَةٌ ... كما أنّ عين السُّخط تُبدِى المساويا
ولستُ بهيّابٍ لِمَن لا يَهابُنى ... ولست أرَى للمرء مَا لا يرَى لِيَا
فإن تَدنُ مِنِى تدنُ منك مَودّتى ... وإن تَنـأَ عنّى تلقَنى عنك نائيـا
كلانا غنِيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحن اذا متنا أشدُّ تغانيَا

الباب الخامس والعشرون فى الحماقة

لكلّ داء دواءٌ يُستطبّ به الا الحماقة أعيتْ من يُداويها
لا تيأسنَّ من اللبيب وان جفا واقطع حبالك من حبال الأحمق
فعداوةٌ من عاقلٍ متجمّل أولى وأسلم من صداقة أخرق

الباب السادس والعشرون فى الوطن

قال ابن الرومى

ولى وطنٌ آليتُ ألا أبيعهَ وألاّ أرَى غيرى له الدهر مالكا
عمرتُ به شرخ الشّباب منعّماً بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبّب أوطانَ الرّجال اليهمُ مآربُ قضّاها الشباب هنالكا
اذا ذكرُوا أوطانهم ذكّرتهمُ عهُود الصّبا فيها فحنّوا لذلكا
قد ألِفتْهُ النفسُ حتى كأنه لها جسدٌ إن بان غُودر هالكا

الباب السابع والعشرون في المال

إن الدّراهم كالمرا هم تجبر العظم الكسيرا
لو نالهُنَّ ثُعيلَبٌ فى صُبحه أضحى أميرا

إن قلَّ مالى فلا خلٌّ يُصاحبنى إن زاد مالى فكلُّ الناس خِلانى
فكم عدوٍّ لأجل المال صاحبنى وكم صديقٍ لفقدِ المال عادانى
لعمرُكَ إن المال قد يجعلُ الفتى سريًّا وإن الفقر بالمرء قد يُزرِى
وما رفع النفس الدّنية كالغنَى ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
وإذا ما رأيت صعُوبةً فى مطلب فاحملْ صعُوبته على الدّينار

وابعثهُ فيما تشتهيه فانه حجرٌ يليّن قسوةَ الأحجار

الناس أتباعُ من دامتْ له نِعمٌ والويلُ للمرء إن زَلتْ به القَدمُ
المالُ زينٌ ومن قلّتْ دراهمه حيٌّ كمن مات الا أنهُ صَنمُ
لما رأيتُ أخلائى وخالصتى والكلُّ مستترٌ عنى ومُحتشمُ
أبدُوا جفاءً وإعراضاً فقلتُ لهم أذنبتُ ذنباً فقالوا ذنبُك العَدَمُ

فصاحةُ حسّان وخط ابن مُقْلةٍ وحِكمةُ لقمان وزُهد ابن أدهم
اذا اجتمعت فى المرء والمرءُ مُفلس ونودى عليه لا يُباع بدرهم

اذا كنت فى حاجة مُرسلا وأنتَ بها كلفٌ مُغرَمُ
فأرسل حكيماً ولا تُوصه وذاك الحكيم هو الدّرهم

أظهرُوا للناس زهداً وعلى الدّينار دارُوا
وله صامُوا وصلُّوا وله حجّوا وزاروا
لو يُرى فوق الثريّا ولهم ريشٌ لطارُوا

المالُ يُفرقُ بين الأمّ والولد فذاك أدنى نسيبٍ عند كلّ يد
عهدى به خادماً كالعبد نملكه فما لِعينى تراه سيّد البلد
مالٌ يميل الى المرء من صِغرَ وكلما شَبَّ شبَّ الحبّ فى الكبد
لو يجمع الله مافى الارض قاطبةً عندامرىءٍ لم يقل حسبى فلا تزد
كلٌّ يروح من الدّنيا الغرُور كما أتى بلا عدَد منها ولا عُدَد
لو كان يأخذُ شيئاً قبلَنا أحد لم يَبق شىءٌ لنا من سالِف الأمد

اذا المرء لم يعتقْ من المال نفسه تملّكهُ المال الذى هو مالكه
ألا إنما مالي الذي أنا مُنفقٌ وليس ليَ المال الذى أنا تاركه

من كان يملك دِرْهمين تعلّمت شفتاه أنواع الكلام فقالا

وتقدّم الإخوان فاستمعوا له ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمُه التي يَزهو بها لوجدتَهُ فى الناس أسوأ حالا
إنّ الغنيّ اذا تكلّم بالخطا قالوا صَدقتَ وما نطقتَ مُحالا
أما الفقيرُ اذا تكلّم صادقًا قالوا كذَبتَ وأبطلُوا ما قالا
إنّ الدّراهمَ فى المواطن كلّها تكسو الرّجال مهابةً وجمالا
فهيَ اللسان لمن أراد فَصاحةً وهى السّلاح لمن أراد قِتالا

﴿ الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربه ﴾

واذا البلاد تغيّرتْ عن حالها فَدَعِ المقامَ وبادِرِ التّحويلا
ليس المقامُ عليك فرضًا واجبًا فى بلدة تَدعُ العزيز ذليلاَ

تَنقّل فلذّات الهوى فى التنقّل وردْ كلّ صافٍ لا تقِفْ عند منهل
ففى الارض أحبابٌ وفيها مناهلُ فلا تبكِ من ذكرى حبيب ومنزل

تغرّب عن الاوطان فى طلب العُلا وسافرْ ففى الأسفار خمسُ فوائد
تَفرُّجُ همٍّ واكتسابُ معيشةٍ وعِلمٌ وآدابٌ وصُحبةُ ماجد
وان قيلَ فى الأسفار ذلٌّ ومِحنة وقطعُ الفيافى واكتسابُ الشّدائد
فموتٌ الفتى خيرٌ له من حياته بدارِ هوانٍ بين واشٍ وحاسدِ

ارْحل بنفسك من أرض تضام بها ولا تكن لفراق الأهل في حُرَق
مَن ذَلّ بين أهاليه ببلدته فالاغترابُ له من أحسَن الخُلق
الكحلُ نوعٌ من الاحجار منطرحًا فى أرضه كالثّري يُرأى على الطرق
لما تغرّب نال العزّ أجمعه وصار يُحمَل بين الجفن والحدق

﴿ وقال لامام الشافعى ﴾

مافى المُقام لذى عقل وذى أدب من راحة فدَعِ الأوطانَ واغترب

سافرْ تجد عوضاً عمّن تُصاحبُه | وانصبْ فان لذيذ العَيش فى النّصَب
إني رأيتُ وقوف الماء يُفسدهُ | إن سال طاب وان لم يجْرِ لم يطِبِ
الاسدُ لولا فراقُ الغاب ماقنصَتْ | والسهمُ لولا فِراقُ القوس لم يُصِب
والشمسُ لو وقفت في الفُلك دائمةً | لملّها الناسُ من عُجم ومن عَرَب
والبدرُ لولا أفولٌ منهُ ما نظرت | اليه فى كلّ حين عينُ مُرتقِب
والتِبرُ كالتُرْب مُلقى فى أماكنه | والعود فى أرضه نوعٌ من الحطب
فان تغرّب هذا عزّ مطلبهُ | وإن أقام فلا يعلو على رُتب

اذا ما ضَاقَ صدْرك من بلاد | ترحّل طالباً أرضاً سوَاها
عجبتُ لمن يُقيم بدار ذلّ | وأرضُ الله واسعةٌ فَضاها
فذاك من الرّجال قليلُ عقل | بليد ليس يعلم ما طَحاها
فنفسَك فزْ بها إن خفتَ ضيما | وخلّ الدّار تَنعى مَن بَناها
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض | ونفسك لم تجدْ نفساً سوَاها
ومَن كانت منيتهُ بأرضٍ | فليس يموتُ فى أرضٍ سواها

إن قلّ نفعُك فى أرضٍ حَللتَ بها | سافرْ لتُدْرك قصداً أم ترَى أملا
فالبيض لو لازَمتْ أغمادها تلفت | والشّمس لو لم تسِرْ ما حلّتِ الحملا

﴿ وقال الحريرى فى الحث على السفر من مقامة له ﴾

لا تقعُدَنْ عن ضَرّ ومَسغبة | لكى يقالَ عزيزُ النفس مُصطبِر
وانظرْ بعينيكَ هل أرضٌ مُعطّلة | من النّبات كأرضٍ حفّها الشّجر
فعُدْ عمّا تشير الاغبياء به | فأيُّ فضلٍ لعودٍ ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظَمِئتَ به | الى الجناب الذى يَهمى به المطر
وستنزل الرّىّ من دَرّ السّحاب فان | بلتْ يداك به فليهنك الظفر

بلادُ الله واسعةٌ فضاء ورزقُ الله فى الدُّنيا فَسيحُ
فقلْ للقاعدين على هوان اذا ضاقت بكم أرضٌ فَسيحوا

واذا رأيت الرزقَ ضاق ببلدة وخشيت فيها أن يضيق المكسبُ
فارحلْ فأرضُ الله واسعةُ الفَضا طُولاً وعرضاً شرقُها والمغرب

إذا ما كنت فى قوم غريباً فعاملهم بفعل يُستطاب
ولا تحزَن اذا فاهوا بفحش غريبُ الدّار تنبحهُ الكلاب

وما طلبُ المعيشةِ بالتمنّي ولكنْ ألق دلوك فى الدِّلاء
تجيء بمثلها طَوْراً وطوْراً تجيء بحمأة وقليل ماء
ولا تقعدْ على كسل التمنى تحيلُ علي المقدّر والقضاء
فإن مقادِر الرَّحمن تجرى بأرزاق الرِّجال من السَّماء
مقدَّرة بقبض أو بيسط وعجز المرْء أسبابُ البلاء

﴿ الباب التاسع والعشرون فى الغدر ﴾

لا أشتكى زمنى هذا فأظلمه وانما أشتكي منْ أهل ذا الزمن
همُ الذئاب التى تحت الثياب فلا تكنْ الى أحدٍ منهم بمؤتمن

وزهّدنى فى الناس معرفتى بهم وطولُ اختبارى صاحباً بعد صاحب
فلم ترنى الأيامُ خِلاًّ تسرّنى مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلتُ أرجوه لدفع ملِمة من الدّهر الا كان احدى المصائِب

انى بلوتُ الناس أطلبُ منهمو أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أر فيما ساءنى غير شامت ولم أر فيما سرّنى غيرَ حاسد

﴿ وقال على بن الجهم وهو مسجون ﴾

قالوا حُبست فقلتُ ليس بضائرى حبسى وأىُّ مُهنَّد لا يُغمدُ

أوما رأيت الليث يألف غيله كبراً وأوباش السباع تردّد
والشمس لولا انّها محجوبةٌ عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والبدر يدركه السّرار فتنجلي أيامه وكأنه متجدّد
والغيث يحسره الغمام فما يُرى الا وريقه يراع ويرعد
والزاعبيّة لا يقيم كعوبها الا الثقاف وجذوةٌ تتوقد
والحبس ما لم تغشه لدنيّةٌ شنعاء نعم المنزل المتودد
بيتٌ يجدّد للكريم كرامةً ويُزار فيه ولا يزور ويحمَد
كم من عليل قد تخطاه الرّدى فنجا ومات طبيبه والعوّد

الباب الثلاثون في الختام بالدعاء

قال البحتري

حاطَه الله حيثُ أمسَى وأضحى وتولاّه حيث سَار وحَلا

وقال ابن الرُّومي

لا زِلت نجماً يُهتدى بك في الضّلال ويُستدَلّ
ينبوعَ عزمٍ يُستقى منه الصّوابُ ويُستَملّ

وقال الوزير المهلبي

أراني الله وجهك كلَّ يوم صباحاً للتيمُّن والسُّرورِ
وأمتعَ مقلتيَّ بصفحتيه لأقرأ الحُسْنَ من تلك السّطورِ

وقال آخر

بقيتَ مَدَى الدُّنيا ومُلكُكَ راسخٌ وَطودُك ممدودٌ وبابك عامِر
يودّ سَناكَ البدرُ والبدرُ زاهرٌ ويقفو نداكَ البحرُ والبحرُ غامر
وهُنِّئْتَ أياماً توالت سعودُها كما تتوالى في العقود (الجواهرُ)

فهرست جواهر الادب

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة